

الذخيرة

في محاسن أهل الجزيرة

تأليف
أبي الحسن علي بن إسحاق الشنفرى
المتوفى سنة ٥٩٩ هـ

تحرير
سالم بن طه البدرى

المجلد الأول

مطبوعات
مكتبة دار الكتب
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

الذخيرة في مجاز أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

تقيق

الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

بيروت - لبنان

الذخيرة في عجاسن أهل الجبيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتري (١٥٤٢)

القسم الاول - المجلد الاول

تقيق
الدكتور احسان عباس

دار الثقافة

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

مَقْدَمَةُ التَّحْقِيقِ

يَبْنِي ابن بسام في مقدمة كتاب الذخيرة أنه قد جعله في أربعة أقسام ، على النحو الآتي :

١ القسم الأول : لأهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد موسطمة الأندلس .

٢ القسم الثاني : لأهل الجانب الغربي من الأندلس وذكر أهل حضرة اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط .

٣ القسم الثالث : لأهل الجانب الشرقي من الأندلس .

٤ القسم الرابع : لمن طرأ على جزيرة الأندلس من شعراء وكتاب ، ولبعض مشهوري المعاصرين ممن نجم بافريقية والشام والعراق .

وبين سنتي ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ظهر القسم الأول من الكتاب ، في مجلدين ، بعناية لجنة من المحققين ولجنة من المشرفين على التحقيق ؛ وفي سنة ١٩٤٥ ظهرت قطعة من القسم الرابع . ثم توقفت اللجنة المضطلة بتحقيق الكتاب عن متابعة عملها - فيما يبدو - لظروف وأسباب مختلفة ، وكان في ذلك التوقف ، خسارة كبيرة للدارسي الأدب الأندلسي وطلابه ، لأن الذخيرة أولاً من أهم مصادر ذلك الأدب ، ولأنه ليس من السهل - ثانياً - على كل دارس أن يحصل على أصولها الخطية ، ثم لأن تلك الأصول - ثالثاً - ليست ميسرة للقراءة على نحو مباشر طبع .

لهذا وجدت ان تحقيق الذخيرة— على صعوبته — أمرٌ ضروري ، وأخص منها القسمين الثاني والثالث ، وما تبقى من القسم الرابع ؛ فهذا هو القدر الذي لم يظهر من الكتاب مطبوعاً حتى اليوم ؛ وقد بدأت التحقيق بحسب وفرة الأصول الخطية لكل قسم ، وكان القسم الثالث أوفرها حظاً ، وبليه في ذلك القسم الثاني ، ولهذا عملت في تحقيقهما بهذا الترتيب ، مرجئاً النظر في القسم الأول ، لأنه قد طبع وتداولته الأيدي منذ زمن ؛ ولكن رغبة الدارسين في أن يروا جميع أجزاء الذخيرة محققة بكاملها متناسقة في اكتمالها متجانسة في سماتها العامة المشتركة ألزمتني بإعادة النظر في هذا القسم الأول ؛ وهكذا كان .

وابادر لأقرر مخلصاً أن أعضاء اللجنتين اللتين تولتا هذا العمل تحقيقاً وإشرافاً قد بذلوا في إخراجهم من العناية ما يستحق كل تقدير ؛ أقول هذا وأنا قد اطلعت على أصول الذخيرة ووقفت على مدى ما فيها من صعوبة ناشئة عن حال النسخ نفسها ، وعمّا فيها من كثرة الخلافات في القراءة ، ومن التفاوت الشديد بين ما تثبتت نسخة وما تثبتت أخرى ، ومن تعرض بعض تلك النسخ لتدخل أيدٍ وأقلام أخرى في سياقها غير يد المؤلف وقلمه . فإذا أضيف إلى ذلك أنني — على ما بذلت من محاولات ودراسات — لم أستطع أن أزيد على الأصول التي اعتمدتها اللجنة السابقة في تحقيق هذا القسم الأول ، وجد القارئ أن النص لم يتعد كثيراً عما جاء عليه في الطبعة السابقة ، وإن كنت أقدر أن تفاوت النسخ ، سيكون مدعاة في المستقبل — إذا تمّ كشف شيء منها — مجالاً لزيادات مفيدة ولقرارات جديدة .

ومهما يكن من شيء ، فإن عدم توفر أصول جديدة لم يوقف بذل الجهد في اتجاهات أخرى ، وأرجو ألا يؤخذ قولني مأخذ الدعوى حين أقول أنني قد منحت هذه الطبعة مميزات كثيرة : فقد صححت عدداً غير قليل من أخطاء القراءة ، وعرفت بالأعلام والاماكن حيث كان ذلك ضرورياً ، وشرحت الألفاظ التي تتطلب شرحاً وخاصة بعض المصطلحات الأندلسية مثل حنبل

وطولق وقلبَق وما أشبه ذلك من ألفاظ غير مألوفة أو معروفة لدى المشاركة ، إذ قد يستغرق البحث عن معانيها وقتاً طويلاً لا يتيسر اكل قارئ ، كما وفقت إلى تخريج كثير من الشواهد الشعرية التي أدرجها المؤلف في الكتاب ، واتبعت نهجاً مختلفاً في تمييز الأصيل من الدخيل في نص الكتاب ، وراجعت النص على المصادر التي استمدت من الذخيرة ، وعلى سائر المصادر الأندلسية التي طبعت بعد صدور ما طبع منها .

أما النسخ التي اعتمدتها فهي أيضاً تنقسم في فئتين مثلما كانت الحال في أصول القسم الثالث ، وتضم الفئة الأولى :

١- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ١٣٢٤ (ورمزها : ط) ، وعدد أوراقها ١٦٧ ورقة ، في كل صفحة منها ٢٩ سطراً ، ومسطرتها ٥ ، ١٦×٢٣ ، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل وأصح ، ولكنها لا تحمل تاريخاً للنسخ ، وهي قريبة الشبه بالنسخة (ط) التي وصفتها في مقدمة القسم الثالث ، وإن لم يكن الخط فيهما واحداً بالضرورة ؛ وهذا الشبه بين النسختين قد يحمل على القول بأن (ط) تنتمي إلى القرن الحادي عشر ، وأقدم التملكات المؤرخة المكتوبة على الورقة الأولى منها تحمل تاريخ أوائل شعبان ١٠١٩ حين دخلت في ملك محمد بن أحمد بن محمد الشريف الحسني ، ثم باعها هذا المالك إلى سيدي محمد بن عبد الملك بن عبد الله في رمضان المعظم سنة ١٠٢١ .

٢ - نسخة دار الكتب الملكية بالقاهرة وعدد أوراقها ١٩٧ ورقة ، وفي الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً ، ومسطرتها ٢٥ × ١٣ وقد تم نسخها سنة ١٢٢٩ . وهاتان المخطوطتان متشابهتان في حالتي الزيادة والنقص في النص مما يرجح أنهما مأخوذتان عن أصلين متقاربين ، وإذا تميزت نسخة دار الكتب القاهرية في بعض القراءات عن (ط) فهذا التميز لا قيمة له في الغالب ، وقد تلتقي هذه النسخة مع نسخ الفئة الثانية - الآتي وصفها - في بعض القراءات ، وفي هذا أيضاً ما يجعل قيمتها ثانوية ، لأنها لا تتمتع بالزيادات التي تتمتع

بها نسخ الفئة الثانية إلا في موطن واحد، حيث تفرق عن (ط) على نحو لافت للانتباه وذلك في إيراد أبيات زائدة عما هي في (ط) في ترجمة ابن زيدون ، واشتراكها مع نسخ الفئة الثانية في إيراد نص دخيل على الذخيرة هورسالة ابن زيدون لأبي بكر بن مسلم ، بل أنها في هذه الرسالة تنفرد عن نسخ الفئة الأخرى ببعض عبارات أدرجتها بين حاصرتين من هذا النوع < > مشيراً في الحاشية إلى مصدر الزيادة؛ ولقلة الاعتماد على هذه النسخة لم أضع لها رمزاً خاصاً .

وأما الفئة الثانية فلأنها تضم النسخ الآتية :

- ١ - نسخة باريس رقم : ٣٣٢١ (ورمزها: س) وتقع في ١٢٥ ورقة ، عدد سطور كل صفحة ٢٣ سطراً ، ومسطرتها ٢٢×١٣ وهي مكتوبة بخط مغربي ، وفيها أخطاء وأوهام كثيرة ، وليس هناك ما يدل على تاريخ نسخها .
- ٢ - نسخة المكتبة التيمورية ورمزها (م) ، وتتألف من ٢٢٥ ورقة ، في كل صفحة ٢٦ سطراً ، ومسطرتها ٢٠ × ١٣ وهي دون تاريخ أيضاً ، وخطها مغربي .

- ٣ - نسخة خاصة كانت في ملك الاستاذ ليفي يروفسال (ورمزها: ب)، عدد ورقاتها ١٠٤ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٣٣ ، ومسطرتها ٢٤×١٧ ، وخطها مغربي مزود ببعض الشكل ، إلا أن الحروم فيها كثيرة .

وتعد هذه النسخ الثلاث متقاربة لأنها قد تميزت عن الفئة الأولى بزيادات كثيرة ، ونتيجة هذه الزيادات في ثلاثة أنواع : أولها ورود النصوص المنقولة عن ابن حيان فيها على نحو تفصيلي لا يتوفر في الفئة الأولى من النسخ حيث يرد النص موجزاً بشكل واضح ؛ وثانيها : ورود رسائل وأشعار لا يستبعد أن يكون ابن بسام هو الذي زادها ؛ وثالثها : كثرة الدخيل فيها مما قام بإضافته شخص (أو أشخاص) بعد عهد المؤلف ، وكان أحد الذين زادوا بعض النصوص مطالعاً على مسودات ابن بسام ،

وقد كان منهجي في التحقيق قبول أوسع الصُّور في النسخ وأكثرها تفصيلاً ، ولهذا اعتبرت أن كل نص " تنفرد به النسخ (ب س م) فإنه لا يميز بإشارة لأن ذلك يعني إثقال الحواشي في كل صفحة بفروق لا تكاد تحصر ، فأما إذا كان النص من زيادات (ط) فإنه يوضع بين معقفين على هذه الصورة [] والعيب في هذه الطريقة أن القارئ لن يتصور مدى ما ينقص النسخة (ط) أو مدى ما تتمتع به النسخ (ب س م) من زيادات ولكن هذا عيب شكلي خالص ، إذ أن إقامة نص " سليم هو الهدف الأهم والأكثر جدوى . فأما ما أقطع يقيناً بأنه من الدخيل على نص الذخيرة فأني أبقيه في موضعه مميزاً له باختيار حرف طباعي أصغر حجماً من حرف النص الأصلي ؛ ولاختياري هذا المنهج وجدت من الضروري أن أردّ الرسائل التي أضيفت إلى ترجمة كل من ابن برد والبزلياني إلى مواضعها بعد أن كانت لجنة التحقيق التي قامت بإصدار هذا القسم من قبل قد انتزعتها من موضعها وجعلتها ملحقة بآخر الكتاب ، وقد كان عمل اللجنة في هذه الناحية غير قائم على منهج موحد ، فهناك مثلاً زيادات دخيلة في ترجمة ابن زيدون تركت في موضعها ، ولم تفرد في ملحق خاص .

وقد أهملت لدى مقارنة النسخ قراءات واضحة الخطأ ، إذ لا ضرورة لإثقال الحواشي بها ؛ وأثبت في المتن أصبح القراءات — في نظري — ووضعت ما يعدّ في الدرجة الثانية من حيث الصحة — أو من حيث احتمال الصحة — في الحاشية ، وهذا أمر ذاتي اجتهدني لا يمكن تحليله في كل مرة . وكل ما زدته في المتن اجتهداً من عند نفسي أو اعتماداً على المصادر فقد وضعته بين حاصرتين على هذا الشكل < > دون أن أشير إلى ذلك في كل مرة ، وذلك تمييزاً لهذا النوع من الزيادات عن الزيادات المستمدة من النسخة القاهرية ، فانها مشفوعة دائماً بالإشارة إلى مصدرها .

وبما أن الذخيرة عمل ضخم قد يستغرق سنوات فقد وجدت من الخير

الاسراع بعمل فهرست خاصّ بكلّ قسم ، (وكل قسم يقع في جزئين متسلسلي الترقيم) بدلاً من إرجاء الفهرسة حتى يتم ظهور الأجزاء جميعاً . على أني أرجو أن أخصص جزءاً تاسعاً للاستدراكات العامة والتعليقات وبعض الفهارس الفنية التي تيسرُ الإفادة من هذا الكتاب القيم ؛ كذلك أرجو أن يكون هذا الجزء الأخير مجالاً للدراسة مؤلف الكتاب ، ومنزله الأدبية ، وقيمة كتابه من النواحي التاريخية والأدبية والنقدية ، وهي دراسة لا يمكن أن تتم على الصورة الشاملة المرضية قبل اكتمال أجزاء الكتاب تحقيقاً ونشراً .

وأود في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر إلى الدار العربية للكتاب ، التي أخذت على عاتقها بذل كل جهد ممكن لوضع « الذخيرة » في متناول الدارسين والقراء ، خدمة منها للتراث العربي بعامة وللتراث المغربي بخاصة ، وأنا على يقين من أن الدراسات في الأدب الاندلسي ستجد في الذخيرة مجالاً خصباً لا يدانيه في غناه واتساعه أي مصدر آخر ، وأن وجود الذخيرة في أيدي الدارسين محققة ، لن يجعل الافادة منها أمراً جزئياً محدوداً تحول دون اتساع مداه صعوبة النسخ الخطية ؛ ولهذا أكاد أسكت صوت الاعتذار عما قد يكون تسرّب إلى هذه الطبعة من خطأ أو وهم ، بعد أن استفرغت جهد الطاقة . ومن الله أستمدّ العون ، وإليه أبرأ من الزهو والدعوى ، وعليه أتوكل وبه أستعين .

بيروت في آب (أغسطس) ١٩٧٥ .

إحسان عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي ، رحمه الله ^١ :

أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم
رُسليه ، فإنَّ ثمرةَ هذا الأدب ، العالِي الرُّتب ، رسالةٌ تُنشر وتُرسل ،
وأبياتٌ تُنظَّم وتُفصِّل ؛ تنثالُ تلك ^٢ انثيالَ القطار ، على صفحات
الأزهار ، وتتصل هذه اتصالَ القلائد ، على نخور ^٣ الخرائد ؛ وما زال في
أفئتنا هذا الأندلسي القصي ^٤ إلى وقتنا هذا من فُرسانِ الفنين ^٥ ، وأئمةِ
النوعين ، قومٌ هم ما هم طيبٌ مكاسير ، وصفاءَ جواهر ، وعدوَّةُ
مواردٍ ومصادر ؛ لعيبوا بأطراف الكلام المشقق ، لعبَ الدُّجى يجفون
المؤرق ، وتحذوا بفنون السحر المنق ، حذاء ^٦ الأعشى بينات
المحلق ؛ فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ؛ وباهتوا
غُررَ الضُّحى والأصائل ، بمجائب ^٧ الأشعار والرسائل : نشرٌ لو رآه البديعُ
لنسي اسمه ، أو اجتلاه ابنُ هلالٍ لولاهُ حكمته ؛ ونظمٌ لو سمعه

١ ورد جانب من حلقة الذخيرة في النسخ ٢ : ٥٠٠ ، كما نشرها دوزي في النصوص التي

جمعهما عن تاريخ أبي عباد ٣ : ٣٩ : ٥٦ .

٢ ط . ينثال ذلك .

٣ ط . نجوم .

٤ ط : القطار .

٥ ط . الفنين .

٦ ط : وحذوا حذاء .

٧ ط : مجائب .

كثِيرٌ ما نسبَ ولا مدح ، أو تَتَبَّعَهُ جَرَّوَلٌ ما عوى ولا نبج ؛ إلا أن أهل هذا الأفق ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق^١ ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة^٢ ، رجوع الحديث إلى قتادة^٣ ؛ حتى لو نعتق بتلك الآفاق غراب ، أوطنٌ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا^٤ على هذا صنما ، وتكثروا ذلك كتاباً مُحْكَمًا ؛ وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مَرْمَى القصيدة ، ومُنَاخ الرذيلة^٥ ، لا يعمر بها جنانٌ ولا خلد ، ولا يُصَرَّف فيها لسانٌ ولا يد . فغاطني منهم ذلك ، وأنفتُ مما هنالك ، وأخذتُ نفسي بجمع ما وجدتُ من حسنات دهري ، وتَتَبَّعُ محاسن أهل بلدي وعصري ، غيرةً لهذا الأفق الغريب أن تعود بُدُورُه أهلة ، وتُصْبِحَ بحارُه ثِماداً مُضْمَحَلَّةً ؛ مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ؛ وقديماً ضيعوا العلم وأهله ، وياربُّ مُحْسِنِ مَاتِ إِحْسَانُهُ قَلْبُهُ ؛ وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان ، وخصَّ أهلَ المشرق بالإحسان ؟

وقد كتبتُ لأرباب هذا الشأن ، من أهل الوقت والزمان ، محاسن^٦ تبهرُ الألباب ، وتسحرُ الشعراء والكتاب . ولم أعرضُ لشيء من أشعار

١ ط : المشرق .

٢ التفع : المعادة .

٣ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي (٦١ - ١١٧ أو ١١٨) ، كان من حفاظ أهل زمانه ، وقد تفاوتت فيه الآراء ، فقليل فيه : كان حاطب ليل ، كما قيل فيه : فلما نجد من يتقدمه ، وأنه كان من علماء الناس بالقرآن والفقه (انظر تهذيب التهذيب ٨ : ٣٥١ - ٣٥٦) .

٤ ط : لحنوا .

٥ الرذيلة : الناقة الهزيلة المتروكة التي لا تقدر أن تلحق بالركاب ؛ يعني أن أخبارهم وأشعارهم مطرحة متبوذة .

٦ ط : محاسناً .

الدولة المروانية، ولا المذائح العامرية، إذ كان ابنُ فرَج الجبائي^١ قد رأى رأيي^٢ في النصفَة، وذهب مذهبي من الأنفة؛ فأملسى في محاسن أهل زمانه «كتاب الخدائق» معارضاً لـ «كتاب الزهرة» للإصبهاني^٣. فأضربتُ أنا عما ألف، ولم أعرض لشيء مما صَنَف. ولا تعدّيتُ أهلَ عصري. ممن شاهدته بعُمري، أو لحِقته بعضُ أهلِ دهري؛ إذ كلُّ مُردّدٍ ثَقِيل، وكلُّ مُتكرِّرٍ مملول، وقد مَجَّتْ الأسماعُ: «يا دارَ مَيَّة بالعلياء فالسند»، ومَلَّتِ الطَّبَاعُ: «لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِسُرْقَةِ نَهْمٍ»، ومَحَّتْ^٤: «قِفَا نَبْكَ» في يدِ^٥ المُتعلِّمين، ورجعتُ على ابنِ حُجْرٍ بلائمة المُتكلِّفين^٦؛ فأما «أَمِينٌ أَوْفَى»، فعلى آثارٍ من ذهب العفاء^٧. أما أَن أَن يَصْمَ صداها، ويُسَامَ مداها؟ وكم من نُكْتَةٍ أَغْلَتَتْهَا الخُطباءُ. ورُبُّ مُتَرَدِّمٍ غَادَرَتْهُ الشُّعراءُ؛ والإحسانُ غيرُ محصور، وليس الفضلُ

١ أبو عمر أحمد بن فرج الجبائي (٣٦٠- أو حوالي ٣٦٦)؛ عرف بكتابه «الخدائق» الذي ألّفه لحكم المستنصر، وكان من مقدمي الشعراء في العهد الأموي، وقد سجّنه الحكم وصدّرت عنه وهو في السجن أشعار كثيرة (انظر الجذوة ٩٧ والبخية رقم: ٣٣١ والمطمح: ٧٩ والمغرب ٢: ٥٦ والصلة: ١١ واليتيمة ٢: ١٦ والوافي بالوفيات ٨: ٣٤ ومجمع الادباء ٤: ٢٣٦) وله أشعار في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس.
٢ ط: رأياً.

٣ الاصبهاني صاحب كتاب الزهرة هو محمد بن داود الظاهري، وكتابه الزهرة صنّفه في عتقوان شبابه (انظر ابن خلكان ٤: ٢٥٩ والفهرست: ٢١٧ وتاريخ بغداد ٥: ٢٥٦، طبقات الشيرازي: ١٧٥ والوافي ٣: ٥٨) وقد نشر القسم الأول من كتابه بتحقيق نكل وطارقان، بيروت ١٩٣١.

٤ ط: وضجت.

٥ ط: من برد.

٦ ط: الفرع المتكلفين.

٧ ط: قول زهير (ديوانه ٥٨):

على آثار من ذهب العفاء

نعمل أهلها منها نبالوا

على زمنٍ بمقصودٍ ؛ وعزیزٌ على الفضل أن يُنكر ، تقدّم به الزمانُ أو تأخر ،
ولمّا قاله : الفضلُ للمُتقدّم ، فكم دُفنَ من إحسان ، وأُخملَ
من فلان . ولو اقتصر المتأخرون على كُتُبِ المُتقدّمين ، لضاعَ عِلْمٌ
كثير ، وذهبَ أدبٌ غزير .

..وقد أودعتُ هذا الديوانَ الذي سمّيته : «كتاب الذخيرة» ، في محاسن أهل هذه
الجزيرة ، من عجائب علمهم ، وغرائب نثرهم ونظمهم ، ما هو أحلى من مناجاةِ
الأحبة ، بين التمتع والرقبة^١ ، وأشهى من مُعاطاة العُقار ، على نَعَمَاتِ
الثالث والأزيار ؛ لأن أهلَ هذه الجزيرة - مذ كانوا - رؤساءُ خطابة ،
ورؤوسُ شعرٍ وكتابة ، تدفقوا فأنسوا البحور ، وأشرقوا فباروا^٢ الشمس
والبلدور ؛ وذهبَ كلامُهم^٣ بين رقة الهواء ، وجزالة الصخرة الصماء ،
كما قال صاحبهم عبد الجليل ابن وهب^٤ : يصف شعره :

رقيقٌ كما غنّت حمامةُ أَيْكَةٍ ، وجَزَلٌ كما شقَّ الهَوَاءُ عقابُ

على كَوْنِهِم بهذا الإقليم ، ومُصَاقِبَتِهِم لطوائف الرُّوم ؛ وعلى أن بلادهم
آخرُ الفتوح الإسلامية ، وأقصى خُطَى^٥ المآثر العربية ؛ ليس وراءهم
وأمامهم إلاّ البحرُ المحيط ، والرومُ والقُوط ؛ فحِصاةُ مَنْ هذه حاله
تَبِير ، وثَمَدُهُ بحرٌ مسجور ؛ وقد حكى^٦ أبو علي البَغْدادي الوافدُ على
الأندلس في زمان بني مروان قال : لما وصلتُ القَيْرَوَانَ وأنا أُعتبر مسن

١ ط : بين التمتع والرقبة .

٢ ط : فأروا .

٣ ط : كلاهما .

٤ سترجم له ابن بسام في القسم الثاني .

٥ ط : حظ .

٦ انظر النفع ٣ : ١٥٤ .

أمرُ به من أهل الأماص ، فأجدُهم درجات في الغباوة وقلة الفهم بحسب تقاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، حتى كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم مُحَاصَّةٌ ٢ ومُقَاسِمَةٌ . قال أبو علي : قلت : إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيتُ في أفهامهم ، بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم ، فسأحتاجُ إلى ترجُمان ، بهذه الأوطان .

قال ابن بسام : فبلغني ٣ أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمفاشة ، ويقول لهم : إن علمي علمُ رواية ، وليس بعلمِ دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، فلم آل لكم أن صححت . هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات . والأخذ عن الثقات ؛ ولولا أن كل معنى معترض ، يزيح سهمي عن ثغرة الغرض ، المقصود في هذا الكتاب ، لأوردت في هذا الباب ، بعض ما وقع لأهل الأندلس من عجب . وسمع لهم من نادر مستغرب . وسيُمرُّ منه في تضاعيف هذا التصنيف ما فيه كفاية ، ويُرتب إن شاء الله على الغاية . ولعل بعض من يتصفحه سيقول : إنني أغفلت كثيراً ، وذكرْتُ خاملاً وتركْتُ مشهوراً . وعلى رسله ، فإنما جمعتُه بين صعب قد ذلَّ ، وغرب قد قلَّ . ونشاط قد قلَّ ، وشباب ودَّعَ فاستقل ؛ من تفاريق كالعقرون الحالية ، وتعالين كالأطلال البالية ، بخط جهال كخطوط الرياح ، أو مدارج النمل بين مهاب الرياح ؛ ضَبَطُهم تصحيف . ووَضَعُهم تبديلٌ وتحريف ؛ أيأسُ الناس منها طالبها ، وأشدُّهم استرابةً بها كاتبها ؛ ففتحتُ أنا

١ ط : يمر بي .

٢ ص ط : محاسبة .

٣ ط : بلني .

٤ ط : الزواج .

أَقْفَالَهَا ، وَفَضِضْتُ قِيودَهَا وَأَغْلَالَهَا ؛ فَأَضَحْتُ غَايَاتِ ثَبِيْنٍ وَبَيَانِ ،
وَوَضَحْتُ آيَاتِ حُسْنٍ وَاحْسَانِ .

على أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الدِّيوانِ ، لَمْ أَجِدْ لَهُ أَخْبَاراً مُوضُوعَةً ،
وَلَا أَشْعَاراً مُجْمُوعَةً ، تَفَسَّحُ لِي فِي طَرِيقِ الْاِخْتِيَارِ مِنْهَا ، إِنَّمَا انْتَقَدْتُ مَا
وَجَدْتُ ، وَخَالَسْتُ فِي ذَلِكَ الْحُمُولِ ، وَمَارَسْتُ هُنَاكَ الْبَحْثَ الطَّوِيلَ ،
وَالزَّمَانَ الْمُسْتَحِيلَ ، حَتَّى ضَمَنْتُ كِتَابِي هَذَا مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ هَذَا الْأَقْفِ ، مَا
لِعَلِّي سَأْرِي^٢ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ . وَمَا قَصَدْتُ بِهِ - عِلْمَ اللَّهِ - الطَّعْنَ
عَلَى فَاضِلٍ ، وَلَا التَّعَصُّبَ لِقَائِلٍ عَلَى قَائِلٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ طَلَبَ عَيْباً وَجَدَهُ ، وَكُلُّ
يَعْمَلُ بِاِقْتِدَارِهِ ، وَيَجْتَهِدُ اخْتِيَارَهُ ؛ وَمَا أَغْفِلَ أَكْثَرُ مِمَّا كُتِبَ وَحُصِّلَ ؛
وَالْأَفْكَارُ مُزْنٌ لَا تَنْضَبُ ، وَنُجُومٌ لَا تَغْرُبُ ؛ وَمَنْ يَحْصُلُ مَا تُثِيرُهُ
الْقِرَائِحُ ، وَتَتَقَاذَفُ بِهِ الْجَوَانِحُ ؟ وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ^٣ :

وَلَوْ كَانَ يَفْنِي الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ حَيَاضُكَ^٤ مِنْهُ فِي الْعَصُورِ الذَّوَاهِبِ
وَلَكِنَّهُ صَوْبُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ

وَهَذَا الدِّيوانُ إِنَّمَا هُوَ لِسَانٌ مَنْظُومٌ وَمَثُورٌ ، لَا مِيدَانٌ بَيَانٌ وَتَفْسِيرٌ .
أُورِدُ الْأَخْبَارَ وَالْأَشْعَارَ لَا أَفُكُ مُعَمَّاهَا ، فِي شَيْءٍ مِنْ لَفْظِهَا وَلَا مَعْنَاهَا ؛
لَكِنْ رَبَّمَا أَلَمْتُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ ، بَيْنَ ذِكْرِ أَجْرِيهِ ، وَوَجْهِ عُدْرِ أُرْيِهِ^٥ ؛
لَا سِيماً أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ ذِي الْمَحَاسِنِ^٦ ، الَّذِي هُوَ قَيْمُ الْأَشْعَارِ وَقَوَامُهَا ،

١ ففتحت ... وبيان : لم يرد في ط .

٢ ط : أربي .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ .

٤ قرأت الحياض : جمعت الماء .

٥ م : أوريه .

٦ ط : التحاسين .

وبه يُعرفُ تفاضلُها وتباينُها ؛ فلا بد أن نشيرَ إليه ، وننبّهَ عليه ؛ وتكِلُ
الأمْرَ في كلِّ ما نُثَبِّتُه ، ونرُدُّ الحُكْمَ في كلِّ ما نُورِدُه ، إلى نقدِ النّقْدَةِ
المهْرَةِ ، وتمييزِ الكتّابَةِ الشّعْرَةِ ، الذين هم رؤساءُ الكلام ، وصيارفَةُ
النّثرِ والنّظام ؛ فأما من رينَ على قلبه ، وطبّعَ بالجهلِ^١ على لبّه ، فقد
وُضِعَتْ عَنَّا وعنه ، كُلفَةُ الاعتذارِ منه . وقد كان في وقتي من فرسانِ هذا
الشان ، من كان أجدرَ أن يجري بهذا الميدان ، ويُعَرِّبَ عما أعرَبْتُ فيه^٢
عن القوم بأفصحِ لسان ، يُثِيرُ فيه المعاني من مَرابضِها ، وأشدَّ عارِضَةً
يُظْهِرُ بها الأغراضَ المقصودةَ في أجملِ معارضِها ؛ لكنني بما أقدمْتُ
عليه ، وتصديتُ إليه ، كالنسيمِ دلَّ على الصُّبحِ ، والسَّهْمِ نابَ عن
الرُّمَحِ ؛ ولا أقولُ إنني أغرَبْتُ ، لكن ربما بَيَّنْتُ وأعرَبْتُ ؛ ولا أدّعي
أنني اخترعتُ ، ولكني لَعَلِّي قد أحسنتُ حيثُ اتبعتُ ، وأتقنتُ ما
جمعتُ ، وتألّفتُ عَنَّنِ^٣ الشارد ، وأغنتني عن الغائب بالشاهد ؛
وتَغَلَّغْتُ بقارنه بين النظم والنثر ، تَغَلَّغُلُ الماءُ أثناءَ النورِ والزَّهرِ ؛
وانتقلتُ^٤ من الجِدِّ إلى الهزل ، انتقالَ الضَّحيانِ من الشمسِ إلى الظلِّ ،
واستراحةَ البَهِيرِ من الحَزْنِ إلى السَّهْلِ ؛ وتَحَلَّلْتُ ما ضَمَمْتُه^٥ من
الرسائلِ والأشعارِ ، بما اتَّصَلْتُ به أو قِلْتُ فيه من الوقائعِ والأخبارِ ؛
واعتمدتُ المائةَ الخامسةَ من الهجرة فشرحتُ بعضَ مِحَنِها ، وجلَّوتُ
وجوهَ فِتَنِها ، ولَخَصْتُ القولَ بين قبيحِها وحَسَنِها ؛ وأحْصَيْتُ عِلَلَ
استيلاءِ طوائفِ الرُّومِ ، على هذا الإقليمِ ، وألعتُ بالأسبابِ التي دعتُ ملوكها

١ ط : بالجليل (اقرأ : بالجليل) .

٢ ط : به .

٣ ط س : عين .

٤ ط س : ونقلته .

٥ ط : ضمته .

إلى نالهم ، واجتثاث ١ أصلهم وفرعهم ، وعبرتُ عن أكثر ذلك ،
 بلفظ. يَتَتَبَعُ الهمَّ بين الجَوَانِحِ ، ويَحِلُّ العَصَمَ سَهْلَ الأَبَاطِيحِ ٢ ؛
 وعَوَّلْتُ في «نظم ذلك على تاريخ أبي مروان بن حبان ، فأوردتُ فصوله»
 ونقلتُ جُمْلَتَهُ وتفصيله ؛ فإذا أعوزني كلامه ، وعزني سردهُ ونظامه ،
 عكفتُ على دُللي البائد ، وضربتُ في حديدي البارد ؛ على حِفْظٍ قد تَشَعَّبَ
 وحظ من الدنيا قد ذهب .

ومع أن الشعر لم أرضه مَرَكِباً ، ولا اتَّخَذْتُهُ مَكْسَباً ، ولا أَلِفْتُهُ
 مَثْوًى ولا مُتَقَلِّباً ؛ إنما زُرْتُهُ لِمَا ، ولمحتُهُ تَهَمُّماً لا اِهْتِمَاماً ؛
 رغبةً بَعِزَّ نفسي عن ذلِّه ، وترفعاً لِمَوَاطِيءِ أَخْمَصِي عن محلِّه ؛
 فإذا شَعَشَعَتْ راحتهُ ٣ ، ودأبت أقداحه ، لم أذُقْهُ إِلَّا شَمِيماً ، ولا كنتُ
 إِلَّا على الحديث نديماً ٤ ؛ وما لي وله ، وإنما أَكْثَرُهُ خُدْعَةً مُحْتَالاً ، وخلعةً
 مُخْتَالاً ؛ جِدَّةٌ تمويهٌ وتخييل ، وهزلٌه تدليهٌ وتضليل ؛ وحقائقُ العلوم ؛
 أولى بنا من أَبَاطِيلِ المَشْوَرِ والمنظوم ؛ وعلى ذلك فقد وعدتُ أنْ أَلْعَ في
 هذا المجموع ، بَلَمَعٍ من ذكرِ البديع ؛ وأنْ أُمَهِّدَ جانباً من أسبابه ،
 وأُشرِحَ جُمْلَةً من أسْماءه وألقابه ؛ وإذا ظفرتُ بِمعنى حَسَنٍ ، أو وقفتُ
 على لفظٍ مُسْتَحْسَنٍ ؛ ذكرتُ من سبق إليه ، وأشرتُ إلى من نقص عنه ،

١ ط : أو شتات .

٢ من قول المجنون (الأغاني ٢ : ٧٣) :

وأدنيته حتى إذا ما سببني يقول يحل العمم سهل الأباطيح

٣ ط : تشعشت راحته .

٤ من قول أبي نواس (ديوانه : ٣٢٥) :

أبها الراتحان بالوم لوما لا أذوق المسدام إلا شميما
 فاصرفاها إلى سواي فأنسي لست إلا حل الحديث نديما

أوزاد عليه ؛ ولست أقول : أخذ هذا من هذا قولاً مُطلقاً ، فقد تتوارد الخواطر ، ويقعُ الحافرُ حيثُ الحافر ؛ إذ الشعرُ مبدان ، والشراءُ فرسان .

وعلمَ الله تعالى أن هذا الكتاب لم يصدُر إلاَّ عن صدرٍ مكلومِ الأحناء ، وفكرٍ خامد الذكاء ، بين دهرٍ مُتلكونٍ تَلَوْنَ الحِرباء ؛ لانتِباذِي كانَ مِن ١ شَنْتَرِينَ ٢ قاصيةَ الغرب ، مَقُولَ الغرب ، مَرْوَعِ المَرْب ، بعد أن استنفد الطريفُ والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النقاد ، بتواتر طوائف الروم ، علينا في عُقْرِ ٣ ذلك الإقليم ؛ وقد كُنَّا غنيا هنالك بكرم الانتساب ، عن سوء الاكتساب ، واجتزأنا بمنحور العتاد ، عن الثقلب في البلاد ؛ إلى أن نثر علينا الرومُ ذلك النظام ، ولو تَرَكَ القَطَا ليلاً ٤ نلنا ٥ وحين اشتدَّ الهولُ هنالك ، اقتحمتُ بمن معي المسالك ؛ على مهامية تكذب فيها العين الأذن ٥ ، وتُسْتَشْعَرُ فيها المِجَن :

مهامية لم تصحب بها الذئب نفسه ٦ ولا حملت فيها الغراب قوادمه ٦

حتى خلصتُ خلوصَ الزبرقان من مِرارِهِ ، وفُزْتُ فوزَ القِدْح عند قِمَارِهِ ؛ فوصلتُ حمصَ ٧ بنفسٍ قد تَقَطَّعتْ شِعَاعاً ، وذهبَ أَكْثَرُهَا التِياعاً ؛ وليتني عِشْتُ منها بالذِي فَضَّلَا ٨ فتغربتُ بها سنواتٍ أَتَبَوُّا منها

١ ط : لانتِباذ من .

٢ شتيرين (Santarem) تقع في البرتغال على بعد ٦٧ كيلو متراً إلى الشمال الشرقي من لشبونة ؛ امتدَّ عليها الفونسو الخامس القشتالي سنة ١١٨٥ ؛ فاضطر ابن يسام إلى الفرار عنها (انظر الروض المطار ، الترجمة الفرنسية : ١٣٩ ، ومادة « شتيرين » في الموسوعة الإسلامية).

٣ ط : قعر . ٤ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٨٤ والميداني ٢ : ٨٢ .

٥ من قول المتنبي : حماء تكذب فيها العين والأذن (ديوانه : ٤٦٩) .

٦ البيت المتنبي (ديوانه : ٢٤٨) والرواية فيه : مهالك .

٧ حمص : اسم يطلقه الأندلسيون على أشبيلية . ٨ من قول المتنبي (ديوانه : ١٢) :

حتى وصلت بنفسي مات أكثرها وليتني عشت منها بالذي فضلا

ظلَّ العَمَامَةُ ، وأَعْيَا بالتَحَوُّلِ عنها عِيَّ الحَمَامَةِ ؛ وَلَا أَنْسَ ١ إِلَّا الْإِنْفِرَادَ ،
وَلَا تَبَلُّغُ إِلَّا بِفَضْلَةِ الزَادِ ؛ وَالْأَدَبُ بِهَا أَقْلٌ مِنَ الْوَفَاءِ ، حَامِلُهُ أَضْيَعُ مِنْ
قَمَرِ الشِّتَاءِ ؛ وَقِيَمَةُ كُلِّ أَحَدٍ مَالُهُ ، وَأُسْوَةٌ كُلِّ بَلَدٍ جُهَاْلُهُ ؛ حَسَبُ
الْمَرْءِ أَنْ يَسْلَمَ وَفَرُّهُ ، وَإِنْ ثَلِمَ قَدْرُهُ ، وَأَنْ تَكْثُرَ فَضَّتُهُ وَذَهَبُهُ ،
وَأَنْ قَلَّ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . وَهَذَا الدِّيَوَانُ نِيَّةٌ لَمْ يُفْصِحْ عَنْهَا قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ ،
وَأُمْنِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا حَوْلٌ وَلَا حِيَالٌ : كَامِنٌ بَيْنَ الْعِيَانِ وَالْخَبَرِ ،
كَمُونٌ ٢ النَّارِ فِي الْحَجَرِ ، وَجَارٍ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ، جَرِي الْمَاءِ فِي الْفَصَنِ
الرَّطْبِ ؛ إِلَى أَنْ طَلَعَ عَلَى أَرْضِهَا ٣ شَهَابٌ سَعَدَهَا وَتَمَكَّنِيهَا ، وَهَبَتْ لَهَا
رِيحُ دُنْيَاهَا وَدِينَهَا ، وَتَفَخَّ فِيهَا رُوحَ تَأْمِيلِهَا وَتَأْمِينِهَا ، مَلِكُ أَمْلَاكِهَا ،
وَجَدَّيْلُ حُكَاكِهَا ٤ ، وَأَسْعَدُ نُجُومِ أَفْلَاكِهَا ؛ «فَلَانٌ» ٥ ثِمَالُ
الْمُظْلُومِ ، وَمَالُ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ؛ وَمُخَيِّي الْعِلْمِ ، وَمَرْبَعُ ذَوِيهِ
وَحَامِلِيهِ ، وَمُسْتَدْعِي التَّأْلِيفَاتِ الرَّائِقَةِ فِيهِ ؛ جَعَلَ اللَّهُ الدَّهْرَ أَقْصَى ٦ أَيَّامِهِ ،
وَالنُّجُومَ مَرَاكِزَ أَعْلَامِهِ ، وَالْأَرْضَ نَهْبَةَ سَيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ فَحَامَتْ عَلَيْهِ
أَطْيَارُهَا ، وَأَهْلَتْ ٧ إِلَيْهِ حُجَّاجُهَا وَزُورَارُهَا ، وَانْتَثَرَتْ فِي يَدَيْهِ شُمُوسُهَا
وَأَقْمَارُهَا ؛ مِنْ كُلِّ أَشْغَتْ ذِي طِمْرَيْنِ ، مَشْنُوءِ الْأَثَرِ وَالْعَيْنِ ،
مَحْرُومِ مَحْسُودِ ، مَحْلَأٌ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودِ ؛ قَدْ جَعَلُوا بُيُوتَهُمْ قُبُورًا ،
وَاتَّخَذُوا بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ وَلِدَانًا وَحُورًا ، وَرَكِبُوا الْحَدَّ ثَانً صَعْبًا وَذَلُولًا ،
وَعَاهَدُوا الْحَرَمَانَ لِيَلْبِنَهُ صَبْرًا جَمِيلًا ٨ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ،

١ ط : أنيس .

٢ كمون : مكررة في ط .

٣ ط : الأرض .

٤ ط : وجديد ؛ وهذا من قولهم « هو جديدها المحكك » ، يعني أنه يستشفى برأيه كما
تستشفى الابل الجربى بالا حتكالك بالجلد ، وهو عود ينصب لذلك الغرض .

٥ لم يسمه هنا ، ولعله سير بن أبي بكر الذي تولى اشبيلية في فترة تأليف الذخيرة .

٦ ط : أقصر .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (الأحزاب: ٢٣). فما هو إلا أن سطع لهم هذا الشهاب ، وفتح بينهم وبين روح الله ذلك الباب ، حتى نفروا خفافاً وثقالاً ، وابتدروا ببطاء وعجلاً ؛ ينظرون بعيون لم تروا من ماء وجه كريم ، ويصغون بأذان لم تأنس بنعمة صديق حميم ؛ قد كانوا يشوا من هذا النشور كما يئس الكفار من أصحاب القبور (المتحنة: ١٣) فأسألم أي جانب يمتوأ ، وبأي جناب خيخوا ، وإلى أي ملك لباب أنجدوا وأتھموا ؛ ويا رحمتا لبحور أدب ، وصدور رتب ، كان نظمني وإياهم وذو قديم ، ولف هواي بهواهم عهد كريم ، لا متشي ولا مذموم ؛ قد طال ما عاطيتهم أكوس^١ الحمول ، على البكاء والعويل ؛ في أيام أوحش من توديع الشباب ، وليال انكد من مناقشة الحساب ؛ ألا يكونوا قد أخذوا على القضاء عهداً مسؤولاً ، وملتوا بالبقاء ولو قليلاً ؛ حتى يروا حظ الأدب كيف نفق ، وعز الإسلام كيف اتفق ، وشمل الجور كيف تصدع وتفرق ؛ ويا حسرتا ألا ينشق عن حاتم ضريحه . ويُعاد في جسمه روحه ؛ فيرى أن الكرم بعده علم ، وأن علو المهتم بغيره بلىء وخسيم .

ولما سمعت صوت المهيب ، ونذمت ربح الفرج القريب ، ووجدت لسبيل التأمل مدرجاً . وجعل الله لي من رنقة الخمول مخرجاً ؛ طالعت حضرته المقدسة بهذا الكتاب على حكمه . مطرراً بسمته واسمه ؛ مستدلاً بمجده ، متوسلاً إليه بكرم عهده ؛ ولعلمي أن الأدب ضالة أهباله ، ونسيجه خياله ، وأن أهله على ذكر من إجماله ، وبمكان مكن من كماله^٢ ؛ ولما سئلت أيضاً انتساح هذا

١ ط : ويمحون .

٢ ط : أبوه من .

٣ س : باله

الديوان ، ورأيتُ شرّةَ أهلِ الزّمان ، إلى الاقتباس من ثوره ، بما يلتقطونه من شدووره ، أحبيتُ أن يوجب الآفاق ، وتسير به الرفاق ، وعليه من اسم من له جُمع ، وإلى جوانبه العليّة رُفِع ، طرازُ به تنفقُ سوقُه ، ولا تضيعُ إن شاء الله حقوقُه .

وقسمته أربعة أقسام :

الأوّل : لأهل حضرة اقرطبة وما يُصافبها من بلاد موسطة الأندلس ، ويشتمل من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتّاب والشعراء على جماعة هم :

١ - المستعين بالله أبو أيوب سليمان بن الحَكَم ، وحرّبه مع المهديّ ابن عمّه ومقتله .

٢ - والمستظهر بالله أبو المطرّف عبد الرحمن بن عبد الجبار الناصري ومقتله .

٣ - والأديب أبو عمّر أحمد بن درّاج القسطلّي ، وإمارة عليّ ابن حمّود ومقتله .

٤ - وأبو حفص بن بُردٍ الأكبر ومقتل عيسى بن سعيد القطّاع - وزير ابن أبي عامر .

٥ - والكاتب أبو المغيرة بن حرّم .

٦ - والفقير أبو محمد بن حزم الشافعي وخبر الأمير منذر بن يحيى التّجيني .

٧ - والوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد والوزير أبو

الوليد ابنُ عَبدُوس ، والفقيرُ أبو العباس بن أبي الرَّبيع ، والأديبُ أبو عليَّ بنُ عيَوض ، والكاتب أبو بكر بن زياد^١ .

٨ — وذو الوزارتين أبو الوليد بن زَيْدُون وإمارةُ المُستَنكفي وخبرُ ولادته .

٩ — والأديب أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحنّاط المَكْفُوفُ ، ونَصَبُ المرتضى الناصري خَلِيفَةُ بِشْرُقِ الاندلس ومَقْتَلُهُ .

١٠ — والأديب أبو بكر عُبادةُ بن ماءِ السَّماءِ ، وإمارةُ القاسم بن حَمُودٍ وتغلبُ القاضي ابن عبادٍ عليه .

١١ — والوزير أبو حفص بن بُرْد الأصغر .

١٢ — والأديب أبو مروان الطُّبْنِيُّ ومَقْتَلُهُ ؛ وأشعارُ الطَّبائنةِ^٢ حَقْدَتِهِ .

١٣ — والأديب أبو عبدالله محمد بن مسعود الهَذَلِيُّ وابنُ مَسْعُودِ البَجَانِيِّ^٣ .

١٤ — والشيخُ أبو مَرْوَانَ بنُ حَيَّانَ ، وإمارةُ بني جَهْوَرٍ وخَلْعُهُمْ .

١٥ — <والفقيهُ القاضي أبو الوليد المعروفُ بابن القَرَظِيِّ>^٤ .

١ والوزير أبو الوليد ... زياد : سقط من ط ، وجاء في ب س بعد هذا قوله : « وقع ذكر هؤلاء في المسودة وسقط عند الانقضاء والنقل » ؛ قلت : وليس في نسخ الذخيرة الموجودة بين أيدينا تراجم هؤلاء .

٢ في النسخ : الطَّبائنة .

٣ ط : الجياني .

٤ ط : والأديب .

٥ زيادة لم ترد في النسخ ، لكن الترجمة ثابتة في موضعها من الكتاب ، اعتماداً على النسختين ب س ، ويبدو أن الترجمة مأخوذة عن « الجذوة » إما إضافة من ابن بسام أو من غيره .

- ١٦ — والوزير الكاتب أبو جعفر بن اللَّسائِي .
- ١٧ — والكاتب أبو عبد الله بن البِزْزَلِيَّاتِي .
- ١٨ — والكاتب أبو جَعْفَر بن عَبَّاس .
- ١٩ — والكاتب أبو حَقْص بن الشهيد .
- ٢٠ — والأديب أبو عبد الله بن الحداد، وإمارةُ بني صُمَادِحٍ وخَلْعُهُم .
- ٢١ — والأديب أبو محمد ابن مالك القُرْطُوبِي .
- ٢٢ — والشاعر المُنَفِّيلُ ، ومَقْتَلُ ابن نغيلة اليَهُودِي .
- ٢٣ — والأديب أبو المطرف عبد الرحمن بن فُتُوح الإسْفِيرِيَّاتِي .
- ٢٤ — والأديب أبو بكر بن ظِهار .
- ٢٥ — والأسعدُ بن إبراهيم بن بَلَيْطَةَ .
- ٢٦ — والأديبُ أبو عبد الله محمد بن عبادة بن القَرَاز .
- ٢٧ — والأديبُ أبو عبد الله محمد بن مالك الطَغَنَرِيُّ من أهلِ غَرْناطَة ؛ وجُمْلَةُ قصائدَ لِغَيْرِ واحدٍ في تَأْيِينِ ابنِ سِرَاج .
- ٢٨ — والوزير الكاتب أبو مَرْوَانَ بن شَمَاح .
- ٢٩ -- والقَتْبِيَّةُ أبو عُمَرَ أحمد بن عيسى الإلبيري .
- ٣٠ — والأديبُ العالمُ أبو محمد غانم .
- ٣١ -- والأديب أبو عبد الله بن السَّرَاج الملقب .
- ٣٢ — والأديب أبو القاسم المعروف بالسُّمَيْسِر .
- ٣٣ — والأديب أبو العَبَّاس أحمد بن قاسم المحدث .
- ٣٤ — والأديب أبو طالب عبد الجبار المعروف بالمتنبي من أهلِ جزيرة شُقْر .

١ زاد بعده في ط : والأديب أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة ، وهو المقتل .

والقسم الثاني : لأهل الجانب الغربي من الأندلس ، وذكر أهل حضرة
إشبيلية ، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وفيه من
الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء جملة موفورة وهي :

- ١ - القاضي أبو القاسم بن عباد .
- ٢ - والمعتضد بالله عباد ابنه .
- ٣ - والمعتد على الله محمد بن عباد وكيفية خلقه .
- ٤ - والوزير الفقيه أبو حفص الهوزني .
- ٥ - والقاضي أبو الوليد الباجي .
- ٦ - والوزير أبو عامر بن مسلمة .
- ٧ - والوزير أبو الوليد بن المعلم .
- ٨ - والأديب أبو الوليد الملقب بالحبيب .
- ٩ - والأديب أبو جعفر بن الأبار .
- ١٠ - والأديب أبو الحسن علي بن حصن .
- ١١ - والوزير الكاتب أبو عمرو الباجي .
- ١٢ - والفقيه الأديب أبو الحسن بن الإستنجي .
- ١٣ - وفصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة أدباء بعض
المعتضد .

- ١٤ - والوزير الفقيه أبو العلاء بن زهر .
- ١٥ - والوزير أبو عبيد البكري .
- ١٦ - والوزير الخطيب الأديب أبو عمر بن حجاج .
- ١٧ - وذو الوزارتين أبو بكر بن سليمان المعروف بابن القصيرة ،
وذكر تغلب ابن ذي النون على قرطبة وعودتها إلى المعتد .

- ١٨ - والوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجدة .
- ١٩ - والوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور وأبوه قبلته .
- ٢٠ - والوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية .
- ٢١ - وذو الوزارتين أبو بكر بن عمار ومقتله .
- ٢٢ - والوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي .
- ٢٣ - والوزير الفقيه أبو بكر بن الملح .
- ٢٤ - والأديب أبو محمد عبد الخليل بن وهب بن المرمي .
- ٢٥ - < والوزير الأديب أبو القاسم بن مرزقان > .
- ٢٦ - والوزير الكاتب أبو بكر بن عبد العزيز .
- ٢٧ - والوزير الكاتب أبو الحسين بن الجدة .
- ٢٨ - والأديب أبو الحسين غلام البكري .
- ٢٩ - والكاتب أبو الحسن صالح الشنتمري .
- ٣٠ - وأبو الحكم وأبو الوليد ابنا حزم .
- ٣١ - والأديب أبو بكر بن بقي .
- ٣٢ - والأديب أبو الحسن بن هارون الشنتمري ، وكتيفة إماره بني الأفطس ، والمتوكل على الله منهم .
- ٣٣ - والوزير الكاتب أبو عبد الله بن أيمن ، والخبر عن فتح مدينة سبسة ، والتعريف بأولية أميرها سقوت .
- ٣٤ - والوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون .
- ٣٥ - والأديب أبو جعفر أحمد بن هريرة الأعمى التطيلي .

١ زيادة لم ترد في النسخ ، اعتماداً على أن الترجمة وردت في هذا الموضع من الكتاب ، ووقع في طبعه ابن وهبون : « وأبو بكر الخولاني المنجم » .

- ٣٦ - والوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد المعروف بابن القبطورثه .
 ٣٧ - والوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان .
 ٣٨ - والوزير أبو زيد بن مقانا الأشبوني .
 ٣٩ - والشيخ أبو الحسن القرشي الأشبوني .
 ٤٠ - والأديب أبو عبد الله بن البين .
 ٤١ - وذو الوزارتين أبو محمد بن هود .
 ٤٢ - والشيخ الأديب أبو عمر بن فتح البطليومي .
 ٤٣ - والأديب أبو عمر بن كوثر الشنتريني .
 ٤٤ - والأديب أبو الوليد النحلي .
 ٤٥ - والوزير الكاتب أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني .
 ٤٦ - والأديب أبو محمد عبد الله بن سارة الشنتريني .

والقسم الثالث : ذكرت فيه أهل الجانب الشرقي من الأندلس ، ومن
 نجم من كواكب العصر في أفق ذلك الشجر الأعلى ، إلى منتهى كلمة
 الإسلام هنالك ، وفيه من القصص وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب^٢
 والشعراء طوائف منهم :

- ١ - مجاهد ومبارك ومظفر من فتان ابن أبي عامر .
 ٢ - والوزير الكاتب أبو عبد الرحمن بن طاهر ، وتغلب العدو على
 بكنسية ، وعود المسلمين إليها .
 ٣ - > وذو الوزارتين أبو عامر بن الفرج .

١ ص ب : سارة .

٢ ط : التفات .

- ٤ - وذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون .
- ٥ - وحسام الدولة أبو مروان بن رزين .
- ٦ - والوزير الكاتب أبو محمد بن عبد البر ، ومقتل إسماعيل بن المعتضد عباد ، وتغلب العدو على بربشتروفتحتها بعد .
- ٧ - والوزير الكاتب أبو عامر بن التاكرتي ، وإمارة عبد العزيز بن أبي عامر وابنه يلكنسية .
- ٨ - والوزير الكاتب أبو المطرف بن الدبّاغ .
- ٩ - والأديب أبو الربيع بن مهران السرقسطي ، وذكر ابن الكتاني المستطيب .
- ١٠ - والأديب الأستاذ أبو عبد الله بن خلصة الضرير .
- ١١ - والأديب أبو مروان بن غصن الحجاري .
- ١٢ - والأديب أبو عبد الله إدريس بن اليماني .
- ١٣ - والوزير الكاتب أبو الأصبغ بن أرقم .
- ١٤ - والوزير الكاتب أبو المطرف بن مثنى .
- ١٥ - والوزير الكاتب أبو عمر بن القلاص .
- ١٦ - والوزير الكاتب أبو عبد الله بن مسلم .
- ١٧ - والوزير الكاتب أبو جعفر بن جرج .
- ١٨ - والوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي .
- ١٩ - والأديب أبو الربيع القضاعي ، وجملة من أخبار هشام المعتد أمير قرطبة يومئذ ، ومقتل وزيره الحائك .

١ ط : وقتل .

- ٢٠ - والأديبُ أبو عامر البمّاريُّ .
- ٢١ - والأديبُ أبو إسحاقَ إبراهيمَ بنَ خنّاجة .
- ٢٢ - والأديبُ أبو حاتمَ الحجّاري .
- ٢٣ - والأديبُ أبو بكرٍ الدّانيُّ المعروفُ بابنِ اللَّبّانة .
- ٢٤ - والأديبُ أبو جعفر بن الدّودِينَ البكّتنسيُّ ، ورسالةُ ابنِ غرّسيّةِ الشّعوبيّةِ والرّدُّ عليه .
- ٢٥ - والكاتبُ أبو جعفر بن أحمد الدّانيُّ .
- ٢٦ - والوزيرُ الكاتبُ أبو الخطاب بن عطّيون الطّليطلي .
- ٢٧ - والوزيرُ الكاتبُ أبو عبدِ اللهِ بن أبي الحِصَال .
- ٢٨ - والأديبُ أبو بحر بن عبد الصّمد ، وذِكْرُ الشّيخِ الكاتبِ عبدِ الصّمدِ السّرقُسطيّ .
- ٢٩ - والأديبُ أبو تَمّامِ المُلقّبِ بالحجّامِ .
- ٣٠ - والأديبُ أبو إسحاق بن مُعلّي ، وخبَرُ وَقْعَةِ بَطْرَنَةِ .
- ٣١ - والأديبُ أبو عامر بن الأصيليِّ .
- ٣٢ - والأديبُ أبو الفضل جعفر بنُ محمد بن شَرَف .
- ٣٣ - وقِصْلُ يَشْتَمِلُ على طوائفٍ مُقِلّينَ من سُكّانِ ذلكَ الجَنابِ الشرقيِّ .

والقسم الرابع : أفردته لِمَن طرأ على هذه الجزيرة في المُدّة المؤرّخة من أديبٍ شاعر ، وأوى ١ إلى ظلّها من كاتبٍ ماهِر ، واتّسعَ فيها مجاله ، وحفِظَت في مُلوّكها أقواله ؛ ووَصَلَتُ بهم ذِكرُ طائفة من مشهورِي أهلِ

تلك الآفاق ، مِمَّنْ نجمَ في عصرنا بأفريقيَّةَ والشَّامِ والعِراقِ ، فيشتمِلُ
منهم على جُملةٍ ، وَهَمُّ :

١ - أبو العلاء صاعِدُ اللُّغوي ، وتلخيصُ التعريفِ بدولةِ ابن
أبي عامر ، من المَبْدَأِ ١ إلى الآخر .

٢ - وأبو الفضل بن عبد الواحد البَغْدادي .

٣ - سليمان بن محمد الصَّقْلِي .

٤ - وأبو الفتوح الجُرْجاني .

٥ - والأديب عبدُ العزيز السُّوسيُّ ، ولُمِعَ من دولة ابن ذي النون
ومالِ حَقِيدِهِ ، وأخذ طُلَيْطَلَةَ من يَدَيْهِ ، ودَوَّرَانِ دائرةَ السوءِ
بها عليه ؛ مع ما اندرَجَ ٢ في ذلك من خَبَرٍ ، والتفَّ به من قبيح أثر .

٦ - وأخبارُ أبي عبدِ الله بن شَرَفٍ ، وغررُ أشعارِهِ ، وذِكْرُ خَرَابِ
بَلَدِهِ القَيْرَوَانِ .

٧ - وأخبارُ ابنِ السَّقاءِ مُدَبِّرِ المَلِكِ الجَهَوْرِيِّ بِقُرْطُبَةِ وَمَقْتُلِهِ .

٨ - وأبو الحَسَنِ المَكفُوفُ الحُصْرِيُّ ، وذِكْرُ تَغْلِبِ ابنِ هُوْدِ
المُقْتَدِرِ على دَانِيَةِ .

٩ - وأخبارُ عبدِ الكَرِيمِ بنِ فَضَّالٍ ٣ الحُلُوَانِي .

١٠ - وأبو العَرَبِ الصَّقْلِي .

١١ - وأبو عبدِ الله بن الصَّبَّاحِ الصَّقْلِي .

١٢ - وأبو محمد بن حَمْدِ بْنِ الصَّقْلِي .

١ ط : الأول .

٢ ط : ادرج .

٣ ط : وأبو الحسن بن فضل .

- ١٣ - والحكيم أبو محمد المصري .
- ١٤ - وأبو محمد بن الطلاء المهدوي .
- ١٥ - وأبو بكر بن الحسن المرادي .
- ١٦ - والفكيك البغدادى .
- ١٧ - وأبو زكرياء يحيى الزيتوني .
- ١٨ - وأبو بكر بن العطار اليابسي .
- ١٩ - وابن القابلية السبتي .
- ذكر من كان منهم بالشرق :
- ٢٠ - الرضي الشريف^١ .
- ٢١ - أبو القاسم المغربي^٢ .
- ٢٢ - عبد الوهاب المالكي .
- ٢٣ - أبو عبدالله ابن قاضي ميلة
- ٢٤ - أبو الحسن التهامي .
- ٢٥ - مهنار الديلمي .
- ٢٦ - أبو منصور الثعالبي .
- ٢٧ - أبو إسحاق الحصري .
- ٢٨ - أبو علي بن رشتي ، وذكر انحرافه عن القيروان .
- ٢٩ - أبو الفتيان العسقلاني .
- ٣٠ - القاضي أبو محمد بن نعمة .
- ٣١ - جلال الدولة ابن عمّار .

١ ط : والشريف المرتضى .

٢ ط : ابن المغربي .

٣٢ - المُجِيدُ بنُ الشَّخْبَاءِ^١ العَسْقَلَانِي .

وإنما ذكرتُ هؤلاء اثنيَ ساءَ بأبي منصور، في تأليفه المشهور . المترجم .
ب « يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ، في محاسنِ أهلِ العصر » .

وَتَحَرَّيْتُ فِي الْجُمْلَةِ حُرَّ النِّظَامِ ، وَتَخَيَّرْتُ جَيِّدَ الْكَلَامِ ، وَجَرَّدْتُ
جُمْلَةَ الْقُصُولِ وَالْأَقْسَامِ . وَإِذَا مَرَّ مَعْنَى غَرِيبٌ وَتَعَلَّقَ بِهِ خَيْرٌ مَشْهُورٌ ،
وَأَمَكَّنِي فِيهِ شِعْرٌ كَثِيرٌ ، مَدَدْتُ أَطْنَابَهُ ، وَوَصَلْتُ أَسْبَابَهُ ؛ وَقَدْ أَذْكَرُ
الشَّاعِرَ الْخَامِلَ ، وَأَنْشِدُ الشَّعْرَ النَّازِلَ ، لِأَرْبٍ^٢ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، أَوْ لِيَخَيِّرَ
أَذْكَرُهُ بِسَبَبِهِ ؛ وَقَدْ أَذْكَرُ الرَّجُلَ لِنِبَاهَةٍ ذِكْرُهُ ، لَا لِيَجُودَةَ
شِعْرِهِ ؛ وَأَقْدَمُ الْآخِرَ لِاشْتِهَارِ إِحْسَانِهِ ، مَعَ تَأَخُّرِ زَمَانِهِ .

وبدأتُ بذكرِ الْكُتَّابِ ، إِذْ هُمْ صُدُورٌ فِي أَهْلِ الْآدَابِ ، إِلَّا أَنْ
يَكُونَ < مَنْ > لَهُ حِظٌّ مِنَ الرِّيَاسَةِ ، أَوْ يَدْعَوُ إِلَى تَقْدِيمِهِ بَعْضُ السِّيَاسَةِ ؛
فَأَوَّلُ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ مُلُوكِ قُرَيْشٍ فِي الْمَدَّةِ
الْمُؤَرَّخَةِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ ثُمَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِسُلْطَانِهِمْ ، أَوْ دَخَلَ فِي
شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِمْ ؛ وَتَلَوْتُهُمْ بِالْكِتَابِ وَالْوِزَارَةِ ، ثُمَّ بِأَعْيَانِ الشُّعْرَاءِ ،
ثُمَّ بِطَوَائِفِ مِنَ الْمُفْلِحِينَ مِنْهُمْ . وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ فِي كُلِّ قِسْمٍ : بَدَأْتُ بِالْمُلُوكِ ،
ثُمَّ أَسْتَمِرُّ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ^٣ مِنَ التَّرْتِيبِ ، وَأَنْتَظِمُ عَلَى مَا شَرَحْتُ مِنْ
التَّبْيُوتِ ، وَعَلَى اللَّهِ أَتَوَكَّلُ ، وَهُوَ حَسْبِي فِيمَا أَقُولُ وَأَفْعَلُ ، لَا إِلَهَ سِوَاهُ .

١ ط : وابن أبي الشخباء .

٢ ط : لأدب .

٣ ط : وصفت .

ذِكْرُ الكُتَّابِ والوزراء ، وأعيانِ الادباءِ والشعراء ، محضرة قرطبة
وما يُصَاقِبُهَا من بلادِ موسطة الأندلس ، وتَسْمِيَةُ من نشأ من
فرسانِ هذا الشأن ، من آخرِ دولةِ بني عامرٍ إلى وقتنا ،
وليرادُ ما انتخبتهُ من نظمهم وثرهم ، مع ما يتعلق
من فنونِ المعارفِ المفيدةِ بذكرهم

قال أبو الحسن بن بسّام رحمه الله :

وحضرة قرطبة ، منذُ اسْتُفْشِحَتِ الجزيرة ، هي كانت منتهى الغاية ،
ومرکزَ الرّأية ، وأمَّ القرى ، وقرارة أهلِ الفضلِ والنقى ، ووطنَ أولي
العِلْمِ والنّهى ، وقلبَ الإقليم ، ونبوعَ مُتَفَجِّرِ العُلوم ، وقُبَّةِ الإسلام ،
وحضرة الإمام ، ودارَ صَوْبِ العُقُول ، وبستانِ ثَمَرَةِ الخواطر ، وبحرَ
دُرَرِ القرائح ؛ ومن أفقِها طلعتْ نجومُ الأرضِ وأعلامُ العَصْرِ ، وفرسانِ
النّظمِ والنثر ؛ وبها انتشأتِ التّأليفاتُ الرَّائقة ، وصُنِفَتِ التّصنيفاتُ
الفائقة ؛ والسببُ في ذلك ، وتبريزِ القومِ قديماً وحديثاً هنالك على من
سواهم ، أنْ أفقُهم القُرْطُبيّ لم يشتمِلِ قطّ إلا على أهلِ البحثِ والطلبِ ،
لأنواعِ العِلْمِ والأدبِ . وبالجُملة فأكثرُ أهلِ بلادِ هذا الأفقِ أشرافُ
عَرَبِ المشرقِ افتتحوها ، وساداتِ أجنادِ الشامِ والعراقِ نزلوها ؛ فبقيَ
النّسلُ فيها بكلِّ إقليم ، على عِرْقٍ كَرِيمٍ ، فلا يكادُ بلدٌ منها يخلو من
كاتبٍ ماهر ، وشاعرٍ قاهر ؛ إنْ مدحَ ما كثيرٌ عنده بكثيرٍ ، وإنْ هجَا

أَجْرَ لِسَانٍ^١ جرير ، وعدا عَدِيًّا عن مدح ذويه ، وأنسى جَرَّ وَلَا العواء في
أَثَرِ قَوَافِيهِ^٢ وإن تَغَزَّلَ أربى على الساحراتِ فُتُونًا ، وأزرى بالغانياتِ
مُجُونًا .

وقد وعدتُ في صدرِ هذا الكتابِ بأنْ أختلَّ أشعارَ الشعراء ، ورسائلَ
الكتَّابِ والوزراء^٣ ، بما عسى أن يتعلَّقَ بأذيالها ، ويُسَيرَ أفياءَ ظلالِها
من أنباءِ فِتْنٍ ذلكَ الزمانِ البعيدِ — كان — طَلَقُها ، المُفَرَّقِ لِشَمْلِ
الأمرِ في هذه الجزيرةِ نَسَقُها . ونُلَمَّعُ بِنَبَدٍ من مشهورٍ وقائِعِها ، ونُشِيرُ
بأَسْمَاءِ طوائِفِ توابِعِها وزوابعِها ، الذين استَظْهَرُوا على شَهَوَاتِهِمْ بِجَرِّ
ذُبُولِها ، وامْتَرَوْا بطلالَتِهم من أخلافِ أباطيلِها ، حتى شَقُّوا عصاها .
وأدارُوا بدائرةِ السَّوَمِ على الجماعةِ رحاها ؛ ليجمَعَ هذا المجموعُ بين الشعرِ
والخبرِ ، جمعِ الروضةِ بين الماءِ والزهرِ ، والزمانِ بين الأصائلِ^٤ والبكرِ ؛
فإنِّي رأيتُ أكثرَ ما ذَكَرَ الثَّعالِبيُّ^٥ من ذلكَ في « يَتِيْمَتِهِ » مَحَذُوفاً من أخبارِ
قائلِهِ ، مَبْتُوراً من الأسبابِ التي وُصِلَتْ بِهِ وَقِيلَتْ فِيهِ ؛ فَأَمَلَّ قَارِئُ
كِتَابِهِ مَنَاحَهُ ، وأَحْوَجَهُ إِلَى طَلَبِ ما أَغْفَلَهُ^٥ من ذلكَ في سِوَاهِ .

وسينخرطُ في سِلْكِ ما أَوْشَحُ بِهِ هذا التَّصْنِيفُ ، مِن تَلْخِصِ التَّعْرِيفِ
بأَخْبَارِ ملوكِ الجزيرةِ ، ومُردِّ قِصَصِهِم المأثُورَةِ ، ووقائِعِهِم المَبِيرَةِ .

١ أجرة اللسان : حبسه عن الحركة .

٢ فيه إشارة إلى قول الخطيب وقد سئل عن أشعر الناس « فحبك والله بي إذا رفعت
أحصى رجلي على الأخرى ثم عويت عواء الفصيل في أثر القوافي » (الشعر والشعراء : ٢٤٢-
٢٤٣) .

٣ والوزراء : سقطت من ط .

٤ ط : الأصائل .

٥ ط : أغفل .

المشهورة ، لابن حيّان ، فصولٌ من غرائبهِ ، وجُمْلٌ وتفصيلٌ من عجائبيهِ ؛ لأنّني إذا وجدتُ من كلامهِ فصلاً قد أحكّمهُ ، أو خبراً قد سردهُ ونظّمهُ ، عَوَّلْتُ على ما وَصَفَ ، وولّيتُهُ خُطّة ما سَطَرَ وَصَفَ ، إقراراً بالفَرَق ، وإعفاءً لنفسي من مُعارضةٍ من أحرَزَ بأفقينا في وقته قَصَبَاتِ السَّبْق ، [وبرَزَ في زمانه على جميع الخلق] . وأكثرُ ما يَمُرُّ في هذا الكتاب ، من هذا الباب ، فعلى تأريخهِ الكبيرِ عَوَّلْتُ ، ومن خُطّة يده أكثرُ ما نَقَلْتُ ؛ وتَحَرَّيْتُ جَهْدِي اقْتِضَابَ ما طَوَّلَ ، وتحْقِيفَ ما ثَقُلَ ، وإجمالَ ما شَرَحَ وفَصَّلَ ؛ على أنّه لم يَخْلُصْ إليّ من غمامه إلّا قَطْرَةٌ ، ولا حَصَلَتْ في يدي من حسامه إلّا إِبْرَةٌ ؛ ولذلك ما ارتَشَفْتُ ثَمَادي ، ونَقَحْتُ فيما لم أُجِدْ من كلامهِ رَمَادي ، وأنْفَقْتُ في ذلك من تافهِ زادي ؛ وابتدأتُ بمن كان في ذلك الأوان ، من مُلوكِ بني مروان ، من أهلِ هذا الشان ، وارْتَسَمَ بهذا الفنّ الذي تَصَدَّيْتُ لإقامةِ أودِهِ في هذا الديوان .

* * *

فصل في ذكر المستعين بالله أبي أيوب سليمان بن الحكم والأخذ
 بطرف مستطرف من أخباره وأشعاره ، والسبب الموجب
 لقيامه ، وما حدث من نادر مستغرب في أيامه ^١ .
 [ونَقَلْتُ بعضه من لفظ الشيخ المذكورِ بِنَحْوِهِ ،
 وأُتِيتُ من الحديث بِفَصَّةٍ ، واعتمدتُ الإيجارَ ،
 وأتَقَنْتُ الصّدُورَ والاعجازَ] .

هو سليمانُ بنُ الحَكَمِ بنِ سليمانَ بن عبد الرحمن الناصر لدينِ الله بن

١ انظر أخبار المستعين في الجلاء: ١٩ والحلة السيرة: ٥ - ١٢ وابن عذاري ٣ : ٩١ ،
 ١١٣ وأعمال الاعلام : ١١٤ والمعجب : ٩٠ وابن خلدون ٤ : ١٥١ والنفع ١ : ٤٢٨
 وبيروفسال ٢ : ٣٠٤ وما بعدها ، و Spanish Islam لدوزي : ٥٤٧ - ٥٦١ .

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي . بويغ بِقُرْطُبَةَ مُنْتَصَفَ ربيع الأول سنة أربعمائة بعد وقعة كانت له على أميرها قبله محمد < بن هشام > بن عبد الجبار الملقب بالمهدي القائم على الدولة العامرية ؛ ثم خلعه المهدي بوقعة كانت له عليه ، ثم عاد إليها سليمان ثانية في خبرٍ طويل ، فملك سليمان قُرْطُبَةَ في دولتيه ست سنين وعشرة أشهر ، وكانت كلها - كما وصف ابن حيان ١ - شِداداً نكيدات ٢ ، صعباً مشؤمات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة ؛ لم يُعدم فيها حيف ، ولا فُورق فيها خوف ؛ ولا تَمَّ سرور ، ولا فُقد محذور ؛ مع تَغْيِير ٣ السيرة ، وخرق الهيبية ، واشتعال الفتنة ، واعتلاء المعصية ٤ ، وظعن الأمن ، وحلول المخافة : دولة كفاها ذماً أن أنشأها شائعته ، فقشعها أرمقند ٥ ، وثبتت الجلالقة ، ومزقتها الإفرنجية ؛ ودبرها فاجر شقي ، ووَزَرَ لها خبَ ذني ٦ ؛ فتمخضت عن الفاقة الكبرى ، وآلت بمن ٧ أتى بعدها إلى ما كان أعْضَلَ وأدهى ، مما طوى بساط الدنيا ، وعَفَى رَسْمَهَا ، وأهلك أهلها .

١ نقل ابن عذاري هذا الوصف في البيان المغرب ٣ : ١١٨ .

٢ ط : نكرات .

٣ ط : تغيير .

٤ ط : المعصية .

٥ شائجة غرسية (Sancho Garcia) صاحب قشتالة ؛ وارمقند Ermengaud أو

Armengol أخو ريمند بوريث الثالث صاحب برشلونه ، وقد كان لكل منهما دور في

الفتنة ؛ راجع الجزء الثاني من تاريخ اسبانيا الإسلامية لبروفنسال (صفحات متفرقة) .

٦ س ب : جري .

٧ ط : وآلت من التي .

ولما تَمَّتْ بَيْعَتُهُ نَفَذَتْ عَنْهُ كِتَابٌ إِلَى نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ بِخَبَرِ فَتْحِهِ
 قَرْطَبَةَ ، وَكَانَتْ مُوشِحَةً بِمَا تَوَشَّحَ بِهِ كِتَابُ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَهْلِ
 دَارِ الْحَرْبِ ، مِنْ وَصْفِ حَالِ الْقَهْرِ ، وَشِدَّةِ السَّطْوَةِ وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى
 الْفَتْكِ وَالْإِسْتِبَاحَةِ ؛ فَأَقْرَطَ فِي ذَلِكَ إِرْهَابًا لِلنَّاسِ بِدِكْرِهِ ، وَتَخْوِيفًا لَهُمْ
 مِنْ مِثْلِهِ ؛ فَكَانَ أَجْلَسَ لِنَفَارِ الْقُلُوبِ ، وَقَرَفَ النُّدُوبِ ^١ ، وَبَعَثَ
 الشُّرُودَ ، وَنَبَشَ الْحُقُودَ ، لِيَمَّا وَتَرَ جَمِيعَهُمْ بِالْحَادِثَةِ فِي قَرْطَبَتِهِمْ ؛
 فَاسْتَشَعَرُوا بَغْضَهُ ، وَانْقَادُوا لِكُلِّ مَنْ عَانَدَهُ وَرَدَّ أَمْرَهُ ، مِنْ عِبْدٍ
 أَوْ حُرٍّ ، فَزَعَا إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَيَأْسًا مِنْ خَيْرٍ يَجِيشُهُمْ مِنْ بَرَابَرَتِهِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ
 سَبَبًا فِي تَفْرِيقِ الْبِلَادِ وَتَمَلُّكِ أَصْحَابِ الطَّوَائِفِ .

قال ابن حَيَّانَ : وَتَسَمَّى لَوْقَتِهِ مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ،
 وَانْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ بِجُمْلَةٍ جَيْشِهِ ، رَجَاءً أَنْ يَحْسِمَ عَنْ أَهْلِ
 قَرْطَبَةَ مَعَرَّتِهِمْ ، فَصَاقَتِ الزَّهْرَاءُ عَنْهُمْ ، فَتَزَلُّوا بِمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ
 النَّاسِ ، وَنَزَلَ ابْنُ حَمُودٍ : عَلِيٌّ وَالْقَاسِمُ ، قَائِلًا فَرَقَةَ الْمَغَارِبَةِ ، بِشَقْنَدَةِ ^٢ ؛
 وَامْتَحَنَ هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ مَعَ سُلَيْمَانَ عِنْدَ دُخُولِهِ الْقَصْرَ ؛ فَقِيلَ لَهُ قُضِيَ
 عَلَيْهِ ، وَقِيلَ لَهُ فَرَّ مِنْ يَدَيْهِ . وَكَانَ هِشَامٌ — عِنْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ اضْطِرَابِ
 أَمْرِهِ ، وَتَبَيُّقَتِهِ مِنْ انْصِرَامِ دَوْلَتِهِ ، بِمَا مُنِيَ بِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . مِنْ تَمَالُّؤِ
 بَنِي عَمَتِهِ آلِ النَّاصِرِ عَلَيْهِ ، وَقِيَامِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فِي خُلْعِهِ — صَبَرَ
 إِلَى عَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ وَلَايَةَ عَهْدِهِ . وَأَوْصَى إِلَيْهِ بِالْخُلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

١ قَرَفَ النُّدُوبِ : قَشَرَهَا بَعْدَ أَنْ تَبَيَّسَ ، وَالنُّدُوبُ : الْحُرُوحُ ؛ وَفِي هَامِشِ ط : أَظَنَّهُ
 النُّدُوبَ ، وَهُوَ هَمٌّ .

٢ شَقْنَدَةُ (Secunda) أَحَدُ أَرْبَاعِ قَرْطَبَةِ (انْظُرِ الرُّوضُ الْمَطَارُ ١٢٧٠ مِنْ التَّرَحُّمَةِ
 الْفَرَنْسِيَّةِ وَمَادَّةُ شَقْنَدَةِ فِي الْمَوْسُوعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) .

وراسله بذلك إلى سبئته ، أيامَ تَرَدُّدِهِ عليها ^١ ، بِمَعْنَى الاستِعداد ، وجميعه طوائف البرابرة للجهاد ؛ وولاهُ طلبَ ذِحلِّه ^٢ ، واستكنمه السَّريَّ فيه إلى أوانه ، وبلوغِ زمانه ؛ هائجاً للحفاظِ القُرَشِيَّة ، ومُحرِّكاً للطوائفِ الطالبيَّة ؛ فرماهم يومئذٍ من عليٍّ هذا بثلاثةِ الأثافي ، طَوَى كَشْحَهُ منها على مُسْتَكِنَةٍ أَرَجَّأَهَا لوقتِها .

ومن الاتفاقِ ^٣ الغريبِ على سليمانَ أنه لما استوسق له الأمرُ بعد فراغِهِ من خَبَرِ هشامِ المؤيَّد ، أنفَذَ عَزَمَهُ من بين قُوَادِ جيوشِهِ في اختيارِ عليٍّ بنِ حمُودِ المذكورِ ، فَقَدَّمَهُ على مدينةِ سبئته ، رَأْيَا ذَهَلٍ عنه ، وَتَبَذَّهَا إلى ضِدِّ له مُكاشِيحٍ شريكٍ في الدَّعْوَى والقِراةِ ؛ فَتَلَقَّيْهَا عليٌّ تَلَقُّفَ الأكياسِ المُقْبِلِينَ ، وَدَبَّ لِمَغْبُوثِهِ سليمانَ من قِبَلِهَا الضَّرَاءَ دَبِيبَ الحَنَقِ المَوْتُورِ ، حتى هجمَ عليه وسلبه مُلْكَهُ ، وَحوَّلَ دولته ، وَمَرَّقَ عِثْرَتَهُ ^٤ ؛ وكانت غلظةِ سامانِ التي لم يَسْتَقِلْهَا هوَ ولا مَنْ بَعْدَهُ ؛ وإذا أرادَ اللهُ شيئاً أمضاهُ .

قال أبو الحسن بن بسامٍ : وَكَرَّرْتُ مَا اتَّفَقَ فِي هَذَا الْخَبَرِ ، ؛ مَا حَكَاهُ الرُّوَاةُ فِي حُلُولِ الْفَاقِرِ دِرْ أَيْضاً بِأَكْوَكْلِ جَعْفَرٍ ؛ قالوا : لما عزم

١ كان تملك علي بن حمود لسبئة عقب شهر شوال سنة ٤٠٠ ؛ إذ انتزى فيها باسم المستعين (البيان المغرب ٣ : ٩٦) .

٢ ط : دمه .

٣ نقل ابن عذاري هذا النص ٣ : ١١٤ .

٤ البيان : عثيرته .

٥ انظر هذا الخبر في مروج الذهب ٧ : ٢٦٢ وما بعدها ، وفي نقل ابن بسام تصرف .

بُعَا الصَّغِيرُ عَلَى قَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ جَعْفَرٍ^١ بِتَدْبِيرِ ابْنِهِ الْمُتَنَصِّرِ ، دَعَا بِأَغْرٍ ،
 وَهُوَ غَلَامٌ تُرْكِي ، بَعْدَ أَنْ اصْطَنَعَهُ بِالصَّلَاتِ^٢ ، وَكَانَ مِقْدَاماً أَمْوَجَ ،
 فَقَالَ لَهُ : يَا بَاغِرُ ، أَنْتَ تَعْلَمُ تَقْدِيمِي لَكَ ، وَأَنْتِي قَدْ صَرْتُ عِنْدَكَ فِي
 مَنَازِلَةِ مَنْ لَا يُعْصِي لَهُ أَمْرٌ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَمُرَكَ بِشَيْءٍ ، فَعَرَفْتَنِي كَيْفَ
 إِقْدَامِكَ عَلَيَّ ، قَالَ^٣ : قُلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّي فَاعِلُهُ ، فَقَالَ : إِنَّ ابْنِي قَدْ
 فَسَدَ عَلَيَّ ، وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ يُجَاوِلُ سَفْكَ دَمِي ، وَأُرِيدُ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ
 غَدًا أَنْ أَضَعَ الْقَلَنْسُوَّةَ^٤ مِنْ رَأْسِي فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا أَنَا وَضَعْتُهَا فَاقْتُلْنِي ،
 قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُهُ عَلَيْهِ لَمْ يَضَعْ الْقَلَنْسُوَّةَ مِنْ رَأْسِهِ^٥ ، وَظَنَّ
 أَنَّهُ نَسِيَ ، فَغَمَزَهُ بِحَاجِبِهِ ، فَلَمْ يَرَ الْعَلَامَةَ ، وَانْصَرَفَ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ :
 إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَنَّهُ وَلَدٌ وَحَدَّثْتُ^٦ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَصْلِحَهُ . فَقَالَ لَهُ بَاغِرُ :
 فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ . ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْهُ مُدْبِدَةً وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَخِي قَدْ
 فَسَدَ عَلَيَّ ، وَهُوَ عَزِمَ عَلَى أَنْ يَقْتُلَنِي وَيَنْفَرِدَ مَكَانِي^٨ ، وَأُحِبُّ أَنْ
 تُبَادِرَ غَدًا إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَتَقْتُلْنِي ، قَالَ : نَعَمْ ، وَجَعَلَ لَهُ عِلَامَةً ، فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَرَ الْعَلَامَةَ . وَوَقَفَ حَتَّى خَرَجَ أَخُوهُ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَاغِرُ ،
 هُوَ أَخِي وَعَسَى أَنْ أَسْتَصْلِحَهُ^٩ ، وَهَهُنَا أَمْرُ هُوَ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ

١ ط : على قتله

٢ ط : بالاحسان .

٣ ط : فقال .

٤ ط : القلنوسة .

٥ من رأسه : سقطت من ط .

٦ ط : فقال له : يا باغر .

٧ ط : انه حدث وولد ؛ وفي المروج : إنه حدث وانه ولدي .

٨ ط : بمكاني .

٩ ط : ولعلني استصلحه .

هذا كله . قال له باغِر : مَنْ هو ؟ قال : المُتَصَرِّع ، قد صَحَّ عِنْدِي أَنَّهُ عَلَى الْإِيْقَاعِ بِي وَقَتْلِي ، وَأُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَكَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَتَكَرَّرَ باغِرٌ سَاعَةً وَنَكَسَ رَأْسَهُ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : هَذَا أَمْرٌ لَا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ . قال : وَلَمْ ؟ قال : لَا نَقْتُلُ^١ الْإِبْنَ وَالْأَبَ بَاقٍ ، إِذْ لَا يَسْتَوِي لَكُمْ شَيْءٌ وَبِقَتْلِكُمْ أَبُوهُ كُلَّكُمْ . قال : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قال : نَبْدَأُ بِالْأَبِ وَيَكُونُ أَمْرُ الصَّبِيِّ أَيْسَرَ ؛ قال : وَتَفْعَلُ هَذَا وَيَحْكُ ؟ ! قال : نَعَمْ ، أَفْعَلُهُ وَأَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَى قَتْلِهِ ، وَادْخُلْ أَنْتَ فِي اثَرِي ، فَإِنْ قَتَلْتُهُ وَإِلَّا فَاقْتُلْنِي أَنْتَ ، وَضَعْ سَيْفَكَ عَلَيَّ وَقُلْ : أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ مَوْلَاهُ . فَعَلِمَ بَغَا حَيْثُذَ أَنَّهُ قَاتَلَهُ ، فَتَمَكَّنَ لَهُ التَّدْبِيرُ عَلَى الْمُتَوَكَّلِ .

وحدثَ البَحْثِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ^٢ : كُنَّا عِنْدَ الْمُتَوَكَّلِ مَعَ النُّدَمَاءِ ، فَتَذَكَّرْنَا أَمْرَ السَّيْفِ ؛ فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَعَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَيْفٌ مِنَ الْهِنْدِ لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ . فَأَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ بِالْكِتَابِ فِيهِ إِلَى عَامِلِ الْبَصْرَةِ ؛ فَاتَّفَقَ أَنْ اشْتَرِيَ بَعْشَرَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ؛ فَسَرَّ الْمُتَوَكَّلُ بِجَوْدَتِهِ ، وَانْتَضَى^٣ فَاسْتَحْسَنَهُ الْمُتَوَكَّلُ وَقَالَ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ : اطْلُبْ لِي غَلَامًا نَشِيقُ بِنَجْدَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، أَدْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا السَّيْفَ لِيَكُونَ وَاقِفًا بِهِ عَلَى رَأْسِي كُلِّ يَوْمٍ مَا دُمْتُ جَالِسًا ؛ قَالَ : فَلَمْ يَسْتَسْتِمِ الْمُتَوَكَّلُ الْكَلَامَ ؛ حَتَّى دَخَلَ باغِرُ التُّرْكِيُّ الْمَذْكُورُ ، فَدَعَا بِهِ الْمُتَوَكَّلَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ السَّيْفَ ، وَأَمَرَهُ بِمَا أَرَادَ وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يَزَادَ فِي مَرَاتِبِهِ . قَالَ

١ ط : يَقْتُلُ .

٢ النُّقْلُ مُسْتَمَرٌّ عَنْ مَرْوَجِ الْهَنْدِ ٧ : ٢٦٧ .

٣ ط : وَسِيقَ وَانْتَضَى .

٤ ط : الْحَدِيثُ .

البحري : فوالله ما انتضي ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذي دُفِعَ إليه إلا في الليلة التي ضربته فيها باغراً بذلك السيف^١.

رجع الحديث :

قال ابن حبان : فلما كانت سنة^٢ خمس وأربعمائة ظلم النبأ على سليمان أن مجاهداً العامري أقام عليه خليفة رجلاً يعرف بالفقيه المصنعي ، فاستعظم ذلك إلى أن بلغه نجوم علي بن حمّود الفاطمي بسبته ، فسقط في يديه ، وتفرقت الطباء عليه^٣ ؛ وكان على أجل من الحرش^٤ ، وأخذ في استدفاع ذلك جهده ، فلم يَغْنِه شيئاً ، وجاءه علي في جموعه بعد أن اجتمع بالريّة مع خيرّان صاحب المريّة وغيره من الفتيان ؛ فخرج إليهم سليمان واقتتلوا ، فانهزم سليمان وقبض عليه وعلى أخيه وأبيه وسبقوا أسارى إلى علي بن حمّود . ودخل القصر وخيرّان يطمّع^٥ أن يجد هشاماً المؤيد حياً ، فلم يوجد ، وذكر أنه قُتِلَ وعرض عليه قبره . فأمر علي بنبشيه ، فأخرج الشخص ، وشهد أنه هشام ، وسليمان يتبرأ من دمه ، وما كان في جسده شيء من أثر السلاح ، فتوهم فيه الخنق ، وأمر علي بتجهيزه إلى أهله ، وأنذر طبقات الناس للصلاة

١ ط : منذ دفعه إلى باغر فيها بذلك السيف .

٢ ط : كان .

٣ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

تكاثرن الطبلاء على خراش فما يسدي خراش ما يصيد

٤ من المثل : « هذا أجل من الحرش » انظر فصل المقال : ٤٧١ ، يضرب لمن كان يخشى

شيئاً ثم وقع فيما هو أشد منه .

٥ ط : خيرّان وطمع .

عليه ؛ فدُفِنَ لِزَيْقٍ^١ أَبِيهِ الْحَكَمَ . ثُمَّ^٢ دَعَا عَلِيٌّ بِسُلَيْمَانَ وَذَوِيهِ فَضْرَبَ عَنْقَهُ^٣ بِيَدِهِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ جَزَعٌ شَدِيدٌ عِنْدَ مَلاحِظَتِهِ السَّيْفَ ، خَارَتْ مِنْهُ قُوَاهُ ، فَجَثَا^٤ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ ضَرَبَتْ عَنْقُ الشَّيْخِ أَبِيهِ وَعَنْقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِهِ ، وَجُمِعَتِ الرَّؤُوسُ الثَّلَاثَةُ فِي طَسْتٍ ، وَأُخْرِجَتْ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الْمَحَلَّةِ يُنَادِي عَلَيْهَا : هَذَا جِزَاءُ مَنْ قَتَلَ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ . ثُمَّ رُدَّتِ الرَّؤُوسُ الثَّلَاثَةُ وَنُظِفَتْ وَطُيِّبَتْ ؛ وَقَدْ كَانَتْ حُمَعٌ رُؤُوسُ رُؤُوسَاءَ مِنَ الْبَرَابِرَةِ الْمُقْتُولِينَ فِي الْوَقْعَةِ فِي قُفَّةٍ . وَجُعِلَ أَسُؤُ أَحْمَدُ ابْنُ الدُّبِّ فِي أَعْلَاهَا ، وَعُلِقَتْ فِي آذَانِهِمْ رِقَاعٌ بِأَسْمَائِهِمْ . وَكَانَتْ فِي الْمَحَلَّةِ تُحْمَلُ^٥ مِنْ مَضْرِبٍ قَائِدٍ إِلَى مَضْرِبٍ سِوَاهُ . وَخَدَّجَتِ النَّاسُ مِنْ اجْتِمَاعِ رُؤُوسٍ مِّنْ ضَاقتْ أَرْضُ الْأَنْدَلُسِ بِرُؤُوسِهِمْ وَشَمِلَهَا شَرُّهَا وَأَذَاهَا طُرّاً فِي قُفَّةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ .

وَحُكِيَ أَنَّ وَالِدَ سُلَيْمَانَ حِينَ عَاينَ قَتْلَ ابْنَيْهِ بِإِيدِهِ قَاتَلَ لَهُ عَلِيٌّ : أَهْكَذَا يَا شَيْخُ قَتَلْتُمْ هِشَامًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُمَا لِحَيٍّ يُرْزَقُ ! فَحَيْثُ عَجَّلَ عَلِيٌّ بِقَتْلِ الشَّيْخِ ؛ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا لَمْ يَتَشَبَثْ^٦ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ ابْنِهِ .

١ ط : لزق .

٢ انظر النص في البيان المغرب ٣ : ١٠٠ .

٣ ط : معه ... وجثا .

٤ ط : كان .

٥ ط : تحمل في المحلة .

٦ بعدها في س ب : « ومشورة » والمله « مشورة » أي موضع الشورى ، وهو القصر .

٧ البيان : يتلبس .

وكان هشامٌ يقولُ برموزِ الملاحمِ وَكُتِبَ الحِذَانِ ، وخامرَ نَفْسَهُ من ذكرِ قائمٍ بِسَبْتِهِ ، أَوَّلُ اسْمِهِ عَيْنٌ ، ما لا شيءَ يُزِيلُهُ ، ولم يزلْ مُرْتَقِباً لظهوره ؛ فلذلك ما كاتبَ عليَّ بنَ حمودَ لِرَفْعِ بَيْتِهِ ، وَبَعْدِ صَيْتِهِ ؛ فكان منه في أخذه بثأره بَعْدَ موته ما كان . فإن كان كذلك ، فهشامٌ — على مشهورِ عَجْزِهِ — أَحَدُ كائدي الأعداءِ بغيره من منكوبي الملوكِ بما لا شيءَ فَوْقَهُ ، فما أدركَ فيه بعدَ هلاكِهِ بَوْتَرِهِ وَاسْتِقَادَ بَدَمِهِ وسطاً بَعَلُوهُ ؛ انتهى ما لَخِصْنَهُ من خَبَرِهِ مَعَ ابنِ حمود .

فصل : قال ابن حَيَّان : وأما حربه مع المهدي ، فإنه لما استَوْسَقَ الأمرُ لسليمانَ حَسْبِماً تقدَّم^١ ، وَتَابَعَتْهُ البرابرةُ ، اجتمعوا لِحَرْبِ قرطبة ، فتركوا في سفحِ الجبلِ بها وبشَرْقِيَّهَا ، يومَ الخميسِ الحادي عشر من ربيعِ الأوَّلِ سنةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ؛ وقد كان واضحٌ القَيُّ وافاها قبلهم بيومين في أَجْنَادِهِ من رجالِ الثَغَرِ ، فَقَلَدَهُ المَهْدِيُّ أَمْرَ الحَرْبِ ، واحتشدَ الناسُ من الكُورِ والباديةِ ، فَعَسَكروا في جموعٍ لم يُحْصِهَا إِلَّا خالقهم ، فتدائى الزحفان يومَ السبتِ الثالثِ عشر من ربيعِ المؤرخِ ، فتسرَّعَ اليهم أهلُ قرطبة ، وخالفوا واضحاً في تدبيرِ حربهم ، فاستَجَرَّتْهُمُ البرابرةُ ، حتَّى إذا تَمَكَّنُوا منهم عَطَفُوا عليهم ، فأنكشفوا عنهم انكشافاً ما سُمِعَ بمثله ، وانهمزُوا إلى منازلهم ، وَتَشَعَّبَتِ الطُّرُقُ بِهِمْ ، وعادَ تَضَيُّقُ مسالكِ كانوا أعدوها لعدوهم سِداداً دونهم ، فازدَحَمُوا وَتَنَاشَبُوا وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً . وَوَضَعَ البرابرةُ والنصارى السُيُوفَ عليهم ؛ فَقُتِلَ في هذه الواقعةِ عَالَمٌ ، وأبادُوا أُمَّةً . وهيَ وقعةُ قَنْتَيْشِ المشهورة بالأنْدَلُسِ الَّتِي قَطَعَ المَقالُ على أَنَّهُ قُتِلَ فِيهَا عَشْرَةُ أَلْفٍ قَتِيلٍ وَأَزِيدٌ . والله أعلم .

١ حسبما تقدم : لم ترد في ط .

ومالَ النصارى يومئذٍ على المنهزمين من المسلمين ، فقتلوا منهم في صعيدٍ واحدٍ نَيْفًا على ثلاثةِ آلافِ رجلٍ . وخرج الأمرُ عن يَدِ واضحٍ ، فلم يَشُبَتْ أَحَدٌ مِمَّنْ كان معه ، ولا كَرَّ في تلكِ الوقعةِ عَامِيٌّ ولا خَاصِيٌّ . وكان أمرُهُ ١ عَجَبًا . ونادى واضحٌ بشعاره ، فاجتمع إليه رجاله ، وثبت إلى أن أَجَنَّهُ اللَّيْلُ وَاتَّخَذَهُ ٢ جَمَلًا ، وسارعن قرطبة هارباً إلى الثَّغْرِ . وانبسطَ البربرُ يومئذٍ في أرضِ قرطبة يقتلون ويأسرون .

قال ابن حبان : وأصيب في تلكِ الوقعةِ من المؤدبيين نائمةٌ نَيْفٌ على ستين ، أُعْرِيتْ سقائِفُهُمْ ٣ في غداةٍ واحدةٍ منهم . وتعطلَ صبيانُهُم لَعَدَمِهِمْ ٤ . وأصيب فيها زَرْبُوطُ الطَّنْبُورِيِّ ، وأقام الطَّنْبُورِيُّونَ أصحابُهُ عليه مَأْتَمًا مشهوداً بعد الحادثة . وهلك في تلكِ الوقعةِ أخلاط من الناس . وكان بعضُ الظرفاء يقول : من كُلِّ طَبَقَةٍ أَخَذْتُ وَقْعَةً قَنْتَيْشٍ حَتَّى مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ ٥ ؛ فَإِنِهَا أَلْصَقَتْ بِالصِّمِيمِ فِي قَتْلِ قَنْبُوطِ الْمُلْهِيِّ . وَزَرْبُوطِ الْمُغْنِيِّ وَتَمَطَّيْهِمَا ، فَهَيْهَاتَ أَنْ يُخْلِفَ الدَّهْرُ مَثْلَهُمَا .

وكان المهديُّ ، إذ دخل قرطبة مُنْتَصَفَ جُمَادَى الآخرةِ سنةَ تسعٍ وتسعين وثلاثمائة وَقَتَّلَ عبد الرحمن بن أبي عامر ، أظهرَ موتَ هشام المؤيد في رَمَضَانَ من العام ، وَوَرَّى الشَّخْصَ الَّذِي مَوَّهَ بِهِ وَقَسَمَ تَرَاثَهُ . فلما كان غداةَ الأحدِ ثَانِي وَقْعَةٍ قَنْتَيْشٍ ، أظهر المهديُّ هشاماً المؤيدَ رجاءً أن يستميل

١ ط : أمرها .

٢ ط : واجتمع ... فاتخذته .

٣ س ط : سلاقتهم .

٤ ط : يعلدهم

٥ ط : البطل .

البرابرة به ، لِمَا كانوا يُكثرون من الترحُّمِ عليه والطلبِ بدمه ؛ فأبرزه^١ للنَّاسِ وَحَجَبُوا من ذلك ، فقال له البربرُ : اللهُ محمودٌ على سلامته ، ونحنُ فلا حاجةَ لنا في إمامته ، ولا نرضى بغير سليمان ؛ فلَمَّا سمع المهديُّ ذلك ، خرج في الليلِ عن القصر ، وتطمَّر^٢ بقُرْطُبَةٍ إلى أن لَحِقَ بطَلَيْطِلَةَ . ودعا الناسَ إلى القيامِ بِنُصْرَتِهِ ، فجمعَ له واضحٌ عساكرَ الإفرنجيةِ وأهلِ الثُّغُورِ ؛ وجاءهم^٣ مع واضحٍ إلى قرطبة ، فبرزَ إليه سليمان ، والتقى الجمعان يومَ الجمعة في شَوَّال من العام ؛ فانهزمَ سليمان ؛ فدخلَ المهديُّ قرطبةَ وبويعَ له بها ، وتردَّدَ عليه البربرُ يحاربونه ، فشرعَ في حفرِ الخندقِ حولِ قرطبة ، وألزمَ أهلَها القيامَ بأمرِهِ ؛ فاشتدَّتْ الكُلفَةُ عليهم . ودبرَ واضحٌ مع الموالي العامريَّينَ الغدَرَ بالمهديِّ ، وشَغَبُوا عليه في ذي الحجة من العام ، وأخرجوا هشاماً المؤيَّدَ من محبِسِهِ بالقصر ، وأجلسوه للخلافةَ بالسَّطْحِ ، ونادَوْا بشعاره ، وضربوا عُنُقَ المهديِّ بين يَدَيْهِ ، وألقوا جَسَدَهُ من أعلى السَّطْحِ ، ورفعوا رأسَهُ على قنَّاة طيفَ بها^٤ البلدُ كُلَّهُ ، وقُطِعَت يَدُهُ ورجُلُهُ . وعاد هشامُ المؤيَّدُ إلى الخلافةِ ، وجُدِّدَت^٥ له البيعةُ ، واستحجبَ واضحاً الفتي ، واستولى على تدبيرِ الأمورِ . وأرسلَ برأسَ المهديِّ إلى عسكرِ سليمان على مُعاوِدةِ طاعةِ هشامٍ ، وقد رجى استِمَالَتَهُمْ به فأبَوْا ذلك ، وأغلظَ سليمانُ على رُسلِهِ ، وأراد قَتْلَهُمْ .

١ ط : فأظهره .

٢ ط : وتطمَّر ؛ وتطمَّر : استخفى .

٣ ط : وجاء بهم .

٤ ط : بها .

٥ ط : به .

٦ ط : وجدد .

وأظهرَ الجَزَعَ على ابنِ عمِّه المهديّ . وبكى عليه ^١ . وأمر بتطْيِيفِ
الرأس ، وأنْفَذَهُ إلى طليطلة ، إلى ولد المهدي عبّيدِ الله . فأعْظَمَ
قَتْلَ أبيه ودفعَ بَيْعَةَ هشام . وكان بِعَسْكَرِ سليمان عبدُ الرحمن بن
مَتِيوهِ ^٢ ، فلَمَّا بلغه مَهْلِكُ ^٣ المهديّ بن عبد الجبار عَدُوَّهُ . كاتبَ
واضحاً وتوثّقَ له ، فهرب إلى قرطبة ، فدبّرَ أمرَ هشامٍ مُدَّةً بعد قَتْلِ
واضح وعليّ بن وداعة ، في أخبارِ طَوَيْلَةٍ ، إلى أنْ ضَعُفَ أمرُ هشام . ودخل
عليه سليمان دولته الأخيرة ^٤ ، ودبّرَ قرطبة ، إلى أن وقع له مع عليّ بن
حمود ما وصَفَنَاهُ ^٥ . انتهى ما لَخَصَّصُهُ من كلامِ ابنِ حَيَّان .

قال أبو الحسن بن بسام ^٦ : وكان سليمان ممّن مُدَّتْ ^٧ له في الأدب
غاية ، كبا ^٨ دونها أهل الآداب ، ورُفِعَتْ له في الشعرِ راية مشى تحتها كثيرُ
من الشعراء والكُتَّاب ؛ غير أنَّ أَيْامَ الْفُتُونِ أَلْوَتْ بِذِكْرِهِ ، وأَيْدِي
تلك الحربِ الزَّبُونِ طَوَتْ بِجَمَلَةِ شعره ؛ وهو أَحَدُ مَنْ شَرُفَ الشعرَ باسمه ،
وتَصَرَّفَ على حُكْمِهِ ؛ مع قعود همم أهل الأندلس يومئذٍ عن البحثِ عن
مناقبِ عظمائهم ، وزهدهم في الإشادةِ بمراتبِ زعمائهم . ولم أظفَرَ له
حِينَ نَقَلَ هذه النسخة المقررة من هذا المجموع في وقفي المورخ إلاّ بقطعة

١ وبكى عليه : ليست في ط

٢ ط : متبره ؛ من : مهوه ؛ ب : فهوه .

٣ ط : هلاك .

٤ ط : الآخرة .

٥ ط : ما تقدم .

٦ نقل النص في البيان المغرب ٣ : ١١٨ .

٧ ط : مد .

٨ البيان : وقف .

عَارَضَ بِهَا هَارُونَ الرَّشِيدَ فَتَشَعَّشَعَتْ بِهَا الْكُؤُوسُ ، وَتَهَادَتْهَا الْأَنْفَاسُ
وَالنَّفُوسُ . وَقَدْ أَثْبَتَ الْقَطْعَتَيْنِ مَعًا لِيُرَى الْفَرْقُ ، وَيُعْرَفَ الْحَقُّ . قَالَ
هَارُونَ الرَّشِيدُ ^١ :

مَلَكَ الثَّلَاثُ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَكُنَّ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تُطَاوِعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ ، وَهَنَ فِي عَصِيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى — وَبِهِ قَوِينَ — أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

فَقَالَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ ^٢ :

عَجَبًا ، يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سَنَانِي وَأَهَابُ لَحَظَ فَوَاتِيرِ الْأَجْفَانِ
فَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ ^٣ لَا مُتَهَيِّبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْمِجْرَانِ
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثُ كِبَالِدَمَى زُهِرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ
كَكُوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لُحْنٌ لِنَازِرِي مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ عَلَى كُثْبَانِ
هَذِي الْهَلَالُ ، وَتِلْكَ بِنْتُ الْمَشْرِقِ حُسْنًا ، وَهَذِي أُخْتُ غُصْنِ الْبَانِ
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوكُ إِلَى الصَّبَا فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِي
فَأَجْنَحَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَتَرَكْنَنِي فِي عَزِّ مُلْسَكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي
لَا تَعْدِلُوا مَلِكًا تَدْلِلُ لِلْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عَزُّ وَمُلْكُ ثَانِي

١ ط : الرشيد هارون ؛ وانظر أبيات هارون في الحلة ٢ : ٩ والجودة : ٢١ والمعجب

٩٢ والاغاني ١٦ : ٢٦٩ ، والفيث ٢ : ٣٢٦ ، وقد نسبتها المصادر الرشيد ، إلا أنها أدرجت

في ديوان العباس بن الاحنف : ٢٧٩ .

٢ انظر الحلة والجودة والمعجب والفيث في التعليق السابق .

٣ ط : الأبطال .

ما ضَرَّ أَنِّي عَبْدُ هُنَّ صَبَابَةٌ وبنو الزَّمانَ وهنَّ من عُبْداني^١
إِن لم أَطِيعَ فِيهِنَّ سُلْطَانُ الْمَوَى كَلَفًا بَيْنَ قَلَسْتُ مِنْ مِرْوَانِ

فصل في ذِكْرِ الْمُسْتَظْهَرِ بِاللَّهِ أَبِي الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابن هشام بن عبد الجبار الناصريّ ، وشرح مقتله ،
وإيراد جملة من أشعاره ، مع ما يَتَعَلَّقُ بِهَا
وينخرطُ فِي سِلْكِهَا مِنْ مُسْتَظَرَفِ أَخْبَارِهِ^٢

قال أبو الحسن : نقلتُ من خطِّ أبي مروانَ بن حيانَ قال : كان
عبدُ الرحمن هذا لَبِيقًا ذَكِيًّا ، وأديبًا لَوْدَعِيًّا ؛ لم يكنْ في بَيْتِهِ يومئذٍ
أَبْرَعُ منه منزلةً . وكان قد نَقَلْتَنِيهِ الْمَخَافُ ، وتقاذفت به الأسفار ، فتحنَّك^٣
وتخرَّجَ وتمرَّنَ فيها ، وكاد يستولي على الأمر لو أن المَنَيا أنْسَأَتْهُ . وكان
عاد إلى قرطبة بعد تجواله ؛ فدخلها مُسْتَحْفِيًّا أَيَّامَ الْقَاسِمِ بن حمود ، وقد
اضطرب سلطانه بها ؛ فشاهد الفتنَةَ الحادثة بين البرابرة وأهلها ، وهمَّ فيها
بالوثوب ، وبثَّ دُعَاتِهِ إلى أهلها . فلم يَصِحَّ له شيءٌ ممَّا أَرَادَهُ ، وأنكر
الوزراءُ المُدَبِّرُونَ قرطبة أمرَهُ ؛ فتجرَّدُوا لطلبه وطلَّبو دُعَاتِهِ ، فسُجِنُوا

١ وقع هذا البيت آخرًا في ط .

٢ انظر في أخبار المستظهر : الجذوة : ٢٤ والحلة ٢ : ١٢ - ١٧ وفيه نقل عن ابن حيان ،
والبيان المغرب ٣ : ١٣٥ والموجب : ١٠٥ ، أعمال الأعلام : ١٣٤ والنفع ١ : ٤٨٨
وبروفيسال ٢ : ٣٣٤ ودوزي (Spanish Is.) : ٥٧٤ .

٣ ط : فتجنند .

٤ فيها : سقطت من ط والحلة .

٥ ط : أراد .

ولم يخرجوا من الحبس إلا يوم^١ جلوس صاحبهم عبد الرحمن هذا للامارة ؛
 فبقى مُستخفياً ، وهو يلبئ الضراء في الدُّعاء إلى نفسه ، إلى أن أعلَّقوه^٢
 بالشورى عند إيقاعها في ذلك الوقت لظهور براعته ، وأجمعوا عليه وعلى
 سليمان بن المرتضى ، وعلى محمد بن العراقي . فتقدّم في إحصار الخاصة^٣
 والجند والعامة بالمسجد^٤ الجامع لِمُشاهدة بيعة مَن يُختار من هؤلاء
 الثلاثة الأمراء للخلافة ، فغدا الناس لذلك على طبقاتهم .

قال ابن حيّان : وكنت^٥ في من حضر المقصورة يومئذ ، فكان أول من
 وافى منهم سليمان بن المرتضى ، جاء مع عبد الله بن خماس^٦ الوزير في أُبته
 وشارة دكت على المراد فيه ؛ فدخل من باب الوزراء الغربي والسُرور باد
 عليه ، فاستقبله أصحابه وقدموه إلى بهو الساباط ؛ فأجلس هنالك على
 مرتبة لا تصلح لأحد سواه^٧ ، وهو بهيج جدّ لأن^٨ ، لا يشك في تمام
 الأمر له ، وأصحابه يرتقبون مجيء ابني عمه المذكورين - وقد أبطأ -
 كيما يحصلوهُما عنده . فبينما نحن على ذلك ، والقلق على القوم باد ،
 إذ غَشِيَتْنَا ضُجَّةٌ وزَعَقَةٌ هائلةٌ ارتجّ لها الجامع واضطرب لها مَن
 بالمقصورة . فإذا عبد الرحمن بن هشام قد وافى شرقيّ الجامع ، في^٩ خلقي
 عظيم من الجند والعامة ، وقد تكتّفه أمير الدائرة محمود وعمير في
 رجالهما ، شاهرين سيفيهما أمامه ، لهجين^{١٠} باسمه ؛ فراع الوزراء

١ ط : بعد . ٢ ط : الجماعة .

٣ ط : المسجد .

٤ ط : فكنت .

٥ كذا يرد في النسخ بإثاء المعجمة « خماس » ، وفي الجذوة (ص : ٢٨٨) من اسمه
 عثمان بن خماس ، بإثاء المهملة .

٦ ط : لا تصلح بسواه .

٧ ط : شرقي في : سقط من ط . ٨ ص ب : هاتين .

ذلك وألقوا الوقت بأيديهم وخذلتهم حيلهم ، ودخل المقصورة عبد الرحمن فبُوع لوقته . واستدعي سليمان بن المرتضى وجيء به مبهوتا فقبل يده وهتاه ، فأجلسه إلى جنبه ، ثم وافى محمد بن العراقي أيضاً فقبل يده وباعه ، ثم عقيدت له البيعة ، وذلك اليوم الرابع من شهر رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة .

وكان أحمد بن بُردٍ قد تقدم في عقدها باسم سليمان بن المرتضى فبشّره وحك اسمه ، وكتب اسم عبد الرحمن مكانه فكان ذلك من عجائب الدنيا .

ثم ركب وحمل مع نفسه ابني عمه سليمان وابن العراقي فاحتبسهما عنده وآتسهما ؛ وظهرت من عبد الرحمن لوقته عرامة^١ ، وكان فتى أي فتى لو أخطأته المتالف . وكان استقل بما طلبه من السلطان جرأة وصرامة ، وركب أعناق الخطوب وقد اعتاصت فأردته . وكان رفّع مقادير مشيخة الوزراء من بقايا مواليه بني مروان ، منهم أحمد بن بُرد وجماعة من الأغمار ، كانوا عصابة يحل بها الفتاء ، ويذهب بها العجب ، قدّمهم على سائر رجاله ، فأحقّد بهم أهل السياسة ، فأنقضت دولته سريعا ؛ منهم أبو عامر بن شهيد فتى الطوائف ، كان بقرطبة في رفته وبراعته وظرفه^٢ خليعتها المنهك^٣ في بطالته ، وأعجب الناس تفاوتاً ما بين قوله وفعله ، وأخطأهم في هوى نفسه ، وأهتكتهم لِعرضه ، وأجراهم على خاليقه . ومنهم أبو محمد بن حزم ، وعبد الوهاب

١ ط : صرامة .

٢ ط : وبراعة ظرفه .

٣ ط : المنهك .

ابن عمته ، وكلاهما من أكمل فتیان الزمان فهماً ومعرفةً ونفاذاً في العلوم
الرفیعة .

وأقرَّ المستظهرُ يومئذٍ على مراتبِ الخِدمةِ طوائفَ ؛ منهم خِدمةُ
المَدِينَتَينِ الزَّهْرَاءِ وَالزَّاهِرَةِ ، وخِدمةُ كِتابَةِ التَّعْقُبِ والمَحَاسِبَةِ ،
وِخِدمةُ الحِثْمِ ، وِخِدمةُ القُطْعِ بالنَّاصِ والطَّعامِ ^١ ، وخِدمةُ مَوَارِيثِ ^٢
الْخَاصَّةِ ، وِخِدمةُ الطَّرَازِ ، وِخِدمةُ المِيبَانِي ، وِخِدمةُ الأَسْلِحَةِ وما
يَجْرِي مَجْرَاهَا ، وِخِدمةُ الْخِزَانَةِ لِلْقَبْضِ وَالتَّقْفَةِ ، وِخِدمةُ الْهَرَابَةِ
وَالْقَبْضِ وَالدَّفْعِ ، وِخِدمةُ الْوُثَاقِ وَرَفْعِ كُتُبِ الْمَظَالِمِ ، وِخِدمةُ خِزَانَةِ
الطَّبِّ وَالْحِكْمَةِ ، وِخِدمةُ الْأَنْزَالِ وَالتَّرَائِلِ ، وِخِدمةُ أَحْكَامِ السُّوقِ .

قال أبو الحسن : ولكلِّ لقبٍ من أصنافِ ^٣ هذه الخِدمةِ جماعاتُ
سمائهم أبو مروانَ بنَ حَبَّانٍ في كتابه ، ثمَّ قال ^٤ : وهذا زُخْرُفٌ من
التَّسْطِيرِ ^٥ وَضُمَّ على غيرِ حاصلٍ ، ومرتَبُ نُصِيبَتْ لغيرِ طائِلٍ ، تنافسها
طالبوها ^٦ يومئذٍ بالأمل فلم يَحْلُوا منها بتائِلٍ ^٧ ، ولا قَبَضُوا منها مُرتَزَقاً .
ولا نالوا بها مُرتَقَقاً ؛ وَغَرَّهم بَارِقُ الطَّمَعِ وَسَطُ بِلْدِ مَحْصُورٍ ، وعَمِلَ
مَغْصُوبٍ ، وَخَرَابٍ مُسْتَوَلٍ ، ومع سلطانٍ فقيرٍ ، لا يقع بيده دِرْهَمٌ

١ والطعام : سقطت من ط .

٢ ط : مراتب .

٣ ط : أنواع .

٤ انظر أيضاً البيان المغرب ٣ . ١٣٧ .

٥ ط : الشيطان .

٦ ط : طالبوه .

٧ ط والبيان : بطائل .

إِلَّا مِنْ صُبَايَةِ مُسْتَغْلَلٍ جَوْفَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ نَهَبٍ مَغْلُولٍ مِمَّنْ تَقْلُقَلْ عَنْهَا ؛ يُقِيمُ مِنْهُ رَمَقَهُ ، وَيَفْرَقُ جُمْلَتَهُ عَلَى مَنْ تَكْتَفُّهُ مِنْ جَنْدِهِ وَدَائِرَتِهِ ، وَيَتَطَرَّقُ إِلَى مَا يَقْبُحُ مِنْ ظُلْمٍ رَعِيَّتِهِ ؛ فَلَمْ يَلِثِ الْأَمْرُ أَنْ تَقَرَّرَى بِهِ ^١ فَسُفِكَ دَمُهُ ، وَانْحَسَمَ الْأَمَلُ مِنْ دَوْلَتِهِ . وَكَانَ قَدْ بَادَرَ فِي الْإِرْسَالِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ وَزَرَاتِهِ ، فَلَمَّا حَصَلَ جَمِيعُهُمْ عِنْدَهُ قَبِضَ عَلَيْهِمْ وَصَادَرَهُمْ عَلَى أَمْوَالٍ لِيَصُدُّوْفِيهِمْ عَنْهُ ، وَطَالَبَهُمْ نَجَاحُ الضَّاعِطُ يَوْمئِذٍ عَنْهَا . وَكَانَ قَدْ اسْتَرْجَحَ خَاصَّةُ النَّاسِ وَذَوُو الْحِجَى مِنْهُمْ فِي الْقَبْضِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْوُزَرَاءِ ، وَاسْتَبْطَأُوا إِبَادَتَهُ لَهُمْ وَرَجَّوْا اسْتَظْهَارَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِإِزَالَتِهِمْ ، وَسَلَامَةِ تَدْبِيرِهِ مِنْ اعْتِرَاضِهِمْ ، وَكَانَ قَدْ أَخْرَجَ رُسُلَهُ إِلَى جَمَاعَةِ الرُّؤَسَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ يَلْتَمِسُ الْبَيْعَةَ ، وَيَسْتَنْفِرُ الْكَافَّةَ ، وَيَدْعُو إِلَى كَرَّةِ الدَّوْلَةِ ؛ فَأَخْفَقَ مَا طَلَبَهُ ^٢ وَعُجِّلَ ، وَلَمَّا تَقَبَّضُ ^٣ الْأَجْنُوبَةَ رُسُلُهُ ، وَاضْمَحَلَّ أَمْرُهُ . وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وَكَانَ أَيْضاً مِمَّا حَرَّكَ النَّاسَ عَلَيْهِ اسْتِهْدَافُهُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ وَلَدِ النَّاصِرِ ، وَمِبَادَرَتُهُ لِحَبْسِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُرْتَضَى وَابْنِ الْعِرَاقِيِّ الْمَذْكُورَيْنِ ، وَتَجَاوُزُهُمَا إِلَى نَقَرٍ غَيْرِهِمَا ، اعْتَقَلَ بَعْضاً وَطَلَبَ بَعْضاً ، حَتَّى شَمِلَهُمُ الْخَوْفُ ؛ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ جُرَّاءٍ صَاحِبِيهِ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَشَاطِ الرُّعَيْنِيِّ دَاهِيَةً أَدْنَتْهُ مِنْ حِمَامِهِ ، وَسَعَى إِلَى أَنْ وَثَبَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَكْفِيِّ ، وَأَحْسَسَ الْمُسْتَظْهَرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَطَلَبَهُ ، فَأَعْجَزَهُ ، وَلَمْ يَزَلِ السَّعْيُ عَلَيْهِ حَتَّى قُتِلَ .

١ البيان : تملئ عليه ؛ ط : تمرى .

٢ ط : طلب .

٣ ط : تقتض .

ذكر الخبر عن كيفية مقتله^١

قال ابن حبان : وكان سبب ذلك أن حسن^٢ رأيه في ابن عمران -
أحد الرهط الذين كان سجنهم^٣ - فأخرجه ، فقال له بعض أصحابه : إن
مشى ابن عمران في غير سجنك باعاً ، بتر^٤ من عمرك عاماً ؛ فعصاه
المستظهر فيه لغالب هواه ، فحاق به في الثالث ردها ، وكان ورد عليه قبل
إطلاقه يومين فوارس^٥ من البربر ، فكرم مشواهم وأزلهم معه في دار
المملك ، فاحتاج لذلك الدائرة وقالوا للعامة : نحن الذين قهرنا البرابرة
وطردناهم عن قرطبة ، وهذا الرجل يسعى في ردهم إلينا ، وتمكينهم من
نواصينا ؛ فهاجوا العامة ، فوثبوا عليه بالقصر ، وقتل البرابرة حيث
وجدوا . ولم يشعر عبد الرحمن إلا بالرجالة^٦ قد انتشروا على سقف
القصر ، وسمع المسجونون عنده هتاف الناس فاستغاثوهم ، فدقوا الأغلاق
دونهم ، واختلط بالحرم ؛ فعلم عبد الرحمن أنه مقتول . وأحيط به
من كل جهة ؛ فاستغاث الوزراء : ابن جهور ولُمته ، فلم يجدوا له
مناصاً ولا خلاصاً ، ولا يُصدّقون بنجاة أنفسهم وقد ذهلوا عنه بالحيلة في
تخليصهم ؛ فأشار^٧ عليهم الدائرة الفسقة بتركه ، والذهاب عنه ؛
فجعل الوزراء يتسلطون عنه واحداً بعد واحد إلى أن أفردوه . فنجا^٨ عامة من

١ نقل خبر في البيان المغرب ٣ : ١٣٨ .

٢ ط : ذلك حسن .

٣ ط : سجنه .

٤ ط : بتر ، من : نتر .

٥ ط : بالرجالة .

٦ ط : الأغلاق .

٧ ط : وأشار .

٨ ط : ونجا .

تَعَجَّلَ الْفَرَارَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَأَهْلِ الْخِدْمَةِ عَلَى بَابِ الْحَمَّامِ مِنَ الْقَصْرِ فَاهْتَدَى
إِلَيْهِ الدَّائِرَةُ ، وَأَحْلَتُوا بِمَنْ خَرَجَ مِنْهُ الْفَاقِرَةُ ؛ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ بَسِيلٍ مُتَقَلِّدُ
الْمَدِينَةِ ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ . وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى ذَلِكَ الْبَابِ يَطْمَعُ فِي الْخُرُوجِ ؛
فَقَامَ الدَّائِرَةُ فِي وَجْهِهِ وَزَرْقَوْهُ وَهُمْ يَسُبُّونَهُ ؛ فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ ، وَتَرَجَّلَ
عَنْ فَرَسِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، حَتَّى بَقِيَ فِي قَمِيصِهِ ؛ وَاسْتَخْفَى فِي
أُبْزَنِ الْحَمَّامِ ، فَفَقِدَ شَخْصَهُ ؛ وَاسْتَخْفَى الْبَرَابِرَةُ فِي الْحَمَّامِ وَفِي أَكْنَافِ
الْقَصْرِ فَبُحِثَ عَنْهُمْ وَقُتِلُوا . وَلَاذَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِالْجَامِعِ فَقُتِلُوا فِيهِ ؛ وَفُضِّحَ
حَرِيمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَبَى أَكْثَرُهُنَّ الدَّائِرَةُ وَحَمَلُوهُنَّ إِلَى مَنَازِلِهِمْ
عِلَانِيَةً ، وَجَرَى عَلَيْهِنَ مَا لَمْ يَجْرَ عَلَى حُرْمِ سُلْطَانٍ فِي مَدَّةِ تِلْكَ الْفَتَةِ .

قال : ولما فُقِدَ شَخْصُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ظَهَرَ ابْنُ عَمَّتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ النَّاصِرِ السَّاعِي عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ مُتَطَمَّرًا^٢
فِيهِ فَهَتَفَ الدَّائِرَةُ بِاسْمِهِ ، وَانْتَهَوْا بِهِ إِلَى دَارِ الْمُلْكِ ، فَإِذَا هِيَ بِلَاقِعُ ؛
فَاجْلَسُوهُ فِي مَجْلِسِهَا الْقَبِيلِيِّ مَبْهُوتًا . وَقَامَ الدَّائِرَتَانِ الْفَاسِقَانِ^٣ مُحَمَّدٌ وَعُمَيْرٌ ؛
عَلَى رَأْسِهِمَا بِالسُّيُوفِ مَقَامَهُمَا بِالْأَمْسِ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَمَّتِهِ
وَتَكَاثَرَتِ الدَّائِرَةُ وَالْعَامَّةُ عَلَيْهِ . وَافْتَقَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ فَوَجَدُوهُ^٤
فِي أُبْزَنِ الْحَمَّامِ قَدْ انْطَوَى انْطِوَاءَ الْحَيَةِ فِي مَكَانٍ حَرَجٍ ، فَأَخْرَجَ فِي

١ الـابزون (Basin) : الحوض ؛ وفي س ب والبيان : أتون ، حيث وقعت .

٢ ط : مختلفاً .

٣ ط : وقام الدائرتان ؛ وفي بقية النسخ : وقام الفاسقان ، البيان : وقام الدائرتان الفاسقان ،
كما أثبتته .

٤ البيان : وعنبر .

٥ ط : فوجد .

قَمِيصٍ مُسْوَدٍ بِحَالٍ قَبِيحَةٍ ؛ وَجِيءَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَكْفِيِّ
وَقَدْ بَوَّعَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّالِثِ مِنْ ذِي قَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ؛
فَبَطَّشَ بِهِ بَعْضُ الرِّجَالَةِ الْقَائِمِينَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَتَهَكَّلَ وَجْهُ ابْنِ عَمَّةٍ
[الْقَائِمِ عَلَيْهِ] ، وَأَخَذَ فِي تَدْيِيرِ سُلْطَانِهِ . فَكَانَتْ إِمَارَةُ الْمُسْتَظْهِرِ - إِلَى أَنْ
قُتِلَ - سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، لَمْ تَنْتَشِرْ لَهَا فِيهَا طَاعَةٌ ، وَلَا التَّائِمَةُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ ،
وَلَا تَجَاوَزَتْ دَعْوَتُهُ قَرْطَبَةَ . وَكَانَ سِنُهُ يَوْمَ قُتِلَ ثَلَاثًا وَعَشْرِينَ سَنَةً .

وَكَانَ عَلَى حَدَائِثِ سِنِهِ ذِكْيًا يَقْطَأُ لَبِيًّا أَدْبِيًّا حَسَنَ الْكَلَامِ جَيْدَ الْقَرِيحَةِ
مَلِيحَ الْبَلَاغَةِ يَتَصَرَّفُ فِيهَا شَاءَهُ مِنَ الْخُطَابَةِ بَدِيعَةً وَرَوِيَّةً ، وَيَصَوِّغُ قِطْعًا
مِنَ الشَّعْرِ مُسْتَجَادَةً . وَقَدْ اقْتَضَبَ بِحُضْرَةِ الْوُزَرَاءِ فِي أَيَّامِهِ عِدَّةَ رَسَائِلَ
وَتَوْقِيعَاتٍ لَمْ يَقْصُرْ فِيهَا عَنِ الْغَايَةِ . يَزِينُ ذَلِكَ بِطَهَارَةِ أَثْوَابٍ وَعِفَّةٍ
وِبَرَاءَةٍ مِنْ شُرْبِ النِّبَذِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً . وَكَانَ فِي وَقْتِهِ نَسِيجَ وَحْدِهِ ، خُتِمَ
بِهِ فُضْلَاءُ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّاصِرِيِّينَ ، فَلَمْ يَأْتِ بَعْدَهُ مِثْلُهُ .

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مَا وُجِدَ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ : مِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةٌ كُتِبَ بِهَا إِلَى
مُشْتَنَفٍ ٤ زَوْجِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَيَّامَ خُطْبِ بِنْتِهَا مِنْ سُلَيْمَانَ
الْمُسَمَّاءِ حَبِيبِيَّةٍ ٥ فَلَوْتَهُ ؛ وَكَانَ بَقْلِيهِ مِنْ هَذِهِ الْإِبْنَةِ مَكَانٌ لِنَشَاتِيهِمَا
مَعًا فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ ؛ يَقُولُ فِيهَا ٦ :

١ ط : الرهابة .

٢ انظر البيان المغرب ٣ : ١٣٩ وأعمال الأعلام ٨ : ١٣٤ والحلة الباردة .

٣ الحلة والبيان : حدوث .

٤ الحلة : شنف ؛ ط : منتف .

٥ ط : جليبة .

٦ وردت القصيدة في الحلة ، وبمض أبيانها في الحدوة .

وجالبة عُدْرًا لِتَصْرِفَ رَغْبَتِي
يُكَلِّفُهَا الْأَهْلُونَ رَدِّي جَهَالَةً
وماذا على أم الحبيبة إذ رأت
جعلت لها شرطاً عليّ تَعْبُدِي
تَعَلَّقْتُهَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ غَرِيرَةٍ^١
حمامة عُشٍّ^٢ الْعَبْشَمِيَّتِينَ زَفَرْتِ
لقد طال صَوْمُ الْحَبِّ عَنْكَ فَمَا الَّذِي
وإِنِّي لَأَسْتَشْفِي بِمَرِّي^٣ بِدَارِكُمْ
وَالصَّقِ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهَا
فإن تَصْرِفِيْنِي يَا ابْنَةَ الْعَمِ تَصْرِفِي
وإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَطْوِقَ مَقْخَرِي
وإِنِّي لَطَعَانٌ إِذَا الْخَلِيلُ أَقْبَلَتْ
وإِنِّي لأَوَّلِي النَّاسِ مِنْ قَوْمِهَا بَا
وعندي مَا يُصْبِي الحليمَةَ ثِيْباً
جمالٌ وَأَدَابٌ وَخُلُقٌ مُوَطَّأٌ

وَتَأْتِي الْعَالِي أَنْ تُجِيزَ لَهَا عُدْرًا
وَهَلْ حَسَنَ بِالشَّمْسِ أَنْ تَمْنَعَ الْبَدْرَا
جلالة قَدْرِي أَنْ أَكُونَ لَهَا صِهْرَا
وَسَقَتْ إِلَيَّ فِي الْهَوَى مُهْجَتِي مَهْرَا
مُحَدَّرَةً مِنْ صَيْدِ آبَائِهَا غَرًّا
فَطَرْتُ إِلَيْهَا مِنْ سِرَاتِهِمْ صَقْرَا
يَنْضُرُّكَ مِنْهُ أَنْ تَكُونِي لَهُ فِطْرَا
هَدِوْءاً وَأَسْتَسْقِي لِسَاكِنَهَا الْقَطْرَا
لَأُطْفِئَ مِنْ نَارِ الْأَسَى نَكَمَ جَمْرَا
وَعَيْشِيكَ - كُفْأَ مَدَارِجِهِ سَتْرَا
بِمَلَكِي لَهَا وَهِيَ الَّتِي عَذَلْتُهَا فُخْرَا
جَرَائِدُهَا حَتَّى تَرَى يَحْنُوهَا شَقْرَا
وَأَنْبَهُهُمْ ذِكْرًا وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرَا
وَيَنْسِي الْفَتَاةُ الْخَوْدَ عُدْرَتَهَا الْبِكْرَا
وَلَقَطْ إِذَا مَا شَتَّ أَسْمُكَ السَّحْرَا

وَلَئِنَّهُ لَمَسَحَهَا يَوْمًا وَأَوْمَأَ بِالسَّلَامِ ، فَلَمْ تَرُدَّهُ عَلَيْهِ خُتْبَلَاءً ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا :
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَجِدْ بِكَلَامِهِ^٧ وَلَمْ يَرْتَقِ أَهْلًا لِرَدِّ سَلَامِهِ

١ ط : عزيزة .

٢ البيان ، س ب : بيت ؛ ط : عيش .

٣ الحلة : لما بي .

٤ ط : جوائدها ؛ س ب : جرائدها .

٥ ط : ويسبي .

٦ النظر الحلة ٢ : ١٥ .

٧ ط : بسلامه .

سلام على الرامي^١ الذي كَلَّمَارَمِي
 بنفسي حبيب لم يَجِدْ لِمُحِبِّهِ
 ألم تعلّمني يا عَذْبَةَ الإِسْمِ^٢ أَنَّنِي
 وَأَنْتِي وَفِي حَافِظٍ لَأَذِمَّتِي
 يُبَشِّرُ ذَاكَ الشَّعْرُ شَعْرِي أَنَّهُ
 وما شكَّ طرقي أَن طرفك مُسْعِدِي
 عليك سلامُ الله من ذي تَحِيَّةٍ

وله فيها أيضاً^٤ :

تَبَسَّمَ عَنْ دُرٍّ تَنْصَدَّ فِي الْوَرَسِ
 غَزَالُ بَرَاهُ اللهُ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ
 وَهَبْتُ لَهُ مَلَكِي وَرُوحِي وَمُهْجَتِي

وهو القائل^٦ :

طَالَ عَمْرُ اللَّيْلِ عِنْدِي
 يَا غَزَالَ نَقْصِ الْوَسْوَ
 أَتَسِيءُ لَكَ إِذْ بَشَّرْتُ
 وَاجْتَمَعْتُ فِي وَشَاكِ

أَصَابَ فُؤَادِي عَامِدًا بِسَهَامِ
 بِطَيْفِ خِيَالٍ زَائِرٍ فِي مَنَامِ
 فَتَى فَيْكٍ مَخْلُوعٌ عِذَا رُجِلَامِ
 إِذَا لَمْ يَقُلْ غَيْرِي بِحِفْظِ ذِمَامِ
 سَيُوصَلُ حُبِّي بَعْدَ طَوْلِ انْصِرَامِ
 وَمُنْقِدُ قَلْبِي مِنْ حِبَالِ غَرَامِ
 وَإِنْ كَانَ هَذَا زَائِلًا فِي اجْتِرَامِ^٣

وَأَسْفَرَ عَنْ وَجْهِ يَتِيهِ عَلَى الشَّمْسِ
 لَتَقْطِيعِ أَنْفَاسِي وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسِ
 وَنَفْسِي وَلَا شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ النَّفْسِ

مُنْذُ تَوَلَّعْتُ بِصَدْيِ
 دٌّ وَلَمْ يَوْفِ بِعَهْدِي
 نَاعَلِي مَفْرَشِي وَرَدَّ
 وَانْتَظَمْنَا نَظْمَ عِقْدِ

١ ط : الطيبي .

٢ س ب : الماء .

٣ ط : اختاراه .

٤ الحلة ٢ : ١٦ .

٥ س ب والحلة : ينوب عن .

٦ الحلة ٢ : ١٦ والنفع ١ : ٤٣٦ ، ٤٨٩ .

وتعانقنا كغُصْنَيْنِ نِ وقدَّأنا كقُصْدٍ
ونجوم الليل تحكي ذهباً في لازوردٍ

ورفع إليه شاعر ممن هنأه بالخلافة يوم بيعته شعراً له كتبه في رَقٍّ
مبشور، واعتذر من ذلك بهذين البيتين ^١ :

الرَّقُّ ^٢ مَبْشُورٌ وفيه بشارَةٌ بَيْعًا للإمام الفاضل المستظهرِ
مَلِكٌ أعاد العيش غَضًّا شَخْصُهُ ^٣ وكذا يكون به طوال الأَدْهُرِ ^٤

فأجزل المستظهر بالله ^٥ صلته ، ووقع على ظهر رقعة بهذه الأبيات :

قبلنا العذرَ في بَشْرِ الكُتَابِ لِمَا أَحَكَمْتَ ^٦ من فصلِ الخطابِ
وجُدنا بالجزاءِ بما لدينا على قدرِ الوجود بلا حسابِ
فنحن المنعمون إذا قلرنا ونحن الغافرون أذى الذَّئَابِ ^٧
ونحن المطلعون بلا امتراءٍ شمسوس المجد من فلك الثَّوَابِ

ومما قاله — زعموا — يوم وثوب البرابرة عليه بالدائرة التي أمرت بقتله ^٨ :

يا أيها القمر المنيرُ كُنْ نحو شِبْهِكَ لي سَقِيرُ
بتحيّةٍ أودَعْتُهَا شَوْقًا بُنَيَّاتِ الصُّدُورِ

* * *

١ الخلة ٢ : ١٦ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ والنفح ١ : ٤٩٠

٢ النفح : الطرس .

٣ النفح : ملكه .

٤ النفح : الأعصر .

٥ المستظهر بالله : سقطت من ط .

٦ ط : بما أظهرت .

٧ البيان : لدى الرئاب .

٨ ط : وهو القائل زعموا يوم الوثوب عليه .

انتهى ما وجدناه من أشعار بني أمية القائمين من أول المائة الخامسة من الهجرة ابتداءً من تأريخ هذا الديوان . وشرحنا بعض^١ ما تعلق بذلك من خطب ، واندراج أثناءه من ذكر حرب .

ونتلوه^٢ بذكر من تقدم زمانه ، واشتهر إحسانه ، وملاً للمسامع والمجامع بيانه وسار في المغارب والمشارق ذكره وشأنه ، وملاً لظهور السباسب وبطون المهارق سماعه وعيانه .

الفصل في ذكر الأديب أبي عمر أحمد بن دراج القسطلي^٣
وإثبات جملة من نظمه الفائق الدرر، ونثره المعجز الورد والصدر
واجتلاب ما يتعلق به ويتصل بسببه من خبر^٤

قال ابن بسام : كان أبو عمر القسطلي وقتته لسان الجزيرة شاعراً وأولاً حين عدّ معاصريه من شعرائها المشهورة ، وآخر حاملي لوائها ، وبهجة

.....

١ ط : مع بعض .

٢ ط : ونصله .

٣ ترجمة ابن دراج في الجذوة : ١٠٢ و(البغية رقم : ٢٤٢) والصلة : ٤٤ والمطرب : ١٤٥ والمغرب ٢ : ٦٠ ومواضع متفرقة من النج ٤ واليتيمة ٢ : ١٠٤ وابن خلكان ١ : ١٣٥ والوافي ٨ : ٤٩ والمسالك ١١ : ٢٠١ وعبر الذهبي ٢ : ١٤٢ والشنوات ٣ : ٢١٧ . وقد نشر ديوانه الدكتور محمود مكّي (دمشق ١٩٦١) وصدره بمقدمة هامة ، حشد فيها مزيداً من المصادر التي أوردت له خبراً أو شعراً (المقدمة : ١٩-٢٠) وانظر دراسة عنه في كتابي : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة : طثانية ٤ ودراسة لبلاشبر في Hesperis : ٩٩ - ١٢١ (١٩٣٣) ، وانظر أيضاً كتاب التشبيهات .

٤ ط : نظمه ونثره مع ما يتعلق بذلك من خبره .

أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا ، وَأَسْرَةَ كُتَابِهَا وَشَعْرَائِهَا ؛ لَهُ عُقْدَ فَخْرُهَا الْمَحْمُولُ
وَسُؤْرٌ ، وَبِهِ بُدْيَ ذِكْرُهَا الْجَمِيلِ وَخُتَمٌ ؛ حَلَّ اسْمُهُ مِنَ الْأَمَانِي
مَحَلَّ الْأَنْسِ ، وَسَارَ نَظْمُهُ وَنَثَرُهُ فِي الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي مَسِيرَ الشَّمْسِ ؛ وَأَحَدُ مَنْ
تَفَاءَلَتْ الْآفَاقُ عَنْ جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَكَانَتْ الشَّامُ وَالْعِرَاقُ أَذُنَيْ خُطَايَ
ذِكْرِهِ .

وَقَدْ أَجْرَى الثَّعَالِبِيُّ طَرَفًا مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَغْرَبَ بِلُغَمٍ مِنْ شَعْرِهِ ، فَقَالَ فِي
كُتَابِهِ الْمَتَرَجِّمِ : « الْيَتِيمَةُ »^١ : « بَلَّغْنِي أَنَّ أَبَا عُمَرَ الْقُسْطَلِيَّ كَانَ عَنْدهُمْ
بِصُقْعِ الْأَنْدَلُسِ كَالْمُتَنَبِّيِّ بِصُقْعِ الشَّامِ ؛ وَهُوَ أَحَدُ شَعْرَائِهِمُ الْفُحُولِ
هُنَالِكَ . وَكَانَ يَجِيدُ مَا يَنْظِمُ »^٢ ، انْتَهَى كَلَامُ الثَّعَالِبِيِّ .

وَلِنَّمَا ذَكَرْتُهُ أَنَا ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، لِأَنَّهُ تَرَاحَتْ أَيَامُهُ ،
وَأَغْضَى عَنْهُ حِمَامُهُ ، حَتَّى أَخْرَجَتْهُ الْمِحَنُ ، وَسَالَتْ بِهِ تِلْكَ الْفِتَنُ .
الْكَاتِبَةُ صَدَّرَ الْمَائَةَ الْخَامِسَةَ مِنَ الْمَجَرَّةِ .

وَذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانٍ مُعْجَبًا مِنْ أَخْبَارِهِ ، مُعَرِّبًا عَنْ جَلَالَةِ مَقْدَارِهِ^٣ .
قَالَ : وَأَبُو عُمَرَ الْقُسْطَلِيُّ سَبَاقُ حَلَكَةِ الشُّعْرَاءِ الْعَامِرِيِّينَ ، وَخَاتَمَةُ
مُحْسِنِي أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَجْمَعِينَ . وَكَانَ مِنْ طَوْحَتْ بِهِ تِلْكَ الْفِتْنَةُ
الشَّنْعَاءُ ، وَاضْطَرَّتْهُ إِلَى النُّجْعَةِ ، فَاسْتَقْرَى مُلُوكَهَا أَجْمَعِينَ ، مَا بَيْنَ
الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، فَسَرَ قُسْطَةَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَعْلَى ؛ يَهْزُ كُتْلًا بِمَدِيحِهِ ،

١ الْيَتِيمَةُ ٢ : ١٠٤ ، وَلَيْسَ فِي الْيَتِيمَةِ « بَلَّغْنِي أَنَّ أَبَا عُمَرَ الْقُسْطَلِيَّ » .

٢ الْيَتِيمَةُ : الْفُحُولُ ، وَكَانَ يَنْظُمُ وَيَقُولُ .

٣ ط : قَدْرُهُ .

ويستعينهم^١ على تكبئته ، وليس منهم مَنْ يُصْغِي له ، ولا يحفظُ ما أنزل من حقه ، وأُرْخِصَ من عِلْقِهِ^٢ ؛ وهو يَخْبِطُهم خَبْطُ الْعِضَاءِ بِهَوَاهِ . فَيَصْمُونَ عنه ، إلى أن مرَّ^٣ بعقوةٍ مندر بن يحيى أمير سرقسطة ، فألقى زهرا سِيرَه عند مَنْ بَوَّاه^٤ ، ورَحَّبَ به وأَوْسَعَ قِرَاه ؛ فلم يزلْ عنده ، وعند ابنه بَعْدَه ، مادحا لهما ، مُثْنِياً عليهما . رافعا من ذكرهما ، غيرَ باغٍ ؛ إلا بجوارهما ، إلى أن مضى بسبيله ، بعد أن جرتْ له ، رحمه الله ، على إحسانه الباهر ، في فِتْنَةِ البرابر مع أملاكِ الجزيرة ، في طولِ الاغترابِ والنَّجْعة . أخبارٌ شاقَّةٌ ، فيها للذي اللَّبَّ مَوْعِظَةٌ بالغة^٥ .

وذكره أيضاً أبو عامر بن شهيد فقال : والفرقُ بين أبي عَمَرَ وغيره أنَّ أبا عمر مطبوعُ النِّظام ، شديدُ أَسْرِ الكلام ؛ ممَّ زاد بما في أشعاره من الدَّلِيل على العِلْمِ بالخَبَرِ واللِّغَةِ والنَّسَبِ ، وما تراه من حَوَكِهِ للكلام ، وَمِلْكِهِ لِأَحْزَانِ الْأَلْفَاظِ ، وسعة صدره ، وجيشة بجره ، وصحة قدرته على البديع ، وطولِ طَلْقِهِ في الوصف ، وبُغْيَتِهِ للمعنى وترديده . وتلاعُبه به وتكريره ، وراحته بما يُتَعَبُ الناس ، وَسَعَةِ نَفْسِهِ فيما يُضَيِّقُ الأنفاس . انتهى كلامُ ابنِ شهيد .

قال ابن بسام : وأنا أقول : إنَّ مَنْ ذكره لم يوفه حَقُّه ، ولا أعطاهُ وَفْقَه ، ولا استوفى تقدُّمَهُ وسَبْقَهُ ؛ ولو أوفى الأَيَّام ، واستغلد القراطيس

١ م ب : ويستعينهم .

٢ ط : عقله .

٣ ط : أقام .

٤ ط : عند من براه .

٥ بالغة : لم ترد في ط .

والأقلام^١ . وقد أتيتُ أنا من شعره بما يبهرُ نيراتِ الألباب ،
ويُظهرُ خَفَيَّاتِ الأسباب ، ومن نشرِه ما يبهرُ العقول ، ويباهي الغُرر
والحجول ؛ ويسامي التيجانَ والأكاليل ، ويسهلُ التقليدَ والتأويل .

جملة من^٢ فصولِ اقتضبتُها من كلامه الطويل ،
فراراً من التطويل

فصل له من رُعة^٣ : يا سيدي ، ومن أبقاه الله كوكبَ سعدٍ في سماءِ مجدٍ ،
وطائرَ يمنٍ ، في أفناء أمنٍ ، مرجواً لدفعِ الاسواء ، مؤملاً في الأواء ؛
وكنْتُ قد نشأتُ في معقِلٍ من العفا والوفرِ ، مُحَدِّقاً بسورٍ من الأمن
والستر ، حتَّى أرسل إليَّ سلطانُ الفقرِ ، رسولاً من نوبِ الدهرِ ،
يريدُ استزالي إليه ، وخضوعي بين يديه ، فأبيتُ من ذلك عليه ، فغزاني
بكتائب من النوائب ، تسيرُ تحت ألويةِ المصائب ، تُبرِّقُ بسيفِ الرزايا ،
وتُشهرُ أسِنَّةَ المنايا ، يرمون عن قسي الأوجال ، ويضربون طبولَ الدُّعْرِ
وسوءِ الحال ، بأيْدٍ باطِشةٍ لا تَكِيلُ ، وببصائرٍ ثابتةٍ لا تَمَلُ ، فلم
يرُعني ذلك منهم أنْ تَلَقَّيتُهُمْ بِمَنْ مَعِيَ من جنودِ الصَّبْرِ ، فافتتَحَ
معقِلِي سلطانُ الفقرِ وأخذني أسراً ، وطلبَ مني فداءً لا أقومُ به قسراً ،
فاوثقتني في قيودِ الانقياد ، وشدَّتني في أغلالِ الإصفاد ، ووكلَ بي الحيرةَ
والتبَلَّدَ ، وأمرهما ألا يُطْلِقَا سبيلي إلاَّ بالفداء ، فضاقتُ بذلك مذهبي حتَّى
أتى منك رسولٌ يُسمَّى حُسْنَ الثناء ، فضمنَ لي عنك فِدَيتي ، من

١ وأنا أقول والأقلام : سقط من ط .

٢ جملة من : لم ترد في ط .

٣ لم يرد هذا الفصل في ط .

بِدَيْ أُسْرَتِي ؛ وَسَيْدِي أَوَّلِي مِنْ وَفِي بَضْمَانِهِ ، وَصَدَّقَ قَوْلَ رَسُولِهِ عَلَى لِسَانِهِ .

وله من أخرى ^١ إلى سليمان بن الحكم أمير المؤمنين : حاشا لله أن استشف الحسي قبل ^٢ جمومه ، واستكره الدر قبل حقوله ، أو اتعامت عن سراج المعذرة ، وأرغب عن أدب الله في نظيرة إلى ميسرة . ولكن :

«ماذا تقول لأفراخ بني مرخ حمير الخواصيل لآماء ولاشجر» ^٣
ما أوضح العذر لي لو أنهم عذروا وأجمل الصبر بي لو أنهم صبروا
لكنهم صغروا عن أزمة كبرت فما اعتذاري عمن عذره الصغر
وقد قلبت لهم ظهر الأمور، وميزت بين المعسور والميسور، فما وجدت
أحسن بدءاً ، ولا أحمداً عوداً ، مما أذن الله فيه لعباده الذين
أعمرهم أرضه ، وسخر لهم برة وبجره ، أن يمشوا في مناكبها ويأكلوا
من رزقه ؛ وحيث نتقلب ففي كرمك ، وأين نأمن ففي حرملك .
[وحيث لا توحشنا دعوتك ، ولا تفوتنا نعمتك ، من ملكك إلى
ملكك] ، ومن يمينك إلى شمالك .

وفي فصل من أخرى ^٤ : ولعل مقلب القلوب قد قلب قلبك الكريم
للأطفال المشردين ، الذين دعوك مضطرين ، أن تحل عنهم عقل
التوى ، وتكبلهم إلى جبار السما . الذي أمر عباده أن ينتشروا في

١ ط : فصل له من رقعة .

٢ ط : استلغي ... بعد ؛ س : استلغي .

٣ مضمّن ، وهو الخطبة (ديوانه : ٢٠٨) .

٤ لم يرد هذا الفصل في ط .

أَرْضِهِ ، وَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وله من أخرى إلى علي بن حمّود : حَسْبُكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ،
[وعلى هُدًى من الله] ، فيما خَفَقَتْ إِلَيْهِ رِايَاتُكَ ، وَصَدَقَتْ بِهِ آيَاتُكَ ،
جَدِيرٌ أَنْ يُعِزَّ بِطَاعَتِهِ نَصْرَكَ ، كَمَا شَرَحَ بِتَوْفِيقِهِ صَدْرَكَ ، وَيُسْتَمَّ بِتَأْيِيدِهِ
أَمْرَكَ ، بِمَا أَوْلَيْتَ أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْلَيْتَ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ،
الْمَصَائِينَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَهْلِينَ ، أَيَّامَ تَزَاوَلَتْ إِلَيْهِمْ أَسْبَابُ الْقَضَاءِ بِالْبَأْسَاءِ
وَالْفُسْرَاءِ ، وَأَبْرَقَتْ عَلَيْهِمْ آفَاقُ السَّمَاءِ بِسُيُوفِ الْأَعْدَاءِ ، تَسِيحُ بِوَابِلِ الدَّمَاءِ
[وتَمُوجُ بِأَسْرَابِ السَّيِّئَاتِ] ، فَسُرْعَانَ مَا هَامُوا فَلَا وَزَرَ ، وَرَبَعُوا فَلَا
مُسْتَقَرَّ ، وَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِرٍ وَلَا فُوتَ ، إِلَّا مَنْ أَعْفَاهُ^١
الْمَوْتُ ، فَاصْبَحُوا أَنْفَاقُ^٢ الْجَلَاءِ ، وَأَغْرَاضَ الْقَنَاءِ ، قَدْ جَهَدُوا بِالْبَلَاءِ ،
وَعَيُّوا بِالْذَّمِّ الْعِيَاءَ ، فَلَتَنُ زُلْزَلْتَ بِهِمُ الْأَرْضُ ، لَقَدْ سَكَنَ بِهِمْ عِزُّ
سُلْطَانِكَ ، وَلَتَنُ تَهَافَّتَ بِهِمُ الدُّعْرُ ، لَقَدْ اطمأنوا فِي مِهَادِ أَمَانِكَ .

وله من أخرى إلى منلر بن يحيى : حَيَّاكَ بِتَحِيَّةِ الْمُلْكِ ، مَنْ أَحْيَا بِكَ
دَعْوَةَ الْحَقِّ ، وَرَدَّكَ رِداءَ الْإِعْظَامِ ، مَنْ أَعْلَى بِكَ لَوَاءَ الْإِسْلَامِ ، مُجْبِرِي
الْأَقْدَارِ بِإِعْلَامِ قُدْرِكَ ، وَمَصْرِفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْزَازِ نَصْرِكَ ، وَمُظْهِرُ
مَنْ أَطَاعَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَمُدْمَرُ مَنْ عَادَاكَ بِسُيُوفِ مَنْ وَالَاكَ .
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَ أَسْمَائِكَ أَوَّلَى بِأَعْدَائِكَ ، وَأَقْرَبَ اعْتِرَائِكَ صَفْوًا
لَأَوْلِيَائِكَ ؛ ثُمَّ سَمَّاكَ^٣ حَاجِبُ الشَّمْسِ ، نَوْرًا وَأَنْسَا لِهَذَا الْإِنْسِ ، وَنَفَسَ
حَيَاةٍ لِكُلِّ نَفْسٍ .

١ ط : أخطاء .

٢ ط : أنقاص .

٣ ط : سماك .

ثُمَّ أَحْيَيْتَ فَجَرَّهَمَ يَا ابْنَ بَحْيٍ بِمِصْرَ أَجَيْنَ : نُورِ دِينَ وَدُنْيَا
وَتَخَلَقْتَ السَّحَابَ ظِلًّا وَجُودًا فَوَسَّعْتَ الْإِسْلَامَ سَقِيًّا وَرَعِيًّا
وَتَحَلَّيْتَ مِنْ تَجِيبِ سَنَاءٍ كُنْتَ فِيهِ لِلدِّينِ وَالْمُلْكِ مَحِيًّا

ومن كتاب له ٢ : وأكرم بها أعراقاً سرت إليك ، وأخلاقاً بنظمت عليك ،
وأعباء ملوك حملت عاتقك ، وأعينه خيل أسلمت في يدك ،
[فإليك أهل الدليل ، وأرزمت الحمول] ، ومن ننداك سقي الغليل ،
وشفي الغليل ٣ ، وفي ذراك برد المقل ، وقصر الليل الطويل ، ويعلاك
أمين الخائف وعز الدليل ، وبسناك هدي ابن السبيل [سواء السبيل] ،
إلى الظل الظليل ، والأمل المأمول ، فجعل الغريب موصول ، وعذر
المسيء مقبول ، وجفاء الضيف محمول ، فكيف بضيفك المجتأب ،
إليك غول القفر الياب ، وهوّل البحر ذي العباب ، يهدي إليك لباب
الألباب ، ويثقفك بجواهر الآداب ، متضائلاً في أسمال الاغتراب ،
مكفكفاً من عبرات الاكتئاب ، يتسلى بسلام الحجاب ، واستلام
الأبواب ، إلى أن أكرمته برفع الحجاب [فإيا روح ثنائيه بكيم الأحساب]
ويا قوح رياضه بديم السحاب ، ويا طيب طوبى وحسن مآب [ليمن
نصرت وآويت ، ووصلت وأذنت ، ما دعاك حتى لبنت ، ولا استسقاك
حتى سقيت ، ثاني عطفيه عن الشكوى إليك ، ناكص طرفه

١ ط : فخرهم .

٢ ومن كتاب له : سقط من ط ، والكلام متصل بما قبله .

٣ ط : وشفي الغليل وسقي الغليل .

عن^١ الإدلال عليك، علماً بأنّ الهلال ساعٍ إلى الكمال، وأنّ البدر مؤدٍ^٢
إلى الفجر، وأنّ انسجام القطر زعيم^٣ بابتسام الزهر .

إلى^٤ شجاً لا عِج في القلب مضطرب
ودمع أجفان عَيْنٍ قد شرفن به
ديناً للذي أسرة^٥ دُنْيَا وفيت به
إذا رددتُ سيفَ الهند عن دمه
وإن ضربت رواقاً دون حرمة
لتهني عليه وقد أهوت له نكب^٦
فبات يسعُرُ بردَ الليل من حرق^٧
وما بعيني عن مثواه من وسن^٨
جاش إليك به بحر^٩ من الكلم
حتى ترفرق بين الرقّ والقلم
ورحمة^{١٠} وُصِلت مِنِّي بذِي رحيم
فانما رُفعت^{١١} عن مهجتي ودمي
فإنها سترِي مُدَّتْ على حرَمي
لا تستقل لها ساقٌ على قدم
ويستثير دموع الصخر من ألم
وما بأذني عن شكواه من صمم

قال ابن بسّام : ونثر أبي عمر ، رحمه الله ، دون نظمه الرائق بكثير ،
فلذلك ما ألتعنتُ منه بالشيء اليسير ، وعولتُ على عارض شعره الهتين
الغزير .

١ ط : عل .

٢ ط : مؤد .

٣ الديوان : ٥١٦ .

٤ في النسخ : بحر ؛ والتصحيح عن الديوان .

٥ ط : أسوة .

٦ م ب : وحرمة .

٧ م ب و الديوان : رجعت .

٨ الديوان : حزن .

ما أخرجه من قصائده السلطانيات

حكى أبو مروان بن حيّان قال^١ : لما استوسق الأمرُ بقرطبةَ لسليمان حسيما وصفناه^٢ ، تعرّضَ لمُدحِهِ مَنْ كان ثوى بقرطبة يومئذٍ من بقيّة الشعراءِ العَميرين رجاءً في ثَمَدِ نوالِهِ ، فصاغُوا في مَدحِهِ أشعاراً حَسَنَةً استندَمُوا فيها إلى الدِّينِ والمروءة ، وأنشدَها أكثرُهم في مجلسٍ حَفَلِهِ علانيةً فأصغى وهشّ^٣ ، ثمَّ غلَّ المديحَ فما بَلَّ ولا رَشَّ ؛ وتمَّ لذلك تقويضُ الجماعةِ عن حضرةِ قرطبة ، وتخلّى الكثيرُ منهم عن ولايته ، فامتحى لذلك رَسْمُ الأدبِ بها ، وغلبَ عليها العُجْمَةُ ، وانقلبَ أهلُها من الإنسانيةِ المتعارفةِ إلى العاميّةِ الصَّريحَةِ ، وفارقوا الحرّيّةَ .

وكان ممّن شهِرَ امتداحَهُ للخليفةِ سليمانَ يومئذٍ^٤ ، وحفِظَ كلامُهُ من تلكِ الطَّبقةِ العليةِ ، كبيرُها أبو عمر أحمدُ بن محمد بن درّاج القسطليّ^٥ ، وقد كان إلى وقتِهِ ذلكِ ثاوياً بقرطبة ، بحسبِ أنَّ سليمانَ سَيجِرُهُ من الزَّمانِ ، وكان النجمُ أدنى من ذلكِ إليه . دَخَلَ عليه أوّلَ مجلسٍ كان له بالقصرِ فأنشده قصيدَتَهُ^٦ التي أوّلُها :

شَهِدَتْ لَكَ الْآيَاتُ^٥ أَنَّكَ عَيْدُهَا لَكَ^٦ حَنٌّ مَوْحِشُهَا وَأَبٌّ بَعِيدُهَا
[وَأَضَاءَ مَظْلِمِهَا ، وَأَفْرَخَ رَوْعِهَا وَأَطَاعَ عَاصِيَهَا ، وَلَانَ شَدِيدُهَا]

١ ط : قال ابن حيّان .

٢ الخليفة ... يومئذٍ : لم يرد في ط .

٣ ط : فمدحه بقصيدته .

٤ الديوان : ٦٠ - ٦٦ .

٥ س ب والديوان : الأعياد .

٦ الديوان : بك .

وَصَفَتْ بِكَ ١ الدُّنْيَا فَنُشِبُّ كَبِيرُهَا
 مَا كَانَ أَجْمَدَ قَبْلَ نَوْثِكَ ٢ بِحَرِّهَا
 فَارْتَاخَ بَيْتُكَ فِي أَبَاطِحِ مَكَّةِ
 لِيَمُوءَ أَكْبَبُ صَهْلِكَ إِلَيْكَ خَبِيرُهَا
 شَغَفًا بِدَعْوَتِكَ الَّتِي قَدْ طَالَمَا
 [حَتَّى ارْتَفَعَتْ مِنَ الْمَنَازِلِ رُتْبَةً
 فِي قُبَّةِ الْمَلِكِ الَّتِي صَنَاهَا جَنَّةُ
 صَدَقَتِكَ أَيَّامَ التَّزَالِ ٣ سِيُوفُهَا
 يَا سَاعَةَ ٤ مَقْطُوعَةَ أَرْحَامِهَا
 يَوْمًا ٥ أَذَلَّ كِرَامَهُ لِكِسَامِهِ
 وَتَوَاكَلَتْ أَبْطَالُهَا فِي كَرْبَةِ
 لَا يَهْتَدِي سَمَتَ النِّجَاجَةِ دَلِيلُهَا
 حَتَّى طَلَعَتْ لَهُمْ بِأَسْعَدِ غُرَّةِ

ومنها :

وَاسْتَوْدَعُوا جَنِيَّ شُرْئِيبَةَ ٦ وَقَعَةَ
 دَلَّعُوا إِلَى شَهْبَاءَ حَانَ حَصَادُهَا

فِي إِثْرِ مَا قَدْ كَانَ شَابَ وَلِيدُهَا
 فَالآنَ فُجِّرَ بِالنَّدَى جُلْمُودُهَا
 لِمَعَادِ أَيَّامٍ دَنَا مَوْعُودُهَا
 وَكُتَابُ خَفَقَتِ عَلَيْكَ بَنُودُهَا
 عَمَّرَتْ تَهَائِمُهَا بِهَا وَنُجُودُهَا
 عَزَّتْ بِهَا غُرُّ الرِّجَالِ وَصِيدُهَا
 وَزَنَاقَتُهُ أَطْنَابُهَا وَعَمَّودُهَا
 ضَرَبْنَا وَفِي يَوْمِ التَّفَارِ عُمُودُهَا
 لَا الْبَرُّ شَاهِدُهَا وَلَا مَشْهُودُهَا
 وَسَطَّتْ بِأَحْرَارِ الْمُلُوكِ عَيْدُهَا
 عَيَّتْ بِهَا سَادَاتُهَا وَمَسُودُهَا
 دَهَشْنَا وَلَا وَجْهَ السَّدَادِ سَدِيدُهَا
 طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ فِي السَّمَاءِ سَعُودُهَا

هَزَّ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ رَعُودُهَا
 وَطَلَّى رُؤُوسَ الدَّارِعِينَ حَصِيدُهَا

١ ب س والديوان : لنا .

٢ ط والديوان : يومك .

٣ في النسخ : النوال ، وقراءة الديوان أدق .

٤ الديوان : في ساعة .

٥ الديوان : يوم .

٦ في النسخ : جبي شرفية ؛ وشربة نهر من فروع تاجه يسمى اليوم Rio Jarama ،

قاله محقق الديوان : ٦٣ .

وشِعَابٍ قَتَيْشٍ^١ وَقَدْ حَشَرَتْ لَهُمْ
 تَرَكُّوا بِهَا ظَهَرَ الصَّعِيدِ وَقَدْ غَدَا
 وَكَتَابُ الْإِفْرَنْجِ إِذْ كَادَتْكَ فِي
 بسوابجٍ فِي لُجٍّ بِحَرِّ سَوَابِجٍ
 وَلَقَدْ أَضَافُوا نَسْرَهَا وَغَرَّابَهَا
 شِلْوً لَأَرْمَنَقُودَهَا^٦ حَشَدَتْ بِهِ
 وَدَتُوا لَهَا فِي آرٍ^٧ تَحْتَ صَوَارِمٍ
 مِنْ بَعْدَمَا قَصَفُوا الرَّمَاحَ وَأَصْلَتُوا
 فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ لَهَا صُلْبَانُهَا
 وَبِجَانِبِ [الْغُرْبِيِّ]^٩ إِذْ قَدَّمَتْهَا
 ضَرَبُوا عَلَى الْأَخْدُودِ هَامَ حُمَاتِهِ
 فِي وَقْعَةٍ قَامَتْ بَعْدُ رِ سَيُوفِهِمْ
 وَيَضِيقُ فِيهَا الْعُدْرُ عَنْ خَطْبِيَّةٍ

أَمَّمْ بَغَاةً لَا يُكْفَى^٢ عِيدُهَا
 بَطْنًا، وَأَجْسَادُ الْعِدَاةِ^٣ صَعِيدُهَا
 أَشْيَاعِهَا وَاللَّهُ عَنْكَ يَكِيدُهَا^٤
 فَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ مَدُّودَهَا
 وَقَرَاهُمَا^٥ طَاغُوتُهَا وَعَمِيدُهَا
 لِلزَّحْفِ ثُمَّ إِلَى الْجَحِيمِ حَشُودَهَا
 وَرَبَّتْ بِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ زُنُودَهَا
 بِيضًا بِشَايِعٍ^٨ حَدَّهَا تَوْحِيدُهَا
 فِي ظِلِّ هَبْوتِهَا فَحَانَ سَجُودَهَا
 شُعْنًا يُبَشِّرُ بِالْفَتْوحِ شَهِيدُهَا
 حَتَّى عَبْرَنَ وَجَسْرُهَا خَلُودَهَا
 لَوْ ذَابَ مِنْ حَرِّ الْجَلَادِ حَدِيدُهَا
 سَمَرَاءَ لَمْ يُورِقْ بِكَفِّكَ عَوْدَهَا

١ اسم المعركة التي دارت بين المستعين والمهلي سنة ٤٠٠ هـ .

٢ الديوان : يكت .

٣ الديوان : الفواة .

٤ في النسخ : يعيدها ، ورواية الديوان أصح .

٥ هذه هي قراءة الديوان ، وفي الأصول : وقوامها ، ولا أراه صواباً .

٦ أرمَنَقُود (Ermengaud) قد مر التعريف به ص : ٣٦ . وقد قتل في عقبه
 البقر .

٧ آر (Guadiaro) واد في جنوب الأندلس كانت عنده الوقعة بين المستعين والمهلي
 في ٦ ذي القعدة ٤٠٠ هـ ؛ ورواية الديوان : ودنت لها في آر .

٨ الديوان : يشجع .

٩ زيادة من الديوان .

ففيها رأيت العزَّ حيثُ تَريدُهُ^١ وسوابغِ النعماءِ حيثُ تُريدُها
 فاقبَلْ فقد ساقَتْ إليك مُهورَها أكفَاءُ حَمْدٍ لا يَدَمُّ حَمِيدُها
 بِدَعَا من النظمِ النقيسِ تشابهَتْ فيها الجواهرُ دُرُّها وفريدُها
 وَلِيَهْنِيهَا^٢ أَيَّامُ عِزِّ كُلِّها عيد وأنت لمن أطاعَكَ عيدُها

ومدحه أيضاً بقصيدة أخرى أولها^٣ :

هنيئاً لهذا المُلْكِ رَوْحٌ ورِيحانُ وللدِّينِ والدُّنيا أمانٌ وإيمانُ
 فَإِنَّ قَعِيدَ الخِزْيِ قد ثُلَّ عَرَشُهُ وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَليمانُ
 سَمِيَّ الَّذِي انْقَادَ الْأَنَامُ لَأَمْرِهِ فلم يعصِهِ في الأرضِ إنسٌ ولا جانُ
 وَقَامَ فَقَامَتْ لِلْمَعَالِي مَعَالِيهِم وللخيرِ أسواقٌ وللعدلِ مِيزَانُ
 وَجَدَّ لِلإِسْلَامِ سُورٌ^٤ خِلافةُ عليها من الرَّحْمَنِ نُورٌ وبرهانُ
 وَأَكْدَهَا عَهْدٌ لَا كَرَمَ مَنْ وَقَى بعَهْدٍ ، زَكَتْ مِنْهُ عُهُودٌ وأَيْمانُ
 قَرِيبُ^٥ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمَةٍ ، وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قَرِيشٌ وعدنانُ
 وَمَا سَاقَتْ الشُّورَى وَأَوْجَبَهُ التَّقَى وَأَوْرَثَ ذَوِ النُّورَيْنِ عَمُّكَ عثمانُ
 وَمَا حَاكَتْ^٦ فِيهِ السَّيُوفُ وَحَاذَهُ^٧ إِلَيْكَ أَبُو الْأَمْلَاقِ جَدُّكَ مروانُ

ومنها في صفة رجالٍ حَرَبِهِ ، وهومن جَيِّدِ الكلامِ وَحُرِّ النِّظامِ^٨ :

وَقَدْ لَمَعَتْ حَوْلَيْكَ مِنْهُمْ أَسِنَّةٌ تُخَيِّلُ أَنَّ الْحَزْنَ وَالسَّهْلَ نِيرَانُ

١ الديوان : رأينا توده .

٢ الديوان : ولتهننا .

٣ انظر الديوان : ٥٤ - ٥٩ .

٤ الديوان : الشرك .

٥ ط : ميدان .

٦ الديوان : ثوب .

٨ س ب : حكمت .

٧ س ب والديوان : سمي .

٩ س ب . كلامه ... نظامه .

أَسُودُ هَبَاجٍ مَا تَزَالُ تَرَاهُمْ
وَأَقْمَارُ حَرَبٍ طَالَعَاتٌ كَأَنَّمَا
وَكُلُّ زَنَاتِي كَانَ حُسَامَهُ
وَأَبْيَضَ صِنْهَاجٍ كَانَ سِنَانَهُ
تَطِيرُ بِهِم نَحْوَ الْكُرَيْبَةِ عِقْبَانُ
عَمَائِهِمْ فِي مَوْقِفِ الرُّوعِ^١ تِجَانُ
وَهَامَةٌ مِنْ لَأْقَاهُ نَارٌ وَقُرْبَانُ^٢
شِهَابٌ إِذَا أَهْوَى لِقَرْنٍ وَشَيْطَانُ

ومنها في وصفٍ صلحٍ والندبِ إليه^٣ :

وَقُلْتُ لَعَاَ لِلْعَائِرِينَ كَأَنَّهُ
وَقَدْ أَمِنَ التَّشْرِيبَ إِخْوَةُ يُوسُفَ
وَحَنَّتْ لِدَاعِي الصُّلْحِ بَكَرٌ وَتَغَلَّبَ
وَفَازَتْ قُدَاحُ الْمُشْتَرِي بِسُغُودِهَا
نُشُورٌ لِقَوْمٍ حَانَ مِنْهُمْ وَقَدْ حَانُوا
وَأَذْرَكَهُمْ لِلَّهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ
وَشَفَعَتِ الْأَرْحَامَ عَبَسُ^٤ وَذُبْيَانُ
وَسَالَمَ^٥ بِهَرَامٍ^٦ وَأَعْتَبَ كَيَّوَانُ

وله من أخرى في منفر بن يحيى ، حين قَدِمَ عليه صاعدُ اللُّغَوِي^٧ :

عَلَاَ فَحَوَى مِيرَاثَ عَادٍ وَتُبَّعَ
فَأَعْرَبَ عَنْ أَقْوَامٍ^٨ يَغْرُبُ^٩ وَاحْتَبَى^{١٠}
وَمِنْ حَمِيرٍ رَدًّا الْقَنَا أَحْمَرَ الدُّرَى
وَمَا نَامَ عَنْهُ عِرْقٌ قَحْطَانٌ إِذْ فَدَى
بِهَمَّتِهِ الْعُلْيَا وَنِسْبَتِهِ الدُّنْيَا
فَلَمْ يَنْسَ مِنْ هَوْدٍ سَنَاءً وَلَا هَدْيَا
وَمِنْ سَبَأٍ قَادَتْ كِتَابُهُ السَّبْيَا
عُرُوقُ الثَّرَى مِنْ غُلَّةِ الْقَحْطِ بِالسَّقْيَا

١ ط : الحرب .

٢ وقع هذا البيت متقدماً على الذي قبله في ط ؛ ورواية الديوان : بكل زناتي .

٣ في وصف ... إليه : سقط من ط .

٤ من ب : وساعده .

٥ الديوان : ١٧٣ .

٦ الديوان : إقدام .

٧ ط : واحتوى .

وما أسكنت^١ عنه السكون سيادة^٢ ولا كندت^٣ أسيفه ملك كندة ولا أقعدته^٤ عن إجابة صارخ وكائن له في الأوس من حق أسوة هم أورثوه نصر دين محمد مناقب أدوها إليه ورائته وصوت ثناء أسمع الله ذكره

ولا رصيت^٥ طي لراحته طياً فترك في أركان عزتها^٦ وهياً تجيب ولوحبوا إلى الطعن أومشياً بنصب الهدى جهراً وبذل الندى خفياً وحازوا له فخر الندى والقرى وحيأ فكان لها صدراً وكانت له حلياً ليسمع منه الصم أو يهدي العميا

[ومنها في ورود صاعد اللغوي] :

وأهدت له بغداد ديوان علمها فكانت كن حيا الرياض بزهرها وحسب رواة العلم أن يتدارسوا ويكفي ملوك الأرض من كل مفخر إذا لمعت زرق الأسيمة^٧ حوله وقد لاذ أبطال الجلال بعطفه وقد قصرت عنه رماح عداته

هدية من والى وتحقفة^٨ من حيا وأهدى إلى صنعاء من نسجها وشيا مآثره حفظاً وآثاره وعيا إذا امثلوا من بعض أفعاله شيا كإضرام نيران الهموم جواليا كما لا ذ^٩ أطفال الجلاء بعطفيا كما قصرت عنهم رياش جناحيها

ومنها :

فيالك من ذكري سناء ورفعة إذا وضعوا في التراب أيمن شقيا^{١٠}

١ ط : وما استكنت ؛ الديوان : ولا أسكنت .

٢ في النسخ : زيادة ، وصوبته عن الديوان .

٣ في النسخ : فترك ؛ س ب : عزته .

٤ الديوان : بنصر .

٥ الديوان : ونخبة .

٦ الديوان : بيض الصوارم .

٧ الديوان : عاذ كما عاذ .

٨ هذه هي القراءة الصحيحة ، لأن الميت يصبح عل شقة الأيمن ؛ وهي قراءة ط ب ؛

وفي الديوان «جنبا» ، وهو بمعناه .

فَأَخْزَيْنَ أَيْاماً دُفِنْتُ بِهَا حَيّاً
إِذَا لَمْ يُفِدْ شَيْئاً وَلَمْ يُغْنِنِي شَيْئاً
وَعَوَّضْتُ فَأَسْتَقْبَلْتُ أَمْعَدَ يَوْمِيَا
لِقَارِعَةِ الْبُلُوَى وَكَانَا عَتَادِيَا
بِجَرِّيكَ^١ مَا أَنْزَقْتُ مِنْ مَاءٍ خَلِيَا
تَنْبِرُ لَنَا صُبْحاً ثَنَاهُ الْأَسَى مُسِيَا^٢
وَيَا غَلَّتِي إِنْ أَبْطَأَ الْغَيْثُ بِالسَّقِيَا
تَقَلَّبَ وَجْهِي فِي السَّمَاءِ وَكَفَيْتَا
سَيَرَجُ عَنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَقَدْ حَيَا
بَظَلِ ابْنِ يَحْيَى بَعْدُ ظِلًّا وَلَا فَيَا

وَفَاحَتْ لِيَالِي الدَّهْرِ مِنِّي مَيِّتَا
وَكَانَ ضِيَاعِي حَسْرَةً وَتَنْدُماً
وَأَصْبَحْتُ فِي دَارِ الْغَنَى عَنْ ذَوِي الْغَنَى
سَوَى حَسْرَتِي عَرْضٍ وَوَجْهٍ تَضَعُضَعَا
فِيَا عَبَّرْتِي سُحْيٍ لَعَلِّي مَبْلَلُ
وَيَا زَفَرْتِي هَلْ فِي وَقُودِكَ جَدْوَةٌ
وَيَا خَلَّتِي إِنْ سَوَّفَ الْغَوْثُ بِالْمُنَى
فَقُومَا إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ فَأَسْعِدَا
عَسَى مَيِّتَ الْأَظْمَاءِ فِي رَوْضَةِ النَّدَى
وَيَا أَوْجَهَ الْأَحْرَارِ لَا تَتَبَدَّلْ لِي

وله فيه من أخرى ٣ :

نَوَّءُ الْكَوَاكِبِ مُخَوِّبَا أَوْ مُمَاطِرَا
وَرَقَلْتُ فِي خِلْعِ السَّوْمِ مُهْجِرَا
وَتَرَكْنُ مَأْلُوفَ الْمَاعِدِ مُقْفِرَا
أَمْوَاجُهُ ، وَالْبَرَّ حَيْثُ تَنَكَّرَا
أَبْدَأُ وَلَا عَنْ بَحْرِ جُودِكَ مَصْلُوا
يُزْجِيهِ نَحْوُكَ كُلُّ مُحِبِّكَ الْقَرَا

لَبَيْتِكَ ، أَسْمَعْنَا نِدَاكَ وَدُونَنَا
فَسَرِيتُ فِي حَرَمِ الْأَهْلَةِ مُظْلِمَا
ظَعْنُ الْفَنِّ الْقَفَرِ فِي غَوْلِ الدُّجَى
يَطْلُبُنْ لَجْجُ الْبَحْرِ حَيْثُ تَقَادَفَتْ
هَيْمٌ وَمَا يَبْغَيْنِ دُونَكَ مَوْرِدَا
مِنْ كُلِّ نِضْوِ الْآلِ مُحِبُّوكِ الْمَنَى

١ الديوان : ببحر بك .

٢ ثناه الأسى مسيا : أي أن الأسى رد الصباح مساء ، وهي قراءة ط ب والديوان ، وفي المطبوعة « ثناه الأسى نسيا » ، ولا أراه صحيحا .

٣ انظر الديوان : ١٢٤ - ١٣١ .

٤ ط : موج .

بُذُنَ قَدَتَ مِنَّا دَمَاءَ نُحُورِهَا
نَحَرَتَ بِنَاصِدَرِ الدَّبُورِ فَأَنْبَطَتْ
خَوْصٌ فَحَنَ بِنَا الْبَرَى حَتَّى انْثَنَتْ
وَصَبَتْ إِلَى نَحْرِ الصَّبَا فَاسْتَخْلَصَتْ
نَدَرَتْ لَنَا أَلَا تُلَاقِي رَاحَةً
لِلَّهِ أَيُّ أَهْلَةٍ بَلَغَتْ بِنَا
فَلَكِنَّ صَفَاءَ مَاءِ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي
وَلَنْ خَلَعْتَ عَلَيَّ بَرْدًا أَخْضَرَا

ومنها :

أَبْنَيْ لَا تَذْهَبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً
فَلَنْ تَرَكَتَ اللَّيْلَ فَوْقَ دَاجِيَا
وَحَلَكْتَ أَرْضًا بَدَلْتَ حَصَاوِهَا
وَلَتَعْلَمَ الْأَمْلَاكُ أَنِّي بَعْدَهَا ٢
وَرَمَى عَلَيَّ رِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي

ومنها :

كَلَّا وَقَدْ آنَسْتُ مِنْ هُوْدٍ هَدَى

بِيقَاتِهَا ١ فِي كُلِّ أَفْقٍ مَنَحَرَا
قَلَقَ الْمُضَاجِعَ تَحْتَ جَوٍّ أَكْثَرَا
أَشْلَا وَهْنٌ كَمِثْلِ أَنْصَافِ الْبَرَى
سَكَنَ اللَّيَالِي وَالتَّهَارَ الْمُبْصِرَا
مِمَّا تُلَاقِي أَوْ تُلَاقِي مَنْسَلَا
يُمْنَاكَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ الْمُقْمِرَا
فَبِمَا شَرَقْتَ إِلَيْكَ بِالْمَاءِ الصَّرَى
فَلَقَدْ لَبِسْتُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا

عَنْ غَوْلٍ رَحَلِي مُنْجِدًا أَوْ مُغَوْرًا
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
ذَهَبًا يَرِفُ لِنَظِيرِي وَجَوْهَرَا
أَلْفَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
مَلِكٍ تُخَيِّرُ لِلْعُلَا فَتَخَيَّرَا
مَنْ كَانَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى أَجْدَرَا

وَلَقِيتُ يَعْزُبُ فِي الْقُبُولِ وَحِمِيرَا

١ الديوان : بيقاتها .

٢ الصرى : الماء الذي طال ركوده .

٣ الديوان : وليعلم ... بعدهم .

٤ جار مجرى المثل : انظر فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ .

وَأَصَبْتُ فِي سَبَأٍ مُورَثَ مُلْكِهَا
فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تُبْعَ رَافِعَا
وَالْحَارِثَ الْجَفْنِيَّ^١ مَمْنُوعَ الْحَمَى
وَحَطَطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمٍ
وَلَقِيتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَوَائِقَ ذِمَّةٍ
وَأَتَيْتُ مَجْدَكَ^٢ تَوْهَرُ يَرْفَعُ مِنْبَرًا
وَحَطَطْتُ بَيْنَ جِفَانِهَا وَجَفُونِهَا
تِلْكَ الْبُدُورُ تَابَعْتُ وَخَلَقْتُهَا

يَسْبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدِبُ لَهَا الْفَرَا
أَعْلَامُهُ مَلِكًا يَدِينُ لَهُ الْوَرَى
بِالْخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْذُولَ الْقِرَى
أَيَّامَ يَقْرِي، مُوسِرًا أَوْ مُعْسِرًا
يَكْسُو^٣ غَلَاثِلُهَا الْجِيَادَ الضُّمَرَا
مَشْدُودَةَ الْأَسْبَابِ مَوْثِقَةَ الْعُرَى
لِلدَّيْنِ وَالذُّنْيَا وَيَخْفِضُ مِنْبَرَا
حَرَمًا أَبَتْ حُرُمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا
سَعِيًّا فَكُنْتُ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيَّرَا

قال أبو الحسن : أراه احتذى في هذه الأبيات الأخيرة حَدَوَ أبي الطَّيِّبِ
في ابن العميد^٤ حيث يقول^٥ :

من مُبْلَغُ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا
وَلَقِيتُ^١ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتُبِهِ
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا

جَالَسْتُ رَسْطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا
مُتَبَدِّيًا فِي مُلْكِهِ مُتَحَضِّرَا
رَدَّ الْإِلَهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا
وَأَتَى^٢ «فَدَلِيكَ» إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا

١ الحارث الجفني ، أي أحد ملوك بني جفنة الغسانيين .

٢ س ب : تكسو .

٣ هذه هي قراءة ط ؛ وفيه ب س : نجدك ؛ وفي الديوان « مجدل » وهو شيخ الكلبيين
الذين فصرُوا الأُمُويَّةَ في معركة مرج راهط .

٤ ط : أرى القسطلي ذهب مذهب أبي الطيب حيث يقول في قصيدة يمدح بها ابن العميد

٥ ديوان المتنبي : ٥٤١ .

٦ الديوان : وسمعت .

وقوله «خوص» تفحّن بنا البري... البيت، معنى مشهور، وهو في الشعر كثير، ومنه قول بعض أهل العصر، وهو أبو جعفر بن هريرة التطيلي يصف إبلًا^١ :

كانَصافِ البري وتَدِقُّ عنها شَوَاهَا دِقَّةً تَسَعُ الجلالا
وكذلك قوله : «لله أي أهلة» ... البيت ، كقول أبي جعفر المذكور^٢ :

كُلُّ عَوْجاءَ^٣ كالهللِ عليها كَلُّ ذِي تُدْرَلِ كَبْدِرِ الكمالِ
وأنشيدت لابن بَيَّاعِ السَّبْتِي :
وَرَدَّتْ بِهَا التَّسَوِّفَةُ وَهِيَ بَدْرٌ فلم أضدُرُّ بها إِلَّا هلالا
وقوله : «ورمى علي رداءه» من دونهم «أشار إلى لفظ الهذلي»
دون معناه وهو :

ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سلَّ عن ماجدٍ محضٍ
وذكر الرواة أنه لا تعرف العرب رجلاً مدح من لا يعرفه غير أبي
خِرَاشٍ الهذلي هذا ، وكان خراش وعمه عروة غزوا فأخذوا ، وهموا
بقتليهما ، فنهاهم بنو دارم وأبى بنو هلال إلا قتلتهما ، فأقبل رجل

... ..

١ ط : أهل وقتنا يصف إبلا . وانظر ديوان الأعمى التطيلي : ٢٤٣ - ٢٤٥ وهو من قصيدة كتبها إلى ابن بَيَّاعِ السَّبْتِي الذي يرد ذكره فيما يلي .

٢ ط : كقول بعض أهل العصر ، وانظر ديوان التطيلي : ٢٥٠ وهو مأخوذ عن الذخيرة إلا أنه يلتزم في موضعه من القصيدة : ٣٨ ، ص ١٠٠ - ١٠٥ .

٣ ط : هوجاء .

٤ ط : بيت .

٥ ديوان الهذليين : ١٢٣٠ .

من بني دارم فالتقى على خراشٍ رداءه ، وشغل القومُ بقتل عروّة ،
وقال الرجلُ لخراشٍ : انج ، فنجّا إلى أبيه وأخبره الخبر ، فقال الأبيات التي
أولّها :

حمِدْتُ إِلَهِي بعدَ عُرُوّةٍ إذ نجا خراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعضٍ
وحكى عليُّ بنُ العباسِ التّوحيجيُّ قال : قال لي البحريُّ : أتدري من
أين أخذَ أبو نواسٍ قولَه :

ولم أدْرِ من همُ غيرَ ما شهدت به بشرقي سباطِ الديارِ البسابس^١
فقلتُ : لا ، قال : من قول أبي خراشٍ : « ولم أدْرِ من ألقى عليه
رداءه » ... البيت ، قلتُ له : والمعنى مُختلف ، قال : أمّا ترى حدوّ
الكلامِ واحداً ؟

وقال القسطليُّ يمدحُ الوزير^٢ أبا الأصغر عيسى بن سعيد القطّاع^٣ :
أفي مثليها تنبؤُ أباديكَ عن مثلي
وقد آمنَ المِقدارُ ما كنتُ أتقي
وأذن صرْفُ الدّهرِ سماعاً وطاعةً
وناديت بالإنعامِ في الأرضِ والتفتُ
وهذا مُقامي مُنذُ تسعٍ وأربعٍ
كأنّي لم أحلّل ذرّاكَ ولم أقِم
وهدي الأمانِي فيكَ جامعةُ الشملِ
وأرخصتِ الأيّامُ ما كنتُ أستغني
لما فُهِت من قولٍ وأمضيت من فعلٍ
يُمنّناك أشتاتُ الطرائقِ والسبلِ
رجائي في قبلي وحظّي في غلّ
مُنّاخِ المطايا فيه مُرتَهَنُ الرحلِ

١ ديوان أبي نواس : ٢٩٥ .

٢ ط : من أخرى في الوزير .

٣ سيعرف به ابن بسام في هذا القسم الأول من اللخيرة ؛ وقصيدة ابن دراج هذه في ديوانه :

٤٣ - ٤٨ .

٤ الديوان : فيك .

وَأَغْضَىٰ عَنِ الْبَرْقِ الَّذِي شِيمَ لِلْهِجَا
وَلَمْ تُصَفِّنِي خُلُقًا أَرْقَ مِنْ الْهَوَى
وَلَمْ تُثْنِ عَنِّي فِي مَوَاطِنَ جَمَّةٍ
وَلَمْ أَطْوِسْ إِلَّا كُنْهَالِ مُحَاكِمًا
وَكُنْتُ وَمِفْتَاحُ الرِّغَائِبِ ضَائِعٍ
وَلَانِي فِي أَفْيَافِ ظِلِّكَ أَشْتَكِي
وَأَعْقِدُ بِجَبَلٍ مِنْكَ بَيْنَ الْوَرَى حَبْلِي
وَلَمْ تُؤَلِّ نِعْمَتِي أَلَدًا مِنَ الْوَصْلِ
سَيُوفًا حِدَادًا قَدْ سُلِّلْنَ عَلَى قَتْلِي
إِلَيْكَ خُطُوبًا شَيَّبَتْ مَفْرَقَ الْوَصْلِ
مَلَاذِي فَهَذَا بِأَبْهَاطِ ضَائِعِ الْقَوْلِ
شَكِيَّةَ مُوسَى إِذْ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ١

وهذا البيت من لَفْظِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ ، وَقَدْ أَقْدَمْتُ عَلَى مِثْلِ هَذَا جَمَاعَةٌ
مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْ مَحْدِثِينَ وَقَدْ مَاءٌ ، فَمِنْ غَالٍ مُتَسَوِّرٍ ، وَمِنْ آخِذٍ ٢
مُعْتَدِرٍ ، قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّي ٣ :

كُنْتُ مُوسَى وَافْتَهُ بِنْتُ شُعَيْبٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ فَيْكَمَا مِنْ فَقِيرٍ
وَأَخَذَهُ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا ، وَهُوَ حَسَنُ بْنُ الْمُصِيبِيِّ ٤ فَقَالَ لِلْمُعْتَدِ
ابْنِ عَبَّادٍ :

كَبِنْتُ شُعَيْبَ إِذْ زُقْتُ لِمُوسَى وَلَكِنْ لِلشُّرَاءِ هُنَا مَزِيدٌ
وَمِنْ آخِرِ مَنْ رَكِبَ هَذَا الْأَسْلُوبَ فِي مُكَابَرَةِ الْحَقَائِقِ ، وَأَضَلَّ
مِنْ ذَهَبِ هَذَا الْمَذْهَبِ الْغَرِيبِ ، مِنْ الْاجْتِرَاءِ عَلَى الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ،
الْمُنْفَتِلِ ٥ بِقَوْلِهِ :

وَقَدْ كَانَ مُوسَى خَائِفًا مُتَرَقِّبًا فَقِيرًا وَأَمَنَّتِ الْمَخَافَةُ وَالْفَقْرُ

١ بعد هذا البيت وقع خرم في ب ضاعت بسببه أوراق .

٢ ط : آخر .

٣ شروح المقط : ٣

٤ نجي . ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٥ سترجم له ابن بسام في هذا القسم من الذخيرة .

وستأتي قصيدته هذه في موضعها ، وتُنْتَظَمُ القِصَّةُ عنهُ بأجمعها .
وفي هذه القصيدة يقول ^١ القسطلّي :

وَلِيَّ النَّدَى أَصْبَحْتُ فِي دَوْلَةِ النَّدَى كَأَنِّي عَدُوُّ الْبُخْلِ فِي دَوْلَةِ الْبُخْلِ
يُقْتَلُ أَخْفَى الْيَأْسِ ^٢ أَحْيَا مَطَالِبِي لِبَالِي جَلَّ الْوَعْدُ عَنْ رُتْبَةِ ^٣ الْمَطْلِ
وَأَبْدِي لِلسَّعِ الدَّبْرِ وَجْهِي مُنَازِعَا وَقَدْ فَازَ غَيْرِي سَالِمًا بِجَنَى النُّحْلِ
وهكذا قول المتنبي :

ولا بدّ دون الشهد من ابر النحل

وقال ابن سارة الشنتريني :
لَهَا قِسْمَةٌ بَيْنَ الرُّوَاةِ وَبَيْنَكُمْ ^٤ فَمَنْ قِسْمَةُ ضَيْزَى وَمَنْ قِسْمَةُ عَدْلٍ
بِأَفْوَاهِهِمْ مِنْهَا جَنَى النُّحْلِ كَلِمَا رَوَّوْهَا وَفِي أَسْتَاهِكُمْ إِبْرُ النُّحْلِ
ومنها :

أَوَاصِلُ آنَاءِ الْأَصَائِلِ بِالضُّحَى وَزَادِي مِنْ جَهْدِي ، وَرَاحَتِي رَجْلِي
وهذا مما شرحه وأوضحه أبو الطيّب بقوله من المنسرح ^٥ :
لَنَا قِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْنَهُدُهَا
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا
ومنها :

إِذَا أَحْفَتِ الْفَرَسَانِ غُرَّ جِيَادِهِمْ ^٦ خَصَفْتُ بَرَجْلِي ^٧ مَا تَمَزَّقَ مِنْ نَعْلِي

١ ط : وفيها يقول . ٢ في النسخ : أصغى الناس ، وآثرت رواية الديوان .
٣ الديوان : ريبة . ٤ ديوان المتنبي : ٣ .
٥ الديوان : جياده . ٦ من والديوان : بوجهي .

وإنْ أَقْبَلُوا والمِسْكُ يَنْدَى عَلَيْهِمْ
وَلَا نْ شَغِلُوا لَهَا بِأَنْعَمِ كَفِّهِ
أَقْرُ عَيُونَ الشَّامِتِينَ وَلَيْتَنِي
أَمْرُهُمْ أَلْقَى الثَّرَى وَكَأَنَّمَا
إِذَا الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ أَنْفَدَ مَقْتَلِي
وَلَا ذَابَ حُرُّ الْوَجْهِ مِنْ حَرِّ نَارِهِمْ
وَمِنْ شِمَةِ الْمَاءِ الْقِرَاحِ — وَلَا نْ صَفَا —
وَلَا وَزَرَ إِلَّا وَزِيرٌ لَهُ يَسْدُ
أَبَا الْأَصْبَغِ الْمَعْنَى هَلْ أَنْتَ مُضْطَرِّحِي
فَأَكْسُولُكَ الْإِيَّامَ مِنْ حَرٍّ مَا أَشْي
وَحَتَّى مَتَى أُعْطِيَ الزَّمَانَ مَقَادَتِي
أَيَحْتَقِبُ الرُّكْبَانُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَيَنْتَقِلُ الشَّرْبُ التَّدَامَى بِلَدَائِمِي
وَضَيْفٌ بِحَيْثُ الطَّيْرِ تُدْعَى إِلَى الْقَرَى
وَسَيْفٌ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالزَّغْفَ مُقَدِّمًا
وَذَوْغَرَّةٌ مَعْرُوفَةٌ السَّبْقِ فِي الْمَدَى

أَتَيْتُ وَقَدْ ضُمَخْتُ مِسْكَأَمِنْ الْوَحْلِ
فَخْدَمَتُهُ لَهْوِي وَطَاعَتُهُ شُغْلِي
أَبْرَدُ مَا تَطْلُوِي الصُّدُورُ مِنَ الْغُلِّ
فُوَادِيٍّ مِنْ أَحَدِ أَقْهَمِ غَرَضِ النَّبْلِ
فَمَا فَزَعِي إِلَّا إِلَى الْأَرْقَمِ الصَّلِّ
فَمَا مُسْتَغَاثِي مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْمُهْلِ
إِذَا اضْطَرَمَّتْ مِنْ تَحْتِهِ النَّارُ أَنْ يَغْلِي
تُمْلُ عَلَى أَيْدِي الرِّبْعِ فَتَسْتَمْلِي
وَهَلْ أَنْتَ لِي مُغْنٍ وَهَلْ أَنْتَ لِي مُعْلِي
وَأَمْلَأُ سَمْعَ الدَّهْرِ مِنْ سَحَرٍ مَا أُمْلِي
وَقَدْ قَبِضَتْ كَفِّي عَلَى قَائِمِ النَّصْلِ
غَرَائِبَ أَنْفَاسِي وَأَلْقَاكَ فِي الرَّجْلِ
وَهِيَهَاتَ لِي مِنْ لَدَةِ الشَّرْبِ وَالْقَلِّ
يَضِيقُ بِهِ رَحْبُ الْمَاءَةِ وَالنُّزْلِ
يُرُوحُ بِلا غِمْدٍ وَيَغْدُو بِلا صَقْلٍ
وَقَدْ قَرِحَ التَّحْجِيلُ مِنْ حَلْقِ الشَّكْلِ

قَوْلُهُ: « وَمِنْ شِمَةِ الْمَاءِ الْقِرَاحِ ».. البيت، هو قول ابن أبي عيينة المهلهلي.^٢
وَلَا بُسْدٌ لِلْمَاءِ فِي مِرْجَلِي عَلَى النَّارِ مَوْقِدَةً أَنْ يَفُورَا

١ الديوان : الضلوع .

٢ هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة، أحد المطبوعين من الشعراء المولدين (انظر ترجمته في الاغانى ١٩ : ٢٠ وطبقات ابن المعتز : ٢٨٨ ومعجم المرزباني : ١٠٩ والشعر والشعراء : ٧٥٠) والبيت من قصيدة له في الشعر والشعراء : ٧٥١ والكاظم للمبرد ٢ : ٣٢ .

وينظرُ أيضاً معناه^١ - من طرفٍ عليلٍ - إلى بيتِ عُمارةِ بنِ عَقِيل^٢ :
وما النفسُ إلا نُطْفَةٌ بقرارةٍ إذا لم تُكَدَّرْ كان صفواً غديرها
وأخذه المعرّي وزاد حتى كاد يخفيه فقال^٣ :
والخلُّ كالماءِ تبلو لي ضمائرهُ مع الصفاءِ ويخفيها مع الكدرِ
وقولُه : « وَذُو غُرَّةٍ » ... البيت ، من قول أبي الطيّب^٤ :
وإن تكن محكماتُ الشكلِ تمنني ظهورَ جرّي فلي فيهنّ تصهالُ
وقال أبو العلامِ المعرّي يصفُ قصيدته من جملةِ أبياتٍ فقال^٥ :
حُجِلَتْ فلم يرها الذي قيدتْ له وَغَدَتْ بأفاقِ البلادِ تجُولُ
كالطرفِ يُقْلِقُهُ المَرَّاحُ صابغةً بالجرى وهَبَّ مقيدهُ مشكُولُ
وقال أبو الوليدِ بن زَيْدُون^٦ :
تَوَيَّ صَافِئاً في مربطِ الهونِ يشتكي بِتَصْهَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أَذَى الشَّكْلِ
وكرره ابن زيدون في موضع آخر فقال^٧ :
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِثَ الشَّوْصَافِينَ تَخَوَّنَهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطُ
وقال عبد الجليل^٨ للمعتمد بن عباد من جملة أبيات هي ثابتة في موضعها
من هذا المجموع^٩ :

١ ترجمة عمارة في طبقات ابن المعتز : ٣١٦ والأغاني ٢٣ : ٤٢٤ والخزاعة ٢ : ٤٩٧
وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٢ ومجمع الرزباني : ٧٨ والكمال ١ : ٢٩ ، ويته يردني القسم الثالث .
٢ شروح السقط : ٣٣ . ديوان المتنبي : ٥٠٢ .
٣ شروح السقط : ١٨٦ . ديوان ابن زيدون : ٢٦٧ .
٤ ديوان ابن زيدون : ٢٨٧ . عبد الجليل بن وهبون : تردد ترجمته في القسم الثاني .
٥ من جملة ... المجموع : سقط من ط .

أَتَتَكَ عَلَى خَلَائِفِهَا جِيَادِي وَإِنْ كَانَ الضُّبْيَاعُ لَهَا شِكَالَا
 وَقَالَ الْقُسْطَلِيُّ^١ يَمْدَحُ الْمُرْتَضَى، آخِرُ مُلُوكِ بَنِي مُرْوَانَ، مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا^٢ :
 جِهَادُكَ حُكْمُ اللَّهِ مَنْ ذَا يَرُدُّهُ وَعَزْمُكَ أَمْرُ اللَّهِ مَنْ ذَا يَصُدُّهُ
 وَطَائِرُكَ الْيَمْنُ الَّذِي أَنْتَ يَمْنُهُ وَطَالِعُكَ السَّعْدُ الَّذِي أَنْتَ سَعْدُهُ
 يَقُولُ فِيهَا :

وَبِعَةِ رِضْوَانِ رَعَى اللَّهُ حَقَّهَا لَمِنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِذْ غَابَ جَدُّهُ
 فَأَصْبَحَ فِي رَأْسِ الرِّيَاسَةِ تَاجُهُ وَنُظِّمَ فِي جَيْدِ الْخِلَافَةِ عِقْدُهُ
 مَسَرَّتُهُ مَأْوَى الْغَرِيبِ وَسِتْرُهُ وَلَدَّتْهُ خَيْرُ الْمَقِيلِ وَرِفْدُهُ
 وَأَجْنَادُهُ فِي مَوْقِفِ الرَّوْعِ رَوْضُهُ وَأَعْلَامُهُ فِي مَوْرِدِ الْمَوْتِ وَرَدُّهُ
 نُلَاعِبُ أَرَامِ الْفَلَاحِ مِنْ هَيْبَاتِهِ وَآرَامُهُ غُرُ الطَّرَادِ وَجُرْدُهُ
 وَتَقْتَرِشُ الدِّيْبَاجَ مِنْ جُودِ كَفِّهِ وَمَا فَرَّشُهُ إِلَّا الْجَوَادُ وَلِبْدُهُ
 وَمَنْ بَرَّحَ الْبَيْضُ الْحَسَانُ بَوَاجِدِهِ فَبِالْبَيْضِ فِي الْمَهْجَاءِ بَرَّحَ وَجَدُهُ
 [وَكُلُّ^٣ إِمَامٍ نَاصِرٍ أَنْتَ صِنُوهُ وَكُلُّ إِمَامٍ قَاهِرٍ أَنْتَ نَدُّهُ
 نَعْمُوكَ إِلَى بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَابْتَعْتُوا لَكَ الشَّرَفَ الْفَرْدَ الَّذِي أَنْتَ فَرْدُهُ
 فَأَفْخِرَ بِمَنْ قُرْبُ النَّبِيِّينَ فَخَرُهُ وَأُعْجِدَ بِمَنْ مَجْدُ الْخَلَائِفِ مَجْدُهُ]

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ^٤ :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الشَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بُيُوتَ الْعَاجِزِينَ قَبُورُ
 تُخَوِّفُنِي طُولَ السَّفَارِ وَإِنَّهُ لِيَتَقَبَّلَ كَفَّ الْعَامِرِيِّ سَفِيرُ

١ زاد في ط : من أخرى ، وسقط قوله : « من قصيدة أولها » .

٢ ديوان ابن دراج : ٨١ - ٨٦ .

٣ الديوان : بكل .

٤ ديوان ابن دراج : ٢٩٧ - ٣٠٤ .

ذَرِينِي ١ أَرِدْ ماءَ الْمَقَاوِزِ آجِنًا
فَإِنْ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضُمْتَنَ ٢

ومنها في وَصْفِ وَدَاعِهِ لِمَنْ تَخَلَّفَهُ، وَذِكْرِ ابْنِهِ الصَّغِيرِ، بِمَا لَا شَبِيهَ
لَهُ ٣ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مِثْلَ وَلَا عَدِيلَ ٤ :

وَلَمَّا تَدَاوَيْتَ لِلْوَدَاعِ وَقَدْ هَمَّ
[تُنَاشِدُنِي عَهْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى
عَيْبِي بِمَرْجُوعِ الْخَطَابِ وَلَقَطْهُ
تَبَوًّا مَمْنُوعَ الْقُلُوبِ وَمُهْدَتَ
فَكْلٍ مُفْدَاةَ التَّرَائِبِ مُرْضِعٍ
عَصَبَتِ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِوَ قَادِي
وَطَارَ جَنَاحُ الْبَيْنِ بِي وَهَمَّتْ بِهَا
لَتَيْنٌ وَدَّعَتْ مِنِّي غَيُورًا فَإِنِّي
وَلَوْ شَهِدْتَنِي وَالْهَوَا جُرْتُ لَتَلْتَطَيَّ
أَسْلَطُ حَرَّ الْهَاجِرَاتِ إِذَا سَطَا
وَأَسْتَنْشِقُ الْكُتُبَاءَ وَهِيَ بَوَارِحٌ
وَالْمَوْتَ فِي عَيْسِنِ الْجَبَانِ تَلَوْنُ
وَمِنْهَا ٥ :

وَقَدْ خَبِلَتْ طَرُقُ الْمَجْرَةِ أَتَهَا
عَلَى مَقَرِّقِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ قَتِيرِ

١ الديوان : دمي .

٢ ط : بما ليس له من شبه .

٣ ولا مثيل ولا عديل : سقط من ط .

٤ ط : واستطلي .

٥ ومنها : سقطت من ط .

وَدَارَتْ نَجُومُ الْقُطْبِ حَتَّى كَانَتْهَا كُؤُوسٌ مَهَا وَالِي بَيْنَ مُدِيرِ
لَقَدْ أَبْقَنْتُ أَنْ الْمُنَى طَوْعٌ هِمَّتِي وَأَنْتِي بَعِطْفِ الْعَامِرِي جَدِيرِ
ومنها :

وَلَمَّا تَوَافَرَا لِلسَّلَامِ وَرُفِعَتْ عَنْ الشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَسُورُ
وَقَدْ قَامَ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ دُونَهَا صَفُوفٌ وَمِنْ بَيْضِ السُّيُوفِ سَطُورُ
رَأَوْا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ اعْتَرَاظُهَا وَأَيَاتِ ١ صُنْعِ اللَّهِ كَيْفَ تُنِيرُ
وَكَيْفَ اسْتَوَى بِالْبِرِّ وَالْبَحْرِ مَجْلِسُ وَقَامَ بَعْبُ الرَّاسِيَاتِ مَسِيرُ
فَجَاؤُوا عَجَالًا وَالْقُلُوبُ خَوَافِسُ وَكَوَلُوا بِطَاءَ ٢ وَالتَّوَاطُرُ صُورُ
ومنها :

وَضَاءَ كُلِّ قَدَرِي فِي ذَرَاكَ عَوَاتِقُ جَرَّتْ لِي بَرَحًا وَالْقَضَاءُ عَسِيرُ
وَمَا شَكَرَ النَّخَعِي شُكْرِي وَلَا وَفَى وَفَائِي - إِذْ عَزَّ الْوَفَاءُ - قَصِيرُ
أَثَرَنِي لِحَطْبِ الدَّهْرِ وَالدهرُ مُعْضِلُ وَكُلَّنِي لِلْيَثِ الْغَابِ وَهُوَ هَاصِرُ
وَقَدْ تَخَفَضَ الْأَسْمَاءُ وَهِيَ سَوَاكِينُ وَيَعْمَلُ فِي الْفَعْلِ الصَّحِيحِ ضَمِيرُ
وَتَبُو الرُّدَيْنِيَّاتُ وَالطُّولُ وَافِرُ وَيَبْعُدُ وَقَعُ السَّهْمِ وَهُوَ قَصِيرُ
وله من أخرى في ابن أَرْزَقَ ٣ ، وهي أيضاً من حُرِّ كَلَامِهِ ، وَسِحْرِ
نِظَامِهِ ٤ :

أَخُو ظَمَأٍ يَمُصُ حَشَاهُ سَبْعُ وَأَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ ظِمَاءُ

١ ط : وآية .

٢ ط : فقد .

٣ وقال من أخرى ؛ أما ابن أَرْزَقَ فكان أحد كتاب مندر بن يحيى العجيبى صاحب سرقة .

٤ انظر ديوان ابن دراج : ٣٢٧ - ٣٣١ .

كَأَنجُمٍ يُوسِفُ عِدْدًا وَلَكِنْ
 خُطُوبٌ خَطَّابَتُهُمْ مِنْ دَوَاهِ
 تَرَاءَتْ بِالْكَوَاكِبِ وَهِيَ ظُهُرٌ
 [فَهَلْ نَظَرِي تَخْفَى أَوْ بَصْدَرِي
 وَكُلُّهُمْ كَيُوسُفَ إِذْ فَدَاهُ
 وَإِنْ سَجَنُ حَوَاهُ فِكْمُ حَوَاهُمْ
 نَقَائِدُ فِتْنَةٍ وَخُلُوفُ ذُلٍّ
 وَإِنْ أَقْوَتْ مَغْنَانِي الْعِزِّ مِنْهُمْ
 وَإِنْ ضَاقَتْ بِهِمْ أَرْضٌ فَأَرْضُ
] شَمُوسٌ غَالِمَا ذُعْرٌ وَبَيْنُ
 وَكَمْ لَبِسُوا مِنَ التُّعْمَى بُرُودًا
 رَمَتْ بِهِمُ الْحَوَادِثُ نَحْوَ مَوِي
 وَكَمْ عَسَفُوا إِلَيْهِ لُجَّ بَحْرِ
 [فَمَا ظَفَرُوا بِمِثْلِكَ نَجْمٍ سَعْدُ
 وَلَكِنْ عَدَّلُوا مِنْهُ حِسَابًا
 كَمَا زَجَرُوا مِنْ أَسْمِ أَيْلِكَ فَأَلَا

وله من أخرى ٤ :

فَمَا تَجَاوَزْتُ قِرْنَ الْمَوْتِ مَعْتَسِفًا

يَرُؤِيَا هَذِهِ بَرَحَ الْخَفَاءِ
 يَمُوتُ الْحَزْمُ فِيهَا وَالْدَّهَاءِ
 وَأَذْنَ فِيهِ بِالشَّمْسِ الْعِشَاءِ
 وَضَاقَ الْبَحْرُ عَنْهَا وَالْقَضَاءِ
 مِنْ الْقَتْلِ التَّغَرُّبُ وَالْجَلَاءِ
 سَجُونُ الْقُلُوكِ وَالْقَفَرُ الْقَوَاءِ
 أَلَدُّ مِنَ الْبَقَاءِ بِهِ الْقَنَاءِ
 فِكْمُ عَمَرَتْ بِهِمْ يَبْدُ خَلَاءِ
 فَمَا بَكَتْ لِمِثْلِهِمْ السَّمَاءُ
 فَهِنَّ لِكُلِّ ضَاحِيَةٍ هَبَاءِ
 جَلَاها عَنْ جُسُومِهِمُ الْجَلَاءِ
 حَمَاهَا الدِّينُ مِنْهُ وَالْوَلَاءِ
 تَلَاقَى الْمَاءُ فِيهِ وَالسَّمَاءُ
 بِهِ لَهُمْ إِلَى الْأَمَلِ انْتِهَاءِ
 [لَهُ فِيمَا دَعَاكَ ٣ لَهُ قَضَاءُ
 فَرُدَّتْ فِيهِ قَبْلَ الزَّأْيِ رَاءُ

إِلَّا وَقِرْنِي رَحِيمُ الدَّلِّ بَارِعُهُ

١ البيت غير واضح المعنى ، ونقله على حاله محقق الديوان ، إذ انفرد به وبالأبيات قبله كتاب النخبة ؛ وهو مما ورد في ط دون غيرها .

٢ الديوان : حواها الرق .

٣ ط : دعوت .

٤ ديوان ابن دراج : ١٣٧ - ١٤٥ .

نَحِيَّتِي مِنْهُ تَقْبِيلٌ وَمُعْتَنَقٌ
 لَمْ أَخْلَعْ الدَّرْعَ إِلَّا حِينَ شَقَّقَهُ
 وَلَا تَوَقَّيْتُ سَهْمًا مِنْ لَوَاحِظِهِ
 غَضَنُ تَجَرَّعَ أَنْدَاءَ الْغَمَامِ ٢ فَمَا
 يَمِيسُ طُورًا وَسُكْرُ الدَّلِّ عَاطِفُهُ
 فَاسْتَفْرَغَ الْخَصْرُ كَثْبَانًا تَبَاعِدُهُ
 فَبَيْتٌ تَحْتَ رُواقِ اللَّيْلِ ثَانِيَةٍ
 وَالسَّحَرُ يُسَحِّرُ مِنْ لَفْظِ بِنَازِعِي
 رَاحًا يَمُدُّ سَنَاهَا نُورُ رَاحَتِهِ
 كَأَنَّمَا ذَابَ ٤ فِيهَا وَرَدُّ وَجَنَّتِهِ
 فَيَا ظِلَّامَ ٥ نَجْجُومِ اللَّيْلِ إِذْ عَلِمْتُ
 [وَيَا حَيْنَ ظِلْبَاءِ الْقَفْرِ إِذْ فَقَدْتُ
 مَجَالَ طَرَفِي وَمَا حَازَتْ لَوَاحِظِهِ
 وَالطَّرْفُ مِرَاةٌ عَيْنِي أَسْتَدِلُّ بِهَا
 جَوْنًا أَزِيدُ بِهِ لَيْلَ الرَّقِيبِ دُجَى
 فَبَاتَ يَعْجَبُ مِنْ ظِلِّي بِصَارِعِي

يَشْدُ ثِيَابِي غُلَّةٌ عَنْهُ وَجَامِعُهُ
 عَنْ صُبْحِ صَدْرِي مَانِحِي ١ مَلَارِعُهُ
 يُذِيبُ سَيْفِي فِي قَلْبِي مَوَاقِعُهُ
 تَطَوَّقُ ٢ الدَّرْعَ إِلَّا ٣ وَهُوَ جَارِعُهُ
 وَتَارَةً ٤ وَأَنْثَنَاءُ الْوُشْيِ لِأَذْعِهِ
 وَأَنْبَتَ الصَّدْرُ رَمَانًا يَدْفَعُهُ
 وَالشُّوقُ ٥ ثَالِثًا وَالْوَصْلُ رَابِعُهُ
 وَالْمَسْكُ يَعْبَقُ مِنْ ٦ كَأْسِ أَنْازِعِهِ
 لَوْلَا الْمَهَا لَجَرَتْ فِيهَا أَصَابِعُهُ
 وَشَجَّهَا رَيْقُهُ الْمَعْسُولُ مَائِعُهُ
 بِلَدِّ السَّمَاءِ فِي حِجْرِي مَضَاجِعِهِ
 غَزَّالَهُنَّ ٧ فِي رَوْضِي مِرَاتِعِهِ
 وَحَرُّ صَدْرِي وَمَا ضَمَّتْ أَضْأَلَهُ ٨
 عَلَى الصَّبَاحِ إِذَا مَا خِيفَ سَاطِعُهُ
 وَيَسْتَنْيرُ ٩ لِي الْإِصْبَاحَ لَامِعُهُ
 وَقَدْ يَبْرِقُ ١٠ عَلَى لَيْثٍ أَصَارِعُهُ

١ الديوان : صفح ... تحوي .

٢ من والديوان : الذمعي .

٣ من والديوان : يطوق .

٤ ط : ذيب (اقرأ : ديف) .

٥ الديوان : ضلال .

٦ ط : فجال ... وحن ؛ والتصويب عن الديوان .

٧ الديوان : ويستثير .

٨ الديوان : يحن .

وما رأى قبلها قيرناً أعانقه
 حتى بدا الصُّبحُ مُشْمَطاً ذوائبه
 إلاَّ وودَّعَ نفساً لا تُراجعه
 يُطارِدُ اللَّيْلَ مَوْشِياً أكارِعه
 كأنَّ جَمَعَ ضلالٍ حانٍ مصره
 وأنت بالسَّيفِ يا منصورُ صارعه

قال أبو الحسن ^٢ : قوله « مَوْشِياً أكارِعه » : جعل ذوائب الصُّبحِ مُشْمَطَةً من مُمازجةِ اللَّيْلِ له ، وجعل أكارِعَ اللَّيْلِ مَوْشِيةً من مُمازجةِ الصُّبحِ لها ، وجعل آخرَ اللَّيْلِ من مَواخِرِهِ وهي المُتَّصِلَةُ بأوَّلِ الصُّبحِ ، وآخرَ الصُّبحِ من مُقَادِمِهِ وهي المُتَّصِلَةُ بآخرِ اللَّيْلِ ، وأصاب في الإشارةِ إلى التشبيهِ لأنَّه أوماً إلى أنَّ الصُّبحَ كالنَّورِ الوَحْشِيِّ وهو أبيضٌ ، والثَّيرانُ الوَحْشِيَّةُ كلها بيضٌ ، وأكارِعُها مَوْشِيَّةٌ خاصَّةٌ . وإنَّما أَلَمَّ القسطلِيُّ في هذا بِقَوْلِ أعرابيٍّ يَصِفُ لَيْلَةً : خرجنا في لَيْلَةٍ حِنْدِسٍ قد أَلْقَتْ على الأرضِ أكارِعَها فمحتْ صُورَ الأبدانِ ، فما كدنا نتعارفُ إلاَّ بالأذانِ . وقولُه : « فيا ظلامَ نجومِ اللَّيْلِ »... البيت ، من مَليحِ المعاني ، وقد أخذهُ إدريسُ بنُ اليماني ، فقال من جُمْلَةِ أُنْبياءِ هي ثابتةٌ في موضعها من هذا المجموع ^٣ :

بَدَرٌ أَلَمٌ وبدرُ اللَّيْلِ مُتَحِقٌ
 والافقُ محلَّوْلِكُ الأَرْجاءِ من حَسَدِ
 نَحِيرِ اللَّيْلِ فيه أين مَطَّاعُـهُ
 أما درى اللَّيْلِ أنَّ البدرَ في عَضُدِي؟

وله من أُخْرِى في عَليِّ بنِ حمودٍ ؛ قال ابنُ بسَّامٍ : وهذه القصيدةُ له طويلةٌ ، وهي من الهاشِميَّاتِ الغُرِّ ، بناها من المِسْكِ والدُّرِّ ، لا من الجِصِّ

١ ط : حاز .

٢ قال أبو الحسن : سقطت من ط .

٣ لم يردا في القسم الثالث من الكتاب :

والآجِرْ ، لا بل خَلَدَها حديثاً على الدَّهرِ ، وسَرَّ بها مَطَالَعَ النُّجُومِ الرُّهْرِ ؛
لو قَرَعَتْ^١ سَمْعَ دِعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيِّ ، وَالْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ،
لَأَمْسَكَ عَنْ الْقَوْلِ ، وَبَرَّثَا إِلَيْهَا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ ؛ بَل لَوْ رَأَاهَا السَّيِّدُ
الْحَمِيرِيُّ ، وَكَثِيرُ الْخَزَاعِيِّ ، لَأَقَامَاهَا بَيِّنَةً عَلَى الدَّعْوَى ، وَلَتَلَقَّيَاهَا
بِإِشَارَةٍ عَلَى زَعَمِهِمَا بِخُرُوجِ^٢ الْخَلِيلِ مِنْ رَضْوَى ؛ وَقَدْ أَثْبَتَ أَكْثَرُهَا
إِعْلَانًا بِجَلَالَةِ قَدْرِهَا ، وَاسْتِحْسَانًا لِعَجْزِهَا وَصَدْرِهَا ، وَأَوَّلُهَا^٣ :

<p>لَعَلَّكَ يَا شَمْسُ عِنْدَ الْأَصِيلِ فَكُونِي شَقِيْعِي إِلَى ابْنِ الشَّقِيْعِ فَإِنَّمَا شَهِدْتُ فَأَزْكَى شَهِيدِ عَلَى سَابِقٍ فِي قَبُودِ الْخَطُوبِ [يُنَادِي الثَّرَى ؛ لِسَقَامِ الضَّبَاعِ وَعَزَّ عَلَى الْعِلْمِ مِثْوَاهُ أَرْضاً وَيَعْجَبُ كَيْفَ دَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَكَيْفَ تَنَسَّمَ آلَ النَّبِيِّ وَأَطْنَوادُ عِزِّهِمْ مَائِلَاتُ وَأَبْحَرُهُمْ زَاخِرَاتُ إِلَيْهِ [تَجْزَأُ مِنْ جَنَّتِي مَأْرِبِ</p>	<p>شَجِيْتِ لِشَجْوِ الْغَرِيبِ الدَّلِيلِ وَكُونِي رَسُولِي إِلَى ابْنِ الرَّسُولِ وَأَمَّا دَلَلْتُ فَأَهْدِي دَلِيلِ وَتَجَمُّ سَنًا فِي غُثَاءِ السَّيُولِ وَيَشْكُو إِلَى الْمَلِكِ دَاءَ الْخُمُولِ [عَلَى حُكْمِ دَهْرٍ ظَلُومٍ جَهُولِ وَلَمْ تَنْقَصْ حَلَقَاتُ الْكُبُولِ وَأَبْطَأَ عَنْهُ شِفَاءُ الْعَلِيلِ لَهُ وَهُوَ يَرْنُو بِطَرْفِ كَلِيلِ وَيَرَشُفُ فِي الثَّمَدِ الْمُسْتَحِيلِ بِخَمَطٍ وَأَثَلٍ وَسَيْدَرٍ قَلِيلِ]</p>
--	---

١ ط : طويلة ، وإنما مررت فيها ألفاظ لو قرعت ... الخ .

٢ ط : في خروج .

٣ وقد أثبت ... وأولها : سقط من ط ؛ وانظر القصيدة في ديوان ابن دراج : ٧٥ - ٨١ .

٤ الديوان : الثاني .

٥ فيه إشارة إلى الآية : ١٦ من سورة سبأ .

ومنها :

شريدُ السيوفِ وفلُّ الحُتُوفِ
تَهَاوَتْ بِهِمْ مُصْعِقَاتُ الرُّعُوفِ
بِوَارِقٍ ظَلَمَاءٍ ظَلَمَ تَبِيحِ
فَإِذَا هَلَلَتْ مُرْضِعَةٌ عَنْ رَضِيعِ
فَمَا تَهْتَدِي الْعَيْنُ فِيهَا سَبِيلًا
[وَلَا يَعْرِفُ الْمَوْتُ فِيهَا طَرِيقًا
رَكِبَتْ لَهَا مَحْمَلًا لِلنَّجَاةِ
فَرُدَّتْ عَلَى عَقَبَيْهَا الْمَنُونُ
وَقَدْ سُمَّتْهَا بَنَفِيسَ التَّلَادِ
نُفُوسٌ حَنَّتْ قَوْسَ عَظْفِي عَلَيْهَا

يَكِيدُ بِأَفْلَازِ قَلْبٍ مَهُولِ
دِۡ ۱ فِي مَدَجِّنَاتِ الصُّحَى وَالْأَصِيلِ
دَمِيۡ ۲ مِّنْ حَمِيٍّ أَوْ دَمًا مِّنْ قَتِيلِ
وَأَنَسَى الْحَمَائِمَ ذِكْرَ الْهَلِيلِ
سَوَى سُبُلِ الْعَبَرَاتِ الْهُمُولِ
إِلَى النَّفْسِ إِلَّا بِعَضْبٍ صَقِيلِ ۳
وَضَيَّرْتُ قَصْدَكَ فِيهِ عَدِيلِي
بِوَاقٍ مُّجِيرٍ وَرَأْيِ أَصِيلِ
عَلَى أَنْفُسٍ ضَاعَتِ اللَّحُولِ
فَكُنْ سَهَامَ قِسِي الْخُمُولِ

ومعنى هذا البيت كقول الرضي مِمَّا أَنشده الثعالبي ۴ :

هُنَّ الْقِسِي مِنَ الْبُحُولِ فَإِنَّ سَمَا طَلَبَ فَهَنْ ۵ مِنَ التَّجَاءِ الْأَسْهُمِ
قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَمَا أَحْسَنَ مَا جَمَعَ بَيْنَ الْقِسِيِّ وَالْأَسْهُمِ ، وَمَا أَرَاهُ سَبَقَ
إِلَيْهِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ .

قال ابن بسام : وقد قال بعضُ أهلِ عصرنا وهو عبد المجيد بن عبدُون
من جُمْلَةِ أُنْبِيَاءِ هِيَ ثَابِتَةٌ بِمَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ :

١ الديوان : الرواعد .

٢ هذا البيت شديد الاضطراب في الأصول ، وقد اعتمدت قراءة محقق الديوان ، وهي وجه

مرجح .

٣ بعد هذا البيت ورد في س ب ومنها ، وليس ثمة حلف .

٤ ط والذنوان : نفوساً .

٥ البيتة ٣ : ١٣٨ .

جوانح كالقسي رمت ثبيراً
وقال أبو العَرَبِ الصَّقْلِي ١ :

وَحَطَّ بِنَا عَنْ نَاجِيَّاتٍ كَأَنَّهُمَا قِيسِي رَمَتْ مِنَّا الْبِلَادَ بِأَسْهُمٍ
وفي هذه القصيدة يقول ٢ القَسْطَلْتِي :

وَمِنْ دُونِنَا آتَاَتُ الدِّيَارِ مَغَانِي السُّرُورِ لَيْسَنَ الْحِدَادَ خَطِّبِيَّاتِ خَطْبِ النَّوَى وَالْمَهُورِ فَمِنْ حَرَّةٍ جَلِيَّتْ بِالْحَلَاءِ وَلَا حَلِيٍّ إِلَّا جَمَانُ الدُّمُوعِ فَبَدَلْنِ مِنْ طَوْلٍ خَفَضَ النِّعَمِ وَمِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ تَحْتَ الْحِجَالِ وَمِنْ عَتَلِ الْمَاءِ تَحْتَ الظُّلَالِ وَمِنْ طَيْبِ نَفْحِ بِنُورِ الرِّيَاضِ وَمِنْ أَنْسَاهَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَتَرْبِ وَمِنْ كُلِّ مَرَأَى مُحْيَاً جَمِيلِ لَعَلَّ عَوَاقِبَهُ أَنْ نَسَمَ إِلَى الْمَاشَمِيِّ ، إِلَى الطَّالِبِيِّ ،	نَهَابَ الْحَمَى مُوحِشَاتِ الطُّلُولِ عَلَى لَايِسَاتِ ثِيَابِ الدُّهُولِ مَهَارَى عَلَيْهَا رِحَالُ الرَّحِيلِ وَعَذْرَاءَ نَصَّتْ بِنَصِّ الدَّامِلِ تَسِيلُ ٣ عَلَى كُلِّ خَدٍّ أَسِيلِ بِشَقِّ الْحَزُونِ وَوَعْثِ السُّهُولِ يَهْوُلُ السُّرَى تَحْتَ لَيْلٍ طَوِيلِ صِلَاءَ الْقُلُوبِ بِحَرِّ الْغَلِيلِ تَاظَّتِي لَفْحِ بِنَارِ الْمَقِيلِ سُرَى لَيْلِهَا بَيْنَ ذَنْبٍ وَغُولِ تَلَقَّى الْخُطُوبَ بِصَبْرِ جَمِيلِ فَيُهْدَى الْغَرِيبُ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِلَى الْفَاطِمِيِّ الْعَطُوفِ الْوَصُولِ
---	---

١ ستأتي ترجمة أبي العرب في القسم الرابع من الذخيرة ؛ وانظر التكملة : ٣٨٦ والسلفي ٦٨ ، ١٣٨ ، والمساك ١١ : ١٨١ والخريدة ٢ : ٢١٩ وابن خلكان ٣ : ٣٣٤ ، والبيت في الخريدة .

٢ ط : وفيها يقول .

٣ الديوان : يسيل .

٤ الديوان : من بعد .

فُسْمِيَّ جَدُّكَ عَمَّرُوا الْكَرَامَ
وَضَيَّفَ حَتَّى وَحُوشَ الْقِفْلَةِ
وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ لِلضُّيُوفِ
يَرْوَحُ عَلَيْهِمْ بِغُرَّةِ الْجِفَانِ
فَأَنْتُمْ هُدَاةُ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ
وَسَادَاتُ مَنْ حَلَّ جَنَاتِ عَدْنٍ
وَأَنْتُمْ خَلَائِفُ دُنْيَا وَدِينٍ
وَوَالِدُكُمْ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ
تَلَكَّدْ بِحِمْلِكُمْ عَاقِبَاهُ
وَرَحَّبْ عَلَى ضَمِّكُمْ صَدْرَهُ
وَيَطْرُقْهُ الْوَحْيُ وَهَنًا وَأَنْتُمْ
وَزَوْدُكُمْ كُلٌّ هَدْيٍ زَكِيٍّ

بِهِتَمُّ الشَّرِيدِ زَمَانَ الْمَحُولِ
وَأَهْدَى الْقِرَى لِهَضَابِ الْعُيُولِ
لَا طَلَبُ مَنْ ضَيَّفَهُ لِلتَّرْوَلِ
وَيَغْدُو لَهُم بِالْغَرِيضِ النَشِيلِ
وَأَنْتُمْ أَيْمَّةُ فِعْلٍ وَقِيلِ
جَمِيعِ شَبَابِهِمْ وَالْكَهُولِ
بِحُكْمِ الْكِتَابِ وَحُكْمِ الْعُقُولِ
لَكُمْ مِنْهُ مَجْدٌ حَقِّي كَقِيلِ
عَلَى حَمْلِهِ كُلُّ عِبَاءٍ ثَقِيلِ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ أَبِي عَنْ سَلِيلِ
ضَجَّعِيَاهُ بَيْنَ يَدَيَّ جِبْرِئِيلِ
وَأَوْدَعَكُمْ كُلَّ رَأْيٍ أَصِيلِ

قوله : « فمن حرّة جلّيت بالجللاء » ... البيت ، كقول أبي عبد الله بن
شرف القيرواني من جملة أبيات ٣ :

بَاتَ كَرْسِيهَا الْجَلَاءَ فَأَضْحَتْ
فِي ثِيَابِ الْجَلَاءِ لِلنَّاسِ تُجَلِّسِي

قال ابن بسّام : وانتحي ابنُ شرف ، فيما وُصف من فِتْنَةِ قَيْرَوَانِهِ ،

١ الديوان : للحلول .

٢ في م : بغض ، والتصويب عن الديوان .

٣ ترجمة ابن شرف في القسم الرابع من اللخيرة ، انظر المطبوعة ٤ / ١ : ١٣٣ وما
بعدها ؛ والبيت يقع في ص : ١٧٨ ، وراجع ترجمة ابن شرف في الوائي ٣ : ٩٧
ومعجم الادباء ١٩ : ٣٧ والحريرة ٢ : ٢٢٤ والمغرب : ٢٣٠ والصلة : ٥٤٥ والمغرب :
٧١ ومسالك الأبصار ١١ : ٤٣ وبغية الوعاة : ٤٧ والزركشي : ٢٧٨ وفوات الوفيات
٣ : ٣٥٩ ومعالم الإيمان ٣ : ٣٩ وعنوان الأريب ١ : ٥٦ .

مَنْحَى الْقَسْطَلَتِي فِي شَكْوَى زَمَانِهِ ، وَالْحَدِيثِ عَنِ الْفِتَنِ ، فَكَأَثَرَ الْبَحْرُ
بَوْشَلٍ مَشْفُوهٍ ، وَجَارَى الرِّيحَ بِكَوْدَنْ لَا فَضْلَ فِيهِ . وَفِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ
مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ جُمْلَةٌ مِنْ شَعْرِهِ ، شَاهِدَةٌ عَلَى مَا أُجْرِيَتْ مِنْ ذِكْرِهِ ١ .

وَقَالَ أَبُو عَمَرَ فِي الْخُلَيفَةِ خَيْرَانَ الْعَامِرِيَّ صَاحِبَ الْمِرْيَةِ ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ
إِلَى سَرَقِسطَةَ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَرَأَيْتُ إِثْبَاتَ بَعْضِهَا لِحُسْنِهَا ٢ :

لَكَ الْخَيْرُ قَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ خَيْرَانَ	وَبَشْرَاكَ قَدْ وَأَفَاكَ ٣ عَزَّ وَاسْلَطَانُ
هُوَ النَّجْمُ لَا يَدْعِي إِلَى الصُّبْحِ شَاهِدُ	هُوَ النَّوْرُ لَا يُبْنِي عَلَى الشَّمْسِ بَرَهَانُ
إِلَيْكَ شَحَنَّا الْقُلُوكَ تَهْوِي كَأَنَّهَا	وَقَدْ ذَعَرَتْ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ غَرْهَانُ
عَلَى لُجَجٍ خُضِرَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا	تَرَامَى بَنَا فِيهَا ثَيْرٌ وَثَهْلَانُ
مَوَائِلَ تَرَعَى فِي ذَرَاهَا مَوَائِلًا	كَمَا عُيِدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْثَانُ
وَفِي طَيِّ أَسْمَالِ الْغَرِيبِ غَرَائِبُ	سَكَنَ شِغَافَ الْقَلْبِ شَيْبٌ وَوُلْدَانُ
يُرْدَدْنَ فِي الْأَحْشَاءِ حَرًّا مَصَائِبُ	تَزِيدُ ظِلَامًا لَيْلَهَا وَهِيَ نِيرَانُ
إِذَا غِيضَ مَاءُ الْبَحْرِ مِنْهَا مَدَدْنَهُ	يَدَمَعُ عَيْوُنَ تَمْتَرِيهِنَّ أَشْجَانُ
وَإِنْ سَكَنْتَ عَنْهَا الرِّيحُ جَرَى بِهَا ٧	زَفِيرٌ إِلَى ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ حَتَّانُ

١ إِلَى هُنَا تَنْتَهِي تَرْجُمَةُ ابْنِ دِرَاجٍ فِي النُّسخِ مَا عَدَا سِوَا الَّذِي تَنْفَرِدُ بِمَا تَبْقَى مِنْهَا ؛ وَيَبْدُو
أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ دَخِلَهَا لِأَنَّهَا فَصَلَتْ بَيْنَ قَصِيدَتِهِ عَنْ ابْنِ حَمُودَ وَبَيْنَ إِبْرَادِ الْخَبَرِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ
حَمُودَ نَفْسِهِ .

٢ دِيْوَانُ ابْنِ دِرَاجٍ : ٨٦ - ٩٤ .

٣ الدِّيْوَانُ : آوَاكَ .

٤ الدِّيْوَانُ : النُّجُجُ .

٥ الدِّيْوَانُ : عَنْ .

٦ الدِّيْوَانُ : حَزْ .

٧ الدِّيْوَانُ : عَنَّا ... بَنَّا .

يَقْلَنُ وَمَوْجُ الْبَحْرِ وَالْهَمُّ وَالْدُّجَى
 أَهْلٌ إِلَى الدُّنْيَا مَعَادٌ وَهَلْ لَنَا
 وَهَبْنَا رَأَيْنَا مَعْلَمَ الْأَرْضِ هَلْ لَنَا
 وَصَرَفُ الرَّدَى مِنْ دُونِ أذْنِي مَنَازِلُ
 تَقْسَمُهُنَّ السِّيفُ وَالْحَيْفُ وَالْبَلَى
 كَمَا اقْتَسَمْتَ أَخَذَ أَنْتَهُنَّ يَدُ النُّوَى
 ظَعَائِنُ عُمَرَانُ الْمَعَاهِدِ مُقْفِرُ
 هَوْتِ أُمَّتِهِمْ مَاذَا هَوْتُ بِرِحَالِهِمْ
 كَوَاكِبُ إِلَّا أَنْ أَفْلَاكَ سَيَّرَهَا
 فَإِنْ غَرَبَتْ أَرْضُ الْمَغَارِبِ مَوْتِي
 فِكُمْ رَحِبَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ بِمَقْلَمِي
 وَإِنْ بِلَادًا أَخْرَجْتَنِي لِعُطْلُ
 سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَانِ تَسْلِيمٌ يَأْتِسُ^٢
 نَوْدُ عُهُمْ شَجْوًا يَشْجُو كَمِثْلٍ مَا
 وَيَصْدَعُ مَا ضَمَّ الْوَدَاعُ تَفَرَّقُ
 إِذَا شَرَّقَ الْحَادِي بِهِمْ غَرَبَتْ بَنَا
 فَلَا مُؤْنَسُ إِلَّا شَهيقُ وَزْفَرَةُ
 وَمَا كَانَ ذَاكَ الْبَيْنُ بَيْنَ أُحْبَةٍ
 فَيَا عَجِبًا لِلصَّبْرِ مَنْكَ كَأَنَّنَا
 قَضَى عَيْشَهُمْ بَعْدِي وَعَيْشِي بَعْدَهُمْ

تَمُوجُ بَنَا فِيهَا عَيْوُنُ وَأَذَانُ
 سَوَى الْبَحْرِ قَبْرُ أَوْسَى الْمَاءِ أَكْهَانُ
 مِنَ الْأَرْضِ مَاوِي أَوْ مِنَ الْإِنْسِ عِرْقَانُ
 تَبَاهَى إِلَيْنَا بِالسَّرُورِ وَتَزْدَانُ
 وَشَطَّتْ بِنَا عَنْهَا عُصُورُ وَأَزْمَانُ
 فَهَمُّ لِلرَّدَى وَالْبِرِّ وَالْبَحْرِ إِخْدَانُ^١
 لَهُنَّ وَقَعَرُ الْأَرْضِ مِنْهُنَّ عُمَرَانُ
 إِلَى نَاكِحِ الْآفَاقِ سَفْنُ وَأُظْلَانُ
 زِمَامُ وَرَحْلُ أَوْ شِرَاعُ وَسَكَانُ
 وَأُنْكَرْتِي فِيهَا خَلِيطُ وَخِلَانُ
 وَأَجْزَلْتَ الْبُشْرَى عَلَيَّ خُرَاسَانُ
 وَإِنْ زَمَانًا خَانَ عَهْدِي لَخَوَانُ
 وَسَقِيًّا لِدَهْرٍ كَانَ لِي فِيهِ إِخْوَانُ
 أَجَابَتْ خَفِيفَ السَّهْمِ عَوَجَاءُ مِيرْقَانُ
 كَمَا انْشَعَبَتْ تَحْتَ الْعَوَاصِفِ أَغْصَانُ
 نَوَى يَوْمُهَا يَوْمَانِ وَالْحَيْنُ أَحْيَانُ
 وَلَا مُسْعِدٌ إِلَّا دُمُوعُ وَأَشْجَانُ
 وَلَكِنْ قُلُوبٌ فَارَقَتْهُنَّ أَبْدَانُ
 لَهُمْ غَيْرُ مَنْ كُنَّا وَهُمْ غَيْرُ مَنْ كَانُوا
 بِأَنْتِي قَدْ خُنْتُ الْوَفَاءَ وَقَدْ خَانُوا

١ س : اخوان .

٢ الديوان : آيس .

وَأَفْجَعُ بِنِ آوَى صَفِيحٍ وَجَلَدُ
وُجُوهُ تَنَاءَتَتْ فِي الْبِلَادِ قُبُورُهَا
وَمَا بَلِيَتْ فِي التُّرْبِ إِلَّا تَجَدَّدَتْ
هَمْ^٢ اسْتَخْلَفُوا الْأَحْيَابَ أَمْوَاجَ بِلَاجَةٍ
ومنها :

وَلَا يَأْسُ مِنْ رُوحٍ وَفِي اللَّهِ مَطْمَعٌ
مَتَى تَلْحَظُوا قَصْرَ الْمَرِيَةِ تَنْزِلُوا^٣
وَتَسْتَبْدِلُوا مِنْ مَوْجٍ بِمَوْجٍ شَجَاكُمْ
فَتَى سَيْفُهُ لِلدِّينِ أَمْنٌ وَإِيمَانٌ
فَقَضَّتْ سَيْوْفٌ حَارِبَتُهُ وَإِئْمَنٌ
وَبِالْخَيْرِ فَتَاحٌ وَبِالْخَيْرِ عَائِدٌ
لَهَا الْكَرَّةُ الْغَرَاءُ عَنْ كُلِّ شَارِدٍ
وَرَدَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامِ زَنَاتُهُ
بِكُلِّ كَمِيٍّ عَامِرِيٍّ يَسُوقُهُ
حُلِيِّهِمْ بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
فَتَى صُقُورٍ قَلْبَتْ أَيْ أَعْيُنٍ
عُيُونٌ بِهَا كَادُوا الْعَلَا^٤ فَقَاتَهَا

وَوَارَتْ رَمَالَ بِالْقَلَاةِ وَكُثْبَانَ
وَلَانَهُمْ فِي الْقَلْبِ مِتِّي لَسْكَاةً
عَلَيْهَا مِنَ الْقَلْبِ الْمُوجَعِ^١ أَحْزَانُ
هِيَ الْمَوْتُ أَوْ فِي الْمَوْتِ عَنْهُمْ سَلَوَانُ

وَلَا بُعْدَ مِنْ خَيْرٍ وَفِي الْأَرْضِ خَيْرَانِ
بِيحْرِ نَدَى^٥ يَمْنَاهُ دُرٌّ وَمَرْجَانُ
بِيحْرِ لَكُمْ مِنْهُ لُجَيْنٌ وَعَقِيَانُ
وَيَمْنَاهُ لِلْأَمَالِ^٦ رَوْحٌ وَرِيحَانُ
وَشَاهَتْ وَجُوهُ فَاخْرَتُهُ وَتِيْجَانُ
وَبِالْخَيْلِ طَعَانٌ وَبِالْخَيْلِ طَعَانُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ مِنْهَا دِيَارٌ وَأَوْطَانُ
كَمَا انْقَلَبَتْ يَوْمَ الْهَبَاءَةِ ذُبْيَانُ
لَحَرَ الْوَعْيِ قَلْبٌ عَلَى الدِّينِ حَرَّانُ
لَهَا وَحَلَا هُمْ سَابِقَاتٌ وَأَبْدَانُ
إِلَى أَيْ لَيْثٍ رَدَّهَا وَهِيَ خَلِيدَانُ
فَهُمْ فِي شَعَابِ الرُّشْدِ وَالْغَيِّ عَمِيَانُ

١ الديوان : المفجع .

٢ قبل هذا البيت في م : ومنها ، ولكن لا حذف هناك .

٣ الديوان : تظفروا .

٤ الديوان : حمى . ه م : بموج .

٥ م : وإيمانه للأهل ، وهو خطأ .

٦ الديوان : الهدى .

وما لهمُ في ظُلُمَةٍ بعدُ كوكبٌ
يضيّقُ بهم رُحْبُ القُصُورِ وَوُدُّهم
وَأَنسِيَتَهُمْ حَمَلُ القَنَا ، فسلّاحهمُ
وَأَنتَى لفلّ القَيْطِ في مصرَ موثِلُ
حَفَرَتْ لهم في يومِ قَبْرَةٍ بالقَنَا
يَطِيرُ بها هامٌ وَتَسْرُ وَنَاعِبُ
فلو نُشِرَ الأَمْلَأكُ يَوْمَكَ فيهمُ
ولو رُدَّ في المنصُورِ رُوحُ حَيَاتِهِ
وَنَادَيْتُ للهِجَاءِ أَبْنَاءَ مُلْكِهِ
جِبَالٌ إِذَا أَرَسِيَتَهَا حَوْمَةُ الوغَى
كَاتِبٌ بَلْ كَتَبُ بِنَصْرِكَ سَطَّرَتْ
هُوَ السَّيْفُ لَا يَرْتَابُ أَنْتَكَ سَيَفُهُ
وَاسْتَمَرَ يَسْرِي فِي بَحَارٍ مِنَ الرَّدَى
تَكْلَأُ نُوراً مِنْ سِنَاكَ سِنَانُهُ
فَلِلَّهِ مَاذَا أَنْجَبَتْ مِنْكَ عَامِرُ
وَلِلَّهِ مَنَّا أَهْلَ بَيْتٍ رَمَتَهُمْ
وَكُلُّهُمْ يَزْهِي عَلَى الشَّمْسِ بِالضُّحَى
وَقَدْ زَادَ أَبْنَاءُ السَّبِيلِ وَسِيلَةَ

وما لهمُ في مُقَلَّةٍ بعدُ إنسان
لو احتازَهم عنها كهوفٌ وَغَيْرَانُ
عليك - إِذَا لَا قَوَّك - ذَلْ وَإِذَاعَان
وَقَدْ غِيلَ قَرَعُونَ وَأَهْلِكَ هَامَان
قُبُوراً هَوَاءُ الجَوِّ مِنْهُنَّ مَلَانُ
وَيَعْدُو بِهَا ذَيْبٌ وَذَيْخٌ وَسِرْحَانُ
لَأَلْقَى إِلَيْكَ النَّجَّ كَسْرَى وَخَافِقَانُ
غَدَاةٌ لَقِيَتْ المَوْتَ وَالْمَوْتَ غَرْمَانُ
فَلَبَّاكَ آسَادُ عَيْدٍ وَفَتَيْسَانُ
وَأَنْ تَدْعُهُمْ يَوْمًا إِلَيْهَا فَعِيقَانُ
وَوَجْهُكَ « بِسْمِ اللَّهِ » وَالسَّيْفُ عَنَانُ
إِذَا نَكَزَلِ الأَقْرَانُ فِي الحَرْبِ أَقْرَانُ
بُيُومُنَا لَكِنْ يَفْتَدِي وَهُوَ ظِمَانُ
وَقَدْ دَعَتْ الفَرَسَانُ لِلْحَرْبِ فَرَسَانُ
وَلِلَّهِ مَاذَا نَاسَبَتْ مِنْكَ قَحْطَانُ
إِلَى يَدِكَ العُلْيَا بِحُورٍ وَبِلْدَانُ
وَبَدْرٍ الدِّيَاجِي أَتَهُمْ لَكَ جِرَانُ
وَحَلَكُوا قَزَادُوا أَنَّهُمْ لَكَ ضَيْفَانُ

١ الديوان : شهد .

٢ الديوان : مريان .

٣ الديوان : الندى .

٤ الديوان : في الضحى .

٥ س : راد ... فرادوا .

فَمَا قَصَّرَتْ بِي عَنْ عِلَاكَ شِفَاعَةً^١ وَلَا بِكَ عَنْ مِثْلِي جَزَاءً وَإِحْسَانًا

إيجاز الخبر عن إمارة^١ علي بن حمود الذي ذكر^٢

قال أبو مروان : هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن [بن حسن] بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

وذكر ابن قتيبة^٣ أن نفعراً من ولد إدريس بن عبد الله بن حسن أيام طلبه الرشيد فحبسه عند جعفر بن يحيى فرأوا إلى المغرب فوقوا ببلاد إفريقية ، ثم رقصتهم^٤ آفاقها إلى طرف بلاد البربر فنكحوا إليهم وتبرروا معهم^٥ .

قال أبو الحسن : وقد بلغني أن عقبهم إلى اليوم هنالك . وقد قدّمتُ فيما نقلته من كتاب ابن حيّان في أخبار الخليفة سليمان السبّاب الذي أوطأ لعلّ ابن حمود ثبجها ، وأوضح له منتهجها ، حتى خرج من عمائها^٦ ، وعرج إلى سمائها ، ونكّتب هاهنا ما نصّه أيضاً أبو مروان من كيفية^٧ مقتله وخبره ، بقرطبة أوله وآخره ، بعد أن تبرأ من التطويل ، ونحذف إن احتجنا إلى ذلك بعض الفصول .

١ ط : إمارة .

٢ ترجمة علي بن حمود وأخباره في جنوة المقتبس : ٢١ والبيان المغرب ٣ : ١١٩ - ١٢٤ والمعجب : ٩٨ وجمهرة ابن حزم : ٥٠ - ٥١ وأعمال الاعلام : ١٢٨ وابن خلدون : ٤ : ١٥٢ ونفع الطيب : ١ : ٤٣١ ، ٤٨٢ وبروفنسال : ٢ : ٣٢٦ والصوفي (نهاية الخلافة الأموية) : ٢٥٦ ودوزي (Spanish Is.) : ٥٦٢ .

٣ س : القتيبي .

٤ س : لفظتهم .

٥ س : إلى طرف من بلاد المغرب .

٦ وتبرروا معهم : سقطت من ط .

٧ س : شرح .

٨ ط : غنائها .

قال ابن حبان^١ : بُويعَ عليُّ بن حمود في بابِ السُّدَّةِ من قَصْرِ قرطبة يومَ الاثنينِ لِسَبْعٍ بَقِيْنَ لِمَحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثانيَ اليومِ الذي أَدْرَكَ فِيهِ بَثَارُ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ ؛ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ عَنْ بَيْعَتِهِ ، وَوَصَلُوا إِلَيْهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، فَكَّرَمَ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَجْمَلَ خِطَابَهُمْ ، وَتَسَمَّى لِيَسْمِيَهُ مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ^٢ بِالنَّاصِرِ لَدَيْنِ اللَّهِ : لَقِبُ^٣ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيُّ بِالْمَشْرِقِ ، وَتَبِعَهُ فِيهِ أَيْضاً^٤ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْأَفْقِ^٥ .

وَلَمَّا صَارَتْ لِعَلِيِّ بْنِ حَمُودٍ الْخِلَافَةُ^٦ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَهْرِ لِلنَّاسِ بِالْغَلْبَةِ وَالْإِرْهَابِ لَهُمْ بِمَا خَامَرَ الْقُلُوبَ مِنْ هَوْلِ سَطْوَتِهِ ، وَلَا سِيَّما بِرَأْيَرَةِ^٧ الْعَسْكَرِ لِمَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنَ الذُّلِّ وَالْقَتْلِ فَدَهَشُوا مِنْهُ ، وَقَادَهُمْ مُدَيَّدَةٌ قَوْدَ الْإِبِلِ الْمَخْطُومَةِ ، وَأَعْدَى عَلَيْهِمُ الْخَصُومَ ، حَتَّى صَارَ أَقْلُ الرَّعِيَّةِ يَرْفَعُ أَعْتَاهُمْ إِلَى الْحُكَّامِ بِمَا شَاءَ مِنْ وَجْهِ الدَّعَاوَى فَتَجَرَّى عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامُ ؛ فَبَرَقَتْ لِلْعَدْلِ يَوْمُئِذٍ بَارَقَةٌ خَلَبَتْ لَمْ تَكُنْ تَقْدُ حَتَّى خَبَّتْ ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْبَرَابِرَ^٨ أَطْوَعُ خَلْقِ اللَّهِ^٩ لِمَنْ أَخَافَهُمْ . وَجَلَسَ عَلِيُّ بْنُ فَسْهٍ لِمِمْطَالِمِ النَّاسِ ، وَهُوَ مَفْتُوحُ الْبَابِ ، مَرْفُوعُ الْحِجَابِ ، لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ ، يُقِيمُ الْحُدُودَ مُبَاشِراً بِنَفْسِهِ ، لَا يُحَاشِي أَحَدًا مِنْ أَكَابِرِ قَوْمِهِ . فَانْتَشَرَ أَهْلُ قُرْطُبَةَ

١ قارن البيان المغرب ٣ : ١٢٢ .

٢ س : الأسماء الخلافية .

٣ س : وهو اسم .

٤ ط : قبله .

٥ س : صاحب الأندلس .

٦ ط : ولما صارت الخلافة إليه .

٧ ط : بربر .

٨ ط : أطوع البشر .

في الأرض ذات الطول والعرض^١ ، وسُلِكَتِ السُّبُلَ وَرَّخَا السَّعْرُ ،
وَأَرْقُوا الْأَغْدِيَةَ وَشَامُوا النِّسَاءَ وَطَلَبُوا النِّسْلَ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ يَقُولُ
بِالْمُزَلَّةِ ، وَاتَّخَذُوا الْحُلُوءَ عَلَى طَوْلِ عَهْدِهَا ، وَرَجَّوْا الْإِقَالََةَ فَخَانَهُم
الْأَمْلُ عَمَّا قَلِيلٍ ، وَارْتَكَسُوا فِي الْمِحْنَةِ .

ومن بعض ما جرى في مجلس له من مباشرته^٢ إقامة الحدود بنفسه ،
وجلوسه حيث لم يجلس قط خليفة^٣ أنه قدّم إليه عصابة من البرابر الأكبر
في جرائم تجاوزت حدّ النكاح ، فأمر بضرب أعناقهم^٤ ، وعشائرهم
يَنْظُرُونَ خِفْوةً لَا يَنْبَسُونَ^٥ ، وَلَا يَجْسِرُونَ عَلَيْهِ فِي شَفَاعَةٍ . وبهذا
المجلس وشبهه ما فتن أهل قرطبة بآبن حمود أشدّ فتنة .

وخرج يوماً على باب عامر فالتقى بفارس من البرابر قدّامه حِمْلُ
عَنْبٍ ، فاستوقفه وقال له : من أين لك هذا العنب ؟ قال : أَخَذْتُهُ كَمَا
يَأْخُذُ النَّاسُ ؛ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ وَسَطَ الْحِمْلِ ، وَطِيفَ
بِهِ الْبَلَدُ كُلَّهُ . وكلُّ أفعاليه كانت حسنة عند الرعية إلى أن أوقعهم في
أعظم بليّة .

وكان عليّ بن حمود تليقاعة^{*} ، شديدة الإصابة بعينه^{*} ، لا يكادُ

١ سقط في ط من هذا النص قوله : « وهو مفتوح الباب » ، « للوارد والصادر » ، « في
الأرض ذات الطول والعرض » ما يشير إلى طبيعة هذه النسخة التي تعتمد الإيجاز كثيراً وبخاصة
إن كان النص منقولاً عن ابن حيان ؛ وعلى هذا سأقلل من الإشارة إلى ما ينقصها في سائر
الكتاب ، اقتصاداً واكتفاءً .

٢ ط : مباشرة .

٣ س : رقابهم .

٤ ط : ينتسبون .

٥ ط : بعينه .

يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ عَلَى شَيْءٍ يَسْتَحْسِنُهُ إِلَّا أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ ؛ وَلَهُ فِي ذَلِكَ
نَوَادِرُ عَجَبِيَّةٌ ، وَلِرُبَّمَا قَالَ لِلنَّفِيسَةِ ١ مِنْ نِسَائِهِ : وَارِي مُحَاسِنَكَ عَنْ
عَيْنِي مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنِّي شَاحَ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنِي ، وَأَنَا أَحَبُّ الْاسْتِمْتَاعِ
بِكَ ، أَوْ كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ ، أَخَذَتْهُ عَنْ حَقِيبَةٍ لَهُ زَادَتْهُ مِنْ عَجَائِبِهِ .

وَاسْتَمَرَّ مَعَ أَهْلِ قَرْطَبَةِ نَحْوَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ فِي أَحْسَنِ عِشْرَةٍ ، ثُمَّ
آتَسَ مِنْهُمْ الْكَرَاهِيَةَ لِدَوْلَتِهِ . وَبَلَغَهُ أَيْضاً قِيَامُ الْمُرْتَضَى بِشَرْقِي الْأَنْدَلُسِ
فَعَزَمَ عَلَى إِبَادَةِ أَهْلِ قَرْطَبَةِ وَإِخْلَاقِهَا ، فَلَا يَعُودُ لِأَنْتَمِيَّتِهِمُ الْمُرَوَّانِيَّةِ سُلْطَانُ
آخِرِ الدَّهْرِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى سَاحِلِهِ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَ بَرَابَرَتِهِ ، فَيَضْرِبُ
بِهِمْ جَمِيعَ الْأَنْدَلُسِ . فَانْقَلَبَ سَرِيعاً عَنْ التَّجَمُّلِ الَّذِي كَانَ يُظْهِرُهُ لَهُمْ ٢
وَانْصَرَفَ إِلَى حَزْبِهِ الْبَرِبَرِيِّ فَأَثَرُهُ ، وَأَغْضَى عَلَى سُوءٍ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
الظُّلْمِ وَالْحَيْفِ ، فَوَقَعَ أَهْلُ قَرْطَبَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي حَالَتِهِمْ مُدَّةَ سَلِيمَانَ ،
مِنْ اسْتِطْلَاقِهِمْ عَلَيْهِمْ . وَصَبَّ عَلَى أَهْلِ قَرْطَبَةِ ضَرْباً مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْمَغَارِمِ ،
وَانْتَزَعَ السَّلَاحَ مِنْهُمْ ، وَهَدَمَ دُورَهُمْ ، وَقَبَضَ أَبْنِيَّ الْحُكَّامِ عَنْ إِنْصَافِهِمْ ،
وَأَغْرَمَ عَامَتَهُمْ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَعْيَانِهِمْ بِأَقْرَامٍ مِنْ شِرَارِهِمْ ، فَفَتَحُوا لَهُ
أَبْوَاباً مِنَ الْبَلَايَا أَهْلَكَ ٣ بِهَا الْأُمَّةُ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالسَّعَايَةِ ، وَقَرَنَ بِجَمِيعِ
النَّاسِ الْأَشْرَاطَ ، وَوَكَّلَ بِهِمُ الضُّغَطَ ، فَمَا شِئْتَ مِنْ مُكْشَفٍ عَنْ
الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ ، مَتَلُؤْلِ الْجَبِينِ مُدَّالِ الْقَدَالِ ٤ ، قَدْ صَارَ شَطْرُ النَّاسِ
أَشْرَاطاً عَلَى سَائِرِهِمْ ، فَلَمَّا تَلَقَّى أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِمُوكَلٍّ عَلَيْهِ ٥ ، حَتَّى

١ ط : لنفيسة .

٢ س : لأهل الأندلس .

٣ س : أهلكوا .

٤ ط : مزال العدل .

٥ ط : إلا بموكلين .

كَانَ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ بَدَوْا لِلْأَبْصَارِ ، فَأَخَذَتْ عَلَى النَّاسِ
الْأَقْطَارَ ، فَاتَّظَلَمَتِ الدُّنْيَا وَأَبْلِسَ أَهْلُهَا وَغَشِيَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا
غَشِيَهُمْ ، فَكَزِمُوا الْبُيُوتَ ، وَتَطَلَّمُوا فِي بَطُونِ الْأَرْضِ ، حَتَّى قَلَّ
بِالنَّهَارِ ظُهُورُهُمْ وَخَلَّتْ أَسْوَاقُهُمْ ، فَلِذَا دَنَا الْمَسَاءُ وَكَفَّ الطَّلَبُ عَنْهُمْ ،
انْتَشَرُوا تَحْتَ الظَّلَامِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِمْ .

وَامْتَحَنَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، مِمَّنْ خَدَمَ فِي مَدِينَةِ سُلَيْمَانَ ،
فَاعْتَقِلُوا وَصُودِرُوا بِأَمْوَالٍ . وَامْتَحَنَ بَعْضُهُمْ بِالضَّرْبِ حَتَّى صَانَعُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ فَقَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمِيرٌ^١ بِإِطْلَاقِهِمْ ؛ فَلَمَّا أَحْضِرَتْ
دَوَابَّهُمْ لِلرَّكُوبِ ، قُبِضَتْ^٢ جَمِيعُهَا ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ رُجُلًا إِلَى بُيُوتِهِمْ ،
فَكَانَتْ عَنْدهُمْ أَعْظَمُ آفَةٍ جَرَتْ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْحَزْمِ ابْنُ جَهْوَزَ ،
وَأَحْمَدُ بْنُ بُرْدٍ الْأَكْبَرُ وَغَيْرُهُمَا . فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَخْبَارِهِ ، فِي حَالَتِي
صَلَاحِهِ وَفَسَادِهِ ، وَوَقْتِي رِضَاهُ وَسُخْطِهِ .

كَيْفِيَّةُ مَقْتَلِهِ^٣

فَلَمَّا شَتَّتَهُ الْقُلُوبُ ، وَأَثْقَلَتْهُ الْأَوْزَارُ ، وَالتَّقَتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ ،
وَحَلَصَتْ فِيهِ التَّجْوَى ، وَتَوَالَى عَلَيْهِ الدُّعَاءُ ، نَظَرَ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ ، وَسَكَطَ
عَلَيْهِ أَضْعَفُ الْخَلِيقَةِ : صَبِيحَانَا أَغْمَارًا مِنْ صِقَالِبَةِ بَنِي مُرَوَانَ كَانُوا أَقْرَبَ النَّاسِ
إِلَيْهِ ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ حُرْمَتِهِ ، وَأَحَقَّ رَهُمْ فِي عَيْنِهِ ، جَسَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ بِمَوْضِعِ أَمْنِهِ ، فِي حِمَامٍ قَصْرِهِ^٤ ، لَا عَنْ مُوَاطَاةٍ مِنْ

١ ط : وأمروا . ٢ ط : قبض .

٣ لم يرد هذا العنوان في ط ٤ وقارن بالبيان المغرب ٣ : ١٢٢ .

٤ س : جسرهم الله تعالى على موابته في قصره وموضع محله وأمنه .

أحدٍ إلاَّ ما ألقاهُ اللهُ تعالى في نفوسهم له ، وكانوا ثلاثةً من الصَّقَلْبِ رُفَقَاءَ ،
فيهم وصيفٌ حَسَنُ الوجهِ جدًّا كان يَخِيفُ عليه اسمُهُ : مُنْجِجٌ وليبٌ
وعجيبٌ ؛ دَبَرُوا^١ جميعاً عليه فَتَقَتَّلُوهُ لَيْلاً غُرَّةَ ذِي الْقَعْدَةِ من سنة ثمانٍ
وأربعمائة ، وقد دخل الحمامَ سَحَرًا فابْتَلَرَهُ مُنْجِجٌ بِكُوبٍ نُحَاسٍ
ثَقِيلٍ صَبَّهُ عَلَى رَأْسِهِ^٢ ، فَشَجَّهُ فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، ونَادَى صَاحِبِيهِ
فَوَدَّجُوهُ^٣ بِالْخَنَاجِرِ حَتَّى بَرَدَ ، وَسَدَّوْا عَلَيْهِ بَابَ الْحَمَّامِ ، وَتَسَلَّلُوا
وَصَعِدُوا إِلَى سَقْفِ بَعْضِ الْقُصُورِ ، وَكَمَنُوا فِي مَخَابِ هُنَاكَ كَانُوا
يَعْرِفُونَهَا فَلَمْ يُحَسَّ بِهِمْ . وَلَمَّا اسْتَطَالَ نَسَاؤُهُ بَقَاءَهُ بِالْحَمَّامِ دَخَلْنَ
عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرَعْهُنَّ ؛ إِلَّا مَسِيلُ دَمِهِ ، وَهُوَ قَتِيلٌ مُمَزَّقٌ الْإِهَابِ . وَلَمْ
يَسْتَقِمَّ النَّهَارُ حَتَّى صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ مَقْتَلُهُ وَخَبَرُ الْفَتَكِ بِهِ ؛ فَفَرَجَ
عَنْهُمْ غَمٌّ عَظِيمٌ ، وَابْتَهَلُوا بِشُكْرِ خَالِقِهِمْ .

واجتمعتُ زَنَاتُهُ ووجَّهُوا من حينهم إلى أَخِيهِ الْقَاسِمِ صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةَ^٥
يَوْمَئِذٍ ، فَوَافَى قَرْطَبَةَ رَسُولُهُ لِيَقِفَ عَلَى صِحَّةِ وَفَاةِ أَخِيهِ بِالْمَعَايِنَةِ^٦ ،
وَخَافَ أَنْ تَكُونَ حِيلَةً مِنْهُ عَلَيْهِ هُنَاكَ ، فَكُشِفَ لَهُ عَنْهُ وَبَحَقَّتْهُ ، فَاثْكُفُ^٧
إِلَى صَاحِبِهِ ، وَلِحَقِّ الْقَاسِمِ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ جَسَدُ أَخِيهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَأَمَرَ
بِإِنْفَاذِهِ^٨ إِلَى مَدِينَةِ سَبْتَةِ فَدُفِنَ بِهَا .

١ س : بدروا .

٢ س : هامته .

٣ س . فضر به .

٤ ط : واستطال ودخل عليه فلم يرعهم ... الخ .

٥ ط : إلى اشبيلية عن أخيه القاسم .

٦ ط : ليقف على صحة ذلك .

٧ ط : فاثكف .

٨ ط : فصل عايه وأنفذه .

كانت مُدَّةُ علي بن حمود - من يوم قتل سليمان إلى يوم قُتِلَ - واحداً وعشرين شهراً وسبعة أيام ؛ فانقضى أمرُ علي على هذه السَّيْلِ ، وصار خامساً لمُغتالي جبَّابرة الملوِك في الإسلام بأبدي عبيدِهِم وأتباعِهِم في الحَمَامِ خاصَّةً : أحدهم الفضلُ بن سَهْلٍ ذو الرِّبَاسَتَيْنِ وزيرُ المأمون ، ثمَّ أبو سعيد الجُنَّابِي ٢ صاحبُ القرامطة ، ثمَّ الدَّيْلَمِي المُنْتَزِي باصْبَهانَ بعد الثلاثمائة ٣ ، ثمَّ ناصِرُ الدَّوْلَةِ الحسنُ بن حَمْدانَ المُنْتَزِي بالمَوْصِلِ وأعمالِهَا في تلك المُدَّة ؛ وآخِرُهُم علي بن حمود هذا المنتزي بالأندلس بعد الأربعمئة ، مَعَ مَزِيَّتِهِ عَلَيْهِم بِرَاعَةِ الشَّرَفِ وَحُرْمَةِ الْقِرَابَةِ ، فاغتنى عليٌّ في ذلك القِرانِ بِسُوءِ مَصَارِعِ هَؤُلَاءِ المَبْعُوثِينَ آيَةً وَمَوْغِظَةً . على أَنَّ قَتْلَ الملوِكِ والأئمَّةِ بِأَيْدِي الفُحُولِ من عبيدِهِم وَأَصْحَابِهِم - من غيرِ هذا التَّمَطِّ وعلى خِلافِ هذا - كَثِيرٌ يَشْتَقُّ إِحْصَاؤَهُم وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَنْبَاءِهِم الْبَالِي سَرَائِرَهُمْ . وكانَ الْأَغْلَبُ على علي بن حمودِ السَّخَاءُ وَالشَّجَاعَةُ على عُطُولِهِ مِنَ الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وبِرَاءَتِهِ ٤ من الْخَيْرِ جُمْلَةً .

١ ط : إلى أن .

٢ ط س : الجياني

٣ هذا الديلمي المنتزي بعد الثلاثمئة هو مرداويج بن زيار - فيما أقدّر - وقد استولى على أصبهان وحاول الأتراك قتله في الحمام سنة ٣١٥ ووطنوا أنهم فُضُوا عَلَيْهِ ، ولكنه عاش بِدَ ذَلِكَ (انظر تكملة تاريخ الطبري : ٥١) .

٤ ط : برارقه .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن بُردٍ الأكبر
وإبائِ جُملةٍ ما انتخبته من نظمهِ ونثرهِ ،
مع ما يتعلقُ بذكرهِ ١ :

قال أبو الحسن : كان أبو حفصٍ في ذلك الأوانِ واسطةَ السلُكِ ،
وقُطِبَ رَحَى المُلُكِ ؛ استقلَّ بيهاتهِ وجلالهِ ، ورقَلَ في بُكرِهِ وآصالهِ ،
وبرَزَ على نُظرائهِ وأشكالهِ ١ . وبنو بُردٍ يَنتمونَ لبني شُهيدٍ بالولاءِ .

وقلَّدَ أبو حفصٍ هذا ديوانَ الإنشاءِ بعد ابنِ الجزيري ٢ ثم كتب عن
سليمان المستعين وغيرهِ من أمراءِ الفتنةِ فأسَمَعَ الصَّمَّ بياناً ، واستنَزَلَ العَصَمَ
إبداعاً وإحساناً ؛ وقد أخرجَتْ من رسائلهِ ، ما يُعَرِّبُ عن فضائلهِ ،
ويُوضِّحُ مشهورَ دلائلِهِ ٣ ؛ وكانت وفاتُهُ بسرقِطة سَنَةِ ثَماني عَشْرَةِ
وأربعمائة ، وقد نيفَ على الثمانين .

١ ط : تعلق .

٢ الأخبار عن أبي حفص أحمد بن برد قليلة إذ له ترجمة موجزة في الجذوة : ١١١ (البنية
رقم : ٣٨٧) وعلى الجذوة اعتمد ابن بشكوال في الصلة : ٢٤ وقد مر ذكره في البيان
المغرب لصلته بالكتابة عن عبد الملك المظفر ابن المنصور ثم عن غيره حتى عهد يحيى بن
علي بن حمود .

٣ هو عبد الملك بن ادريس الجزيري (- ٣٩٤) ، كان كاتباً في دولة المنصور بن أبي
عامر ، ثم حبس في إحدى القلاع الأندلسية ، وله رسائل وأشعار كثيرة (انظر ترجمته
في الجذوة : ٢٦١ (البنية رقم : ١٠٥٨) والمطبع : ١٣ والصلة : ٣٥٠ واعتاب الكتاب
١٩٣ والمغرب ١ : ٣٢١ واليتيمة ٢ : ١٠٢ والنفع ؛ وسذكره ابن بسم في القسم
الرابع من الذخيرة .

٤ جاء في النسخة ط : « ولم أجد حين إخراج هذه النسخة من رسائلهِ إلا ما لا يكاد يعرب
ولا يوضح مشهور دلائلهِ ، وقد أثبت منها على ذلك بعض ما ألفيته هنالك » ، ويبدو أن
العبارة المثبتة بدلا من رواية ط تمثل عهداً تالياً ، حين أتيج لا بن بسم العثور على عدد من
رسائلهِ يمثل صورة أوضح عن منه النثري .

ما أخرجته من ديوان رسائله في أوصاف مختلفة

فصول^١ له من العهد المعقود^١ للناصر عبد الرحمن بن أبي عامر^٢ :

هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام^٣ المؤيد بالله — أطال الله بقاءه — إلى الناس عامة ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صفة يمينه ، ببيعة تامة ، بعد أن أمعن النظر ، وأطال الاستخارة ؛ وأهمه ما جعل الله له من إمامة المسلمين ، وعصب به من إمرة المؤمنين ، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء^٤ بما لا يصرف ، وخشي — إن هجم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه ، ولم يوجرها ملكاً تنعطف عليه — أن يكون يلقي الله تعالى مفترطاً فيها ، ساهياً عن أداء الحق إليها . وتقصى^٥ عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قریش وغيرها ، ممن يستحق أن يستند الأمر إليه ، ويعول في القيام به عليه ، ممن يستوجب بدنه وأمانته وهديه ورعيه^٦ ، بعد اطراح الهواة ، والتبرؤ من الهوى ، والتحرر للحق ، والتزلف إلى الله تعالى بما يرضيه ، وإن قطع الأوصير وأسخط الأقارب ، عالماً أن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح ، [وموقناً أن لا وسيلة إليه أزكى من الدين الخالص] ؛ فلم يجد أحداً هو أجدر أن

١ س : فصل : عهد عقد هشام .

٢ ورد هذا العقد في البيان المغرب ٣ : ٤٤ وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٨ وأعمال

الاعلام : ٩١ ونفح الطيب نقلا عن ابن خلدون ١ : ٤٢٤ .

٣ ط : القدر .

٤ ط : ونقض ، وآثرفا ما جاء في المصادر ، وفي البيان : ونظر .

٥ ط : ومن .

٦ ط : ورعته ؛ النفح : وصيائنه .

يُقْلَدُهُ عَهْدَهُ ، وَيُفَوِّضُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ بَعْدَهُ ، فِي فَضْلِ نَفْسِهِ ، [وَكَرَمِ خَيْبِهِ] ، وَشَرَفِ مَرْكَبِهِ ^١ ، وَعُلُوِّ مَنَاصِبِهِ ، مَعَ تَقْوَاهُ وَعِفَافِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ وَإِشْرَافِهِ ، وَحَزْمِهِ وَثِقَافِهِ ، مِنَ الْمَأْمُونِ الْغَيْبِ ، النَّاصِحِ الْجَيْبِ ، النَّازِحِ عَلَى كُلِّ عَيْبٍ ، نَاصِرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَفَقَهُ اللَّهِ .

وفي فصلٍ منه : مع أن أمير المؤمنين - أَيْدَهُ اللَّهُ - بما طالعه من مكنون ^٢ العِلْمِ ، ووعاه من مخزون الآثار ، أَمَلَّ أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ عَهْدِهِ الْقَحْطَانِيَّ الَّذِي حَدَّثَ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِتَحْقِيقِ مَا أَسْنَدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعِصَاهُ » . فَلَمَّا اسْتَوَتْ لَهُ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَتَقَابَلَتْ عَنْده فِيهِ الْآثَارُ ، وَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَذْهَبًا ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ مَعْدَلًا ، خَرَجَ إِلَيْهِ عَنْ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ فِي حَيَاتِهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

وله فصل من رُفْعَةٍ كَتَبَهَا ^٣ عَنِ الْمُظَنَّفَرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ يَقُولُ فِيهَا : وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ ^٤ مَا يَجْتَرِءُ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ خِدْمَتِنَا مِنْ تَبْدِيلِ عَهْدِنَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَحُلِّ عَقُودِنَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ تَشْدِيدِهَا ، سَاهِينَ عَمَّا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنَ التَّقْصَةِ ، لَا يَحْذَرُونَ وَقُوعَ الْمَحْذُورِ ، وَلَا

١ النفع : مرتبته .

٢ ط : أمور مكنون .

٣ ط : وله من أخرى .

٤ ط : ومن أعجب المعجب .

يَتَوَقَّعُونَ حلولَ التَّغْيِيرِ ، قد وَلَّهَ أَفْنَدَتَهُمْ جَهْلُ الْوَاجِبِ ، وران على قلوبهم ما أضاعوه من الْحَقِّ ، فلم يَرْجُوا اللَّهَ وَقَارَأَ ١ ، ولا وَقَوْا سُلْطَانَهُ ٢ إجلالاً وإكباراً . وقد قال بعضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ : إِنَّ مِنْ إجلالِ اللَّهِ إجلالَ السُّلْطَانِ عَادِلًا كَانَ أَوْ جَائِرًا . ولا أَحْسَبُ الَّذِي غَرَّهَم بِنَا ، وَجَرَّاهُمْ عَلَيْنَا ، إِلَّا مَا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ الْحِلْمِ مع الْمَقْدَرَةِ ٣ ، وَالكَظْمِ عِنْدَ الْحَفِظَةِ . وذلك وإنْ كَانَ سَجِيَّةً غَالِبَةً ، وَخَلِيقَةً لَازِمَةً ، فَرُبَّ شَيْءٍ تَحْتَ مَخِيلٍ ٤ النِّعْمَاءِ ، وَغَضَصٍ فِي شَهِيٍّ الْغَدَاءِ ، وَشَرِّقٍ فِي نَمِيرِ الْمَاءِ . وبين أَيْدِيكُمْ - مَعَشَرَ الْخِدْمَةِ - ولا أَخْصُ بُنْدَائِي صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، وَلَا أَعْنِي بَعِيدًا دُونَ قَرِيبٍ ، وَلَا أَتْبَهُ غَائِبًا دُونَ شَاهِدٍ ، وَنُصَبَ أَعْيُنِكُمْ ، وَحَسَنُوا أَسْمَاعَكُمْ عَهْدُ الْمَنْصُورِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَ يَقْدُمُ زَمَانُهُ فَيَنْسَى ، وَلَا أَتَتْ دُونُهُ الدَّهُورُ فَيَبْئَلِي ، ثَابِتٌ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ ، وَلَا زَمٌ لِكَافَتِكُمْ ، مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَدَانٍ وَشَاحِطٍ ؛ مَهْدَرُهُ التَّوْبِيخُ بِاسْتِكْتَابِ الْجَهْلَةِ ، وَاسْتِعَانَةِ الضَّعْفَةِ ، وَاسْتِكْفَاءِ الْعَجْزَةِ ، حَتَّى قَلَّتْ مَعْرِفَتُهُ ، وَاتَّضَعَتْ هِمَّتُهُ ، فَلَمْ يَبْلُغْ أَنْ يُحْكِمَ الْخَطَّ يَتَقِيمَ حُرُوفَهُ ، وَيُرَاعِيَ الْمَدَادَ فَيَجِدَ صَنَعَتَهُ ، وَيُمَيِّزَ الرَّقَّ فَيُحْسِنَ خُتْيَارَهُ ، وَعَجْزُهُ الْحَزْمُ النَّافِدُ وَالْحُكْمُ الصَّادِعُ ، بَأَنْ تَكُونَ صُدُورُ كُتُبِ الْاِعْتِرَاضَاتِ وَعُنْوَانَاتِهَا وَتَوَارِيخُهَا وَالْأَعْدَادُ فِي رُؤُوسِ رُسُومِهَا ، فَنُطُوطِ أَيْدِي الْقَوَادِ وَالْعُمَّالِ ، مِنْ كَانَ مِنْهُمْ كَاتِبًا فَبَيْدِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُتُبْ

١ اشارة إلى الآية : ١٣ من سورة فوج « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » .

٢ ط : سلطانهم .

٣ م : القدرة .

٤ ط : سبع ... مخيل .

فِيخَطَّ كَاتِبٌ لَهُ مَعْرُوفٌ ، وَأَنْ تَكُونَ تَسْمِيَّةٌ طَبَقَاتِ الْأَجْنَادِ فِيهَا قَائِمَةٌ
الْخُطُوطِ بَيِّنَةٌ الْحُرُوفُ ، وَفِي تَضَاعِيْفِهِ أَلِيَّةٌ نَحْنُ أَوَّلَى مَنْ أُبْرَهَا، وَوَقَى
بِهَا ؛ عَلَى أَنَّهُ إِنْ وَرَدَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخِدْمَةِ بَعْدَ وَصُولِ ذَلِكَ الْعَهْدِ إِلَيْهِ كِتَابٌ
اعْتِرَاضٍ أَوْ عَمَلٍ فِي رَقٍّ رَدِّيٍّ ، بِمِدَادٍ دَنِّيٍّ ، أَوْ خَطٍّ خَفِيِّ ، فِيهِ لَحْنٌ
أَوْ كِتَابٌ عَلَى بَشَرٍ فِي عِلْدٍ أَوْ رَأْسٍ رَسْمٍ مَا لَمْ يَخْفَ أَوْ يَقَعُ فِي حَشْوِ
الْكِتَابِ وَيَعْتَدِرُ مِنْهُ ، لَيَبْطُلَنَّ سَعْيُ كَاتِبِهِ فِيمَا كَتَبَ ، وَلَيُعَاجِلَنَّ
بِعُقُوبَةِ الْعَزْلِ وَإِغْرَامِ الْمَالِ الثَّابِتِ عَدَدُهُ فِي ذَلِكَ الْقَنْدَاقِ ١ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَإِنْ قَوْمًا مِنَ خِدْمَةِ الْحَضْرَةِ ٢ قَدْ
عَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، فَكُتِبُوا الْخَطَّ الدَّقِيقَ فِي دَنِّي الرُّقْعِ ،
دِقَّةً مِنْ هِمَمِهِمْ ، وَدَنَاءَةً فِي اخْتِيَارِهِمْ ، وَجَهْلًا بِأَنَّ
الْخَطَّ جَاهُ الْكِتَابِ ، وَسِلْكُ الْكَلَامِ ، بِهِ يُنْظَمُ مَشُورُهُ ، وَتُفَصَّلُ شُورُهُ ،
وَتُبْلَغُ مِنْ نُبْلِ صَاحِبِهِ ، وَهُجِنَتْهُ لَاحِقَةُ بَكَاتِهِ ، مَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ
الْعِصْيَانِ ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنْ خُلْفِ السُّلْطَانِ ؛ وَأَنَا أُعْطِي اللَّهَ عَهْدًا لَتَيْنِ
ارْتَفَعَ إِلَيَّ - بَعْدَ بُلُوغِ عَهْدِي هَذَا أَقْصَى حُدُودِ الْمَمْلَكَةِ ، وَانْتِهَائِهِ
أَبْعَدَ أَقْطَارِ الطَّاعَةِ - كِتَابٌ عَلَى الصِّفَاتِ ٣ الْمَذْمُومَةِ وَالْأَحْوَالِ الْمَسْخُوطَةِ ،
مِنْ رَقٍّ أَوْ مِدَادٍ أَوْ خَطٍّ ، لِأَوْفَيْنٍ لِصَاحِبِهِ بِمَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَعِيدِ إِنْ

١ ط : عدة .

٢ الْقَنْدَاقُ : مِنَ الْإِغْرِيقَةِ (Kontakion) وَهُوَ الْكِتَابُ الرَّسْمِيُّ أَوِ الْبَرَاءَةُ أَوْ مَا أَشَبَّهَ
(انظر ملحق دوزي) ؛ وَفِي س : الْكِتَابُ .

٣ ط : وَإِنْ قَوْمًا مِنْهُمْ .

٤ ط : الرُّقُوقُ .

٥ ط : قَبْلُ .

٦ ط : الصِّفَةُ .

شاءَ الله ؛ فليَحْذَرْ من حضر منهم أو غابَ أن يُخَالِفَ ما حَدَّدْنَاهُ ،
أو يَجَاوِزَ ما شَرَعْنَاهُ .

وله عنه إلى هُذَيْلِ بْنِ رَزِينٍ ^١ :

أما بعدُ - آتَاكَ اللهُ رُشْدَكَ ، وَأَجْزَلَ من تَوْفِيقِهِ قِسْطَكَ - فَإِنَّ
اللهَ تعالى خَلَقَ الخَلْقَ غَنِيًّا عَنْهُمْ ، وَأَنْسَأَهُمْ بِمَهْلٍ غَيْرِ مُهْمَلٍ ، بَلِ
لِيُحْصِيَ آثَارَهُمْ ، وَلِيَبْلُوَ^٢ أَخْبَارَهُمْ ؛ وَجَعَلَهُمْ أَخْيَافًا^٣ مُتَبَايِنِينَ ،
وَأَطْوَارًا مُخْتَلِفِينَ ؛ فَمِنْهُمْ الْمُخْتَصُ بالطَّاعَةِ ، وَمِنْهُمْ الْمُبْتَلَى بالمَعْصِيَةِ ،
وَبَيْنَ الْقَرِيقَيْنِ أَقْوَامٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ ^٤ ؛ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ،
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^٥ . وَالسَّعِيدُ^٦ من خَافَ رَبَّهُ ، وَعَرَفَ ذَنْبَهُ ، وَبَادَرَ
بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ قَوْتِهَا ، وَاسْتَعطَى الرَّحْمَةَ قَبْلَ مَنَعِهَا . وَإِنْ كُنْتَ تَرَكْتَ
قَصْدَكَ ، وَخَالَفْتَ رُشْدَكَ ، وَنَكَيْتَ عَنْ سَبِيلِ سَلَفِكَ ، فَلَمْ يُوحِشْكَ
مِمَّنْ شَرَدْتَ عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ^٧ نَالِكٌ بِهِ ، وَلَمْ يُؤْنِسْكَ مِمَّنْ جَنَحْتَ
إِلَيْهِ ، أَمَلٌ^٨ لَمْ تَتَّظَمَعْ فِيهِ إِلَّا لَدَيْهِ ، بَلِ كُنْتَ آمِنًا مِنَ الْمَخَافِ ، بَعِيدًا مِنَ

١ س : وله من أخرى عن سليمان بن (اقرأ : إلى) هذيل بن رزين ، وهذا هو الأشبه
بالصواب ، أعني أن الرسالة قد تكون موجهة عن سليمان المستعين إلى هذيل لأن هذيل أبا
التخلي عن هشام والادخول مع منذر التجيبي وغيره في تأييد دعوة سليمان ، وظل كذلك حتى توفي
هشام ، فسلك هذيل مسلك منذر ، فرضي منه سليمان بذلك وعقد له على ما بيده ، فزاده
ذلك بعداً من سليمان (البيان المغرب ٣ : ١٨١) .

٢ ط : ويبلو .

٣ س : أجناساً .

٤ ناظر إلى الآية : ١٠٢ من سورة التوبة .

٥ ناظر إلى الآية : ١١٨ من سورة هود .

٦ ط : والسعيد .

المكاره ، قريب المكانة ، رفيع الدرجة ، مُصدِّراً في أهل النصيحة والثقة ،
 خلا أنه حدث بينك وبين الحاجب ما لم يزل يحدث بين القواد والعمال
 على قديم الزمان مما لم يتبلغ أن يُخرج ذا الرأي الأصيل عن طبقتيه ، ولا
 يُجاوز أن يزيد المُحنق على المحك في خُصُومته ، والله عليم أن أمير
 المؤمنين لم يَبْخَسْكَ في تلك الهيئات حظاً ، ولا أولاك إعراضاً ، ولقد
 اعتنى بمصلحتك ، وعزم على إزاحة عِلَّتِكَ ، حتى يتهباً^٢ من ذلك ما
 بقي بأملك لو انتظرتَه ، واستقام فيه ما يزيدُ على طلبتِكَ لو صبرتَ
 عليه ، ولك في القدر المقدور فسحة^٣ ، وفي القضاء المحتوم مندوحة^٤ ؛
 ولن تصيبك بك السبيل عند أمير المؤمنين ، وأنت بين طاعة سالفة ، واستقامة
 موروثة ، وبين إنابة مُنتظرة ، وتوبة مستقبلة ، فإحدى الحالين تخطئ
 الذنوب الكبيرة ، وتُغْطِي على العيوب الكثيرة ؛ فالآن - عصمك الله -
 واللب رخِيّ ، والمركب وطيّ ، وبابك إلى رضى أمير المؤمنين مفتوح ،
 وسبيلك إلى حُسن رأيه سهل ، ولا يذهب بك اللجاج إلى عار الدنيا
 ونار الآخرة - إياك ومصارع التاكثين ، وحدار موارط الغادرين .

وله من أخرى عن سليمان إلى جماعة العبيد :

إن الله تعالى قسم لأهل بيتنا بني أمية من السلطان الموصول
 لهم بخلافة النبوة ما حازه لهم دون سائر قريش ، وسراة رجالها وافر ،
 وبيوت شرفها عامرة ، فكان أول من أجمع عليه خيار الصحابة بالشورى
 والاختيار عثمان بن عفان أمير المؤمنين ذو النورين ، وصهره عليه

١ ط : الهناة .

٢ ط : تهباً .

السلامُ مرتين ، فلم يُنكر فضلَه هاشمي ، ولا دافع إمامته قُرشي ، ولا نازعه الخلافةَ عربي ولا عجمي ؛ ثم غلبَ الشقاءُ على أقوامٍ فنالوا منه ما انفتحَ عليه بابُ الفتنة إلى يومِ القيامة ، فيها مصيبةٌ صدعتْ شَمَلَ المسلمين ، وأوهنت أركانَ الدين ؛ وافترقَ أهلُ الإسلامِ بعده فِرقتين ، ثم لم تَجتمعا إلا على رجلٍ منا ، لرضاءِ الله عن سيرتنا ، وأنسِ المسلمين إلى حُسْنِ مآخذنا ، وفضلِ سياستنا ؛ فكانت الجماعةُ على معاوية بنِ أبي سفيان كاتبِ الوحي وصهرِه عليه السلامُ ورديفِه ؛ فبلغ من ضبطِ الأمور ، ولينِ الولاية ، وجهادِ العدو ، وجبايةِ القتي ، وبثِ العدل ، وإدْرارِ العطايا ، ما لا يَجْهله مليٌّ ولا ذمي . وورثه ابنه وابنُ ابنه ؛ ثم صيرَ الله تعالى خِلافته إلى مروان بنِ الحَكَم جَدِّنا الأعلى أميرِ المؤمنين ، دَوَسِرَ^١ قريشِ المقي بتوفيقه ، والحاكم في الأمة بتسديده ؛ فالتفت إليه بالمقاليدِ الكافة ، وتداولها بنوه آباؤنا الخلفاء الراشدون بالشرق والأندلس إلى يومنا هذا ، والله مُثِمٌ نِعْمته علينا كما أتمها على آبائنا من قبل ، إن ربنا حكيمٌ عليم .

وفي فصل منها : ولم تزل الأئمةُ منا مُقبلةً على مَوالِها ، مُختصةً لعبيدها ، تُقدِّمُهم في الثقة ، وتُقرِّبهم بالموَدَّة ، وتُعِدُّهم لحِوادثِ الأمور ، وتقذفُ بهم في مُعضلاتِ الخطوب ، فيتولَّون من اجتهادِهِم لهم ما أوجبتْ لهم منهم المحبةُ الخالصة ، حتى شرفَ القومُ ونبلُّوا ، وسما ذكرُهم ونُسبوا إلى مشهورِ أنسابِهِم ، ومدَّ كُورِ بيوتاتِهِم ؛ فهم الذين تسمعون عنهم وتعرفونَ رياستَهُم كَالِ خالِدٍ ، وبني أبي عبدة ،

١ الدوسر : الأسد الصلب الموثق الخلق ، وفي س : ذو سن ؛ ولو قرئت « ذي سن » لكان ذلك أنسبَ للحديث عن مروان بن الحكم .

وَبَنِي شُهَيْدٍ ، وَبَنِي بَسِيلٍ ، وَبَنِي حُدَيْرٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَشْرَافِ مَوَالِنَا .
 وَقَدْ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ ، مَعْتَشَرِ الْمَوَالِي ؛ فَهَذَا اسْمُكُمْ إِذْ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ
 الْعُبُودِيَّةَ بِهِ ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ رِقِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَصَبَّرَكُمْ مِنَّا ، وَخَلَطَكُمْ
 بِنَا ، وَأَفْضَى بِأَنْسَابِكُمْ إِلَيْنَا ، وَالْوَلَاءُ لُحْمَةٌ ، فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ ، وَمَكْعُونٌ
 مَنْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ . هَذَا حُكْمُ الدِّيَانَةِ عَلَى لِسَانِهِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَأَمَّا حُكْمُ الدُّنْيَا وَسَيَرُ أَهْلِ السَّدَادِ وَالصَّلَاحِ فِيهَا ، فَلَا
 يَخْرُجُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ ضَلَعُكُمْ مَعَنَا ، وَمَيْلُكُمْ إِلَيْنَا ، وَتَعْصِيَتُكُمْ لَنَا ،
 فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِكُمْ ، وَأَجْدَرُ أَنْ نَعْمَلَ عَمَلَ آبَائِنَا فِي أُمَمِكُمْ ،
 مِنْ مَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَجْرَيْنَا ذِكْرَهُمْ ، فَإِنْ نَقَمْتُمْ حَالًا مَزَقَتِ الشَّمْلُ ،
 وَنَعَيْتُمْ أَمْرًا صَدَعَ الْجَمْعَ ، فَتِلْكَ الْفِتْنَةُ الَّتِي يَعْتُقُ فِيهَا الْإِبْنُ أَبَاهُ ،
 وَيَقْتُلُ لَهَا الْمُسْلِمُ أَخَاهُ ، أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا ، وَكَشَفَ لَنَا ظُلْمَتَهَا .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَلَعَلَّنَا فِيمَا سَاءَ كُمْ مِنْ تِلْكَ الْهَنَاتِ ، وَنَالِكُمْ مِنَ الْفَجَعَاتِ ،
 أَوْجَعُ قُلُوبًا ، وَأَشَدُّ غَمُومًا . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَأَظْلَعَكُمْ عَلَى غَيْبِنَا
 فِيكُمْ ، وَعَرَفَكُمْ لِشِفَاقِنَا عَلَيْكُمْ ؛ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمَا
 زَلِمَ الشُّعَارَ وَالِدَتَارَ ، لَا نُوْثِرُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا نَشِقُ إِلَّا بِكُمْ ؟ فَإِنْ يَكُنِ
 الشَّيْطَانُ قَدْ نَزَعَ بِمَا نَزَعَ بِهِ بَيْنَ ابْنِي آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، فَقَدْ
 آتَى أَنْ تَتَوَبَّ الْحُلُومُ فَتَعُودَ السُّيُوفُ فِي أَغْمَادِهَا ، وَالنَّبَالُ فِي كَنَائِهَا ،

١ عد في هذه الفقرة عدداً من العائلات الهامة التي كانت تعد موالي لبني أمية ، وهي
 عائلات احتلت مراكز هامة في الادارة والمجتمع ، إذ كان الولاء رابطة سيادة ؛ وبمضى
 مؤسسي هذه العائلات دخلوا الأندلس عرباً أحراراً أو والوا بني أمية في المشرق ، ثم
 انتقلوا واهم إلى بني أمية بالأندلس (انظر تفصيل ذلك في فجر الأندلس للدكتور حسين
 مؤنس ، وبخاصة ص ٤٠٨ - ٤١٠) .

ونحن نُعَاهِدُ اللهَ أَلَّا نَتَّخِذَ أَحَدًا بَذَنْبٍ ، ولا نَنَالَهُ بِعُقُوبٍ لَهُ ولا بِأَذَى ،
ولا نَنطَوِيَّ لَهُ عَلَى إِحْسَنَةٍ ، بل نَغْفِرُ وَنَصْفَحُ وَنَزِيدُ فِي الْعَطَاءِ ،
وَنَتَرَكُكُمْ بِمَوَاضِعِكُمْ الَّتِي ارْتَضَيْتُمُوهَا ، تَدْرُ عَلَيْكُمْ جَبَايَاثُهَا ،
وَتَخْصُصُكُمْ مَنَافِعُهَا ، ولا نُنْسِيْءُ فِي أُمُورِكُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ .

وله عنه إليهم في مثل ذلك من رُقعة ، يقول في فصل منها ^١ :

زَعَمَ كَاتِبُ صَحِيفَتِكُمْ أَنَّهُ مَا دَامَتْ خِلَافَةُ سَلَفِنَا إِلَّا بِطَبَقَتَيْكُمْ ،
ولا عَزَّتْ إِلَّا بِدَعْوَتِكُمْ ، وهذا قَوْلُ مَنْ لا عِلْمَ لَهُ ، فلم تظهر طَبَقَتُكُمْ
إِلَّا حَدِيثًا ، ولا كَثُرَ عَدَدُكُمْ إِلَّا قَرِيبًا ، ولم تَزَلِ الْخِلَافَةُ عَزِيزَةً ،
والسُّلْطَانُ قَائِمًا بِأَوْلِيَاءِ الْحَقِّ وَأَنْصَارِ الدِّينِ ، العارفين ^٢ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ
وَمَوْقِعِهَا مِنْ رِضَاهُ تَعَالَى ، وَيَنْقُصِ الْمَعْصِيَةِ وَمَوْقِعِهَا مِنْ سُخْطِهِ .
وَالْمِنَّةُ عَلَيْكُمْ لِمَنْ عَرَفَكُمْ - مَعَشَرَ الْعَبِيدِ - بِاللَّهِ ، وَأَدْخَلَكُمْ فِي دِينِهِ ،
وَأَسْتَفَدَكُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَخْرَجَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ ، ثُمَّ اصْطَنَعَكُمْ وَنَوَّهَكُمْ
بِالتَّصَرُّفِ فِي الْخِدْمَةِ ، فَلَنْتُمْ بِذَلِكَ الْبُعْثَةَ ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تَقْضُوا الْحَقَّ
كُلَّهُ ، فَتَقْصِرُوا عَنْ شَأْنِكُمْ ، فَذَلِكَ أَوْلَى بِكُمْ .

وفي فصل منها ^٣ : وَأَقْسَمْتُمْ عَلَى أَنْ مِنْ حُسَيْنَاهُ ^٤ مِنْ رُؤَسَائِكُمْ كَانَ
أَوَّلَى بِالسِّيَاسَةِ ، فَأَنْتِي لَكُمْ ذَلِكَ وَمَا أَنْتُمْ مِنْهُ ؟ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مُدَبَّرُونَ مَسْوسُونَ ،
أَتَبَاعُ مَرْبُوبُونَ ؟ وَسِرُّ التَّدْبِيرِ نَازِحٌ عَنْكُمْ ، وَالسِّيَاسَةُ الْقَوِيْمَةُ مَعْجُوبَةٌ

١ ط : وله من أخرى عنه إليهم .

٢ س : هم العارفون .

٣ سقط جانب من هذه الرسالة في ط .

٤ ط : حُسَيْنَاهُ .

دونكم ، ومتى يبلغكم قطُّ عن عبدٍ تَرَبَّ على مولاهُ فأفْلَحَ ، أو سمعتمُ
يُجْنَدُ شَغَبَ على مُدْبِرِهِ فَأَنْجَحَ ؟ والحقُّ لا يضرُّه قِلَّةُ أهله ، والباطل
لا يَنْفَعُهُ كَثْرَةُ جَمْعِهِ ، فإنَّ العاقبةَ للمتقين ، وحزب الله هُـمُ
الغالبون ، مع أنَّ سَفَهَاءَ كلِّ طبقةٍ أَكْثَرُ من حُكَمَائِهَا ، وقد رأيتم قديماً
نتيجةَ آراءِ السفهاء ، وكيف أَخْشَى على أهلهِ بموتِ ذلك التَّديبِ ، وطالما
جهدنا في الصِّلاح ، وحاولنا قَطَعَ الشَّغَبَ ، ودَفَعَ الفِتْنَةَ ، فأبى الله إلَّا
ما أَرَادَ على أَيْدِي رُؤَسَائِكُمْ ، الذين أَتَيْتُمْ على عَهْدِهِمْ . وأمَّا من
طَلَبْنَا من أصحابِكُمْ فإنَّهم قَوْمٌ خَدَمُوا العَمَالَات ، وتَصَرَّفُوا في الْوِلَايَات ،
وعَابُوا على الجُبَاة ، وَخَلَدَتْ عَلَيْهِمْ في الدِّيوانِ الحِسَابَات ، فهم الذين
طَوَّلُوا في سَبِيلِ الْحَقِّ ، وَرَمَى مِنْهُمْ دُونَ الْكُلِّ بِالْبَعْضِ ، وَأَخَذَ فِيهِمْ
وفي أَسْبَابِهِمْ بِالرَّفَقِ دُونَ الْعُنْفِ فَاعْتَدَوْهُ ظُلْماً ، وإلى صِلَاحِ مَالِ أَمْرِهِمْ
إِذْ قُورِبُوا ، والجَمِيعُ على ذلك في خَيْرٍ من العَافِيَةِ ، وَبِحَظٍّ من الكَافِيَةِ ،
وَأَمَدٍ من النَّظَرَةِ ، إلى أن يَأْذَنَ اللهُ بِمُلُوغِ ما يَشَاءُ من المَدَى . وليس
كُلُّ ما يَبْلُغُكُمْ من التَّشْنِيعِ وَيتَّصِلُ بِكُمْ من الإِرْجَافِ يَكْتَفِيُ إِلَيْهِ ذُووُ
العُقُول ، ولا يُصْغِي إِلَيْهِ أَهْلُ التَّحْصِيلِ .

وفي فصل منها : وأمَّا ما أَلْصَقَ بِكُمْ كَاتِبُ صَحِيفَتِكُمْ إِذْ قَالَ : إنَّ لم
يُعْمَلْ بما أَرَدْتُمْ أَجَبْتُمْ دَعْوَةَ من يُنَادِيكُمْ ؛ فليت شعري من ذا المَنَادِي
الذي إِلَيْهِ تُلَوِّى الأَعْنَاقَ عَنَّا ، أم إلى <من> تَقَرَّعُونَ إن فارقم عِصْمَتَنَا ؟
أما إنَّ غَرَّكُمْ الشَّيْطَانُ ، وَأَسْلَمَكُمْ الْخِلْدَانُ ، لَتَقَرَّعَنَّ مِنْ النَّدَمِ
الْأَسْنَانُ ، بِمَيْتٍ لا يَنْفَعُكُمْ أَسَفٌ ، ولا يَجْدِي عَلَيْكُمْ لَهْفٌ ؛ والله تعالى
وَدِينُهُ وَخِلَافَتُهُ في غِنًى عَمَّنْ عِنْدَهُ عَلَيْهِ وَحَادَةٌ ، وَالْحَدُّ في الْإِسْلَامِ عَنْهُ
وَشَاكُهُ ، وَخَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَشَقَّ عَصَا الْأَمَّةِ ، وَاسْتَخَفَّ بِمُحَقِّقِ

الأئمة ، ونازع الأمر أهله ، واعترض من الرأي فيما ليس من شأنه على من صيره الله إليه ، وأسلمه في يده ، واجتبه واصطفاه على علم به . ولولا أن أمير المؤمنين عرف أن ملائكم لم يجتمع على هذا الكتاب ، وتيقن أن أهل السداد منكم لم يرضوا هذا الخطاب ، لكان له في ذلك نظرٌ يُقيم الأود ، ويعدل الميل ، مع أن الحليم والكظم من أخلاقه ، والرفق والأناة من شيمه ؛ فاقبلوا أدبه ، وانتفعوا بموعظته ، فلو كشف لكم الغطاء واجتلي عليكم الغيب ، لعلمتم أن أمير المؤمنين لا ينأ عن مصالحكم ، ولا يتي في منافعكم ، ولا يسعى إلا فيما يردُّ ألفتكم ، ويجمع كليتكم .

وله عنه من أخرى إلى ابن ١ ...

إن العاقبة للتقوى ، وإن كلمة الله هي العليا ، ولا تبئس فإن الحق دافع الباطل ، وإن لاح للكذب بارقة ، وهبت له نافحة ، فإنما ذلك استدراج لأهله ، وإملاء لحزبه ؛ ثم يأخذهم بما اجترحوا ، ويؤيقهم بما اكتسبوا ؛ وقد علم الناس أن هذين الخارجين علينا ، الناكثين ببيعتنا ، مؤسومان بإحساننا . أما الطالبي ٢ فرقعناه من أوضع ملاحق الجند إلى أعلى مراتب أهل الخطط ، ونوّهنا بذكره ، وأشدنا باسمه ، وأشركناه في سلطاننا ، وصرفنا إليه طائفة من جندنا ،

... ..

١ مملوس في س ؛ ولم يرد في ط .

٢ لعله يعني بالطالبي « علي بن حمود » فقد قلعه والياً على سبة ، ثم كان من خروج علي عليه ما كان .

ووثقناه < فيما > هم من أعمالنا. وأما المُعْطِي^١ فَإِنَّ الْبِلَادَ نَبَتْ بِجَدَّةِ
 قَلْفِظَتَهُ إِلَى جَدَّتَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَوَاهُ وَوَأَسَاهُ ، وَامْتَثَلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ فِي
 هَذَا الضَّعِيفِ الْمُتَعَبِّرِ^٢ ، فَوَهَبْنَا لَهُ خَطِيرًا مَا اسْتَوْهَبَ ، وَبَسَّرْنَا عَلَيْهِ
 عَسِيرًا مَا طَلَبَ ، وَالْحَقْنَاهُ بِثَقَاتِنَا . فَاسْتَبَقَا فِي مَيْدَانِ الْغَدَرِ ، وَجَمَحَا
 إِلَى مَدَى الْغَمَطِ وَالْكِبَرِ ، جَاوِدَيْنِ بِحَقْنَا ، مُنْتَحِلَيْنِ لِمَا لَمْ يَجْعَلْهُمَا
 اللَّهُ لَهُ أَهْلًا^٣ . وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَافِعٌ لَّهُمَا بِحَقِّهِ عَلَيْهِمَا ، وَمُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ ثُمَّ
 بِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمَا .

وفي فصل منها^٣ : وَأَمَّا مَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَعَرَضْتَهُ عَلَيْنَا مِنْ
 مُجَاهَدَةِ الْمَارِقِينَ ، وَمُنَاضَلَةِ النَّاكِثِينَ ، وَضَمِنْتَهُ مِنْ حَشْدِ الْأَجْنَادِ
 قَيْلِكَ ، وَاسْتِنْفَارِ أَهْلِ عَمَلِكَ ، وَمَا سَمَحْتَ بِهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى جَمِيعِهِمْ
 مِنْ مَالِكَ ، فَأَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ ذَلِكَ ، وَخَلِيقٌ بِالْوَفَاءِ بِهِ ، وَقَدْ بَدَلْتَ جَهْدَكَ ،
 وَقَضَيْتَ حَقَّ إِمَامِكَ ، فَأَرْضَيْتَ رَبَّكَ ، وَزَكَيْتَ نَفْسَكَ ، وَرَفَعْتَ فِي
 الْغَابِرِينَ ذِكْرَكَ ؛ وَصَدَّقْتَ ظَنَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَقَّقْتَ تَقَرُّسَهُ فَيْكَ ،
 وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَجْتَزِيَءَ بِمَنْ حَوَّلَهُ مِنْ أَنْصَارِهِ ، وَيَكْتَفِيَ بِمَنْ فِي
 حَضْرَتِهِ مِنَ الْأَجْنَادِ ، فَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ بَصِيرَةٍ فِي نَصْرِهِ ، وَعَلَى أَثْبَتِ
 نِيَّةٍ فِي الدَّبِّ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَاللَّهُ يُعِينُهُ وَإِيَّاهُمْ وَيُؤَيِّدُهُ مَعَهُمْ ، وَإِنْ
 احتاج إليك فما أَطْيَبَ نَفْسَهُ عَلَيْكَ ، وَأَوْثَقَهُ بِإِجَابَتِكَ أَوْ دَعَائِكَ ، بَارَكَ
 اللَّهُ فَيْكَ ، وَمَتَّعَهُ بِكَ ، فَأَنْتَ سَيْفُهُ الْفَاصِلُ ، وَسَهْمُهُ النَّافِذُ .

١ أغلب الظن أنه عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي ، أموي كان يقرطبة في الفتنة وخرج
 منها إلى شرق الأندلس ، وقد دعا له مجاهد العامري بالخلافة سنة ٤٠٥ هـ (انظر الصلة : ٢٦١
 والبيان المغرب ٣ : ١١٦) .

٢ المتعير : الخارج في زي الميادين وسلوكهم .

٣ لم يرد هذا الفصل والذي يليه في ط .

وله عنه إليه أيضاً : ويجب أن تزيد في رُتبتك ، وتُهدَّبَ جمالَ جهَّتِكَ ، وتسعى في توفير محاسنك ، وتكثير مناقبك ؛ وإن كنتَ بِحمدِ الله ومَنِّه كاملَ الأدوات ، كثيرَ الحسنات ، ولكن الزيادةَ من فضلِ الله محبوبَةٌ من النُجباء ، مطلوبةٌ من النبلاء ؛ وأنتَ صَدَرُهم السابقُ وهاديهم المُبرِّزُ ، وقد نَبَذْنَا إِلَيْكَ في كتابنا مع فلانَ نُبذةً لم نَضَعْها دون غايةِ البيان ، ولم يَسَعْنَا إِلَّا لِإيضاحِ الدَّلِيلِ وإقامةِ البرهان .

وله عنه إلى منذر بن يحيى ^١ : وأما أمرُ علي بن حمّود فعلى ما أعلمناك به من الضَّعْفِ والوهن ، وإنما يَطْمَعُ في مَنْ عندنا والله يُبْطِلُ طمعه ، وقد أَوْحَشْنَا بَطْءَ أخبارِكَ عَنَّا ، وإن كنا لا نشكُّ في أنك على جميع ما تَصَرَّفْتَ به ، وفي كلِّ ما تَقَلَّبْتَ فيه ، كما نُحِبُّه ونَهْوَاهُ ، فذاك حَظُّكَ مِنَّا ، وموقعُكَ من ثِقَتِنَا ، وعلى ذلك فإن بواعِثَ الإشفاقِ جَمَّةٌ ، وعوارضُ التَّوَقُّعِ كثيرةٌ ، وقد تَوَالَّتِ المِحَنُ ، وطالتِ الفِتَنُ ، ونَجَمَ التَّفَاقُ ، وشاع الخلافُ < بَيْنَ > أهواءِ أوليائنا .

وله من أخرى إلى ابن صُمداح : وإنَّ للبغيِّ مصارع لا تُعدُّو أهلَه ، والنسكُ عواقِبَ لا تُحْطِي مُعْتَقِدَه ، وقد عَلِمَتِ الكافَةُ ما أولاهُ أميرُ المؤمنين فلاناً من إحسانِهِ ، وأفاضَهُ عليه من معروفِهِ ، فرفَعَهُ من الخُضْيُضِ ، وانتعَشَهُ عند الجُريضِ ، ونَوَّهَ به بعد الخمولِ ، وكَثَّرَهُ وهو قليلٌ ، فلم يَشْكُرْهُ لله نعمةً ، ولا وَقَى له بدمَةٍ ، وظلَّ يَبْنِي القَدْرَةَ على غيرِ أُسٍّ ، فَخَرَّ بناؤُهُ ، وانتَقَصَ في الرَّمِيَّاتِ في غيرِ هَدَفٍ فصافَتِ ^٢ سِيهامُهُ ،

١ انظر التعليق : ١ ، ص : ١٠٨ إذ كان منذر من والوا المستعين ونبهوا خلافة هشام المؤيد .

٢ صاف السهم : حاد عن الهدف .

وأصحابه يتساقطون علينا في كل حين أفواجا ، ويتتابعون إلينا نزعاً
 أرسلالاً ، لِمَا يبدو من ضعف آرائه ، وخبث مذهبِهِ ، وقبح غدره ، وتناكب
 أمره ، حتى اتسع عليه الخرق ، وأعضله الفتق ، واستنفر له وجهُ
 الخلائق ، وأسلمه غرورُ الشيطان ، فأصبح نادماً سادماً ، وأمسى حائراً
 بائراً ، ونكالُ الله تعالى نازلٌ به ، وسُخطُه مُنزلٌ عليه ، وبأسُه منصرفٌ
 إليه .

وفي فصلٍ من أخرى : أنالك في فلتات تحجبُ حُسنَ الظنِّ بمن
 أُسيغت عليه النعمة ، ووجبت لربه الحُجةُ في أداءِ النصيحة . وقد
 اندرجت في أثناءِ هذه الفتنةِ خطوبٌ استعملَ فيها أمير المؤمنين الثقةَ بمن
 لم يثقِ الله في النصيحة له ولرسوله عليه السلامُ وليخليفته وجماعةِ
 المسلمين ، ولم تصدق نيته ولم يصحَّ خبرُهُ ، ولا رأي المكذوب .
 فأوطأه عشوةً ، وزخرف له كذبةً على إثر كذبة ، ومنى الأمانى ،
 وقرب المواعيد ، وتمق الزور ، ولبسَ الأمور ، وأميرُ المسلمين يُوجسُ
 الخيفةَ ، ويخشى الخديعة ، ويرى أعلامَ الرية ، حتى وضح الفجر ، وصرح
 عن زبدته المحض ، وليس هو بأولٍ من أحسنَ فضاء إحسانه ، واصطنع
 فسقطت صنائعه . وفي فضلِ الله عِوضٌ من كلِّ فائت ، وفي جزائِهِ
 خَلَفٌ من كلِّ ضائع ، وفي إقبالِ رَحْمَتِهِ غِنَى عن كلِّ مُدْبِر ، وللأيامِ
 عَقَبٌ تُدِيلُ الكُرهَ بالرَضَى ، وتنسخُ الشدةَ بالرِّخا .

وله من أخرى عن عليّ بن حمود إلى منذر بن يحيى : وما أنكرنا شيئاً
 مما ذهبت إليه من التآني والتثبُّت ، ولا اعتقدنا إلاّ رأيك في نظَرِ
 الاجتماع ، وترقّبِ الالتئام ، لترتفع الشبهةُ وينجلي الشكُّ ، وإن
 كان مذهبنا في هذه الأمة مشهوراً ، واحتسابنا الأجر في صلاحها معروفاً ،

وقيامنا لنصرها وسخاؤنا بأنفسنا وأموالنا لاستفادها ، لا ننوي إلا وجهه تعالى ، وإلا فقد عليم من عرفنا ، وأيقن من أنصفنا ، أننا كنا < في > عيش هنيء ، ولتسب رخي ، وعمل واسع ، ومال وافر ، وجند مطيع ، وحصن منيع ؛ وفي دون ذلك ما أفتنح من عرف الدنيا بحقيقتها ، وأجزأ من أنزلها منزلتها ؛ وما كفى من لا يعدل بالسلامة ولا يبيع بالغبن ، ولا يركب الأهوال ، ولا يقتحم المهالك ، مغرراً بدمه ، مخاطراً بنفسه ، لحطام تافه ، وظل زائل ، ومتاع قليل ، وانا لرجو منه تعالى أنه لم يسر ما يسر من آمالنا إلا عند اطلاعه على نيتنا فيها ، فنحن بعين الله ، ونواصينا بيده ، والملئك والأمر له .

وفي فصل : والشروط التي خططتها بيدك ، وأردت معرفة رأينا بامضائها ، فإنها لعمر الله قليلة في استحقاقك ، ولو اتسعت البلاد لأضعاف ما تليبه ، لكنت لذلك عندنا أهلاً في كفايتك وضلاعتك وضبطك وحزمك . فأما الاعتماد عليك في الرأي والقصد إليك بالمشورة فهو الذي لا نعدوه بك ولا نجاوزُه فبك ، ونحن بذلك أخطئ ، والفائدة لنا فيه أعلى .

وقد أنفدنا كل ما دعوت إليه من تنفيذ سجلاتك على ما في يدك من الأعمال ، واعتقدنا لك ولجميع أهل الثغور - حرسهم الله - الأيمان المنعقدة والأقسام المغلظة لا تدخل عليهم داخلة يكرهونها ، ولا يكلفون . كلغة يستثقلونها ؛ ولا يخالف بهم طريقة يرضونها ، ما سمعوا وأطاعوا .

وفي فصل : ووصيتك بأهل قرطبة وغيرهم مقبولة ، ونصيححتك فيهم متبوعة ، ولن يروا منا ، ولن تسمع فيهم عنا ، إلا كما يعجبك

وَيَسْرُكْ ، وَيُجْذِلُكَ وَيُبْهِجُكَ ؛ وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ أَوَّلَهُمْ بِأَوَّلِنَا ، وَأَسْبَغَ النِّعَمَ عَلَى سَلَفِهِمْ بِسَلَفِنَا ؛ وَهَلْ يُؤْمَلُونَ أَحَنَّى عَلَيْهِمْ وَأَرْأَفَ بِهِمْ مِنَّا ؟ أَمْ هَلْ لِمَنْ آتَاهُ اللَّهُ رُشْدَهُ ، وَشَرَحَ بِالْإِيمَانِ صَدْرَهُ ، رَغْبَةً عَنَّا ؟ وَهَلْ يُنْكِرُ فَضْلَنَا إِلَّا جَاهِلٌ مُكَابِرٌ ، أَوْ يَدَافِعُ حَقَّنَا إِلَّا مُعَانِدٌ خَاسِرٌ ؟

وله من أخرى : بَلَّغْنَا جَوَابُكَ نَاكِبًا عَنِ الْحَقِّ ، بَعِيدًا مِنَ الْإِنْصَافِ ، خِلْوًا مِنْ حُسْنِ الْمَعَامِلَةِ ، بِدَايَةٍ بِالْأَمْتَانِ بِمَا كَانَ مِنْكَ ، بِمَا لَوْ اقْتَنَعْتَ فِيهِ بِمَا بَدَلْنَا مِنَ الشُّكْرِ لَرَكِبْتَ سَتَنَ الْمُنْصِفِينَ ، وَسَلَكْتَ سَبِيلَ الْمُحْسِنِينَ ، فَقَدْ قِيلَ : **إِنَّ الشُّكْرَ وَإِنْ قَلَّ ، ثَمَنٌ لِكُلِّ نَوَالٍ وَإِنْ جَلَّ ؛ كَمَا قِيلَ : إِنَّ الْمِنَّةَ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ . وَلَوْ** ^١ **نَظَرْتَ فِي أَخْبَارِ الْمَاضِينَ ، وَكَشَفْتَ عَنْ سِيرِ الْأَوَّلِينَ ، لَوَجَدْتَ مَلُوكَ الْأُمَمِ عَلَى قَدِيمِ الزَّمَانِ قَدْ تَعَامَلَتْ بِالْتِّعَاوُنِ ، وَتَوَاصَتْ بِالتَّرَافُدِ ، وَإِنْ شَحَطْتَ دِيَارَهَا ، وَاخْتَلَفَتْ أَدْيَانُهَا ؛ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ بَيْنَهَا حَقُوقًا تُقْضَى ، وَفُرُوضًا تُؤَدَّى ، فَالِدَّ هَرُ أَطْوَارِ ، وَالْأَيَّامِ دَوْلِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الَّذِي سَامَحْتَنَا فِيهِ لَمْ تُقَدِّمْ إِلَيْهِ إِلَّا عَلَى شُرُوطِ اشْتَرَطْتَهَا ، وَأَطْمَاعِ اسْتَدْعَيْتَهَا ، فَقَضَيْتَنَا كُلَّ مَا مَلَكَ نَاهِ ، وَلَمْ نَمْطُلُكَ بِشَيْءٍ أَدْرَكْنَاهُ . وَذَكَرْتَ أَنَّكَ فَعَلْتَ بِنَا مَا فَعَلْتَ دُونَ مَعْرِفَةِ تَقَدَّمَتْ ، وَلَا صُحْبَةِ سَلَفَتْ ، وَلَوْ هَرَبْتَ عَنِ هَذَا الْجَقَاءِ دَهْرَكَ ، وَأَنْفَقْتَ فِي السَّلَامَةِ مِنْ هَذَا الْخَطَلِ عُمُرَكَ ، لَكُنْتَ لِنَفْسِكَ نَظَرًا ^٢ ، وَفِي صَفْقَتِكَ تَاجِرًا ؛ فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ الْعِيِّ ، كَفَى بِذَلِكَ عَيْبًا مِنَ الْقَوْلِ ، وَزَلَلًا مِنَ الرَّأْيِ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ مَكَانَنَا مِنَ الْخِلَافَةِ ،**

١ تبدأ الرسالة في ط من هنا .

٢ ط : قدم .

٣ س : فاصراً .

ووراثتنا الإمامة ، عن أسلافنا الماضين ، وأجدادنا الأقربين ، وجهلت
أنتنا في نصابها وذروتها ، وأقعدُ الناس بها وأقواهم عليها ، فقد كابرَت
العيان ، ودافعت البرهان .

[وله عنه في معنى الرعية : إن الله تعالى قلَّدني من رعاية عباده ،
وحملتني من سياسة خلقه ، وعصَّبَ بي من تدبير أورهيم وإصلاح
شؤونهم ، والزمتني من النظر لهم ، والعمل بما يصلحهم ، ما لا حولَ لي
فيه ولا قوةَ عليه إلا بعونه وتأييده ، ولا هدايةَ إلا بتوفيقه وتسديده .
وإنَّ الرعيةَ من السلطانِ ، بمكان الأشباح من الأرواح ، صلاحهما
وفسادهما متصِلان ، ونماؤهما ونقصانهما مُنتظِمان ، إذ كانتِ
الرعيةُ عنصراً للمال ، ومادةَ الجباية ، بها قوامُ الملك ، وعِزُّ السلطان ،
ورِزقُ الأجناد ، التي بها يُقاتلُ العدوُّ ويُنصرُ الدين ، وتُحمى الحرمُ ؛
ولما تأملتُ أحوالَ أهلِ عَمَلِك من كُورة جَبَّانَ وذَوَاتِها ، وحصلتُ
ما يلزمهم أداؤه هذا العامَ من الطعامِ في العُشُورِ الواجِبَات ، تكتنفهم من
شفقتي ، وأحاط بهم من عواطفِي ، ما أدَّى إلى رفعِ مؤونةِ طعامهم ،
وإعفائهم مما يلحقهم فيه من العنتِ ، ويرجعُ عليهم من الدَّركِ ، وكُلِّفَ
الحُمولةَ إلى الأَهْرَاء ، وما يتَّبَعُ ذلك من الانْتِقاَص ، ويتَّصِلُ بالكيلِ
من التَّنْطِيفِ ، وتَسْقُطُ التَّبِيعَاتُ ، وَيَخِفُّ الثَّقَلُ . فانظُرْ عندما يَرِدُ
كتابي في تَوَزِيعِ ما يَجِبُ على أَهْلِ عَمَلِك من النَّاضِ عَنْ كَذَا وكَذَا من
القمحِ والشَّعِيرِ ، حِسَابُ كُلِّ مُدْنِي من القمحِ سِتَّةُ دنانير ، ومن الشَّعِيرِ
ثلاثةُ ، واشمَلْ بتَوَزِيعِها النَّاسَ كافَّةً ، غيرَ مُحَاشٍ منهم أحداً . وليكنْ
ذلك على العَدْلِ ، وتَحَرِّيِ الحَقِّ ، واعتمادِ الصَّدَقِ ، بمشاهدة قاضي الجُهة ،
وموافقة شُيوخِ الرِّعيةِ ووجوهيها ، وأهلِ المعرفةِ بمواقع وظائفيها ،
إن شاء الله] .

وله من* أخرى ، عن المظفر بن أبي عامر ، حين قتل عيسى بن سعيد القطاع وزيره : أيها الناسُ - وفقكم الله لعصمته ، واستنقذكم برحمته - إن من علم منكم حال الخائن عيسى بن سعيد بالمشاهدة ، ورأى مبلغ النعمة عليه بالمحاضرة ، فقد اكتفى بما شهيد ، واجتزأ بما عاين وحضر ؛ ومن غاب عنه كُنْه ذلك من عوامكم بانتزاح منزل أو لاتصال شغل ، فليعلم* أنا أخذناه من الحضيض الأوهدي ، وانتشلناه من شظف العيش الأنكد ، فرغنا خسيسته ، وأتممنا نقيصته ، وخوّلناه صنوف الأموال ، وصيرنا حاله فوق الأحوال ؛ فدلّله بذلك المنصور مولاي رضي الله عنه ، فاعتمده* ومهدت له قرش الكرامة ، وبوّأت له دار الفخامة ، وأسبغت من نعمي عليه ، ما أحوج الخاصة والعامة إليه ، فلم يقم* لله تعالى بحقّ ، ولا قابِلَ إحسانه بصدق ، ولا عاملَ رعيّتنا برفق ، ولا تناولَ خدمتنا بحذق ؛ بل أعلن بالمعاصي ، واستذلّ الأعزّة وذوي الهيئات والمروءات ، وناقزهم وأنيس بأضدادهم ، ونبد عهودنا ، وخالف سُبُلنا ، وكدر على الناس صفقونا ؛ حتّى إذا ملكه الأشر ، وتناهى به البطر ، وغلّت به الأمور ، وغرّه بالله الغرور ، حاول شقّ عصا الأمة ، وهدّ ركن الخلافة والأمانة ، بما احتجن من حرام المال ، واستمال من طغام الرجال ؛ فحجّته نعمنا عنده ، وخصمته عوارفنا لدينه ، وكشف لنا سِرّ نيته ، حتّى صرعه بغيبه ، وأسلمه غدّره ، وأخذ الله بما اجترم* ، وأوبقه بما اكتسب ، فأعجلناه عن تدبيره ، وصار إلى نار الله وسعيه .

قَوْلُهُ : « فَحَجَّجْتُهُ نِعَمًا عِنْدَهُ ، وَخَصَّمْتُهُ عَوَارِفًا لَدَيْهِ » محلولٌ
من قول أبي تمام حيث يقول ١ :

أَلَيْسَ هَجَرَ الْقَوْلِ مِنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَنْ لَهْجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

وأخذه أبو تمام ٢ من قول عمران بن حِطَّانَ إِذْ ظَفِيرُ بِهِ الْحَجَّاجُ
فَقَالَ : اضْرِبُوا عُنُقَ ابْنِ الْفَاجِرَةِ ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ : بِشْمَا أَدَبُكَ أَهْلُكَ
يَا حَجَّاجُ ! كَيْفَ أُمِنْتُ أَنْ أَجِيْبَكَ بِمَثَلٍ مَا لَقَيْتَنِي بِهِ ؟ أَبْعَدَ الْمَوْتِ
مَنْزِلَةٌ أَصَانِعُكَ عَلَيْهَا ؟ فَأَطْرَقَ الْحَجَّاجُ اسْتَحْيَاءً وَقَالَ : خَلُّوا عَنْهُ .
فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَطْلَقَكَ إِلَّا اللَّهُ فَارْجِعْ إِلَى حَرْبِهِ
مَعَنَا ، قَالَ : هِيَاتِ ! غَلَّ يَدَا مُطْلِقِهَا ، وَاسْتَرَقَّ رَقَبَةً مُعْتِقِهَا ، ثُمَّ قَالَ
الْأَبْيَاتَ الَّتِي أَوَّلَهَا :

تَاللَّهِ لَا كِدْتُ الْأَمِيرَ بَالِسَةٍ وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَاتُهُ

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا ٣ : وَقَدْ زَالَتِ التَّقِيَّةُ وَوَجَبَ الصَّدَقُ . أَلَا مِنْ
سَمِعَ هَذَا الْكِتَابَ وَأَخْبِرَ عَنْهُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ فَلْيُرِدَّ إِلَيْنَا مَا لَنَا ،
وَلْيَخْرُجْ لَنَا عَنْ حَقِّنَا ، وَلْيَحْذَرْ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا عَلَيْهِ سَبِيلًا . فَإِنَّمَا هِيَ
أَشْيَاءُ غَلَبَ عَلَيْهَا إِمَامٌ مِنْ صَمِيمٍ مَا لَنَا فُلْمٌ يَتَوَرَّعُ فِيهِ عَنِ الْخِيَانَةِ ، وَإِمَامٌ مِنْ

١ ديوان أبي تمام ٢ : ١١٥ .

٢ قارن بما ورد في أخبار أبي تمام : ٢٠٣-٢٠٥ ، وبيت عمران من أبيات في زهر الآداب :
٨٥٥ والموازفة ١ : ٧٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٦٦ حيث ذكر أنها لبعض الخوارج
من أصحاب قطري ، وذلك أقرب إلى الصواب من نسبة الأبيات والموقف نفسه إلى عمران
(انظر شعر الخوارج : ١٦٩ الطبعة الثانية) .

٣ بقية هذا الفصل لم ترد في ط .

أموالِ اللهِ بأيدينا فلم يؤدّ فيها الأمانةَ ، وما ظهَرْنَا عليه منها فمصرفٌ
إلى سبيله من مصالحِ المسلمين في أرزاقِ أجنادِهِمْ ، ونفقاتِ ثُغورِهِمْ . وأنا
زعيمٌ لمن سارَعَ بما في يديه ، وبادرَ بما عنده ، أنْ نَعْرِفَ له طاعته ، ونشكُرَ
مُبادرتَه ؛ ومنْ تَوَانَى وتَرَبَّصَ ، وقَعَدَ ونكَّصَ ، أنْ نَضَعَه بِحَيْثُ
وَضَعَ نَفْسَه من الظَّنَّةِ ، وأثْبَتَ عليها من الثَّهْمَةِ ، وننتهي به نهاية النكالِ
البالغِ ؛ فلا يُنْظَرَنَّ جارمٌ لَدِينَا إِلَّا فِي ذِمَّةٍ .

تلخيص التعريفِ بخبر الوزير عيسى بن سعيد
المذكور، من الأولِ إلى الآخر، ومقتله على
يدي المظفر عبد الملك ابن أبي عامر

قال ابن بسّام : وكان عيسى بن سعيد المعروف بابن القطّاعِ قِيَمَ دَوْلَةَ
ابن أبي عامر وحامِلَ لِيَوَائِهَا ، والمُسْتَقِيلَ بِأَعْبَائِهَا ، ومَالِكَ زِمَامِ إِعَادَتِهَا
وإِبْدَائِهَا . طَلَعَ فِي فَلَكِهَا قَبْلَ دَوْرَانِهِ ، ودلَّ عَلَى مَا أَخْفَاهُ طَيُّ كِتَابِهَا
دُونَ عُنُونِهِ ؛ وأنا أَشْرَحُ — حينَ أَفْضَى بِي ١ القولُ إِلَى ذِكْرِهِ — كَيْفَ
كَانَ غُرُوبُهُ وَطُلُوعُهُ ، وَمِنْ أَيْنَ اتَّفَقَ طَيَرَانُهُ وَوُقُوعُهُ ؛ عَلَى مَا قَدَّمْتُ
والتَزَمْتُ ، وَحَسَبَمَا ضَمَنْتُ وَنَظَّمْتُ .

قال ابن حيّان : لم يكن لعيسى بن سعيد مَأَثَرَةٌ سَلَفَ ، ولا بَيْتٌ تَقَدَّمَ ،
خِلَا أَنَّهُ [كَانَ] عَرَبِيَّ النِّجَارِ ، من قَوْمٍ يُعْرِقُونَ بَيْتِي الْجَزِيرِيَّ من
كُورَةٍ بَاغَهُ ٢ . وكان أبوه معلماً ، فاخْتَلَفَ عيسى إِلَى الدَّيَّانِ ، وَصَحِبَ

١ ط : بنا .

٢ باغه (أو يبيغه كما في س) : Priego تعد من ولاية قرطبة وتقع بينها وبين غرناطة
(انظر الروض المَطَّار : ٧٦ من الترجمة الفرنسية) .

عَمَدَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ وَقَتَ حَرَكَتِهِ فِي دَوْلَةِ الْحَكَمِ ، فَبَلَغَ بِهِ الْمَنَازِلَ
الْجَلِيلَةَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ مَشْهُورًا بِبُيُوتِ النِّقِيَّةِ ، وَأَخْبَارُهُ مَعَهُ كَثِيرَةٌ .

وَتَبَحَّجَ عَيْسَى بَعْدَ مَهْلِكِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي دَوْلَةِ ابْنِهِ عَبْدِ
الْمَلِكِ ، فَتَنَاهَى فِي الْاِكْتِسَابِ بِالْحَضْرَةِ وَجَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ ضِياعاً
وَدُوراً ، فَاتَ النَّاسَ إِحْصَاؤُهَا ، وَاشْتَمَلَ عَلَى الْمُلْكِ هُوَ وَوَلَدُهُ
وَصَنَائِعُهُ . وَكَانَ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ أَعْمَالِ السُّلْطَانِ نَصِيبٌ ، وَعَلَى كُلِّ عَامِلٍ
وَطِيفٌ ، وَلَمْ يُنْقَضْ تَوْفِيقٌ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَا تَمَّ أَمْرٌ إِلَّا بِمَشُورَتِهِ . وَكَثُرَ
أَعْدَاءُ عَيْسَى لِيَوْقَتِهِ ، فَاحْتَرَسَ مِنْهُمْ جَهْدَهُ ، وَتَيَقَّظَ فِي حِرَاسَةِ نَفْسِهِ ،
وَوَالَى كَثِيرًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، تَصَاهَرَتْ لَهُمُ بَيْنُهُ وَبَنَاتِهِ ، فَسَمَتْ
جَمَاعَتُهُ ، ثُمَّ تَصَاهَرُوا خَيْرًا إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَالذَّكْرُ مِنْ عِنْدِهِ ، زَوْجُ
ابْنَتِهِ الْمَكْنِيِّ أَبِي عَامِرٍ أُخْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ الصُّغْرَى مِنْ بَنَاتِ الْمَنْصُورِ ، فَتَمَّتْ
تِلْكَ الْمُصَاهَرَةُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَتْ وَكِيمَةً عَظِيمَةً .
وَتَنَاهَتْ بَعْدُ أُمُورُ عَيْسَى فِي الْجَلَالَةِ ، وَأَخَذَتْهُ الْأَلْسِنَةُ .

وَاتَّفَقَ أَيْضاً عَلَيْهِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ انْتَبَسَطَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ
الْمَلِكِ فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ بِصَحْبَةِ طَائِفَةٍ تُخْلِلُ بِهِ ، فَعَرَفَ عَيْسَى أَخَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ
بَذَلِكَ ، فَحَمَلَهُ عَلَى كَيْفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْهُ ، فَحَقَّقَ عَلَى عَيْسَى وَرَصَدَ
السَّعْيَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَفْسَدَ أَيْضاً السَّيِّدَةَ « الدَّلْفَاءُ » أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَسَاءَ
إِلَى صَنِيعَتَيْهَا « خِيَالُ » أُمَّ وَلَدِهِ ، وَالْغَالِبَةُ كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ يَتَّصِلُ بِهِمَا
بِسَبَبِ نِكَاحِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِنْتِ الْجَنَانِ مَوَلَاتِهِ ، كَانَتْ قَدْ نَادَتْ بِأَدَبٍ

١ ط : بَأْبِي .

٢ س : كَتَفَ يَدَ .

أهله ، وأخذت الغناء من محسنات قِيَانِه ، فنظرتَها عبدُ الملك يوماً
فراعته ، وهانَ عليه لقرطِ غفته زواجُها ، فأنكرتَ عليه ذلك والدته ،
فاستراحَ في الأمر مع عيسى فصورتهُ له وأمضاهُ . وبني عبد الملك بها ،
فحققت^١ أمُّه على عيسى . ثم اتهم آخرُ بالعظمى من مداخلته^٢
للولد أبي بكرٍ هشام بن عبد الجبار بن الناصر للقيام على عبد الملك
وأخذ الملكُ عنه : وكان عيسى لا يحضر مجلسَ شراب عبد الملك إلا في
النُدرة أو الدَّعوة تَقَعُ ، استعفاه من ذلك لضعفِ شرِّيه ، فأمكن أعداءه
القولُ فيه لغيبتِه بما شاؤوا ، وزاد الأمرُ حتى تنكر له عبدُ الملك ،
فقهيم عيسى بعضَ ذلك لقوةِ حسنه ، وأهمتهُ نفسه^٣ ، وأعملَ الحيلةَ
في خلاصِها ؛ فسمي^٤ عند ذلك إلى القدرِ العامريةِ أولياءِ نعمتِه ،
والانقلابِ مع المروانيةِ المتورة^٥ بدولته ، وإقامةِ الولدِ أبي بكرٍ هشام
المذكورِ على الخليفةِ هشام المؤيدِ ابنِ الحكم ، وأخذَ الخِلافةَ عنه لضعفِ
استقلالِه والقطعِ لدولتهِ ابن أبي عامرٍ قطعاً لا ببقيةٍ معه . وكان عيسى
خليطاً لهشام بعد المنصورِ صاحبه ، محمولا ما بينهما على السلامة ، فدعا
هشاماً إلى ذلك وراسلته سراً ولقيته خفيةً ، وقربَ له مأخذَه على يده
لمنزله من آل العامرية ، وأنَّ جُنْدَها لا تُخالِفُه بِحيلة . فاستجاب له
هشام ، فيما ذكروا ، وأخذَ بيعتهُ عليه ، وساعده جماعةٌ ، وكاد يتمُّ الأمرُ

١ س : فحققت .

٢ ط : بمدخلته .

٣ ط : وهمة نفسه .

٤ قارن بما في البيان المغرب ٣ : ٣٠ .

٥ س : المذكورة ، والتصويب من البيان .

وأعدَّ رجالاً للفتك بعبد الملك ، فسار أحدُهم إلى نظيفِ الفتى الكبيرِ مؤلَّى ابنِ أبي عامر ، فتَنصَّحَ له بالمضيَّة ٢ فأعلم ٣ عبدُ الملك بها لوقته ، فاشتغلَ بالله ، وترجَّحَ في أمرِ عيسى وخافَ أنَّ السَّعاية من كيادِ عدوِّه ، إلى أنَّ انتهى إليه صاحبُ المظالمِ أبو حاتمِ بن ذكوان ٤ ما أقلقهُ ، ولم يرتبْ به لشقَّتِهِ ، وحدَّته أنَّ رجلاً يُعرفُ بابنِ القارحِ الوزان ٥ كان مُتخصِّصاً من العامة ، وله بالولَدِ أبي بكرِ هشامِ المذكورِ اتصالٌ ؛ فحكى عن نفسه أنَّه رأى نزولَ عيسى عليه يبعُضُ بساتينه ، وأنَّه سمعَ ابنَ عبد الجبار يقول له : يا أبا الأصْبَغ ، والله إنِّي لخائفٌ والخطرُ عظيمٌ ؛ فقال له عيسى : ومن تخافُ ؟ أو ليسَ الملكُ بيدي ، والجندُ طَوْعي ، والناسُ راضونٌ بفعلي ؟ ثمَّ افترقا ، فجاء ابنُ القارحِ ، فأعلمَ ابنَ ذكوانَ ، فطار إلى عبدِ الملكِ بالخبرِ ، فبطشَ عبد الملك بعيسى . وكانت صورةُ قتلِهِ < أنْ > واطأ عليه أخاه عبد الرحمن ومن يليه من أصحابِهِ ، فشدُّوا عَزمَتَهُ ، وعقدَ معهم مجلساً للشربِ ، وبعثَ عن أكثرِ أصحابِ عيسى ، فجلسَ للشربِ بالمجلسِ الكبيرِ المُشْرِفِ على النهرِ لعشرِ خلَّتْ من ربيعِ الأوَّلِ سنة سبْعٍ وتسعين . ثمَّ أرسلَ عن عيسى وقد

١ ط : فصار .

٢ س : بالقصة .

٣ ط : فأخبر .

٤ أبو حاتم محمد بن عبد الله بن هرثة بن ذكوان (- ٤١٤) كان هو وأخوه أبو العباس أحمد عملي بيت بني ذكوان منذ أيام المنصور ، وكان أبو حاتم صاحب المظالم ، حسن السيرة ذا بصر بالفتنة (انظر الصلة : ٤٧٧ والبيان المغرب ٣ : ٣٢ وترتيب المدارك ٤ :

٦٦٧ وديوان ابن شهيد : ٨٩ والنباهي : ٨٦ - ٨٧) .

٥ ذكر في البيان (٣ : ٣٢) أنَّ اسمه خلف بن سعيد وأنه كان أحد الموالى صنائع ابن أبي عامر الافدلسيين .

مضى من الشرب وقتاً ، فجاءه رسوله وهو قد بدأ يشربُ أيضاً مع نفرٍ من أصحابه فيهم أبو حفص بن برد وغيره .

قال أبو حفص : فلم ترتبْ بدعائه ، وبادر بالركوبِ نحو عبد الملك ، والقضاءُ قد جَدَّ به ^١ ، فلما وصل إليه أظهر الاستبشارَ به وأقبل عبد الملك عليه بوجهه وأعلى مجلسه وأخذوا في شأنهم . فلما دارتِ الكؤوس أخذ عبد الملك في معاتبته ^٢ والتعريضِ لما قُرِفَ به عنده ؛ وعيسى يتزَعَج من ذلك ، ويُقَلِّدُ ^٣ الكأس ملامته هنالك ، إلى أن صرَّح عبد الملك بما في نفسه ، وألقى القدحَ ، وأقبل يسبُّه ويُغْلِظُ له ؛ فأحسَّ عيسى بالشرِّ ، ورابهُ نظَرُ القوم إلى العيون ، وطفقَ يعتذر ويحتجُّ في إبطالِ ما قُرِفَ به ويشدُّ القَسَمَ على فسادِه ، ويناشدُه في إراقة الدَّمِ ، وعبد الملك لا يلتفتُ إليه ، إلى أن اعتلى الكلامُ وكثُرَ اللَّجَبُ ، فقبضَ عبد الملك على سيفه من جانب الفراشِ فضبَّه على عيسى ، وقد قام فزعاً ؛ فاستقبل وجهه بضربة ، فسقط عيسى ثم أعاد عليه ، وشاركه أصحابه بسيوفهم حتى هبروه ، وحزَّ رأسه ووضِعَ جانباً . وأمرَ عبد الملك أيضاً بقتلِ صاحبَيْه ابن خليفة وابن فتح ^٤ فهبَّرا بالسيوف ، واختلَطَ المجلس ، ولحقَّ كثيراً من أهله دهشةٌ حمكتْ بعضَ من كان بِقُرْبِهِ من الأعاجيم إلى أن رمى نفسه في النهرِ هرباً من القتلِ ، فطاح في اللجَّة . وأمرَ برفعِ رأسِ عيسى بباب

١ ط : جذبه ، والبيان : والقضاء يجذبه .

٢ ط : عتابه .

٣ البيان : ويولي .

٤ هما خلف بن خليفة وحسن بن فتح ، كما في البيان (٣ : ٣٣) .

الزَّاهِرَة ، وما زال هنالك إلى أن فُتِحَتِ الزَّاهِرَةُ على يد ابن عبد الجبار
المَهْدِي ، وذهبت الدَّوْلَةُ العَامِرِيَّة .

وقام عبد الملك من ذلك المجلس، وأمر بتَغْيِيرِ ما وقع ، ثُمَّ لم يَعُدْ إلى
الشرب فيه - زعموا - حياته . وأنفذ في الوقت ثِقَاتٍ خَدَمَهِ إلى منازل
عيسى وأصحابه وكتّابه^١ ، فاستصَفَى^٢ ما فيها وسجن أولادَ عيسى الأكابر
بِمُطَبَقِ الزَّاهِرَة ، وأمر ابنه بطلاقِ أختِ عبد الملك فطلقها ، ولم تزل
خَكِيَّةً إلى أن ذهبت دولة قومها فراجعها . وكان الناس يحسبون مالَ عيسى
التراب^٣ كثره^٤ ، فما وُجد له منه شيء^٥ ، وتعجَّب الناسُ من ذلك ، حتى إن
أولاده إلى آخر أمرهم ما فارقهم الإقلالُ والمستغبةُ . وأعظمَ الناسُ قتلَ
عيسى لجلالة قدره^٦ ، وسار منهم إلى الزَّاهِرَة خَلْقٌ عظيم ينظرون
إلى رأسه .

قال ابن حيّان: وكنتُ في جملة مَنْ نظر إليه، واستبنت الضربةَ بخدّه
الأيمن. وكان أبو العلاء صاعد بن الحسن اللُّغوي منقطعاً إلى عيسى، فكان أوّلَ
من أنشد عبدَ الملك ، على سبيله من سرعة الانقلاب ، شعراً يقول فيه :

فتلك هامتهُ في الجوّ ناطقةٌ تحدّثُ النَّاسَ من آياتها^٦ عيبراً
مكتوبةُ الوجهِ بالهنديّ يقرؤه من ليس يقرأ مكتوباً ولا سطرّاً

١ ط : منازل عيسى وأصحابه .

٢ س : وقبض جميع .

٣ س : كالتراب .

٤ ط : وأعظم الناس قتله .

٥ ط : وسار منهم خلق كثير إلى الزاهرة ليروا رأسه .

٦ س : آياته .

ومن أغرب^١ ما وردت به الرؤيا بعد قتله أن رجلاً من الصُّلحاء رأى
في النوم كأن رأسه يُنشد على الحشبة التي كان عليها :

بانَ الخليطُ وشقتي وجدي وبقيتُ أُنذبُ ربَّهم وحدي
فأذنت^٢ الرؤيا ببينِ آل أبي عامرٍ وصَدَقَتْ إلى مُدَيْدَةٍ . انتهى ما
لخصته من كلام ابن حبان في خبره .

ومن شعر أبي حفص بن بُرْد ، ممّا خاطب به أبا العلاء صاعداً بن الحسن
اللُّخويّ من أبياتٍ يقول فيها :

أهدى لك الودَّ مُحضاً غير مقطوبٍ	أبا العلاء استمع تعريض ذي مقّة
وكم دني قصي في المناسيب	ناءٍ بغربته والفهمُ نِسْبَتُهُ
أما كفى الدهر غَضٌّ دون ^٣ تغريبٍ	وصار في غربة الآداب مغرباً
لا يصلح الحمد إلاّ بعد تجريبٍ	أولاك محمّدةً من بعد تجرّبة
في العلم والظرف والآداب والطيب	أنت الذي لم يُعاشِرْ مثله رجلاً
وكُنْهُ علمك شيءٌ غير محسوبٍ	تحصيلُ فضلك للحساد معجزة
وعيت منها ولا أشياخ يعقوبٍ	أما اللُّغاتُ فلا يعقوبُ يبلغ ما
تُحدّي وسيفتها في كلِّ أسلوبٍ	[وأنت ربُّ القوافي السّارداتِ به
طبُّ تعاليجُ فيها كلُّ مطلوبٍ]	إنّا نناديك للجلّي وأنت لها
رخص البنان كحيل العين مخضوبٍ؟	فهل شعرت ببدْر ^٤ طاف بي غكساً

١ قارن بالبيان ٣ : ٣٥ .

٢ البيان : فأولت .

٣ س : عيش غير .

٤ ط : بزود .

أهدى إلى أرقٍ لو حازها - سينةٌ
حيّاً تحية ذي أنسٍ بنا وجلا
فقلتُ: أهلاً ورحباً، من هداك لنا
وقال: ماذا ترى؟ قلتُ: الغزاةُ في
قال: اتّشدّ اقلتُ: قد أبصرتها قبلاً
[قال: تحرّ فلا تشطط بنا سرفاً
ثمّ اعلمي أنّي من حيكُم دتِفٌ
قلتُ: الوصالُ، فقالت: مه بل وعسى
ثُمّت ولت فأبقت في الحاضرَ ما
فالآن فازجر أو اسجع إن همت به
هذي عبارتها فالأمر^٢ مُشترَكٌ

لم تعدُ بي مزج تصديقٍ بتكذيبٍ
قناع وجه طويل الصّونِ محجوبٍ
ليلاً؟ فردّ بتأهيلٍ وترحيبٍ
ثوب احمرارٍ من الظلّماء غريبٍ
فقال: حلّاً، فقلتُ: الحلّ مطلوبٍ
فقلتُ: ليس سوى التقصيرِ مرغوبٍ [
قالت: علمتُ فلا تخضع لمحبوبٍ
وفي عسى فرجة تُرجى لمكروبٍ
يذكو بدمع على الخدين مسكوبٍ
كسجع شقّ أو الأفعى أو الذيبِ
تلقي أفانينه طراً بتهذيبِ

فأجابه أبو العلاء صاعده بآياتٍ يقول فيها :

ليك ألفاً ، أبا حفص ، إجابة من
أبعد خمس وسبعين التحفّت بها
رمينني بسهامٍ غير طائشة
يا من يرقع بالآمال ما خرقتُ
ناديتني لخيالٍ عسز طائفه
حتى أقيك شذا الأيام عن عضدٍ
إياك والموعد الخوان تقبله

يدّلي إليك بودٍ غير مأشوبٍ
حتى قرعت لهذا الدهر^٣ ظنبوي
حور زرين على صمّ الأنابيبِ
يدا اللبالي ، قبيح صبوة الشيبِ
إلا ليوم عصيبٍ إذ تنادي بي
مكدّد وحسامٍ غير مخشوبٍ
فلا أمانة للعفس المخاضيبِ

١ ط : الصور .

٢ س : فالعلم .

٣ ط : الأمر .

فاكتب على جَمَدٍ ما قد وأنتك به
 ولا تكوننَّ قُرْحَانًا نَصَبْنِ لَهُ
 [الله في قلبك المزجور عن دَدِه
 فقد نجوت وما صدقت فورته
 شيخ الوزارة جِنِّي الكتابة إن
 فلا تسومنَّ شيخاً طار طائرهُ
 وأنت منفردُ المضمارِ مُنْصَلِتٌ
 وضعه في الشمس يذهب غير مصحوب^١
 حتى عدّون عليه عدوة الذئب
 لا تسلمنه لتسفيد وتعذيب
 مهشم القِدَحِ مهضوم الأنايب
 ركبت منها طريقاً غير مركوب
 سوم الشبية في هو الخرا عيب
 غمر البديهة رَوَّاضُ المصاعيب

قوله : « ولا أمانة للعسِ المخاضيبِ » من قول كثير^٢ :
 وإن حلفت لا ينقضُ النأيُ عهدَها فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ
 وقوله : « فاكتب على جَمَدٍ ... البيتِ » ، كقول ابن العميد^٣ :
 مُتَقَلَّبٌ^٤ يأتبك أثبتُ عهدِهِ كالخطِّ يرقمُ^٥ في بسيطِ الماءِ

١ س : مخضوب .

٢ البيت في زهر الآداب : ٧ والمساك : ١٤ : ٧١ ، منسوباً لكثير ، وانظر ديوانه :

١٧٦ .

٣ . اليتيمة ٣ : ١٧٦

٤ اليتيمة : ذي ملة .

٥ ط س : يرسم ، وآثرت ملني اليتيمة لأنه أدق .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم ،
وإثبات ما تخيرت له من النثر والنظم ، مع
ما يتعلق به ، ويذكر بسببه^١

قال ابن بسّام : كان أبو المغيرة هذا ظبّة الحسام ، وواسطة النظام ،
وفارص مبدان البيان ، وذات صدر الزمان ، حلّ من زهر الفضائل ،
محلّ السنن من العامل ، والزبرقان^٢ من المنازل ، وتمت به غرر
المحامد ، تمام الصلّات بالعوائد^٣ ، ومجهول اللّغة بمعلوم الشواهد . ودولة
عبد الرحمن بن هشام المستظهر المتقدمة^٤ الدّكر كانت مهبة^٥ الذي منه
عصّف ، ومجاله الأوّل الذي فيه تصرّف ، ألقي إليه زمامه ، وأخدمته
أيامه ؛ ثمّ عتب عليه في بعض الأمر ، فلحق ببلاد الثغر ، فهناك تسحب
على الدول ، تسحب الهوى على العدل ؛ وامتزج بملوك العصر ، امتزج
الماء بالخمير ، ولو طال مداه لم يذكر معه سواه ، ولا عترف بتفضيله
أحبته وعداه .

نقلت من خط أبي مروان بن حيان قال :

ولحق أبو المغيرة ببلاد الثغر ، وقد اعتلت طبقته في النظم والنثر ، وكتب

١ أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم (- ٤٣٨) ؛ له ترجمة
في الصلة : ٣٦١ والجدوة : ٢٧٣ (البنية رقم : ١١١٠) والمغرب ١ : ٣٥٧
والمطمح : ٢٢ والنفع ١ : ٦١٦ - ٦١٨ ، ٦٢٠ (نقلا عن المطمح) ٢ : ٧٩ - ٨١ .

٢ س : والقمر .

٣ س : تمام الصلة بالعائد .

عن عدّة من الأمراء ، ونال حظاً عريضاً من دنياهم ، إلا إنه اعتبط شاباً بعد أن ألف عدّة تواليف ، وشجر الأمرُ بينه وبين الفقيه أبي محمد بن حزم ابن عمه ، وجرت^١ بينهما هنات ظهرَ عليه فيها أبو المغيرة ، وبكته حتى أسكته ، لأنه كان أنبه من أبي محمد في حضور شاهده ، وذكاءٍ خاطره ، وحُسن هيشته ، وبراعة ظرفه ، وجودة أدبه ، وهو كان في زمانه في الجدلّ والهزل صاحب اللواء ، في مجالس الأمراء ، مستنجزاً للبيضاء ، مقتضياً^٢ للشقرَاء ، وتصور في قلوب الرؤساء فأجزلوا أرزاقه فعظمتُ صلاته وهباته ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قلتُ أنا : وقد أخرجتُ من رسائله العميدية ، وقصائده الليديّة ، ومما جرى بينه وبين ابن عمّه ما يسحرُ الألباب ، ويبهرُ الشعراءَ والكتّاب .

جملة من رسائله في أوصاف شتى

كتب إليه أبو عليّ بن الرّيبّ القرويُّ رُعة يقول فيها^٣ :

إني فكّرتُ في بلدكم أهل الأندلس إذ كان؛ قرارة كل فضل ،
ومقصد كل طرفة ، ومورد كل تحفة ، إن بارت تجارة أو صناعة
فإليكم تجلب ، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق ، مع كثرة
علمائه ، ووفور أدبائه ، وجلالة ملوكه ، ومحبّتهم للعلم

١ ط : وحدث . ٢ س : متطياً .

٣ انظر النسخ ٣ : ١٥٦ ، وأبو عليّ ابن الرّيبّ القروي لمعه الحسن بن محمد التميمي التاهرتي الأصل ، كان عارفاً بالأدب وعلم النسب قوي الكلام يتكلفه بمض التكلف ، وكان عبد الكريم النهشلي بعده شاعراً متقدماً (انظر المسالك ١١ . ٣١٩ نقلا عن ابن الانموذج) .

٤ النسخ : بلادكم إذ كانت ؛ ط : بلادكم . (ويتلو ذلك في النسخ : علمائها ، أدبائها .. الخ) .

وأهله ، ورفّعهم من رفّعه أدبّه ، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يُقدّمون من قدّمته شجاعته ، وعظمت في الحروب نكايته ؛ فشجّع عندكم بذلك الجبان ، وأقدّم الهيبان ، ونبّه الحامل ، وعلم الجاهل ، ونطق العيى^١ ، وشعر البكى ، واستنسر البُعْث ، وتثعبن الحفاث^٢ ، وتنافس الناس في العلوم . ثمّ هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط ، من أجل أن علماء الأمصار دَوّوا فضائل أعيانهم وقتلوا الكتب مآثر أقطارهم ، وأنجار الملوك والأمراء ، والكتّاب والوزراء ، والقضاة والعلماء ، فأبقوا لهم ذِكراً في الغابرين ، ولسان صدق في الآخرين ؛ وعلمواكم مع استظهارهم على العلوم ، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح ، وثابت^٣ على كعبه لا يتزحزح ؛ يخاف أن صنّف أن يُعْتَفَ أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيق^٤ ، لم يُثعَب نفساً أحد منهم في مفاخر بلدّه ، ولم يستعمل نفساً في فضائل ملوكه ، ولا بلّ قلماً بمناب كتّابه ووزرائه ، ولا سَوّد قرطاساً بمحاسن قضاياه وعلمائه ؛ على أنّه لو أطلق ما عقّل الإغفال من لسانه ، وبسط ما قبض الإهمال من بيانه ، لوجد للقول مساعاً ، ولم تضيق عليه المسالك هنالك ، ولكنّهم كلّ أحدٍ منهم أن يطلب شأواً من تقدّمه من رؤساء

١ س : الخارس .

٢ تثعبن الحفاث : اتخذ هيئة الثعبان ، والحفاث : حيوان كالثعبان يفح نحيجه ويثب مثل وثبه ، ولكنه غير مؤذ (الحيوان ٦ : ٣٣ ، ٣٤٥) .

٣ النفع : وراتب .

٤ زاد في النفع : وإن ألف أن يخالف ولا يوافق .

٥ ناظر إلى الآية : ٣١ من سورة الحج .

العلماء ، ليحوزَ قصبَ السَّبَقِ ويفوزَ بِقَدْحِ ابنِ مُقْبِلٍ^١ ، ويأخذَ بِكَظْمِ دَعْبِيلٍ^٢ ، ويصيرَ شَجِيًّا في حلقِ أَبِي العَمَيْثَلِ^٣ : فإذا أدركَ تلكَ البُغْيَةَ ، وجاءته بعدُ المَنِيَّةُ ، دُفِنَ عَليُّه معهُ ، وماتَ ذِكْرُهُ ، وانقطعَ خَبَرُهُ . ومن قدَّمنا ذِكْرَهُ من علماءِ الأمصارِ احتالوا لبقاءِ ذِكْرِهِم ، فألفوا دواوينَ يبقَى لهم بها ذِكْرٌ يَتَجَدَّدُ طوْلَ الأبدِ .

فإن قلتَ : إنَّه كانَ ذلكَ من علماءكم ، وألفوا كتباً لكنَّها لم تصلْ إلينا ، فهذه دعوى لم يصحِّبها تحقيقٌ ، لأنَّه ليس بيننا وبينكم إلا رَوَاجُ رَاكِبٍ ، أو دَلِجَةٌ^٤ قاربٍ ، لو نفثَ بيلدكم مَصْدُورٌ ، لأسمعَ بيلدنا مَنْ في القبورِ ، فضلاً عَمَّن في الدُّورِ والقصورِ ، وتلقَّوا قوله بالقبولِ ، كما تلقَّوا ديوانَ ابنِ عبدِ ربِّه منكم الذي سمَّاه بِ«العِقْدِ» . على أنَّه يَلْحَقُهُ فيه بعضُ اللُّومِ ، إذ لم يجعلْ فضائلَ بلدِهِ ، واسطةَ عقده ، ومناقبَ ملوكه يتيمةً سلَّكه ، لكنَّه أكثرَ وطولَ ، وأخطأ المِفْصَلَ ، وأطالَ الهزَّ بِسيفٍ غيرِ مِفْصَلٍ ، وقعدَ به ما قعدَ بأصحابه من ترك ما يعنيههم ، وإغفال ما

١ هو الشاعر ابن مقبل . الذي يقول في وصف قلع :

غدا وهو مجدول وراح كأنسه من الصك والتقليب في الكف أفلح

خروج من الغمى إذا صك صكته بدا والعيون المتكففة تلحج

(انظر ديوانه : ٢٨ - ٢٩ وثمار القلوب : ٢١٨) وقلح ابن مقبل يقرب في حسن

الأثر .

٢ النفع : دغفل ، وهو دغفل النسابة من بني ذهل بن ثعلبة وكان عالماً بأنساب العرب .

(انظر ديوان القطامي ٣١٠ ، والسان والتاج : عض) .

٣ أبو العميثل : عبد الله بن خليل (أو خالد أو خويلد) : أعرابي خدم طاهر بن الحسين

وأدب أولاد عبد الله بن طاهر بخراسان وتوفي سنة ١٤٠ (الفهرست : ٥٤ - ٥٥ تحقيق

تجدد ؛ وطبقات ابن المعتز : ٢٨٧ وابن خلكان ٣ : ٨٩ - ٩١) .

٤ النفع : رحلة .

يُهمُّهمُ : فأرشد أخاك أرشدك الله إن كان عندك في ذلك الجليّة ، ويديرك
فصلُ القضيّة ، إن شاء الله .

فراجعهُ أبو المغيرة برقعةٍ حَدَفَتْ أَكْثَرُ فصولها لطولها ، منها :

أبتفأك الله من حميمٍ صريحِ الودِّ ، أهدى تحيته على البعد ، فإن
الفهم رحيم ، والأدب ما بين أهله وسائل وذمم ، وليس عديمُ التراثي
والعيان ، بقاطعٍ للأسباب والأقران ، ولا تنائي الديار والمنازل ، بقادحٍ في
الأذمةِ والوسائل ، فالكتاب^١ عيوضٌ عن الكلام ، والتواصل بالنفوس لا
بالأجسام ، وما زلتُ أنتسم ذكرك ، فأترسمُ قدرك ، وأسمعُ خبرك
فأرى خبرك ، حتى أرادت الأيامُ كشفَ السرِّ ، ورفعَ السِّتر ، فوقفتُ
على الصحيفةِ التي ظاهرها ديباجٌ مرقوم ، وباطنُها لؤلؤٌ منظوم ، ووشيٌ
محوك ، وذهبٌ مسبوك ، فرأيتُ صورَ الأدبِ باهرةَ المرأى والعيان ،
شاهدةً لك بأذلقِ لسان ، وأصدقِ بيان ، أنك أبو عذريتها ، ومالكُ
جُمليتها ، وواحدُ فنونها ، وواردُ معينها ، وقادمةُ جناحها ، وصبا رياحها ،
فسألتُ سؤالَ العالم ، وبجئتُ بحثَ اليقظانِ المتغافلِ ، وادّعييتُ الحيرةَ
وأنت أهدى في تلك الفلأ ، من فارطِ القطأ^٢ ، لتعلمَ أين المخطيءُ
والمُصيب ، وكيف الجوابُ والمجيب ؛ والله يُوققُ من المراجعةِ لِمَا
يُرضيك ، ويكونُ وفقَ أمانيك ، وما أجهلُ أني على نفسي أبتهلُ بهذا
الدُّعاء ، لمن أسرَّ حسواً في ارتغاء^٣ .

١ ط : فالكتب .

٢ فارط القطأ : المتقدم منها نحو الورد .

٣ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

فأول ما قدمت في كتابك ما يُقدِّمه ذو الفضل والنبل في الثناء على
 بَلَدِنَا وأهلِهِ ، وَوَصَفْتَ الجميعَ على اختلافِ طبقاتِهِمْ ، وتبايُنِ درجاتِهِمْ ،
 من آرائِهِم التي نَحَوُّهَا ، وعلومِهِم التي وَعَوُّهَا ، بأوفرِ الأقسامِ ، واحتلالِهِم
 من ذلك بالغاربِ والستامِ ؛ حتى عارضَ الجَبَانُ الأسدَ ، وناطحَ الجَوَازِءَ
 الجَلَمَدَ ، وناطَقَ الأعجمُ الفصيحَ ، وبارى الجاهلُ العالمَ ، وجارى
 القاعدُ القائمَ ، نحاسُداً على الفضائلِ . هذا معنى كلامِكَ لم أُورِدْ ألفاظَهُ ،
 وإن أَصَمَّيتُ أغراضَهُ ، لإشفاقاً من أن أَفْضَحَ كلامي بِهِ ، وأدُلَّ على قصورِ
 التي بِمُجْتَثَلَبِهِ ، فأكونَ كمن جَمَعَ بين الشَّبَةِ والذهبِ ، وقَرَنَ الدرَّ إلى
 المَخْشَلَبِ ؛ ثُمَّ قُلْتَ : إنَّ ذِكْرَ الفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي^١ ، والمَيِّتُ المَجْهُولُ
 لا الفاني ؛ فكم من هالكِ آثارُهُ كاشِفَةُ عِيَانِهِ ، وواصفةٌ قَدْرَهُ وشأنَهُ ،
 وَحَيِّ أَثْوَابُهُ كَفَنُهُ ، وَجَهْلُهُ جَنَنُهُ^٢ . وهؤلاء الذين أنْضَيْتَ في وَصْفِهِم
 جِيَادَ مَدْحِكَ ، وَهَتَكْتَ ظَلَامَهُم بِغُرَّةِ صُبْحِكَ ، على غيرِ هذا الرَّأْيِ
 مقيمون ، وبِخلافِ هذا المذهبِ قائلون . فوَلَّيْتَ في حَيَازٍ وَعَزَلْتَ ،
 وَارْتَفَعْتَ في حَالٍ وَنَزَلْتَ ، وَأَتَيْتَ بِغَايَةِ المَحَالِ ، وهو إثباتُ الضَّدَّتَيْنِ
 في حَالٍ ، ثُمَّ زِدْتَ في التَّعْلِيلِ ، وَبَالَغْتَ في الاجْتِمَاعِ على التَّمثِيلِ ، بِاعْتِمَادِكَ
 تَكْذِيبَ من قال : إنَّ الذي قالَهُ غَيْرُكَ لو وَقَعَ لكان قُرْبُ المسافَةِ التي هي
 شَوَاطِءُ جَارٍ ، بل غَمْضَةُ سَارٍ ، توجبُ حُلَّ الشَّكِّ ، وانْجِلَاءَ الإِفْكَ^٤ ؛

١ س : وما رى .

٢ ناظر إلى قول المتنبي (ديوانه : ٥٠٤) :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول الميش أشغال

٣ الجنن : القبر .

٤ باعتمادك ... الإفك : سقط من ط .

فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْنِكَ مُرَاجِعاً لَا يَقْصِدُ فِي أَدَبِ الْمَقَابِلَةِ قَصْدِي ، وَلَا يَعْقِدُ
عَلَى سَانِحِ أَخَوَتِكَ عَقْدِي ؛ يَجْعَلُ جَوَابَكَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيّاً وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي ^١

وَعَفْراً غَفْراً لِهَذَا الْعُقُوقِ ؛ وَخُذْهُ بِإِزَاءِ ^٢ قَوْلِكَ : تَخَطَّفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَقَدْ نَادَيْتَنَا
لَوْ أَسْمَعْنَا ، وَطَرْنَا لَوْ وَقَعْنَا ؛ وَمَا أَشْبَهْنَا بِالْغَرِيبَةِ الَّتِي خَيْرُهَا يَدْفَنُ ،
وَشَرُّهَا يُعْلَنُ ، يُتْعَبُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ ، وَيُرْهِفُ حِسَّهُ ، وَيَعَارِضُ السَّيْفَ
بِفَهْمِهِ ، وَالْبَحَرَ بَعْلَمِهِ ، وَالنَّارَ بِذِكَايِهِ ، وَالزَّمَانَ بِمَضَائِهِ ، وَنَتَائِجُ فِكْرِهِ
مَحْجُوبَةٌ ، وَبَنَاتُ صُلْبِهِ غَيْرُ مَخْطُوبَةٍ :

[إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا لَهَا فَرَحاً عَنْهُ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا] ^٣

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَلَوْ لَمْ يُعْلَمْ لَنَا خَيْرٌ ، وَلَا ظَهَرَ مِنَّا أَثَرٌ ، وَبَقِينَا لَا
يُعْرِفُ مَكَانَتَنَا ، إِلَّا بِإِخْرَاجِ قِسْمَةِ الْأَقَالِمِ لَنَا ، وَالْحَاجَةِ مِنَ الْجُغَرَاْفِيَا إِلَى
ذِكْرِ صُفْعِنَا ، لَكَانَ عِلْداً فِي التَّقْصِيرِ عَنْ اِشْتِهَارِ الْفَضْلِ لَانْحَا ، وَإِنْ
كَانَ تَهْنِئَتُنَا إِلَى أَخْذِهِ وَالْعِلْمِ بِهِ وَاضِحاً ؛ وَإِنْ كُنْتَ بِإِطْلَاقِ قَوْلِكَ قَدْ

١ هُوَ لَكثير فِي ديوانه : ٢٢٢ ولعمد الرحمن بن الحكم فِي الأغاني ١٥ : ١١٧ (ط . د . دار

الكتب) والفَيْث : ٧٠ ويروى لعمرو بن معد يكرب ؛ انظر القسم الثالث : ١١ .

٢ ط : بِأَدَابٍ .

٣ البيت لقعناب ابن أم صاحب من قصيدة فِي مختارات العلوي : ٧ - ٩ والحماسية رقم :

٦٠٦ (شرح المَرْزُوقِي : ١٤٥٠) ، وقعناب شاعر إسلامي كَانَ موجوداً أيام الوليد

ابن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) .

جاهرتنا - وحقك - بالظلم مجاهرةً أنا أعجب كيف انقاد كريمٌ طبعك لها ، وأعجب أيضاً من بُخوعي لك ، ووقوفي عن الانتصاف منك ، وأنا أعلمُ أنَّ عندكم لنا تواليفَ تطيرون بها ، وأشهدُ بتقصير أربابها فيها ؛ وإنَّ ودّاً عقلَ لك لساني ، ولم يُجِرْ إلّا بما تؤثره وتختاره بناني ، لو دُيْفَضَحُ الرّوضَ في حزنه ، براثقِ حسنه ، ورَضُوَى في هَضْبِهِ ، بثِقَلِ وزنه ، ونَوءِ السَّمَاءِ في هَتْنِهِ ، بوابِلِ مُزْنِهِ ؛ وما هي إلّا شَيْمةٌ قديمةٌ فيكم أهلُ الجهةِ الظاهرةِ أعلامُها ، الباهرةِ علومُها وأفهامُها .

قال ابن بسّام : وخرج أبو المغيرة في رسالته هذه إلى التطويل ، وبالغ في الاحتجاجِ بفصول ، هي عادلةٌ عن هذه السبيل ؛ وختمتها بذكر جملةٍ من تواليفِ أهلِ الأندلس ، أضربتُ عن تسميتها لشهرتها .

وله فصل من رقعة : وعسى أن يكونَ شراءُ ذلك الديوانِ شراءَ التجار الأكياس^١ ، من المُدبّرِينَ القائلِينَ بارتضاعِ الكاس ؛ وهَمُّكَ^٢ أن يكونَ أبو الحسين^٣ وسيطك ، وجَمالُهُ شفيعك ، فهو ممّن كان له في الحُسْنِ لواءٌ مرفوع ، وحلّةٌ تُزري بالوشّي الصنّيع ، فعفى تلك الآثارَ ما سال من عذاره ، وطمس ليلُ التّحينةِ ما كان أشرقَ من نهاره ؛ لا جرمَ لقد بقيتْ خيلانٌ كالآثارِ الدّالةِ على الدّيار ، والحلي السقيطِ ، المُخبرِ عن بُينِ الخليط ؛ وإذا تأملتَها قد اشتمل الشعرُ عليها ، وزحفَ من كلِّ جانبٍ إليها ، ذكّرتُ قولَ أبي الطيّب^٤ :

١ ط : والأكياس .

٢ ط : وتعمد .

٣ س : أبو الحسن .

٤ ديوان المتنبي : ١١١ .

بِرُسُومٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لِيَالٍ
وله حديثٌ سَتَسْتَظِرُّهُ إِذَا سَهَلْتَ لَهُ إِذْنَكَ ، وَأَعْرَتَ لَهُ أَذْنَكَ .

وأبو المغيرة في دُعَابَتِهِ هَذِهِ كَمَا قَرَأْتُهُ فِي فَصْلِ كَتَبَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^١ مَعَ غَلَامٍ وَسَمٍ ، قَالَ فِيهِ : هَذَا الْفَتَى
كَمَا تَرَاهُ يَطْلُبُ خِدْمَةً ، وَبِهِ حِشْمَةٌ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَحْمِلُ حِمْلَهُ ،
وَيُؤْتِي كُلَّ حِينٍ أَكْلَهُ ؛ وَقَدْ مَأَّ عَهْدُكَ تَحِينَ إِلَى هَذِهِ الْعَصَافِيرِ ، فَلَمَّا
حُمِرُ الْخَوَاصِلِ صَفَرُ الْمَنَاقِيرِ .

وَعَرِضَتْ عَلَى أَبِي الْمَغِيرَةِ رِسَالَةٌ بِدِيعِ الزَّمَانِ^٢ فِي الْغَلَامِ الَّذِي خَطَبَ
إِلَيْهِ وَدَّعَ بَعْدَ أَنْ عَدَّرَ ، وَبَقَلَ وَجْهَهُ وَأَزْهَرَ ، فَعَارَضَهَا بِرَقْعَةٍ يَقُولُ
فِيهَا : وَرَدَ كِتَابُكَ تَنْشِدُ ضَالَّةً وَدَنَا ، وَتَرْقُعُ خَلْقَ عَهْدِنَا ، وَتَطْلُبُ
مَا أَفَاتَتْهُ جَرِيرَتُكَ إِلَيْنَا ، وَذَهَبَتْ بِهِ جَنَائِثُكَ عَلَيْنَا ، أَيَّامَ غُصْنِكَ نَاضِرٍ ،
وَبَدْرُكَ زَاهِرٍ ، لَا نَجِدُ رَسُولًا إِلَيْكَ غَيْرَ لَحْظَةٍ تَخْرُقُ حِجَابَ الدُّمُوعِ ،
أَوْ زَفْرَةَ تَقِيمُ مُنَادَ الضُّلُوعِ ؛ فَإِنْ رُمْنَا شَكْوَى يَنْفُثُ بِهَا مَصْدُورُنَا ،
أَوْ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا مَهْجُورُنَا ، لَقِينَا دُونَهَا أَمْنَعَ سَدٍّ ، وَأَفْدَحَ رَدٍّ . وَقُلْتُ :
أَهَذَا الطَّامِعُ فِي أَنْ يُطَالَعَ الْقَمَرُ الطَّالِعَ ، وَالرَّائِبُ فِي أَنْ يُصَاحَبَ النَّجْمُ
الشَّاقِبُ ؟ لَشَدَّ مَا زَادَ ، وَأَبْعَدَ مَا أَرَادَ ! حَاوِلْ تَأَلَّفَ الظُّلُمِي الشَّارِدَ ، وَهَضِرَ
الْغُصْنِ الْمَائِدَ ، بِدَمْعَةٍ صَبَّهَا ، وَزَفْرَةٍ شَبَّهَا ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ لِحَظِي سَهْمٌ :
الْقُلُوبُ أَغْرَاضُهُ ، وَأَنْتِي ظُلُمِي : النُّفُوسُ رِيَاضُهُ ؟ فَتَنْصَرِفُ عَنْكَ كَمَا أَتَيْنَا ،
وَنَقْفُ كَمَا جَرَيْنَا ، وَنَعُودُ إِلَى نَارِ الْوَجْدِ بِكَ نَصْلَاهَا ، وَدِيَارِ الْبُعْدِ عَنْكَ
لَا نَبْرَحُ مَغْنَاهَا^٣ ؛ حَتَّى إِذَا طَفِئَتْ تِلْكَ النَّيِّرَانِ ، وَانْتَصَفَ مِنْكَ الزَّمَانُ ،

١ راجع ترجمة ابن طاهر في القسم الثالث من الذخيرة : ٢٤ وكذلك ترجمة ابن عبد العزيز : ٤٠ .

٢ انظر رسائل البديع : ٨٤ وزهر الآداب : ٧٣٢ .

٣ قلت أهذا الطامع ... مغناها : سقط من ط .

بشَعَرَاتٍ أَغْشَتَ هَلَالِكَ كَسُوفًا ، وَقَلَبْتَ دِيَابِجَكَ صُوفًا ، وَأَعَادَتْ
نَهَارَكَ لَيْلًا ، وَنَاحَتْ عَلَيْكَ تَلَهُّفًا وَوَيْلًا ، وَأَطَارَ حَمَامَكَ غُرَابُهَا ، وَحَجَبَ
ضِيَاءَكَ ضَبَابُهَا ؛ فَصَارَ عُرْسُكَ مَأْتَمًا ، وَعَادَ وَصْلَكَ مَحْرَمًا :

وَبَيْتٌ مُدَامًا تَسْرَرُ التَّزْيِيفَا فَأَصْبَحْتَ تُجْرَعُ خَلَاً ثَقِيْفَا
وَصِرْتَ حِجَازاً جَدِيبَ الْمَحَلِّ وَقَدْ كُنْتَ لِلطَّلَالِ الْخَصْبِ رِيْفَا
أَقْبَلْتَ تَنْسَلُ إِلَيْنَا لِيَوَازَا ، وَتَطْلُبُ مِنَّا عِيَادَا ، قَدْ أَنْسَاكَ ذُلُّ الْعَزَلِ
عِزَّ الْوِلَايَةِ ، وَأَوَّلَاكَ طَمَعًا نِسْيَانَا ^١ تِلْكَ الْجِنَايَةِ ، أَيَّامَ تَرَشَّفْنَا سِيَهَامُ
الْخَاطِطِ رَشْفًا ، وَتَقْتَلْنَا سِيُوفُ الْفَاطِطِ عِشْقًا ؛ وَتَمِيسُ غُصْنًا ، فَتُثِيرُ
حُزْنَنا ، وَتَطْلُعُ شَمْسًا ، فَتَغْتِيبُ ^٢ نَفْسًا ، خُدُودُنَا أَرْضُ نِعَالِكَ ،
وَصَدُورُنَا حَدَّ مَجَالِكَ ، وَنَفُوسُنَا مِهَادُ خَبِّكَ ^٣ ، وَقُلُوبُنَا مِيدَانُ حَرْبِكَ ؛
فَالآنَ نَلْقَاكَ بِلَمْعٍ قَدْ جَفَّ ، وَوَجَدَ قَدْ كَفَّ ، وَعِزَاءٌ قَدْ أَيْدَ ، وَصَبْرٌ قَدْ
غَارَ وَأَنْجَدَ ، وَهَوًى قَدْ أَرَاخَ رَوَاحِلَهُ ، وَأَطَاعَ عَازِلَهُ ، وَسَلُّوْ قَدْ قَرَّبَ
رُكَاثِيَهُ ، وَأَسْعَدَ طَالِبِيهِ ؛ وَنَنْظُرُ مِنْكَ إِلَى رَوْضٍ قَدْ صَوَّحَ ، وَسَارٍ قَدْ
أَصْبَحَ ، وَأَعْجَمَ قَدْ أَفْصَحَ ، وَمُبْهِمٍ قَدْ صَرَّحَ ؛ فَلَا شَكَّ وَقَدْ رَفَعَ الْغِطَاءُ ،
وَلَا إِفْكَ وَقَدْ بَرَّحَ الْخَفَاءُ ، وَلَا لَوْمَ وَقَدْ وَقَعَ الْجَزَاءُ ؛ فَهَلَّا ذَكَرْتَ الْمَثَلَ
الْمُمْتَهَنَ : الصَّيْفَ ضَمَيْعَتِ اللَّبَنِ ^٤ ، وَنَسِيتَ مِنْ أَحْرَقْتَ قَلْبَهُ صَدَاً ،
وَأَقْلَعْتَ خَيْلِيَهُ رَدَاً ؛ وَمَلَأْتَ جَوَانِحَهُ ^٥ نَارًا ، وَتَرَكْتَ نَوْمَهُ غِرَارًا ؛
أَنْ يُؤْفِيكَ قَرَضًا ، وَيُجَازِيكَ حَتَّى تَرْضَى ، حِينَ نُكْسِ عِلْمُكَ ،

١ س : نسيانك .

٢ ط : فتفتيت .

٣ هذه قراءة تقديرية ، إذ اللفظة لم ترد في ط ، ووردت في س : بنك ؛ والحب : الخداع .

٤ انظر فصل المقال : ٣٥٧ والميداني ٢ : ١٠ والفاخر : ٩٠ والغني : ٧ .

٥ ط : جوارحه .

وعَشَرَتْ قَدَمُكَ ، وضَاقَتْ طَرُقُكَ ، وأَظْلَمَ أَفْصُكَ ، وخَوَى ١ نَجْمُكَ ،
 وخَابَ قِدْحُكَ ، وقُلَّ سَيْفُكَ ، وحُطَّ رُمْحُكَ . فاطنو ثوبَ وَصْلِكَ ،
 فلا حَاجَةَ لَنَا إِلَى لِبَاسِهِ ، وَازْوِ طَارِقَ شَخْصِكَ ، فلا رَغْبَةَ لَنَا فِي لِبَاسِهِ ،
 فما نُنْتَهِي اليَوْمَ زِيَارَةَ رَمْسٍ مِنْ زَهْدَةٍ فِينَا أَمْسٍ :

حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ كَمَا تُسْوَدُّ بَعْدَ الْمَيِّتِ الدَّارُ
 قَوْلُهُ : « وَبَتْ مَدَامَا تُسْرُ النَّزِيْفَا » ... الْبَيْت : أَخَذَهُ ابْنُ عَبَّادَةَ
 الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَزَازِ ٢ ، وَأَوْجَزَهُ غَايَةَ الْإِيجَازِ فَقَالَ :

يَا عُقَّارًا صَارَ خَلَاً وَمَلَاذًا لِلْبَعُوضِ
 سِرٌّ فَمَا لِي فِيكَ حِظٌّ كَانَ ذَا قَبْلَ الْحُمُوضِ
 مَا أَبَالِي بَعْدَ أَكْلِهِ ٣ زَبْدٍ مِنْ طَرَحِ الْمَخِيضِ

وَالْبَيْتُ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهِ أَخِيرًا لِعَلِيِّ بْنِ بَسَّامٍ الْبَغْدَادِيِّ ٣ ، مِنْ جُمْلَةِ
 أَيْاتٍ قَالَهَا فِي أَخِيهِ جَعْفَرٍ ، مِنْهَا :

يَا مَنْ نَعَتَهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لِحَيْثِهِ ٤ أَدْبَرْتَ وَالنَّاسُ إِقْبَالُ ٥ وَإِدْبَارُ
 قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ يَهْشُ النَّاطِرُونَ لَهُ تَغْضُ ٦ دُونَكَ أَسْمَاعُ ٧ وَأَبْصَارُ

١ س : وهوى .

٢ ستأتي ترجمته في هذا القسم من الذخيرة .

٣ هو علي بن محمد بن منصور بن بسام المعروف بالبسامي (- ٣٠٢ أو ٣٠٣) ؛ انظر
 ترجمته في الفهرست : ١٥٠ (فلوجل) ومعجم المرزباني : ١٥٤ وتاريخ بغداد : ١٢ :
 ٦٢ ومعجم الادباء : ١٤ : ١٣٩ ومروج الذهب : ٤ : ٢٩٧ واختاب الكتاب : ١٨٨
 ووفيات الاعيان : ٣ : ٣٦٣ والفوات : ٣ : ٩٢ والباب (الباسمي) والمدايا والتحف :

١٣٩

لله درُ فتيٌ وَلَتَّ شبيتهُ
 فَيَا لَدَهْرٍ مَضَى مَا كَانَ أَحْسَنَهُ
 وكلُّ شيءٍ له حدٌ ومقدار
 إِذْ أَنْتَ مُسْتَنَعٌ وَالشَّرْطُ دِينَارٌ
 وللرياضِ على خديكِ أنوار
 حانتَ مِنبَتُهُ فَاسْوَدَّ عَارِضُهُ
 كما تَسْوَدُّ بعدَ المَيِّتِ الدارُ

وكان ابن بسام هذا في أوانه ، باقعةَ زمانه ، لم يسلم منه عصرةُ أميرٍ
 ولا وزير ، ولا من أهل بيته صغيرٌ ولا كبير ، وكان أخوه جعفر الذي ذكر
 من أهل الجمالِ الفائق ، وفيه يقول :

حانَ المنيّةُ يا أبا العباسِ
 ما بالُ وجْهِكَ بعدَ كُثرةِ نُورِهِ
 فدَعِ المكاسَ فلاتَ حينَ مكاسِ
 أين الدَّانيرُ التي عودَتَها
 قد سَوَدَّوهُ بِجَالِكَ الْأَنْقَاسِ
 كانت تُجِدُّ ثِيَابَهُ دِيَابِجَةً
 هَبَّهَاتُ جَاءَ الشَّعْرُ بِالْإِفْلَاسِ
 وكذا البناءُ فقيرٌ مُرْتَفِعٌ إِذَا
 فَاسْتَبَدَّتْ حِلْساً مِنَ الْأَحْلَاسِ
 كانت بَلِيَّتُهُ مِنَ الْآسَاسِ

وهو القاتلُ في أبيه^١ وقد بنى داراً :

شَدَّتْ دَاراً خِلَّتْهَا مَكْرُمَةٌ
 ورَأَيْتَاكَ صَرِيحاً وَسَطَهَا
 سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْغَرَقَا
 ورَأَيْتَاهَا صَعِيداً زَلَقَا

واشتهارُ شعره في أبيه^١ وأخيه وأهلِ عصره ، يَمْنَعُنِي عن ذِكْرِهِ ؛
 وَيُذَكِّرُ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ إِذَا كَانَ مِنْ وَادِيهِ ، أَوْ تَنَظَّرَ إِلَى الْأَفَاطِهِ أَوْ مَعَانِيهِ^٢.

١ س ط : ابنته .

٢ هنا تعود النسخة ب فتشترك مع ط س .

ولمّا اتَّفَقَ^١ أن يكونَ عليُّ بنُ بسّامٍ هَذَا سَمِيًّا ، واجتمعت
بالوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدُون أولَ لقائي له بِشَنْتَرِينَ فِي جُمْلَةٍ
أَصْحَابِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَأَوَّلَ مَجْلَسٍ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ فِيهِ ، وَسَمِعَ بَعْضَ الْإِخْوَانِ
يَدْعُونَنِي بِاسْمِي ، فَقَالَ لِي : أَنْتَ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ حَقًّا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ :
أَوَ تَهْجُو حَتَّى الْآنَ أَبَاكَ أبا جَعْفَرٍ وَأَخَاكَ جَعْفَرًا ؟ قُلْتُ لَهُ : وَأَنْتَ أَيْضًا
عبد المجيد ؟ قَالَ : أَجَلْ ، قُلْتُ : وَحَتَّى الْآنَ فَيْكَ ابْنِ مُنَازِرٍ يَتَغَزَّلُ ؟
فَضَحِكُ مِنْ حَضَرٍ لِهَذَا الْجَوَابِ الْحَاضِرِ . وَخَبِرْتُ ابْنَ مُنَازِرٍ مَعَ عَبْدِ الْوَهَّابِ
الثَّقَفِيِّ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُشْرَحَ . وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ فِتْيَانِ ذَلِكَ الْأَوَّانِ ، وَآدَابِهِمْ
وَأَظْفَرِهِمْ ، فَكَلِّفَ بِهِ ابْنُ مُنَازِرٍ وَتَعَشَّيْتُهُ ، فَأَعْتَبْتُ لِعِشْرِينَ سَنَةً ،
فَرَأَاهُ بِذَلِكَ الْقَصِيدِ الْفَرِيدِ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ^٢ :

فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخْلَدَنَ حَيًّا لِعَلَّامٍ أَخْلَدَنَ عَبْدَ الْمَجِيدِ^٣

وَأَمَّا صِفَاتُ الْمُعَذَّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ جَرَتْ خِيُولُ فِرْسَانِ هَذَا
الشَّانِ ، بِهَذَا الْمَيْدَانِ ، وَتَقَنَّنُوا فِي ذَلِكَ نَثْرًا وَنَظْمًا ، وَتَطَارَدُوا فِيهِ
مَدْحًا وَذَمًّا . وَمِمَّنْ ذَمَّهُمْ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا عَبْدُ الْجَلِيلِ^٤ ، حَيْثُ
يقول :

وَأَمْرَدَ يَسْتَهِيمُ بِكُلِّ وَادٍ وَيَنْصِبُ لِلشَّجَى خَدًّا صَلِيًّا
دَعْوَتُ دُعَاءِ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ مُسْتَمْعًا مُجِيًّا

١ تكررت هذه القصة في القسم الثالث من الذخيرة : ٤٩٨ .

٢ ط : فرثاء بالقصيدة التي يقول فيها .

٣ البيت من قصيدة أوردها المبرد في الكامل ٤ : ٦٢ وانظر طبقات ابن المعتز : ١٢٢ -

١٢٤ ونهاية الأرب ٣ : ٨٣ .

٤ ط : عبد المجيد .

فَقَطَّبُوهُ الرِّمَانُ بِمَا جَنَاهُ وَعَلَّقَ مِنْ عِذَارِيهِ الدُّنُوبَا
وأخذه أبو بكر الدَّانِي فقال ١ :

بدا على خدّه عذارٌ في مثليه يُعْذَرُ الكُثيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعْرًا لَكُنْما سِرُّهُ عَجِيبُ
لَمَّا أراقَ الدِّمَاءَ ظُلْمًا بَدَتْ على خدّه الذُّنُوبُ

ولعبد الجليل في هذه الصفاتِ عِدَّةُ مَقْطُوعَاتٍ، فَتَحَ بها جِرَابَ السَّخْفِ،
ولم يَسْتَتِرْ فيها من العقلِ بِسَجْفٍ ؛ وقد كُتِبَتْ من شعره في هذا الباب وسواه
في القِسْمِ الثاني من هذا الكتاب بعض ما اخترناه .

ولم أَسْمَعْ في ذَمٍّ من عُزِلَ عن ولايةِ حُسْنِهِ ، أَحْسَنَ من قولِ بعضِ
أهلِ عصرِنا وهو أبو الحسنِ البَرْقِيُّ ٢ في أبياتٍ تُسْتَنْدَرُ بِجَمَلَتِهَا وهي :

الآنَ لَمَّا رَوَّضْتَ ٣ وَجَنَائِهِ شَوْكًا وَأَضَحَّتْ سَلْوَةُ الْعِشَاقِ
وَأَسْتَوْحِشْتَ مِنْكَ الْمَحَاسِنُ وَاکْتَسَتْ أَنْوَارُ وَجْهِكَ وَاهِي الْأَخْلَاقِ
أَنْشَأَتْ تَبَدُّلُ لِي الْوِصَالِ تَصْنَعًا خَلَقَ اللَّثِيمَ وَشَيْمَةَ الْمَدَاقِ
هَلَاً وَصَلَّتْ إِذِ الشَّمَائِلُ قَهْوَةً وَإِذِ الْمُحِبَّا رَوْضَةً الْأَحْدَاقِ
فَلَكُمْ أَطْلُتْ غَرَامَ قَلْبٍ مُوجِعٍ كَمْ قَدْ أَلَبَّ إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ

١ انظر النخبة ٣ : ٦٦٩ .

٢ المطبع : ٨٩ والنفع ٧ : ٥٥ (نقلا عن المطبع) .

٣ المطبع : صرحت ؛ النفع : صوحت .

ما كُنْتُ إِلَّا الْبَدْرَ لَيْلَةً تَمَّ حَتَّى قَضَتْ لَكَ لَيْلَةً بِمَحَاقِ
لَا حِ الْعَذَارُ فَقُلْتُ : وَجْهٌ ١ نَازِحٌ إِنَّ ابْنَ دَأْيَةَ مُؤَذِّنٌ بِفِرَاقِ

وَلَا بِي الْحَسَنِ فِي هَذِهِ أَيْضاً ٢ عِدَّةٌ مَحَاسِنُ ، إِذْ كَانَ قَدْ خَلَعَ عِذَارَهُ
فِي صِفَاتِ الْمَعْدَرِينَ كَقَوْلِهِ :

وَأَزْهَرَ حَيّاً بِرِيحَانَةٍ تَضَوَّعَ مِنْ عَرَفِهَا الْمُنْدَلُ
وَزَادَ بِنَفْسِجٍ أَصْدَاغِهِ فَقُلْتُ الزِّيَادَةُ قَدْ تُقْبَلُ
وَقَالَ أَيْضاً :

بِأَبِي ٣ الَّذِي خَطَّ الْجَمَالَ لُ يَوْجُهُ لِمَا وَنُونُ
وَأَظْنَنِي جَعَلَ الْمِدَا دَ سَوَادَ أَحْدَاقِ الْجَفُونُ
خَافُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَيْسُو نِ قَعَاوُذُوهُ بِالْعَيْسُونُ
وَهَذَا كَقَوْلِ عَبْدِ الْجَلِيلِ :

وَمُعْدَرِينَ كَأَنَّمَا يَخْلُودُهُمْ طُرُقُ الْعَيْونِ وَمَنْهَجُ الْأَرْوَاحِ
وَكَأَنَّمَا صَقَلُوا الْجَمَالَ وَأَظْهَرُوا مَشْيَ النَّمَالِ عَلَى مُتُونِ صِفَاحِ

وَمَنْ عُنِيَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْمَعْرِيِّ، حَيْثُ يَقُولُ فِي ذِكْرِ السِّيفِ ٤ :
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَاسِيَا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَّتْ نِمالاً

١ النَفْحُ وَالْمَطْحُ وَب : وَجْهٌ .

٢ ط : وَلَا بِي الْحَسَنِ هَذَا ...

٣ ط : يَا ذَا .

٤ شُرُوحُ السَّقَطِ : ٢٨ .

وقال في موضع آخر ١ :

ولا حَسِبْتُ صَغَارَ النَّمْلِ يُمَكِّنُهَا سَعَى عَلَى اللُّجْ أَوْ مَشَى عَلَى السُّعْرِ

وقال بعض أهل عصري وهو الوزير أبو محمد ابن عبد الغفور ٢ :

تُريهِ المنايا الحُمُرُ فيه وجوهها مُحَايِلَةَ الأَرْوَاحِ فِي صُورِ الذَّرِّ

وقال أيضاً بعض أهل أصفنا ٣ :

جداولُ ماءٍ ما تَسُوعُ لِـسِوَارِدِ تَرى النَّمْلَ غَرَقَى فِيهِ غَيْرَ الأَكَارِعِ

وقد كرَّرَ عبد الجليل مَعْنَى بَيْتِهِ الْمُتَقَدِّمِ فَقَالَ :

وَمَشَتْ لِحَاطِي فِي جَوَانِبِ خَدِّهِ حَتَّى أَثْرُنَ بِصَفْحَتَيْهِ طَرِيقَا

وقال أبو محمد بن سارة الشَّنْتَرِي ٤ :

وَمُعَدَّرَ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ فَقَلُّوبُنَا وَجَدَا عَلَيْهِ رِقَاقُ
لَمْ يَكُنْ عَارِضَهُ السَّوَادُ وَإِنَّمَا نَشَرَتْ عَلَيْهِ سَوَادَهَا * الأَحْدَاقُ

وقال أيضاً بعض أهل عصري وهو ابن رِيَّاحِ أَبُو تَمَامِ المَلَقَبُ
بالحِجَامِ ٥ :

١ شروح السقط : ١٦٠ ، باختلاف في الرواية .

٢ سترد ترجمته في القسم الثاني .

٣ نسب البيت في س ب إلى ابن عبد الغفور أيضاً .

٤ ترد ترجمته في القسم الثاني .

٥ س ب : نفضت عليه صباغها .

٦ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ .

يا لُحْبَةُ بَدْوِي الْأَبَابِ لِأَعْبَةٍ
خُلِقَتْ بِبَيْضَاءِ كَمَالِ تَابٍ وَنَاصِعَةٍ
فِي أَسْبَلِ حُسْنِ لَيْلٍ مَرَّتِي تَبِيرُ مُنْفَقِ
فَصَحْبِي بِتَابٍ صَوْدَاءٍ أَمِنْ مَرَاتِكِ فِي الْخَلْقِ
وهو أيضاً القائلُ في هذا المعنى :

وسوداءِ الأديمِ إذا تَجَسَّدَتْ
رَأَاهَا نَاطِرِي فَصَبَّأَ الْإِنْسَانُ
تَبْرِي مَسَاءَ التَّعِيمِ جَرَى عَلَيْهِ
« وَتَبَيَّنَتْ أَلْهِيَّةٌ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ »

وسمعَ الوزيرُ أبو جعفرِ بنُ جُرْجِجٍ أَمْلَأَ أُذُنِيَا قَوْلَ ابْنِ الْجَهْمِ ٢ :
وعائبُ لَيْسُمَرٍ مِنْ جَبَلٍ مَسْكٍ
قُولُوا لَهُ عَنِّي : أَمَا تَسْتَحْيِ ؟
مِنْ جَدَلِ الْكَافُورِ كَالْمَسْكِ ؟
فعارضه بقوله :

وعائبُ لِلْبَيْضِ ذِي إِفْكٍ
دَعَّ عَنكَ هَذَا وَانْقَلَبَ خَاسِئاً
مِمَّارِضِ الْخَافُورِ بِالْمَسْكِ
مَا النُّورِ مِثْلُ الظُّلَمِ الْحُلْكَ
ثُمَّ سَاعِدَ ابْنَ الْجَهْمِ فَقَالَ :

غَضَنْ مِنَ الْآبَتُوسِ أَبْلَدِي
لَيْلٌ نَعِيمٌ أَظْلَمُ فِيهِ
بَنِ مِسْكٍ دَارِينَ لِي ثِمَارَا
نَاطِسِيبٍ لَا أَشْتَقِيهِ نَهَارَا

١ س ب : سراء .

٢ انظر ترجمته في القسم الثالث : ٤٤٨ .

٣ ديوان ابن الجهم : ١٦٢ عن شرح المقامات : ١ : ١٣١ .

ولابن جُرْجٍ أيضاً في مثله :

وسمراء باهى كلفة البدر وجهها
مُحِبَّةٌ من حبة القلب لونها
إذا لاح في ليل من الشعر الجعد
وطينتها للمسك والعنبر الورد

وقال أبو علي ابن رشيقي^١ :

دعا بك الحسن فاستجيبني
تبيهي على البيض واستطيلي
يا مسك في صبغة وطيب
تبه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون
كمقلة^٢ الشادن الريب
فلنما النور عن سواد
في أعين الناس والقلوب

قال ابن بسام : وهذا من الكلام الرائق ، المتأخر السابق ، في تفضيل
السواد على البياض ، مع أن ابن الرومي لم يدع فيه لأحد من اعتراض ،
وقد كان قبله أبو حفص الشطرنجي^٣ قال :

أشبهك المسك وأشبهته
قائمة في لونه قاعده
لا شك إذ لونكمما واحداً
أنكما من طينة واحد

ولما كانت شدة البياض مما يُعاب ، وأن أكف بعض السودان
مُشَقَّقة وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وأن عرقهم خبيث مع الفلح
الملازم لأوساط الشفاه ، وسائر ما فيهم من هذه الأشباه ، نفى ابن الرومي
ذلك كله فقال يصف جاريتة عبد الملك بن صالح السوداء :

١ ديوانه : ٣٦ والفيث : ٢ : ٣٤٥ ونهاية الأرب : ٢ : ٣٩ وشرح المقامات : ١ : ١٣١ .

٢ في النسخ : بمقلة .

٣ زهر الآداب : ٢٢٩ - ٢٣٢ وابن بسام هنا يتابعه ٤ وفي ط : وأبو حفص الشطرنجي
قبله القائل .

سوداءُ لم تتسبب إلى برّصٍ الشُّقرِ ولا كلفةٍ ولا بهقٍ
ليست من العُبسِ الأَكْفِ ولا الفلحِ الشِّفاءِ الخباثِ العرقِ
وبعضُ ما فُضِّلَ السّودُ بِهِ والحقُّ ذو سُلَمٍ وذو نَفَقٍ
ألاّ تَعِيبَ السّودَ حُلُكْتُهُ وقد يُعَابُ البياضُ بالبهقِ
أَكْسَبَهَا الحُبُّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القلوبِ والحدقِ
فانصَرَفَتْ نحوها الضّمائرُ ١ والـ

ولمّا سمع ابنُ الروميّ قولَ أبي نُؤاسٍ ، وقد نبّه نديماً للصُّبوحِ
فأخبر عن حاله ، وهو من جيّدِ تشبيهاته :

فقام والليلُ يجلوه الصّباحُ كما جلا التّبسمُ عن غرّ الثّنيّاتِ ٢
قال ابن الروميّ في هذه القصيدة :

يَقْتَرُّ ذَاكَ السّودُ عن يَقَسَقٍ من ثَغَرِها كاللّآلِئِ والنّسَقِ
كَأَنَّهَا والمِزاجُ يَضْحِكُهَا ليلٌ تَقَرَّى دُجَاهُ عن فَلَاسِقِ

وقضّلُ كلامِ ابنِ الروميّ على سواه ، أنّه قدّم في التّشبيهِ لمعناه
مُقدّمةً أيدتّه ووطأت له الآذان ، وأصغّت الأفهامَ إلى الاستِحسانِ ،
وهي قوله : « يَقْتَرُّ ذَاكَ السّودُ عن يَقَسَقٍ » وكان سؤلُ أنْ يَسْتغْرِقَ
في صِفَاتِ محاسنها الظّاهرةِ والباطنةِ فقال :

لها حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَتَهُ من قلبِ صَبٍّ وصَدْرٍ ذي حَنَقٍ

١ ط البصائر .

٢ ديوان أبي نؤاس ٢٥٠ .

كَأَنَّمَا حَرَّهُ^١ لَذَائِقِهِ مَا أَلْهَبَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حَرِّقٍ
يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِ

وفكر ابن الرومي فيما فكر فيه التابعة إذ أمره النعمان بوصف المتجردة فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ثم كرهه أن يذكر من باطنها^١ مالا يسوغ لثله أن يذكره منها ، فرد الإخبار عن تلك الصفات إلى صاحبها وهو الملك فقال :

زعم الهمام بأن فاهها بارد^٢ عذب مقبله شهية المورد

الآيات ، فقال ابن الرومي :

وصفت فيها الذي هويت على الذ^٣ وهم ولم أنتبذ ولم أذق^٢
إلا بأخبأ راء التي وقعت منك إلينا عن ظبيبة البرق
حاشا لسوداء منظر سكنت^٤ دارك إلا من مخبر يقق

ولما سمع الفرزدق يرثي امرأة توفيت حاملاً ، حيث يقول^٢ :

وجفن سلاح قدرزئت فلم أنح^٥ عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي بطنه من دارم ذو حفيظة^٦ لو أن المنايا أنسأته لياليا

قال ابن الرومي :

أخلق بها أن تقوم عن ذكر^٧ كالسيف يفري مضاعف الحلق

١ ب س م زهر الآداب : فضائلها . ٢ زهر الآداب : ولم نخبر ولم نذق .
٣ زهر الآداب . ٢٣٢ والصاعقتين : ٢٠٦ والموازنة : ١ : ٨٣ وأحار أبي تمام : ٢٢٠ .

إِنْ جُفُونُ السُّيُوفِ أَكْثَرُهَا أَسْوَدُ ، والحقُّ غيرُ مُخْتَلَفٍ .
 فزاد زيادةً بَيِّنَةً ، وعبارَةً واضحةً ، لم تَقْتَصِرْ إلى تفسِيرِ أصحابِ
 المعاني ، وبلغ من الإجادة ، فوق الإرادة . ومناسبةُ الشَّعْرِ في المعنى والالتفاتِ
 كثيرة ،

ونرجع الى رسائل أبي المغيرة :

فصل من رقعة له ^١ : مُؤدِّي كتابي هذا قصدَ حضرةَ الحاجبِ الفاضل ،
 ولم يجدْ بُدّاً من سَبَبِ واصل ، إلى رجاءِ حاصل ، وأنتَ هنالك في كلِّ
 مَطْلَبٍ صالح ، ومذهبٍ راجح ، الدَّلْوُ والرِّشَاءُ ، والنهايةُ والابتداءُ ؛
 وللقُرَشِيِّينَ ^٢ أَلْسِنَةٌ بالثناءِ فصاح ، ومنْ أَوْلَاهُمْ يداً فقد حَمَلَ
 محاسنَهُ أجنحةَ الرِّياح ، وكبَّها في غُرَّةِ الصُّباح .

فصل من رقعة شفاعَةٍ أيضاً :

إذا شَرِبَ رَوْضُ الشُّكْرِ ، مِنْ حَوْضِ البِرِّ ، أَطْلَعَ مِنَ الزَّهَرِ ، ما
 يُخْجِلُ مَسَكَ الطُّرَرِ ؛ وَتَنْقَسَ عَنْ نَسِيمِ ، يَشْفِي حَرَارَةَ الْقُلُوبِ الهِيمِ ،
 وَبِحَسَبِ الْقَائِلِ يَكُونُ الْمَقَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ الْجَائِلِ يَتَّسِعُ الْمَجَالُ ، وَأَبُو الرَّبِيعِ
 مِنْ عَلِيمِ لِسَانِهِ إِنْ قَالَ ، وَبَيَانُهُ قَصُرَ أَوْ طَالَ ؛ وَأَنَّهُ أَشَدُّ بُنَاةٍ الْكَلَامِ
 حِرْصاً ^٣ ، إِذَا وَجَدَ آجُرًا وَجِصًّا ؛ وَأَعْظَمُ جِيَادِهِ تَهَافُتًا ، إِذَا وَجَدَ مِيدَانًا
 مُتَفَاوِتًا ، فَمَنْ أَوْثَقَهُ بِرًّا ، طَوَّقَهُ شُكْرًا ، وَمَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْفَضْلِ

١ لم يرد هذا الفصل في ط .

٢ ب س : ولأعرسيين .

٣ حرصاً : لها وجه من معنى ، ولعلها أن تقرأ « نرصاً » وهو الاحكام .

من طرازِ الإكرام ، نَزَعَ إليه بجيادِ الحمدِ من مَرَبِطِ الكلام ، ؛ ولم يَزَلْ
يَمْرِي خِلْفَ الطَلَبِ ، بِيَدِ الأدبِ ، وَيَسْرِي فِي ظِلَامِ^١ الامور ،
بِسِرَاجِ المنظومِ والمثور ، حتَّى إذا رأى تلكَ الأسبابَ رِثَاءً ، وعَيْنَ مُبْرَمَ
وسائِلِها أنْكَاثًا ، طَلَقَ عِرْسَ الشعرِ ثَلَاثًا ، وصار لا يرى نُجْعةَ الأدبِ ،
ولو أوطأته على أرضِ الذهبِ ؛ فَمَنْ سَمَاهُ أديبًا^٢ فقد عَقَّه ، أو وَسَمَهُ
بشاعِرٍ فقد أَبْطَلَ حَقَّه ؛ حتَّى إذا لَقِيَ من كَرِيمِ صَوْنًا ، وعلى ما يُحَاوِلُهُ
عَوْنًا ، ذَكَرَ فَشَكَرَ ، بِثَنَاءِ كالزَّهَرِ ، تحتَ أُنْدَاءِ السَّحَرِ ، وَأَمْسَكَ
من الآدابِ ، على هذا الذَّنَابِ ، ولولا أن يَسُرَّ بهذا القَدْرُ ذَا قَدْرٍ ،
لَصَدَقَ الحَمْلَةُ ، ومحاها من صَدْرِهِ جُمْلَةً ، ونَزَعَ إلى تَصَوُّفٍ بِحَمْدٍ فِيهِ
رَأْيُهُ ، وَيُجْنِيهِ ثَمَرُ العَيْشِ مِنْهُ سَعْيُهُ ؛ فقد سَمَّيْتُ تَشْبِيهُهُ بِالْعِيَالِ ،
وَدُخُولِهِ تَحْتَ المِنَنِ السَّابِقَةِ الأَذْيَالِ^٣ . وَغَرَضُهُ مِنْكَ . - أَعَزَّكَ اللهُ -
رَأْيُ أَصِيلٍ ، وإرشادُ جَمِيلٍ ، وتَأْنِيسُ يَسْهَلٍ بِهِ وَغَرُ الزَّمانِ ، ويثني
إليه - إن شاء الله - شارِدَ الأمان .

وله من أخرى : أَعَزَّكَ اللهُ - في الاحتِماءِ حَسَمُ الدَّاءِ ، ولا عُدُوٌّ
للإنسانِ إِلَّا نَفْسُهُ ، وَلَا حَيَّةٌ وَلَا عَقْرَبٌ إِلَّا جِنْسُهُ ؛ وليس في الحيوانِ ،
أَخْبَثُ في ذاتِهِ مِنَ الإنسانِ ؛ فالاحتراسُ كُلُّ الاحتِراسِ ، والمعاشِرةُ
الجميلةُ لِلنَّاسِ ؛ فأبْصِرْ بِصِيرَتِكَ ، وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ ، وَلَا تُلْدَغَنَّ
من جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَاذْكُرِ المِثْلَ السَّائِرَ في اللَّأْعَبِ^٤ بين وتَدينِ ؛

١ ب : ظلم .

٢ ب س : بأديب .

٣ في ط ب س : الاندال ، وبها مش ط : الأذبال .

٤ ط : اللعب .

والعاقلُ من حملته كلُّ بلدٍ ، ونَفَقَ عندَ كلِّ أحدٍ ، وأَعْقَلَ منه مَنْ عَرَفَ النَّاسَ ولم يَعْرِفُوهُ ، فَاسْتَرَحَ من أَجْنَبِيٍّ^١ مُتَكَلِّفٍ ، أو قَرِيبٍ^٢ غَيْرِ مُنْصَفٍ ، ولم يَفْتَقِرْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِ ، ولم يَأْنَسْ إِلَّا بِنُورِ لُبِّهِ .

وله من أخرى :

فَالْأَرْضُ قَدْ نَشَرَتْ مِثْلَاءَهَا ، وَسَحَبَتِ رِءَاءَهَا ، وَلَبَسَتْ جِلْبَابَهَا . وَتَقَلَّدَتْ سِخَابَهَا ، وَبَرَزَ الْوَرْدُ مِنْ كِمَامِهِ ، وَاهْتَزَّ الرَّوْضُ لِتَغْرِيدِ حَمَامِهِ ؛ وَالْأَشْجَارُ قَدْ نَشَرَتْ شُعُورَهَا وَهَزَّتْ رُءُوسَهَا ، وَالدُّنْيَا قَدْ أَبَدَتْ بَشَرَهَا وَأَمَاطَتْ عُبُوسَهَا ؛ وَكَأَنَّ بِهَا قَدْ أَطْلَعَتْ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ ضُروباً ، وَأَبَدَتْ مِنْ جَنَاهَا مَنْظَرَ عَجِيباً ؛ وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَارِكُ فِي تِلْكَ إِلَّا بِالْعِيَانِ لَا بِاللِّسَانِ ، وَبِالطَّرْفِ لَا بِالْكَفِّ ، وَنَالُهَا بِالِاخْتِلَاسِ لَا بِالْأَضْرَاسِ ، وَلِلدَّهْرِ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ اللَّذَّةِ ، وَصِنْفٌ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهْوَةِ :

شَهِدْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَأَنَّا عَلَى اللَّذَاتِ فِي الدُّنْيَا شُهُودٌ

وَحَالِي حَالٌ لِّلْسِقَامِ بِهَا اتِّصَالٌ ، وَلِلصَّحَةِ عَنْهَا انفِصَالٌ ، يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ ضَعْفُ الْبِنْيَةِ ، وَفَسَادُ الْأَهْوِيَةِ ، وَالتَّخْلِيطُ فِي الْأَغْذِيَةِ ؛ وَبَعْضُ مُصْلَحِيهَا بَلْ كُلُّهُ تَعْجِيلُكَ مُطَالَعَتِي بِحَالِكَ ، لِأَسْكُنَ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَشَفَعَ لِي بِخَبَرِ فُلَانٍ^٣ ، وَاشْرَحَ لِي مِنْ خَبَرِ فُلَانٍ ، وَأَيْنَ بَلَغَ مِنْ تَكْسِبِهِ^٤ ، وَحَيْثُ انْتَهَى مِنْ تَطَبُّبِهِ ، وَكَيْفَ ظَرُوفُهُ وَخَزَائِنُهُ ،

١ ط : أَجْنَب .

٢ ط : غَرِيب .

٣ وَحَالِي حَالٌ .. هَلَان : سَط من ط ، وَجَاءَ فِي مَوْضِعِهِ : « وَفِي فَصْلِ مِنْهَا » .

٤ ط : تَلْبِسُهُ .

ولَعُوقَاتُهُ وَمَعَاجِينُهُ ، وَهَلْ يَنْفَعُ طِبُّهُ ، وَيَنْفَعُ بُخْتَجُهُ وَحِبُّهُ ١ ؛
وَصِفْتُ لِي مَا يَقُولُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَيُبْنِدِيهِ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَأَهْدِي إِلَى مَا يُنَمِّقُهُ
مِنَ الْمَقَالِ ، عَلَى الْكَبِيدِ وَالطُّحَالِ ، وَيُرْقِشُهُ مِنَ الْكَلَامِ ، فِي الْقَالِجِ
وَالزُّكَامِ ؛ فَالْحَمْدُ لِمَنْ قَرَنَ لَهُ ذَلِكَ إِلَى الْقِيَامِ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالتَّمَهُّرِ ٢
فِي الْأَحْكَامِ ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْفَلَاحِ عِنْدَ الْجِدَالِ وَالْخِصَامِ .

وله من أخرى ٣ :

فَكَمْ لَيْثٌ كَامِنٌ فِي غَايِهِ ، سَمِعْتُ صَرِيفَ أَنْيَابِهِ ، وَقَفَرْتُ أَنْيَسْتُ
فِي يَبَابِهِ ، إِلَى عَوَاءِ ذَنَابِهِ ؛ لَا أَمْرٌ إِلَّا بِالتَّصِّ الْمُسْتَكْبِ ، وَلَا أَلْفَى
غَيْرَ الْخَارِبِ الْمُسْتَهْبِ ؛ وَشِعَارِي عِنْدَ النَّائِبَةِ أَلْقَاهَا فَأَتَحَطَّاهَا ، وَالنَّازِلَةِ
أَرَاهَا فَاتَعَدَّاهَا ، قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ ٤ :

فَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَكِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ

وَأَنَا أَرْقُبُ مِنَ الزَّمَانِ صَنِيعَهُ ، وَأُنْتَظِرُ الْحِمَامَ وَأَتَحَيَّلُ وَقُوعَهُ ؛
وَهُوَ يَنْدَهَبُ بِي إِلَى قِبَلَةِ الْأَمَالِ وَأَنَا لَا أَصْدَقُ ، وَيَسُوقُنِي إِلَى مَحَطِّ
الرَّحَالِ وَأَنَا لَا أَحَقِّقُ ، وَيَوْمُ بِي الْبَحْرَ الَّذِي لَا تُحْصَى فَوَائِدُهُ ، وَالغَيْثَ
الَّذِي لَا يَخِيبُ رَائِدُهُ ؛ وَهَلَلْتُ إِحْمَاداً لِمَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ ، وَعَلِمْتُ أَنِّي
فِي الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُوطَأُ رِحَابُهُ ، وَلَا يُطَارُ غُرَابُهُ ، وَلَا يُخْفَضُ شَجَرُهُ ،

١ البنج : العصور المطبوع ، والحب : وعاء مثل الدن .

٢ ط : والتعهد .

٣ سقط هذا الفصل والذي يلبه من ط

٤ ديوان المتنبي : ٤٧٨ .

ولا يُمنَعُ ثَمَرُهُ ، ولم أَلْبَثْ أَنْ نَزَلْتُ بِلِقَاعِ الْحَصِيبِ ، وَتَمَكَّنْتُ مِنَ
الرَّشَاءِ وَالْقَلِيبِ .

وفي فصل : وما أَعْلَمُ نَائِبَةً كَفَرَاكَ أَهْدًا لِمَتْنِ ، ولا نازلةً كُنَايَكَ
أَجْلَبَ لِحْزَنِ ، وما كُنْتُ أَرِيمُ رَبْعَكَ لو كَانَ ليَ الْخِيَارُ ، ولا أَبْرَحُ مُتْرَاكَ
لو سَاعَدَتْنِي الْأَقْدَارُ .

فقد كُنْتُ أَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنِّي يَعْبِرُنِي قَوْمِي بِأَدْرَاكِهَا وَحَدِي

وله فصل من أخرى :

لم أَزَلْ أَزْجُرُ لِلِقَاءِ سَيِّدِي السَّانِحِ ، وَأَسْتَمْطِرُ الْغَادِيَّ وَالرَّائِحَ ،
وَأُرُومُ اقْتِنَاصَهُ وَلَوْ بِشَرَكِ الْمَنَامِ ، وَأَحَاوُلُ اخْتِلَاسَهُ وَلَوْ بِأَيْدِي الْأَوْهَامِ ،
وَأَعَاتِبُ الْأَيَّامَ فَلَا تُعْتِيبُ ، وَأَقُودُهَا إِلَيْهِ فَلَا تُصَحِّبُ . حتَّى إِذَا غَلَبَ
الْيَاسُ ، وَشَمِتَ النَّاسُ ، وَضُرِبَتْ بِي الْأَمْثَالُ ، فَقِيلَ أَكْثَرُ الْأَمَالِ ضَلَالُ ؛
تَنَسَّهَ الدَّهْرُ مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَحَلَّ مِنْ عَقْدَتِهِ ، وَقَبِيلَ مِنِّي ، وَأَظْهَرَ
الرَّضَى عَنِّي ؛ وَقَالَ دُونَكَ مَا جَمَعَ ، فَقَدْ سَمِعَ ؛ وَإِلَيْكَ فَقَدْ دَنَا ، مَا كَانَ
فِي الْمَنَى ؛ فَطِيرْتُ بِجَنَاحِ الْارْتِيَاكِ ، وَرَكِبْتُ إِلَى الْغَمَامِ كَوَاهِلَ الرِّيَاحِ ؛
وَقُلْتُ فُرْصَةً تُغْنِنَنِي ، وَرُكْنًا يُسْتَكَمُ ، وَطَرَقْتُ رَوْضَةَ الْعِلْمِ عَمِيمَةً
الْأَزْهَارِ ، فَصِيحَةَ الطَّائِرِ ، رِيَا الْجَدَاوِلِ ، بَارِدَةَ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ ،
وَطُفْتُ بِكَعْبَةِ الْفَضْلِ مَصُونَةَ الْحَبَرِ ، مَلْثُومَةَ الْحَجَرِ ، عَزِيزَةَ الْمَقَامِ ،
مَعْمُورَةَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، فَمَا شَتَّ مِنْ مُحَاضِرَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
بَيْنَ يَدَيَّ نَثْرٍ يُرِي ١ الْإِعْجَازَ ، وَنَظْمٍ مَا أَشْبَهَ الصَّدُورَ بِالْأَعْجَازِ ،

وحديث تَقِفُ العُقُولُ بِإِزَائِهِ ، وتَرَوِي بِصَافِي مَائِهِ . فحين شَمَخَ بِالظَفْرِ
أَنفِي ، وَاهْتَزَّ لِنَيْلِ الْأَمَلِ عِدْنِي ؛ وَالدَّهْرُ يَضْحَكُ سِرًّا ، وَيَتَأَبَّطُ
شَرًّا ؛ وَقَدْ أَذْهَلَنِي الْجَدَلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّي بِهِ ، وَأَوْهَمَنِي نَزْوَعُهُ عَنْ
ذَمِّهِ مَذْهَبَهُ ، أَلَّتْ أَلْوَانُهُ ، وَفَسَا ظَرِبَانُهُ ، وَنَادَى لِيَقُمُ مَنْ قَعَدَ ،
وَيَنْتَبِهْ مَنْ رَقَدَ . إِنَّمَا فَتَرْتُ تِلْكَ الْفَتْرَةَ ، لِيَكُونَ مَا رَأَيْتَ عَلَيْكَ حَسْرَةً
وَسَمَحَتُ لَكَ مَرَّةً ، لَتَذُوقَ مِنَ الْأَسَفِ عَلَيْهَا كَأْساً مَرَّةً . فَرَأَيْتُ وَقَدْ كَانَ
غُطَّتِي عَلَى بَصْرِي ، وَعَقَلْتُ وَكُنْتُ فِي عَمِيَاءَ مِنْ خَبْرِي ؛ وَقُلْتُ : هَذَا
الَّذِي أَعْهَدُهُ مِنْ لُؤْمِيهِ ، وَأَعْتَرِيهِ مِنْ شُؤْمِهِ ، مَا وَهَبَ إِلَّا سَلْبَ ، وَلَا
أَعْطَى إِلَّا سَاعَاتٍ كَابْتِهَامِ الْقَطَا ؛ فَيَا لَهُ مِنْ قَادِرٍ مَا الْأَمَّ قُدَّرْتَهُ ، وَذَابِحٍ
مَا أَحَدٌ شَفَعَتْهُ ! وَلَوْ تَسَلَّطَ عَلَيْنَا مَنْ يَظْهَرُ إِلَيْنَا شَخْصُهُ ، لِأَدْرَكَتْهُ
رِمَاحُنَا ، وَعَصَفَتْ بِهِ رِيَاحُنَا ؛ وَطَاحَ بَيْنَ مَوْتُورَيْنِ مَتَا : قَاصِدُ أَبَوِهِ
قَجْطَانُ ، وَمَقْصُودُ أَبَوِهِ كَسْرَى أَنْوُ شِرْوَانِ . وَمَا ظَنَنْتُكَ بِصَرْيَخِ يَثُوبُ إِلَيْهِ
مَنْ يَعْزُبُ ثَائِبُهَا ، وَمَنْ بَنِي سَامَانَ كَسْرَى حَقَّتْ بِهِ مَرَازِبُهَا ؛ لَكِنَّهُ أَمِيرٌ
مِنْ وَرَاءِ سَجَنْفٍ ، يَسْعَى بِلَا رِجْلٍ وَيَصُولُ بِلَا كَفٍّ .

وهذا ٢ محلول من قول أبي الطَّيِّبِ حيث يقول ٣ :

وما الموتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلٍ

وأخذه المعتمد بن عباد فقال : ٤

١ ط : أُنْتُ .

٢ ط : وَهُوَ .

٣ ديوان المتنبي : ٢٧١ .

٤ ديوان المعتمد : ١٠ .

ولكنها الأيام تُرْدِي بلا ظُبَا وتُصْمِي بلا نبلٍ وترمي بلا يدٍ

وهو معنى مُتداوِلٌ مشهور ، وهو في نثرهم ونظمهم ^١ كثير . وفي هذه الرسالة ألفاظٌ كثيرة ، حلَّها من معقودِ الشعراءِ أبو المُخَيَّرَةِ ، منها قولُ محمد بن هانئٍ الأندلسي ^٢ :

وركبتُ شأوَ مآربٍ ومطالبٍ حتَّى امتطيتُ إلى الغمامِ الرِّيحَا

وله ^٣ : قد أغنَى الله ما يشاءُ بتمكُّنِ بُنيانِهِ ، وثباتِ أركانِهِ ، عن تعاطي القولِ في تقرِيظه ووصفه ، ورأيتُ ما هَزَزْتَ مِنِّي في خدمةِ إرادَتِكَ ماضيَ الحَزِّ ، لَينَ المَهَزِّ ، لو صادفَ مضرباً ووقعَ على مَحَزِّ ، وإذا احتجتُ إلى دليلٍ على مُعتَقَدِي في تأتِي أوطارِكَ ومآربِكَ ، وحظِّي في شُعَبِ أنحاثِكَ ومذاهبِكَ ، فالجزءُ أصغرُ من الكُلِّ . مفتقرٌ إلى البرهانِ ، وكلُّ مُقَدِّمَةٍ موجودةٍ بالعقلِ محتاجةٌ إلى الشرحِ والبيانِ ، وإذا كانتِ حالُّنا مَبْنِيَّةً على هذا الأَبْسِ ، وثبتتْ صُورَتُهُ هذه في النَفْسِ ، فقد عَيِيَتْ إذْ قَصَّرَتْ بِي الأقدارُ ، عن مَوْقِفِ الاعتذارِ .

وله من أخرى :

وأما فلانٌ فالكلامُ وإن طالَ فيه قصيرٌ ، والواصفُ دونَ بلوغِ مداهِ حسيرٍ ، لله أبوه ، صحةُ إخاءٍ ، ومَحْضُ وفاءٍ ، وحَسْبُكَ أَنَّهُ في الرَعِيلِ

١ ط : النثر والنظم .

٢ ديوان ابن هانئ : ٣٠ .

٣ سقط هذا الفصل من ط .

٤ الأَبْس : التحقير ؛ وربما كانت « الألس » أي الكذب والنش .

الأول من إخواني ، وفي الصَّدْرِ المُقَدَّمِ مَن أُنِيقُ به من أهلِ زَمَانِي ،
وإنْ كانَ فيهِمْ ذُو السَّرْوِ والْفَضْلِ ، والتَّبَاهَةِ والنُّبْلِ .

وكلُّ له فَضْلُهُ ، والحُجُولُ يَوْمَ التَّفَاضُلِ دُونَ الغُرُرِ

وليالي الخريفِ خُضْرٌ ولكِنَّ زَهْدَتَنَا فِيهَا لِيَالِي الرَّبِيعِ

وله من أخرى :

وإن رَأَيْتَ تَأْنِيْسِي بكَتَابِ أَجْنَلِي مِنْهُ وَجْهَ الْبَدُورِ ، وجَواهِرَ النُّحُورِ ،
وَدُرَرَ الشُّغُورِ ، وَأَجْنَيْتِي بِهِ ثَمَرَ السَّرُورِ ، وَأَرْتَعُ مِنْهُ فِي رِياضِ الْعُلُومِ ، مَا
بَيْنَ مَثُورٍ وَمَنْظُومٍ ، نَفَسْتُ مِنْ خِناقِ مُشْتاقٍ كَثِيبٍ ، وَأَنْتَسْتُ مِنْ وَحْشَةِ
مُنْفَرِدٍ غَرِيبٍ ، بِحَيْثُ لَا أَخُ كَرِيمٍ ، وَلَا وَلِيَّ حَمِيمٍ ، فَقَدْ صَرْتُ ، وَلَا
أَحِيلُ عَلَى الْأَثَرِ بَعْدَ الْعَيْنِ ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ^١ :

مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَخْلَةَ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

وَعَرَفْنِي بِعُلُوِّ مَكَارِمِكَ ، وَوُضُوحِ مَعَالِمِكَ ، فِي دَرَجِ كِتَابِكَ ،
وَطَيَّ خَطَابِكَ ، بِحَالَتِي شَقِيقِي فِي النَّسَبِ ، وَشَفِيعِي فِي الْأَدَبِ ، أُمِّي فُلَانٍ
وَفُلَانٍ :

هُمُ الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَبْقَطُونِي فِي الْهَوَى رَقَدُوا^٢
وَلِلَّهِ أَيَّامٌ جَلَالِي الدَّهْرِ شَخِصَتَيْنِ شَجَنِي نُورٌ ، بِقُلُوبِ أَسَدٍ

١ ديوان المتنبي : ١٤ .

٢ البيت للعباس بن الأحنف ، ديوانه : ٨٤ (رقم ١٥٩) والشعر والشعراء : ٤٧٦ ،

٧٠٧ . وروايته : أشكو الذين .

والحافظ صفور ، إذ كنتُ كالعروسِ وهما قُرطاي ، أو كالفلكِ الدَّوَّارِ
وهما قَمَرَاي ، وأنسنا كالمشترى نازلاً بِبُرجِ القوس ، وسعدنا كسعدِ
مُحتَبَيَّابِينِ الخُزرجِ والأوس .

وله من أخرى يُخاطِبُ بها عن نفسه الفقيهَ أبا عمرَ ابنِ عبدِ البرِّ^١ :

ولقد بَقِيتُ حالي بَعْدَكَ مَرِيضَةً ، وَعَيْنُ آمَالِي مَغْضُوضَةٌ ، وَأَبْدِي أَنْسِي
مَقْبُوضَةً ، وَجَبُوشُ صَبْرِي عَنْكَ مَفْضُوضَةٌ ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْبَعْدُ الطَّوِيلُ
أَحْدَثَ بَعْضَ السَّلْوَانِ ، وَأَتَى بِمَا فِي طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ مِنَ النِّسْيَانِ ، وَإِنْ كَانَ
هَذَا الْقَوْلُ لَا يُقَالُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، بَلْ عَلَى الْإِضَافَةِ لِمَا فِي الْحَالِ بِحَدِيثِ
الْإِفْتِرَاقِ ، حَتَّى إِذَا وَقَعَ اللَّقَاءُ تَأَجَّجَ مِنْ ذَلِكَ الْإِلْتِيَاعِ خَامِدُهُ ، وَثَارَ
رَاكِدُهُ ، وَسَالَ جَامِدُهُ ، وَكَانَتْ حَالُنَا مَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^٢ :

افْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

وله من أخرى :

بِانْعِكَاسِ الزَّمَانِ ، انْعَكَسَتْ أَمْثَالُ^٣ الْبَيَانِ ، كَمَا يَرُوى^٤ فِي نَجْمِ
الْفَقِي الْمُدْعِي لِلْكِتَابَةِ عِنْدَ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ ، أَنَّهُ عَايَاهُ بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ

١ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي (- ٤٦٣) ٢ الظر

ترجمته في ابن خلكان ٧ : ٦٦ وترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨ وتذكرة الحفاظ ١١٢٨

والصلة : ٦٤٠ والجدوة : ٣٤٤ (وبذية المنتسب رقم : ١٤٤٢) والمغرب ٢ : ٤٠٧

والدياج الملعب : ٣٥٧ .

٢ ديوان المتنبي : ٥٢٦ .

٣ س ب : أعلام .

٤ ط : كنا نروي .

صاحب البريدِ بِخَبَرِ بَقَرَةٍ وَلَدَتْ غَلاماً ، فَأَنشَأَ خُطْبَةً مُفَتَّتَحُهَا :
الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَنَامِ فِي بَطُونِ الْأَنعامِ . فَجَدَّ بَ الرُّقْعَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَبَالِغِ
فِي إِجْزَالِ صَفْدِهِ . وَإِذَا تَأَمَّلْتَ انْقِلَابَ الزَّمانِ ، وَمَا وَقَعَ لِي مَعَ فُلانٍ ، انْقَلَبَتْ
الْخُطْبَةُ فِصَارَتِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَنعامِ فِي بَطُونِ الْأَنعامِ . وَأَبْدَأُ بِمُحْدِثِ
الْيَهُودِيِّ مُوَصِّلِ كِتَابِكَ : دَخَلَ الحَضْرَةَ عَقِيبَ جَوْلَةٍ كَانَتْ لِي مَعَ ابْنِ
مُخَامِسٍ — حَشَرَ اللَّهُ كُلِيهِمَا مَعَ صَاحِبِهِ — فَوَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ حَالُ مَنْ مِنْهُمَا
أَضْعَفُ وَأَظْلَمُ ، أحوالُ الْيَهُودِيِّ بِمُضَادَّةِ الدِّينِ ، أَمْ حَالُ هَذَا الْمُسْلِمِ ؟
فَوَافِي وَقَدْ كَشَفَتْ عَوْرَاتِهِ ، وَمَا زَالَتْ مَكْشُوفَةٌ ، وَعَرَفَتْ سَوَاتِيهِ ،
وَمَا زَالَتْ مَعْرُوفَةٌ ، إِنْخِاراً عَنْهُ ، وَتَحْذِيراً مِنْهُ ، وَإِعْلَاماً بِمَا يَسْتَرُهُ ذَيْلُهُ ،
وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ لَيْلُهُ ، مِنْ قَبَائِحَ يُمْلِيهَا الْعَارُ ، وَيَكْتُبُهَا ١ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .
وَفِي فَصْلِ مِنْهَا :

وَجَاءَ فِي مُقَدِّمَةِ صَهْرِ يَصْهَرُ بِهِ جَنْبَهُ ، وَفِي نِكَاحٍ يَنْكَحُ الرَّدَى مِنْهُ
قَلْبَهُ ، يَمْشِي مَشْيًى مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الْمُشْتَرِي وَالزُّهْرَةِ ، لَا مَشْيًى مِنْ سَعْيِ
لِتَرْكِيبِ حِرٍّ عَلَى كَسْمَرَةٍ ، وَأَيُّ دُرَّةٍ حَاوَلَ إِخْرَاجَهَا مِنْ صَدَقَةٍ ، مَا أَشْبَهَ
النُّكْرَةَ هَا هُنَا بِالْمَعْرِفَةِ ، قَبَحَ اللَّهُ زَمَاناً يُقَرِّبُ إِلَى اللَّثِيمِ حَصَاناً ، وَإِلَى
الْكَرِيمِ أَتَاناً .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى ، خَاطَبَ ٢ بِهَا الْفَقِيهَ أَبَا مُحَمَّدٍ بِنِ حَزْمٍ أَبْتَتَّ مِنْهَا بَعْضُ
الْفُصُولِ فِرَاراً مِنَ التَّطْوِيلِ ، وَافْتَتَحَهَا بِبَيْتِي أَبِي نَوَاسٍ ٣ :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ امْتِرَائِي فِي رَسْمٍ تَوَهَّمَهُ عَيْنِي وَيَرَفُضُهُ وَهْمِي

١ ط : من مقابح يحليها (اقرأ : يحليها) العار ويكشفها .

٢ ط : يخاطب .

٣ ديوان أبي نواس : ٣٢٥ .

أَتَتْ صُورَةُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ^١ فَظَنَنْتِي كَلَا ظَنَّهُ وَعَلِمَنِي كَلَامَهُ.

وَقَفْتُ — كَلَاكَ اللَّهُ — وَأَنْتَ عَيْنُ التَّحَامِ . وَعَلِمَ الْأَعْلَامُ . عَلَى كِتَابٍ عُنْوَانُهُ بِاسْمِكَ أَسْمَالُ^٢ ، كَأَنَّهُ طَلَلُ^٣ بِالِ ، فَكُلَّمَا هَزَزْتُهُ هَوَمَ ، أَوْ سَأَلْتُهُ اسْتَعْجَمَ ؛ مَعْنَى كَصَلَى الْإِنْسَانُ ، وَلَفْظُ كَمُنْهَجَاتِ الْأَكْفَانِ ؛ وَأَعْرَاضُ^٤ لَا يَدُبُّ فِيهَا سَهْمٌ^٥ مُقَرَّطِسٌ ، وَإِظْلَامٌ لَا وَضَحَ فِيهِ لَصِيحٌ مُتَنَفِّسٌ ، وَرَطَانَةٌ تَمُجُّهَا الْأَسْمَاعُ ، وَتَجْتَوِيهَا الطَّبَاعُ ، فَأَقَمْتُ مُتَبَكِّدًا ، وَعُدْتُ عَلَى نَفْسِي وَفَرِيحَتِي مُتَرَدِّدًا ، فَقَالَتَا : أَفِقْ^٦ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، لَسْتَ بِالنَّبِيِّ سَلِيمَانَ ، مَتَى وَعَدْنَاكَ أَنْ نُقْهِمَكَ كَلَامَ الْحُكُلِ وَسِرَارَ التَّمَلُّ ؟ ! أَلَمْ نَسْلُكْ بِكَ فِي شِعَابِ الْكَلَامِ فَتَغْلُغْتَ ؟ أَلَمْ تَسِيرْ فِي صَحْرَائِهِ بَيْنَا فَأَوْغَلْتَ ؟ أَلَمْ تَجْرُ فِي مِيدَانِهِ فَسَبَقْتَ ؟ أَلَمْ تُنِرْ فِي ظُلُمَائِهِ فَأَشْرَقْتَ ؟ هَلْ أَحْسَسْتَ بِنُكُولِ جَنَّانٍ ، أَوْ قُصُورِ لِسَانٍ ، فِيمَا نَظَّمْتَ كَالْعُقُودِ ، عَلَى تَرَائِبِ الْفَتَاةِ الرَّودِ ، وَنَشَرْتَ كَالْتَجْوِمِ ، فِي صَفْحَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ؛ قَالَتَا : فَأَعْرِضْ عَنْ رَطَانَةِ الزُّطِّ ، وَصَفِيرِ الْبَطِّ ، وَلَا تَعُجْ عَلَى طَلَلٍ بَائِدٍ ، وَدَارٍ قَدْ أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَقُلْتُ : أَسْرَقْتُمَا طَاغِيَتَيْنِ ، إِنَّ كَاتِبَ الصَّحِيفَةِ لَنُدْرَةُ الزَّمَانِ ، وَلَعَلَّمُ^٧ نَوْعَ الْإِنْسَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا كَذَبَ الْعُنْوَانَ ، وَنَحْلِلَ ذَلِكَ الْهَدْيَانَ ؛ فَأَعَدْتُ النَّظَرَ ، فَإِذَا بِكَ أَبَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِهِ ، كِتَابٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الظُّلُمِ الْعَبْقَرِيِّ ، وَالْبُهْتَانِ الْجَلِيِّ ، وَمُكَابَرَةٍ^٨ الْعِيَانِ ، وَمُدَافَعَةٍ الْبُرْهَانِ ، قَدْ طَمَسَ

١ ط : لهم ؛ ولعل الصواب : « لا مله فيها لهم » .

٢ ط : ارفق .

٣ ط : ولعلم . ٤ ط : ومكابدة .

اللهُ أنوارَه ، وأظْهَرَ عوارَه ، فجاء كالقلاةِ العُوراء ، لا ماءَ ولا شجر ،
والليلةِ الظلمات ، لا نجْـمَ ولا قمر .

وفي فصل منها :

فاستَقْصَرْتُ من دَفَع إليَّ كتابَكَ فقلت : من لي بمثلِ غاشيتِكَ
من هذه العِصابة ، وبأشباهِ المُلمينَ بك من تلكَ البابة ، ونسيتَ أبا محمدٍ
غاشيتِكَ وشيعتَكَ ، التي صِرتَ رئيسَ مِدرَاسِهِمْ^١ ، وكبيرَ أحراسِهِمْ ،
تُحدِّثُهُم عما كان فيهِم من العِبر ، وتُخْبِرُهُم بما تعاقبَ عليهم من
الصفِّ والكدر ؛ فتارةً عن السَّامِرِيِّ والعِجْلِ ، وتارةً عن القَمَلِ والنمل .
وطوراً تُبْكِيهِم بحديثِ التَّيه ، وطوراً تُضْحِكُهُم بقومِ جالوتَ وذَوِيهِ ؛
حتى كأنَّ التَّوراةَ مُضْحِكُكَ ، وبيتَ الحِزَّانِ مُعْتَكِفُكَ ، وأنا بِمَعْزِلٍ .
وأنتَ تُحدِّثُ وتَعْزِلُ ؛ وتَعْجَبُ من حرصِي ، ونسيتَ نَفْسَكَ أبا محمدٍ ،
حينَ قطعْتَ البَيْداءَ تَبْلُوكَ السماءَ ، وتُرْعِدُكَ الجِرْيَاءُ^٢ ، في وَقْتٍ
تَكْمُنُ فيه أنواعُ الحيوانِ ، وأحَقُّها بالكُمُونِ نوعُ الإنسانِ ، لَتَرِثَ حَيًّا
قائماً على حالِهِ ، مالِكاً لَمالِهِ ، يدعو اللهَ عليك ، أنِ اسْتَطَلَّتْ عُمُرُهُ .
ونَعَيْتَ إليه نفسَهُ .

وفي فصل منها :

ومن ظريفٍ ما في كتابكَ قولُكَ : أقصرها وأتأخَّها^٣ . ومن أين نَقَدَ

١ ط : مدارسهم .

٢ الجرياء : الرياح التي تهب بين الجنوب والصحرا ؛ وقيل هي النكباء التي تجري بين الشمال
والدبور ، وقيل هي ريح شمالية باردة .

٣ ط : وقلت في كتابكَ « وأتأخَّها » .

تَصَرُّكَ، حَتَّى هَمَزَتْهَا هَمَزَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ قِرْنَهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، وَمَا
أَضْنَكَ جَعَلْتَهَا إِلَّا تَمِيمَةً، لَتِلْكَ الْقِطْعَةُ الْكَرِيمَةُ، امْتِنَالًا لِقَوْلِ الْقَائِلِ :

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا السَّكَمِ إِلَى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ

وَمَنْ لَكَ بِأَنْ نَصْبَرَ عَلَيْكَ، وَتَتَأَنَّى بِكَ، وَهَذَا الْجَوَابُ كَمَا تَرَاهُ ابْنُ
الزَّيْتِ وَنَتِيجَةُ السَّاعَةِ، وَنَفْثَةُ مَنْ لَا يَخْرُجُ لَهُ الْكَلَامُ عَنْ طَاعَةِ، وَمَنْ
تَشْغَلُهُ عَنِ التَّفَاسِيرِ كُلِّفَ السُّلْطَانِ، وَتَثْقِلُهُ أَعْيَاءُ الزَّمَانِ، كَادَ يَنْتَشِشُ
فِي ظَهْرِ كِتَابِكَ قَبْلَ حَصُولِهِ بِيَدِي :

فَقُلْ فِيمَا يَجْنُ عَلَيْهِ لَيْلٌ وَيَمْضِي فِي صِيَاغَتِهِ نَهَارٌ
هَنَالِكَ تَظْهَرُ الْآيَاتُ حَتَّى يُقَالَ تَتَأَثَّرُ الْفَلَكَ الْمُدَارُ

فَرَاغَهُ الْفَقِيهَ أَبُو مُحَمَّدٍ بَرَقَةَ قَالَ فِيهَا ١ :

سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾، وَسَلَّمْتُ
وَانْقَدْتُ لِحَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ
ظَلَمَكَ »، وَرَضِيتُ بِقَوْلِ الْحُكَمَاءِ : « كَفَاكَ انْتِصَارًا مِمَّنْ تَعَرَّضَ
لِأَذَاكَ إِعْرَاضُكَ عَنْهُ » . وَأَقُولُ :

تَبِعَ سِوَايَ امْرَأً يَسْتَغْيِي سِبَابَكَ، إِنَّ هَوَاكَ السَّبَابُ
فَلَمَّا أَبَيْتُ طِلَابَ السَّفَاهِ وَصُنْتُ مَحَلِّي عَمَّا يُعَابُ
وَقُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ بَعْدِ ذَا وَأَكْثَرُ فَإِنَّ سَكُوتِي جَوَابُ

.....

١ انظر نفع الطبيب ١ : ٧٩ .

وأقول :

كفاني ذِكْرُ النَّاسِ لي وما ثري
عدوتي وأشياعي كثيرٌ كذاك مَنْ
وما لكَ فيهمْ من عدوٍّ فيُتَقَى
وقولي مسموعٌ له ومُصدَّقٌ
ولاني وإنْ آذيتني وعَققتني
وما لكَ فيهمْ يا ابنَ عَمِّي ذاكرُ
غدا وهو نَقَاعُ المساعي وضائر
وما لكَ فيهمْ من صديقٍ يُكَاثِرُ
وقولكَ مُنْبِتٌ مع الرِّيحِ طائر
لِمُحْتَمِلٍ ما جاءَ بي منك صابر

فوقع له أبو المَغيرةِ على ظَهْرِ رُقْعته : قرأتُ هذه الرُقْعَةَ العاقَةَ فحين
استَوْعَبَتْهَا أنشدتني :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعْلٌ لما رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ ١

فأردتُ قَطْعَهَا ، وتركَ المُرَاجعةَ عنها ، فقالت لي نفسٌ قد عَرَفْتَ
ذَكَاءَهَا : تاللهِ لا قطعَها إلَّا يَدُهُ ! فأثبتُ على ظهرها ، ما يكونُ سبباً
لصَوْنِها ، وقلت :

نَعَقْتَ ولم تَدْرِ كيف الجوابُ
وأجريتَ وحدَكَ في حَلَبَةٍ
وبِتٍّ من الجهلِ مُسْتَنْبِحاً
فكيف تبيئتَ عُقْبَى الظلومِ
لعمركَ مالي طباعٌ تُذَمُّ
أنيلُ المَنَى والطُّبَا سُخْطُ
وأخطأتَ حتَّى أذاك الصَّوابُ
نأتُ عنكَ فيها الجيادُ العِرابُ
لغيرِ قِرَى فأتتكَ الذَّنابُ
إذا انتَقَضَتْ في الحَمِيسِ العقابُ
ولا شِمةٌ يَوْمَ مَجْدٍ تُعَابُ
وأعطي الرضي والعوالي غِضَابُ

١ تمثل به أبو الميرة ، وهو للأثل البكري الأزدي كما في البيان ١ : ٤٢ والكامل

١ : ٣١ وشم الخواارج ١٣٠

وأقول :

وفاصِبِ حَقِّ أَوْبَقَّتَهُ الْمَقَادِرُ
غداً يَسْتَعِيرُ الْفَخْرَ مِنْ خِيَمِ خَصَمِهِ
أَلَمْ تَتَعَلَّمْ يَا أَخَا الظُّلْمِ أَتَنِي
تُذَكِّلُ لِي الْأَمْلَاكُ حُرَّ نَفُوسِهَا
وَأُبْعَثُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ شَوَارِدًا
فَإِنْ أَثْنُوْا فِي أَرْضٍ فَإِنِّي سَائِرٌ
وَحَسْبُكَ أَنَّ الْأَرْضَ عِنْدَكَ خَاتَمٌ
إِذَا كُنْتُ فِي ظَهْرِ مِنَ الْعَدْلِ مُنْجِدًا
وَلَا لَوْمْ عِنْدِي فِي اسْتِراحتِكَ الَّتِي
فَإِنِّي لِلْحِلْفِ الَّذِي مَرَّ حَافِظٌ
هَنِيئًا لِكُلِّ مَا لَدَيْهِ فَإِنِّهَا
[قَوْلُ أَبِي الْمُغِيرَةِ : « فَإِنْ أَثْنُوْا فِي أَرْضٍ ... الْبَيْتِ ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ
الْبَحْرِيِّ ٣ :

وَشُهْرَتُْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا فَكَأَنِّي فِي وَسْطِ نَادٍ جَالِسٌ
قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ أَبِي مُحَمَّدٍ :
يَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدٍ اتَّقِ اللَّهَ تَرَشُّدٍ
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْمُغِيرَةِ : « عَلَيْكَ بِفَحْضِ التَّيْبَةِ ... الْبَيْتِ] .

١ من قول قاتل محمد السجاد :

يذكرني حاميم هـ الرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

٢ التفتح : تليينهم .

٣ ديوان البحري : ١١٣٣ .

وإذ قد انتهى بنا القول إلى ذكر أبي محمد بن حزم^١ ، فأنا ألمع في هذا
الموضع بلمعة من خبره ، حتى أدل على عينه بأثره ؛ فإنه كان كالبحر
لا تكف غواربه ، ولا يزوى شاربته .

وقد وجدت للشيخ أبي مروان بن حبان فصلاً أورده فيه ذكره ، وجرده
— زعم — لشرح أمره ، وأنا أثبتته بأسره .

قال ابن حبان : كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل
ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم
القديمة من المنطق والفلسفة . وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة^٢ ، غير أنه
لم يخل فيها من الغلط والسقط ، لجرأته في التسوّر على الفنون لاسيما المنطق ، فإنهم
زعموا أنه زل هنالك ، وضل في سلوك تلك المسالك ، وخالف
أرسطاطاليس واضيعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض في كتبه^٣ .
ومال به أولاً النظر في الفقه إلى رأي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
وناضل عن مذهبه ، وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وسّم به ، ونُسب إليه ،
فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر

١ ترجمة أبي محمد في الجذوة : ٢٩٠ (البغية رقم ١٢٠٤) والصلة : ٣٩٥ ، وطبقات
الأمم : ٨٦ والمطبع : ٥٥ والمغرب : ١ : ٣٥٤ والمعجب : ٣٠ وتاريخ الحكماء
للقفطي : ١٥٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٤٦ ومسالك الأبصار (ج : ٨) ونفح
الطيب : ٧٧ : ١ ومعجم الأدباء : ١٢ : ٢٣٥ وعبر النهي : ٣ : ٢٣٩ والشذرات : ٣ : ٢٩٩
واين خلكان : ٣ : ٣٢٥ وفي طوق الحمامة أخبار كثيرة عنه ، وقد كتبت عنه دراسات
كثيرة في العصر الحديث .

٢ ط : وله في ذلك عدة تواليف .

٣ هذه التهمة موجودة في طبقات صاعد : ٨٦ .

٤ ط : على .

إلى قول أصحاب الظاهر ، مذهب داود بن علي^١ ومن اتبعه من فقهاء الأمصار ، فنقحه ونهجه وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله ، رحمه الله .

وكان يحمل علمه هذا ويُجادل من خالفه فيه ، على استرسال في طباعه ، ومَدَل بأسراره ، واستنَاد^٢ إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ، لِيُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ؛ فلم يك يَلْطَفُ صَدَقَهُ بما عنده بتعريض ، ولا يَزْفُهُ^٣ بتدريج ، بل يَصُكُّ به مُعَارِضَهُ صَكَّ الجندل ، وَيُنْشِقُهُ مُتَلَقِّيهِ^٤ إنشاقَ الخردل ، فينقَرُّ عنه القلوب ، ويوقع بها الندوب ، حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فتمالأوا على بغضه ، وردوا قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامتهم عن الدثو إليه والأخذ عنه ، فطفق الملوك يُقْصُونَهُ عن قُرْبِهِمْ ، وَيُسَيِّرُونَهُ عن بلادهم ، إلى أن انتهوا به إلى مُنْقَطِعِ أثره بثرية بلدته من بادية لبلة^٥ ، وبها توفي رحمه الله سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وهو في ذلك غير مرتدٍ ولا راجعٍ إلى ما أرادوا به ، يَبُتُّ علمه^٦ في من يتأبه بباديته تلك ، من عامة المُقْتَسِبِينَ

١ هو داود بن علي بن خلف (- ٢٧٠) أصبغاني الأصل ، نشأ ببغداد ، وأوجد القول بالظاهر فاستقل بمذهب يعد أن كان شديد العصية للشافعي (انظر ابن خلكان ٢ : ٢٥٥ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٦٩ والفهرست ٢١٦ وطبقات السبكي ٢ : ٤٢ وتذكرة الحفاظ : ٥٧٢) .

٢ ط : واستناده .

٣ ط : يرقه .

٤ ب : متلقنه .

٥ لبلة (Niebla) في الجنوب الغربي من اسبانيا ؛ انظر الروض المعطار ، الترجمة الفرنسية : ٢٠٣ والموسوعة الإسلامية ؛ وابن حزم من قرية قريبة منها تدعى منت لثم .

٦ ط : العلم .

منه ، من أصاغري الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة ، يُحذثهم ويُفقههم
ويُدأرسهم ولا يدعُ المثابرة^٢ على العلم ، والمواظبة على التأليف ،
والإكثار من التصنيف ، حتى كَمُل من مُصنّفاته في فنون العلم وقرُبِيع^٣ ،
لم يَعدْ أكثرُها عتبةً بابَه لتزهِيدِ الفقهاء طُلابِ العلم فيها ، حتى أُحرقَ
بعضُها بإشبيلية ومزقتْ علانية ، لا يزيدُ مؤلفها ذلك إلا بصيرةً في
نشرها ، وجدالاً للمُعاند فيها ، إلى أن مضى لسبيله^٤ .

وأكثرُ معاييه — زعموا — عندَ المُنصِّف له ، جهلُه بسياسةِ العلم التي
هي أعرَضُ من إيعابه ، وتخلُّفُه عن ذلك على قوَّةٍ سبَّحه في غماره ؛ وعلى
ذلك فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه ، ومغيب شاهد علمه عنه
عند لقاءه ، إلى أن يُحرِّك بالسؤال فيُفجِّرُ منه بحرَ علم لا تُكدِّره الدلاء ،
ولا يَقْصُرُ عنه الرشاء ، وعلى كل ما ذكرناه دلائل ماثلة ، وأخبار
مأثورة .

وكان ممَّا يزيدُ في شنَّائِهِ تشيُّعُه لأمراء بني أمية ، ماضيهم وباقيهم
بالمشرقِ والأندلسِ ، واعتقاده لصحة إمامتهم ، وانحرافه عَمَّنْ
سواهم من قريش ، حتى نُسبَ إلى التَّصَبُّ لغيرهم^٥ .

١ ط : فيهم .

٢ ط : المناظرة .

٣ ومزقت ... لسبيله : لم يرد في ط .

٤ ط : وبالأندلس .

٥ في بعض هذا جانب من الغرابة ، فابن حزم في رسالة له في أسماء الخلفاء والولاة يمتدح
إمامة ابن الزبير ويقول في مروان بن الحكم « وهو أول من شق عصا المسلمين بسلا
تأويل ولا شبهة وبأيمة أهل الأردن وخرج على ابن الزبير » (جوامع السيرة : ٣٥٩ ،
وانظر نقاشنا في المقدمة : ١٢ ط ١ انظر أيضاً) ويقول ابن حزم أيضاً في المحلى ١ :
٢٣٦ : مروان ما تعلم أنه جرحه قبل خروجه على أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير .

وقد كان من غرائب انتماءه في فارس ، واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المَعْقِلُ في زمانه ، الرَّاجِحُ في ميزانه . أحمدُ بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمته ، لا عن صحة ولاية لهم عليه ، فقد عهدهُ الناسُ خاملَ الأبوة ، مَوْلِدَ الأرومة من عَجَمٍ لَبْلَة ، جدُّه الأذَنى حديثُ عهدٍ بالإسلام ، لم يتقدَّمْ لسلفه نباهةً ، فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيتَ نفسه في آخرِ الدهر برأسِ رابية ، وعمله بالخلالِ الفاضلة من الرَّجاحةِ والمعرفةِ والدِّهَاءِ والرُّجولةِ والرأي ، فاغتنى جرثومةَ شرفٍ لمن ناهم ، أغنَتْهُمْ عن الرسوخِ في أولي السابِقة ، فما من شرفٍ إلَّا مسبوقٌ عن خارجية ، ولم يكن إلَّا كَلَاً ولا ، حتَّى تَخْطَى عليّ هذا رابيةَ لَبْلَة ، فارتقى قلعةً إصْطَخَرَ من أرضِ فارس ، فالله أعلمُ كيف ترقّاها ، إذ لم يكن يؤتى من خطلٍ ولا جهالة ، بل وصلته بها وسعُ علمٍ وشيجةُ رحِمٍ معقومة بلكها بمسأخرِ الصلّة ، رحمه الله ، فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصفته ، وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يظلم الناسَ مثقالَ ذرة ، عزّتْ قُدْرته .

ولهذا الشيخُ أبي محمد مع يهودَ لعنهم الله ومع غيرهم من أولي المذاهبِ المرفوضة من أهل الإسلام مجالسٌ محفوظة ، وأخبارٌ مكتوبة ؛ وله مصنّفاتٌ في ذلك معروفة ، من أشهرها في علل الجدَل كتابه المسمّى : « الفصل بين أهل الآراء والنحل »^١ . ومن تواليفه « كتابُ الصّادع والرّادع » [في الرد] على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد . وله كتابٌ في شرح حديثِ الموطأ والكلام على مسائله ؛ وله « كتاب الجامع » في صحيح الحديث باختصار الأسانيد ، والاقتصار على

١ نشر هذا الكتاب في خمسة أجزاء (القاهرة : ١٣١٧ - ١٣٢١) .

أصحتها واجتلابِ أكمل ألفاظها وأصح معانيها ، و « كتاب التلخيص والتخليص »^١ في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص^٢ عليها في الكتاب ولا في الحديث ، و « كتاب منتقى الإجماع وبيان من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف » ، وكتاب « الإمامة والسياسة » في قسم سير الخلفاء ومراتبها والتدب إلى الواجب منها^٣ . و « كتاب أخلاق النفس »^٤ ، وكتابه الكبير المعروف بـ « الإيصال إلى فهم كتاب الحصال »^٥ ، وكتاب « كشف الالتباس » ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس ؛ إلى تواليف غيرها ، ورسائل في معاني شتى كثير عددها .

ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد^٥ قوله :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمّنه القرطاس بل هو في صدري
يسرُ معي حيثُ استقلتُ ركائبي	ويُنزلُ إن أنزلُ ويدفنُ في قبري
دعوني من إحراقِ رقّ وكاغد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يلري
ولا فعودوا في المكاتبِ بدأة	فكم دون ما تبغون لله من سري

وله :

من ظلَّ يَبْغِي فروعَ علم	بدءاً ولم يدْرِ منه أصلا
فكلّما ازداد فيه سعيًا	زادَ لعمري بذاك جهلا

١ هو رسالة نشرتها مع مجموعة من رسائله (انظر الرد على ابن النفيلة : ١٣٧) ؛ القاهرة ١٩٦٠

٢ أكثر النقل عنه ابن رضوان في كتابه « الشهب اللامعة » ، واستخرج الاستاذ ابراهيم الكتاني ما أورده ابن رضوان ونشره مستقلا .

٣ هو رسالة في صورة « مذكرات » (انظر رسائل ابن حزم ١١٣ - ١٧٣) القاهرة ١٩٥٤ .

وقد نشرتها السيدة ندى طومش وترجمتها إلى الفرنسية . (بيروت : ١٩٦١)

٤ من هذا الكتاب قطعة بدار الكتب المصرية .

٥ ابن عباد : سقطت من ط .

وقال :

كأنتك بالزوّار لي قد تبادروا وفيل لهم أودى عليّ بن أحمد
فيا ربّ محزونٍ هناك وضاحك وكم أدمع تذرّي وخدّ غدد
عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً عن الأهل محملاً إلى بطن ملحد
وأترك ما قد كنت مغتبطاً به وألقى الذي آتست دهرأ بمرصد
فواراحتي إن كان زادي مقدماً وبنا نصبي إن كنت لم أتزود

ويا لبّدائع هذا الحبر علي بن حزم وغرّره ! ما أوضّحها على كثرة الدّافنين^١ لها ، والطّامسين لمحاسنها ! وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه ، فأزهد الناس في عالم أهله . وقبله أزدى العلماء تبريزهم على من يقصر عنهم ، والحسد داء لا دواء له ؛ انتهى ما لخصته من كلام ابن حيّان في خبره .

قلت أنا : ولعمري ما عقه ، ولا بخسه حقّه . وأخبرني الفقيه الحافظ أبو بكر ابن الفقيه أبي محمد ابن العسري عن الفقيه أبي عبد الله الحميلي قال^٢ : كان لشيخنا الفقيه أبي محمد بن حزم في الشعر والأدب نفّس واسع ، وباع طويل . وما رأيت أسرع بديهته منه ؛ وشعره كثير ، وقد جمّعه على حروف المعجم ، ومنه ما كتّيب عنه :

هل الدهر إلا ما رأينا وأدركنا ؟ فجائعه تبقّى ولداته تفتنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولّت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعات في المعاد وموقف نودّ لديه أننا لم نكن كنا

١ ط : الرّاقبين .

٢ جنة المقتبس : ٢٩١ - ٢٩٣ .

حَصَلْنَا عَلَى هَمٍّ وَلِثْمٍ وَحَسْرَةٍ وفات الذي كُنَّا نَلَدَّ بِهِ عَنَا
حِينَ لَمَّا وَلَّتْ ، وَشَغَلْتُ بِمَا أَتَى وغم لما يَرَجَى . فَعِيشُكَ لَا يَهِنَا
كَأَنَّ الَّذِي كُنَّا نَسْرُّ بِكَوْنِهِ إِذَا حَقَّقْتَهُ النَّفْسُ لَفْظًا بِلَا مَعْنَى

قال : وله أيضاً من قصيدةٍ خاطب بها قاضي الجماعةِ بقرطبة عبدَ الرَّحْمَنِ
ابنَ بشرٍ^١ يَفْخَرُ فيها بالعلم ، ويذكر أصنافَ ما عِلِمَ ، يقول فيها^٢ :

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوْ الْعُلُومِ مَنِيرَةٌ وَلَكِنْ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِي الْغَرْبُ
وَلَوْ أَتَيْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعٌ لَجَدْتُ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِي النَّهْبُ
وَلِي نَحْوُ أَكْثَافِ الْعِرَاقِ صِبَابَةٌ وَلَا غُرُو أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلْفُ الصَّبُّ
فَإِنْ يُنْزِلِ الرَّحْمَنُ رَحْلِي بَيْنَهُمْ فَحَيْثُ يَلِدُو التَّأْسِفُ وَالْكَرْبُ
فَكَمْ قَاتِلٍ ، أَغْفَلْتَهُ وَهُوَ حَاضِرٌ وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تُجِيءُ بِهِ الْكُتُبُ
هَنَالِكَ يَذَرِي أَنَّ لِلْبَعْدِ قِصَّةً^٣ وَأَنْ كَسَادَ الْعِلْمِ أَفْتَهُ الْقُرْبُ
فَوَاعَجَبًا مِنْ غَابَ عَنْهُمْ تَشَوُّقُوا لَهُ وَدَنُو الْمَرْءِ مِنْ دَارِهِمْ ذَنْبُ
وَإِنَّ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضِيقٌ عَلَى أَنَّهُ فَيَحُ مَذَاهِبُهُ سُهْبُ
وَإِنَّ رِجَالًا ضَيَّعُونِي لَضِيعٌ وَإِنْ زَمَانًا لَمْ أَتْلُ حَصْبَهُ سَغْبُ

ومنها في الاعتذار من مَدْحِ نفسه :

ولكن لي في يوسفٍ خيرَ أُسْوَةٍ وليس على من بالنبيِّ اتَّسَى ذَنْبُ

١ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن بشر بن غرسية ، ويعرف بابن الحصار .
كان عالماً بارعاً متفنناً في العلوم ، ولاء علي بن حمود قضاء الجماعة صدر سنة ٤٠٧ وبقى في
منصبه حتى سنة ٤١٩ حين عزله المعتد ، وتوفي سنة ٤٢٢ (الصلاة : ٣١٣ والجذوة :
٢٥١ والنفية رقم : ٩٩٢) .

٢ ط : ومن شعره ما أنشده الحميدي في كتابه .

٣ ط : للمبد قصة .

يقول - وقال الحق والصدق - إني حفيظٌ عليم ، ما على صادقٍ عتبٌ
وأنشدني لنفسه :

لا يَشْمَنُ حاسدي إن نكبةٌ عَرَضَتْ فالدَّهرُ ليس على حالٍ بِمُتَرَكٍ
ذو الفضلِ كالتبرِ طَوْرًا تحت مِيقعةٍ وتارةً في ذُرَى تاجٍ على مَلَكٍ
وأنشدني أيضاً له :

لئن أَصْبَحْتُ مرْتَحلاً بِشَخْصِي لئن أَصْبَحْتُ مرْتَحلاً بِشَخْصِي
ولكنْ للعَيْنِ لَطِيفٌ مَعْنَى له سَأَلَ المَعَايِنَةَ الكَلِيمُ
فَرُوحِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا مَقِيمٌ
وقد كرر هذا المعنى أيضاً فقال :

يقولُ أخِي : شجاك رَحِيلُ جَسْمٍ فَرُوحِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا مَقِيمٌ
فَقُلْتُ له : المَعَايِنُ مُطْمَئِنِّ لَذَا طَلَبَ المَعَايِنَةَ الخَلِيلُ

قال أبو عبد الله الحميدي^١ : وقلتُ له يوماً : قال أبو نواس^٢ :

عَرَّضَنُ لِلَّذِي تَحَبُّ بِحَسْبٍ ثُمَّ دَعَاهُ يروضه إبليسُ
فقل أنت في طريقِ التحقيق فقال :

أَبِين قَوْلَ وَجهِ الحَقِّ فِي نَفْسٍ سَامِعٍ وَدَعَاهُ فَنورُ الحَقِّ يَسْرِي وَيَشْرِقُ
سَيَوْنُسُهُ رِفْقًا فَيَنْسَى نَفَارَهُ كَمَا نَسِيَ القَيْدَ المَوْتَقَّ مَظْلُوقُ
انتهى كلامُ الحميدي .

١ لم يرد هذا في ترجمة ابن حزم من جذوة المقتبس .

٢ ورد البيت في الأغاني ٢٢ : ٥٢ والنث ١ : ١٤٧ لأبي حفص الشطرني .

وَأُنشِدْتُ لَهُ أَيْضاً فِيمَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ مِنَ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ
يَقُولُ فِيهَا :

وَذِي عَدَلٍ فِي مَنْ سَبَانِي حَسَنُهُ يَطِيلُ مَلَامِي فِي الْهَوَى وَيَقُولُ :
أَفِي حَسَنٍ وَجْهِ لَاحٍ ، لَمْ تَرَ غَيْبَهُ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ الْجِسْمُ أَنْتَ قَتِيلُ؟
فَقُلْتُ لَهُ : أَسْرَفْتَ فِي اللُّومِ ظَالِماً وَعِنْدِي رَدٌّ - لَوْ أَرَدْتَ - طَوِيلُ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِرِي ، وَأَنْسَنِي عَلَى مَا بَدَأَ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ !

ما أخرجته من شعر أبي المغيرة في أوصافٍ شتى

له من قصيدة أولها :

أَحَاجِيكُمْ : مِنْ قَلَدَ الْقَمَرِ الْقُرْطَا؟ وَأَسْأَلُكُمْ : مِنْ أَلْحَفَ الْفَصْنِ الْمُرْطَا؟
فَمَا جَزَعِي إِنْ جَاوَزُوا الْجَزْعَ ظَاعِناً وَلَا سَاقَطَ حَزَنِي إِذَا جَاوَزُوا السَّقَطَا

ومنها :

وَلَيْدَةُ سِرِّ الْمَجْدِ تَبْدَخُ نَخْوَةً وَقَدْ عَظُمَتْ مَجْداً وَقَدْ كَرُمَتْ رَهْطَا
وَلَمْ تَرْضَ بِالْجُوزَاءِ عَقْداً وَدُمْلَجاً وَلَا قَنَعَتْ بِالنَّجْمِ شَنْفَاً وَلَا قُرْطَا
تَقَنَّنَتْهَا وَالْعَمْرُ فِي عَنُفْوَانِهِ فَلَا غَصْبِي أَحْنَى وَلَا لَمَبْتِي شَمَطَا
وَلَيْلٍ غَطَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ حَائِرٌ فَغَطَى عَلَى الْأَعْلَامِ مِنْهُ الَّذِي غَطَى
وَلَيْسَ وَشَاحِي غَيْرَ غَضْبٍ مَهْتَدٍ أَبِي حَدَّةٍ أَنْ يَسَامَ الْقَدَّ وَالْقَطَا
تَشَابَهَ عَزْمِي وَالْحَسَامَ وَهَمْتِي ثَلَاثَةُ أَسْيَافٍ بِأَمْثَالِنَا يُسْطَى

وهذا كقول أبي تمام^١ :
 العيسُ والبيدُ واللَّيلُ التَّمامُ معاً
 ثلاثةٌ أبداً يُقَرَّنُ في قَرَنٍ
 وأخذَه البحري فقال^٢ :
 اطلبوا ثالثاً سوايَ فلإني
 رابعُ العيسِ والدَّجى والبيدِ
 وقال الصنوبريُّ أيضاً^٣ :
 حتَّى تكونَ لي الطَّمرةُ خُلَّةً
 والبيدُ داراً والحسامُ رفيقاً
 وقال أبو الحسن السَّلامي أيضاً^٤ :
 فكنتُ وعزمي في الظلامِ وصارمي
 ثلاثةٌ أشباهٍ كما اجتمعَ التَّسرُّ
 وقال بعضُ أهل عصرنا :
 وإلاَّ الثلاثُ السُّفْعُ لم يَزَلِ الهوى
 لها رابعاً في أعينِ وقلوبِ
 ولابي المغيرة من أخرى أولها^٥ :
 سرَّتْ من لَوَى خَبَّتْ إلينا تَعَسَّفُ
 مَهَامَه ذاتِ الجَهْلِ والجَوِّ أَكَلَفُ
 يقول فيها :
 تبيتُ بُذِي الأرطى وقد بات طيفُها
 لنا صَنَمًا نَحْنُو عليه ونَعَكُفُ

١ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٣٨ .

٢ ديوان البحري : ٦٣٣ .

٣ ديوان الصنوبري : ٤٠٣ .

٤ اليتيمة ٢ : ٤٠٢ وابن خلكان ٤ : ٥٢ - ٤٠٧ .

٥ يبدو وكأنها معارضة لابن زيدون ، انظر ديوانه : ٤٧٩ - ٤٩٨ .

٦ ط : تبيت .

هبيك سرية الليل فرعلك أسحم
فأتى أظفت المشي ، قدك مائد
سقى ربك المألوف ، حيث تصدعت
فكم لي فيه من جناب وطئته
وقد شقت فيه البروق جوبها
ليالي بات البان فوق كئيبه
إذا ارتج من ردف كئيب مرجرج
يُمد علينا للسحاب مرادق
ولله دري ما أدر مسلامسي
بدا العلم الفرد الذي كنت عالماً
بذكرني سعداي بالغور ما تني
ولله سلمى يوم أهلى سلامها

ومنها ٢ :

وتغرك بسام ، ولحظك أوطف
وردك رجاج ، وخصرك أهيف
لي الكبد الحرى ، ربيع وصيف
كريمًا فلا آسى ولا أنأسف
وبات علينا أدمع الغيث تذرِف
علي بأنواع الجنسى يتعطف
تأود من قد قضيب مهنهف
ويُسحب فينا للجنايب مطرف
إذا سجت ورق على الأيك هتف
به ، وسرى العرف الذي كنت أعرف
ماعدة إذ لا صدفني تصدف
بذي سلم نحوي البنان المطرف

وما طيبة أدماء تعرو أراكها
بأحسن منها يوم ريعت لزورتي
وقالت : أما تذكرك رقية حارس
ودون الذي أملت أجرد سابع
فقلت لها : بعض الذي بك ، فانشت

وتعطو وقد وافى برير وعلف
فراغت إلى أنرابها تتشوف
وأنياب ليث في العرينة تصرف
وأسمر عراض^٣ وأبيض مرهف
وأنجز ميعاداً بجيل^٤ مسوف

١ ط : الليل .

٢ ومنها : سقطت من ط .

٣ العراض : الرمح حين يكون لدن المهزة .

٤ ط : ميعاد الخليل .

وَنَلْتُ سِقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ وَعَاقَنِي
يُسَاعِدُنِي تَحْتَ النَّقَابَيْنِ مَنَظَّرٌ

ومنها :

وَرَكِبَ سَرَوًا وَاللَّيْلُ مَرُخٌ عَلَيْهِمْ
خَبِطَتْ بِهِمْ أَكْنَافُهُ وَنَجُومُهُ
عَلَى كُلِّ قَنَعَسٍ^١ كَانَ لَغَامَهُ
هَذَا بِأَخْطُوبٍ بَاتَ يَنْحَرُهَا السَّيْرُ
إِلَى أَنْ أَنَافَ الصُّبْحُ يَنْفُضُ عُرْفَهُ
فَمَا انْشَقَّ إِلَّا عَنْ مُنَادِي ابْنِ مُنْدَرٍ

ومنها :

وَيَا رَبَّ مَتَدَّ أَنْ أَتَى فِيهِ سَابِقًا
وَمَا نَامَ حَتَّى لَمْ مُفْتَرِّقَ الْعَلَا
إِيَّاسٌ^٢ وَبِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ وَحَاتِمُ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَقَاوِلُ
إِذَا مَضَى الْحَمْرَاءُ أَدَلَّتْ بِمَجْدِهَا
سَمَا لَكَ قَحْطَانُ^٣ بَيْنَانٍ سَوْدَدِ

وله من أخرى :

أَمِنْ الْبُرَاقِ التَّاحَ بَرْقٌ مَا سَرَى
أَتَّبَعْتَهُ نَظَرَ الْمَشُوقِ بِمَقْلَةٍ

تَنْزَهُ حُرٍّ عَنْ خَنَا وَتَعَقَّفُ
وَيُسَعِدُنِي تَحْتَ اللَّثَامَيْنِ مَرَشَفُ

سُتُورًا مِنْ الظُّلُمَاءِ لَا تَتَكَشَّفُ
رَوَائِمُ أَظَارٍ عَلَى الْبَدْرِ عُكَّفُ
— وَقَدْ سَمِعْتُ الْإِرْقَالَ قَطْنَ^٤ مَنَدَفُ
وَلَكِنَّهَا مِنْ بَاطِنِ الْخَفِ تَرَعَفُ
وَطَائِرُهُ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ يَهْتَفُ
نَذِيرًا بِصَرْفٍ عَاقَهُمْ عَنْهُ يُصْرِفُ

وَعُودٍ مَنَكُوتًا^٥ هَجِينٌ وَمَقْرِفُ
فَهَا هِيَ عَقْدٌ فِي يَدَيْهِ مَوْلَفُ
وَقَسٌّ وَلَقَمَانُ^٦ بِنُ عَادٍ وَأَحْنَفُ
تَلَكَّتْ سُورًا مِنْ مَجْدِهِ وَهُوَ مُصْحَفُ
وَجَرَّتْ ذِيُولُ الْفَخْرِ قَيْسٌ وَخَنْدِفُ
يَنْسِفُ عَلَى تِلْكَ الْمَبَانِي وَيُشْرِفُ

إِلَّا وَرَدَّ الْأَفْقَ مَرْطًا أَحْمَرًا
لَمْ تَدْرِ مَذْ عَهْدُ الْأَثِيلَةِ مَا الْكَرَى

١ القنعماس : الجمل العظيم الضخم .

٢ منكوتًا : مطروحًا .

عابته كالصقر صفق طائراً
فغدت غرايب الدياجي نفراً

ومنها :

وسلكت من نار الصبابة صارماً
ومشيت منساباً فقل في أرقم
بتنا ، وبات المسك فينا واشياً
وركت بالحاظ تدبر كؤوسها
والليل يلحفني سرايل الدجى
لو جثنت لرأيت أعجب منظر
ولقد رقيت من الحمى أعلامه

ومنها :

إلا ترى المنصور تحت لوائه
أولا تجد في الحقل عاقد حبة
أو تفتقد صمصام عمروفي الوغى
لا غرو جثت البحر إذ أجلى الحيا
فإذا دعوتنا من يجيب لنكبة
شيم غدت قرط الزمان فلم أنم
لله درك والرماح شوارع
ومقامة لك في الأعادي قد حمت
كان اللسان لها الحسام المنتقى
غادرت أحشاء البنود خوافاً

١ ط : فشكت .

أَنْسَيْتَنَا جَذَلَ الطَّعْنَ عَامِرًا وَعُتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِيٍّ وَمُسْهَرًا
فَإِذَا أَتَيْتُكَ مَادِحًا لَكَ لَمْ يَحْسِيَءَ شَعْرِي لِيَسْأَلَ بَلْ أَتَاكَ لِيَفْخِرَا
غَيْرِي الَّذِي اتَّخَذَ الْمَدَائِحَ مَكْنَسًا وَسَوَايَ مِنْ جَعَلَ الْقَوَافِي مَسْتَجِرًا
أَنَا مَا شَعَرْتُ لَأَنْ أَنْبَهَ خَامِلًا لَكِنْ لَأَمْنَعُ شَاعِرًا أَنْ يَشْعُرَا

قوله : « أَوْ نَقْتَقِدْ صَمْنَصَامَ عَمْرٍو » ... البيت ، لفظٌ حبيبٍ ومعناه ،
نقله أبو المغيرة :

أَوْ نَقْتَقِدْ ذَا النُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ جَلَى إِلَهُ لَنَا عَنْ الصَّمْنَصَامِ ٢
لُمَعَ مِنْ أَخْبَارِ مَنْذَرٍ الَّذِي ذَكَرَ ٣

قال : ونقلْتُ من خطِّ أبي مروانَ ابنِ حِيَّانَ ، قال ١ : كان منذر بن يحيى صاحبُ سرقِطة رجلاً من عُرُضِ الجُنُودِ ، وترَقَّى إلى القِيَادَةِ آخِرَ دَوْلَةِ ابنِ أبي عامر ، وتناهَى أمرُهُ في الفتنَةِ إلى نَيْلِ الإمَارَةِ ، والانتبَازِ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الثَّغْرِ الْأَعْلَى بَلَدِهِ ، واقتطاعِهِ لِمَا صُيِّرَ فِي يَدِهِ ، وكان أبوه يحيى من الفرسان غير النباه ؛ فأما ابنُهُ مُنْذَرٌ فكان فارساً لَبِيقَ الْقُرُوسِيَّةِ ، بهيِّ الشَّارَةِ ، مليحَ التَّقَلُّبِ عَلَى الدَّابَّةِ ، سخيّاً كريماً خارجاً عن حَدِّ

١ ط : وعُتَيْبَةُ وابنُ الحَبَابِ ؛ س ب : وعُتَيْبَةُ بنُ أَبِي الحَبَابِ .

٢ ديوان أبي تمام : ٢٠٥ وفي الديوان : دفع الاله ؛ وفي بعض أصوله « خلى » موضع « جلى » . وذو النون سيف كان لعمر بن معد يكرب ، وروي أنه كان لملك بن زهير سيف بهذا الاسم .

٣ راجع أخبار منذر بن يحيى التجيبي في البيان المغرب ٣ : ١٧٥-١٨١ وأعمال الاعلام : ١٩٦-٢٠١ والمغرب ٢ : ٤٣٥ وبروفنسال ٢ : ٣٢١-٣٣٠ ودوزي (Span.ish Is.) ٥٦٨-٥٦٩ وقد نقل دوزي هذا الفصل عن الأخيرة في كتابه Recherches (الملحق رقم ١٤ ص ٣٥ من الملاحق) .

٤ جاء هذا الفصل في ط كثير الخلف ؛ وقارن بما في البيان المغرب .

الجهل ، يَتَمَسَّكُ بِطَرْفٍ مِنَ الْكِتَابَةِ السَّادِجَةِ ، وَأَمَّا غَدْرُهُ فَالنَّارُ
 بِرَأْسِ الْيَقَاعِ ، مِنْ أَفْحَشِهِ صُنْعُهُ بِهَيْشَامِ الْمَخْلُوعِ مَوْلَى نِعْمَتِهِ
 وَمُعَلِّي رُتْبَتِهِ ، وَبَاعِيهِ إِلَى الثَّغْرِ لِنُصْرَتِهِ ، فَاثْقَلَ نَاصِرًا لِعَدُوِّهِ ، وَغَزَاهُ
 فِي عَقْرِ دَارِهِ ، وَأَنْزَلَهُ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَأَسْلَمَهُ لِحَتْفِهِ ، وَبَاعَ دِمَاءَ عَشِيرَتِهِ
 أَهْلَ قَرْطُبَةَ مَتَجَانًا بِأَطِلَاءٍ بِلَا ثَمَنِ مِنَ الْبَرَابِرَةِ عَلَى غَيْرِ عُدْرٍ وَلَا
 ضَرُورَةٍ . وَعَادَ بِمَثَلِهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَثِيرِهِ عِنْدَمَا اسْتَجَارَ بِهِ فِي نَكْبَتِهِ ،
 فَقَتَلَهُ وَهُوَ ضَيْفُهُ ، فَجَاءَ بِهَا صَلْعَاءَ مَشْهُورَةٍ لَمْ تَغْسِلْهَا مَعْدِرَةٌ ؛
 إِلَّا أَنَّهُ كَانَ كَرِيمًا ، وَهَبَ لِقُصَّادِهِ مَالًا عَظِيمًا ، فَوَفَدُوا عَلَيْهِ ، وَتَطَارَحَتْ
 الْأُمَالُ إِلَيْهِ ، وَاتَّفَقَ عَلَى تَفْضِيلِهِ ، وَعَمِرَتْ لَذَلِكَ حَضْرَتُهُ سِرًّا قُسْطَةً ،
 حَتَّى أَشْبَهَتْ الْحَضْرَةَ الْكُبْرَى قَرْطُبَةَ أَيَّامِ الْجَمَاعَةِ ، فَحُسُنَتْ أَيَّامُهُ ،
 وَهَتَفَ الْمُدَّاحُ بِذِكْرِهِ .

وكان مع سُمُوهِ للمعالي من الإيثار لشهواته ، والمساورة لقضاء لَذَائِهِ .
 والانهماك في طَلَبِ رَاحَتِهِ ، والشَّغَفِ بِزِي دُنْيَاهُ ، وَالكَفْلِ بِزُخْرُفِهَا ،
 وَالتَّهَالُكِ فِي حُبِّهَا ، عَلَى أَضْلَعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَن تَقَرَّدَ بِشَأْنِهَا ، فَاتَّخَذَ
 الْجَوَارِي الْحَسَانَ ، وَمَلَّاحَ الْغِلْمَانَ ، فَجَلَبَ إِلَيْهِ كُلَّ عِلْقٍ خَطِيرٍ ،
 وَحَصَلَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ مَا وَصَفْنَاهُ كَثِيرٌ .

وكان لَأَوَّلِ وِلَايَتِهِ قَدَاسَ عِظَمَاءِ الْإِفْرَنْجِ وَهَادَاهُمْ حَوَاطًا لِلثَّغْرِ
 وَأَهْلِهِ ، وَتَأْتِيًا لِلْجَمَاعَةِ حَتَّى تَثُوبَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، يُنَاهِضُونَ بِهَا
 عَدُوَّهُمْ . وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْجَلَالِيَّةِ يَوْمئِذٍ رِيْمُنْدُ الْجَلِيْقِيَّ وَشَانْجُهُ
 الْقَشْنَلِيَّ ، فَسَلَكَ مَعَهُمَا سَبِيلَ الْأَسْرَضَاءِ ، وَالْمُوَافَقَةِ وَالِاسْتِخْذَاءِ ،
 فَحَفِظَتْ أَطْرَافَهُ وَكُفَّتِ الْمَعْرَةُ عَنْ عَمَلِهِ . وَرَبَّمَا أَوْقَعَ بَعْضُ أَصَاغِيرِ
 الْقَوَامِسِ فِي أَطْرَافِهِمْ وَسَبَى مِنْهُمْ . وَرِيْمُنْدُ وَشَانْجُهُ بَاقِيَانِ عَلَى

مُعَاقِدَتِهِ إِلَى أَنْ مَضَى بِسَبِيلِهِ ، وَالتَّغَرُّ مُسَدُّودٌ لَا تُغْفَرُ فِيهِ وَلَا وَهْنٌ فِي
حَالِهِ . وَبَلَغَ مِنْ اسْتِمَالَةِ الْحَاجِبِ مُنْذِرٍ لِهَذَيْنِ الطَّاعِغِيَّتَيْنِ أَنْ أَجْرِيَا
تَصَاهُرَهُمَا عَلَى يَدَيْهِ ، وَكُتِبَ عَقْدُ النِّكَاحِ بَيْنَهُمَا بِحَضْرَةِ سَرَقُسْطَةِ فِي
حَقْلٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّتَيْنِ . فَفَرَّقَتِ الْأَلْسِنَةُ مُنْذِرًا لِسَعْيِهِ فِي نَظْمِ سِلْكِ
الطَّاعِغِيَّتَيْنِ لِمَا فِيهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ رَأْيَ مُنْذِرٍ كَانَ فِي ذَلِكَ
أَحْصَفَ ، مِنْ رَأْيِ مَنْ قَدَحَ فِيهِ وَقَرَفَ ^١ ، لِنَظَرِهِ فِي شَأْنٍ وَقْتِهِ ، وَعِلْمُهُ
بِانْصِدَاعِ عَصَا أَهْلِ كَلِمَتِهِ ؛ فَاتَّرَ مِنَ الْمَوَادِعَةِ مَا سَتَرَ بِهِ الْعَوْرَةَ ، وَشَرَاهُ
بِغَلِظِ ^٢ الْكُلْفَةِ ، وَاخْتَدَعَ بِهِ عَظِيمِي الْجَلَالَةِ رَيْمُنْدَ وَشَانْجُهِ
الْمُحَدَّثَيْنِ أَنْفُسَهُمَا يَوْمَئِذٍ بِمَنَاهضةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَلْهَاهُمَا عَنْ
الْحَرْبِ وَحَبَبِ إِلَيْهِمَا الدَّعَاةِ . وَأَعْقَبَ ^٣ الْحَاجِبُ مُنْذِرُ أَهْلِ الثَّغْرِ فِي
مَغَبَّةِ ذَلِكَ عَاجِلَ السَّلَامَةِ ، وَاسْتَظْهَرُوا بِهِ عَلَى الْعِمَارَةِ ، فَحَيُّوا
وَعَاشُوا فِي نِعْمَةٍ ضَافِيَةٍ ، وَعَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ بِهِ عَنْهُمَا حَالٌ ، إِلَى
أَنْ أَلَوَتْ بِمُنْذِرِ الْمَنِيَةِ ، وَقَدْ اعْتَرَفَ النَّاسُ لِرَأْيِهِ ، وَأَقْرَأُوا بِسِيَاسَتِهِ ، وَلَمْ
يَأْتِ بَعْدَهُ مِنْ يَسَدٍ مَسَدَةٍ ، وَلَمْ يَنْفَعِ اللَّهَ الطَّاعِغِيَّتَيْنِ بِصِهْرِهِمَا الَّذِي كَانَا
عَقْدَاهُ لِلتَّآلِفِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ^٤ ، إِذْ أُعْجِلَ عَنْهُ شَانْجُهُ بْنُ غَرْسِيَّةَ
شَيْطَانَهُمُ الرَّجِيمَ ، وَهَوَى أَمِيرُهُمْ رَيْمُنْدُ ظَهِيرُ الْمَذْكَورِ ، وَابْنُهُ بَعْدَهُ ؛
فَشَتَّ اللَّهُ شَمْلَ تِلْكَ الطَّوَاعِيتِ يَوْمَئِذٍ وَكَفَى الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ بِرَحْمَتِهِ .
وَاشْتَمَلَ مُنْذِرٌ عَلَى قَوَادِ تِلْكَ الثَّغُورِ ، وَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ هُنَالِكَ الْأُمُورُ .

١ ط : وقرفه .

٢ البيان : وسدّها بيسير .

٣ ط : واعتقب .

٤ ط : عقدها بحضرة منذر .

٥ ط : وهوى اثره ويمنده .

واستكتبَ عِدَّةَ كُتَّابٍ كَأبي العَبَّاسِ ابنِ مَروَس^١ من تَدْمِيرِ ، وكَأبي
عامر ابنِ أَرْزَق^٢ ، وابنِ واجبٍ وغيرِهِم .

قال ابن حِيَّان : وأخْبَرَني الكَاتِبُ أَبُو أُمَيَّةَ ابنِ هَاشِمٍ^٣ القُرْطُبِيُّ - وَكَانَ
من وَجوهٍ من خَرَجَ عَنَّا أَيَّامَ الْفِتْنَةِ واستَوَطنَ^٤ ثَغَرَ تَطِيلَةَ^٥ ، وما
رَأَيْتُ مِثْلَهُ في أُولِي الْبَيْتُوتَاتِ فَضْلاً - قال : اجتازَ^٦ الْقَوْمِيسُ
شَانِجَةَ بنِ غَرْسِيَّةَ صَاحِبُ قَشْتِيلَةَ بِيَابِ تَطِيلَةَ صَدَرَ أَيَّامِ الْحَاجِبِ
مُنْذِرِ ، وعلينا يومئذٍ من قِبَلِهِ سَليمانُ بنُ هُودِ صَاحِبِهِ ، فسَلَّكَ مُجْتَازاً
يُرِيدُ طَرَفَ الثَّغْرِ الْأَعْلَى لِلْإِجْتِمَاعِ هُنَاكَ بِالْقَوْمِيسِ رَيْمُنْدَ صَاحِبِ
بَرْشَلُونَةَ ، لِعَقْدِ الْمُصَاهَرَةِ بَيْنَهُمَا^٧ ، وَالْأَنْثَى من عِنْدِ شَانِجَةَ ،
وَاطِئاً لَأَرْضِنَا عَن عِلْمٍ من مَنْزِلِ وَالِينَا ، وَضَمَانٍ مِنْهُ لِكَيْفَ عَادِيَةِ جَيْشِهِ
عَنَّا ، فَأَنْكَرَهُ أَهْلُ تَطِيلَةَ وَهُمْ يَوْمئِذٍ بِحَالِ عِزَّةٍ وَقُوَّةٍ ، وَذَهَبُوا إِلَى
عَصِيانِ أَمِيرِهِمْ مَنْزِلٍ فِيهِ تَقَادِيّاً مِنْ وَصْمَتِهِ ؛ فَتَنَمَّى ذَلِكَ إِلَى الطَّاعِيَةِ
شَانِجَةَ ، فَلَمَّا شَارَفَ الْبَلَدَ أَرْسَلَ يَسْتَدْعِي قَوْمًا مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، يُكَلِّمُهُمْ فِي
سَبِيلِهِ .

قال أَبُو أُمَيَّةَ : فَكُنْتُ فِي عِدَدٍ مِنْ مَضَى ، فَدَخَلْنَا مَحَلَّتَهُ يَوْمئِذٍ

١ ط : مدوش .

٢ ط : وابنِ أَرْزَاقِ .

٣ ب س : هَاشِمِ .

٤ ط : فَأَوْطَنَ .

٥ تطيلة (Tudela) على بعد ٧٨ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من سرقطة (الروض
المعطار ، الترجمة الفرنسية : ٨٠ - ٨١) .

٦ ط : اجتازَ بِنَا .

٧ ط : لِمَقْدِ مُصَاهَرَتِهِمَا .

فَخَرَصَتْهَا^١ خَيْلاً وَرَجُلًا زُهَاءَ سِنَّةِ آلاَفٍ ، وَلَمْ يَكُنْ احْتِفَلَ فِي حَشْدِهِ ،
ووصلنا إلى مَضْرِبِهِ فإذا هو جالسٌ على مَرْتَبَتِهِ عليه ثِيَابٌ من ثيابِ
المسلمين ، ورأسُهُ مكشوفٌ أصْلَعُ كَهْلٌ ، لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ الشَّيْبُ بَعْدُ .
أَسْمَرُ اللَّوْنِ جَمِيلُ الصُّورَةِ ؛ فَكَلَّمْنَا بِكَلَامٍ لَطِيفٍ حَسَنٍ يَبِينُ فِيهِ وَجْهَ
سَيَرِهِ ، وَذَكَرَ مَا فَارَقَ وَالْيَنَّا عَلَيْهِ مِنَ المَحَالِفَةِ مَعَهُ ، فَعَرَفْنَاهُ بِكُرِّهِ
من وراءنا لاجتيازه ، وَذَهَابِهِمْ إِلَى التَّمَرُّسِ بِهِ ، فَهَانَا عَنْ ذَلِكَ وَذَكَرَ
الحَرْبَ وَعُدْوَاءَهَا ؛ فَانْصَرَفْنَا عَنْهُ وَأَدَيْنَا قَوْلَهُ إِلَى مَنْ خَلَفْنَا فَلَمْ يَتَقَبَّلْهُ
عوامُ النَّاسِ ، وَحَمَلَهُمُ الْأَتْفُ عَلَى أَنْ^٢ خَرَجُوا إِلَى عَجَلٍ أَبْطَأَتْ فِي
سَاقَتِهِ تَحْمِلُ أَزْوَادَ عَسَاكِرِهِ يَرِيدُونَ نَهْيَهَا عَاصِينَ لِلْمَشِيعَةِ ، فَأَتَى إِلَيْهِ ذَلِكَ ،
فَصَرَفَ مِنْ أَصْحَابِهِ مِقْدَارَ خَمْسِمِائَةِ فَارَسٍ ثَارُوا فِي وَجْهِ النَّاسِ ، فَخَرَجَ
الْبَلَدُ بِأَسْرِهِ لِدِفَاعِهِمْ ، فَحَمَلَ مِنَ الْخَمْسِمِائَةِ قِطْعَةً ، فَوَلَّى النَّاسُ
الْأَدْبَارَ حَتَّى اقْتَحَمُوا بَابَ الْمَدِينَةِ . فَمَا رَأَيْتُ فِي النُّصْرَانِيَّةِ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا
مِثْلَ رِجَالِهِ ، وَلَا فِي مُلُوكِ الطُّوَاغِيَةِ^٣ مِنْ أَعْدِلُهُ بِهِ فِي رِكَائَةِ مَجْلِسِهِ
وَرُجُولِيَّتِهِ وَدَهْبِيَّةِ وَكَمَالِ أَدَوَاتِهِ ، وَصُدُوعِ كَلِمَاتِهِ ، إِلَّا مَا كَانَ
مِنْ صِهْرِهِ وَسَمِيَّةِ شَانِجِهِ بْنِ غَرَسِيَّةَ صَاحِبِ الْبَشْكُنْشِ الَّذِي تَفَرَّدَ
بِالرَّئَاسَةِ بَعْدَهُ فَكَانَ مِثْلَهُ إِدَادَ اللَّهِ شِيعَتَهُمْ^٤ .

وَكَانَ^٥ مِنْ أَعْظَمَ مَا حَبَا اللَّهَ بِهِ الْإِسْلَامَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ مُنْبَعَثِ فِتْنَتِهِمْ .
وَمُحَدَّثِ فُرْقَتِهِمْ ، وَتَشْتَبِهُ كَلِمَتِهِمْ ، بَعْدَ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ بِأَفْقِنَا .
تَعَجَّلِيهِ حَتَفَ أَمْلَاكِ النُّصْرَانِيَّةِ الْمُتَمَرِّسِينَ بِهِمْ ، وَتَلَا حَقُّهُمْ فِي الْمَدَّةِ الْقَرِيبَةِ ،

١ فخرصتها : أي قدرت عددها تخميناً ؛ ط : فخرستها .

٢ ط : إلى أن .

٣ ط : الطاغية .

٤ ط : شيعتهم .

٥ من هنا حتى آخر الفصل سقط من ط .

وإلقاؤه بين من أنظر منهم الشتات والعداوة ، حتى صاروا أسوة المسلمين
 حدّوا النعل بالنعل ، في افتراق الكلمة وزوال أمر المملكة ؛ فإنّ الفتنة
 بأفقرنا جاءت يومئذ بين المسلمين ، وزعماء الطاغية حضور ، وفيهم عدو
 الله شأنجه بن قرذلند الذي تمرّض بالمنصور بن أبي عامر ، رحمه
 الله ، ذو العزة والسطوة ، فأعيا عليه حتى قمعه ، وضرب بعده فريقتي
 الفتنة ، ومالاً الخوارج على الجماعة ، حتى تمكن من هشم البيضة ؛
 وطمح أمله إلى الكرّة ، فقطع الله بهم ، وأهلكهم في مدّة قريبة .

ذكر الخبر عن مقتل منذر^١

قال ابن حبان : وكان ذلك على يدي رجلٍ ماردٍ من بني عمه ، يقال له
 عبد الله بن حكيم^٢ ، وكان مقدّماً في قوادرٍ منذرٍ ، أضمر الفتك به دهرأ .
 فدخل عليه يوماً في مجلسه غرة ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة ، وهو
 غافلٌ في غلالة ، ليس عنده إلاّ نفرٌ من خواصّ خدمه الصقّلب ، قد
 أكبّ على كتابٍ يقرؤه ، فعلاه بسكين قد أعدّه ، ففصرى به أوداجه ولا
 مانع منه ، وهرب خلدّام السرّ الغلمانُ الحصيانُ ، الذين كانوا على رأسه .
 وخلّوه في يديّه ، إلاّ خادماً شهماً منهم مشى إليه ، وهو حاسر^٣ ، فضربه

١ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٧٨ ، وما نقله دوزي في Recherches (الملحق رقم ١٦ :
 ج ١ ، ص ٣٩ من الملاحق) ويلاحظ أن البيان يتفق في المحذوف من النص مع
 النسخة ط .

٢ البيان : عبد الله بن حكيم .

٣ بس ودوزي والبيان : حده السوء .

٤ البيان : دفع عنه .

ه ط : حاسراً .

عبدُ الله بِخِنْشَجِرِهِ فَقَضَى عَلَيْهِ مَعَ مَوْلَاهُ . وَأَخْرَجَ رَأْسَ الْمُنْذِرِ لِلْوَقْتِ مِنْ قَصْرِهِ فَوْقَ قَنَاقَةٍ^١ يَنَادِي عَلَيْهِ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَشَاماً وَدَفَعَ حَقَّهُ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يُدْعَى لَهُ يَوْمَئِذٍ بِإِسْبِيلِيَّةَ ، تَعَلَّقاً مِنْ هَذَا الْمَارِدِ لَوْلَايَتِهِ ، وَتَوَطُّشَةً^٢ لِقِيَامِهِ ، إِذْ كَانَ هَذَا الْقَتِيلُ مِمَّنْ رَدَّ طَاعَةَ هَشَامٍ تَأْسِياً بِوَالِدِهِ يَحْيَى وَبِخَالِهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ذِي النَّوْنِ ؛ فَتَزَلَّتْ بِسَرَقُسْطَةَ يَوْمَئِذٍ حَادِثَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى فِتْنَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَاضْطَرَبَتْ لَهَا حَالُهُمْ^٣ ، وَطَمَعَ فِيهِمْ أَكْثَرُ مَنْ كَانَ يُجَاوِرُهُمْ^٤ ، وَأَذَعَنُوا لِهَذَا الْغَوِيِّ الْمُتَوَثِّبِ عَلَيْهِمْ آتِئاً ، وَرَهَبُوهُ لَاسْتِجَاشَتِهِ الْغَوَاءَ وَالسَّقْلَةَ ؛ فَمَلَكَ الْبَلَدَ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ سَلِيمَانُ بْنُ هُوْدِ الْجُدَامِيِّ صَاحِبُ لَارْدَةٍ وَقْتَهُ مُقِيمًا بِتَطِيلَةَ يَجْمَعُهُ^٥ ، فَسَارَعَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ سَاعَةً سَمِعَ بِخَبَرِ مُنْذِرٍ رَجَاءً فِي دُخُولِهَا ، فَمَنَعَهُ هَذَا الْفَتَى الْقَاتِلُ^٦ ، ثُمَّ جَاءَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ ذِي النَّوْنِ خَالُ مُنْذِرٍ مُتَعَضِّباً لِمَا جَرَى عَلَى ابْنِ أُخْتِهِ ، فَامْتَنَعَ ابْنُ حَكَمٍ بِالْقَصَبَةِ ، وَاتَّصَلَتِ الْفِتْنَةُ^٧ ، وَنَالَ أَهْلَ سَرَقُسْطَةَ يَوْمَئِذٍ جَهْدٌ شَدِيدٌ وَخَرِبَتْ أَحْوَالُهُمْ .

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَكَانَ رَكِيبُ ابْنِ حَكَمٍ الْقَاتِلُ مِنْ خُطَّةِ التَّغْرِيرِ^٨

١ البيان : عصاه .

٢ ب س ودوزي والبيان : وتوطيداً .

٣ واضطربت لها حالهم : سقطت من ط والبيان .

٤ ط : من جاورهم .

٥ ط : في جمعه .

٦ ط : وسارع إلى سرقسطة إذ فجأه الخبر ؛ البيان : حين مجبته (اقرأ : فجأه) الخبر .

٧ ب س ودوزي : التقدير .

مركباً لم يجسُرْ عليه فاتك^١ قبله ، لتفَرِّدِه ووُثُوِيه على الأميرِ مُنذِرٍ جَوَفٍ
 قَصْرِه في قرارةِ مجلسه بين غِلْمانه وأهلِه وتحت أغْلاقِه ، وبينه وبين الباب
 الأقصى من قصرِه ما لا يُحصى من حُجَابِه وقَهَارِمَتِه ؛ فلم يفكرْ في شيء
 من ذلك ، وحَمَلَ نفسه على التَّصَنُّيمِ فيه ، وبهَوْنٍ عليها الموتَ دونَه ،
 فلَمَّا تَمَّ له ذلك لم يكنْ في الحصيانِ العَبْدَيَّ الذين حضَروا مَجْلِسَ
 مُنذِرٍ سَاعَتَه فَضْلٌ للدِّفاعِ عنه والوُثُوبِ بِلَينِ حَكَمٍ ، على كَثَرَتِهِمْ
 وتَفَرُّدِه وَسَطِّهِمْ ، وأنهم لم يزدوا على الهَرَبِ قُدَّامَه ، فجاء بِفَتَكَةٍ
 أسْقَطَتْ كُلَّ من فَتَكَ في الإسلامِ قبلَه ؛ ثم لحقَ طمعهُ بِرِياسَةِ المَلِكِ^٢
 فَمَلَكَه^٣ ، ولم يفكرْ في ابنِ ذِي النُّونِ خالِ مُنذِرٍ لَمَّا دَنَا إليه . وفعلَ
 ذلكَ بِسليمانِ بنِ هُودٍ ، وقد جاء ناشراً أذُنِيَه ، فحارِبُه ودافَعَه . وكان
 في قصرِ مُنذِرٍ وَقْتُ فَتَكِهِ به من حاشِيَتِه وغِلْمانِه أَزِيدُ من مائةِ رجلٍ
 سوى نَسائِه ، فطار الرِّجالُ على وجوههم فَرَعاً ، ولم يكنْ فيهم من يأخُذُ
 على يده ، وقام بينهم كالأسدِ الوَرْدِ ، فحزَّ رأسَ الفتي مُنذِرٍ للوَقْتِ .
 وأخرجَه إلى الناسِ^٤ ، فهمتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ وأَبْلِسُوا ، ولم ينطِقْ منهم أَحَدٌ
 بكلمة .

وأرسلَ من حِينِه يستدعي قاضي^٣ البَلَدِ والمَشِيخَةَ ، فدخلوا عليه وهو
 قاعدٌ على فِراشِ مُنذِرٍ قَتِيلِه ، ومُنذِرٌ إلى جانبِ الفِراشِ مُرْمَلٌ^٤ في
 دُمائِه ، مُغَطَّى بِثِيَابِه ؛ ووَصَفَ أَنَّهُ جَرى في سبيلِ الإصلاحِ عليهم ،

١ ط : رياسة الملك ؛ البيان : لحق طمعه الملك .

٢ ط : للناس .

٣ ط والبيان : عن قاضي .

٤ ط : مرسل ؛ ب س : مزمل .

والشدّة لسلطانهم ، وتقدّم إليهم بتسكين من خلّفهم من العامة .
وأظهر الدعاء أولاً لسليمان بن هود ، فأروّه قبول ما وصفه ، وتفرّقوا
عنه ، وكلّمتهم مختلفة عليه ، إلى أن ثاروا به وقاتلوه ، فخرج من بابٍ بظهور
القصر ، ونجا منه بفاخير ما اشتمل عليه من ذخائر آل مُنذر ، ولحق
بِحِصْنِ رُوطة اليهود^١ ، أحد معاقل سرقسطة المنيع ، وقد كان
أعدّه لنفسه ، فأقام به يرصد^٢ الفتننة جهده . وكان قد حمل مع
نفسه الغلامين أخوي مُنذر^٣ قتيله ، وحمل أبا المغيرة بن حزم وزيره
وغيرهم من وجوه رجال مُنذر الذين نكبهم عند قتله مقيدين .
فحبسهم عنده ، يطالبهم بالأموال .

ونهب العوام قصر سرقسطة إثر خروجه نهباً ما سُمع أعظم
منه ، حتى قلعوا مرمّره ، وطمسوا أثره ، لولا تعجيل ابن هود ملك
البلد إثر ذلك في المحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . انتهى كلام ابن
حيّان .

قال ابن بسّام : وأذكرُ بهذه الغدرة الصلّعاء ، والفتنة الشهيرة
الشوّهاء — إذ الشيء يُذكرُ مع ما جأنسه ، ويضم إلى ما التف به ولا بسّه
— ما اتفق من مثلها في ملك المنّاديين الغالبيين إلى وقتنا هذا على طرف
إفريقية الأدنى إلى الأندلس ، المستقرّة رياستهم بقلعتهم المنسوبة إلى جدّهم

١ روضة اليهود : (Rueda de Jalon) في ولاية سرقسطة . وهذه التسمية تميزها

عن روضة ثانية في ولاية وشقة وعن روضة ثالثة في ولاية قادش .

٢ ط : يرتصد .

٣ ط والبيان : مع نفسه أخوين لمدر .

حمّاد^١ ؛ وذلك أنّه لمّا أفضى ملكهم إلى بلقين بن محمد منهم . أحد جابرة الإسلام ، المفتّاتين على الأنّام . من رجلٍ كان لا يملأ يدهُ إلاّ من لبدةٍ أسد ، ولا يُسرّحُ لحظهُ إلاّ في نِهَابِ بِلَدِ مُضَطّهَد ، ولا يَرّاحُ إلاّ وبحرُ الموت يلتطم . ولا يكلمُ إلاّ حين يتسمّ^٢ قد تجاوز في شدوذ^٣ أمنيّته ، وقهره لرعيته ، والإخافة لأقرانه ، والاستبداد على زمانه ، غاية من سلف من جابرة الأرض ، وسُمعَ به من فراعنة الإبرام والنقض ، إلى شهرة آثاره ، وتطاوح^٤ أسفاره ، وما لا يحصى من عجائب أخباره .

حدّثتُ أنّه أبّ مرةً من بعض غزواته الأفراد ، المقلّقة^٥ لأحشاء الأنّام والبلاد ؛ فكأنّه ارتاح إلى ما يرتاحُ إليه الناسُ من إراحةٍ^٦ نفسه ، والخلوّ ولو ساعةً بوجه أنسيه ؛ فجلس لذلك مجلساً حشد له شهواته ، وتقدّم في إحضار ما يصلحُ له من آلاته وأدواته ؛ وأمرَ قيّمة جواريه باستحضار عقيلة أترابها يومئذٍ جلاله سلّطان ، وحسن سماع وعيان ، إحدى بنات عمّه دنيا ، لم يرَ بعدها — زعموا — ولا قبلها أبرعُ ظرفاً ، ولا أقتلُ طرفاً منها ؛ فجاءت تودُّ الثريّاً لو تكونُ نعلها ، والشمسُ لو تُصوّرُ مثلها ، وقد خطّرتُ بنفسه إحدى هنّاته ، وتمثّلتُ له بعضُ غزواته ؛

.....

١ افطر عن الحماديين ، تاريخ ابن خلدون ٦ : ١٧١ - ١٧٧ وقد حكم بلقين بن محمد ٤٤٧ - ٤٥٤ حيث قتل على يد الناصر بن علناس .

٢ من قول الشاعر .

يفضي حياء ويفضي من مهابة فلا يكلم إلا حين يتسم

٣ س ب : شروء .

٤ ب س : وتطارح .

٥ ب س : المقلقة .

٦ ط : راحة .

فأخذ يُدَبِّرُ ، وطفيق يُورِدُ ويُصْدِرُ . قالت قيمته : وكأني أنظرُ إلى الكاس .
 في يده ، وإلى ابنة عمته قائمةً على رأسه ، من لَدُنْ صُلِّيَتِ العَصْرُ حتى طلع
 الفجر ، وحانت منه بعد طولٍ ليلته نظرةٌ فرآها ، فاعتذر إليها واستدناها .
 ووعدها ومناها ، وقام من حينه فوضع الكأسَ مَلَأَى في طاقٍ وطبع عليها ،
 وأمر بالركوبِ من حينه ، فغزا غزوته المشهورةَ إلى الغربِ من العُدوةِ ^١ ،
 بلغ فيها مدينةَ فاس ، فوطئ الدول ، ودَوَّخَ السهلَ والجبلَ ؛ ثم رجع
 فجلس ذلك المجلسَ بعينه ، واستدعى كأسه تلك وابنةَ عمته ، فخلا بأنسيه ،
 وقضى وطره من لَذَّةِ نفسه ، بعد أيامٍ كثيرةٍ ، وحروبٍ مُبيرةٍ .

ولما تنهى أمره ، وتجاوزَ السُّها ذِكْرُه ، وظنَّ أنَّ البلادَ تحت
 ختمه ، وأنَّ الناسَ على حُكْمِهِ ، سما إليه في بعضِ أسفاره ابنُ
 عمته الناصر ، أصغرُ خلقِ الله عنده شأنًا ، وأهولُهم عليه سرًّا
 وإعلانًا ، من فتيَّ علمه الخوفُ كيف يحسُرُ ، وهجم به ضيقُ المسلكِ
 على الموت وهو ينظرُ ، لم يشاورَ إلا الحسام ، ولا استصحبَ إلا الإقدام ؛ وقد
 كان بعضُ نُصَحَاءِ بُلُقَيْنَ خَوْفَهُ منه ، لِكَلِمَةٍ أُخِذَتْ يومئذٍ عنه ،
 فجعلها بُلُقَيْنُ نُقْلَةً رِكَابِهِ ، وسَمَرَ أصحابه . وكان قلما يركبُ إلاَّ
 دارعًا ، آخذًا بما يأخذُ به من دُعْرِ القلوبِ ، ووترِ البعيد والقريب ؛ وكان
 مولعًا بالإدلاجِ إذا ارتحل ، مؤثراً للانفراد كلما ركب ونزل ؛ فأقسمَ تلك
 الليلةَ ألاَّ يُدْلِجَ إلا حاسراً ، وَلَيْسَقْتُلْنَ ^٢ الناصرَ إذا نزل ولو كان أَسَدًا
 خادراً ؛ فأعجله عن الأمر ، ولما يَبْدُ وَضَحُ الفجرِ ؛ لقيه كأنه يُسَلِّمُ
 عليه ، أو يسيرُ بين يديه ، فما راجعه الكلام ، إلاَّ وقد جلَّله الحسام ، وأراح

١ ط : إلى غرب العُدوة .

٢ ط : وليفتكن .

منه البلاد والأثام ؛ ثم قام مقامه . واستظلَّ أعلامه ، وأمر برأسه فرفع على بعضيها وسير به أمامه ، والناسُ يظنون أنَّه بُلُقَيْن ، قد قُتِل بعض أتباعه الممتحنين ، فهم يتساءلون عمن قُتِل ، ويرجمون الظنَّ فيما فعل ، حتى طلعت الشمس ، وارتفع اللبس ؛ فأمر برفع مضاربه ، وحشِر زعماء ذويه وأقاربه ، فقال : أنتم تعلمون أنَّ بُلُقَيْن قُتِل أختي ، وفجعني بأكرم حرمتي ؛ وإنما شقبتُ صدري . وأخذتُ بوترتي ، لا أتِي حدثتُ نفسي بسلطانكم ، ولا رأيتُني أهلاً للدخول في شيء من شأنكم . فردوا عليه جميلاً ، ورأوا إمهاله قليلاً ، وظنوا أنه لم يجسر على ما فعل إلا وله أشيع ، وحوله أعوان على ذلك وأتباع ؛ فكلُّ واحد منهم قد ارتاب بمن يليه ، وأهمته ما هو فيه ؛ وأمر لحينه بخزائن بُلُقَيْن فأتهبها ذُؤبان العرب وصقورة زناتة ، فاستخلص بذلك غيوبهم ، وأمال إليهم قلوبهم ، ورحل تحت ليلته يطوي المراحل ، ويعتسفُ المجاهل ، فسبقَ الأخبار إلى القلعة فوظيَّ الحريم ، وتملكَ الظاعن والمقيم .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد ؛ وسياقة جملة وافرة من نظمه ونثره^٢

قال ابن بسام : وكان أبو عامر شيخ الحضرة العظمى^٣ وفتاها ، ومبدأ

١ ط : أنه . ٢ ترجمة ابن شهيد في المطمح : ١٦ والمطرب : ١٤٧ .
واليتيمة : ٢ : ٣٥ والجلوة : ١٢٤ (والبحية رقم : ٤٣٧) ومعجم الأدياب : ٢ : ٢١٨ واحتاب
الكتاب : ٢٠٣ وابن خلكان : ١ : ١١٦ والمغرب : ١ : ٧٨ والخريدة : ٢ : ٥٥٥ والوافي
٧ : ١٤٤ والمسالك : ١١ : ٢٠٦ وقد جمع شعره كل من يعقوب زكي (القاهرة :
١٩٦٩) وشارل بلا (بيروت : ١٩٦٣) وشارل بلا محاضرات عنه (عمان : ١٩٦٦)
وانظر فصلاً عن ابن شهيد في كتابي « تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة :
٢٧٠ الطبعة الثانية . ط : ٣ : شيخ قرطبة .

الغاية القصوى ومنتهىها ، وينبوع آياتها ، ومادة حياتها . وحقيقة ذاتها . وابن سائسها وأساتها ، ومعنى أسمائها ومُسَمَّياتها ، نادرة الفلك الدَّوَّار . وأعجوبة الليل والنهار ؛ إنْ هَزَلَ فسَجَّعُ الحمام ، أو جَدَّ فزئيرُ الأسدِ الضَّرغام ؛ نظمٌ كما اتَّسَقَ الدرُّ على النُحور ، ونثرٌ كما خُلِطَ المِسْكُ بالكافور ، إلى نوادر كَأَطْرَافِ القنا الأملود ، تَشَقُّ القُلُوبَ قبلَ الجلود ، وجوابٍ يجري مجرى النَّفَسِ ، ويسبِقُ رَجْعَ الطَّرْفِ المختلس .

وقد ذكره أبو مروان بن حيان في غير ما مَوْضِعٍ^١ من كتابه فقال : كان أبو عامر يَبْلُغُ المعنى ولا يُطِيلُ سَفَرَ الكلام ، وإذا تأملتَه ولستَه . وكيف يَجُرُّ في البلاغة رَسَنَه ، قلتَ عبدُ الحميدِ في أوانِه ، والجاحظُ في زمانِه . والعَجَبُ منه أنه كان يدعُو قريحَتَه إلى ما شاء من نثره ونظمِه في بليته ورويَّتِه ، فيفقدُ الكلامَ كما يريدُ من غير اقتناءٍ للكتب ، ولا اعتناءٍ بالطلب ، ولا رسوخٍ في الأدب ، فانه لم يوجد له ، رحمه الله - فيما بلغني - بعد موته ، كتابٌ يستعينُ به على صناعته ، ويشحذُ من طبعه إلّا ما لا قدرَ له ؛ فزاد ذلك في عجائبه ، وإعجاز بدائعِه . وكان في تَنَمِيقِ الهَزَلِ والنادرةِ الحارّةِ^٢ أَقْدَرُ منه على سائرِ ذلك . وشعرُه حَسَنٌ عند أهلِ النقدِ ، تصرَّفَ فيه تصرَّفَ المطبوعين ، فلم يَقْصُرْ عن غايَتِهِمْ .

وله رسائلٌ كثيرةٌ في فنونِ الفكاهةِ وأنواعِ التعريضِ والأهزَالِ ، قِصارٌ وطِوال ، برَزَ فيها شأوُه ، وبقاها في الناسِ خالِدةٌ بعده . وكان في سرعةِ البليّةِ وحضورِ الجوابِ وحِدَّتِه ، مع رِقّةِ حواشي كلامِه ، وسهولةِ

١ ط : في غير مكان .

٢ ب س : الحادة .

ألفاظه ، وبراعة أوصافه ، ونزاهة شمائله وخلاتمه ، آية من آيات الله خالقه ؛ من رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل في آثارها بضياح دين ولا مروءة ، فحط في هواه شديداً حتى أسقط شرفه ، ووهم نفسه راضياً في ذلك بما يكدّه ، فلم يقصّر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة ^١ .

وكان مع ذلك من أصح الناس رأياً لمن استشاره ، وأصلهم عنه في ذاته ، وأشدّهم جنابةً على حاله ^٢ ونصابه . وكان له في الكرم والجود انهماك ، مع شرف وبطالة ، حتى شارف الإملاق ، فمضى على هذه السبيل رحمه الله ، انتهى كلام ابن حيّان .

قال ابن بسّام : وقد أخرجت من أشعاره الشاردة ، ورسائله الباقية الخالدة ، ونوادره القصار والطوال ، وتعريضاته السائرة سبّير الأمثال ، ما يحل له الوقور حباه ، ويحج معه الكبير إلى صباه .

جملة من كلامه في أوصاف شتى

فصول من رقعة خاطب بها المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبي عامر ^٣ :

لولا أن من العادة بين السادة والمسودين ، والمالكة والمتملكين ،

١ من رجل ... قبيحة : سقط من ط .

٢ ب س : ماله .

٣ يتحدث ابن بسّام في القسم الثالث : ٢٤٩ عن المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبي عامر الذي كان يلقب أيضاً بالمنصور ثم سماه خليفة قرطبة القاسم بن حمود والمؤتمن ذا السابقتين « وقد ظل رالياً على بلنسية حتى سنة ٤٥٣ وخلفه ابنه عبد الملك (وانظر أيضاً البيان المغرب ٣ : ١٦٤ - ١٦٥) .

تطَارُحُ الأُدُمَّة ، وتَدَارُسُ لطائفِ الحرِّمَةِ ، لأَكْبَرُتُهُ — أَيْدَهُ اللهُ — عَمَّا
أَرْغَبُ ذِكْرَهُ ، وأَكْرَمَتُهُ عَمَّا أَطْلُبُ نَشْرَهُ ؛ ولَوْلَا أَنَّ من السِّيَاسَةِ وعَقْدِ
الحِزْمَةِ تَذَكِيرَ أَهْلِ العَلَيَاءِ ، بِسَوَالِفِ النِّعْمَاءِ ، لَرَبَّاتُ بِمَا بَنَتْهُ الآبَاءُ
والْأَجْدَادُ ، وَضَرَبَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الآفَاتِ بِالْأَسْدَادِ ، عَنْ أَنَّ أَحْزَرَ مِنْهُ بِتَذَكِيرِ
أَوْ أَدْفَعَ عَنْهُ بِتَقْدِيرِ . وَلَوْلَا أَنَّ التَّطْوِيلَ فِيمَا أَقْصِدُ قَصْدَهُ وَأَنْحُو نَحْوَهُ
عَلَى زَمْنِنَا وَشَاغِلِهِ ، وَمُجِدِّ خَطْبِنَا وَهَازِلِهِ ، مُوجِبٌ لِلْقَوْلِ وَمُوجِدٌ
لِلسَّبِيلِ إِلَى الطَّعْنِ مِمَّنْ ضَعُفَ حِجَابُهُ ، وَقَصُرَ بِهِ مَرَامُهُ ، لَرَسَمَتْ
إِلَيْهِ مِنَ الْوَرَقِ ، أَعْدَادُ الْوَرَقِ ، وَلَرَقَمَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْمَهَارِقِ ، أَشْبَاهُ التَّمَارِقِ .

وفي فصل أيضاً :

وأَقْلُ مَا أُمْتُ بِهِ ، وَأَنْطِقُ عَنْهُ ، مُمْتَدَّةً عَيْنَ الأَمَلِ ، كَارِعاً فِي
بَحْرِ الرَّجَاءِ لَا الْوَشَلِ ، مِنْ مَوَاتِي بِالْمَنْصُورِ جَدَّةً — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا — أَنْتِي
نَشَأْتُ فِي حِجْرِهِ ، وَرَبَّيْتُ فِي قَصْرِهِ ، وَارْتَضَعْتُ ثَدْيِي كَرَائِمِهِ ،
وَاعْتَجَرْتُ رِداءَ مَكَارِمِهِ ؛ وَاعْتَذَيْتُ مِنْ فِيهِ ، أَكْلًا زَقْنِيهِ ، وَمَاءَ عَلَنِيهِ ،
فَصَرْتُ مِنْ أَفْرَاحِ نِعْمَائِهِ الْحُمُرِ الْخَوَاصِلِ ، وَلَحَقْتُ بِأَخُوَّةِ أَبْنَائِهِ الْغُرِّ
الْعَبَاهِلِ .

وَمِنْ مَوَاتِي بِالْمَظْفَرِ عَمَّةً — عَمَّتُهُ رَحْمَةُ اللهِ — إِنَّ أَبِي عَبْدَ
مِنْنِكُمْ لَمَّا بَعْدَ أَمْلِهِ ، وَبَانَ خَشُوعُهُ ، وَسَالَتْ دُمُوعُهُ ، تَكْتَبَ عَنْ
طَرِيقِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَرَمَى مَرْمًى مِنْ مَرَامِي أَهْلِ الْآخِرَى ، فَكَسَّرَ هِمَّتِي ،
وَحَلَقَ لِمَتِّي ، وَسَلَبَنِي بَزِّي ، وَعَرَّأَنِي مِنْ خَزْيِي ، فَكَانَتْ أَفْدَحُ نَازِلَةً
نَزَلَتْ بِصَبُوتِي ، وَأَقْلَقَ حَادِثَةٌ سَلَبَتْ رَوْنَقَ بَهْجَتِي ؛ وَأَنَا ذَاكَ ابْنُ ثَمَانَ ،
قَدْ هَجَنْتُ فِي مَدَارِعِ الْكَتَّانِ ؛ وَلَقِيَنِي الْوَزِيرُ ابْنُ مَسْلَمَةَ وَقَدْ عَادَ أَبِي

إثراً لبلال ، وعند نقوه من اعتلال ، فسألني عن الحال ؛ وعما شغل البال ، فلم يكن جوابي غير التشجيع والعجيج ، وسوى العويل والضجيج ؛ ولقي المظفر على حينه ، وأدّى إليه ما شاهدته مني ، فوجّه عني ، فلما صيرت بين يديه ، أمرني فألبست ثياب الحرير ، وضمتختُ بفتح العبير ، وحملتُ على فرسٍ بسترجه ولجامه ، ينهل من أعطافه ماء جمامه ، وأتبع ذلك ألف دينارٍ في طبق ، كأنها عيون الترجيس الصفر^١ الحدق ، وعقد لي على الشرطة ، وكانت ليسي^٢ أرفع خطّة ، فانصرفت وأنا أنظر عطفني عن شوس ، وقد ضاق صدري على أبي عن سعة نفس .

ومن مواتي بالناصر أبيه - برّد الله مضجعه ، ونعم مهنجته - أني صيرت بين يدي المنصور ، في يوم مطير ، وأنا ابن خمس ، أذكر ذلك ذكري لما كان بالأمس ، وكان من إكرامه لي ، ولطيف اهتمامه بي ، ما يطول به الكتاب ، ولا يحتمله الخطاب ؛ وعينه ومحفّضه ، وصرجه وزبده : أنه وهبني يوماً تَفَاحَةً كانت بين يديه كبيرة^٣ ، ورآني أنظر إليها نظر الكليف ، وأناملها تأمل الشّره ، فأمرني بالقبض عليها ، والبعض فيها ، فضاق فمي عن أن أحيطَ بجزءٍ من أجزاء كرتها^٤ ، وصغرت كفتي عن أن تقبض إلا بمخنق من مخانق أنحائها ، فجعل يقطع لي بقمه ، ويطعمني على حكمه ؛ ودعا الناصر ، ومعه فتى سمعتهم يكونه أبا شاكر^٥ ، فقال له : احمله إلى أمك ، وارفق به في أمك ؛ فأخذ بيدي أمامه ، وابتدرا يسيران بي قدّامه ، وأنا لا أسمع في القياد لشدة ذلك الوابل ، وتتابع قطر ذلك الهاطل ، فصاح بهما :

١ ط : المصفر .

٢ ط : بجزء من أجزائها .

٣ ب س : يدعونه بشاكر .

أَقْلَاهُ فاحمله على أعناقكما ، وسوقاً به سوقاً رفيقاً أحسن مساقيكما .
فلقاً أعضادهما لفتاً ، ووصلاً أذرعهما بأعناقهما وصلًا ، وامتنعت
العائق الكريم ، على عين الملك الزعيم ، امتطاء امتنان ، لا امتطاء امتيهان ،
ومرّاً بي حتى أنزلاني بين يدي السيّدة ، وإليها أمرُ كُلِّ قَيْمَةٍ ؛
فاستوت بي على سريرها ، وعلى مقرّقيها لإكليل من مهابة أميرها ؛ فلا
أنسى ذلك البهاء في ذلك البهوّ ، وذلك الحُسُورَ إليّ من قِناع الزّهو ،
وطار الخبرُ بقدومي في مقاصير العقائل ، وحجُرات الكرائم ؛ فأرقلتُ
من تلك المصانع ، تطيرُ بهنَّ أجنحةُ الصَّنائع ، فيألهنَّ من كُسى وخِلع ،
وغرائبَ وبدع ! وأمرتُ السيّدةُ بألفٍ تُحمَلُ معي عن نفْسها ،
وثلاثة آلاف عن سيّدها ، فانصرفتُ بالغنى ، من ذلك الجنى ،
ولم أَصْرَفْ إلى المنصورِ حتى صيرتُ عند أبي ، وقد ظننتُ أنّه متجافٍ
عنه لي ، أو تاركٌ منه معي ؛ وكانت لي فيه آمالٌ ، من التوزيع على الخدّمة
والعُمّال ، من الصّبيان وصبايا الجيران . أمرُ ففرّقَ منه على بيطانته ، وأشار
بِحَمَلِ باقيهِ إلى خِزانتِهِ ، فظَلَلْتُ واجِماً ، وطفِقتُ راعِماً ، أطفئُ
جَمَرَتِي فتذكو ، وأخفي من لَوْعِي فتبدو . وبلغ ذلك المنصورَ ، فوجّه
نَحْوِي بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وأقسم على أبي بحياته ألاّ يَمْنَعَنِي منها ، وأن
يَدَعَنِي بِحُكْمِي فِيهَا ؛ فبادرتُ بِالرَّكْبِ وَالرَّجُلِ ، وأخذتُ في العطاء
والبَدَلِ ، وحبّوتُ بأجزلِ الحِباءِ ، والخَيْلُ إذا ذاك نَحْبٌ^٢ من
قَصَبٍ ، والدَّرَقُ قشورٌ من خَشَبٍ ، فيومي مذكورٌ في مُنيّةِ المُغيرةِ إلى
الآن ، إذ كان مسكنُنا بدار ابن النعمان .

١ ب س : البذل والمطاء .

٢ ط : نجيب .

وأغربُها مائة ، وألطفُها وُصْلَةٌ ، أنَّ أخِي موسى انتزَعَهُ المنصورُ
 من أبيه ، وأحلَّهُ محلَّ بَنِيهِ ، فاجتمعت الأفواهُ على الثديِّ ، والتفتِ
 الشفاهُ على الدرِّ المرِّيِّ ؛ وقبَضَهُ اللهُ إليه وقد رَتَعَ في مراتعكم ، وجثَمَ
 في مضاجِعكم ، فنحن عُمَارُ مقاصِرِكُم أحياءُ ، وقُطَانُ مقابرِكُم
 أمواتاً ، جمعنا بذلك عِشْرَةَ العاجِلَةِ والآجِلَةِ ، وحصلنا على صُحْبَةِ
 الدنيا والآخرة .

هذه — أَيْدَهُ اللهُ — لُحْمَةٌ أَبْدِيَّتُهَا لَهُ من وِصَالِي ، وغرةٌ أَطْلَعَتْهَا
 إِلَيْهِ من وِصَالِي .

وفي فصل :

ومَمْلوككَ عاكفٌ على الوطنِ ، عُكوفَ الراهبِ على الوثنِ ، ولم
 يبقَ من النعمة غيرُ مُصَاصَةٍ بَلَّةٍ قد آنَ لها أن تُرْتَشَفَ ، وتفَاهَةِ ثَمَرَةٍ
 حانَ لها أن تُخْتَرَفَ ؛ وعَرَّجَ لِمَالِهِ ، والنظَرُ لعاقبةِ حاله ، على استخراجِ
 ما يمكنُ من أصولِ نعمتِكُم ، ليصونَ بها جُمَّةَ وجنته ، ويفرَّ عليها
 نُطْقَةُ صفحته ، إذ لا سبيلَ إلى التعرُّيجِ على غيرِ ذلك قَطْعاً ، ولا إلى
 الالتباسِ بسواه حتماً ، ولو لحَسَ التُّرَابُ ، وذابَ في الثِّيَابِ ، فإنه
 يَتَنَفَّسُ عن نَفْسٍ هِمَّتْهَا الكوكبُ ، وهَمَّتْهَا الغَيْثُ ، فلولاً هِمَّتْهَا
 لأظْلَمَ الدَّهْرُ ، ولولاً هَمَّتْهَا لأسْفَرَ الأمرُ ، وهذا موضعُ الحدسِ لا
 امْتِراءِ ، وخليفةُ النفسِ لا ادْتِعاء . ووعدَ الوزيرُ عباسٌ بِصَرْفِ
 ضَيْعَةٍ لي بِجَهَةِ تَدْمِيرِ ، حالتِ الفِتْنُ دُونَهَا ، واضطرابُ الأحوالِ عن

مطالعتها . وأنا أسألُ فضلك سؤالَ المدلِّ في استنجازِ ما وعدَ ، فإنه يعتاضُ من شكري له وثنائي عليه ، وصدّعي في المحافلِ بفضلِهِ ، أجلُّ فائدةٍ يصطفيها ، وأكرمَ نفيسةٍ يقننيها .

وأصلُ اصطفاينا لتلك الضيّعةِ وسائرِ أخواتِها أنَّ المنصورَ - رضي الله عنه - استعملَ أبي عبيدَه على تلك الجهةِ الشرقيّةِ تسعةَ أعوامٍ توالّتْ بتدْمِيرٍ وبلنّسيّةٍ ، فلما سئمَ العملَ خاطبه برُقعةٍ يقولُ^١ فيها :

إنَّ كبيرَ حقِّ المولى لا يذهبُ بصغيرِ حقِّ العبدِ ، ولي حُرمةٌ أدلُّ^٢ بها ،
وذمّةٌ أنبسطُ لها ، وقد طالتُ عليَّ الغربةُ ، وسئمتُ الخِدْمَةَ ، ومكّلتُ
من النعمةِ ، فالإدالةُ الإدالةُ ، فأدالَه - رضي الله عنه - على رِضاَه ، وأشخصه
إليه على هواه . فوردَ قرطبةَ بأربعمائة ألف دينار ناضّةً ، ومائة ألف من
ذهبٍ آنيةٍ ، ووثائقِ خمسمائة زوجٍ^٣ مُكْتَسَبَةٍ ، ومائتي نسمةٍ من
رقيقِ الصقْلِبِ مُنتَقَاةٍ^٤ ، والسعرُ إذ ذاك بها سامٍ جيداً . ونفقةُ أبي
رأسَ كلِّ شهرٍ سبعونَ مُدِّيّاً من قمحٍ ، وعكفُ ثمانينَ دابةً من شعير .
فكتب إليه يعرض عليه ما جاءه^٥ به ، ويحكمه فيه ، ويسأله أخذَه ،
أو الأخذَ منه ، فجأوبه يقولُ : لو أردنا أخذَ ما أعطيناك ، ما قدّمناك ،
ونحن نخافُ أن تستصفي نفقتك ما استقتته ، ونأتي على ما اجتلبته ،
بارتفاعِ ثمنِ الطعامِ ، وأنتك لم تردّ منه على ذخيرة . وقد صكّكنا لك

١ ط : قال .

٢ ط : أدلي .

٣ الزوج من البقر أو البغال المتخذة للحرث ، تم تكون دلالة اللفظة على مقدار من المساحة

٤ ط : ومنتقاه .

٥ ط : جاء .

بِأَلْفَيْ مُدْنِيٍّ بِشَطْرَيْنِ مِنْ قَمَحٍ وَشَعِيرٍ تَسْتَظْهِرُ بِهِمَا عَلَى زَمَانِكَ ،
فَاقْبِضْهُمَا مِنْ أَهْرَاءِ فَلَانَةٍ لِقُرْبِهَا مِنْ مَكَانِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

مَكْرُومَةٌ — أَعَزَّ اللَّهُ الْمُؤْتَمِنَ — لَمْ تُعْهَدْ لَغَيْرِ عَامِرِي ، وَلَا سُمِعَ
بِمِثْلِهَا لِغَيْرِ مَعَاذِرِي . وَلَمَّا عَزَّ الْخَطَابُ ، وَوَقَعَ الْكِتَابُ ، وَكَانَ عَبْدُكَ
مَنْسُوبًا إِلَى شَيْءٍ مِنْ نَظْمِ الْكَلَامِ ، قَالَ عَلَى كَلَّةِ الذَّهْنِ وَفَلَّةِ الْغَرْبِ
بِالْحَالِ ، وَشُغْلِ الْبَالِ ، مَا عَلِمَ وَفَهَمَ^١ .

أَمَّا الرِّيحُ بِجَوِّ عَاصِمٍ فَحَلَبَسْنَ أَخْلَافَ الْغُمَائِمِ
يَقُولُ فِيهَا :

سَهَرَ الْحَيَا بِرِيَاضِهَا	فَأَسَالَهَا وَالنُّورُ نَائِمٍ
حَتَّى اغْتَدَتْ زَهْرَاتُهَا	كَالْغَيْدِ بِاللَّجِّ الْعَوَائِمِ
مِنْ ثِيَبَاتٍ لَمْ تُبَلِّ	كَشَفَ الْخُدُودِ وَلَا الْمَعَاصِمِ
وَصِفَارِ أَبْكَارٍ شَكَّتْ	خَجَلًا فَعَاذَتْ بِالْكَمَائِمِ
وَرَدُّ كَمَا خَجَلَتْ خُدُو	دُ الْعَيْنِ ^٢ مِنْ لَحَظَاتِ هَائِمِ
وَشَقِيقُ نَعْمَانٍ شَكَّتْ	صَفْحَاتُهِ مِنْ لَطْمٍ لَا طَمِ
وَعُصُونُ أَشْجَارٍ حَكَّتْ	رَقِصَ الْمَائِمِ لِلْمَائِمِ
بَكَرَ الْحَسَانُ يَرِدُّنَهَا	مِنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ الْمَلَاحِمِ
وَضَحِكُنْ عُجْبًا فَالْتَمَقَتْ	فِيهَا الْمَبَاسِمُ بِالْمَبَاسِمِ
ضَحِكَتْ وَأَوْمَضَ ^٣ بَارِقُ	فَظَلِمَتْ لِلْبَرْقَيْنِ شَائِمِ

١ الديوان (يعقوب زكي) : ١٥٥ ويضاف إلى مصادر تخريجها الوافي ٧ : ١٤٦ .

٢ الوافي : الفيد .

٣ ب س والوافي : وأزعج .

وَتَشَوَّقَتْ فَتَطَامَنَتْ^١
وَرَّتَتْ فَبَادَرَ نَرْجِسُ
طَارَدَتْهُنَّ بِفِتْنِيَةٍ
وَكَأَنِّي فِيهِمْ لَقِيٌّ
وَتَكَاوَسَتْ فِيهَا الْأَبَا
وَكَأَنَّهَُا أَطْلُبُ رَعْفُ
وَجَرَى بِهَا فَلَكَ الصَّبَا
وَكَأَنَّنَا فِيهَا الْعَقَا
وَعَلَا بِنَا سَكْرُ أَبِي
نَرْمِي فَلَا نَسْنَا لَهُ
وَتَرَكَمَتْ فِيهَا الْقِيَا
قُمْنَا نَصَفَقُ بِالْأَكْفِ
وَأَغْنَى مِنْ سَدَنِ الْمُلُوكِ
يَشْكُو الرِّعَاثَ تَنَعُّمًا
لَا تَسْتَحْيِيهِ الرَّاشِفَا
يُجْنِنِيَنَّهُ ثَمَرَ النُّحُو
مُتَجَاهِلَاتٍ أَنَّهُ

أَجِيَادُ أَظْيِيهَا الْحَوَائِمُ
يَشْكُو عَمَّاهُ إِلَى حَمَائِمِ^٢
حُرْدٍ عَلَى حَرْبِ الْمُسَالِمِ^٣
طَّ قَادَ مِنْ أَحْيَاءِ دَارِمِ
رِقُ وَهِيَ فَاهِقَةُ الْحَلَاقِمِ
نَ فَثَرْنَ دَامِيَةَ الْخِيَاثِمِ
بِاللَّهُوِ ، وَالْقُضْبُ اللَّوَاثِمِ^٤
رِثُ وَالْكُؤُوسُ مِنْ الرُّوَاجِمِ
إِلَّا الْإِنَابَةَ^٥ لِلْمَحَارِمِ
وَنَجَرُ مِنْ عَذَابِ الْعَمَائِمِ
نُ لَنَا وَرَجَعَتِ الْبَوَاغِمِ
لَهَا وَنَرْقُصُ بِالْجَمَاجِمِ
كَ سَلِيلِ أَقْيَالِ خَضَّارِمِ
وَيَضِجُ مِنْ حَمَلِ التَّمَائِمِ
تُ وَلَا تُبَالِيهِ الْآوَاثِمِ
رِ وَيَعْتَلِينَ بِهِ الْمَحَازِمِ
يَهْوَى وَهْنًا بِهِ عَلَائِمِ

١ ط : فتضامنت .

٢ المسالك : الحمايم .

٣ الواوي : صبر على حرب المسالم ؛ ط : حرب على جرد المسالم .

٤ ط : أجياد .

٥ ط : والقصف ؛ المسالك : وانقضت اللواثم .

٦ كذا في الأصول والمصادر ، وأرجح أنه « الإبانة » .

لازمتُ بَابَ مَحَلِّهِ
 حتَّى إذا وثَّقتُ بِنَا
 أَلْقَيْتُ^١ مِنْ أَخَذِي لَهُ
 واقتدتهُ بِشكائمي
 فَوَرَدْتُ جَمَّاتٍ^٢ الْمُنَى
 وأغرَّ قد لَبِسَ الدَّجَى
 يحكي بغرته هلا
 فكانتْما خاضَ الصَّبَا
 ويسيرُ في يَبَسِ الثَّرَى
 حتَّى إذا عَلِمَ الصَّبَا
 وتمايلتْ أَيْدِي الثَّرِيَا
 وَرَنَتْ ذُكَاءُ بِنَاطِيرِ
 طَلَعَ الصَّوَارُ لِحَيْنِهِ
 أَوْ عَسْكَرُ رَكِبُوا الْخِيُو
 فاشتدَّ سُبْقُنَا لَهُ
 وكأنتما في رَمِيهِمَا
 فحُمي أَوَاخِرُهُ أَغْرُهُ^٥

والنَّجْجَحُ مِنْ قَنَصِ الْمَلَاذِمِ
 عَجُزُ الْخَوَاضِينَ وَالْخَوَادِمِ
 وتَلَوْتُ مِنْ سُورِ الْعَزَائِمِ
 فانقادَ في تلكَ الشَّكَايِمِ
 وَكَرُمْتُ عَنْ لُومِ الْمَائِمِ
 بُرْدًا فَرَأَقَكَ وَهُوَ فَاحِمِ
 لَ الْفِطْرِ لَاحَ لِعَيْنِ صَائِمِ
 ح فجاءَ مُبَيَّضُ الْقَوَائِمِ^٣
 وكأنَّهُ في الْبَحْرِ عَائِمِ
 ح أَشَارَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
 وهي مُدْهَبَةٌ الْخَوَائِمِ
 رَمِدَ مِنَ الْأَقْدَاءِ سَالِمِ
 وكأنَّهُ الْمَوْجُ الْمَرَاكِمِ
 لَ الشَّهْبِ وَاحْتَقَرُوا الْإِدَاهِمِ
 يَكْثُرْنَ عَنْ مِثْلِ اللَّهَازِمِ
 تَسْتَلُّ مِنْ بَيْضِ الصَّوَارِمِ
 مُعَاوِدُ تِلْكَ الْمَلَاكِمِ

١ ب س : أَلْقَيْتُ ؛ والصواب ما أثبتته ، والمعنى أَنِّي طرحت له الأخذ وهي جمع أخذة
 ومعناها رقية تشبه السحر ، ومما يقوي هذا قوله بعد ذلك : « وتلوت من سور العزائم » .

٢ ط : حبات ؛ المسالك : مأمول .

٣ الوافي : القوادِم .

٤ ط : بالسحر .

٥ ط : أغر .

يَهْوِي بِرَوْقِي مِحْرَبٍ
وَكَأَنَّمَا أُرَاقُهَا
فَتَبَادَرَ الْفَتَيَانُ مِنْ
شَيْءٍ وَمُطَبَّخًا عَلَى
وَبَعِيدَةِ الْأَرْجَاءِ نَا
لَا تَدْعِي جَوْبًا لَهَا
مِنْ فِتْنَةٍ قَدْ أُسْبِلَتْ
عَمَّتْ لَهَا أَحْلَامُنَا
وَتَضَاءَلَتْ أَجْرَامُنَا
وَتَحَوَّلَتْ فِينَا الذُّنَا
وَأَدَارَ كُلُّ صَغِيرٍ قَدْ
فَكَأَنَّنَا عُمِّي نُسَا
حَتَّى انْتَضَى عَبْدُ الْعَزِي
زِ قَبَدَتْ لَنَا سُبُلُ الْهَدَى
ضَرَبَ الْأَعَاجِمَ سُودَهَا
فَأَسْتَجَفَلُوا فَكَأَنَّمَا
أَبْنَاءُ مَلِكٍ حِمْيَرِيٍّ
مِنْ عَامِرٍ أَهْلِ الْمَصَا
الْكُفْرُ عَنْهُمْ قَاعِدٌ
حَكَمَ الزَّمَانُ بِظُلْمِهِمْ

طَيْنٍ بِحَرْبِ الْغُضْفِ حَازِمٍ
مُسْوَدَّةً أَقْلَامُ عَالِمٍ
جَنَابَتِهِ أَشْهَى الْمَطَاعِمِ
جَمْرُ زَهْنَتِهِ الرِّيحُ جَاحِمِ
زِحَاةٍ عَلَى أَيْدِي الرُّوَاسِمِ
ذَاتُ الْخَوَافِي وَالْقَوَادِمِ
ظَلُمَاتُهَا بِيَدِ الْمَظْلَمِ
وَكَأَنَّمَا أَضْغَاثُ حَالِمِ
فِيهَا بِمُوبِقَةِ الْجَرَائِمِ
بَنَى الرَّاسَ ، وَابْنُ الْمَجْدِ رَاغِمِ
رِ الْمُنْتَهَى أَرْحَى الْعِظَائِمِ
قُ عَلَى الْعَمَى فِي ظِلِّ عَاتِمِ
زِ عَزِيمَةٍ مِنْ صَدْرِ عَازِمِ
بَيْنَاجِمٍ غَيْبِ الْهُوَاجِمِ
بِالسَّدِّ مِنْ بَيْضِ الْأَعَاجِمِ
ضَرَبَ الثَّعَالِبُ بِالضَّرَاغِمِ
قَامَ بِالْغُبْرِ الْقَمَاقِمِ
نَعِ وَالصَّنَائِعِ وَالْكَرَائِمِ
قِدْمًا وَدِينُ اللَّهِ قَائِمِ
دَهْرًا وَصَرَفُ السُّدُورِ ظَلَمِ

فَارْتَدَّ بِهَجَجَةٍ مُلْكِهِمْ
 وَاشْتَدَّ يَنْظُمُ حَزْمَهُمْ
 ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ يَصُو
 إِلَيْهِ هَيَّا عَبْدَ الْعَزِيزِ
 قَمَرٌ تَضِيءُ لَهُ الْخَطْوُ
 تَسْرِي الرِّيحُ بِمَجْدِهِ
 لَمْ يَرَوْا مِنْ مَاءِ الشُّبَا
 رَعِيًّا لِمُؤْتَمَنٍ رَعَى
 بَسَدَاتُ^٥ أَوَائِلُهُ وَعَا
 لَا تَتَرُكْنَ صَرْمَ السَّرْمَا
 وَأَرْمِ الْخَطُوبَ بِمِثْلَيْهَا
 وَإِلَيْكَهَا مِنْ نَاطِقٍ

كَرَّ الْخُبْعَيْنَةَ الضُّبَارِمُ^١
 شَيْحَانُ طَلَّاعُ الْمَخَارِمِ
 لُ وَصَارْمُ يَسْطُو بِصَارِمِ
 زِ وَأَنْتَ رَجَامُ الْمَرَّاجِمِ^٢
 بُ عَلَى دَادِيهَا^٣ الْفَوَاحِمِ
 فَتَسِيمُهَا بِالْفُورِ^٤ فَاغِمِ
 بِ وَكُلْ أَشْيَبَ عَنْهُ خَائِمِ
 فِينَا الْحَدَايِثَ وَالْقَدَائِمِ
 دَ لِيَكْشِفِ غَاشِيَةَ الْغِيَاهِمِ
 نَ عَلَى ظُبَا تِلْكَ الصَّوَارِمِ
 عَزْمًا فَأَنْتَ لَهَا مُسَاهِمِ
 يَدْعُوكَ إِذْ صَمَتَ الْبَهَائِمِ

وله من جواب على خطاب :

وَرَدَ كِتَابُكَ الْكَرِيمَ ، بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، يَتَبَلَّجُ تَبَلُّجَ الْبَرْقِ ،
 وَيَتَحَلَّبُ^١ تَحَلُّبَ الْوَدَقِ ، مُتَكَسِّرًا فِي الْمِشْيَةِ ، جَالِيًا لِلَّيْلِ الشَّكِّ
 وَالْمِرْيَةِ ، قَائِدًا بِأَزْمَةِ الْمُنَى وَالْبُغْيَةِ ، كُلَّمَا اشْتَقَّ مَوْجًا^٧ غَمَرَهُ ، أَوْ

١ الخمسة : الرجل العظيم الخلق ؛ الضبارم ؛ الوثيق الخلق ، الجري .

٢ ب س : زحام المراحم .

٣ الدآدي : اللبالي الثلاث الأخيرة من الشهر .

٤ ط : بالفور .

٥ ط : مرث .

٦ ط : ويستحلب .

٧ ط : صوجا ؛ من : صرما

لَاعَبَ مَرَجًا بَهْرَةً^١ ، أَوْ جَزَعَ وادياً^٢ أَمَدَهُ مِنْ أُنْيَتِهِ ، وَنَعِمَ مِنْ أَنْبُوبِ
بَرْدِيَّتِهِ ، أَوْ مَرَّ بِرَوْضٍ شَقَّ عَلَيْهِ رِدَاءَ وَرْدٍ ، وَأَثَارَ بِهِ عَجَاجَ نَدٍّ ،
أَوْ عَارِضَ حِمَامَةٍ حَبَيْتَهُ بَغَائِهَا ، أَوْ سَامَتْ لِقَوَّةً نَزَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ هَوَائِهَا ،
أَوْ مَسَحَ بَعْضُهُمْ حَنْتَ إِلَيْهِ ، أَوْ خَطَرَ بِأَسَدٍ تَهَالُكَتْ عَلَيْهِ ، كِتَابٌ مُنْعَ
جَانِبُهُ ، وَحُمِيَّ حَامِلُهُ ، كُلَّمَا خَبِطَ بِطَحَاءٍ كَتَبَتْ بِالْكَتَائِبِ ، أَوْ رَكِبَ
جَرَّعَاءَ رُقِيعَتٍ بِالْأَرَاقِيمِ ، كَانَ لَهُذِهِ مُدْيَةٌ ، وَلَتِلْكَ رُقِيَّةٌ ، وَكُلَّمَا كَحَلَّ
مُقَلَّةً شَوَّسَاءَ خَشَعَتْ ، أَوْ لَمَسَ كَفًّا خَشَنَاءَ بَخَعَتْ ، أَوْ وَقَعَ إِلَى
رَئِيسٍ وَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، أَوْ دَفَعَ إِلَى ذِي بَأْسٍ أَخَذَهُ مِنْ بَأْسِهِ ، أَوْ لَمَحَتْهُ
شَقْرَاءُ حَمَحَمَتْ ، أَوْ بَصُرَتْ بِهِ بِيضَاءُ تَرَتَّمَتْ ، هُوَ الْحَدِيقَةُ ، تُسَاقُ
سَوَاقُ الْوَسِيقَةِ ، أَوْ اللَّطِيمَةُ فِي ثِنْيِهَا الْغَنِيمَةُ ، فَثُرَتْ إِلَيْهِ قَائِمًا ، وَأَرْقَلَتْ^٣
نَحْوَهُ سَاعِيًا ، وَكَانَ أَوَّلَ نَحْيَتِي لَهُ أَنْ قَبَلْتُهُ وَوَضَعْتُهُ عَلَى رَاسِي ، وَحَبَسْتُ^٤
عَلَيْهِ أَنْفَاسِي ، ثُمَّ فَضَضْتُ خَتَمَهُ ، وَاسْتَسْرَقْتُ شَمَمَهُ ، فَفَتَقْتُ عَلَيَّ نَسِيمَ
الْعَبِيرِ لُخْلِخَ^٥ بِهِ صَدُورُ الْحُورِ ، وَأَهْدَى إِلَيَّ عَبَقَ الْيَاسَمِينِ ، ذُرَّ^٦
عَلَيْهِ مِسْكَ دَارِينِ ، فَأَنْعَمْتُ فِي نَشْرِ طَيِّبِهِ^٧ ، وَضَرَبْتُ^٧ فِي مَدْرَجِ
لَيْتِهِ ، فَلِذَا بَيَّنَاتٍ مِنَ الْبَيْرِ مُسْلَمَةً عَلَيَّ ، وَثَغُورٍ مِنَ الْإِكْرَامِ ضَاحِكَةً إِلَيَّ ،
وَفَاضَ الْأَلَاءُ ، وَكَثُرَ الْهَتَافُ وَالْإِيْمَاءُ ، فَكَلَّمْتُ عَيْنِي عَنْ ذَلِكَ الرَّوْنَقِ ،

١ ط : موجأ ؛ ب : قهره .

٢ ب س : شواهه .

٣ ب س : ورفلت ؛ ط : وأرقلت .

٤ ب س ط : وحسبت .

٥ لخلخ : طيب .

٦ ط : تشريطه .

٧ ط : وصوبت .

وَحُبِسَتْ أَذُنِي عَنْ ذَلِكَ الْمَنْطِقِ ، فَلَمْ أَتَمَّاكَ أَنْ غَطَيْتُ وَجْهِي حَيَاءً ،
وَقَدْ تَصَبَّبْتُ مَاءً ، وَتَقَبَّضْتُ فِي رَدَّائِي ، وَقَدْ ضَاقَ بِهِ عَطَنِي .

وفي فصل ١ : فَتَنَفَّضْتُ تَنَفَّضَ الْعُقَابِ . وَهَزَّئَنِي أَرْبَحِيَّاتُ الشَّبَابِ ٢ ،
وَقَامَ يَوْهَمِي أَنْتِي مَلَأْتُ الْأَرْضَ بِجِسْمِي ، فَأَوْمَأْتُ إِلَى الْجَوَازِاءِ بِكَفِّي أَنْ
تَأْمَلِي ، وَإِلَى الْعَوَاءِ أَنْ أَقْبَلِي ، وَقَلَّتِ الْمَجَرَّةُ فِي عَيْنِي أَنْ تَكُونَ لِي مُنْدِيلًا ،
وَصَغُرَ الزَّبْرَقَانُ عِنْدِي أَنْ أَتَّخِذَهُ إِكْلِيلًا ، فَقُلْتُ : هَكَذَا يَكُونُ
الْأُلُوكُ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تَنْفَحُ الْمُلُوكُ ٣ .

وفي فصل منها :

وَلَمَّا طَالَ الْكَلَامُ — أَيْدَ اللَّهِ الْمُؤْتَمَنَ — وَلَمْ يَبْلُغْ مَمْلُوكُهُ الْغَايَةَ الَّتِي
إِلَيْهَا قَصَدَ ، وَلَا اسْتَوْفَى مِنَ الْإِيرَادِ مَا لِيَّاهُ اعْتَمَدَ ، خَشِيَ أَنْ يُصِيبَهُ مَا
يُصِيبُ التَّطْوِيلَ مِنَ السَّامَةِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِ ، وَالْمَلَالِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ ، فَقَصَّلهُ
بِنَظْمٍ ، فِيهِ عَوْنٌ عَلَى الدَّرْسِ ، وَتَنْبِيهٌُ لَشَهْوَةِ النَّفْسِ ، وَهُوَ :

هَاتِيكَ دَارُهُمْ فَقِفْ بِمَعَانِهَا	تَجِدِ الدُّمُوعَ تَجِدُ فِي هَمَلَانِهَا
[عُنْجَا الرِّكَابِ بِهَا فَهَيِّجْ وَجَدَتَا]	دِمْنٌ ذَعَرْنَ السَّرْبَ مِنْ أَدْمَانِهَا [
دَارٌ عَهْدَتْ بِهَا الصَّبَا لِي دَوْحَةٌ	أَنْفِيَا الْقَرَحَاتِ مِنْ أَفْنَانِهَا

١ زاد في ط : منها .

٢ س ب . أَرْبَحِيَّةُ الشَّبَابِ .

٣ زاد في ب س : فَوَادِعُهَا أَنْكَ مِنْ نِيلِهِ وَالْحَقُّ أَنْكَ مِنْ نِيلِهِ .

٤ ط : الْمُلُوكُ .

٥ اللِّدْيَوَانُ : ١٦٥ .

٦ ط : دَعُونَ .

أُرْعِي عَلَى بَقَرِ الْأَنْبَسِ بِجَوَّهَا
وَإِذَا تَهَادَتْ بِالشُّمُوسِ نَوَاعِمًا
قَضَّتِ النَّوَى بِذِيَادٍ رُجَحٍ عَيْنَهُم
زَجَرُوا اغْتِرَابًا مِنْ نَعِيبِ غَرَابِهَا ٢
فَبَدَاهُمْ وَجْهُ الْفِرَاقِ مُوقِحًا ٣
يَقْلُذْنَ دُرَّ الدَّمْعِ فِي يَوْمِ النَّوَى
[وَدَّعَتْهُمْ وَبَنَاتُ قَرْحٍ فِي الْحَشَا
وَأَسْلَتْنَهَا ذَوْبَ الْجُفُونِ كَأَنَّهَا
يَا صَاحِبِي إِذَا وَتَى حَادِيكُمَا
وَحُذَا لِمُرْتَبِعِ الْحَسَنِ فَرُبَّمَا
عَاوَدْتُ ذَكَرَ الْعَيْشِ فِيهِ وَمَا انْقَضَى
فَبِكَيْتُ مِنْ زَمَنِ قَطَعْتُ مَرَاحِلًا
وَرَعَيْتُ مِنْ وَجْهِ السَّمَاءِ خَمِيلَةً
وَكَاذَنَّا نَشْرَ النَّجْمِ ضَانًا وَسَطَهَا
وَكَاثِمًا فِيهِ الثَّرِيَّا جَوْهَرًا

ومنها يفخر :

أَنَا طَوْدُهَا الرَّاسِي إِذَا مَا زَلَزَلَتْ

وَأَحْكَمُ الصَّبَوَاتِ فِي غَزَلَانِهَا
فِيهَا الْغُصُونُ جَنَيْتُ مِنْ رُمَانِهَا
ظُلُمًا ١ وَكَانَ الدَّهْرُ مِنْ أَعْوَانِهَا
وَقَضَوْا بَيْسِنٍ مِنْ مُغَرَّدٍ بَانِهَا
أَلَتْ عَلَى خَبَرِ النَّوَى بَعِيَانِهَا ٤
عَنْ جُمَّةٍ لَعِبَ الْأَسَى بِجُحْمَانِهَا
دُونَ الضُّلُوعِ تَشْبُ مِنْ نِيرَانِهَا
أَيْدِي بَنِي الْمَنْصُورِ فِي سَيْلَانِهَا
فَتَنَشَّقَا النِّقَحَاتِ مِنْ ظِيَانِهَا
شَقَعَ الشَّبَابُ فَكَتَّ الْإِلْفَ حَسَانِهَا
مِنْ صَبَوْتِي وَطَوَيْتُ مِنْ أَرْمَانِهَا
وَشَبِيهَةٌ أَخْلَقْتُ مِنْ رَيْعَانِهَا
خَضِرَاءَ لَاحِ الْبَدْرِ مِنْ عُذْرَانِهَا
وَكَاثِمًا الْجَوَّزَاءُ رَاعِي ضَانِهَا
نَشَرْتُ فَرَائِدَهُ يَدَا دَبْرَانِهَا

أَيْدِي الْحَوَادِثِ مِنْ فَوَادٍ جَبَانِهَا

١ ب س : صلفاً .

٢ ب س : غرابهم .

٣ ط : موشحاً .

٤ ط : بممانها .

٥ ب س : هاديكما .

وعليّ الصَّبْرِ الجميلِ مُفَاَضَّةٌ
والنفس نفسٌ من شهيدٍ سِنْخُهَا
ما احوَلَ نحوي لحظٌ مُقْلَةٌ ساخِطٌ
ولو اِنَّهُ نطَحَ النُّجُومَ بِقَرْنِهِ
وَقَضَّتْ بِعِزِّ النَّفْسِ مِنِّي دَوْحَةً
يا ابنَ الأبالجِ من معافِرِ والذي
أَعْلَى كِتَابُكَ في مُهِمَّتِي حَرَمِي
فَلْيُطْلِعْنِ إِلَيْكَ مِنْ زَهْرِ الْحَجَى
حَرُّ الْقَوَافِي مَاجِدٌ في أَهْلِهَا
مَدَحَ الْمُلُوكِ وَكَانَ أَيْضاً مِنْهُمْ
أَمْسَى الْفَرَزْدَقُ كَفُؤْهَا فِي حَوْكِهِ
زَعْفُ أَفْلٌ بِهَا شَبَابَةٌ سِتَانِهَا
سِنْخٌ غَدَّتْ مِنْهُ الْعُلَا بِلِبَانِهَا
إِلَّا وَضَعْتُ السَّهْمَ في إِنْسَانِهَا
كُنْتُ الزَّعِيمَ لَهُ بِنَحْسٍ قِرَانِهَا
من عَامِرٍ أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْصَانِهَا
أَرْبَى يَزِيدُ عَلَى عُلَا بُنْيَانِهَا
وَجَلَا جَوَابُكَ مِنْ دَجَى حَرِمَانِهَا
أَبْكَارُ شُكْرِ لُحْنٍ في إِيَانِهَا
وَالشَّعْرُ عَبْدٌ في بَنِي ٢ عَبْدَانِهَا
وَلَقَدْ تَرَى وَالشَّعْرُ مِنْ دِيَوَانِهَا ٣
وَجَرَى الْقَضَاءُ لَهَا عَلَى صِلَتَانِهَا

هذا - أَيْدِ اللَّهِ الْمُؤْتَمَن - جوهرٌ رَطْبٌ ، نُظْمٌ بلا ثَقْبٍ ، غَايَةُ
حُسْنِهِ لو لَقَطْهُ بِحَرُّهُ عَلَى قُرْبٍ ، وقد كان أَقْلٌ حَقُوقِ مَوْلَايَ أَنْ
أَقِفَ بِيَابِهِ ، وَأَخْصِمَ بَفَنَائِهِ ، وَأَهْدِيَ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَضًّا ، وَأَنْثُرَ عَلَيْهِ
الْمَدْحَ نَضًّا ، وَلَكِنِّي مَمْنُوعٌ ، وَعَنْ إِرَادَتِي مَقْمُوعٌ ، يَمْلِكُنِي سُلْطَانٌ
قَدِيرٌ ، وَأَمِيرٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ أَمِيرٌ ، شَيْءٌ غَلَبَ صَبْرَ الْأَتْقِيَاءِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى
عِزِّ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ الْعِشْقُ ، بَاطِلٌ يَلْعَبُ بِالْحَقِّ ، لَيْسَبِينَ ضَعْفُ الْبَشَرِ ،

١ ط : ساقط .

٢ ب س : يدي .

٣ ب : دونانها ؛ س : ذوبانها .

٤ ب س : مخلوع .

٥ ط : شهم .

وَتَلُوحُ قُدْرَةُ مُصَرِّفِ الْقَدَرِ ، وَالَّذِي أَشْكَو مِنْهُ أَغْرَبُ الْغُرَائِبِ ، وَأَعْجَبُ
الْعَجَائِبِ ، بَثٌّ شَاغِلٌ ، وَبَرْحٌ قَاتِلٌ ، وَصَبْرٌ يَغِيضُ ، وَدَمْعٌ يَغِيضُ ،
لِعَجُوزٍ بِخُرَاءَ ، سَهِيكةٍ دَرْدَاءَ ، تُدْعَى قَرطِبةً :

عَجُوزٌ لَعَمْرُ الصَّبَا فَانِيَهٗ لَهَا فِي الْحِشَا صُورَةُ الْغَانِيَهٗ
زَكَتْ بِالرَّجَالِ عَلَى سِنِّيَهَا فَيَا حَبْلًا هِيَ مِنْ زَانِيَهٗ
تَرِيكَ الْعُقُولَ عَلَى ضَعْفِهَا تَدَارُ كَمَا دَارَتِ السَّانِيَهٗ
فَقَدْ عَنِيَتْ^٢ بِهَوَاهَا الْحُلُومُ فَهِيَ بِرَاحَتِهَا عَانِيَهٗ
تَقَاصِرُ عَنْ طَوْلِهَا قَوْنُكَةً وَتَبْعُدُ عَنْ غُنْجِهَا دَانِيَهٗ
تَرَدَّتْ^٣ مِنْ حَزَنِ عَيْشِي بِهَا غَرَامًا فَيَا طَوْلَ أَحْسَزَانِيَهٗ

طَابَ لِي الْمَوْتُ عَلَى هَوَاهَا ، وَلِذِ عِنْدِي سَقْيِي دُمِي لِشِرَاهَا :

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَاكَ
إِذْ ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عَهْدَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُوا لَذَلِكَ
وَلَمَّا اسْتَظَرَدَ طَيْبُ هَذَا الْمَسَاقِ ، وَارْفَضَ كَلِمَهُ كَالْمَاءِ الْمَهْرَاقِ ،
وَحَفَقَ جَنَاحُ الْعَشْقِ الْمَذْكُورِ ، وَتَدَخَّرَجَ وَصْفُهُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْثُورِ ،
تَحَرَّكَتْ لِي أَطْرَابُ ، وَاهْتَزَّ لِرْدَاءِ شَوْقِي أَهْدَابُ ، وَتَمَحَّضَتْ نَفْسِي
فَصَارَتْ نَفْسًا ، وَتَرَكَتْ ذَاكَ النَّفْسُ فِصَارَ كَلَامًا ، وَانْتَظَمَ ذَلِكَ الْكَلَامُ
فِصَارَ عِقْدًا ، فَقُلْتُ مُتَغَزِّلًا ، وَبِمَا صَدَرَ فِي أَيَّامِ السُّرُورِ مِمَثَّلًا^٤ :

١ انظر الديوان : ١٦٨ ولم ترد إلا في اللخيرة .

٢ ب س : عبت .

٣ ط : ترضيت .

٤ البيتان لابن الرومي في ديوان المعاني ٢ : ١٨٩ .

٥ ب س : الشباب .

٦ ديوان ابن شهيد : ١١٦ .

سَقِيًّا لَطِيبِ زَمَانِنَا وَسُرُورِهِ
وَتَكْفُرِي بَرْدَاءِ وَصَلٍ مَقْرُطِي
مَتَلَفَعٌ بِحَرِيرِهِ مَتَضَمَّخٌ
وَسَنَانُ نَاولِي مَدَامَةِ طَرْفِهِ
يَدْعُو بِلَكْنَةِ بَرَبْرِي لَمْ يَزَلْ
مَتَقَدَّمٌ بِمَضَائِهِ مَتَلَفَعٌ
مُسْتَفْتَحٌ لِيَانِهِ يَبْنَاهُ
مُتَنَصِّبٌ كَالْفُضْنِ إِلَّا أَنَّهُ
طَارَحَتْهُ كُلَّمَا وَكُنْتُ زَعِيمَةً
فَمَشَى إِلَيَّ فَشَرْتُ غَيْرَ مُعْقِرٍ^٢
وَمَلِكْتُهُ^٥ بِالْكَفِّ مَلِكَةً قَادِرٍ
فَقَضَيْتُ مَا لَمْ أَقْضِ فِيهِ بَرِيَّةً
زَمَنْ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فَكَأَنَّهُ

وَعَرِيرٍ عَيْشٍ مَسْعِفٍ بِغَرِيرِهِ^١
كَتَبُوا يَنْقُسُ^١ الْمِسْكَ فِي كَافُورِهِ
بَعِيرِهِ مَشَرَّحٌ بِفَتَسُورِهِ
فَشَرِبَتْهَا وَسَمِعْتُ مِنْ طَنْبُورِهِ
يَسْتَفُّ بِالصَّخْرَاءِ حَبًّا بِرِيرِهِ
بَرْدَانَهُ مُتَكَلِّمٌ فِي عِيرِهِ
يُهْدِي السَّلَامَ إِلَى رِجَالِ عَشِيرِهِ
يَهْتَزُّ مِنْ أَعْجَازِهِ وَصُدُورِهِ
غَرْدًا أَحْرَكَ مُنْكِبِي لَزْمِيرِهِ
كَالْتَيْسِ مُطَرِّدًا^٤ إِلَى يَعْقُورِهِ
فَانْصَاعَ مُؤْتَمِرًا لِحُكْمِ أَمِيرِهِ
يَأْبَى الْعَقَافَ^٣ وَعِصْمَتِي بِحُضُورِهِ^٦
حُلُمٌ قَرَأْتُ الْمَوْتَ فِي تَفْسِيرِهِ

ومنها :

وَبِرَاحَتِي مِنْ فِكْرَتِي ذُو ذِكْرَةٍ عَهَدْتُ تَذَاكِيرُنِي بِطَبْعِ ذِكْرِهِ

١ في النسخ : وعزير ... بغزيره ؛ ولا معنى له ؛ وفي اللسان (غرر) عيش غرير :

أبله لا يفزع أهله ؛ أما « غرير » الثانية فتعني الغلام الحدث السن .

٢ ط : ينقش ؛ ب : يحسن .

٣ ط : عن متعرف ؛ وأرى صوابه « غَيْرَ مُعْقِر » - بالقاف - أي غير دهش

ولا متهيب .

٤ ب س : كاليت مطروحاً .

٥ ط : فملكته .

٦ ب : مجدوره ؛ س : بمجدوره .

فَرَدُّ ۚ إِذَا بَعَثَتْ دِيَاغِي صَرْفِهِ ۚ هُوْلًا عَلَيَّ خَبَطْتُ فِي دَيْبُورِهِ
 حَتَّى بَدَأَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِنَاطِسِرِي أُمْلِي ، فَمَزَقَتِ الدُّجَى عَنْ نُورِهِ
 مَلِكٌ تَبَقَّى الْمَجْدَ نَاصِرُهُ ۚ لَهُ وَتَقَبَّلَ الْعِلْيَاءَ عَنْ مَنْصُورِهِ
 وَرَأَى الزَّمَانَ يَحِيدُ عَنْ تَأْمِيرِهِ ۱ فَسَقَى سَهَامَ الْمَجْدِ مِنْ تَامُورِهِ

فَإِنْ طَعَنَ طَاعِنٌ عَلَى نَسِيبِ هَذَا الشَّعْرِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْمُلُوكَ لَا تُقَابَلُ
 بِمِثْلِهِ ، وَالْعِظْمَاءُ لَا تُتَلَقَّى بِشِبْهِهِ ، قُلْنَا : ذَلِكَ لِحَيْثُ لَهُ بِأَخْبَارِهِمْ ، وَقَلَّةِ
 رِوَايَتِهِ لِأَثَارِهِمْ ؛ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْلَأَ الصُّحُفَ وَأَرْقُمَ الْقِرَاطِيسَ بِمَا
 جَرَى عِنْدَ الْمُلُوكِ وَمَعَهُمْ ، وَمَا اسْتُعْمِلَ لَهُمْ ، وَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَيْهِمْ ، لَفَعَلْتُ ،
 وَلَكِنِّي اقْتَصَرْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَرِيبٍ مُعْجِبٍ ، وَاکْتَفَيْتُ مِنْهُ بِحَدِيثٍ مُطْرَبٍ .

قَالَ ابْنُ بَسَّامَ : وَأَنْشَدَ أَبُو عَامِرٍ لِإِثْرِ هَذَا قِطْعَةً شَعْرٍ لِأَبِيهِ ، هِيَ ثَابِتَةٌ
 فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا التَّصْنِيفِ ، قَالَ فِيهَا :

قَهْفَةً الْإِبْرِيْقُ مِنِّْي ضَحِيكًا ۚ وَرَأَى رِعْشَةَ رِجْلِي فَبَكَى

ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ اسْتَهْلَّ الطَّاعِنُ صَارِخًا ، وَقَالَ : هَكَذَا الشَّعْرُ ، وَهَكَذَا
 الطَّبْعُ ، وَهَذَا الْمَاءُ رِقَّةً وَعَذُوبَةً ، وَالْهَوَاءُ لَطَافَةً وَسَهُولَةً ، ، لَا مَا كُنَّا
 فِيهِ مِنَ الشَّنَائِعِ وَالْقَعَاقِعِ ، قُلْنَا لَهُ ۲ :

أَذَنَّ الدِّيَكُ فُتْبُ أَوْ ثَوْبُ ۚ وَانْضَحِ الْقَلْبَ بِمَاءِ الْعَنْبِ ۚ
 وَتَأَمَّلْ آيَةً مُعْجِزَةً ۚ مَا قَرَأْنَا مِثْلَهَا فِي الْكُتُبِ ۚ
 رَكَعَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ طَاعَتِهِ ۚ وَبَكَى فَابْتَلَّ ثَوْبُ الْأَكْثُوبِ

١ ط : تَأْثِيرُهُ .

٢ دِيَوَانُ ابْنِ شَهِيدٍ : ١٧٨ .

وَلَوَلَّ المِزْهَرُ بَنِي كُرَيْبٍ
وَرَبِيبٍ قَامَ فِينَا سَاقِيَا
ظَبِيَّةٌ دُونَ الصَّبَابَا قُصِّصَتْ
فُتِحَ الْوَرْدُ عَلَى صَفْحَتِهَا
فَمَشَتْ نَحْوِي وَقَدْ مَلَكْتُهَا
وَتَطَرَّبْتُ فَأَعْيَا طَرَبِي
كَالرَّشَا أَرْضَعَ بَيْنَ الرَّبْرِبِ
فَأَتَتْ غَيْدَاءَ فِي شَكْلِ الصَّبِي
وَحَمَاهُ صُدْغُهَا بِالْعَقَرَبِ
مَشِيَّةَ الْعُصْفُورِ نَحْوِ الثَّعْلَبِ

ومنها :

وَعَمَامٍ بَاكَرْتَنَا عَيْنُهُ
مِثْلَ بَحْرِ جَاعِنَا مِنْ فَوْقِنَا
فَدَنَا حَتَّى حَسَبْنَا أَنَّهُ
فَسَأَلْنَاهُ ، وَقَدْ أَعْجَبْنَا
أَنْتَ مَاذَا ؟ قَالَ : مُزْنٌ عَلِمْتُ
سَامِنِي بِالشَّرْقِ أَنْ أَسْقِيَكُمُ
فَسَأَلْنَاهُ : أَبْنِ ذَاكَ لَنَا
[مَلِكٌ نَاصِبٌ مِّنْ خَالِفِكُمْ
فَعَلِمْنَا أَنَّهَا نَفْحَةٌ مِنْ

ومنها :

لَكَ كَفٌّ بِالشَّرِيَا فَيَضُهَا
كَقَلْبٍ دَلَّوْهَا مُتَرَعَةً
تَبْصُرُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ إِنْ بَدَا
وَلَهَا بَسَطُ النَّدَى مِنْ كَثَبِ
أَشْرَقَتْ بِالْمَاءِ عَقْدَ الْكَرَبِ
قَمَرَ السَّرْجِ وَشَمْسَ الْمَوْكَبِ

١ ب س : النجمة ؛ ولا أراه صواباً ، لأنه بعد ثلاثة أبيات يقول : « فعلمنا أنها نفحة من ورث الجود ... » .

أَنْجَبَتْهُ الْمَعَالِي أَسْرَةً
 بِنُفُوسٍ مِنْ سِنَاءِ غَضَّةٍ
 وَوَجْهِهِ مَشْرِقَاتٍ أَوْ مَضَّتْ
 لَهُمْ أَيَّامُ حَرْبٍ كَثُرَتْ
 لَمْ يُطَقْ عَامِرٌ قَدَمًا مِثْلَهَا
 سَحَبُوا مِنْ ذَيْلِ مَجْدٍ إِذْ هُمْ
 يَا ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ خُذْهَا عِبْرَةً
 مِنْ بَنَاتِ اللَّبِّ زَانَتْكَ كَمَا
 خَمْرَةٌ مِنْ طَيِّبِهَا قَدْ سُبِيَتْ
 نَزَلُوا لِلْمَجْدِ أَعْلَى الرُّتَبِ
 فِي جُجُومٍ بَضَّةٍ مِنْ حَسَبِ
 ضَاكِحَاتٍ فِي وَجْهِهِ الْكُرْبِ
 فِي عِدَاهُمْ دَاعِيَاتِ الْحَرْبِ
 لَا وَلَا عَمَرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبِ
 لِلْوَعْيِ فِي ظِلِّ نَقْعٍ أَشْهَبِ
 جَدًّا قَوْلٍ يُشْنَتُهُ كَاللَّعِبِ
 زَانَ صَدْرَ الْمُهَرِّ حَلِيَّ اللَّيْبِ
 قَطَعَتْ نَحْوَكَ عَرْضَ السَّبَبِ

فَإِنْ يُرَاجَعْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - الْمُؤْتَمَنُ مِنْصِفًا فَهُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَسْرُءُ لَهُ ،
 لَا كَقَوْمٍ عِنْدَنَا ، حَظُّهُمْ مِنَ الْفَهْمِ الْخَفِظُ ، وَمِنَ الْعِلْمِ الذِّكْرُ ، وَهَذَا حَظُّ
 الْقُصَّاصِ ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ النُّوَّاحِ ، فَتَرَى الْمُتَمَخَّرِقَ مِنْهُمْ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ
 الشَّعْرُ يَزْوِي أَنْفَهُ ، وَيَكْسِرُ طَرْفَهُ ، وَإِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْخُطْبَةُ يُعْمِلُ
 شِقَّةً ، وَيَلْوِي شِدْقَهُ ، فَإِنْ تَنَاقَلَهُمَا لَمْ يُبْقِ مُلْحَةً إِلَّا حَشْدَهَا ١ ،
 وَلَا أَبْقَى عَفْصَةً فَجَّةً إِلَّا جَلْبَهَا . وَأَصْلُ قَلَّةِ هَذَا الشَّانِ ، وَعَدَمِ
 الْبَيَانِ ، فَسَادُ الْأَزْمَةِ ، وَثُبُوءُ الْأَمَكَةِ ؛ وَلِذَا الْفِتْنَةُ نَسَخُ لِلْأَشْيَاءِ ، مِنْ
 الْعُلُومِ وَالْأَهْوَاءِ ، تَرَى الْفَهْمَ فِيهَا بَاطِلًا سَلْعَةً ، خَاسِرَ الصِّفْقَةِ يُلْمَحُ
 بِأَعْيُنِ الشَّانِ ، وَيُسْتَفْزَلُ بِكُلِّ مَكَانٍ . هَذَا رَأَيْنَا ٢ ، وَحَرَبْنَا

١ ب س : وأسير

٢ ط : حشرها .

٣ س : دأبنا .

أنا ١ طلبنا البيان ، فأدركناه بكلِّ لسان . والتمسنا الإبداع فأثبتنا كلَّ
 مُعْجَب ، وأتينا على كلِّ مُطْرِب ، فما سَقَطْنَا على سَوْقة يَهش إلينا ،
 ولا دفعنا إلى ملك يَصُوبنا ؛ وليت إذ لم يكن غُثْم . ألاَّ يكون غُرْم ؛
 ووددنا أنا بَرَازِخٌ لا حربٌ ولا سَلَم ، ولا يَقْطَعُ ولا حُلْم ، كفى
 بذلك إِنْجَاءً على الزَّمَن . ولولا أنَّ الْمُؤْتَمَن نَجْمٌ من تلك الأنجُم الكريمة ،
 وفرغ من تلك الدَّوْحَةِ القديمة . أمسك على الدنيا عَيْنُهَا ، وحفظ عليها
 زَيْنُهَا ، لقلتُ : إنها نَسْخ ، وإنَّ أصلَهَا مَسْخ ، سَنَاوُهَا لِلثِّيم أو وَغْد ،
 وزِمَامُهَا يَدِ بُومٍ أو قَرْد .

وله من أخرى إلى الوزير ابن عباس : وَلَمَّا أَسْنَدْتُ مِنْكَ إِلَى هَضْبَةٍ
 لَا انْخِرَامَ مَعَهَا ، وَاسْتَمْسَكْتُ بِعُرْوَةٍ لَا انْفِصَامَ لَهَا . إِذْ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ
 رَسُولِي إِلَيْكَ ، يَذْكُرُ تَغْيِيرَكَ لَهُ ، وَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْكَ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ
 قَوْلَهُمْ : مَا نَزَلَ حَتَّى رَحَلَ ، وَقَوْلَ الْآخَرِ :

كْرِيشَةٌ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٌ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَتَاقِ
 وَفِي فَصْلِ ٢ : وَقُلْتُ : أَيْسَنُوقُ الْجَمْلُ ، وَيَتَضَيَّعُ الْكَوْكَبُ ، وَتَخِفُ
 حَصَاةُ الْحِلْمِ ، وَيَتَضَعُّضُ جَبَلُ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ ، وَيَكْبُو جَوَادُ الْهَمَمِ ،
 وَتَزِلُّ نَعْلُ الْكَرَمِ ، وَتَغْلِبُ الدُّنْيَا الدِّينَ ، وَيَسْطُو الشُّكُّ بِالْيَقِينِ ؟ ثُمَّ
 تَذَكَّرْتُ عَلَمِي بِكَ ، وَقَوْلِي فَيْكَ :

غَيْرَ أَنِّي مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَا سِمَ حَزْبٌ مَحْضٌ مِنَ الْأَحْزَابِ

١ ط : فانا .

٢ زاد في ط : منها .

التقي النقي كهلاً وطفلاً فارس الجيش راهب المحراب

فعلمت أنك صاحب محراب ، ومؤمن بأية الكتاب ؛ فتللت
الأوهام للجباه ، وكبحت الظنون كبحه أقعدتها عن الأشباه ^١ ،
ولم تبق إلا بقية من قول القائل :

ولو ترك الناس الملوك لأحسنوا ولكن أولاد الزناء كثير

فبحث عن طراً عليك من الأنذال ، وحل بساحتك من الأعلاج ،
فقال لي : ابن فتح ^٢ ، فأنعمت البحث ، وأعمكت لطائف الكشف ،
حتى صح عندي أنه كدّر صفوك علي ، وغير شربك لدي ، فقلت :
من هاهنا أتينا ، وعن هذه القوس اللثيمة رُمينا ؛ وقصصني مع هذا العليج
طويل ^٣ .

وفي فصل منها : ولم يزل يسعى لإفساد تلك النيات حتى فسدت وانتقضت ،
وزاد في إفساد الضمائر ، ورام التدبير من غير طرُق الأكابر ، حتى
تلف وأتلف ، وكانت العاقبة ما عاينت ، والمغبة ما شاهدت ؛ ولقد
سألني أبو جعفر أن يتفرد ذات يوم بأكبر وزيرين عندنا ، ووجهني
فيهما ، وحضرا ، فنفت هذا الساحر فانصرفا ، فخاطبته بأبيات أقول فيها ^٤ :

١ ب س : على الاستاء .

٢ أرجح أنه هو جعفر بن فتح ، قدمه صاحبه محمد بن الفرضي أبو عبادة وزير يحيى
بن علي بن حمود (٣١٢ - ٣١٣) كما قدم أبا القاسم ابن الأفلح ؛ (البيان المغرب ٣ :
١٣٢) وكان ابن تهيد يعدمهم حصوماً له . وسيأتي الحديث عن ابن الفرضي فيما يلي .

٣ ط : تطول .

٤ الديوان : ١٦٤ (عن الذخيرة وحدها) .

هَلَا سَتَرْتَ الشَّيْنَ بِالزَّيْنِ
 قَدْ عَلِمَا أَنَّهُمَا أَحْضَرَا
 لَمَّا تَدَانَتْ قَابَ قَوْسَيْنِ
 فَانْصَرَفَا مِثْلَ انْصِرَافِ الْفَيِّ
 صَدَّهُمَا^١ مِنْ قَرْدِكَ الْمُصْطَفَى
 وَمَا رَأَى النَّاسُ عَلَى مَا مَضَى
 أَرْبَعَةً فِي مَجْلِسٍ جُمِعُوا
 قَدْ لَزِمَا جَنْبَيْكَ لَمْ يَبْرَحَا
 فَأَنْتَ مَا بَيْنَهُمَا جَالِسٌ
 مِنْ قَبْلِ إِحْضَارِ الْوَزِيرَيْنِ ؟
 لَخَلْوَةٌ أَثْقَلُ مِنْ دَيْنِ
 أَصَابَهَا الْحَاسِدُ بِالْعَيْنِ
 أَسْلَمَ لِأَفْأَلِ بَيْدِ الْبَيْنِ
 نَطْحَةً نَطَاحٍ بِرَوْقَيْنِ
 مِنْ قَبْلِهِ قَرْدًا بِقَرْنَيْنِ
 فَطَارَ هَذَانِ يَهْدِينِ
 لَهْفِي عَلَى ضَيْعَةِ جَنْبَيْنِ
 جُلُوسَ أَيْرٍ بَيْنَ خُصَيْنِ

وما كان هذا القردُ أهلاً لأنْ يُحْمَلَ عليه حرٌّ كلام ، ولا ليرمى
 بفضله بيان . وبالحرِّ أنْ يُرْقَمَ على عَتَبَةٍ دُكَّان ، أو يُصَوَّرَ على بابِ
 حَمَام ، وقد غَرِسَ في وجعائه رأسُ نَحْلَةٍ ، وحيي^٢ في سَعَفِهَا عُشُّ
 نَحْلَةٍ ، أو يُنْقَشَ في خاتَمِ قِمَارٍ^٣ ، وقد علاه خنزير ، وعَطَسَ مُسْتَنْجَاهُ
 بِإِبْرَةٍ زُنْبُور ، فإنه بَقِيَّةٌ من بني إسرائيل الذين استحلوا الحرام ،
 واجترحوا السيئات والآثام ؛ فلما عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عنه ، قيل لهم كونوا
 قردةً خاسئين ، فجُعِلَتْ نَكَالاً^٤ لما بين يديها وما خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً
 لِلْمُتَّقِينَ^٥ .

ولولا أنه مُتَنَسِّبٌ إِلَى آلِ هَاشِمٍ ، إِلَى عَصَابَةِ أَقْلَتِي كَرَمُهُمْ ،

١ ط : حدهما .

٢ كذا ولعل الصواب « وخبى » .

٣ ب س : قِمَار .

٤ ناظر إلى الآية : ٦٥ - ٦٦ من سورة البقرة .

وأظلتني نعمتهم ، ومُسندٌ على العلات^١ من أبي جعفر ، إلى وزير كان لي وزراً . رَقَرَقَ شرابي ، وأخْصَبَ به جنابي ؛ لأدَرْتُ بدأره دائرةَ السَّوءِ . وسَرَيْتُ إليها في لُمةٍ من صعاليك الأحرار ، وصميم الرجال ، فأحرقَتْها على نازلها ، وجعلتُ عاليها سافلها ، امتثالاً لقوله تعالى في ديارِ قومٍ لُوط ؛ فالشائعُ لدينا أنها قَرارٌ لبناتِ السَّحْقِ ، وبركةٌ لِسَمَكاتِ العَشْقِ ، يتناكحُ بها التَّسْوَانُ بعضُهُنَّ إلى بعضٍ بالصَّدُفَاتِ . ويستعملنَ خرزَ جُلودِ البَقَرِ في الكيرِ نِجَاتٍ^٢ . فالله الله في قَبولِ هذا القردِ والالتباسِ به ، فإنه قُدَّارٌ من لزمه ، وهو والفرضيُّ رضيعا لبانٍ ، وفرسا رهانٍ . ولذا لم يُؤثر فيه إذ نَقَرَهُ على الرَّأسِ ، لأنَّ الأفْعَى لا تَقْتُلُهَا نَهْشَةُ الأفْعَى ، وأخافُ عليك عاديته ، وأتقي على أياملكَ بادرته ؛ كان اللهُ خليفتي عليكَ يا أبا القاسم ؛ والله الله في إعادةِ نَفْحَةٍ من كرائمِ نفحاتك على قريةِ أبي الجُودي ، فلو أنها الجُوديِّ كرامةٌ ، وقريةُ النَّمْلِ عمارةٌ ، لَقَلَّتْ في جَنْبِ ما أَتَغْنِي به من شُكْرِكَ ، وأتَرَتَمُ به من تَقْرِيطِكَ ومَدْحِكَ . والذي أَسْتَقْبِلُهُ من ذلك أكثرُ مِنِّي : عليٌّ أنْ أَهْدِي من ذلك لطيمةٍ إلى جارتك القَيسِرَوانِ ، وأخرى إلى حبيبتك مَكَّةَ بَيْتِ الرَّحْمَنِ ، بكلامٍ عَذْبٍ ، ومَسَاقٍ رَطْبٍ ، يُبْكِي الحَجِيجَ ، وَيَقْدَحُ نارَ العَجِيجِ ، تَحْنُ له الرِّبابُ ، وترِقُّ له الأعرابُ . واعلم أن نعمتكَ فيها ، لشهرتها بك ، وارتفاعها بارتفاعك ، مكتوبةٌ بكفٍّ

١ ب ط : القلات .

٢ انظر الآية : ٨٢ من سورة هود .

٣ في النسخ : الكرنجات ؛ والكيرنجات : أدوات في شكل عضو الرجل (كير بالفارسية : عضو الذكر) ؛ انظر محاضرات الأدباء ٣ : ٢٧٢ (وقد صفت هناك « كير بيخات ») .

الشُّرَيَّا فِي مَقَرِّ السَّمَاءِ ، نُؤْتِهَا الْهَشْعَةَ ، وَعَيْنُهَا الشَّوْلَةُ ، وَمِمْهًا
النَّشْرَةَ ، فَإِنْ أَعْقَبَتْهَا « لَا » ، كَانَ الدَّبْرَانُ كَاتِبَهَا عَلَيْكَ . تَرْمُقُهَا
الْأَبْصَارُ ، عَلَى انْتِزَاحِ الْأَقْطَارِ .

وفي فصل : وَبَحِثْتُ عَلَى مَنْ تَجَرَّدَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَتَفَرَّغَ
لِلْإِسْتِغَالِ بِهِ ، فَوَقَعْتُ عَلَى الْكَاتِبِ الْوَزِيرِ ، الْيَقْظِ النَّحْرِيِّ ، خَالِدِ بْنِ
يَزِيدَ الْكَيْمِيَّائِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَّضِيِّ ، فَقُلْتُ : شَنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ
أَحْزَمَ ١ ، لَا يَصْلُحُ لِلْأَفْعَى مَرَادُ الرُّوضِ ، وَلَا وَرُودُ الْخَوْضِ ، وَلَا
يُدْفَعُ لُؤْمَ الْكَلْبِ ، كَرَمُ الصَّحْبِ ، وَإِنَّمَا الْأَخْلَاقُ جَارِيَةٌ عَلَى الْأَعْرَاقِ ،
وَالْأَفْعَالُ مَأْخُودَةٌ عَنِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ ؛ وَهَذَا الْمَذْكُورُ مَشْتُومٌ ، أَدْوَى
مِنْ مَوْمَ ٢ ، وَأَشْأَمُ مِنْ بُومٍ ، يُسَيِّءُ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَجَارَهُ
تَجَنَّتِي عَلَيْهِ ؛ مَنَّتَهُ نَفْسُهُ عَلَى ضَيْقِ نَفْسِهَا مُلْكَ الْمُلُوكِ ، وَإِحْيَاءَ وَقَائِعِ
الْبِرْمُوكِ ، فَارْتَبَكَ فِيمَا ارْتَبَكَ ٣ ، وَلَوْلَا الْقَدَرُ لَطَحَنَتَهُ الرَّهْكَ ٤ ،
لَقَدْ أَخْطَأَتْ اسْمُهُ الْخَفْرَةَ ٥ ، وَمَا ثَبَتَ عِنْدَ النُّفْرَةِ ؛ أَوْلَى لَهُ ! لَقَدْ
خَبِثَتْ مَغْرَسُهُ عَمَّا حَاوَلَ ، وَلُؤْمَ مَعْطَسُهُ عَمَّا تَنَاوَلَ ؛ وَهِيَهَاتَ إِلَّا تَبْصَرُ
الشَّمْسَ الْعَمْشَ ، وَلَا تَهْتَدِي السَّبِيلَ الْخُفْشَ . وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَى سَعْدِكَ
نَحْسَهُ ، وَأَحْذَرُ عَلَى يَوْمِكَ أَمْسَهُ ، أَفْقَدَهُ اللَّهُ حَسَّهُ ، وَأُورِدَهُ الْكَنِيفَ

١ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٢١٩ والميداني ١ : ٣٤٤ وجمهرة ابن دريد ١ : ١٥٤ ،

٢ : ٢١٧ .

٢ الموم : البرسام .

٣ ارتبك : نشب ولم يكده يتخلص .

٤ كذا في ب س ؛ وفي ط : لصحبته ، ولعله أن يقرأ : لصحبته الرمك ، أي الخيول ؛

والرهك - بتسكين الهاء - الطعن بين حجرين .

٥ انظر الميداني ١ : ١٦٥ وشرح العيون : ٤٣٠ .

رَمْسَةً ، فإنه لو جاور البحرَ لَسَدَّهُ ، ولو جاسَ أبا قُيُنُسٍ لَهْدَهُ . وما
أَبَدُ أَنْ تُمْنِيَهُ نَفْسُهُ الْحَيَّةُ الْفَتَكَ بَكَ ، والثوبَ عَلَيْكَ ، فإنَّ أَمْرَهُ ١
أَسْخَفُ ، وَصَفَاقَةٌ ٢ مُخَّةٌ أَشْفُ ، من أَلَا يَجْرِي هذا المجرى ، ولا يرمي هذا
المرمى ؛ وربما ساعده القَدَرُ : هذا حمزةٌ قَعَصَهُ وَحْشِي ، وبسطام
صَرَعَهُ عَاصِمٌ ٣ ، وكسرى فتك به مرازمةً له .

وكتب الوزير أبو مروان ابن الحزيري إلى الوزير أبي عامر ابن شُهَيْد :

قل للوزير الذي بانت فضائله
إذ بانَ فضلُ مساعيه وهِمته
وأخِرُ الوردِ إذ تَجَنَّبَهُ مُلْتَقَطاً
وأيُّ حالِه موجوداً ومُفْتَقِداً
وقد أتاك لتوديع على عَجَلٍ
فامنحه منك قبُولاً واقضِ نَهْمته

وقامَ فينا مَقَامَ الغَيْثِ نائله
بَيِّنٌ لَنَا شَرَحَ مَعْنَى سألَ سائله :
أزكى وأعطرُ نَشْراً أم أوائله ؟
أولى وأجلُّ أن تُرعى وسائله ؟
خُضْراً مَقَانِعُهُ حُمْسُراً غَلالُه
من الوداعِ فقد زُمْتُ رِواحله

فأجابه ٤ :

يا سَيِّداً أَرَجَتِ طَيِّباً شمائله
وسَائِلاً لي عما ليس يَجْهَلُه
الورد عهداً ونَشْراً صِنُوْ عهدك لا
وشاكهتُ شِعْرَه حَسْبُ أَسائله
ولا الَّذي كَلَّفَ التَّفْصِيلَ جاهله
تُنْسِي أوْاخِرَه طَيِّباً أوائله

١ ب س : سره .

٢ ط : وصفاق .

٣ أي أن حمزة بن عبد المطلب عم النبي قتل على يد وحشي ، وكلن عبداً حبشياً ، وبسطام بن قيس سيد بني شيبان قتله عاصم بن خليفة ، وكان يعد في البلهاء .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٤٦ (عن الذخيرة وحدها) .

وَوَصَلُهُ فِي كَلَا الْحَالَيْنِ مُقْتَرَضٌ سَيَّانَ قَاطِعُهُ جَهْلًا وَوَاصِلُهُ
فَالْعَوْدُ يَخْفَقُ ، وَالزَّمَارُ يَتْبَعُهُ وَهَاجِرُ الرَّاحِ قَدْ هَاجَتْ بِلَابِلُهُ
تُخْبِرُ بِمَثَلِ الَّذِي أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ أَيَّامَنَا وَالصَّبَا تُعْصِي عَوَافِلُهُ

قال أبو الحسن : وقد ضارَعَ أبو عامرٍ هذا محاسنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ
الْبَغْدَادِيَةِ الْمُضَارَعَةِ الَّتِي بَانَتْ فِيهَا قُوَّتُهُ ، وَلَدُنْتُ اخْتِرَاعَاتُهُ وَمَقْدِرَتُهُ ،
فَصَارَ يَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى الْحَسَنَ فَيُصِيرُهُ مُحَسَّنًا بِحُسْنِ مَسَاقِهِ ، فَمِنْهَا
وَصَفُهُ لِلتَّحْلِيلِ وَالْعَسَلِ : وَاسِعَةُ الْأَكْفَالِ وَالصُّدُورُ مَرْهَقَةٌ . وَوَصَفَ
الْبِرْغُوثَ فَقَالَ ١ : أَسْوَدُ زَنْجِي . وَوَصَفَ الْبَعُوضَةَ فَقَالَ ٢ : مَلِيكَةٌ لَا
جَيْشَ لَهَا سِوَاهَا . وَوَصَفَ الثَّلَبَ فَقَالَ ٣ : أَدْهَى مِنْ عَمْرٍو . فَهَذِهِ أَوْصَافُ
لَوْ رَامَهَا غَيْرُهُ لَكَبَا جَوَادُ بَنَانِهِ ، وَبَا حَسَامُ لِسَانِهِ . وَقَدْ عَارَضَهُ فَقَالَ
فِي صِفَةِ النُّحْلَةِ ٤ :

وِطَائِرَةٌ تَهْوِي كَأَنَّ جَنَاحَهَا
مِلَازِمَةٌ لِلرَّوْضِ حَتَّى كَانَتْهَا
تَمُجُّ بِفِيهَا الشَّهْدَ صِرْفًا وَيَخْتَفِي
مُنَافِرَةٌ لِلْإِنْسِ تَأْنَسُ بِالْفَلَا
فَإِدْنَاؤُهَا رُشْدٌ وَهَتَكُ حِجَابِهَا

ضَمِيرٌ خَفِيٌّ لَا يَحْدُدُهُ وَهَمٌ
لَهَا كُلُّ مَا تَفْتَرُّ عَنْهُ الرُّبَى طَعْمٌ
لِشْتَارِهِ مَا بَيْنَ أَحْشَانِهَا سَهْمٌ
مُفَرِّقَةٌ لِلشَّهْدِ ، مِنْ بَعْضِهَا السَّمُّ
إِذَا احْتَسَجَبَتْ فِي غَيْرِ آيَاهَا ظُلْمٌ

وَقَالَ فِي صِفَةِ الْبِرْغُوثِ ٥ :

١ الْيَتِيمَةُ ٢ : ٤٦ .

٢ الْيَتِيمَةُ ٢ : ٤٧ .

٣ الْيَتِيمَةُ ٢ : ٤٧ .

٤ الدِّيَوَانُ : ١٥٠ (عَنِ الذَّخِيرَةِ وَحْدَهَا) .

٥ الدِّيَوَانُ : ٨٧ (عَنِ الذَّخِيرَةِ وَحْدَهَا) .

ومفسر للنوم مسكنه إذا
يسري إلى الأجسام يهتك عدوه
وبعض أرواف الحسان وماله
متحكم في كل جسم ناعم
فإذا هممت بزجره ولي ولا
وترى مواضع عضه مخضوبة
قرم من الليل البهيم مكور
عظمت رزيتة ولكن قدره
نام المملك بين أثناء الثياب
عن كل جسم صيغ بالنعى حجاب
كف ولكن فوه من أعدى الحراب
مستدل ما بين الحاظ الكعاب
يثنيه ١ عما قد تعود طيلاب
بدم القلوب وما تعاورة خضاب
يمشي البراز وما تواريه ثياب
أخزي وأهون من ذباب في تراب ٢

رجع . وله ٣ : تخلصك الله منه ! ثلاثة سموم : سم أفعى وعقرب ويعسوب
نحل . شرب الماء واردة وعنده ٤ حشائش استفادها من كيميائه . تكفيه
وعشاء عنائه ، إذا رام فتكاً أو حاول وثباً . وإذا قد اطرّد هذا القول ، وانثالت
هذه الكلمات ، فلا بد من تعريف الموقق - وفقه الله - أصل هذا
الفاسق وفرعه ، وإن كلفته تطويله وسجعه : صحبته منذ أعوام ،
أيام اختلافنا إلى الزاهرة ، وإذا تلك المواطن قائمة غير دائرة . وبالغري
من آل عامر عامرة ، وكنا كثيراً ما نتدارس ضروب العلم : من أدب
وخبير وفقه وطب وصنعة وحكمة ؛ على أنه في أهل الفهم ٥ وأو
عمرو ، أو لسان بظن . وكان - ولا أشعر - يدليس وبواليس ٦ .

١ في النسخ : ولم يثنيه .

٢ وكتب الوزير أبو مروان ... في تراب : سقط كله من ط .

٣ هذا النص متصل في ط بقوله : « وكسرى فتك به مرازمة له » : دون أي فصل . وكأنه
تمة للحديث عن الفرضي والتحذير منه .

٤ ط : وعندها . ه ب س : العلم .

٥ يوالس : يخادع ويداهن .

قد استُهتِرَ على الفُلوس ، واستَهْلَكَ على التدليس ، وصار في ذلك
وضَحَ النهار ، ونَفَخَ المِزمار ؛ لو لمس البُدورَ لعادتْ زُيُوفاً ، أو تناول
الشُّموسَ لَغَشَّاهَا كُسُوفاً ، وقَصَدَتْهُ يوباً ، على جَهْلٍ بتلك الخليفة منه ،
لأَسْتَرِيحَ إليه ، وأَلْقَى من شَيْثِي عليه ، فَأَلْفَيْتُهُ قد خلا بابُهُ ، وغابَ بَوَّابُهُ ،
فولَجْتُ فثَارَ إليَّ صَبِيٌّ غَرِيرٌ أَصْبَتْهُ هنالك قاتلاً لي : طال انتظارنا لك !
وتقدَّمَتِي وسرتُ حتى انتهيتُ إلى دارِ ذاتِ أجْوان ، قد غَشِيَهَا
دُخانٌ ، كَقِطْعِ العَنَكان ، تعَبَقُ منها صُتَانٌ ، من زَرَنِيبِخٍ وكبريت ،
وزَنَجَقُورٍ وأنزروت ؛ فتذَكَّرْتُ ﴿ يومَ تَأْتِي السماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ
يَغْشَى النَّاسَ ، هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان : ١٠ ، ١١) فاستشعرتُ
الشرَّ ، وأردتُ الفِرَّ ، ثم التفتُّ فإذا أنا بأكداسِ جَمَرٍ ، وآلاتِ تبر ،
وأشخاصٍ سودٍ وصُفَرٍ ؛ ثم أَفْضَيْتُ إلى بيتٍ فيه عِدَّةُ أَشْبَاحٍ ، كأنها
قَبَاضُ الأرواح ، غرابيبُ ، بأيديهم كلاليب ؛ رَزَادِقُ ١ ، قد ثَقَلَتْ
مطارق ؛ فلما رأوني صاحُوا : فَضَحَكُمُ الواغل ، فاعحقوه ٢ من
عاجل ؛ فلما نَظَرْتُ إلى المنيَّة ، وخشيتُ فصلَ القضية ، ضَحَكْتُ إليهم
وقلت : تَخَطَّتْكم النِّعْمَةُ ، ولا هُدَيْتُمْ سبيلَ الحِكمَةِ ، أهكذا تَعْبَلُونَ ، ولا
تَدْرُونَ من تريدون ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : من أَخَذَ الطَّلُقَ ، فَسَحَقَهُ
بالمَدَقِ ٣ ، وشقَّ بِيَدِ الذِّكَاةِ ، عن زهرةِ الأشياءِ ، فبَشَّرَ الآباءُ
بالأبناء . فقالوا : بنايُ أم بماء ؟ قلت : بهما جميعاً وبهواء . فأومضُوا إليَّ
صاحكين ، واستقبلوني معتلرين ، وقالوا : كدَّتْ واللهِ أَنْ تُلْثَمَهُم ،

.....

١ الرزديق : الصف من الناس .

٢ س ب : فاستحقوه (اقرأ : فاسحقوه) .

٣ ب : بالبرق .

وتكون السواد المخترم ! قلت : وأين أبو عبد الله ؟ قالوا : انفرده
يُرفق ماءً بيض ، ويصق^١ دمَ حَيْض ، وغرضه استخراج دهن
الحجر الكريم ؛ فقلت : حبس^٢ حديثاً أو قديم ؟ فنادوا : أواه ، أواه !
على الخبير سقطتم . ثم تَلَطَّفْتُ وخرجتُ ، تطير بي رجلاي ، وقد حقن
اللهُ دمي بعطفه ، واستنقذني من يَدَيَّ مَنِيَّتِي بلطفه . ووصفتُ لمن
استوثقته^٣ ذلك بعد أن استكتمته ، فجاس وخاس ، وكأنني أودعتُ
سِرِّي ربحاً ؛ فاضطغن ذلك عليّ ، وأكد ذلك أيضاً مُعاملةً عاملني بها أيام
حرب المدينة ، وكانت حبالها^٤ ؛ إذْ ذاك مَنِينَةٌ ، أعقبته وقع^٥ السوطِ على
رأسه ، وعضَّ الحجلِ على ساقه ؛ وكان الأميرَ بها أبو أيوبَ ابنُ المرتضى
رضي الله عنهما ، فأعددتُ شعراً تَوَيْتُ أن أنشدهُ إِيَّاهُ أوَّلَ بَيْعته ،
وكان ما كان ، وبلغه الشعر ، فزادت نَفْسُهُ لي حُبْنًا ، ومنه^٦ :

فلمّا بدا فيهم سليمانُ عندها	وصاحَ ابنُ ذِكْوَانٍ فثارَ رجالُ
هدى من ضلالِ الحائرِينَ محمدُ	وأذَنَ بالبيتِ العتيقِ بلالُ
وقام أبو عمرانَ يرأبُ صدعَها	بسعي ^٧ تجلّى عن هدهُ ضلالُ
وزيرٌ متى يستوزِرُ الملكُ رأيهُ	أمِرتُ له في النَّائِبَاتِ حِبَالُ

١ ط : يرقو ... ويصفو .

٢ ط : نفس .

٣ ط : أستوثقه .

٤ ط : حبالنا .

٥ ط : وضع .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٣٨ (عن الذخيرة وحدها) .

٧ ط : يسعد .

وليس كمنحوسٍ من القومٍ منحسٍ تعاظَمَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ يُنَالُ
أَعَانَتْهُ أُمُوالٌ تَخَوَّنُ^١ عَيْنَهَا وأَعْلَنَهُ غُثْرُ سُوْقَةٍ وَسِفَالُ
لَهُ كَعْبٌ نَحْسٍ لَمْ يَصَاحِبْ بِهِ امْرَأً عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا رُدًّا وَهُوَ خِيَالُ
فَفِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ عَصُورِ حَيَاتِهِ تَلَّ عُرُوشُ^٢ أَوْ تُدَاكُ جِبَالُ
هُوَ الدَّاءُ فَاسْتَأْصِلْهُ تَلْبَسَ جَمَاهَا وَدَاءُ كَعُوبِ الْمُنْحَسِينَ عُضَالُ

ولما قضي ما قضي ، ووقعت تلك الهنات ، ودرج أبو أيوبَ وعظم
تأسفي ، رَمَيْتُهُ بِأَيَّاتٍ بَلَّغَتْهُ ، فَاصْطَلَّكَ أَجْرَامُ عِدَاوَتِهِ ، وَأَخَذَ فِي وَجْهِهِ
مَطَالِبَتَهُ ، مِنْهَا^٢ .

نالت سليمانَ مِنْهُ رِجْلُ^١ مِنْ قَبْلِ مَا أَرْجَلَتْ أَبَاهُ
فَاسْتَلْدَرَجَا كَاشِفِي دَجَاهُ^٢ يَا وَبِلَةَ الْمَرَمِ ، مَا دَهَاهُ ؟^٣
يَا سَخْطَ رَبِّ الْعُلَا عَلَيْهِ إِذْ أَدَّتِ الْمُرْتَضَى يَدَاهُ
لَمْ يُبْقِ مِنْ زُمْرَةِ الْمُعَالِي إِلَّا هِشَامَ الْعُلَا أَخَاهُ
يَا رَبِّ فَاحْرُسْهُ لِي بَعِينِ^٤ تَمْنَعُهُ الدَّهْرُ مِنْ أَذَاهُ

وفي فصلٍ : وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

لَا تَعْرِضَنَّ لِإِمَامٍ فَبَخَرُ نَحْسِكَ طَامِي
أَصْمَيْتَهُمْ دُونَ رَمِي^١ وَاللَّهِ لَإِنَّكَ رَامِي
ثُمَّ اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ هَذَا الْخَبِيثِ أَيَّامَ الْمُسْتَظْهِرِ ، فَلَمْ يُبْقِ غَايَةَ^٢
مِنْ اهْتِزَامِي إِلَّا امْتَدَّ لَهَا ، وَأَجْرَى نَحْوَهَا ، وَقَصُرَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ دُونَهَا ،

١ ط : تخرق .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٦٩ (عن الذخيرة وحدها) .

وظاهرٌ صاحبه أبا الحسنِ عليّ ، وقاد مضرته إليّ ، وصنع شِعراً
حملنيه عنده^١ ، وهو :

يا كسرةً دَهَمَتْنَا ليس تنجبرُ وسُبةً لَحِقَتْنَا مالها عُدُرُ
باتتْ قُعُوداً رجالٌ طابَ محتدا وقام نذلانٍ في سَنَحَيْهِمَا بَخَرُ
أَمسى قدارُ يسوس الأمرَ أجمعه لقد تَأَنَّقَ فيما ساءَنا القدرُ
وذا أبو اليُسْرِ قد أُنْسَى لها وُزْرًا إنّا إلى الله ، يسرٌ جرهُ عُسْرُ
نذلانٍ ما حُرُكا إلّا^٢ فشا^٣ ذفرُ نَقَحَ الكِلَابِ إذا ما مَسها المطرُ
لو أنْ أَشْيَاخُنَا كانتْ لَهُمْ هِمَمٌ تبقي رياستنا لم ترأسِ البقرُ
لكنهم - وقضاءُ الله محتملٌ - ليسوا من الناسِ إلّا أَنهم صُورُ
إذا هُمُ اجْتَمَعُوا يوماً لمُعْصِلَةً رَأَيْتَ نارَ التَّقَالِي كيف تستعرُ
بومٌ يرى^٤ الشؤمَ ياد في صحيفته^٥ وقردٌ سوءٍ على صفحاتِهِ وبَرُ

فأغريا بي ، وأرصدآ لي ، فكفى الله شرهما ؛ فشبا حربَ البسوس ،
وتناقرا^٥ على الرعوس ، وكانت هامةُ أحدهما صينيةً ، أو امرأةً هنديةً ،
فكبا الجدَّ بمن كبا ، ونا المجدُّ عن هامةٍ من نبا، ليلبغَ الكتابُ أجلكه ،
ويقضي^٦ اللهُ أمراً كان مفعولاً .

فكيف يُصنعي الموفق - أيده الله - إلى رجلٍ هذه صِفَتُهُ ، وبينِي وبينه

١ ط : عبته .

٢ ط : بدا .

٣ ط : يوماً ترى .

٤ ب : صبيحته ؛ ط : صبيته .

٥ ط : وتناقرا .

٦ ط : وليقضي .

ما قد شَرَحْتُهُ وأَوْضَحْتُهُ ؟ فليُجِرْني من قبولِ حديثِ هذا الخبيثِ في ،
 وإصغائه إلى كذبه عليّ^١ ، وليُجِرْ نفسه من عاديته ، ويتنظَّر من وجهِ
 فائدته ، يجده أشقى الأَشْقِيَاء ، وأضعف الضعفاء . إنَّما هو لِيَطْبَخَ إكْسِير ،
 أو لشدَّ قَصْدِير ، أو لِنَقْشِ في ذِكْر ، أو لادِّعَاءِ أَعْمَال ، أو لِنَغْشِيَةِ
 مثقال ، أو إقامةِ طلسمات ، وهو خَلْيِي^٢ من ذلك كُلِّهِ ، والحقيقةُ نائيةٌ
 عنه ، والشَّعْوَذَةُ غيرُ مستلحةٍ منه ، لبرد طباعه ، وقصرِ باعه ؛ وإنَّما
 هي لأديبٍ ظريف ، ذي فَهْمٍ لطيف . فأما هو فأبردُ من ثلجة ، وأشدُّ
 عَفْوَصَةً من عَفْصَةِ فَجَّة ، إذا^٣ تَقَبَّضَ أنْفُهُ ، وشمَخَ طَرْفُهُ . ولولا
 أن الملوكة لا تتهادى بالوضيع ، ولا تعتمدُ^٤ في تحفها غيرَ الرَّفِيع ، لرأيتُ
 أن تهديهُ إلى البليئةِ^٥ مَلِكَةِ البحر ، والقيِّمةِ بالأمر ، لينصرف^٦
 البارد إلى عنصره ، وعسى أن يخرجَه البحر بعد حينٍ في عنبره ، فيكونَ أَحَرَّ
 قليلاً ، وأهدى إلى ذلك سبيلاً ؛ ولولا أن وَصَفَ هذا الخبيثِ داخلُ في معاتبَةِ
 الموفق ، لما ارتضيتُ سوقه ، ولا غشيتُهُ من كلامي رَوْقَه ، فلنما يتعابُ
 الأكفاء ، ويتمارَحُ الأخلاءُ^٧ .

فصول قصار اقتضبتها من طویل كلامه

فصل : جلا الشكوك بيقينه ، واستنبط معرفة الأعمال من شئونه ؛
 وقسم ليله نصفين : نصفاً للتلاوة ، ونصفاً للسياسة ؛ ويومَه شطرين :

١ س : كذبه وانحائه علي .

٢ س : خلو .

٣ ط : ولذا .

٤ ط : ترى .

٥ البليئة : الموت .

٦ ط : لتصرف .

٧ س : الأشباه .

شطراً للميدان ، وشطراً للديوان ، فاستجم درّ الخراج ، ونزف دماء الأعلاج ،
من الأوداج .

فصل : لا نعمة للخالق على المخلوق أجملُ عاقبةً ، وأحمدُ مغبةً ،
وأزوقُ بهاءً ، وأسبغُ رداءً ، وأبعدُ مأثرةً ، وأيسرُ مكremeً ، من تقى
يشعرها قلبه ، وأدبُ يزينُ به عقله ، ولسانُ مئين يُفيضه عليه فيُعربُ به
عن نفسه ، ويكشفُ عن حقيقة ذاته ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَكْرَمَكُمْ
عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) وقال : ﴿ هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩) ، وقال ﴿ سلقوكم بألسنة حداد ﴾
(الأحزاب : ١٩) ، وقال : ﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير
مبين ﴾ (الزخرف : ١٨) وقال عليّ رضي الله عنه : قيمة كل امرئ
ما يحسن ، وقال : المرأةُ مخبوءٌ تحت لسانه . ولذلك كانت الملوك تعدلُ
بينها عن التمتع إلى شظفِ العيش ، وتلدني محالهم من البادية ، وتبوثهم
منازلَ الفصاحة ، لتحندُ أفئدتهم ، وتمتدُ ألسنتهم ، وينسابوا في لصابِ
الدّهَاءِ ، ومزاحفِ النكراء ، فيُجيدُوا الحزَّ ، ويُطبّقُوا المفصل ، ويسوسوا
النوب ، ويكتبِتُوا الحصوم ، ويخرجوا من الغمَاءِ ، ويمضوا قدماً في
الشنعاء ، كما قال عمرو لمعاوية :

فإن تعطني مصرأ فأريحَ بصفتكِ
أخذتَ بها شيخاً يضرُّ وينفعُ

وإنَّ امرأً يقابلُ ابنَ هندٍ بهذا ، وهو هو ، لفضفاضُ قميصِ الأدب ،
طويلُ نجادِ المعرفة ، موقوفٌ على ذروةِ الفضل ٢ .

١ ط : على المخلوق أحسن من تقى ... الح .

٢ س : موف على ذروة العقل .

فصل : واصلَ الجهاد ، واستأصل الكفرَ والعناد ، واتخذَ ظهرَ الجواد
بَيْتاً ، وظلَّ اللّواءِ كَيْتاً^١ ، واستبدلَ من نقرِ الكِرانِ^٢ قرعَ الطُّبُولِ ،
ومن نغمِ القيانِ شجا الصَّهِيلِ ، ومن وَجْبَةِ المعازِفِ لَجَبَ الجيوشِ ؛
يَمْشِي في المهجير ، ويسري في الزَّمهرير ، ويَحِنُّ إلى الأذانِ والتكبيرِ ؛
في خِطَّةِ إبليس ، ومَصْدَحِ^٣ الناقُوسِ .

فصل : كنتُ أسمعُ من هذه المآثرِ والمكارمِ مثلَ نفعِ الصَّبَا ، ويقرعُ
أذني منها جَرَسُ^٤ أَلْدُ من نغمةِ الصَّبَا ، فلا أَكْذَبُ ، لصديقِ الشَّاهدِ ،
وأمانةِ الناقلِ ، وكثرةِ القاتلِ . والحكيمُ أبو فلانِ خادِمُ الشَّيْبِ ، ومُصلِحُ
العَيْبِ ، وله جُوارِشاتُ مؤلَّفةٌ ، حارةٌ مفلَّلةٌ ، تكادُ تَرُدُّ الحصىَ فحلاً ،
والثورَ المسنَّ عجلًا .

فصل^٤ : أَجلُ ما بيننا ارتضاعُ الكاسِ ، وشمُّ الآسِ ، والجريُّ في حافاتِ
الصبا ، والصيدُ بالسكرِ في الرُّبَى ؛ وإنْ كانتِ هَنَاتٌ مخلقةٌ ، وأوقاتٌ
موبقةٌ ، ذهبتُ وبقيَ وزرُّها ، وظعنتُ وأقامَ شرُّها ، فإنَّ المرجوعَ للعليمِ
الحكيمِ ، ربِّ العرشِ العظيمِ .

وله من رقعةِ خاطبِ بها مجاهداً أميرَ دانيةٍ وقته : قد يُخْلِيفُ الغمامَ ،
وتغديرُ اللثامِ ، وتُقَطِّعُ الأرحامَ . من عَزَّ بَزَّ ، ومن رَيْشَ طارَ ، ومن سارتُ
به الأيَّامُ سارَ ، وعلى الجَدَّةِ المَدَّارِ . جَدَّ كبا ، وحُسامٌ نبا ، وآمالٌ

١ س ب : كَيْتاً .

٢ الكِران : العود وقيل الصنج .

٣ ط : ومصرخ .

٤ سقط هذا الفصل من ط .

تفرقت أَيْدِي سَبَّأ . كلماتُ أَنْثَرُهَا عَلَيْكَ ، وآمالُ أَصْرَفَهَا إِلَيْكَ . كَتْنَا قَبْلَ
 أَنْ تَرْمِي بِنَا النَّوَى مَرَامِيهَا ، وَتُلْقِيَ الْخَطُوبُ عَلَيْنَا مَرَاسِيهَا ، وَتَمْخَضُنَا
 الْأَيَّامُ مَخْضًا ، وَتَرْكُضُ بِنَا اللَّيَالِي رَكْضًا ، تَرَبِّي صَحْبَةً ، وَحَلِيفَتِي صَبُوتَةً ؛
 قَدْ تَخَلَّيْنَا عَنِ الْأَسَابِ ١ ، وَانْتَسَبْنَا إِلَى الْآدَابِ ، وَالذَّارُ إِذْ ذَاكَ صَقَبَ ،
 وَالْمُلْتَقَى كَثَبَ ؛ فَلِذَا شَمَخَ بِأَحَدِنَا مَارِنَ ، وَثَارَ بِهِ كَدُّ سَاكِنَ ، بِعَتَبِ
 عَلَى زَمَنِ ، وَتَقْصِيرِ بِإِرَادَةٍ عَنْ سَكَنَ ، تَعَاطَيْنَا كَأْسَ الشُّكُورَى ، وَتَجَاذَبْنَا
 حَبْلَ الْبُلُوبَى ، وَالزَّمَانُ غَيْرٌ ، وَحَوَاصِلُنَا صُفْرٌ ، نَتَرْتَمُ تَرْنَمُ الْحِمَامِ ،
 عَلَى زُرْقِ الْجِمَامِ ؛ ثُمَّ أَلْقَتِ الْأَيَّامُ عَلَيْنَا ٢ بِكُلِّ لَ ، وَأَنَاخَتْ مِنْ فَوْقُنَا
 بِجِرَانِ ، فَفَشَرْتَنَا بِكُلِّ فَجِجٍ عَمِيقٍ ، وَأَفْسَقَ سَحِيقُ ، نَثَرَ الدَّرَرَ ،
 شَذَرَ مَدَرَ ؛ وَنَفَحَتْ عَلَيْكَ رِيَّاحُ السَّعْدِ ، وَجَاءَتْكَ الْمُنَى مِنْ
 تَهَامَةٍ وَنَجْدٍ ، وَامْتَطَيْتَ ظَهَرَ الْجُوزَاءِ ، وَافْتَرَشْتَ لِبْدَةَ الْعَوَاءِ ؛ وَكَلَّمَا
 دَعَيْتَ إِلَى النَّزَالِ وَالْعِرَاكِ ، تَرَسَّتْ بِالثَّرِيَا وَطَعَنْتَ بِالسَّمَكِ ، فَزَحَمْتَ مِنْكَ
 الدَّهْرَ ، وَقَضَيْتَ أَرْبَكَ مِنْهُ عَلَى قَهَرٍ . فَكَانَ أَوَّلَ حَيْصَتِكَ عَنِ الْوَفَاءِ ،
 وَحِيدَتِكَ عَنِ رِعَايَةِ قَدِيمِ الْأَخَاءِ ، أَنْ تَرَكْتَ الْمَخَاطَبَةَ ، وَأَضْرَبْتَ عَنِ الْمَكَاتِبَةِ ،
 خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ كَلُّنَا عَلَيْكَ ، وَرَغْبَتُنَا فِي مَا لَدَيْكَ ، وَهِيَهَاتِ ! يَأْبَى ذَلِكَ كَرَمٌ
 مُحَضٌّ ، وَهَمَّةٌ عَلَيْهِاءٌ مَا لَهَا خَفْضٌ . ثُمَّ قُلْتُ : حَمَلُ أَحْسَنِ الظَّنِّ أَجْمَلُ ، وَالْقَضَاءُ
 بِأَكْرَمِ الْعَهْدِ أَقْبَلُ ، قَدْ تَشْتَغِلُ الرُّؤْسَاءُ ، وَتَتَجَاذِبُ الْعِظَمَاءُ ، وَعَيْنُهُ مَعَ ذَلِكَ
 رَاعِيَةً ، وَأُذُنُهُ وَاعِيَةً ، وَإِنَّمَا الْوَصْلُ بِالْفُرَادِ لَا بِالْمَدَادِ ، وَالِالْتِقَاءُ بِالْحُلُومِ لَا
 بِالْجُحُومِ ، فَانْطَوَيْتُ عَلَى وَدٍّ ، وَثَبَّتَ عَلَى صَحَّةٍ عَقْدٍ . ثُمَّ دَارَتْ الدُّهُورُ ،
 وَطَلَعَ الْبَشِيرُ ، أَنْ قِيلَ طَالَعَكُمُ عَسْكَرٌ جَرَارٌ ، فِيهِ لِأَسَدِ الْعَرِينِ نَارٌ ، قَضَى لَكُمْ

١ ط : الانتساب .

٢ ط : علينا الأيام .

به الأمر ، وخفقت عليكم ألوية النصر ، فقلت : من زعيمُ هذا الجيش ؟
 قيل لي : أخوك أبو الجيش^١ قلت : رءُوفٌ عطوف ، شقاقٌ للصفوف ،
 وواحدٌ يعدلُ بالوف . وقلت : رُدُّ شَهِيدٍ في أمتك^٢ من أمم ، وجاءتك
 تسعى على قدم ، وضَح الصبح لذي عينين ، وأمكن البطشُ ذا يدين ،
 هذا حبيبك قائدُ أعتتها . وذا خليلك مالك أزمتهَا ، هذا أبو
 الجيش مُصْعَبٌ على مُقرب ، ومغضَبٌ يضربُ بمقضب ، آن لذهب العلم
 أن يَزيِفَ ، وحن لجوهر الفهم أن يشف ؛ ويلٌ للجَهِلِ وبنيه ، وعشيرته
 وأقربيه .

وفي فصل ٣ : ولقيتُ إخواناً لقوك ، فوالذي جعل الغدرَ من شعارهم ،
 والحذر من دثارهم ، ما أجزوا في ذكرك ، فضلاً على أن يجروا ذكري لك .
 وهم يعلمون أنَّ مرماي غيرُ مرماهم ، ومغزاي سوى مغزاهم ، ويوقنون
 أنَّ أبعد آتالي في صديقٍ إذا سما . وأرفع رغباتي لديه إذا طمى ، انفراجُ
 بابه . وانهتاكُ حجابيه ، يتمتعني بإشراق وجهه ، ويوردني غدِيرَ بشره ،
 ويزنني بغيري . من إخوانه ، ويضربني بسواي من أهل زمانه . ولا يُقَلِّلُ
 حظي من إكرامه ، ولا يهجرُ قسطنطيني من لطيف اهتمامه ، بعد أن يعدلُ
 القِسْطَاسَ ، ويميزُ الذَّهَبَ من النحاس .

وفي فصل : وهذا أخف حمل وأيسر . فأدركني ما يُدرك من طابِ
 غرسه ، وكرمت عليه نفسه ، وأزمتُ على المقاطعة ، فقلتُ : الصبرُ

١ في النسخ : أبو الحبش ، وصوابه ما أثبت ، لأنه يتحدث عن مجاهد ، وكنيته « أبو
 الحبش » .

٢ ط : شهيدى أمتك .

٣ هذا الفصل شديد الإيجاز في ط .

أولى ، والإنصاف أحجى ، لا بدَّ أن توفي الرجال مقاديرَها في أزمانها ،
ويستحال ^١ لها عند استحالة أعيانها ؛ وتخشعُ من أوهد لمن أصعد سداد ،
وتلين من آتهم لمن أنجد رشاد . فتقلقت واضطربت ، وتجمعت لي وانقبضت ،
ثم جاشت كما يجيش البحر ، له همهمةٌ وزخر ، فقالت : ثكلتك المكارمُ
يا ابن الأكارم ! ألسنت من أشجع في العلا ، ومن شهيدٍ في الذرى ، وللخالق
في صدرك حكمة . وللرازق في حجرِكَ نعمة ؟ تقول بهذه فتسمع ، وتغنى بتلك
فلا تخضع . وساويت امرءاً لم تحتج إليه ، ووازنته ما لم تطمع فيما لديه ؟ لا
أسرَ إنما أعلن ، قيمةُ كل امرئٍ ما يُحسِن . قلتُ لها : فأين اليأس ؟ قالت :
هو في القلب والرأس ، لئن أصابه غيرُكَ فارِساً ، إنك لغيرُ بعيد منه راجلاً ،
فقلت : لقد أدركتك عجرفية ، واستولت عليكِ أعرابية ، لا بدَّ من قصدي
أبا الحبش ^٢ ، قالت : ليهنك العيش . في أبرد من ظل الخيش ! وقصدتُك
من جهتي ، فلم أشكُ ولم أقرّ . ولم أعرف ولم أنكر ، وانصرفْتُ يمين
الحالين ، لا قُرب ولا شَحْط ، ولا رضى ولا سُخط .

[وعُرضت] فصول من كلامه على الكاتب أبي بكر المعروف باشكيباط ^٣
فقال : فِقَرٌ حسان إلا أنه عثر عليها . فوصل كلامه إلى أبي عامر فكتب إليه : بما
أغْيَرَكَ أبا بكر ، على نظم ونثر ، لو إليك كان العلم ، أو بكفتك كان

١ ط : ويستحيل .

٢ في النسخ : إلى الحبش .

٣ هكذا ورد هذا الاسم في نسخ الذخيرة ، وفي المغرب (٢ : ٣١) اشكيباط ، وفي
النفح (٢ : ٩٥) اشكنهاده ؛ واسمه محمد بن قاسم ، وكنيته أبو بكر ، وهو من شهد
الفتنة ، ثم استقر آخراً في دافئة عند مجاهد المري .

الفهم . لم تترك لأرض^١ أعلاماً . ولا لغيرك إنعاماً ؛ أحشأ^٢ عند رعدتك ؟ !
 عرضتُ عليك الدُّرَّ منظوماً . فقلت : نعمَ ما صنعتَ لو اخترعت ؛ وما
 أحسن ما أطلعتَ لو ابتدعت . معرضاً بالتقصُّص^٣ ، ومشيراً إلى التلصُّص ؛
 هيهات ! لا يزيد الخز من الغرَب . ولا يضيءُ السليط في <القصب>^٤
 لأقطعنَّ جبالك هاجراً^٥ ، ولأتركن ليلك ساهراً .

وله في فصل : وإصابة^٦ البيان لا يقومُ بها حفظُ كثير الغريب ،
 واستيفاءُ مسائلِ النحو . وإنما يقوم بها الطبع^٧ مع وَزْنِهِ من هذين : النحو
 والغريب^٨ : ومقدارُ طبعِ الإنسان إنما يكونُ على مقدارِ تركيبِ نفسه مع
 جسمه ؛ فمن كانت نفسه في أصلِ تركيبه مستويةً على جسمه ، كان مطبوعاً
 روحانياً ، يُطلع صُورَ الكلامِ والمعاني في أجملِ هيئاتها . وأزوقَ لبساتها ؛
 ومن كان جسمه مستولياً على نفسه – من أصلِ تركيبه – والغالبَ على حسِّه ،
 كان ما يطلعُ من تلك الصورِ ناقصاً عن الدَّرَجَةِ الأولى في الكمال والتمام ،

١ ب س : الأرض .

٢ الحش . أن يرش الرامي سهمه ويلزق به القلذ ، استمهاداً للرمي ؛ ومثل هذا لا بد
 له من سداد يد وثبات جنان . أما الرعدة فإياها لا تتفق وهذا الحش لأنها تسبب طيش السهم
 عند الرمي .

٣ التقصص : التتبع ، أي تتبع معاني الآخرين .

٤ هذه قراءة نقديرية ؛ والمعنى أن العرب بطيمه لا يصلح للسهم ، فإذا أعددته ليكون
 سهماً فإن الخز لن يزيد من قيمته ؛ كما أن السليط يضيء في قنديل بسيط ، ولا يضيء إذا
 وضع في القصب ، وهي أنابيب من الجواهر .

٥ ب : حبلك ؛ ب س : أجراً .

٦ س : صناعة الكلام وإصابة ...

٧ ط ب : بل بالطبع .

٨ النحو والغريب : زيادة من س .

وحُسْنِ الرَّوْنَقِ والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتي منه في حسن النظام ، صوراً رائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتشعّف النفوس . فإذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أساً لم تعرفه ؛ وهذا هو الغريب ، أن يتركب الحُسْن من غير حُسْن ، كقول امرئ القيس ^١ :

تنوّرتها من أذرعَاتِ وأهلها —————
بيثرب أدنى دارها نظراً عالى
فإن هذه الديباجة إذا تطلبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده ؛ وكقول أبي نواس ^٢ :

طرحتُم من الترحالِ ذِكراً فغمنا فلو قد شخصتُم صَبَحَ الموتُ بعضنا
ثم قال فيها :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هوالك ، لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا
فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذي لو رآه حمار الكُساح لأدركه ، ولكن له من التعلّق بالنفس ، والاستيلاء على القلب ما ترى .

وفي فصل له : وقول الجاحظ : إنا إذا اكترينا من يعلم صبياننا النحو

١ زادني ب س : ألام صباحاً أيها الطلل البالي ، وقوله ؛ وانظر ديوان امرئ القيس : ٣١ .
٢ ديوان أبي نواس : ٤٥ .

والغريبَ قنعَ منّا بعشرين درهماً^١ في رأس كل شهر^٢ ، ولو أكثرنا من يعلمهم البيان لما قنعَ منّا بألف درهم . ولم يقل هذا إلاّ وقد ألّف « كتاب البيان » . ولو كشفَ فيه عن وجهِ التعليم ، وصوّرَ كيفيةَ التدريج ، لأرى كيف وضعَ الكلام ، وتزيينُ البيان ، وكيف التوصلُ إلى حُسْنِ الابتداء ، وتوصيلُ اللفظِ بعد الانتهاء ، وأبدى لهم عن تدبيرِ المقاطع والمطالع ، فإنّها معادنُ الصنعة ، ومواضعُ مفاتيحِ الطريقة ؛ ولكنّه استمسكَ بفائدته ، وضمّنَ بما عنده ، غيرةً على العلم ، وشُحّاً بشمرةِ الفهم ، وعرفَ أنَّ النفعَ كثير ، والشاكر قليل ، فلم يُفدْ بما أوضح من أمرِ البيان فائدةً غير أهله ، ومن كَرَعَ في حوضِهِ ، واستنّافَ من نَدّه^٣ . وأمّا أن يُخرَجَ مبتدئاً ، أو يُعلِّمَ جاهلاً فلا ألبتة .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وقد كُنّا أطعمنا من هذا الطعامِ بعضَ التلاميذ ، فاستطابته وعَلِمَ مقداره ، ولكنَّ البطالةَ على الفتيانِ غالبيةٌ ، والسامةُ عليهم مستولية ؛ فمن نبى على تعليمِ هذا الشأنِ فلا يعلمُ إلاّ أهلُ النجابةِ والمثابرةِ على التعليم ، لأنّه من لم ينجبْ له تلميذَ حُميلٍ عليه ذلك النقص ، وظنَّ به العجز .

جلس إليّ يوماً يوسفُ بنُ إسحاقَ الإسرائيليّ ، وكان أفهمَ تلميذٍ مرَّ بي ، وأنا أوصي رجلاً عزيزاً عليّ من أهل قرطبة ، وأقول له : إنَّ للحروف

١ س : ديناراً .

٢ ط : في الشهر .

٣ س : واشتار من ثفره .

٤ ط : يوسف الإسرائيلي .

أنساباً وقرابات تبدو في الكلمات ، فإذا جاورَ النسبُ النسبَ ، ومازجَ
القريبُ القريبَ ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ؛ وإذا رُكبتِ صُورُ
الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال لي : إي
والله ؛ قلت له : وللعذوبة إذا طُلِبَت ، والفصاحة إذا التُمِست ، قوانينُ
من الكلام ، من طلبَ بها أدرك ، ومن نكبَ عنها قصر ، أفهمت ؟ قال :
نعم ، قلت : وكما تختارُ مليحَ اللفظِ ، ورشيقَ الكلام ، فكذلك يجبُ أن
تختارَ مليحَ النحو ، وفصيحَ الغريب ، وتهربَ عن قبيحه ، قال : أجل ،
قلت : أنفهمُ شيئاً من عُيونِ كلامِ القائل ¹ :

لعمركَ إني يومَ بانُوا فلم أمتُ خُفَاتاً على آثارهم لصبورُ
غداة التقينا ² إذ رميتَ بنظرةٍ ونحن على متنِ الطريقِ نسيرُ
ففاضتُ دموعُ العينِ حتى كأنها - لناظرها غُصْنٌ يَرَّاحُ مطيرُ

فقال : إي والله ، وقعت « خُفَاتاً » موقعاً للبدأ ، ووضعت « رميت »
و « متنِ الطريق » وضعاً لمليحاً ، وسرى « غُصْنٌ يَرَّاحُ مطيرُ » مسرىً
لطيفاً ، فقلت له : أرجو أنك تنسيت شيئاً من نسيمِ الفهم ، فاغدُ عليّ
بشيءٍ تصنعه . قال أبو عامر : وكان ذلك اليهودي ساكتاً يعي ما أقول ؛
فغدا ذلك القرطبي فأنشدني :

حَلَقْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْجِمالِ لَقَدْ وُزِنَتْ كُرُوبِي بِالْجبالِ

١ وردت الأبيات منسوبة لأعرابي في شرح المختار من شعر نشار : ٢٥٠ وأمالى القالي

٢ : ٢٧١ وحساسة ابن الشجري : ١٦١ وأمالى المرتضى ١ : ٥٠٠ .

٢ المختار : المتنق .

في أبياتٍ تشبهه . وجاء اليهودي فأشدني :

أَيْتَمَ رُكْبَانُهُمْ مَنَعِجَا وقد ضَمَّنُوا قَلْبَكَ الْهُودَجَا ؟

واستمرَّ إلى آخر قصيدته ، فأتى بكلِّ حَسَنٍ ١ ، فقال لي ذلك القرطبي :
شِعْرُ الْيَهُودِيِّ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِي . قلتُ : ولا بأسَ بفهمِكَ إذ عَرَفْتَ
هذا . ولم يزل يتدرَّبُ باختلافه إليَّ حتى نَدَيْتُ رَبَّهُ ، وطلَّعَ عُشْبَهُ ،
ثم تَفَتَّحَ زَهْرُهُ ، وضَاعَ عَبَقُهُ . ورأيتُ أَسْتَعْمِلُ وحشيَّ الكلامِ في موضعيهِ
ولم يَشْعُرْ بحسن الوَضْعِ فاستعمل شيئاً منه وعَرَضَهُ عليَّ . فقلتُ : استره ،
فقال : تَبْخُلُ عليَّ به . وعَرَضَهُ عليَّ ابنُ الإفليلي . فقال له : تنكِبُ هذا
الكلام ، فقال له : إن أبا عامرٍ يَسْتَعْمِلُهُ ، فقال : يَضَعُهُ في موضعيهِ ،
وهو أَدْرَبُ مِنْكَ في استعمالهِ ٢ .

وفي فصل له : ورُبَّما لاذ بنا المستطعمُ باسمِ الشعرِ ممن يَخْطِئُ
العامَّةَ والخاصَّةَ بسؤاله ، فيصادفُ منّا حالةً غيرَ ذاتِ فضيلةٍ ، لا تَتَّسِعُ
له في كبير مبرةٍ ، فنُشَارِكُهُ ونعتدِرُ له : ورُبَّما أفدناهُ بأبياتٍ يعتدُّ بها
البَقَالين ومَشِيخَةُ الْقَصَائين ، فإذا قرَّعتُ ٣ أسماهم ، ومازجتُ
أفهامهم ، درَّ حَلَبُهُم ، وانحَلَّتْ عَقْدُهُم . وجَلَّ شَخْصُ ذَلِكَ
البائسِ في عيونهم ، فما شِئْتُ إذ ذاك من خُبْرةٍ وَثيرةٍ يُحْشَى بها كُفْمُهُ ،
ورَقَبَةٍ سَمِينَةٍ تُدْفَنُ في مِخْلَاطِهِ ، ومن كُوزٍ فُقَّاعٍ يُصَبُّ في فَمِهِ ،
ونِيسَةٍ رَطْبَةٍ يُسَدُّ بها حلقومه . وسَنَبُوسَقَةٍ وَدِكَةٍ تُدَسُّ تحت لسانه ،

١ س : بكل شيء حسن .

٢ زاد في ب س : فانصرف إلي وعرفني بما جرى وسألني أن اكشف له الدم فقلت ..

٣ ب س : قارعت .

وفالْوَذَجَةُ رَطَبَةً يُحَنِّكُ بِهَا حَنَكُهُ ، فلا يكادُ البائسُ يستتمُّ ذلكَ حتى يأتينا فَيُكَبِّ على أيدينا يُقَبِّلُهَا ، وأطرافنا يَلَطَّعُهَا ، راغِباً في أن نَكشِفَ له السِّرَّ الذي حرَّكَ العامةَ فبذَلَتْ ما عندها له ، وبادرتْ بدَرِّها إليه . وتعليمُهُ ذلكَ النحوَ من أنحاء السَّحَرِ لا نستطيعُهُ ، لأنَّ هذا الذي يُريدُهُ مِنَّا هو تعليمُهُ البيانَ ، وبين فكرِهِ وبينه حجابٌ ؛ ولكل ضَرْبٍ من الناسِ ضربٌ من الكلامِ ، ووجهٌ من البيانِ ؛ والمرءُ لا يُفَجِّرُ صَفَاةَ غيره إلاَّ أن يُوفِّيَ على معرفةٍ ذلكَ بفَهْمِهِ التَّبَيُّنِ والتَّبَيُّنِ ، ويكونَ من المستنيطين بوجوهِ ^١ الحِيلِ على قوانينَ قائمة ، وأصولٍ ثابتة ، فتكونَ النتيجةُ ما سمعت .

وفي فصل : وأصعبُ من هذا تحريكُ البخلاء من الكبراء إلى البذل . لأنهم بعادتهم لا تُمكن نُقْلَتُهُمْ لعزَّتِهِمْ ، ولما اشتملتْ عليه ثيابُ مجدهم . فلا ينجعُ تَقْرِيطُهُمْ ؛ فها هنا يُحتاجُ إلى أثْقَبِ ما يكونُ من الذهنِ ، وأوسع ما يُمكنُ من الحيلة ، إلاَّ أنَّ هذه العِصَابَةَ لا يَتِمَكَّنُ لذي التفاهةِ تحريكُها ، ولا بدَّ لها من طبقةٍ يكونُ لها في العينِ بعضُ التصويبِ والتصعيدِ ، ولهذا صار سبُّ الأشرافِ عسيراً عويصاً ؛ فإنَّكَ تجدُهُم يتدحرجُ عنهم قبيحُ المقالِ ، ولا يُضَعِّضُهُمْ خبيثُ الكلامِ ، لقوَّةِ بُنيانِهِمْ ، وثباتِ أركانِهِمْ ؛ فهدِّمْ بُنيانَ هؤلاء صعبٌ ^٢ ، ولذلك فَخَرَتِ العربُ بمن لا يمكنُ له ذلكَ فيهم من أهلِ الكلامِ ^٣ . ولذلك < نوهوا بمن يحسن > سبَّ

١ ب س : بجميع .

٢ ب س : أضعف (اقرأ : أصعب) .

٣ أي أن العرب يفتخرون بأولئك الذين لا يستطيع أهل الكلام هدم بنيانهم ؛ وفي العبارة بعض التواء ؛ وانظر حديث الماحظ (في الحيوان ٢ : ٩٣ والبيان ٤ : ٤١) عن هجو الشعراء للأشراف .

الأشراف ، واستحسنوا من ذلك قول ابن صفوان في شبيب : ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية ١ .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وكما أن لكل مقام مقالاً ، فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة ، وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه . وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك للكلام نقل وتغيير في العادة . ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة عبد الحميد وابن المصنف وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ٢ ؟ فالصنعة معهم أفسح باعاً ، وأشد ذراعاً ، وأنور شعاعاً ، لرُجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دوراً ، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة إبراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم . فرقت الطبائع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى أهله باللطائف صلف ، وبريقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى إلى طريقة البديع وشمس العالي وأصحابها .

وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذي عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب أهله ٣ ، فكان من صريح الغواني وبشار وأبي نواس وأصحابهم في البديع ما كان ، من استعمال أفانينه والزيادة في تفریع فنونه . ثم جاء أبو تمام فأسرف في التجنيس ، وخرج عن العادة ، وطاب ذلك منه ، وامثله الناس ، فكل شعير لا يكون اليوم

١ يعني خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه وكانت الحال بينهما قائمة على المناقصة والمحادة ؛ وكلمة خالد هذه في البيان ١ : ٤٧ قال الجاحظ : وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الأشراف .

٢ ط : وسهل بن هارون وأصحابهم .

٣ ب س : ويطلب على قلوب أهله .

تجنيساً أو ما يُشبهه تَمْجِه الآذان ، والتوسطُ في الأمرِ أعدلُ ؛ ولذلك فَضِّلَ أهلُ البصرةِ صريحَ الغواني على أبي تمام^١ ، لأنه لَبِيسٌ دِيباجةُ المُحدثين على لأمةِ العرب ، فترَكَبَ له من الحُسْنِ بينهما ما تَرَكَّبَ .

وفي فصل له : قال أبو عامر : وأهلُ صناعةِ الكلامِ مُتباينون في المتراة ، متفاضِلون في شَرَفِ المرتبةِ ، على مقدارِ إحسانهم وتصرفِهم .

فمنهمُ الذي ينظِّمُ الأوصافَ ، ويختَرُ المعاني ، ويُحرِّزُ^٢ جيدَ اللفظِ ، إلّا أنه يَصْعَبُ عليه الكلامُ ، ويَكْدُ قريحته التأليفَ ، حتى إنّه ربّما قَصَرَ في الوصفِ ، وأساءَ الوضعَ . فهذا في الأبياتِ القليلةِ^٣ نافرٌ ، وفي القريةِ المأخَذِ سائرٌ ، وفي طريقةِ الجمهورِ الأعظمِ ذاهبٌ ، حتى إذا ازدحمت عليه ، وانحشَدَتْ إليه ، وطالبتَه ببهاءِ البهجةِ ، وشرفِ المنزلةِ ، وقفَ وانفَلَّ ، وتلاشى واضمحلَّ .

ومنهم الكارعُ في بحرِ الغزارةِ ، القادحُ بشُعاعِ البراعةِ ، الذي يَمُرُّ مرّةً السَّيْلِ في اندفاعه ، والشُّبُوبُ في انصبابه ، لا يشكو الفشلَ ، ولا يَكِلِ على طولِ العملِ ، إذا ازدحمتْ في الكلامِ عليه المطالبُ ، وعَلِقَتْ بجواشي فكره المآربِ ، وحُشِرَتْ عليه الصعائبُ والغرائبُ ، استقلَّ بها كاهلهُ ، واضطلع بثقلها غاربهُ ، وأعارها من نَظَرِهِ لَمَنَحَ ، ومن فِكْرِهِ قَدَحَ ، ثم رمى بها عن جانبيه ، قد رَوِيَتْ بمائها ، ولبست شُعاعَ بهائها ، وبقي

.....

١ ط : عليه .

٢ ط : ويحرر .

٣ س ب : القلائل الأعداد .

كاللَّقْوَةِ فِي الْمَرْقَبِ ، سَامَ نَظْرُهُ ، قَدْ ضَمَّ جَنَاحَيْهِ ، وَوَقَفَ عَلَى مَخْلَبِهِ ،
لَا تَنَاحُ لَهُ جَارِحَةٌ إِلَّا اقْتَصَمَهَا ^١ ، وَلَا تُنَازِلُهُ طَائِرَةٌ إِلَّا اخْتَطَفَهَا ، جُرْأَتُهُ
كَشَفَرْتُهُ ، وَبَدِيهَتُهُ كَفَكَّرْتُهُ ، فَذَلِكَ الْأَلْسَنُ يَوْمَ حَرْبِ الْكَلَامِ ، لَا تُخْطِئُهُ
ضَرْبَتُهُ ، وَلَا تُصَابُ غَرَّتُهُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَجَافَى الْكَلَامَ ، وَيُرْوِغُ عَنِ الْمَقَالِ ، فَلِذَا مُتْنِي بِهِ ، أَخَذَ
بِأَطْرَافِ الْمَحَاسَنِ ، وَشَارَكَ فِي أَنْحَاءِ مِنَ الصَّنْعَةِ ، وَجُلَّ مَا عِنْدَهُ تَلْفِيْقُ
وَحِيلَةٍ ، وَبِذَلِكَ يُصَاحِبُ الْأَيَّامَ ، وَيُجَارِي أُنْبَاءَ الزَّمَانِ ، مَا كَانَ لَهُ عَقْلٌ
يَغْطِي عَلَى نَقْصَانِهِ ، وَسِيَاسَةٌ يَسُوسُ بِهَا فُحُولَ زَمَانِهِ . وَمَنْ خَرَجَ عَنْ
هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الثَّلَاثِ لَمْ يَسْتَحِقْ اسْمَ الْبَيَانِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَهْلِ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ .

وَفِي فَصْلِ لَهُ : قَالَ أَبُو عَامِرٍ : وَقَوْمٌ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ يَقْرُطُطِبْنَنَا ^٢ مِمَّنْ
أَتَى عَلَى أَجْزَاءٍ مِنَ النُّحُو ، وَحَفِظَ كَلِمَاتٍ مِنَ اللُّغَةِ ، يَحْنُونَ عَلَى ^٣ أَكْبَادِ
غَلِيظَةٍ ؛ وَقُلُوبِ كَقُلُوبِ الْبُعْرَانِ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى فِطْنِ ^٤ حَمِيَّةٍ ،
وَأَذْهَانِ صَدِثَةٍ ، لَا مَنَفْعَ لَهَا فِي شُعَاعِ الرِّقَّةِ ، وَلَا مَدَدَ لَهَا فِي أَنْوَارِ
الْبَيَانِ . سَقَطَتْ إِلَيْهِمْ كُتُبٌ فِي الْبَدِيعِ وَالنَّقْدِ فَهَمُّوا مِنْهَا مَا يَفْهَمُ الْقُرْدُ
الْيَمَانِي مِنَ الرَّقْصِ عَلَى الْإِيْقَاعِ ، وَالزَّمْرِ عَلَى الْأَلْحَانِ ، فَهَمُّ يُصَرِّقُونَ
غَرَائِبَهَا فِيمَا يَجْرِي عَنْهُمْ تَصْرِيفَ مَنْ لَمْ يُرْزَقْ آلَةَ الْفَهْمِ ، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ
لَهُ آلَةُ الصَّنَاعَةِ ، مِمَّا هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِهَا ، لَا تَقُومُ تِلْكَ الصَّنَاعَةُ إِلَّا بِتِلْكَ الْآلَةِ ؛

١ س ب : اهتضمها .

٢ ب س : عندنا .

٣ ب س : يشحتون من .

٤ ب س : أفكار .

فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور ، لتوثد رُسغه ،
واستدارة حافره ، ولا له بنانٌ يجس به على دَسْتَبان. ولو جاز أن يكونَ
حمارٌ يغني :

ما بالُ أنجمٍ هذا الليلَ حائرةٌ أضلّتِ القصدَ أم ليست على فلك ¹

وشبهه ، من أجل أن له حنكاً ولساناً وقصبة رثة ، لما جاز أن
يوقع بالمضرب على الأوتار ، ويتمم بحس الأنامل ، ويرخي الوتر في
مجرى السبابة والبصر ، فيبطل بنشيدِه ، ويؤكول في ضربه على
بسيطة .

فهذه حالُ العصابة من المعلمين : يدركون بالطبيعة ، ويقصرون
بالآلة ² . وتقصيرُهم بالآلة هو من طريق العِللِ الداخلة من فساد الآلة
القابلة للروحانية ، والخادمة لآلاتِ الفهم ، الباعثة لرقيق الدّم في الشرّيات
إلى القلب ، وزيادة غِلظِ أعصابِ الدماغِ ونقصانِها عن المقدار الطبيعي .
يُعينُ على ذلك بالحدسِ وطريقِ الفِراسةِ فسادُ الآلة الظاهرة ، كفرطحة
الرأس وتسفيطه ³ ، وتنوعِ القَمَحْدُوّةِ ، والتواءِ الشدقِ ، وخزَرِ
العين ، وغِلظِ الأنف ، وانزواءِ الأرنبة . فنستعيدُ بالله ألاّ يشوه خلقه قلوبنا ،
ولا نجسي أجرامَ أكبادنا ، ويضمُّ أوتارنا وأعصابنا ، ولا يعظم أنوفنا ،
ولا يجعلنا مثلةً للعالمين .

١ من أبيات في المختار من شعر بشار : ١٥ والشعر لمحمد بن قرقمان .

٢ ب س : بالألفه .

٣ ط : وتبسيطه .

وفي فصل له : وليس العجبُ في هذه العصابةِ إلاّ من أبي القاسم ^١ ،
فإنّه زاد عليهم في الصناعة ، وبزّهم يوفُورِ البِضاعة . دخلَ الشعراءُ
فأخذَ لباقتهم ، وصار في جملة الكتاب فاستعار صلفهم ورشاقتهم ، وباشرَ
أهلَ الحساب فاستفاد طريقة البراهين ^٢ ، وناظر أهلَ الجدَلِ ^٣ فتعلّم
القوانين ، وعرفَ عناصرَ الكلام ؛ فكل علم يزعمه قبضُ يده ، وكل
جِدٍّ وهزلٍ فإليه منسوبٌ ، وعنه مأخوذٌ ؛ وهو مع ما اجتمع له من ذلك
كلّه ، وحُبِّي به ، أشدهم صِباةً ^٤ بالآلِ يكونَ بالأندلسِ مُحسنٌ سواه ،
ولا محيدٌ حاشاه . وكانَ الرَّأيُ عندي له أن يسكنَ أرضَ جليقية أو قطراً
بعد عن الإسلام ، حتّى ^٥ لا يسمعَ فيه لخطيبٍ ذكراً ، ولا يُحسَّ لشاعرٍ
ركزاً ، فيكون هناك فرداً .

ومن العَجَبِ أيضاً في أمره أن كلَّ كاتبٍ كتبَ للسلطين عندنا ،
وكلَّ شاعرٍ مدحهم ، رُويتْ أشعارُهُ ورسائلُهُ غيرَ أبي القاسمِ وحده .
على أنه إنما جلس للتعليم على هذا المعنى . وربما عرّضَ بأن يؤخذَ منه شيءٌ
من أشعارِهِ ورسائلِهِ ولا يجيئه تلميذٌ ، والمحرومُ محرومٌ ؛ ولو أنه اشترى

١ يعني ابن الأفلح .

٢ ط : البرهان .

٣ ط : الجدال .

٤ ط : قنص .

٥ ب س : ضئالة .

٦ ط : حيث .

الزَّبِيبَ لصبيانَ المساجد ، وقُشُورَ أَصْلِ الجَوْزِ لَصَبْغٍ شَفَاه خراجيات^١
 الخانات ، وروى الطبقين ما عنده ، لَعَرَضَتْهُ رُسُومُهُ وَجَعَالَتُهُ ، ورويتا
 أشعارَهُ ورسائلَهُ ، وَغَنَّتَا بِهَا عَلَى قَوَارِعِ الطَّرِيقِ وَمَنَاقِعِ المِياهِ وَمَطَارِحِ
 الزبُولِ ، كَمَا تَغْنِيَانِ أَشْعَارَهُمَا ، وَتَسْعَانِ^٢ حِمَاقَتَهُمَا ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبِيلاً
 إِلَى أَنْ تَدَبَّ وَتَدْرُجَ ، وَتَعْتَادَ الطَّيْرَانُ فَتَطِيرَ ، وَيَرَاهَا النَّاسُ فَتُعْرِفَ .
 وَهُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ^٣ يَسْمِنُا الهمجَ الهامجَ ، وَيَسْمِيُ البديعَ والصَّابِيَّ وَشَمْسَ
 المعالي العَضَارِيطَ . وَهُوَ أَبْجَلُ أَهْلِ الأَرْضِ لَا مَحَالَةَ . وَلَمْ يُقَصِّرْ بِنَا
 عِنْدَهُ إِلَّا تَوْقِيرُنَا لثَغَامَتِهِ^٤ . وَهُوَ يَرَى أَنَّ بَعْضَ صَبِيَانِنَا قَدْ أَقْلَقُوهُ
 حِينَ قَالُوا : لَيْسَتْ مَشْيُتُهُ مَشْيَةَ أَدِيبٍ ، وَلَا وَجْهُهُ وَجْهَ أَرِيبٍ ، وَلَا
 جَلْسَتُهُ جَلْسَةَ عَسَالِمٍ ، وَلَا أَنْفُهُ أَنْفَ كَاتِبٍ ، وَلَا نَغْمَتُهُ نَغْمَةَ شَاعِرٍ .
 وَحَكُوا أَنَّهُ إِذَا مَشَى الْخِيزْلَى ، وَتَقَدَّمَ قَلِيلاً ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى ، وَالْقَصْبَةُ
 فِي يَدِهِ ، وَالْحَرْجُ عَلَى عَاتِقِهِ ، أَحْذَقُ النَّاسِ فِي إِخْرَاجِ لَعْبَةِ الْيَهُودِيِّ ،
 فَأَقْلَقُوهُ بِمَا يَسْمَعُ ، فَكَيْفَ لَوْ عَضَّتْهُ أَنْيَابٌ غَيْرُ مَقْلُولَةٍ ، وَخَلَشَتْهُ أَظَافِرُ
 غَيْرُ مَقْلَمَةٍ ؟

... ..

١ في النسخ : حراجيات ، والصواب « خراجيات » بالخاء المعجمة ، وقد جاء في رسالة ابن
 عبدون في الحسبة : ٥٠ « يجب أن ينهى نساء دور الخراج عن كشف رؤوسهن خارج
 الفندق » فسمان « نساء دور الخراج » ؟ وقال ابن هشام في كتاب لحن العامة : « ويقولون
 لمن يسكن في الفنادق من النساء : خرجيرات ، والصواب « خراجيات » منسوبة إلى
 الخراج » (انظر مجلة معهد المخطوطات ٣ - ١ : ١٥٦) .

٢ لعل صوابه : « وتسمعان » .

٣ ومن العجب ... هذا كله : سقط من ط ؛ وبدئت العبارة بقوله : « ومن الغرائب أنه
 يسمينا الملج ويسمي البديع » .. الخ .

٤ ط : لثامته .

• ط : أظافر .

وفي فصل له : ذُكر يوماً عند أبي القاسم سهل بن هارونَ والجاحظُ ،
ففسَّرَ بينهما مثلَ العامة : بينهما ما بينَ الملائكةِ وصبيانِ الحرَّسِ . هذا من
الإِنْحاء العظيم على سهل . والأوَّلُ أن يُسمَّيا محسنين ، إلّا أنَّ سهلاً كاتبٌ
سلاطين ، والجاحظُ مؤلِّفُ دواوين . وقد يؤدي النظرُ إلى أنَّهما في طريقتين
مختلفتين ، وكلاهما محسنٌ في بابهِ ؛ إلّا أنَّه لم يُرَ أغبن من الجاحظ لنفسه ؛
إن كان واحدَ البلاغةِ ^١ في عصره ، فما باله لم يلتبس ^٢ بها شرفَ
المنزلة بشرفِ الصَّنعة ، وقد رأى ابنُ الزيات وإبراهيم بن العباس بلغا بها
ما بلغا ، وهو يلتبسُ فوائدهما والجاهَ بهما ؟ فلا يخلو في هذا إمّا أن يكونَ
مُقصرّاً عن الكتابةِ وجَمْعِ أدواتها ، أو يكونَ ساقطَ الهمة . أو يكونَ
إفراطُ جحوظِ عينيه قعد به عنها ، كما قصَّرَ بي أنا فيها ثقلُ سَمعي ، وبأبي
القاسمِ ورم أنفه . إذ لا بدَّ للملك من كاتبٍ مقبولِ الصورة تقعُ عليها عينه ،
وأذن ذِكْبُهُ تسمع منه حسَّه ، وأنفٌ نقى لا تدمُ أنفاسُه عند
مُقاربتِه له . ولذلك استحسنوا من الكاتب أن يكونَ طيِّبَ الرائحة ، سايمَ
آلاتِ الحواسِّ ، نقى الثوبِ ، ولا يكونَ وسخَ الصُّرُسِ ، منقلبَ
الشفة ، مُكحَّلَ الاظفور ، وَضِر الطوق . وربما أنكرَ مُنكرٌ قولنا في
شرْطِ جمعِ أدواتِ الكتابةِ فقال : وأيُّ أداةٍ نقصتِ الجاحظُ ؟ فنقول :
أوَّلُ أدواتِ الكاتبِ العقل ، ولا يكونُ كاتبٌ غيرَ عاقلٍ . وقد نجدُ
عالماً غيرَ عاقلٍ ، وجدليّاً غيرَ حصيفٍ ، وفقهياً غيرَ حليمٍ . وقد وجدنا من
يَنسَبُ العقلَ إلى سهل ^٣ أكثرَ من نسبته ^٤ إلى الجاحظِ . لو شهد الجاحظُ

١ ط : كان واحداً في البلاغة .

٢ ط : يلبس .

٣ ط : لسهل .

٤ ب : بما ينسبه .

سهلاً يُخَادِعُ الرَّشِيدَ مُلْكاً ، وَيَدْبِرُ^١ لَهُ حَرْباً ، وَيَعَانِي لَهُ إِطْفَاءَ جَمْرَةٍ
فتنة ، مستضلعاً في ذلك كله بعقله ، وجودة^٢ علمه ، لرأى أن تلك
السياسة غيرُ تسطيرِ المقال ، في صفةِ غراميلِ البغال ، وغيرُ الكلامِ في
الجُرْذَانِ ، وبناتِ وَرْدَانَ ، وَلَعَلَّمُ أَنْ بَيْنَ الْعَالَمِ وَالْكَاتِبِ فَرْقاً .

وفي فصل له : ومن دليلِ تقصيرِ عصابةِ المعلمين أنهم لا يُقَدِّمُونَ أَنْ
يَجْعَلُوا^٣ مَا يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ تَصْنِيفاً ، وَلَا تَغْزُرُ مَادَّتُهُمْ أَنْ يَنْشِئُوهَا
تَأْلِيفاً ، وَإِنَّمَا تَفْسُو بِهِ أَنْفَاسَهُمْ فَسَوْاً بَيْنَ تَلَامِيذِهِمْ ، وَلَا يَتَقَدَّرُ أَنْ يَزِيدَ فِي
النَّفْحِ فَيَضْرِبَ بِهِ ضُرَاطاً يَسْمَعُ . فَهَمُ فِي ذَلِكَ أَمْثَالُ الْجُنَادِ ، وَقُرْنَاءُ
الْخَنَافِسِ ، لَا تَوَازَنُ الظَّرَبَانَ فِي قُوَّةِ فُسَائِهِ ، وَإِنْ زَادَتْ عَلَيْهِ فِي نَتْنِهِ .
وَلَا يَلْفُونَ دَرَجَةَ الْحِمَارِ الْوَحْشِيِّ فِي شِدَّةِ ضُرَاطِهِ ، وَإِنْ شَارَكُوهُ
فِي اسْمِهِ ، وَلَا تُرَوَى لَهُمْ نَادِرَةٌ ، وَلَا تَوَثَّرُ عَنْهُمْ فِي الْبِلَادِ شَارِدَةٌ .

قال : ومما عُلِّمَ مِنْ خَلْقِ هَذِهِ الْعَصَابَةِ إِذَا لَمَحْتَنَا أَبْصَارُهُمْ قَابِلُونَا
بِالْمُلْكِ ، وَهُمْ مَنْطُوقُونَ عَلَى حَسَدٍ وَحَقِّ . فَلِذَا جَمَعْتَنَا الْمَحَافِلَ ، وَضَمَمْتَنَا
الْمَجَالِسَ ، تَرَاهُمْ إِلَيْنَا مُبْصِبِينَ ، وَعَنْ الْأَخْذِ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي
زَائِعِينَ . وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ تَقْصِيرُ الْمُقْصِرِ ، وَفَضْلُ السَّابِقِ الْمُبْرَزِ ، إِذَا اصْطَكَّتِ
الرُّكْبَ ، وَازْدَحَمَتِ الْخَلْقَ ، وَاسْتَعْجَلَ الْمَقَالَ ، وَلَمْ تَوْجَدْ فَسْحَةً
لِفِكْرَةٍ ، وَلَا أَمَكَّنَتْ نَظْرَةً لِرُويَةٍ ؛ أَوْ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ عِنْدَ أَنْسَاسِهَا
وَرَاحَتِهَا ، فَإِنَّهُ يَقَعُ فِيهَا ، وَيَجْرِي لَدَيْهَا ، مَا لَا يَنْفَعُ^٤ لَهُ الْإِسْتِعْدَادُ ، وَلَا

١ ب س : ويدبر .

٢ ب س : وتجربة .

٣ ب : يحيلوا .

٤ ب س : يقع .

يَنْفُذُ فِيهِ غَيْرُ الطَّبَعِ وَالْغَرِيزَةِ الْمَتَدَفِّقَةِ . فَتَرَى الْجَوَادَ السَّابِقَ إِذْ ذَاكَ مَتَشَوِّفًا بِأَذْنِهِ ، بَاحِثًا^١ لِكَدِيدِ الْإِحْسَانِ بَيْتَهُ ، طَامِحَ النَّظَرِ ، صَهْصَلَقَ الصَّهِيلِ ، وَأَهْلُ الصَّنْعَةِ خُرُسُ ، لَا يُسْمَعُ لَهُمْ جَرَسٌ ، وَلَا شَيْءٌ عِنْدَهُمْ غَيْرُ حَسَوِ الْكَاسِ ، وَشَمِ الْآسِ ، وَتَنَفَّسِ الصُّعْدَاءِ ، قَدْ اصْفَرَّتْ أَلْوَانُهُمْ ، وَقَلَصَتْ شَفَاهُهُمْ ، كَانَهُمْ مِنْ رِجَالِ عَذْرَةٍ . وَمَا أَذْكَرَ أَنِي فُزْتُ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ بِخَطِيرٍ غَيْرِ مَرَّةٍ ، بَيْنَ يَدَيَّ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَالْمَجْلِسُ قَدْ غَصَّ بِالْعَمَائِمِ وَالطَّمَاظِمِ^٢ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِ لِحَوَابِ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ عَنْ فِصُولِ خَبِيثَةٍ حَادَّةٍ لَا جَوَابَ فِيهَا وَلَا عُذْرَ عَنْهَا . فَجَرَى مَا أَكْرَهُ ذَكَرَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِتَعْجِيزِ أَهْلِ الْبَيْضَةِ ، وَالْغَضِّ مِنَ الْأَصْحَابِ ، عَلَى أَنَّهُمْ جُدْرَاءُ بِذَلِكَ ، لِقَلَّةِ إِتْصَافِهِمْ لَنَا ، وَتَسَلُّطِهِمْ عَلَيْنَا ، وَإِسْرَافِهِمْ فِي ثَلْبِنَا .

فصول من رسالة سماها بالتوابع والزوابع ، وإن صدرت عنه
مصدر هزل ، فتشتمل على بدائع روائع

قال في صدرها^٣ مخاطباً لأبي بكر ابن حزم^٤ : لله أبا بكر ظنّ

١ ب س : باعثاً .

٢ ط : قد غص بالطماظم ؛ ب س : بالجماجم .

٣ ط : مصدرها .

٤ هو أبو بكر يحيى بن حزم شيخ من شيوخ الأدب ، قال الحميلي (الخفوة : ٣٥١ والبغية رقم : ١٤٦٦) وهو الذي خاطبه أبو عامر ابن شهيد برسالة التوابع والزوابع التي سماها « تجرة الفكاهة » وهو من بيت آخر غير بيت الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن سميد بن حزم . قلت : إن جهل هذه الحقيقة وهي عدم وجود أية صلة من قرابة بين أبي بكر ابن حزم والفقيه المشهور ، أوقع عدداً من الدارسين في استنتاجات خاطئة حول رسالة التوابع والزوابع (انظر مثلاً : ابن شهيد لشارل بلا ص : ٩٥٥٤) .

رميته فأصميت ، وحدّس^١ أملتّه فما أشوّيت ! أبديتَ بهما وجه الجليّة ،
وكشفتَ عن غُرةِ الحقيقة . حين لمحت^٢ صاحبك الذي تكسبته ، ورأيتَه قد
أخذ بأطراف السماء ، فألفَ بين قَمَرِها ، ونظَمَ فَرَقْدَها ، فكلّما
رأى ثَغْرًا سَدَّه بِسُهاها . أو لمح خَرَقًا رَمَته بزُباناها ، إلى غير ذلك . فقلتُ:
كيف أوتيَ الحُكْمَ صَبِيًّا . وهزَّ يَجْدُعَ نَحْلَةَ الكلام فاسأقط^٣ عليه رُطْبًا
جَنِيًّا ؟ أما إن به شيطانًا^٤ يهديه ، وشيصبانًا يأتيه ، وأقسمُ أنْ له تابعةً
تُجِدُّه . وزابعةً تؤيدُّه . ليس هذا في قُدْرَةِ الإنسِ ، ولا هذا النَّفْسُ
لهذه النَّفْسِ . فأما وقد قُلْتُمُها أبا بكرٍ فأصيحُ أسمعك العَجَبَ العُجَابَ :

كنتُ أيامَ كُتَابِ الهجاء ، أحنُّ إلى الأدباء ، وأصبو إلى تأليف
الكلام ، فاتبعْتُ الدَّوَّابِينَ . وجلستُ إلى الأساتيدِ ، فَنَبَّضَ لي عِرْقُ
الفهم ، ودَرَ لي شريانُ العلم . بموادِ رُوحانية ؛ وقليلُ الالتماحِ من النظر
يزيدني^٥ . ويسيرُ المطالعة من الكتبِ يفيلني ، إذ صادفَ شن العلمِ طَبَقَه .
ولم أكنُ كالثلجِ تَقْتَبِسُ منه ناراً ، ولا كالخمارِ يحملُ أسفاراً . [فطعنتُ
ثَغْرَةَ^٦ البيانِ دراكاً . وأعلقتُ رِجْلَ طيرِهِ أشراكاً . فانثالت لي
العجائبُ ، وانهاالت عليَّ الرُّغائبُ] . وكان لي أوائلُ صَبَوِي هَوًى اشتدَّ به كَلْفِي .
ثم لحقني بعدُ مَكَلٌ في أثناءِ ذلك الميل . فاتفقَ أن مات من كنتُ أهواه مدَّةً

١ ط : لما رأيت .

٢ ب س : فتساقطت .

٣ ب س : أولى أن له سلطاناً .

٤ ب س : يوقدني .

٥ ط : تغر .

٦ ب س : إثر .

ذلك المثل ، فجزعتُ وأخذتُ في رثائه يوماً في الحائر^١ ، وقد أبهمت عليّ أبوابه ، وانفردتُ فقلتُ :

تولى الحمامُ بظبي الخُدُورِ وفاز الرَّدَى بالغزالِ الغريرِ
إلى أن انتهيتُ إلى الاعتذارِ من المثلِ الذي كان ، فقلتُ :

وكنْتُ مللتُكَ لا عن قلىّ ولا عن فسادٍ جرى في ضميري
فأرتجَ عليّ القولُ وأفحمتُ ، فإذا أنا بفارسٍ بيابٍ^٢ المجلسِ على
قرَسٍ أدهمٍ كما بقل وجهه ، قد اتكأ على رجمه ، وصاح بي : أعجزاً يا
فتى الإنس ؟ قلتُ : لا وأبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأنُ الإنسان ؛ قال
لي : قلْ بعده :

كَمثلٍ ملالٍ الفتى للنسيمِ إذا دام فيه وحالٍ السرورِ

فأثبتُ إجازته ، وقلتُ له : بأبي أنت ، من أنت ؟ قال أنا زُهَيْرُ بن
نُمَيْرٍ من أشجعِ الجنِّ^٣ . فقلتُ : وما الذي حداكَ إلى التصوُّرِ لي ؟ فقال :
هوَى فبك ، ورغبةٌ^٤ في اصطفاثك . قلتُ أهلاً بك أيُّها الوجهُ الوضاح ،
صادفتُ قلباً إليك مقلوباً ، وهوَى نحوكَ مجنوباً . وتحادثنا حيناً ثمَّ قال :
متى شئتُ استحضاري فأنشدُ هذه الأبيات :

١ الحائر أو الخير : المكان المظنن يجتمع فيه الماء ، ثم سموا البستان به .

٢ ب س : على باب .

٣ يعني أنه من قبيلة أشجع التي ننتمي إلى الجن مثلاً أن صاحبه ابن شهيد من أشجع (الإنس)

٤ ط : تصورت لك رغبة .

وَأَلَى زُهَيْرُ الْحَبِّ يَا عَزَّانَهُ إِذَا ذَكَرْتَهُ الذَّاكِرَاتُ أُنَاسًا
 إِذَا جَرَتِ الْأَفْوَاهُ يَوْمًا بِذِكْرِهَا يُخَيَّلُ لِي أَنِّي أُقْبَلُ فَأَهَا
 فَأَغْشَى دِيَارَ الذَّاكِرِينَ وَإِنْ نَأَتْ أَجَارِعُ مِنْ دَارِي هَوًى لَهَا
 وَأَوْتَبَ الْأَدْهَمَ جِدَارَ الْحَائِطِ ثُمَّ غَابَ عَنِّي .

وكنْتُ أبا بكرٍ مَتَى أَرْتَجَ عَلَيَّ ، أَوْ انْقَطَعَ بِي مَسَلَّتْكَ ، أَوْ خَانَنِي
 أَسْلُوبٌ ، أَنْشَدُ الْأَبْيَاتَ فَيَسْمَعُ لِي صَاحِبِي ، فَأَسِيرُ إِلَى مَا أُرْغَبُ ،
 وَأَذْرِكُ بِقَرِيبِي مَا أَطْلُبُ ؛ وَتَأَكَّدْتُ صُحْبَتُنَا ، وَجَرَتْ قِصَصٌ لَوْلَا
 أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ لَذَكَرْتُ أَكْثَرَهَا ، لَكِنِّي ذَاكِرٌ بَعْضُهَا .

فصل : تَذَاكَرْتُ يَوْمًا مَعَ زُهَيْرِ بْنِ نَعْمٍ أَخْبَارَ^١ الْخُطَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ،
 وَمَا كَانَ يَأْلِفُهُمْ مِنَ التَّوَابِعِ وَالزَّوَابِعِ ، وَقُلْتُ : هَلْ حِيلَةٌ فِي لِقَاءِ مَنْ
 اتَّفَقَ مِنْهُمْ^٢ ؟ قَالَ : حَتَّى أَسْتَأْذِنَ شَيْخَنَا ، وَطَارَ عَنِّي ثُمَّ انْصَرَفَ
 كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ، وَقَدْ أْذِنَ لَهُ ، فَقَالَ : حُلْ عَلَى مَنِ الْجَوَادِ^٣ . فَصَرْنَا^٤
 عَلَيْهِ ، وَسَارَ بِنَا كَالطَّائِرِ يَجْتَابُ الْجَوْ فَالْجَوْ ، وَيَقْطَعُ الدَّوَّ فَالدَّوَّ ، حَتَّى
 التَّمَحَّتْ أَرْضًا لَا كَأَرْضِنَا ، وَشَارَفَتْ جَوًّْا لَا كَجَوِّنَا ، مَتَفَرَّعَ الشَّجَرِ ، عَطَّرَ
 الزَّهَرِ . فَقَالَ لِي : حَلَلْتَ أَرْضَ الْجَنِّ أبا عامرَ ، فَبِمَنْ تُرِيدُ أَنْ نَبْدَأَ ؟
 قُلْتُ : الْخُطَبَاءَ أَوَّلَى بِالتَّقْدِيمِ ، لَكِنِّي إِلَى الشُّعْرَاءِ أَشَوْقُ . قَالَ : فَبِمَنْ تُرِيدُ
 مِنْهُمْ ؟ قُلْتُ : صَاحِبَ امْرِئِ الْقَيْسِ . فَأَمَالَ الْعَنَّانَ إِلَى وَادٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ .

١ ط : وتذاكرت معه أخبار .

٢ ب س : من اتفق من هذه الطوائف .

٣ ب س : الأدهم .

٤ ط ب : فصرنا .

ذِي دَوْحٍ تَتَكَسَّرُ أَشْجَارُهُ ، وَتَتَرْتَمُ أَطْيَارُهُ ، فَصَاحَ : يَا عَتِيَّةُ بِنَ
نَوْقَلٍ ، بِسَقَطِ اللَّوَى فَحَوْمَلٍ ، وَيَوْمَ دَارَةِ جُلْجُلٍ ، إِلَّا مَا عَرَضْتَ عَلَيَا
وَجْهَكَ ، وَأَنْشَدْتَنَا مِنْ شَعْرِكَ ، وَسَمِعْتَ مِنْ الْإِنْسِيِّ ، وَعَرَفْتَنَا كَيْفَ
إِجَازَتِكَ لَهُ . فَظَهَرَ لَنَا فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ شَقْرَاءَ كَأَنَّهَا تَلْتَهَبُ ، فَقَالَ : حَيَّاكَ
اللَّهُ يَا زَهِيرَ ، وَحَيَّا صَاحِبَكَ ! أَهَذَا فِتَاهُهُمْ ؟ قُلْتُ ٢ : هُوَ هَذَا ، وَأَيُّ
جَمْرَةٍ يَا عَتِيَّةُ ! فَقَالَ لِي : أَنْشُدْ ، فَقُلْتُ : السَّيِّدُ أَوَّلَى بِالْإِنْشَادِ . فَتَطَامَحَ
طَرْفُهُ ، وَاهْتَزَّ عَطْفُهُ ، وَقَبَضَ عَنَانَ الشَّقْرَاءِ ، وَضَرَبَهَا بِالسُّوْطِ ، فَسَمِعْتُ
تُحْضِرُ طَوْلًا عَنَّا ، وَكَرَّرَ فَاسْتَقْبَلْنَا بِالصَّعْدَةِ هَازَأَ لَهَا ، ثُمَّ رَكَزَهَا وَجَعَلَ
يُنْشِدُ :

« سَمَا لَكَ شَوْقٌ ٣ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا ٤ »

حَتَّى أَكْمَلَهَا ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشُدْ . فَهَمِمْتُ بِالْحَيْصَةِ ، ثُمَّ اشْتَدَّتْ قَوَى
نَفْسِي وَأَنْشَدْتُ :

« شَجَّتُهُ مُغَانٍ مِنْ سَلِيمَى وَأَدْوُرُ ٥ »

حَتَّى انْتَهَيْتُ فِيهَا إِلَى قَوْلِي :

وَمِنْ قُبَّةٍ لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ رَأْسَهَا تَنْزَلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَتَحْدَرُ

١ ط : إِلَّا مَا عَرَضْتَ لَنَا وَسَمِعْتَ .

٢ الصَّوَابُ : « قَالَ » - أَيُّ زَهِيرَ .

٣ دِيْوَانُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : ٥٦ وَعَجْرُ الْبَيْتِ : وَحَلَّتْ سَلِيمَى بَطْنَ قَوْفِ نَعْرَا .

٤ دِيْوَانُ ابْنِ شَهِيدٍ : ١٠٧ .

تكلفتُها^١ والليلُ قد جاشَ بحرهُ
ومن تحتِ حضني أبيضُ ذو سفاسقٍ^٢
هُما صاحباي من لدُنْ كنتُ يافعاً
مُقيلان من جدِ الفتى حينَ يعثُرُ
فذا جدولٌ في الغمدِ تُسقى به المني
وذا غصنٌ في الكَفِّ يُجنى فيثمر

فلما انتهيتُ تأملني عتية ثم قال : اذهب فقد أجزتك . وغاب عنا .

فقال لي زهير : من تريدُ بعد ؟ قلتُ : صاحب طرفة . فجزعنا
وادي عتية ، وركضنا حتى انتهينا إلى غيضة شجرها شجران : سام^٣
يفوحُ بهاراً ، وشجرُ يعبقُ هندياً وغاراً . فرأينا عيناً معينةً تسيل :
ويدورُ ماؤها فلُكياً ولا يحول . فصاح به زهير : يا عنتر بن العجلان ،
حلَّ بكَ زهير وصاحبهُ . فبحولةً وما قَطَعْتَ معها مِن لَيْلَةٍ ، إلّا
ما عَرَضْتَ وجهكَ لنا ! فبدا إلينا راكبٌ جميلُ الوجه ، قد توشَّحَ السيفَ ،
واشتملَ عليه كساءَ خَزٍّ ، وبيده خطي ، فقال : مرحباً بكما ! واستنشدني
فقلتُ : الزعيمُ أُولى بالإنشاد ، فأنشد :

لسعدي بحزانِ الشُريفِ طلُولُ^٥ .

حتى أكملها ، فأنشدته من قصيدة :

١ ب س : نكفتها .

٢ السفاسق : طرائق السيف ونطبه .

٣ ط : شجرها شجر سام .

٤ ط : ونجر .

٥ ديوان طرفة : ٧٦ وفيه « لهند » ؛ والحزان : جمع حزين ، وهو الفليظ من الأرض ؛

والشريف : وادٍ بمنجد ؛ وعجز البيت « تلوح وأدلى عهدن محيل » .

* أمن رسم دارٍ بالعقيقِ محبيلٍ *^١

حتى انتهيتُ إلى قولي :

ولمّا هَبَطْنَا الغَيْبَ نَدَّ عَرُّ وَحْشِهِ
وَنَارَتْ بَنَاتُ الْأَعْوجِيَّاتِ بِالضَّحَى
مُسَوِّمَةً نَعْتِدْهَا مِنْ خِيَارِهَا
[إِذَا مَا تَغَى الصَّحْبُ فَوْقَ مُتُونِهَا
نَدُوسُ بِهَا أَبْكَارَ نَوْرِ كَأَنَّهُ
رَمِينَا بِهَا عَرْضَ الصُّوَارِ فَأَقْعَصَتْ
وَبَادِرُ أَصْحَابِي التَّزْوَلَ فَأَقْبَلْتُ
نُتَمَسِّحُ بِالْحُودَانِ^٢ مِنْهُ أَكْفَنَا
فَقَلْنَا^٣ لِسَاقِيهَا أَدْرِمَا سُلَافَةً
فَقَامَ بِكَأْسِيهِ مُطِيعاً لَأَمْرِنَا
وَشَعَشَعَ رَاحِيَهُ فَمَا زَالَ مَائِلاً
إِلَى أَنْ ثَاهَمَ رَاكِدِينَ^٤ لَمَّا احْتَسَوْا
نَشَاوَى عَلَى الزَّهْرَاءِ صَرْعَى^٥ كَأَنَّهُمْ

عَلَى كُلِّ خَوَارِ الْعَنَانِ أَسِيلِ
أَبَابِيلَ مِنْ أَعْطَافٍ غَيْرِ وَبِيلِ
لَطَرْدِ قَنْبِصٍ أَوْ لَطَرْدِ رَعِيلِ
ضُحِيّاً أَجَابَتْ تَحْتَهُمْ بِصَهِيلِ
رَدَاءُ عُرُوسٍ أَوْ ذِنْتَ بَحْلِيلِ
أَغْنَى قَتْلَاهُ بِغَيْرِ قَتِيلِ
كَرَادِيسُ مِنْ غَضِّ الشَّوَاءِ نَشِيلِ
إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا مِنْهُ غَيْرَ قَلِيلِ
شُمُولاً وَمِنْ عَيْنِكَ صَرْفَ شَمُولِ
يَمِيلُ بِهِ الْإِدْلَالُ كُلَّ مِمِيلِ
بِرَأْسِ كَرِيمٍ مِنْهُمْ وَتَكِيلِ
خَلِيعِينَ مِنْ بَطْشٍ وَفَضْلِ عَقُولِ
أَسَاطِينُ قَصْرِ أَوْ جَدُوعُ نَحِيلِ

فصاح عثر : لله أنت ، اذهب فإنك مُجاز^٦ . وغاب عنا .

^١ ديوان ابن شهيد : ١٤٠ .

^٢ ب س : الجودان ؛ وسقط البيت من ط . والجودان : نبت ينبت مسطحاً في جلد الأرض لا زقاً بها .

^٣ ط : فقلت .

^٤ التليل : المنق .

^٥ ب س : اذهب فقد أجرتك .

ثم ملنا عنه فقال لي زهير : إلى من تتوقُ نفسك بعد^١ من الجاهليين ؟
قلت : كفاني من رأيتُ ؛ اصْرِفْ وجه قصدينا إلى صاحب أبي تمام ؛ فركضنا
ذاتَ اليمينِ حيناً ، ويشند في أثرنا فارس^٢ كأنه الأسد ، على فرسٍ كأنها
العقاب ، وهو في عدّوه ذلك ينشد :

طعنتُ ابن عبدِ القيسِ طعنةً نائِرٍ لها نَقْدٌ لولا الشعاعُ أضاءها^٣

فاستربتُ منه ، فقال لي زهير : لا عليك ، هذا أبو الخطارِ صاحبُ
قيس بن الخطيم . فاستبى لبي من إنشاده البيتَ ، وازدَدْتُ خوفاً لجرأته ،
وأنا لم نُعَرِّجْ عليه ؛ فصرفتُ إليه زهير وجهَ الأدهم ، وقال : حيّاكَ
اللهُ أبا الخطار ، فقال : أهكذا يُحَادُّ عن أبي الخطار ولا يُخَطِّرُ عليه ؟
قال : علمناكَ صاحبَ قنص ، وخفنا أن نشغلك . فقال لي : أنشدنا يا
أشعبي^٤ ، وأقسمُ أنك إن لم تُجدْ ليكونَ يومَ شرٍّ ؛ فأنشدته قولي من
قصيدة :

* منازلهم تبكي إليك عَفَاءها^٥ *

ومنها :

خليلي عوجا بارك الله فيكما بدارتها الأولى نُحَيِّ فناءها
فلم أرَ أسراباً كأسرابها الدُمى ولا ذئبَ مثلي قدرعى ثم شاءها

١ ط : بعده .

٢ ديوان قيس بن الخطيم : ٧ .

٣ ط : أنشدني يا شعبي .

٤ ديوان ابن شهيد : ٨٢٠ .

ولا كضلالٍ كان أهدى لصَبَوَتِي لياليَ يَهْدِينِي الغرامُ خِباءَها
وما هاج هذا الشوقَ إلاَّ حمائمٌ بكيتُ لها لما سمعتُ بُكاءَها
عجبتُ لنفسي كيف مُلِكَهَا الهوى وكيف استَفَزَّ الغاياتُ إِبَاءَها ؟
ولو أنْتِي أنْحَتَ عليَّ أكارمٌ تَرَضَّيْتُ بِالْعَرَضِ الكَرِيمِ جزاءَها
ولكنَّ جردانَ الثَّغُورِ رَمَيْنِي فأكرمتُ نفسي أن تُرِيقَ دماءَها
إليكَ أبا مروانَ أَلْقَيْتُ رابِياً بِحَاجَةِ نَفْسٍ ما حَرَبْتُ خِزَاءَها
هَزَزْتُكَ فِي نَصْرِي ضُحَى فَكَأَنِّي هَزَزْتُ - وَقَدِجْتُ الْجِبَالَ - حِزَاءَها
نَقَضْتُ عُرَى عَزَمِ الزَّمانِ وإنْ عَتَا بعزْمَةِ نَفْسٍ لا أريدُ بقاءَها

فلَمَّا انْتَهَيْتُ نَبَسَمُ وقال : لنعم ما تَخَلَّصْتَ ! اذهبْ فقد أجزَرتُكَ .

ثمَّ انصرفنا وركضنا حتى انتهينا إلى شَجَرَةٍ غِثَاءٍ ، يتفجَّرُ من أصلِها
عَيْنٌ كَقَلَّةِ حَوَراءَ . فصاح زهير : يا عتابُ بنَ حَبَاءٍ ، حلَّ بك زهير
وصاحبُهِ ، فبِعَمْرٍو والقَمَرِ الطَّالِعِ ، وبالرُّقَّةِ المَفْكُوكَةِ الطَّابِعِ ، إلَّا
ما أَرَيْتُنَا وجهَكَ ! فانفلقَ ماءُ العَيْنِ عن وجهِ فتيٍّ كَفَلَقَةِ القَمَرِ ، ثمَّ
اشتَقَّ الهَواءُ صاعداً إلينا من قعرِها حتى استوى معنا ^١ . فقال حيَّاكَ الله
يا زهير ، وحيَّا صاحبَكَ ! فقلت : وما الذي أسكنَكَ قعرَ هذه العَيْنِ يا عتابُ ؟
قال : حيَّائي من التَّحَسُّنِ بِاسْمِ الشَّعْرِ وأنا لا أحسنه . فصَحَّتْ : وبلي منه ،
كلامُ مُعَدِّثٍ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ؛ واستنشدني فلم أنشده إجلالاً له ، ثمَّ أنشدته :

[* أَبَكَيْتَ إِذْ ظَعَنَ الْفَرِيقُ فِرَاقَهَا ^٢ *]

١ ط : إلينا .

٢ ديوان ابن شهيد : ٢١٧ .

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي] :

إِنِّي امرؤٌ لَعَبَ الزَّمانُ بهِمَّتِي وَسَقَيْتُ مِنْ كَأْسِ الخطوبِ دهاقَهَا
وَكَبَّوْتُ طَرْفًا فِي العِلا فاستضحكت حُمُرُ الأَنامِ فما تَرِيمُ نَهاقَهَا
وَإِذَا ارْتَمَتْ نَحْوِي المُنَى لَأَنالَهَا وَقَفَ الزَّمانُ لَهَا هَناكَ فعاقَهَا
وَإِذَا أَبُو يَحْيَى تَأَخَّرَ نَفْسُهُ فَمَتَى أَؤْمَلُ فِي الزَّمانِ لَهاقَهَا؟

فلما انتهيتُ قال : أَنشدني من رثائك . فَأَنشدته ٢ :

[أَعِينَا امرءاً نَزَحْتَ عَيْنُهُ وَلَا تَعَجِبَا مِنْ جَفَوْنَ جَمادِ
إِذَا القَلْبُ أَحْرَقَهُ بِثَه فَإِنَّ المِدامَعَ شَلَوْ ٣ القُؤادِ]
يَوَدُّ الفَتَى مَنَهَلًا خالِيًا وَسَعَدُ المَنِيَّةِ فِي كُلِّ وادٍ ٤
[وَبِصَرَفٍ لِلكونِ ما فِي يَدَيْهِ وَمَا الكونُ إِلَّا نَذِيرُ الفِسادِ ٥
لَقَدْ عَثَرَ الدَّهْرُ ٦ بالسَّابِقِ نَـلَمْ ٧ يَعْجِزِ المَوْتَ رَكَضَ الجِوادِ
لِعَمْرُكَ ما رَدَّ رَيْبَ الرَّدَى ٨ أَرِيبٌ وَلَا جَاهِدُ ٩ بِاجْتِهَادِ]

١ اليتيمة : خمر .

٢ ديوان ابن شهيد : ٩٧ (اعتماداً على الذخيرة وحدها) .

٣ في الأصل : تلو ، والنصحیح عن الديوان .

٤ نأظر إلى المثل : « في كل وادٍ بنو سعد » أو « أينما أوجه ألق سعداً » ، انظر الميداني ٦ .

٥ ٣٤ والعسكري ١ : ٦١ (تحقيق الاستاذ أبو الفضل ابراهيم) .

٥ يلاحظ إيراده « الكون » و « الفساد » في هذا السياق ، كأنه يوصي . إلى تقدمة فلسفية .

٦ ب س : الموت .

٧ ط : وزن .

٨ ب س : المنون .

٩ ب س : حازم .

[سَهِامُ الْمَنَايَا تُصِيبُ الْفَتَى
أَصْبَنَ عَلَى بَطْشِهِمْ جُرْهُمَا
وَأَقْعَصْنَ كَلْبًا عَلَى عِزِّهِ
لَوْ ضَرَبُوا دُونَهُ بِالسَّدَادِ]
وَأَصْمِنَ فِي دَارِهِمْ^١ قَوْمَ عَادٍ
فَمَا اعْتَرَّ بِالصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ

إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ فِيهَا إِلَى قَوْلِي :

وَلَكِنِّي خَانَنِي مَعَشَرِي
وَهَلْ ضَرَبَ^٢ السِّيفُ مِنْ غَيْرِ كَفٍ ؟
وَرُدَّتْ يَفَاعًا وَبَيْلَ الْمَرَادِ
وَهَلْ ثَبَتَ الرَّأْسُ فِي غَيْرِ هَادٍ^٣ ؟

فَقَالَ : زِدْنِي مِنْ رِثَائِكَ وَتَحْرِضُكَ ، فَأَنْشَدْتُهُ^٤ :

أَفِي كُلِّ عَامٍ^٥ مَصْرَعٌ لِعَظِيمٍ ؟
هَوَى قَمْرًا قَيْسَ بْنَ عِيلَانَ أَنْفًا
وَكَيْفَ لِقَائِي الْحَادِثَاتِ إِذَا سَطَّتْ
وَكَيْفَ اهْتِدَائِي فِي الْخَطُوبِ إِذَا دَجَّتْ
أَصَابَ الْمَنَايَا^٦ حَادِثِي وَقَدِيمِي
مَضَى السَّلَفُ الْوَضَّاحُ إِلَّا بِبَقِيَّةٍ
وَقَدْ فُلَّ سَيْفِي مِنْهُمْ وَعَزِيمِي ؟
كَغُرَّةٍ مُسَوَّدَةٍ الْقَمِيصِ بِيَمٍ

١ ب س ، أَصَابَ ٤ وَأَصْمَى يَدَارِهِمْ .

٢ ب س : يَضْرِبُ .

٣ الهادي : العتق .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٤٧ وهي في رثاء الوزير حسان بن مالك بن أبي عيدة ، وكان من الأئمة في اللغة والآداب ، روى عن أبي العباس ابن ذكوان مذاكرة ، وعمل كتاباً سماه « ربعة وعقل » في الأسماء ، وتوفي قبل العشرين وأربعمائة (الجدة . ١٨٣ والبقية رقم : ٦٦٢) .

٥ المغرب : حين .

٦ المسالك : الرزايا .

ومنها :

رَمِيتُ بِهَا الْآفَاقَ عَنِّي غَرِيبَةً نَتِيجَةُ خَفَاقِ الضُّلُوعِ كَظِيمِ
لَأَبْنَدِي إِلَى أَهْلِ الْحَجَى مِنْ بَوَاطِنِي وَأَدْلِي بِعَذْرِ^١ فِي ظَوَاهِرِ^٢ لَوْمِ
أَنَا السِّيفُ لَمْ تَتَعَبْ بِهِ كَفَ ضَارِبِ صَرُومٍ إِذَا صَادَتْ كَفَّ صَرُومِ
سَعِيتُ بِأَحْرَارِ الرِّجَالِ فَخَانِي رِجَالٌ وَلَمْ أَنْجِدْ بِجِدِّ عَظِيمِ
وَضَيِّعَنِي الْأَمْلَاقُ بَدَأَ وَعُودَةً^٣ فَضَيَّعْتُ بَدَارِ مِنْهُمْ وَحَرِيمِ

فقال : إِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ قَائِلًا ، فَإِذَا دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ فَلَا تَكُذِّ
قَرِيبَتَكَ ، فَإِذَا أَكَلْتَ فَجَمَامِ ثَلَاثَةَ أَقْلٍ^٤ ، وَنَقَحْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ
قَوْلَهُ :

وَجَشْمَنِي خَوْفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا فَشَقَقْتُهَا حَوْلًا كَرِيئًا وَمَرَبَعًا^٥
وَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَيْهَا زِيَادَةٌ فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَسْمَعَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسَنٌ عَلَى إِسَاءَةِ زَمَانِكَ . فَقَبِلْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَغَاصَ
فِي الْعَيْنِ .

ثُمَّ قَالَ لِي زَهِيرٌ : مَنْ تُرِيدُ بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : صَاحِبَ أَبِي نُؤَاسٍ ، قَالَ :
هُوَ بَدِئُ حَنَّةَ مِنْذُ أَشْهُرٍ ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْحُمُرُ ، وَدِيرُ حَنَّةَ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ .

١ ط : بَعْدِي .

٢ ب س : بَوَاطِنِ .

٣ س : عُودًا وَبَدَأَ .

٤ الْبَيْتَانِ لِسُوَيْدِ بْنِ كِرَاعٍ ، الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ : ٢٣ ، ٥٣٠ ، وَانْظُرِ الْأَغَانِي ١٢ : ٣٤٥
فِي تَرْجُمَةِ سُوَيْدٍ ، وَالْبَيَانُ ٢ : ١٢ .

وعرّضه عليّ ، فإذا بيننا وبينه فراسخ . فركضنا ساعة ، وجزنا في ركضنا بقصرٍ عظيمٍ قدّأه ناورد^١ يتطارّد فيه فرسان ، فقلتُ : لمن هذا القصر يا زهير ؟ قال : لطوق بن مالك ، وأبو الطيّع صاحبُ البحري في ذلك الناورّد فهل لك في أن تراه ؟ قلتُ : ألف هل ، إنه لمن^٢ أساتيذي ، وقد كنتُ أنسيته^٣ . فصاح : يا أبا الطيّع ، فخرج إلينا فتى على فرسٍ أشعل ، ويده قناة ، [فقال له زهير : إنك مؤتمنا ، فقال : لا ، صاحبك أشمخ مارناً من ذلك لولا أنه ينقصه ؛ قلت : أبا الطيّع على رسلك ، إن الرجال لا تُكّال بالقفران . أنشدنا من شعرك] . فأنشد :

« ما على الرّكبِ من وقوفِ الرّكابِ »

حتى أكملها ، ثم قال : هاتِ إن كنتِ قلتِ شيئاً ، فأنشدته :

« هذه دارُ زينبِ والرّبابِ »

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي :

وارتكضنا حتى مضى الليلُ يسعى وأتى الصّبحُ قاطيعُ الأسبابِ
فكأنَّ النجومَ في الليلِ جيشٌ دخلوا للكمّونِ في جوفِ غابِ
وكأنَّ الصّباحَ قانِصُ طيرٍ قبضتُ كفّهُ بـرجلِ غرابِ

١ ب س : ماء ورنده ؛ والناورد هنا بمعنى « الميدان » ، وهي من الفارسية ومعناها : معركة . قتال .

٢ ط : على أنه من .

٣ ط : أنيسه .

٤ ديوان البحري : ٨٣ وعجزة : « في مغاني الصبا ورسم التصايي » .

٥ ديوان ابن شهيد : ٨٥ .

ومنها :

وفُتِّسُوا سَرَوًا وَقَدْ عَكَفَ الْإِلَهُ
وَكَأَنَّ النَّجُومَ لَمَّا هَدَتْهُمْ
يَتَقَرَّرُونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاةٍ
عَنْ ذِكْرِ لِمُدْلِجِهِمْ فَتَاهُوا
هَمَّةً فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلًا
وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كَرِيمَةٌ نَجَرُ
جَيْفَةٌ أَتْنَتَ فَطَارَ إِلَيْهَا
لُ وَأَرْخَى مُغْدُوْدِينَ^١ الْأَطْنَابِ
أَشْرَقَتْ لِلْعُيُونِ مِنْ آدَابِي
جُنَحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ مِنْ رِكَابِ
مِنْ حَدِيثِي فِي عُرْضِ أَمْرِ عُجَابِ
مِنْ ذِيُولِ الْعُلَا وَجَدْتُ كَابِي
لَمْ تَكُنْ طَعْمَةً لِقَرَسِ^٢ الْكَلَابِ
مِنْ بَنِي دَهْرٍهَا فَرَاخُ الدُّبَابِ

ومنها يفخر :

مِنْ شُهَيْدٍ فِي سَرَّهَا ثَمَّ مِنْ أَشَدِّ
خُطْبَاءُ الْأَتَامِ إِنْ عَنَّ خَطْبُ
جَعَّ فِي السَّرِّ مِنْ لُبَابِ اللَّبَابِ
وَأَعَارِبُ فِي مُتُونِ عَرَابِ
حَتَّى أَكَلْتُهَا ، فَكَأَنَّمَا غَشَّى وَجْهَ^٣ أَبِي الطَّبَعِ قِطْعَةً مِنَ اللَّيْلِ ،
وَكُرَّ رَاجِعًا إِلَى نَاوَرْدِهِ دُونَ أَنْ يُسَلَّمَ . فَصَاحَ بِهِ زُهَيْرٌ : أَلْجَزْتُهُ ؟
قَالَ : أَلْجَزْتُهُ^٤ . لَا بَوْرَكَ فَيْكَ مِنْ زَائِرٍ ، وَلَا فِي صَاحِبِكَ أَبِي عَامِرٍ .
[فَضَرَبَ زُهَيْرُ الْأَدْهَمَ بِالسَّوْطِ ، فَسَارَ بِنَا فِي قَنْتِهِ^٥] ، وَسَرْنَا

١ المغدودون : المسترخي .

٢ ب س : لبرص .

٣ ب س : على

٤ ط : أجزت .

٥ القنت : الزاوية أو الحائض .

حتى انتهينا إلى أصل جبل دِير حَنَّة ، فشَقَّ سمعي قرعُ التَّواقيس .
فصحتُ : من منازل أبي نواس ، وَرَبِّ الكعبةِ العلياء ؛ وسرنا نجتأبُ أدياراً
وكنائسَ وحانات ، حتى انتهينا إلى ديرٍ عظيمٍ تَعَبَقُ روائحه ، وتَصُوكُ
نوافحه ^١ . فوقفَ زهيرُ يبابه وصاح : سلامٌ على أهلِ دير حَنَّة ! فقلتُ
لزهير : أو هلَّ صرنا ^٢ بذات الأكيراح ؟ قال : نعم . وأقبلتُ ^٣
نحونا الرّهّابين ، مُشدَّدةً ^٤ بالزَّنانير ، قد قبضتُ على العكاكيز ، يبضُ
الحواجبِ واللّحي ، إذا نظروا إلى المرءِ استحيًا ، مكثرين للتسبيح .
عليهم هدْيُ المسيح ؛ فقالوا : أهلاً بك يا زهير من زائر ، وبصاحبك
أبي عامر ، ما بَغَيْتُكَ ؟ قال : حُسَيْنُ الدنان . قالوا : إنّه لفي شُرْبٍ ^٥
الخمرة ، منذ أيامٍ عشرة ، وما نرا كما نتفَعِّينُ به . فقال : وعلى ذلك .
ونزلنا وجاءوا بنا إلى بيتٍ قد اصطَفَتْ دِنَانُهُ ، وعكفتُ غزلانه ، وفي
فُرُجَتِهِ شَيْخٌ طويلُ الوجهِ والسَّيْلةِ ، قد افترشَ أَصْغَاثَ زهر ، واتكأَ
على زِقِ خمر ، ويده ^٦ طَرَجَهارة ^٧ ، وحواليه صَبِيَّةٌ كأظْبٍ تعطو
إلى عَرَارة . فصاح به زهير : حَيَّاكَ اللهُ أبا الإحسان ! فجوابَ بِجوابٍ لا
يُعْقِلُ لَغَلْبَةِ الخمر عليه . فقال لي زهير : اقرع أذُنَ نشوته ^٨ بلحدي

١ ط س : نوافجه .

٢ ب س : أو قد صرنا .

٣ ب س : وأرقلت .

٤ ب س : مشددة .

٥ ب س : شرك .

٦ ب س : وييمينه .

٧ الطرجهارة : الفنجال أي شبه كأس أو طاس يشرب به .

٨ ط : اقرع اذنيه .

خَمْرِيَاتِكَ ، فإنه ربما تنبّه لبعض ذلك . فصحت^١ أنشد^٢ من كلمة لي
طويلة^٣ :

ولربّ حانٍ قد أدرت^٤ بديره خمر الصبا مزجت بصفو خموره^٥
في فنية جعلوا الزقاق تكاءهم^٦ متصاغرّين نخشعاً لكبيره
والى عليّ بطرفه وبكفه فأمال من رأسي لعب كبيره
وترتمّ الناقوس عند صلاتهم ففتحت من عيني لرجع^٧ ديره
يُهدي إلينا الرّاح كلّ^٨ معصفري^٩ كالخشف خفّره التماح خفيره

فصاح من جبال نشوته : أشجعي ؟ قلت : أنا ذاك ؛ فاستدعى ماءً
قراحاً ، فشرب منه وغسل وجهه ، فأفاق واعتذر إليّ من حاله ، فأدركتني
مهاتبه ، وأخذت في إجلاله ، لمكانه من العلم والشعر . فقال لي : أنشد^{١٠} .
أو حتى أنشدك ؟ فقلت : إنّ ذلك لأشدّ لتأنيسي^{١١} ، على أنه ما بعدك
لمُحسن إحسان^{١٢} ، فأنشد^{١٣} :

يا دير حنة من ذات الأكينراح من يصنحُ عنك فإني لست بالصّاحي
يعتاده^{١٤} كلّ محفوفٍ مفارق^{١٥} من الدهان عليه سحوقُ أمساح

١ ب س : فصرخت .

٢ ديوان ابن شهيد : ١١٥ .

٣ المطمح والنفع : شربت .

٤ المطمح والنفع : بصرف عصوره .

٥ المطمح والنفع : السرور شعارهم .

٦ المطمح والنفع وس : مصفر ؛ ب : مصفن .

٧ ب س : لأهدأ تأنيساً ؛ ط : لأشد من تأنيسي .

٨ ديوان أبي نواس : ١٢٨

لَا يَنْدُفُونَ إِلَى مَاءٍ بَأْنِيَةٍ إِلَّا اغْتَرَفًا مِنَ الْغُدْرَانِ بِالرَّاحِ

فَكَدْتُ وَاللَّهِ أَخْرَجُ مِنْ جِلْدِي طَرَبًا . ثُمَّ أَنْشُدُ :

طَرَحْتُمْ^١ مِنَ التَّرْحَالِ أَمْرًا فَعَمْتَنَا^٢ .

وَأَنْشُدُ أَيْضًا^٣ :

لَمَنْ دَمَنْ تَزْدَادُ طَيْبَ نَسِيمٍ عَلَى طَيْبٍ مَا أَقْوَتْ وَحَسَنَ رِسُومٍ
تَجَافَى الْبِلَى عَنْهُمْ^٤ حَتَّى كَأَنَّمَا لَبِسْنَا^٥ مِنَ الْإِقْوَامِ ثَوْبَ نَعِيمٍ

وَاسْتَمَرَّ فِيهَا حَتَّى أَكَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشُدْ . فَقُلْتُ : وَهَلْ أَبْقَيْتَ^٦
الْإِنْشَادَ مَوْضِعًا ؟ قَالَ : لَا بُدَّ لَكَ ، وَأَوْعِثْ بِي وَلَا تُنْجِدْ . فَأَنْشُدْتُهُ^٧ :

أَصْفِيحُ^٨ شَيْمَ أُمِّ بَرْقٍ^٩ بَدَا أُمِّ سَنَا الْمَحْبُوبِ أَوْرى أَزْنَدَا^{١٠}
هَبَّ^{١١} مِنْ مَرَقْدِهِ^{١٢} مُنْكَسِرًا^{١٣} مُسْبِلًا^{١٤} لِلْكُمِّ مَرْخٍ لِرَدَا
يَمْسَحُ^{١٥} النَّعْسَةَ^{١٦} مِنْ عَيْنِي رَشَا صَائِلٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْدَا
قُلْتُ : هَبَّ لِي يَا حَبِيسِي قُبْلَةً^{١٧} تَشْفِي^{١٨} مِنْ عَمَلِكَ^{١٩} تَبْرِيجَ الصَّدَى

١ ديوان أبي نواس : ٧٥ ، وعجز البيت : « فلو قد شخصتم صبح الموت بمضنا » .

٢ ديوان أبي نواس : ٨٨ ، انظر الذخيرة ٣ : ٤٦٣ .

٣ ط : تركت .

٤ ديوان ابن شهيد . ١٠٢ .

٥ الديوان : أصبَحَ ؛ المطمح : أصبَحَ .

٦ أكثر المصادر : زَنْدًا .

٧ النعج : نعمته .

٨ المقرب : منعمته .

٩ ب س : عن .

١٠ في الأصول : عملك .

فانثني يهتَز من منكبِهِ
كلما كلمتني قبَلْتُهُ
كاد أن يرجع من لثمي له
قال لي يلعبُ : خُذ لي ٣ طائراً
[وإذا استنجزْتُ يوماً وعدَه
شربتُ أعطافُهُ خَمَرَ الصبا
وإذا بُتُّ به في روضَةٍ
قام في الليلِ يجيدُ أتلع
رَشاً بل غادةً مَكُورَةً
أححتُ من عَضَّتِي في نهدِها
فأنا المجروحُ من عَضَّتِها

قائلاً : لا ، ثم أعطاني اليداً ١
فهو إمّا ٢ قال قولاً ردّداً
وارتشاي الثغرَ منه أدرّدا
فَتَراني الدهرَ أجري بالكدا
قال لي يَطْلُ : ذكّرني غدا
وسقاه ٥ الحُسْنُ حتّى عرّبدا
أغيداً يقرؤ ٦ نباتاً أغيدا
يَنفُضُ اللّمة من دمعِ الندى
عممتُ صباحاً بلسلِ أسودا
ثمّ عَضَّتْ حُرّاً وجهي ٧ عمدا
لا شفاني اللهُ منها أبدا

فلما انتهيت قال : لله أنت ، وإن كان طبعك مخترعاً منك . ثم
قال لي : أنشدني من رِثائك شيئاً ، فأشدته من قولي في بُنيةٍ
صغيرة ٨ :

١ المطمح : مائلاً لطفاً وأعطاني اليداً .

٢ ب س : مها .

٣ الديوان : صد لي .

٤ المغرب : أمشي في الكدى .

٥ المغرب : وثناه .

٦ في الأصول : يعرف .

٧ المغرب : خلي .

٨ ديوان ابن شهيد : ١٧٠ (عن النخيرة وحدها) .

[أيها المعتدُّ في أهلِ النُّهى لا تَدُبْ إثرَ فقيدها ولها
حتى انتهيت إلى قولي] :

وإذا الأسدُ حَمَتُ أغيالها لم يَضُرَّ الخيسَ صرَعَاتُ المِها
وغريبٌ يا ابنَ أقمارِ العُلا أنْ يُرَاعَ البدرُ من فقدِ السَّها
فلما انتهيتُ قال لي : أنشدني من رِثائِكَ أشدَّ من هذا وأفصح .
فأنشدته من رِثائي في ابن ذكوان ^١ ؛ ثم قال : أنشدني جَحْدَ ريتك من
السَّجَن ، فأنشدته :

« قريبٌ بمحتلِّ الهوانِ بعيدُ ^٢ »

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

فإن طال ذكري بالمجونِ فإني سقيَ بمنظومِ الكلامِ سعيدُ
وهل كنتُ في العشاقِ أوَّلَ عاشقٍ هَوَتْ بِحجَاهُ أعينٌ وخلودُ ؟

١ انظر ديوان ابن شهيد : ٨٩ ومطلع هذه القصيدة وارد في ترتيب المدارك ٤ : ٦٦٧
(ولم يرد في الديوان) وهو :

إذا لم تجد إلا الأسمى لك صاحباً فلا تمننِ الدمع ينهل ساكبا
هوت بأبي العباس شمس من التقى وأسى شهاب الحق في الغرب غاربا
والمرفي في هذه القصيدة هو أبو العباس ابن ذكوان (- ٤١٣) ؛ انظر ترجمته في الجذوة :
١٢١ (البنية رقم : ٤٢٥) والصلة : ٣٧ والمغرب ١ : ٢١٠ - ٢١٢ وترتيب المدارك ٤ :
٦٦٢ والنباهي : ٨٤ - ٨٧ والحلة السراء ١ : ٢٧ وصفحات متفرقة من البيان المغرب ٣ .
٢ ديوان ابن شهيد : ٩٩ وعجز البيت : « يحجود ويشكو حزنه فيجيد » ؛ وقد كتبها حين
سجنه علي بن حمود (انظر المطمح : ٢٠) .

فمن مُبْلِغُ الْفَتِيَانِ أَنْتَيَ بَعْدَهُمُ^١ - مُقِيمٌ بِدَارِ الظَّالِمِينَ^٢ طَرِيدٌ
وَلَسْتُ بِبُذِي قِيدٍ يَرِقُ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّحْظِ مِنْ سَخَطِ الْإِمَامِ قِيودُ
فَبِكَيِّ لَهَا طَوِيلًا^٣ ثُمَّ قَالَ : أَنَشِدْنِي قِطْعَةً مِنْ مَجُونِكَ^٤ ، فَقَدْ بَعُدَ عَهْدِي
بِمِثْلِكَ ، فَأَنْشِدْتُهُ^٥ :

وَنَاطِرَةٌ تَحْتَ طَيِّ الْقِنَاعِ دَعَاها إِلَى اللَّهِ وَالْخَيْرِ دَاعِي
سَعَتْ بِأَبْنَيْهَا تَبْتَغِي مَتْرَلًا لَوْصَلَ التَّبْتُلُ وَالْإِنْقِطَاعُ
فَجَاءَتْ تَهَادَى كَمِثْلِ الرِّعَومِ تُرَاعِي غَزَالًا بِأَعْلَى^٦ يَفَاعُ
أَتْنَا تَبَخْتَرُ فِي مَشِيهَاتِهَا فَحَلَّتْ بِوَادٍ كَثِيرِ السَّبَاعِ
وَرِيَعَتْ حِذَارًا عَلَى طِفْلِهَا فَنَادَيْتُ : يَا هَذِهِ لَا تُرَاعِي !
فَوَلَّتْ وَلِلْمَسْكِ مِنْ ذَيْلِهَا عَلَى الْأَرْضِ خَطٌّ كَظْهِرِ^٧ الشَّجَاعِ

فلما سمع هذا البيت قام يرقص به ويردده ، ثم أفاق ، ثم قال : هذا
والله شيءٌ لم نلهمه نحن ، ثم استدناني فدنوت منه فقبلَ بين عيني ،
وقال : اذهبْ فَإِنَّكَ مُجَازٍ عَلَى بَطْنِ أُمِّ الْكَارِهِ .

فانصرفنا عنه وانحدرنا من الجبل ، فقال لي زهير : ومن تريدُ بعد ؟

... ..

١ ب س : بَعْدَهُم .

٢ ب س : الظَّالِمِينَ .

٣ ب س : طَرِيدًا .

٤ ب س : عِيُونِكَ .

٥ ديوان ابن شهيد : ١٢٤

٦ ب س : بِرَوْضِ .

٧ ب س : كَخَطِ .

قلت له : خاتمة القوم صاحب أبي الطيّب ، فقال : اشدُّد له حيازيمك ، وعطّر له نسيمك . وانثر عليه نجومك . وأمال عنان الأدهم إلى طريق ، فجعل يركض بنا ، وزهير يتأمل آثار فرس لمحتاها هناك ؛ فقلت له : ما تتبعك لهذه الآثار ؟ قال : هي آثار فرس حارثة بن المغلس صاحب أبي الطيّب . وهو صاحب قنص^١ . فلم يزل يتفرّأها حتى دفعنا إلى^٢ فارس على فرس بيضاء كأنه قضيب على كتيب ، وبيده قناة قد أسندها إلى عنقه . وعلى رأسه عمامة حمراء ، قد أرخى لها عذبة صفراء . فحيّاه زهير ، فأحسن الردّ ناظراً من مقلّة شوساء . قد ملئت^٣ نبيهاً وعجباً . فعرفه زهير قصدي وألقى إليه رغبتى . فقال : بلغني أنه يتناول^٤ ، قلت : للضرورة الدافعة ، وإلا فالقريحة غير صادعة ، والشفرة غير قاطعة ، قال : فأشدني ، وأكبرته أن أستشده . فأشدته قصيدي التي أوتها :

أبرق بدا أم لمع أبيض قاصيل^٥ .

حتى انتهيت فيها إلى قولي :

تردّد فيها البرق حتى حسبته	يشير إلى نجم الربى بالأنامل
رُبى نستجت أيدي الغمام للبيسها	غلائل صُفراً فوق بيض غلائل
سهرت بها أروى النجوم وأنجماً	طوالع للرّاعين غير أوافل
وقد فغرت فاما بها كل زهرة	إلى كل ضرع للغمامة حافل

١ ب س : وهو ذو قنص .

٢ ب س : حتى لاح لنا .

٣ ب س : حشيت .

٤ ب س : أنك تتناول .

٥ ديوان ابن شهيد : ١٤٢ وعجز البيت : « ورجع صدى أم رجع أشقر صاهل » .

وَمَرَّتْ جِيوشُ الْمَرْنِ رَهْوَاً^١ كَأَنهَا
وَحَلَقَتِ الْخَضِرَاءُ فِي غُرِّ شُهُبِهَا^٢
تَخَالُ بِهَا زُهُرُ الْكَوَاكِبِ نَرَجِيساً
وَتَلْمَحُ مِنْ جَوَازِئِهَا فِي غُرُوبِهَا
وَتَحْسَبُ صَقراً واقِعاً دَبْرَانِهَا
وَبَدْرَ الدُّجَى فِيهَا غَدِيرٌ وَحَوْلُهُ
كَأَنَّ الدُّجَى هَمِّي وَدَمْعِي نَجُومُهُ
هُوَ أَنْجَمُ الْعَلَكِيَاءِ إِلَّا أَقْلَهَا
وَأَصْبَحَتْ فِي خَلْفٍ إِذَا مَا لَمَحْتَهُمْ^٣
وَمَا طَابَ فِي هَذِي الْبَرِيَّةِ آخِرُ
أَرَى حُمُراً فَوْقَ الصَّوَاهِلِ جَمَّةً^٤
وَرَبَّتْ كُتَابٍ إِذَا قِيلَ : زَوَّرُوا
وَنَاقِلَ فَقِهِ لَمْ يَرِ اللَّهُ قَلْبُهُ
وَحَامِلَ رُوحٍ رَاحَ فَوْقَ مَضَائِهِ
حُبُّوهُ بِالْمَتَى دُونِي وَغُودِرْتُ دُونَهُمْ
وَمَا هِيَ إِلَّا هِمَّةٌ أَشْجَعِيَّةٌ^٥
وَفَهَّمْ لَوْ الْبَرَجِيسَ جَثْتُ بِجَدِّهِ

عَسَاكِرُ زَنْجٍ مَذَهَبَاتُ الْمَنَاصِلِ
كَلْجَةِ بَحْرِ كَلَّلَتْ بِالْيَعَالِيلِ
عَلَى شَطْءِ وَادٍ لِلْمَجَرَّةِ سَائِلِ^٦
تَسَاقَطَ عَرَشٍ وَاهِنِ الدِّعَمِ مَائِلِ
بِعُشِّ الثَّرِيَا فَوْقَ حَمْرِ الْخَوَاصِلِ
نَجُومٌ كَطَلْعَاتِ الْحَمَامِ^٧ التَّوَاهِلِ
تَحَدَّرَ إِشْفَاقاً لَدَهْرِ الْأَرَاذِلِ
وَعَبْنٌ بَمَا يَحْظَى بِهِ كُلُّ عَاقِلِ
تَبَيَّنْتُ أَنَّ الْجَهْلَ لِحْدَى الْفَضَائِلِ
إِذَا هُوَ لَمْ يُنْجَدْ بِطَيْبِ^٨ الْأَوَائِلِ
فَأَبْكِي بَعِيْنِي ذُلٌّ تِلْكَ الصَّوَاهِلِ
بَكَتْ مِنْ تَأْنِيهِمْ^٩ صَدُورُ الرِّسَائِلِ
بَطْنٌ^{١٠} بَأَنَّ الدِّينَ حَفْظُ الْمَسَائِلِ
بِهَ كَاعِباً فِي الْحَيِّ ذَاتَ مَغَازِلِ
أُرُودُ الْأَمَانِي فِي رِيَاضِ الْأَبَاطِلِ
وَنَفْسٌ أَبَتْ لِي مِنْ طَلَابِ الرِّذَائِلِ
إِذَا لَتَلَقَّانِي بِنَحْسِ الْمُقَاتِلِ

١ ط : زهواً ؛ ب س : زهراً .

٢ ط والمغرب ؛ وحلقت ؛ ب س : بجملها .

٣ المالك ، حافل .

٤ ط : الحمام .

٥ ب : التمتعهم .

٦ ب س : لم ينجدته طيب .

٧ ط : تأنيهم .

ولما طما بحرُ البيانِ بِفِكْرِتي وأغرقَ قرنَ الشمسِ بعضُ جدولي
تَحَلَّتْ إلى خيرِ الورى كُلَّ حُرَّةٍ من المدح لم تحمل بِرَعي الجمائل
وكدتُ لفضلِ القولِ أبلغُ ساكناً وإن ساءَ حُسادي مَدَى كل قائل

فلما انتهيتُ قال : أنشدني أشدَّ من هذا . فأنشدته قصيدتي :

« هاتيكَ دارُهُمُ فَقِفْ بِمَعَانِهَا »

فلما انتهيتُ^١ قال لزهير : إن امتد به طَلَقُ العُمر ، فلا بدَّ أن ينفثَ
بدرر . وما أراهُ إلاَّ سيُختَصِرُ ، بين قريحَةٍ كالجمر ، وهِمَّةٍ تَضَعُ
أخمصه على مفرقِ البدر . فقلت : هلاًَّ وَضَعْتَهُ على صَلَعةِ النَّسر ؟ !
فاستضحكَ إليَّ وقال : اذهب فقد أجزتُك بهذه النكتة . فقَبَلْتُ على
رأسِهِ وانصرفنا .

فقال لي زهير : من تريد بعده ؟ فقلت : مل بي إلى الخطباء ، فقد قضيتُ
وطراً من الشعراء . فركضنا حيناً طاعنين في مطلع الشمس ولقينا فارساً أسراً
إلى زهير . وانجزعَ عتاً . فقال لي زهير : جُمِعَتْ لكَ خُطباءُ الجنِّ بِمَرَجٍ
دَهمان ، وبيننا وبينهم فرسخان ، فقد كُفِّيتَ العناءَ إليهم على انفرادهم .
قلت : لمَ ذاك ؟ قال : للفرقِ بين كلامين اختلفَ فيه فِتْيَانُ الجن . وانتهينا
إلى المَرَجِ فإذا^٢ بنادٍ عظيم ، قد جمَعَ كلَّ زعيم ، فصاح زهير : السلامُ
على فُرَّسانِ الكلام ، فردُّوا وأشاروا بالنزول ، فأفَرَجُوا حتَّى صرنا
مركزَ هالةٍ بِمَجْلِسِهِمْ . والكلُّ منهم ناظرٌ إلى شيخٍ أصلع ، جاحظٍ العينِ

١ ديوان ابن شهيد : ١٦٥ ؛ وانظر ١٠٠ ، نقدم ص : ٢٠٥ .

٢ ب س : حتَّى إذا سمعها .

٣ ط : فلما انتهينا ... إذا .

الْيَمْنَى . على رأسِهِ قَلَنْسُوءٌ^١ بِيضَاءُ طَوِيلَةٌ . فَقُلْتُ سِرّاً لَزْهِيرَ : مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عُتْبَةُ بْنُ أَرْقَمَ صَاحِبُ الْجَاحِظِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عُتَيْبَةَ : قُلْتُ : بَأْبِي هُوَ ! لَيْسَ رَغْبَتِي سِوَاهُ . وَغَيْرَ صَاحِبِ عَبْدِ الْحَمِيدِ . قَالَ لِي : إِنَّهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ : وَعَرَفَهُ صَغُورِي إِلَيْهِ وَقَوْلِي فِيهِ^٢ . فَاسْتَدْنَانِي وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ مَعِي . فَصَمْتُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَخَطِيبٌ . وَحَائِكٌ^٣ لِلْكَلامِ مُجِيدٌ . لَوْلَا أَنَّكَ مُغَرَّرٌ بِالسَّجْعِ . فَكَلَامُكَ نَظْمٌ لَا نَثْرَ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : قَرَعَكَ - بِاللَّهِ - بِقَارَعَتِهِ ، وَجِئْتُكَ بِمِثَالَتِهِ . ثُمَّ قُلْتُ^٤ لَهُ : لَيْسَ هَذَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنِّي جَهْلًا^٥ . بِأَمْرِ السَّجْعِ . وَمَا فِي الْمِثَالَةِ وَالْمُقَابَلَةِ مِنْ فَضْلٍ . وَلَكِنِّي عَلِمْتُ بِلَدِّي فُرْسَادَ الْكَلَامِ [وَدُهَيْتُ بَغَاوَةَ أَهْلِ الزَّمَانِ ، وَبِالْحَرَا أَنْ أَحَرِّكَهُمْ بِالْأَزْدِوَاجِ . وَلَوْ فَرَشْتُ لِلْكَلامِ]^٦ فِيهِمْ طَوْلًا^٧ . وَنَحَرْتُ لَهُمْ حَرَكَةَ شَوْلٍ^٨ . لَكَانَ أَرْفَعَ لِي عِنْدَهُمْ . وَأَوْلَجَ فِي نَفُوسِهِمْ . فَقَالَ : أَهَذَا عَلَى تِلْكَ الْمَنَاطِرِ . وَكَبِيرُ تِلْكَ الْحَابِرِ . وَكَأَلِ تِلْكَ الطَّيَالِيسِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، إِنَّهَا لِحِجَاءُ الشَّجَرِ . وَلَيْسَ ثُمَّ ثَمَرٌ وَلَا عَبَقٌ . قَالَ لِي : صَدَقْتَ . إِنِّي أَرَاكَ قَدْ مِثَلْتَ مَعِي . قُلْتُ : كَمَا سَمِعْتُ . قَالَ : فَكَيْفَ كَلَامُهُمْ بَيْنَهُمْ ؟ قُلْتُ : لَيْسَ

١ ط : به .

٢ ط : فقلت .

٣ ط . بجهل (اقرأ : لجهل) مني .

٤ ط . الكلام .

٥ قد حاولت شرح هذه اللفظة « طولق » في القسم الثالث : ٦٥٣ . وفي طلني أن معناه ما جاء في (Vocabulista) لم يتحدد بوصوح : وكلمة « يفرش » هنا قد تفيد أنها حصير أو بساط أو ما أشبهه ، على أن يفتن ذلك بالعودة أو بالدعوة إلى بيع العقاقير أو التكلم ببذاءة . أو غير ذلك من الأمور .

٦ بي كتيبة ودمتة . ٣١ فارقي بهذه الرقية « شولم » . شولم « سبع مرات » . فلعل حركة مشولم هي حركة الراقى وهو يردد لفظة شولم .

لسبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي إليه طريق ، ولا للبيان عليه سِمة . إنما
لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط . فصاح : إنا لله .
ذهبت العرب وكلامها ! ارميهم^١ . يا هذا بسجع الكهّان ، فمسي أن
يتفعلك عندهم ، [ويظير لك ذكراً فيهم . وما أراك مع ذلك إلاّ ثقيل
الوطأة عليهم ، كرية المجيء إليهم] . فقال الشيخ الذي إلى جانبه ، وقد
علمت أنه صاحب عبد الحميد ، ونفسي مرتقية إلى ما يكون منه^٢ : لا
يغرّنك منه أبا عيينة ما تكلف لك من المائلة ، إن السجع لطبعه .
وإنّ ما أسمعك كلنفة . ولو امتدّ به طلق الكلام . وجرت أفراسه في
ميدان البيان . لصلّى كودته . وكلّ برثنه . وما أراه إلا من اللكن
الذين ذكر ، وإلاّ فما للفصاحة لا تهدر ، وللأعرابية لا توميض ؟
فقلت في نفسي : طبع عبد الحميد ومساقه وربّ الكعبة ؛ فقلت له : لقد
عجبت أبا هبيرة - وقد كان زهير عرفني بكنيته - إنّ قوسك
لنبيح ، وإنّ ماء سهنك لسمّ . أحماراً رميت أم إنساناً ، وقفعة
طلبت أم ياناً ؟ وأليك إنّ البيان لصعب^٣ ، وإنك منه لفي عباءة تتكشف
عنها أستاذ معانك ، تكشف است العزّ عن ذنبها . الزمان دِفء
لا قرّ ، والكلام عراقي لا شامي . إني لأرى من دم اليربوع بكفيلك^٤ ،
والمح من كُشي الضّب على ماضغيتك . فتبسّم إليّ وقال : أهكذا أنت
يا أطيّس^٥ . تركب لكلّ نهجه . وتعيّج إليه عجه ؟ فقلت : الذئب

١ ط : ارمهم

٢ ب س : لما يأتي منه .

٣ ط : البيان لصعب (اقرأ : له صيان) .

٤ ب س : العير .

٥ ب س : يفكيك .

٦ ط : طلس .

أَطْلَسَ ، وَإِنَّ التَّيْسَ مَا عَلِمْتُ : فصاح به أَبُو عِيْنَةَ : لَا تَعْرِضْ لَهُ .
وَبِالْحَرِّ أَنْ تَخْلُصَ مِنْهُ . فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَنْعَامِ فِي بَطْنِ
الْأَنْعَامِ ! فَقَالَ : إِنَّهَا كَافِيَةٌ لَوْ كَانَ لَهُ حِجْرٌ : فَبَسَطَانِي وَسَلَانِي أَنْ أَقْرَأَ
عَلَيْهِمَا مِنْ رِسَالَتِي ، فَقَرَأْتُ رِسَالَتِي فِي صِفَةِ الْبَرْدِ وَالنَّارِ وَالْحَطَبِ
فَاسْتَحْسَنَاهَا ، وَمِنْ رِسَالَتِي ^١ فِي الْحُلُوءِ حَيْثُ أَقُول :

خَرَجْتُ فِي لُحْمَةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ ، وَثُبَّةٍ مِنَ الْأَتْرَابِ . فِيهِمْ فَقِيهٌ
ذُو لَقَمٍ ، وَلَمْ أَعْرِفْ بِهِ . وَغَرِيمٌ بَطْنِي ، وَلَمْ أَشْعُرْ لَهُ . رَأَى الْحُلُوءَ
فَاسْتَخَفَّهُ الشَّرَّهَ . وَاضْطَرَبَ بِهِ الْوَلَهَ . فَدَارَ ^٢ فِي ثِيَابِهِ . وَأَسَالَ
مِنْ لَعَابِهِ ، حَتَّى وَقَفَ بِالْأَكْدَاسِ ، وَخَالَطَ غَمَارَ النَّاسِ . وَنَظَرَ إِلَى الْفَالُودِجِ
فَقَالَ : بِأَبِي هَذَا اللَّحْمُ ^٣ . انْظُرُوهُ كَأَنَّهُ الْفَصْ . مُجَاجَةً الزَّنَابِيرِ ،
أَجْرِيَّتْ عَلَى شَوَابِيرِ ^٤ . وَخَالَطَهَا لِابِ الْحَبَّةِ : فَجَاءَتْ أَعْدَبَ مِنْ أَلْسِنَةِ
الْأُحْبَةِ .

وَرَأَى الْخَيْصَ فَقَالَ : بِأَبِي هَذَا الْغَالِي الرَّخِيسَ . هَذَا جَلِيدُ سَمَاءِ الرَّحْمَةِ ،
تَمَخَّضَتْ بِهِ فَأَبْرَزَتْ مِنْهُ زُبْدُ النِّعْمَةِ : يُجْرَحُ بِاللَّحْظِ ، وَيَذُوبُ مِنَ اللَّفْظِ .
يَمَّ أَيْضُ ؟ قَالُوا بِمَاءِ الْبَيْضِ الْبُضِّ . قَالَ : غَضٌّ مِنْ غَضِّ . مَا أَطْيَبَ
خُلُقَ الْهَيْبِ . لَوْلَا حَضْرَةُ الرَّقِيبِ .

وَلَحَ الْقُبَيْطَاءُ ^٥ فَصَاحَ : بِأَبِي نُقْرَةُ الْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ . لَا تَرُدُّ عَنْ ^٦

١ هـ : رِسَالَتِي . ٢ ب س : فَدَلَ .

٣ التَّمَصُّ : الْفَالُودِجُ .

٤ الشَّوَابِيرُ : جَمْعُ شَابُورَةٍ ، وَهِيَ السَّمَكَةُ أَوْ نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ . وَهُوَ يَتَضَخَّ لِي مَاذَا يَعْنِي
ذَلِكَ فِي السِّيَاقِ

٥ هـ : التَّمِخِي : وَهُوَ صَوَابٌ أَيْضًا . ٦ س : لَا يُوَدِّي عَو .

العَصَّة . أبنار طَبِخَتْ أم بنور ؟ فلما أراها كَقَطْعِ البلور : وبلور
عُجِنَتْ أم بِحَوْز ؟ فلما أراها عين^١ عَجِينِ الموز . ومشى إليها وقد عدَل
صاحبها أرتال نحاسه ، وعلّق قسطاسه من أم راسه : فقال : رطل
بلدرهَمَيْن . وانتَهشها بالنابِئِ ، فصاح : القارعةُ ما القارعة . هيه !
ويلٌ للمرء من فيه .

ورأى الزلاية فقال : ويلٌ لآمتها الزانية ، أبأحشائي نُسِجَتْ ، أم من
صِفاقِ قلبي أَلَفَتْ ؟ فلما أجدُ مكانها من نفسي مكيناً ، وحَبَلَ هواها
على كبدي متيناً ، فمن أين وصلتُ كفَّ طابِخِها إلى باطني ، فاقتطَعَتْها من
دَوَاجِني ؟ والعزير الغفار ، لأطلُبُبتها بالثَّار : ومشى إليها ، فتَلَمَّظَ له
لسانُ الميزان ، فأجفَلَ يصيحُ : الثَّعبانُ الثَّعبان !

ورُفِعَ له ثمرُ النَّشَا ، غيرَ مهضُومِ الحشا ، فقال^٢ : مَهَيْمٌ ؟ ! من
أين لكم جَنَى نَخْلَةٍ مريم ؟ ما أنتم إلاّ السحار . وما جزاؤكم إلاّ السيفُ
والنَّار ؛ وهمَّ أن يأخذَ منها ، فأثبَتَ في صدره العصا ، فجلس القُرْفُصَا .
يُدْزِي الدُّمُوع ، ويُبْدي الخُشُوع . وما منا^٣ أحدٌ إلاّ عن الضَّحِكِ
قد تجلَّد . فرقَّتْ له ضُلُوعي ، وعلمتُ أنَّ اللهَ فيه غيرُ مُضِيعي . وقد تجمَّلُ
الصَّدَقَةُ على ذَوِي وفر ، وفي كل ذي كَبَدٍ رَطْبَةٌ أجْرٌ . فأمرتُ الحَلَوَانِيَّ
بإتباعِ أرتالٍ منها تجمَعُ أنواعُها التي أنطقَتْهُ ، وتحتوي على ضُروبِها^٤
التي أضْرَعَتْهُ . وجاء بها وسيرنا إلى مكانٍ خالٍ طَيِّب . كوصفِ المَهْلِكِيِّ :

١ ب س : غير .

٢ ب س . فصاح .

٣ ب س : وهل هنا .

٤ ب س : صنوفها .

خَانَ تَطْيِبُ لِبَاغِي النَّسْكِ خَلَوْتَهُ وَفِيهِ سِتْرٌ عَلَى الْفَتَاكِ إِنْ فَتَكُوا^١
فَصَبَّتْهَا رَطْبَةُ الْوُقُوعِ ، كِرَادِيسَ كَقِطْعِ الْجُدُوعِ : فَجَعَلَ يَقْطَعُ
وَيَلْعَقُ ، وَيَدْحُو فَاهُ وَيُدْفَعُ ، وَعَيْنَاهُ تَبْصَانُ^٢ ، كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ ، وَقَدْ
بَرَزَتَا عَلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُمَا خَصِيَّتَانِ ، وَأَنَا أَقُولُ لَهُ : عَلَى رَسْلِكَ أَبَا فُلَانِ !
الْبِطْنَةُ تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ ! فَلَمَّا التَقَمَ جُمْلَةَ جَمَاهِيرِهَا ، وَأَتَى عَلَى مَآخِيرِهَا^٣
وَوَصَلَ خَوَرِ نَفْقِهَا بِسَدِيرِهَا ، تَجَشَّأَ فَهَبَّتْ مِنْهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، أَيْقَنَّا لَهَا بِالْعَذَابِ
الْأَلِيمِ . فَتَشَرَّتْنَا شَذَرَ مَدَرٍ ، وَفَرَّقَتْنَا شَغَرَ بَغَرٍ ، فَالْتَمَحْنَا مِنْهُ الظَّرْبَانِ .
وَصَدَّقَ الْخَبَرَ فِيهِ الْعَيَانُ : نَفَحَ ذَلِكَ فَشَرَّدَ الْأَنْعَامَ^٤ . وَنَفَحَ هَذَا فَبَدَّدَ
الْأَنَامَ ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ بَعْدَهَا وَالسَّلَامُ .

فَاسْتَحْسَنَاهَا وَضَحَكَا عَلَيْهَا : وَقَالَا : إِنْ لَسَجَعِيكَ مَوْضِعاً^٥ مِنْ
الْقَلْبِ ، وَمَكَاناً مِنَ النَّفْسِ ، وَقَدْ أَعْرَتَهُ مِنْ طَبْعِكَ ، وَحَلَاوَةِ لَفْظِكَ ،
وَمَلَاخَةِ سَوِّقِكَ ، مَا أَزَالُ أَفْنَهُ ، وَرَفَعَ غَيْبَهُ^٦ . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ لَا
تُجَازَى^٧ فِي أَبْنَاءِ جِنْسِكَ ، وَلَا يُمَلُّ^٨ مِنَ الطَّعْنِ عَلَيْكَ . وَالْإِعْتِرَاضُ

١ في أخبار ابن القوطية أن ابن هذيل لقيه عائداً من ضيعة له بسفح جبل قرطبة ، فسأله :

مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَمَنْ هُوَ الشَّمْسُ وَالْأَنْدَالُ لَهُ فَلْكَ
فَأَجَابَهُ :

مِنْ مَنْزِلٍ يَمُجِّبُ النَّسَاكَ خَلَوْتَهُ وَفِيهِ سِتْرٌ عَلَى الْفَتَاكِ إِنْ فَتَكُوا

(انظر ابن خلكان ٤ : ٣٦٩) فلمل ابن القوطية تمثل به ، وغير في بعض لفظه .

٢ تبصان : تلمعان ؛ ب س : ينصران .

٣ ب س : آخرها ؛ ط : مناخيرها .

٤ ب س : النمام .

٥ ب س : مرجعاً .

٦ ط : عيبه .

٧ ط : تجاري .

لك . فَمَنْ أَشَدَّهُمْ عَلَيْكَ ؟ قلت : جارانِ دارُهُما ^١ صَقَب ، وثالثُ
نابته نَوْب ، فامتطى ظَهْرَ النَّوَى ، وألقت به في سَرَقِسطَةِ العصا .
فقالا : إلى أبي محمدٍ تُشير ، وأبي القاسم وأبي بكر ؟ ^٢ قلت : أجل . قالَا :
فأين بلغتَ فيهم ؟ قلت أما أبو محمدٍ فانتضى عليَّ لسانَه عندَ المستعين ،
وساعدته زُرَافَةٌ استهواها من الحاسدين ، وبلغني ذلك فأنشدته شعراً ،
منه ^٣ :

وَبُلُغْتَ أَقْوَاماً تَجِيشُ صُدُورَهُمْ	عليَّ ، وإني منهمُ فارغُ الصِّدْرِ
أَصَاخُوا إِلَى قَوْلِي فَأَسْمَعْتُ مُعْجِزاً	وغازوا على سِرِّي فأعياهمُ أُمري
فَقَالَ فَرِيقٌ : لَيْسَ ذَا الشَّعْرِ شِعْرَهُ	وقال فريقٌ : أَيْمَنُ اللَّهِ مَا نَدْرِي
أَمَا عَلِمُوا أَنِّي إِلَى الْعِلْمِ طَامِحٌ	وَأَنِّي الَّذِي سَبَقاً عَلَى عِرْقِهِ يَجْرِي
وَمَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا	ولا كُلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ : مَجْرِي
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْبِرْ فَلَنِي حَاضِرٌ	ولا شيءٌ أَجْلَى لِلشُّكُوكِ مِنَ الْخَبْرِ

وأما أبو بكرٍ فأقصر واقتصر على قوله : له تابعةٌ تؤيده . وأما أبو
القاسمِ الإفليليُّ فَمَكَانُهُ مِنْ نَفْسِي مَكِين ، وَحُبُّهُ بِفُؤَادِي دَخِيل ، على أنه
حاملٌ عليَّ ، ومنتسبٌ إليَّ . فصاحا : يَا أَنْفَ النَّاقَةِ ابْنَ مَعْمَرٍ ، مِنْ
سُكَّانِ خَيْبَرٍ ! فقام إليهما جِنِّي أَشْمَطُ رُبْعَةٍ وَاِرمِ الْأَنْفَ ، يَتَظَالَعُ

١ ط : دارهما .

٢ يمكن القول إن أبا بكر هو ابن حزم الذي خاطبه في أول الرسالة ، لأنه هو الذي اقتصر
على قوله : « له تابعة تؤيده » كما سيجيء القول ، وأما ابن القاسم فقد صرح بأنه ابن
الإفليلي ، ويبقى الثالث وهو أبو محمد ، وليس لدي ما يمين على التعرف إليه .

٣ ديوان ابن شهيد : ١١٤ والنفع ٣ : ٢٩ والمالك .

٤ النفع والمالك : فأعجزهم .

في مِشِيته ، كاسراً لَطَرُفِهِ ، وزاوياً لَأَنْفِهِ ، وهو ينشد :

قومٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ^١ ومن يُسَوِّي بَأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا^٢

فقالا^٣ لي : هذا صاحبُ أَبِي الْقَاسِمِ ، ما قولُكَ فيه يا أَنْفُ النَّاقَةِ ؟
قال : فَنِي لَمْ أَعْرِفْ عَلَى مَنْ قَرَأ . فقلتُ لِنَفْسِي : الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ! إِنْ لَمْ
تَعْرِبِي عَنْ ذَاتِكَ ، وَتُظْهِرِي بَعْضَ أَدْوَاتِكَ ، وَأَنْتِ بَيْنَ فُرْسَانِ الْكَلَامِ ،
لَمْ يَطِيرْ لَكَ بَعْدَهَا طَائِرٌ ، وَكُنْتَ غَرَضاً لِكُلِّ حَجَرٍ عَابِرٍ . وَأَخَذْتُ لِلْكَلامِ
أَهْبَتَهُ^٤ ، وَلَبِسْتُ لِلْبَيَانِ بَزَّتَهُ ؛ فقلتُ : وَأَنَا أَيْضاً لَا أَعْرِفُ عَلَى مَنْ قَرَأْتُ .
قال الْمُثَلِّي يَقَالُ هَذَا ؟ فقلتُ : فَكَيْفَ مَاذَا ؟ قال : فَطَارَحَنِي كِتَابُ الْخَلِيلِ ،
قلتُ : هُوَ عِنْدِي فِي زَنْبِيلٍ ، قال : فَتَاطَرَعْنِي عَلَى كِتَابِ سَيَبَوِيهِ . قلتُ :
خَرَيْتَ الْهَرَّةَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَعَلَى شَرْحِ ابْنِ دَرَسْتَوِيهِ . فقال لي : دَعْ عَنْكَ ،
أَنَا أَبُو الْبَيَانِ ، قلتُ : لَاهَا اللَّهُ ! إِنَّمَا أَنْتِ كَمُغْنٍ وَسَطٌ ، لَا يُحْسِنُ
فِي طَرِبٍ ، وَلَا يُسِيءُ فِي لَهْيٍ ، قال : لَقَدْ عَلِمْنِيهِ الْمُؤَدَّبُونَ ، قلتُ
لَيْسَ هُوَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن : ٣ - ٤) لَيْسَ
مِنْ شَعْرِ يُفَسِّرُ ، وَلَا أَرْضٍ تُكَسِّرُ ، هِيَهَاتَ حَتَّى يَكُونَ الْمَسْكُ مِنْ أَنْفَاسِكَ ،
وَالْعَبْرُ مِنْ أَنْفَاسِكَ ، وَحَتَّى يَكُونَ مَسَاقُكَ عَذْباً ، وَكَلَامُكَ رَطْباً ، وَنَفْسُكَ
مِنْ نَفْسِكَ ، وَقَلْبُكَ مِنْ قَلْبِكَ ؛ وَحَتَّى تَتَنَاولَ الْوَضِيعَ فَتَرْفَعَهُ ، وَالرَفِيعَ

١ البيت للحطينة ، ديوانه : ١٢٨ .

٢ ط : فقال .

٣ ب س : سكتته (اقرأ : شكتته) .

٤ تكسر : تقاس مساحتها وتقدر

فتَضَعَه ، والقيحَ فتحسَنَه ؟! قال : أسمعني مثلاً ، قلت : حتى تَصِفَ
بُرْغُوثاً فتَقُولَ ١ : أسودٌ زنجي ، وأهليٌ وحشي ، ليس بِيَوَانٍ ولا زُمَيْلٍ ،
وكانَه جزءٌ لا يتجزأ من ليل ، وشُونِيزَةٌ ٢ ، أو ثُبَّتْهَا ٣ غَرِيزَةٌ ، أو
نقطةٌ مِداد ، أو سُوَيْدَاءُ قَلْبٍ قَرَاد ، شُرْبَه عَبٌّ ، ومَشِيه وَثَبٌ ، يَكْمُنُ
نَهَارَه ، ويسري ليلَه ؛ يدارِكُ بطنَ عِوَلَم ، ويستَحِيلُ دمَ كُلِّ مُسْلِمٍ ٤ .
مُسَاوِرٌ لِلْأَسَاوِرَةِ ، يَجْرُ ذيلُه على الجابرة ، يتكفّرُ بأَرْفَعِ الثِّيَابِ ، ويهتِكُ
سِتْرَ كُلِّ حِجَابٍ ، ولا يَحْفِلُ بِبَوَابٍ ؛ يردُّ مَنَاهِلَ العِيشِ العذبة ، ويصلُ
إلى الأَحْرَاجِ الرَطْبَةِ ، لا يُمْنَعُ منه أَمِيرٌ ، ولا يَنْفَعُ فِيهِ غَيْرَةُ غُيُورٍ ، وهو
أَصْفَرُّ ٥ كُلِّ حَقِيرٍ ، شرُّهُ مَبْثُوثٌ ، وعَهْدُهُ مَنكُوثٌ ، وكذلك كُلُّ
بُرْغُوثٍ ؛ كفى بهذا نَقْصاً لِلْإِنْسَانِ ، ودالاً على قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ .

وحتى تصِفَ ثعلباً فتقول ٦ : أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتلِ
حَذِيفَةَ بنِ بَدْرٍ ٧ ؛ كثيرُ الوقائع في المسلمين ، مَغْرَى بِإِراقَةِ دماءِ
المؤذنين ؛ إذا رأى الفُرْصَةَ انتَهزها ، وإذا طَلِبَتَهُ الكُفُوءُ أَعجزها ؛ وهو
مع ذلك بُقْرَاطٌ في إدامِهِ ، وجالِينُوسٌ في اعتدالِ طَعامِهِ ؛ غَدَاؤُهُ حَمَامٌ
أو دَجَاجٌ ، وعِشَاؤُهُ تَدْرُجٌ أو دُرَّاجٌ .

قال أبو عامر : وكان فيما يقابلني من ناديتهم فني قد رماني بطرفه ،

١ اليتيمة ٢ : ٤٦ .

٢ الشونيزه : الحبة السوداء .

٣ ط : أو ثقتها .

٤ اليتيمة : كل كافر ومسلم .

٥ ب س واليتيمة : أحقر .

٦ اليتيمة ٢ : ٤٧ .

٧ قاتل حذيفة هو قيس بن زهير .

واتكأ لي على كفه ، فقال : تَحَيَّلُ على الكلام لطيفٌ وأنيك ! فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الوَاصِفَ إِذَا وَصَفَ شَيْئاً ^١ لم يَتَقَدَّمْ إلى صِفَتِهِ ، ولا سَلَطَ ^٢ الكلامُ على نَعْتِهِ ، اكتفى بِقَلِيلِ الإحسان . واجتزا بيسيرِ البيان ؟ لأنه لم يَتَقَدَّمْ وَصَفٌ يُقَرَّنُ بِوَصْفِهِ ، ولا جرى مَسَاقُ يُضَافُ إلى مَسَاقِهِ ، وهذه نَكْتَةُ بَغْدَادِيَّةٍ ، أُنِيَ لَكَ بِهَا يَا فَيَّ الْمَغْرِبُ ؟ فقلتُ : لَزُهَيْرِ : من هذا ؟ قال : زُبْدَةُ الْحَقَبِ ، صَاحِبُ بَدِيعِ الزَّمَانِ . فقلتُ : يَا زُبْدَةَ الْحَقَبِ ، اقْرَحْ لِي . قال : صِفْ جَارِيَةً ، فَوَصَفْتُهَا : قال : أَحْسَنْتَ مَا شِئْتَ أَنْ تُحْسِنَ ؛ قلتُ : أَسْمَعُنِي وَصْفَكَ لِلْمَاءِ ، قال : ذَلِكَ مِنَ الْعُقْمِ [قلت : بِحَيَاتِي هَاتِهِ ، قال :] أَزْرَقُ كَعَيْنِ السَّنُورِ ، صَافٍ كَقَضِيبِ الْبِلْتُورِ ؛ انْتُخِبَ مِنَ الْفُرَاتِ ، وَاسْتَعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ ، فَجَاءَ كِلْسَانَ الشَّمْعَةِ ، فِي صَقَاءِ الدَّمْعَةِ .

فقلتُ ^٣ : انظُرْهُ يَا سَبَّيْدِي كَأَنَّهُ عَصِيرُ صَبَاحٍ ، أَوْ ذَوْبُ قَمَرٍ لَيَّاحٍ ؛ لَهُ فِي إِنْائِهِ ، انْصِبَابُ الْكُوكَبِ مِنْ سَمَائِهِ ؛ الْعَيْنُ حَانُوتُهُ ، وَالْقَمُ عَفْرِيَّتُهُ ، كَأَنَّهُ خَبِيطٌ مِنْ غَزَلٍ فَلَقِي ، أَوْ مَخْصَرٌ يَضْرِبُ بِهِ مِنْ وَرَقٍ ؛ يَرْفَعُ عَنْكَ فَتَرْدَى ، وَيُصْدَعُ بِهِ قَلْبُكَ فَتَحْيَا .

فلما انتهيتُ فِي الصَّفَةِ ، ضَرَبَ زُبْدَةُ الْحَقَبِ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ . فانفجرتْ لَهُ عَنْ مِثْلِ بَرَهَوْتٍ ^٤ ، وَتَدَهَدَى إِلَيْهَا ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ، وَغَابَتْ عَيْنُهُ ، وَانْقَطَعَ أَثَرُهُ . فَاسْتَضْحَكَ الْأُسْتَاذَانِ مِنْ فِعْلِهِ ، وَاشْتَدَّ

١ ب س : موصوفاً .

٢ ب س : مرد (اقرأ : سدد) .

٣ اليتيمة ٢ : ٤٦ .

٤ برهوت : واد أو شر بحضرموت يرون أنها مقر أرواح الكفار .

غَيْظُ أَنْفِ النَّاقَةِ عَلِيٌّ فَقَالَ : وَقَعَتْ لَكَ أَوْصَافٌ فِي شِعْرِكَ تَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُهَا ؟ فَقُلْتُ لَهُ : وَحَتَّى تَصِفَ عَارِضاً فَتَقُولَ ١ :

وَمُرْتَجِزٍ أَلْقَى بَذِي الْأَثْلِ كُلِّكَلاَّ
سَعَى فِي قِيَادِ الرِّيحِ يُسْمِحُ لِلصَّبَا
وَمَا زَالَ يُرْوِي التُّرْبَ حَتَّى كَسَا الرُّبَى
وَعَنْتَ لَهُ رِيحٌ تُسَاقِطُ قَطْرَهُ
وَلَمْ أَرْ دُرّاً بَدَّدَتْهُ يَدُ الصَّبَا
وَبَيْنَا نُرَاعِي اللَّيْلَ لَمْ نَطْوِ بُرْدَهُ
تَرَاهُ كَمَمَلِكِ الزَّنْجِ فِي فَرْطِ كِبَرِهِ
مُطِلاً عَلَى الْآفَاقِ وَالْبُدُرِ تَاجُهُ
وَحَتَّى تَصِفَ ذَنْباً فَتَقُولَ ٢ :

أَجْدَّ لِعِرْفَانِ الصَّبَا يَنْتَفِسُ
تَوَاتَتْهُ أَحْرَاسٌ ٣ مِنَ الدُّعْرِ تَحْرُسُ
حَيْثُ ٤ إِذَا مَا اسْتَشْعَرَ اللَّحْظَ يَهْمَسُ
طَيَّالِسَ ٥ سَوْدَاً لِلدُّجَى وَهُوَ أَطْلَسُ
تَرَى نَارَهُ ٦ مِنْ مَاءِ عَيْنِهِ تَقْبَسُ
إِذَا اجْتَاَزَ عَلْوِيُّ الرِّيَاحِ بِأَفْقِهِ
تَذَكَّرَ رَوْضاً ذَا ٧ شَوِيٍّ وَبَاقِرِ
إِذَا انْتَابَهَا مِنْ أَذْوَابِ الْقَفْرِ ٨ طَارِقُ
أَزَلَّ كَمَا جُثْمَانُهُ مُتَسَتِّراً
فَدَلَّ عَلَيْهِ لِحْظُ خَيْبٍ مُخَادِعِ

١ ديوان ابن شهيد : ١٢١ .

٢ ديوان ابن شهيد : ١١٩ .

٣ ط : من .

٤ ب س : الصمب .

٥ ب س : الليل .

٦ ط : خبيث .

فصاح فتیانُ الجِنِّ عند هذا البيت الأخير : زَاهٍ ! وعلتْ أنفَ الناقةِ
 كآبةً . وظهرتْ عليه مهابةٌ ١ . واختلط كلامُهُ . وبدأ منه ساعتئذٍ بوادٍ
 في خطابه . رَحِمَهُ لها من حَضَرٍ . وأشفقَ عليه من أجْلِهَا من نظرٍ .
 وشَمَرَ لي فتى كان إلى جانبه عن ساعِدٍ . وقال لي : وهل يَضُرُّ قَرِيحَتَكَ
 أو يَنْقُصُ من بديهِتِكَ أو تَجَافَيْتَ لأنفِ النَّاقَةِ وصبرتَ له ؟ فإنه على علاقَتِهِ
 زِيرُ علم وزنبيل فهمم وكَتَفُ رواية . فقلتُ لزهير : من هذا ؟ فقال : هو
 أبو الآداب صاحبُ ٢ أبي إسحاق بن حمامٍ جاريك . فقلتُ : يا أبا الآداب .
 وزهرة رِجَاحَةِ الكُتَّاب . رِفْقاً على أخيك بَغْرَبٍ لسانِكَ . وهل كان
 يَضُرُّ أنفَ النَّاقَةِ . أو يَنْقُصُ من علمه . أو يَفْلُ شَفَرَةُ فهمه . أن يصبرَ
 لي على زَلَّةٍ تَمَرُّ به في شِعْرِ أو خُطْبَةٍ . فلا يَهْفُ بها بين تلاميذه . ويجعلها
 طَرْمَدَةً ٣ من طراميده ؟ فقال : إنَّ الشُّيُوخَ قد تَهَفَوْا أحلامَهُمْ في الذِّمَّةِ .
 فقلت : إنها المرَّةُ بعد المرَّةِ . ثم قال لي الأستاذانِ عُتْبَةُ بن أرقم وأبو
 هُبَيْرَةَ صاحبُ عبد الحميد : إِنَّا لَنَخْطِطُ مِنْكَ بِيَدَاءِ حَيْرَةٍ . وتفتقُ
 أَسْمَاعُنَا مِنْكَ بَعِيرَةٍ . وما نَدْرِي أنقولُ : شاعرٌ أمْ خَطِيبٌ ؟ فقلتُ :
 الإنصافُ أولى . والصدِّعُ بالحقِّ أحجى . ولا بُدَّ من قضاء . فقالا :
 اذهبْ فإنك شاعرٌ خَطِيبٌ . وانفضَّ الجمعُ والأبصارُ إليَّ ناظِرَةً ، والأعناقُ
 نحوي مائلة .

قال ابن بسَّام : وامتدَّ بأبي عامرٍ الكلامُ في هذا الباب . ومدَّ فيه
 أطنابَ الإطنابِ والإسهاب . فلذلك وقفتُ دونَ الغاية . وقطعتُ قبلَ
 النهاية .

١ ط : مهابة . ٢ ب س : نايعة .

٣ الطرمذة : المفاخرة والسفج .

قوله في ما عرّض به لصاحب أبي تمام : « بعمره والقمر الطالع ،
والرقعة المفكوكة الطابع » أشار إلى قول أبي تمام في غلامه ١ :

يا عمرو قلّ للقمر الطالع انتسع الخرقُ على الراقع
يا طول فكري فيك من حامل لِرُقعة ٢ مَفْكُوكَة الطابع
ما أنت ٣ إلا رَشَأٌ خاذلٌ حلّ بمغنى أسدٍ جائع

وحكى الصولي في أخباره قال ٤ : كان أبو تمام يتعشقُ غلاماً
خَزَرِيّاً للحسن بن وهب . وكان الحسنُ يتعشقُ غلاماً رُومِيّاً لحبيب .
فراه يعبثُ بغلامه فقال له : والله لئن سِرتَ إلى الروميّ لأسيرنَّ إلى
الخزريّ . فقال الحسن : لو شئتُ حكمتنا واحتكمت ! فقال أبو
تمام : أنا أشبهك بدادود عليه السلام ، وأشبهني أنا بخصمه . فقال الحسن :
لو كان هذا منظوماً ٥ ! فقال أبو تمام من جملة آيات :

أذكرتني أمرَ داودٍ وكنتُ فتى مصرّفَ القلبِ في الأهواء والفكر ٦
أعندك الشمسُ لم يحظَ المغيّبُ بها وأنت مُشْتَغِلُ الأَحوالِ ٧ بالقمر؟
إن أذت لم تتركِ السيرَ الحثيثَ إلى جاذِرِ الرومِ أعنقنا إلى الخزر
ورُبَّ أَمْنَعٍ منه جانباً وحمى أَمسى وتِكْتُهُ مني على خطَرِ

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٣٨٦ .

٢ الديوان : صحيفة .

٣ الديوان : هل أنت .

٤ أخبار أبي تمام : ١٩٤ - ١٩٩ ، وانظر التمر في ديوانه ٤ : ٤٦٣ .

٥ الصولي : لو كان هذا منظوماً ختمناه ، أما مثوراً فهو عرّض لا حقيقة له .

٦ الصولي : والذكر .

٧ الصولي : مضطرب الأحشاء ؛ الديوان : متبل الأحشاء .

جَرَدَتْ فِيهِ جُنُودُ الْعِزِّ فَأَنْكَشَفَتْ عَنْهُ غِيَاهِبُهَا عَنْ نَيْكَةِ مَدَرٍ
أَنْتَ الْمَقِيمُ فَمَا تَعْدُو رَوَاحِلُهُ وَأَيُّرُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرٍ
وَقِيلَ لِأَبِي تَمَامٍ : غُلَامُكَ أَطْوَعُ لِلْحَسَنِ مِنْ غُلَامِهِ لَكَ . قَالَ : أَجَلٌ
لَأَنَّ غُلَامِي يَجِدُ عِنْدَهُ مَالًا ، وَأَنَا أُعْطِي غُلَامَهُ قِيْلًا وَقَالَا .

وَكَانَ ابْنُ الزُّبَايَةِ قَدْ وَقَفَ عَلَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا فِي غُلَامِيهِمَا ، فَاتَّفَقَ أَنْ
عَزَمَ يَوْمًا غُلَامُ أَبِي تَمَامٍ عَلَى الْإِحْتِجَامِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَسَنِ يَعْلِمُهُ بِذَلِكَ ،
وَيَسْتَدْعِيهِ مَطْبُوحًا . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمَائَةِ زُقٍ ١ وَمِائَةِ دِينَارٍ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ
بشِعْرٍ يَقُولُ فِيهِ :

لَيْتَ شِعْرِي يَا أَمْلَحَ النَّاسِ عِنْدِي هَلْ تَدَاوَيْتَ بِالْحِجَامَةِ بَعْدِي ؟
دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ لِي كُلَّ سُوءٍ بَاكِرٍ رَائِحٍ وَإِنْ خُنْتُ عَهْدِي
قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى بِمَبْلَغِ جَهْدِي فَبَدَا مِنْهُ غَيْرٌ مَا كُنْتُ أَبْدِي
وَتَخَلَعْتُ الْعِذَارَ إِذْ عَلِمَ النَّاسُ بَأَنِّي إِتَاكَ أَصْفَى بُودِي
فَلْيَقُولُوا بِمَا أَحَبُّوا إِذَا كُنْتُ تَ وَصُولًا وَلَمْ تَرُعْنِي بِصَدِّ

وَاتَّفَقَ أَنْ وَضَعَ الرُّقْعَةَ تَحْتَ مُصَلَّاهُ . وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَايَةِ
خَبَرَهَا ، فَوَجَّهَ إِلَى الْحَسَنِ مِنْ شَغْلِهِ بِالْحَدِيثِ . وَأَمْرٌ مِنْ جِأَةٍ
بِتِلْكَ الرُّقْعَةِ ، فَفَكَّهَا وَقَرَأَهَا وَكَتَبَ فِيهَا عَلَى اسْمِ أَبِي تَمَامٍ :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لَيْتَ شِعْرِي هَذَا أَهْزَلِ تَقُولُهُ أَمْ بِجِدِّ ؟

فَلَتَيْنِ كُنْتَ فِي الْمَقَالِ مُجِدّاً^١ يَا ابْنَ وَهْبٍ لَقَدْ تَطَرَّفْتَ بَعْدِي
وَتَشَبَّهْتَ بِي وَكُنْتُ أَرَى أَنْتَ يَ أَنَا الْعَاشِقُ الْمُتَمِّمُ وَحْدِي
لَا أَحِبُّ الَّذِي يَكُومُ وَإِنْ كَا نَحْرِصُ عَلَى صِلَاحِي وَرُشْدِي
بَلْ أَحِبُّ الْأَخَ الْمُشَارِكَ فِي الْحُبِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ مِثْلُ وَجْسِي
كَنَادِي أَبِي عَلِيَّ وَحَاشَا لَنَدِي مِنْ مِثْلِ شِقْوَةِ جَدِّي
إِنَّ مَوْلَايَ عِنْدَ غَيْرِي وَلَوْلَا شَوْمُ جَدِّي لَكَانَ مَوْلَايَ عِنْدِي

ثم قال : ضَعُوا الرُّقْعَةَ مَكَانَهَا . فَلَمَّا قَرَأَهَا الْحَسَنُ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ !
افْضَحْنَا وَاللَّهِ عِنْدَ الْوَزِيرِ ! وَأَعْلَمُ أَبَا تَمَّامٍ بِمَا جَرَى . وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالرُّقْعَةِ .
فَلَقِيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَقَالَا لَهُ : إِنَّمَا جَعَلْنَا هَذَيْنِ الْغَلَامِينَ سَبَبًا لَتَكَاتِبُنَا
بِالشُّعَارِ . فَلَا يَظُنُّ الْوَزِيرُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — إِلَّا خَيْرًا . فَقَالَ : وَمَنْ يَظُنُّ
غَيْرَ هَذَا بِكُمَا ؟ فَكَانَ قَوْلُهُ أَشَدَّ عَلَيْهِمَا .

رجع :

قال ابن بسام : قال ابن حيان : وكان أبو القاسم المعروف بابن الإفيلي^٢
الذي به عَرَضَ . وجعله الغَرَضُ . قد بدَّ أَهْلَ زَمَانِهِ بِقَرِطَةِ . في علم
اللسان العربي . والضَّبْطِ لِغَرِيبِ اللُّغَةِ ، في ألفاظِ الشُّعَارِ الجَاهِلِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِيَّةِ . والمُشَارَكَةِ في بعضِ معانيها . وكان غيوراً على ما يَحْمِلُ
من ذلك الفَنِّ . كثيرَ الحَسَدِ فيه . رَاكِباً رَأْسَهُ في الخَطَأِ الْبَيِّنِ إِذَا تَقَلَّدَهُ

١ التصحيح

٢ أو الغرام إبراهيم بن محمد بن زكرياء المرثي الرهري المعروف بذي النمل (٣٥٢ -
٤٤١) : انظر ترجمته في الصلة : ٩٥ وانباء الرواة : ١ : ١٨٣ وابدوة : ١٤٢ راجعه
رقم : ٤٨٥ ومعجم الأدياء : ٢ : ٤ وابن خلكان : ١ . ٥١ .

أو نشب فيه ، يُجادِلُ عليه ، ولا يصرفه صارفٌ عنه . وعَدِمَ علمَ العروضِ ومعرفته مع احتياجه إليه ، وإكمال صناعته به ، فلم يكن له شُرُوعٌ فيه . وكان لحِقَ الفِتنَةِ البربريّةِ بقرطبة ، ومضى الناسُ من حائِثٍ وظاعنٍ ، فازدَلَفَ إلى الأمراءِ المتداولين بقرطبة من آل حَمَّود ومن تلاهم إلى أن نالَ الجاه .

واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكني بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه جانباً من البلاغة . لأَنه كان على طريقةِ العلّامين المتكلّفين ، فلم يَجْرُ في أساليب الكتابِ المطبوعين فزُهيد فيه . وما بلغني أَنه أَلَفَ في شيءٍ من فنونِ المعرفةِ إلا كتابه في شعرِ المتنبي لا غير . ولحقته تَهمةٌ في دينه في أيام هِشامِ الرواني في جُمْلَةٍ من تُتَبِّعَ من الأطباءِ في وقته كابن عاصمِ الشبانسي^١ والحمّار^٢ وغيرهم . وطُلبَ ابنُ الإفليلي وسُجِنَ بالمطبّق ، ثم أُطلق . وفيه يقول موسى بن الطائف^٣ من قصيدة :

يا مبصراً عَمِيَتْ نَوَاطِرُ فَهْمِهِ عَنْ كُنْهِ عَرْضِي فِي الْبَدِيعِ وَطَوَلِي

٣

١ ط : النياقي (اقرأ : النياقي) ؛ وفي ب س : السباسي ، وفي ابن أبي أصيبعة (٢) : (٤٧) السباسي ؛ والشبانسي هو قاسم بن محمد القرشي المرواني ، ذكر ابن حرم أنه قرأ وشهد عليه عند القضية بما يوجب القتل فسجن ، ثم تشفع إلى المنصور ابن أبي عامر فاطلته (الخلوة : ٣١٠ والبنية رقم : ١٢٩٦) .

٢ الحمّار هو سميد بن فتحون السرقسطي . وقد ذكر أنه امتحن من قبل المنصور وسجن مدة (الفخر الخلوة : ٢١٦ والبنية رقم : ٨١٣ وطبقات صاعد : ٦٨ والذيل والتكملة ٤ . ٥٠ وبنية الوعاء : ٢٥٦) .

٣ موسى بن الطائف : ذكر الحميدي (الخلوة ، ٣١٧ والبنية رقم : ١٣٢٥) أنه كان تلميذاً مشهوراً أيام المنصور بن أبي عمر ، ونسب إليه الأبيات ولا تنسني من سحتك المكتوب رهي . بيت أوردها ابن بسام في القمم الثالث : ٣٢٠ - ٣٢١ لابن مهران السرقسطي . وانظر بعض عجائزه هذا في الغيت ٢ : ١٢٣ .

او كنت تعقل^١ ما جهلت مقاومي
 ولئن ثلبت الشعر وهو أباطل^٢
 واخلعت ربقي الدين عنك منابذاً
 وأقمت للجُهلِ مثلك في الغبا
 ومن المغايط أن تكون مُقلداً
 تعتل في الأمر الصحيح مُعانداً
 وتظن أنك من فتوي موسى^٣
 سبسل رُوحك من خبيث قراره
 وأخص سيف الدولة الملك الرضى
 وأريك رأي العين أنك ذرة^٤

من ضاق فرسخه بخطوة ميل
 فلقد ثلبت حقائق التنزيل
 ولبت ثوب الزينج والتعطيل
 علماً مشيت أمامه برعيل
 علماً ، ولو مقدار وزن فتيل
 أبداً وفهمك علة الملول
 وكثير شأنك لا يتي بقليل
 تأثير هذا الصارم المصقول
 ليُعيد عقد رباطك المحلول
 عبثت بها مني قوائم فيل

رجع الحديث إلى أخبار ابن شهيد

قال أبو عامر : وحضرت أنا أيضاً وزهير مجلساً من مجالس الجن .
 فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني . ومن زاد فأحسن الأخذ . ومن
 قصر ، فأنشد قول الأفوه بعض من حضر :

وتسرى الطير على آثارنا رأي عيني ثقة أن ستمار^٢

وأنشد آخر قول النابغة^٣ :

١ ب س : تعلم .

٢ بيت الأفوه في ديوانه (الطرائف الأدبية : ١٣) والخزانة ٢ : ١٩٦ وزهر الآداب : ١٠٠٠ والصناعتين : ٢٢٥ والوساطة : ٢٧٤ .

٣ انظر ديوان النابغة : ٥٧ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٥ والوساطة : ٢٧٤ والمطرب : ١٦٢ .

إذا ما غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ
عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَابِ
تَراهُنَّ خَلَفَ الْقَوْمَ خُزْرًا عِيُونَهَا
جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ
إِذَا مَا التَّقَى الْجَيْشَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

وَأَنشَدَ آخِرُ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ ١ :

تَتَأْتِي الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ
ثِقَةً بِالشَّيْبِ مَنِ جَزَرَهُ

وَأَنشَدَ آخِرُ قَوْلَ صَرِيعِ الْغَوَانِي ٢ :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا
فَهْنٌ يَتْبَعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ

وَأَنشَدَ آخِرُ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ ٣ :

وَقَدْ ظَلَمْتُ عَقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحَى
بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّيَّاتِ ٤ حَتَّى كَانَهَا
مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ

فَقَالَ شَمْرَدَلُ السَّحَابِي : كُلُّهُمْ قَصَرَ عَنِ النَّابَةِ ، لِأَنَّهُ زَادَ فِي
الْمَعْنَى ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الطَّيْرَ إِنَّمَا أَكَلَتْ أَعْدَاءَ الْمَدُوحِ ، وَكَلَامُهُمْ كُلُّهُمْ

١ ديوان أبي نوَّاس : ٦٩ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٦ والوراطة : ٢٧٤
والمطرب : ١٦١ .

٢ ديوان صريع الغواني : ١٢ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٦ والمطرب :
١٦٢ .

٣ ديوان أبي تَمَّامٍ ٣ : ٨٢ وزهر الآداب : ٩٩٨ والصناعتين : ٢٢٦ والوراطة :
٢٧٤ والمطرب : ١٦٢ .

٤ ب س : الفرسان .

مشارك محتمل أن يكونَ صيداً ما نواهُ الشاعر ، وإن كان أبو تمامٍ قد زاد في المعنى : وإتما المحسنُ المتخلصُ المتنبي حيث يقول ١ :

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى . بها عسكراً لم تبقَ إلا جماجيمه

وكان بالحضرة فتى حسنُ البزّة ، فاحتدّ لقولِ شمرّدك ، فقال : الأمرُ على ما ٢ ذكرت يا شمرّدك ، ولكن ما تسألُ الطيرُ إذا شيعتُ أي القبيلين الغالب . وأما الطيرُ الآخر فلا أدري لأي معنى عافتِ الطيرُ الجماجمَ دونَ عظامِ السّوقِ والأذرعِ والفيقاراتِ والعصاعيصِ ؟ ولكن الذي خلّص هذا المعنى كلّهُ ، وزاد فيه ، وأحسنَ التركيبَ ، ودلّ بلفظة واحدة على ما دلّ عليه شعر النابغة وبيت المتنبي ، من أن القتلَ الّتي أكلتها الطيرُ أعداءُ المدوحِ ، فاتكُ بنُ الصّقعبِ في قوله ٣ :

وتدري سباعُ الطيرِ أنْ كُلماته إذا لقيتَ صيدَ الكُمامةِ سباعُ
لنَّ لُعابُ في الهواءِ وهزّةٌ إذا جدَّ بين الدّارعينِ قراعُ
تطيرُ جياعاً فوقه وتردُّها ظُباهُ إلى الأوكرِ وهي شباعُ
تملكُ بالإحسانِ ربقةَ رِقها فهُنَّ رقيقٌ يشتري وياعُ

١ ديوان المتنبي : ٢٤٧ والمطرب : ١٦٢ .

٢ ط : كما .

٣ أورد ابن خلكان (١ : ١١٧) بيتين من هذه القصيدة ، ونسبهما لابن شهيد ، ولعله تابع في ذلك صاحب المطرب : ١٦١ ؛ ونرى ابن شهيد هنا ينسب الأبيات إلى جني اسمه ناتك ابن الصقعب ، فهل هو يعني نفسه ؛ إن جنيهِ هو زهير لا فاتك ، فهل كان له غير تابع واحد ؟ يبدو ذلك ، لأن هذا الجني نفسه هو الذي استطاع أن يأخذ معنى امرئ القيس « سموت إليها ... » البيت ، وأن يحلّه في أبياته « ولما تملأ من سكره » ؛ وهذا أمر معروف من فعل ابن شهيد والأبيات ثابتة له ؛ فلماذا اختار ابن شهيد في هذا الموقف أن يكون له تابعان ؟ وقد أدرجت الأبيات العينية في ديوان ابن شهيد : ١٢٣ .

وَالْحَمَّ مِنْ أَفْرَاحِهَا فَهِيَ طَوَّعُهُ لَدَى كُلِّ حَرْبٍ وَالْمُلُوكُ تُطَاعُ
تُصَاصِعُ جِرْحَاهَا فَيُجْبِئُهُ نَقْرُهَا عَلَيْهِمِ وَالطَّيْرِ الْعِتَاقِ مِصَاعُ

فَاهْتَزَّ الْمَجْلِسُ لِقَوْلِهِ ، وَعَلِمُوا صِدْقَهُ . فَقُلْتُ لَزْهَرٍ : مَنْ فَاتِكَ بَنُ
الصَّفْعُبِ ؟ قَالَ : يَعْنِي نَفْسَهُ . قُلْتُ لَهُ : فَهَلَّا عَرَّفْتَنِي شَأْنَهُ مِنْذُ حِينَ ؟
[إِنِّي لَأَرَى نَزَعَاتٍ كَرِيمَةً] . وَقَمْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ جَلِيسَةً الْمَعْظَمِ لَهُ . فَاسْتَدَارَ
نَحْوِي ^١ . مَكْرَمًا لِمَكَانِي ، فَقُلْتُ : جَدَّ أَرْضُنَا — أَعَزَّكَ اللَّهُ — بِسَعَابِكَ . وَأَمَلَرْنَا
بِعُيُونِ آدَابِكَ ؟ قَالَ : سَلْ عَمَّا شِئْتُ ، قُلْتُ : أَيُّ مَعْنَى سَبَقَكَ إِلَى الْإِحْسَانِ
فِيهِ غَبْرُكَ . فَوَجَدْتَهُ حِينَ رُمْتَهُ صَعْبًا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْكَ نَفَذْتَ فِيهِ ؟ قَالَ : مَعْنَى
قَوْلِ الْكَنْدِيِّ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^٢

قُلْتُ : أَعَزَّكَ اللَّهُ ، هُوَ مِنَ الْعُتَمِ . أَلَا تَرَى عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ مِنْ
أَطْبَعِ النَّاسِ . حِينَ رَامَ الدُّنْيَا مِنْهُ وَالْإِلَامَ بِهِ ، كَيْفَ افْتَضَحَ فِي قَوَاهِ :

وَنَقَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مَشِيَّةَ الْ حُبَابِ وَرُكْنِي خَيْفَةُ الْقَوْمِ أَزُورُ ^٣

قَالَ : صَدَقْتَ ، إِنَّهُ أَسَاءَ قَسَمَةَ الْبَيْتِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُلَطِّفَ التَّوَصُّلَ . فَجَاءَ
مَقْبَلًا بِرُكْنٍ كَرُكْنِهِ أَزُورُ ^٤ ؛ فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ مِنْهُ ، وَمَا زِلْتُ مُقَدِّمًا لِهَذَا
الْمَعْنَى رِجْلًا ، وَمُؤَخَّرًا عَنْهُ أُخْرَى ، حَتَّى مَرَرْتُ بِشَيْخٍ يَعْلَمُ بِنَبَأِ لَهُ صِنَاعَةُ

١ ط : حَوْلِي .

٢ ديوان امرئ القيس : ٣١ .

٣ ديوان عمر : ١٢٣ وفيه « خَشْيَةُ الْقَوْمِ » .

٤ ب س . بَرَكَنُ أَزُورَ كَرُكْنِ أَزُورَكُمْ ذَلِكَ .

الشعر وهو يقول^١ له : إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تراكيبه وأرق حاشيته ، فاضرب عنه جملة ، وإن لم يكن بدّ ففي غير العروض التي تقدّم إليها ذلك المحسن^٢ ، لتنشط^٣ طبيعتك ، وتقوى متنتك ، فتذكرت قول الشاعر وقد كنت أنسيته^٤ :

لَمَّا تَسَامَى النّجْمُ فِي أَفْقِهِ وَلاَحَتِ الْجَوَازُءُ وَالْمِرْزَمُ^٥
أَقْبَلْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيفٌ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكَمَلِهِ الْأَرْقَمُ^٦
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ صَدَقَ ، وابن أبي ربيعة لو ركب غير عروضه
لَخَلَصَ^٧ ، فقلت أنا في ذلك :

وَلَمَّا تَمَلَّأَ مِنْ سُكْرِهِ فَنَامَ وَنَامَتِ^٨ عَيُونُ الْعَمَسِ^٩
دَنَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بَعْدِهِ دُنُوٌّ رَفِيقٌ دَرَى مَا التَّمَسُ^{١٠}
أَدَبٌ إِلَيْهِ دِيبَ الْكَرَى وَأَسْمُو إِلَيْهِ سُمُو النَّقَسِ^{١١}
وَبِتُّ بِهِ لِبَلِّي نَاعِمًا إِلَى أَنْ تَبْعَمَ ثَغْرُ الْغَالِسِ^{١٢}
أَقْبَلُ مِنْهُ بَيَاضَ الطُّلَا وَأَرُشِفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ^{١٣}
فَقَمْتُ وَقَبَلْتُ عَلَى رَأْسِهِ ، وقلت : لله درّ أهلك !

١ ب س : لتنشط .

٢ البيتان لاسماعيل بن يسار من قصيدة له في الأغاني ٤ : ١٧٠ وذكر أبو الفرج (٤١٨)
أن فيهما غناء لابن سريج ، وأنه غنى^{١٤} في حضرة الوليد بن يزيد ، وانظر أيضاً
الأغاني ٩ : ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٢٨٤ (٣) الأغاني (٩ : ٢٨١) .

حتى إذا الليل غبا ضوءه وغابت

٤ الأغاني : خفي .

٥ ب س : فقلت .

٦ ب س : لتخلص .

٧ ب س : وملت .

٨ ب س : دنا فالتمس .

قال ابن بسّام : وذكر بعض الرواة^١ ان هذين البيتين . [نعي
البيتين المتقدمين على شعر أبي عامر] ، غنى بهما في مجلس الوائق
مُخارقٌ . فطرب واستملح معناهُما ، وقال الواثق :

قالت إذا اللَّيْلُ دجا فَأَتَيْنَا فَجِئْتُهَا حين دجا اللَّيْلُ
خفيًا وَطَوَّ الرجل من حارسٍ ولو درى حلَّ بي^٢ الوَيْلُ
وأُشد بعضهم لأبي دَهَبَل الجُمحي^٣ :

قالت : إذا ما جِئْنَا فَأَتَيْنَا لَيْلاً إذا ما هَجَعَ السَّامِرُ
واسقُطْ علينا كسقوطِ النَّدى لَيْلَةً لا ناهٍ ولا زاجِرُ

قال أبو عامر : فقال لي قاتلكُ بنُ الصَّقَّع : فهل جاذبتُ^٤ أنت
أحدًا من الفُحول ؟ قلتُ نعم ، قولَ أبي الطَّيِّب^٥ :

أَخْلَعُ المجدَ عن كَتفي وَأُطْلِبُهُ وَأَتْرُكُ الغَيْثَ في غمدي وَأَنْتَجِعُ
قال لي : بماذا ؟ قلتُ بقولي^٦ :

١ انظر الأغاني ٩ : ٢٨١ - ٢٨٢ .

٢ ب س : به ، وأثبت رواية ط والأغاني .

٣ ينسب هذا الشعر لوضاح اليمن ، انظر الأغاني ٦ : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وروايته : قالت
لقد أعبيتنا حجة ، فأث ... البيت . وانظر الفوات ٢ : ٢٧٢ في ترجمة وضاح اليمن
(واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال) وهذيل بن عساكر ٧ : ٢٩٥ .

٤ ب س : جاريت .

٥ ديوان المتنبي : ٣٠٢ .

٦ انظر ما تقدم ص : ٢٤٩

ومن قُبّةٍ لا يُدْرِكُ الطرفُ رأسَهَا
إذا زاحمتُ منها المخارِمَ صَوَّبَتْ
تكلّفتُها والليلُ قد جاشَ بجره
ومن تحتِ حضني أبيضٌ ذو سفاسيق
هما صاحباي من لدُنْ كُنْتُ يافعاً
فذا جدولٌ في الغمدِ تسقى به المني
تَزِلُ بها رِيحُ الصَّبَا فتَحْدَرُ
هُويّاً على بعدِ المدى وهي تَجَارُ
وقد جعلتُ أمواجهُ تَتَكَسَّرُ
وفي الكَفِّ من عَسَالَةِ الخطِّ أَسْمَرُ
مُقِيلَانِ من جَدِّ الفَتَى حينَ يعثرُ
وذا غُصْنٌ في الكَفِّ يُجَنِّى فيثمرُ

فقال : والله لئن كان الغيثُ أبلغ . فلقد زدتَ زيادةً مليحةً طريفة .
واخترعتَ معاني لطيفة . هل غيرُ هذا ؟ قلتُ : وقوله أيضاً ^١ :

وَأَظْمَأَ فلا أَبْدِي إلى الماءِ حَاجَةً
وَالشَّمْسُ فوقَ اليَعْمَلاتِ لُعَابُ
قال : بماذا ؟ قلتُ : بقولي ^٢ :

ولم أنسَ بالنَّارِ وأوسَ أَيْامَتَا الأَلَى
وَفَتِيَّةَ ضَرْبٍ من زَنَانَةٍ مُمَطَّرِ
وقفنا على جمرٍ من الموتِ وَقْفَةً
إذا الشمسُ رامتْ فيه أَكَلِ لَحُومِنَا
بها أَيْنُنَا ^٣ مَجْبُوبُهَا وَجَابُهَا
بِوَبَلِ المنايا طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا
صِلِي لَظَاهُ دَابُّ قومي وَدَابُهَا
جَرَى جَشَعاً فوقَ الجِيَادِ لُعَابُهَا

فصاح صبيحةً مُنْكَرَةً من صِيَاحِ الجَنِّ كَادَ يُنْخَبِ ^٤ لها فُوَادِي
فَرَزَعاً والله منه .

١ ديوان المتنبي : ٤٧٩ .

٢ ديوان ابن شهيد : ٩٥ .

٣ ط ب : أَيْنَا .

٤ ب س : لمومها .

ه ب س : ينجب .

وكان بنجوةً منا جنيّ كأنه هضبة لركائيه وتقْبُضِه . يحدّق في
دُونهم ، يرميني بسهمين نافذين . وأنا ألوذُ بطرفي عنه ، وأستعيدُ
بالله منه ، لأنه مَلَأُ^١ عيني ونفسي . فقال لي لمّا انتهيتُ ، وقد استخفّه
الحسد : على من^٢ أخذتَ الزمير ؟ قلتُ : وإنما أنا نفاخٌ عندك منذُ اليوم ؟
قال : أجل ! أعطينا كلاماً يرعى تِلَاعَ الفصاحة . ويستحيمُ بماءِ العُدوبةِ
والبراعة . شديدَ الأسرِ جيدَ النظام ، وضعّه على أيّ معنى شئت . قلتُ :
كأيّ كلام ؟ قال : ككلامِ أبي الطيّب^٣ :

نزلنا على الأكوارِ نمشي كرامةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا
لَنَدُمُ السَّحَابَ الغُرَّ في فعلِها به وَتُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبَا

وكفوله^٤ :

أرأيتَ أكبرَ هِمّةٍ مِن نَاقِي حملتُ يداً سُرْحاً وخُفّاً مجمرا
نرکت دُخانَ الرّمثِ في أوطانها طلباً ليقومَ يوقِدُونَ العنبرا
وترَفَعَتْ رُكَبَاتُهَا عن مَبْرَكِ تقعانِ فيه ، وليس ميسكاً أذقرا
فَأَتَتِكَ دَامِيَةَ الأظَلِّ كَأَتَمَّا حُدَيْتَ قَوَائِمُهَا العقيقَ الأحمرَا

وكفوله^٥ :

١ ب س : كان ملّ.

٢ ب س : عن .

٣ ديوان المتنبي : ٣١٨ .

٤ ديوان المتنبي : ٥٤٠ - ٥٤١ .

٥ ديوان المتنبي : ٢٩٤ ، وفي ط : كل ظالم

على كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّمَا
لَهَا تَحْتَهُمْ^١ زِيُّ الْقَوَارِسِ فَوْقَهَا
وَمَا ذَاكَ بِخُلَاٍّ بِالْأَنفُسِ عَلَى الْقَنَا
مِنَ الدِّمْرِ يَسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يَطْعَمُ
فَكُلُُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَنَائِمٌ
وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ

فَأَدْنِي وَاللَّهِ بِمَا^٢ قَرَعَ بِهِ سَمْعِي . وَقُلْتُ لَهُ : أَيُّ مَاءٍ لَوْ كَانَ مِمَّنْ
جِمَامِكَ . وَاسْتَهَلَّتْ بِهِ عَيُونُ غَمَامِكَ ! ثُمَّ اسْتَفْدَمْتُ^٣ فَأَنْشَدْتُهُ^٤ :

وَلَرُبَّ لَيْلٍ لِلْهَمِّ تَهَدَّلَتْ
كَالْبَحْرِ يَضْرِبُ وَجْهَهُ فِي وَجْهِهِ
طَاوِلَتُهُ مِنْ عَزَمَتِي بِمُضَبَّرٍ
وَعَلَى اللَّصْبِ الْجَمِيلِ مُفَاضَّةٌ^٥
وَبِرَاحَتِي مِنْ فِكْرَتِي^٥ ذُو ذُكْرَةٍ
فَرْدًا إِذَا بَعَثْتُ دِيَاجِي جَنْحِهِ
حَتَّى بَدَا عَبْدُ الْعَزِيزِ لِنَاطِرِي

[وَأَنْشَدْتُهُ^٦ :

اللَّهُ فِي أَرْضٍ غُذِيَتْ هَوَاءَهَا
نَكَزَتْهُمْ أَفْعَى الْخُطُوبِ وَعَوَجَلُوا
وَعِصَابَةٌ لَمْ تَتَّهِمْ إِشْفَاقَهَا
بِمِثْمَلٍ مِنْهَا فَكُنْ دِرْيَاقَهَا

١ الديوان : في الوغى .

٢ ب س : بما .

٣ ط : استعزمت .

٤ انظر ما تقدم من : ٢٠٩

٥ ب س : همتي .

٦ ديوان ابن شهيد : ١٣٧ .

وَأَفْتَحَ مَغَالِقَهَا بِعِزْمَةٍ فَيَصِلُ
وَلَوْ أَنَّهَا مِنْهُ إِذَا مَا اسْتَلَّهَا
وَأُنْشَدَتْهُ ١ :

لَا تَبْكِينَ مِنَ اللَّيَالِي أَنَهَا
فَأَقْلُ مَا لَكَ عِنْدَهَا سَيْفُ الرَّدَى
وَرَحِيلُ عَيْشِكَ كُلُّ رِحْلَةٍ سَاعَةٍ
فَإِذَا بَكَيْتَ فَبِكَ عُمْرَكَ ، إِنَّهُ
وَأُنْشَدَتْهُ ٢ :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي مَا لَهُ مِنْ مَعَاصِرٍ
وَلَوْ كَانَ لِي فِي الْجَوِّ كَسْرٌ أَوْمُهُ
وَهَمَّتْ بِإِجْهَاشٍ عَلَيَّ وَقَدْ رَأَتْ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ تَجَزَّعِي مِنْ مَخَاطِرِ
لَدَى كُلِّ مُبِیضِ الْعَنَانِيزِ ٥ وَافِرِ
وَأُنْشَدَتْهُ ٣ :

١ ديوان ابن شهيد : ٩١ . ٢ ديوان ابن شهيد : ١١١ (عن الذخيرة)

٣ ب س : كمصابي... مظافر . ٤ ب س : ولو أن لي في الجو كسراً

٥ ب س : لم . ٦ ط : الخطائر .

٧ العنايفز : جمع عناز ؛ جاء في الامتاع والمؤانسة (٢ : ١٧٤) :

أبو العباس قد حج وقد عاد وقد غي
وقد علق عنازاً فهذا هم كما كنا

وشرح المحققان العنايفز بأنه طبل كان يعلفه المختنون وأصحاب الفناء في أعناقهم
ويقترح محققو هذا القسم من الذخيرة أن تقرأ اللفظة « عنانين »

له في بياضِ اليومِ بَقْظَةٌ فاجر
رُوَيْدَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي
ودون اعتزامي هَضْبَةٌ كَسْرُوتِي^١
إذا نحن أَسَدْنَا إِلَيْهَا تَبَلَجَتْ^٢
وأنت ابن حَزَمٍ مُنْعِشٍ مِنْ عَثَارِهَا
[وما جَرَّ أَذْيَالُ الْغَيِّ نَحْوَ بَيْتِهِ
إذا ما تَبَغَى نَضْرَةَ الْعَيْشِ كَرَّهَا
فَسَلَّ مِنَ التَّأْوِيلِ فِيهَا مُهْنَدًا
[لِمُعْتَزِلِي الرَّأْيِ نَاءٍ عَنْ الْهَدْيِ
بُطَالِبُ الْإِنْدِي فِي كُلِّ فَتْكَةٍ^٤

وَأَنشَدَتْهُ^٥ :

وتَحْتَ سَوَادِ اللَّيْلِ هَجْعَةٌ كَافِرٍ [
غِيَابَةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَأَثِّرِ^١
مِنَ الْحَزَمِ سَلْمَانِيَّةٌ فِي الْمَكَامِرِ
وَارِدُنَا عَنْ تَيَّرَاتِ الْمَصَادِرِ
إِذَا مَا شَرَقْنَا بِالْجُدُودِ الْعَوَائِرِ
كَأَرْوَعٍ مُعْرَوَّرٍ ظُهُورِ الْجَرَائِرِ]
لَدَى مَشْرِعٍ لِلْمَوْتِ لِمَحَةِ نَازِرِ
أَخُو^٢ شَافِعِيَّاتِ كَرِيمِ الْعُنَاصِرِ
بَعِيدِ الْمَرَامِي مُسْتَمِيتِ الْبَصَائِرِ [
ظُهُورِ الْمَذَاكِي عَنْ ظُهُورِ الْمَنَابِرِ

أَشْكُو إِلَيْهَا الْهَوَى خِلْوًا مِنَ النِّعَمِ :
مُحَرَّرَسٌ فِي دِيَارِ الظُّلُمِ وَالظُّلَمِ ؟
بُرءٌ مِنَ الشَّوْقِ أَوْ بُرءٌ مِنَ الْعَدَمِ [
فَقُلْتُ : إِنْ لَأَسْتَحْيِي بَنِي الْحَكَمِ

وَقَالَتِ النَّفْسُ لَمَّا أَنْ خَلَوْتُ بِهَا
حَتَامَ أَنْتِ عَلَى الضَّرَاءِ مُضْطَجِعٌ
[وَفِي السَّرَى لَكَ ، لَوْ أَرَزَمْتَ مَرَّحَلًا
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِفَضْلِ الْقَوْلِ تَنْهَضُنِي^٧

١ استمده من قول الشاعر :

رُوَيْدَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي

٢ ب س . يبلجة .

٣ ب س : أجا .

٤ ط ب . فكة .

٥ ديوان ابن شهيد : ١٥١ .

٦ ط : بفصل .

٧ ط : تقضهني (اقرأ : تمضهني) .

عماية هذا العارض المتألق

الْمُلْحِفِينَ رِدَاءَ الشَّمْسِ مَجْدَهُمْ^١
 أَلَمْتُ^٢ بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي
 وَذَادَنِي كَرَمِي عَمَّنْ وَلِهَتْ بِهِ
 تَخَوُّنِي رِجَالٌ طَالَمَا شَكَّرْتُ
 لَنْ وَرَدْتُ سُهَيْلاً غَيْبٌ ثَالِثَةٌ
 هُنَاكَ لَا تَبْغِي غَيْرَ الْمَنَاءِ بِيَدِي
 حَتَّى تَرَانِي فِي أَدْنَى مَوَاقِبِهِمْ^٣
 رِيَانٌ مِنْ زَفَرَاتِ الْخَلِيلِ أَوْرَدُهَا
 قُدَّامَ أَرْوَغٍ مِنْ قَوْمٍ وَجَدْتُهُمْ^٤

وَالْمُسْتَعْلِينَ الثَّرِيَاءَ أَخَذَ مِنَ الْقَدَمِ^٥
 لَمَّا وَجَدْتُ لَطْعَمَ الْمَوْتِ مِنَ أَلَمِ
 وَيْلِي مِنَ الْحُبِّ أَوْ وَيْلِي مِنَ الْكَرَمِ
 عَهْدِي وَأَثْنْتُ بِمَا رَاعَيْتُ مِنْ ذِمِّهِ
 لَتَقْرَعَنِي عَلَيَّ السَّنُّ مِنْ نَدَمِ
 وَلَا تَخِيفُ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا قَدَمِي
 عَلَى النَّعَامَةِ سَلَاً^٦ لَا مِنْ النِّعَمِ
 أَمْوَاهُ نَيْطَةٌ^٧ تَهْوِي فِيهِ بِاللَّجْمِ
 أَرعى لِحَقِّ الْعُلَا مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ

فَفَتَحَ عَلَيَّ عَيْنَيْنِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِي : مِنْ الْقَاتِلِ ؟

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا فَحَسِبْنَاهُ لَبِيبًا
 وَالتَّقِينَا فَرَأَيْنَا هُ بَعِيدًا وَقَرِيبًا

قُلْتُ : أَيْ ، قَالَ : فَمَنْ الْقَاتِلُ ؟

[فِيَا مَنْ إِذَا رَامَ مَعْنَى كَلَامِي رَأَى نَفْسَهُ نُصِبَ تِلْكَ الْمَعَانِي]
 شَكُّوتُ إِلَيْكَ صُرُوفَ الزَّمَانِ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ كُنْتُ عَوْنَ الزَّمَانِ

١ ب س : الهمم .

٢ الملمح : كلفت ؛ وامل صواب القراءة هنا « أَلَمْتُ » .

٣ نَيْطَةٌ : اسم موضع .

٤ ب س : سائر .

٥ ترجمة عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد والد أبي

عامر في الجدة : ٢٦١ (البقية رقم : ١٠٥٧) .

وَتَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي قُدْرَتِي فَيَا لَيْتِي لَسَوَى مَنْ نَمَائِي
وَلَا غُرُوَ لِلْحُرِّ عِنْدَ الْمَبْضِيقِ أَنْ يَتَمَنَى وَضِيعَ الْأَمَانِي

قلت : أخي ، قال : فمن القائل ؟

صُدُودٌ وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ مُسَاعِفًا وَبَعْدُ وَإِنْ كَانَ الْمَزَارُ قَرِيبًا
وَمَا فَتَشَتْ تِلْكَ الدِّيَارُ حَبَائِبًا لَنَا قَبْلَ أَنْ نَلْقَى بَيْنَ حَبِيبَا
وَلَوْ أَسْعَفَتْنَا بِالْمَوْدَةِ فِي الْهَوَى لِأَذْنِينَ إِلْفًا أَوْ شَغْلَنَ رَقِيبَا
وَمَا كَانَ يَجْفُو مَرِيضِي ، غَيْرَ أَنَّهُ عَدَّتَهُ الْعَوَادِي أَنْ يَكُونَ طَبِيبَا

قلت : عمي ٢ ، قال : فمن القائل ؟

أَتَيْنَاكَ لَا عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ وَلَا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوق
وَلَكِنَّا زُرْنَا بِفَضْلِ حُلُومِنَا حِمَارًا تَلْقَى بَرَّتَا بِعَقُوقِ

قلت : جدي ٣ ، قال : فمن القائل ؟

وَيْسَلِي عَلَى أَحْوَرَ تَيَّاهِ أَحْسَنَ مَا يَلْهُو بِهِ اللَّاهِي
أَقْبَلَ فِي غَيْدِ حَكِيمِنَ الظُّبَا بِيضِ تَرَاقٍ حُمُرِ أَفْوَاهِ
بِأَمْرٍ فِيهِنَّ وَيَنْهَى وَلَا يَعْصِيْنَهُ مِنْ أَمْرِ نَاهِي

١ ذكر ابن سعيد أبا أبي عامر دون أن يسميه وأُشْدَ له ثلاثة من الأبيات السابقة (المغرب ١ : ٨٦) .

٢ ذكر ابن سعيد أيضاً عم أبي عامر دون أن يسميه وأورد له الأبيات (المغرب ١ : ٨٥)

٣ البيتان « أتيناك لا عن حاجة ... » وردا في ترجمة أحمد بن عبد الملك بن عمر ، وهو جد أبي عامر ، في المطح : ٩ (وعنه نفح الطيب ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢) والخلاصة ١٢٣ (البغية رقم : ٤٣٩) والحلة ١ : ٢٣٧ .

حتى إذا أمكنني أمره تركته من خيفة الله

قلت : جد أبي ٢ ، قال : فمن القائل ؟

ويح ٣ الكتابة من شيخ هبنقة يلقى العيون برأسه مخه راراً
ومنن الريح إن ناحيته ٥ أبداً كأنما مات في خيشومه فاراً

قلت : أنا ، قال : والذي نفس فرعون بيده ، لا عرضت لك أبداً ،
إنني أراك عريقاً ٦ في الكلام ، ثم قل واضمحلاً ، حتى إن الخنفساء
لتسوسه ، فلا يشغل رجلها . فعجبت منه ، وقلت لزهير : من هذا
الجنّي ؟ فقال لي : استعذ بالله منه . إنه ضرط في عين رجل فدرت
من قفاه . هذا فرعون بن الجون . فقلت : أعوذ بالله العظيم ، من النار
ومن الشيطان الرجيم ! فتبسم زهير وقال لي : هو تابعة رجل كبير منكم ،
ففهمتها ٧ عنه .

وله فصل في مثل ذلك : قال أبو عامر : ومشيت يوماً أنا وزهير بأرض
الجن أيضاً فتقرئ الفوائد ، ونعمتد ٨ أندية أهل الآداب ٩ منهم ،
إذ أشرقنا على قرارة غناء ، تفرغ عن بركة ماء . وفيها عانة من حمر

١ الجلوة (٢٦٧) : من خشية .

٢ هو عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد : ترجمه الحميدي في الجلوة : ٢٦٧
(البقية رقم ١٠٧٢) ، وأورد له ثلاثة أبيات مما نسب له أبو عامر .

٣ ط : تأبى .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٠٦ (عن الذخيرة وحدها)

٥ ب س : ناحيته .

٦ ط : عريقاً . ٧ س : ففهمت .

٨ ط : ونتمهد . ٩ ب س : الأدب .

الجن^١ وبغاليهم . قد أصابها أولقُ فهي تصطك بالخوافر ، وتنفخ من المناخير ، وقد اشتد ضراطها . وعلا شحيجها ونهاقها ، فلما بصرت بنا أجملت إلينا وهي تقول : جاءكم على رجله ، فارتعت لذلك ؛ فتبسم زهيرٌ وقد عرف القصد ، وقال لي : تهيتاً للحكم . فلما لحقت بنا بدأتني بالتفدية ، وحيثني بالتكنية ، فقلت : ما الخطبُ ، حمي حماك أيتها العانة ، وأخصب مرعاك ؟ قالت : شعران لحمار وبغل من عشاقتنا اختلفتا فيهما . وقد رضيناك حكماً . قلتُ : حتى أسمع . فتقدمت إلي بغلة شهباء . عليها جلها وبرقعها ، لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة وسخف الحركة ، فقالت : أحد الشعرين لبغل من بغالتنا وهو :

على كل صب من هواه دليل	سقام على حرّ الحوى ونحول
وما زال هذا الحب داءً مبرحاً	إذا ما اعتري بغلاً فليس يزول
بنفسي التي أما ملاحظ طرفيها	فسحّر ، وأما خدّها فأسيل
تعبت بما حملت من ثقل حبها	وإني لبغسل للثقال حمول
وما نلت منها نائلاً غير أني	إذا هي بالّت بُلّت حيث تبول

والشعر الآخر لدكين الحمار :

دُهِيت بهذا الحب منذ هويت	ورأيت إراداتي فلست أريت
كلفت بالفي منذ عشرين حجة	يجول هواها في الحشا ويتعيث
[وما لي من برح الصبابة مخلص	ولا لي من قبض السقام مغيث]

وَعَبَّرَ مِنْهَا قَلْبَهَا لِي نَمِيمَةً^١ نَمَاهَا أَحْمَ الْخُصَيْتَيْنِ خَبِيثَ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنْتَنِي إِذَا هِيَ رَائَتْ رُئْتُ حَيْثُ تَرُوثُ

فَضَحِكَ^٢ زهيرٌ ، وَتَمَاسَكْتُ وَقَلْتُ لِلْمُنْشِدَةِ : مَا هَوَيْتُ ؟ قَالَتْ : هُوَ
هَوَيْتُ ، بَلْغَةُ الْحَمِيرِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنْ لِلرَّوْثِ رَائِحَةً كَرِيهَةً ، وَقَدْ كَانَ
أَنْفُ النَّاقَةِ أَجْدَرَ أَنْ يَحْكُمَ فِي الشَّعْرِ ! فَقَالَتْ : فَهَمْتُ عَنْكَ . وَأَشَارَتْ
إِلَى الْعَانَةِ أَنَّ دَكِينًا مَغْلُوبٌ ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ قَانِعَةً رَاضِيَةً^٣ .

وَقَالَتْ لِي الْبَغْلَةُ : أَمَا تَعْرِفُنِي أَبَا عَامِرٍ ؟ قُلْتُ : لَوْ كَانَتْ ثُمَّ عِلَامَةٌ !
فَأَمَاطَتْ لِثَامَهَا ، فَإِذَا هِيَ بَغْلَةٌ أَبِي عَيْسَى ، وَالْحَالُ عَلَى خَدَّهَا ، فَتَبَاكَيْنَا
طَوِيلًا ، وَأَخَذْنَا فِي ذِكْرِ أَيَامِنَا ، فَقَالَتْ : مَا أَبَقْتَ الْإَيَّامَ مِنْكَ ؟ قُلْتُ : مَا
تَرَيْنَ ، قَالَتْ : شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوقِ ! فَمَا فَعَلَ الْأُجْبَةُ بَعْدِي ! ؟ أَهَمَّ
عَلَى الْعَهْدِ ؟ قُلْتُ : شَبَّ الْغِلْمَانُ ، وَشَاخَ الْفِتْيَانُ ، وَتَنَكَّرَتْ الْخِلَانُ ،
وَمِنْ إِخْوَانِكَ مَنْ بَلَغَ الْإِمَارَةَ ، وَانْتَهَى إِلَى الْوِزَارَةِ . فَتَنَفَّسَتْ الصَّعْدَاءُ
وَقَالَتْ : سَقَاهُمُ اللَّهُ سَبِيلَ الْعَهْدِ ، وَإِنْ حَالُوا عَنِ الْعَهْدِ . وَنَسُوا أَيَّامَ
الْوُدِّ ، بِحَرَمَةِ الْأَدَبِ ، إِلَّا مَا أَقْرَأَتْهُمْ مِنْهُ السَّلَامُ ؛ قُلْتُ : كَمَا تَأْمُرِينَ
وَأَكْثَرُ .

وَكَانَتْ فِي الْبَرَكَةِ بِقُرْبِنَا إِوْرَةً^١ بِيضَاءَ شَهْلَاءَ ، فِي مِثْلِ جُثْمَانِ النَّعَامَةِ ،
كَأَنَّمَا ذُرٌّ عَلَيْهَا الْكَافُورُ ، أَوْ لَبِيسُ غِلَالَةٍ مِنْ دِمَقْسِ الْحَرِيرِ ، لَمْ أَرَ أَخْفَ
مِنْ رَأْسِهَا حَرَكَةً ، وَلَا أَحْسَنَ لِلْمَاءِ فِي ظَهْرِهَا صَبًّا ، تَتَّبَعْنِي سَالِفَتَهَا ،

١ ب س : تَمِيمَةٌ .

٢ ب س : فَاسْتَضَحَكَ .

٣ ط : فَادْبَرَتْ ... رَاضِيَةً .

وتكسِرُ حَدَقَتَهَا . وتُلَوِّبُ قَمَحْدُوتَهَا . فَرَى الحُسْنَ مستعاراً
منها ، والشكل مأخوذاً عنها ، فصاحت بالبلغة : لقد حكمتُم بالهوى ،
ورضيتُم من حاكمِكُم بغيرِ الرضى ؛ فقلتُ لزُهير : ما شأنُها ؟ قال : هي
تابعةُ شَيْخٍ من مَشِيخَتِكُم ، تُسمَى العاقلة . وتُكنى أُمَّ
خَفِيف ، وهي ذات حظٍ من الأدب ، فاستعدَّ لها ، فقلتُ : أيتها
الإوزَةُ الجميلة ، العريضةُ الطويلة ، أنحسُنْ بِجمالِ حَدَقَتَيْكِ ،
واعتدالِ مَنْكَبَيْكِ ، واستقامةِ جَنَاحَيْكِ ، وطولِ جِيدِكِ . وصَغِرَ
رَأْسُكِ . مقابلةُ الضَّيْفِ بمثلِ هذا الكلام ، وتلقَّى الطائرُ ١ الغريبَ
بشبهِ هذا المقال ؟ وأنا الذي هِمْتُ بالإوزَ صَبَابَةً ، واحتملتُ في الكَلَفِ
بها عَضَّ كلِّ مَقَالَةٍ ، وأنا الذي اسْتَرْجَعْتُهَا إلى الوطنِ المألوفِ ، وحبَبْتُهَا إلى
كلِّ غطريفٍ . فاتخذتها السادةُ بأرضنا ، واستهلك عليها الظرفاءُ منا ، ورضيتُ
بدلاً من العصافير ، ومكَلَّماتِ الزرازير ، ونسيتُ لذة الحمام ، ونفَارُ
الدُّيُوكِ ، ونِطَاحُ الكِبَاشِ . فدخَلَهَا العُجْبُ من كلامي ، ثم ترفعتُ
وقد اعترثتها خِفَّةٌ شديدةٌ في مائِها ، فمرَّةٌ ساجدةٌ ، ومرةٌ طائِرةٌ .
تنغمسُ هُنا وتخرُجُ هناك ، [قد تَقَبَّبَ جَنَاحُهَا ، وانتصبتُ ذُنَابُهَا .
وهي تُطَرَّبُ تُطَرَّبُ السَّرورِ] : وهذا العملُ معروفٌ من الإوزِ عند
الفرحِ والمرحِ . ثم سكنتُ وأقامتُ عُنُقَهَا . وعَرَضْتُ صَدْرَهَا ، وعَمِلْتُ
بِمِجْدَافِهَا . واستقبلتنا جَائِيَةٌ كَصَدْرِ المَرْكَبِ . فقالت : أيتها الغارَةُ
المغرورُ . كيف تحكُمُ في العُروعِ وأنت لا تُحْكِمُ الأُصولَ ٢ ؟ ما الذي
تُحسِنُ ؟ قلتُ : ارتجالُ شِعْرِ . واقتضابُ خُطْبَةٍ . على حُكْمِ المقترحِ

١ ط : الطائر .

٢ ب س : ولا تحكُم في الاصول .

والتَّصْبَةُ . قالت : ليس عن هذا أسألك ، قلت : ولا بغيرِ هذا أجوبُكَ ،
 قالت : حُكْمٌ ^١ الجوابِ أن يقعَ على أصلِ السُّؤالِ ، وأنا إنما أردتُ بذلكِ
 إحسانَ النحوِ والغريبِ اللّذينِ هما أصلُ الكلامِ ، ومادّةُ البيانِ . قلت :
 لا جوابَ عندي غيرَ ما سمعتِ ، قالت : أقسمُ أن هذا منك غيرُ داخِلٍ
 في بابِ الجدلِ . قلت : وبالجدلِ تطلُبِيننا [وقد عقدنا سلمه ، وكفينا
 حربَه] وإنَّ ما رميتُك به منه لأنفدُ سهامِه ، وأحدُ حِراهِ [وهو من
 تعاليمِ الله عزَّ وجلَّ عندنا في الجدلِ في محكمِ تنزيله ، قالت : أقسمُ أن الله
 ما علمك الجدلَ في كتابه ، قلت : محمولٌ عنك أمَّ خفيف ، لا يلزمُ
 الإوزَ حفظُ أدبِ القرآن ، قال الله عزَّ وجلَّ في محكمِ كتابه حاكياً عن
 نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربِّ الذي يحبي ويُميِّتُ ، قال أنا أحيي
 وأميتُ ﴾ (البقرة : ٥٥٨) . فكان لهذا الكلامِ من الكافرِ جواب ، وعلى وجوبه
 مقال ، ولكنَّ النبيَّ ^٢ صلى الله عليه وسلم لما لاحَظَّ له الواضحةُ القاطعةُ ،
 رماه بها وأضربَ عن الكلامِ الأول ، قال ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرقِ
 فأتِ بها من المغرب ، فبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ وأنا لا أحسينُ غيرَ ارتجالِ
 شعر ، واقتضابِ خطبة ، على حكمِ المقترحِ والنصبة . فاهتزَّت من جانبيها :
 وحالُ الماءُ من عينيها ، وهمتْ بالطيران . ثم اعترها ما يعترِي الإوزَ من
 الألفةِ وحسنِ الرَّجْعَةِ ، فقدَمتْ عنُقَها ورأسَها إلينا تمشي بحونا رويداً ،
 وتنطقُ نطقاً مُتداركاً خفياً ، وهو فعلُ الأوزِ إذا أنيسَتْ واستراضتْ وتذلتْ ،
 على أي أحبُّ الإوزَ وأستظرفُ حركاتِها وما يعرضُ من سخافاتِها [.

ثم تكلمت ^٤ بها مُبَسَّساً ، ولها مؤنيساً ، حتى خالطتنا وقد عقدنا

١ ط . ما حكم . ٢ ط : بك .

٣ يريد النبي إبراهيم .

٤ ط : فتكلمت .

سلمها وكفينا حربها . فقلت : يا أمّ خفيف . بالذي جعلَ غِذاءَكَ ماء .
وحشاً رأسَكَ هواء ، ألاّ أيّما أفضل : الأدبُ أمّ العقل ؟ قالت : بل
العقل ، قلتُ : فهل تعرفين في الخلائق أحقّ من إوزة . ودعيني من مثلكم
في الجُبّاري ؟ قالت : لا . قلت : فتطلبيني عقلَ التجربة ، إذ لا سبيلَ لك
إلى عقلِ الطبيعة ، فإذا أحرزت منه وبُوت منه بحظّ ، فحيثُ ناظري في
الأدب . فانصرفت وانصرفنا .

قال أبو عامر^١ : وكنتُ يوماً بحمامٍ لي مع أصحابنا فأتى رسولُ الحاجب
أبي عامر يرغبُ إخلاءَه لبُنيانٍ عرضَ في حمامِهِ منعه من دخوله .
وكنتُ لم أصحبه ، فخرَجنا له عنه ، ورغبوا أن أكتبَ إليه في ذلك
فقلتُ^٢ :

شَكَرْتُ ^٣ لِلدَّهْرِ حُسْنَ مَا صَنَعَا	طَائِرُ مَجْدٍ بِجَنِّي وَقَعَا
نَفَرْتُ لَمَّا أَبَقْتَ جَيْتَتَهُ	وَطَارَتْ النِّفْسُ عِنْدَهَا قَطْعَا
يَا حُسْنَ حَمَامَنَا وَقَدْ غَرَبَتْ	شَمْسُ الضُّحَى فِيهِ بَعْدَ مَا مَتَا
أَيَقْنَنَّ أَنَّ الْهَلَالَ زَاكِنُهُ	فَضَاءَ لِلْحَاضِرِينَ وَأَتَسَعَا
فَانْعَمَ أَبَا عَامِرٍ بِنِعْمَتِهِ	وَأَعْجَبَ لِأَمْرَيْنِ فِيهِ قَدْ جُمِعَا
نِيرَانُهُ مِنْ زِنَادِكُمْ قَدْ حَتَّ	وَمَاؤُهُ مِنْ بَنَانِكُمْ نَبَعَا

قال أبو الحسن : ونُشدُّ هنا بعضَ مقطّعاتٍ تتعلّقُ بذكرِ الحمام .

١ هذا الفصل كله حتى قوله : انتهى كلام ابن حيان ، لم يرد في النسخة : ط .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٢٦ (عن الذخيرة وحدها) .

٣ ب مر . شكوت .

قال المفتل^١ :

انظرُ إلى حَمَامنا قد حكي
حرارةَ الأنفاسِ يومَ التوى
حاليْن من حالِ الأحبّاءِ
وحرّةَ الأنفاسِ في الماءِ
فعاوِهُ من أدْمعي سائلٌ
ونارُهُ من حرّ أحشائي

وقال في صفةِ حَمَامٍ كانتَ مَضَاوِيهِ من زجاجٍ أحمرٍ ، وفي
سمائه حُمْرَةٌ وبياض :

تَحَيَّرْتُ من طيبِ حَمَامنا
فَمَنْ حُمْرَةٌ فوقنا وبيضا
يُخَيِّلُ لي أنَّ فيه الفلَقُ
كَخَدِ الحبيبِ إذا ما عَرِقُ
رأى الدَّهْرُ ما شَدَّ من حُسْنِهِ
فشدَّ كَوِي سَقْفِهِ بالشفقِ

ومما يتعلّق أيضاً بصفته قول الآخر . ولكنه خلطه بالنسيب .
وأشار فيه إلى معنى غريب . فقال :

ولم أَدْخِلِ الحَمَامَ يومَ رَحِيلِهِم
ولكن لتَجْري دَمْعِي مُطْمَئِنَّةً
طلابَ نعيمٍ قد رَضِيتُ ببُوسِي
فأُبْكِ ولا يَدْرِي بذاك جليسي
ودخل الحمام يوماً من أهلِ عصرنا الأديان : أبو جعفر ابن هُرَيْرَةَ
التطيلي ، وأبو بكر ابن بُقَيٍّ ، فقال أبو جعفر^٢ :

يا حُسْنَ حَمَامنا وبَهْجَتِهِ
ماءٌ ونارٌ حواهُمَا كَنَفُ
مَرَأى من السَّحَرِ كُلُّهُ حَسَنُ
كالقلبِ فيه السرورُ والحزنُ

ثم أعجبه هذا المعنى أيضاً فقال فيه^٣ :

١ ستأتي ترجمته في هذا القسم من الذخيرة .

٢ بدائع البدائه : ٢٥٥ وفتح الطيب ٣ : ٣٤٨ وديوان التطيلي : ١٤٥ .

٣ انظر المصادر السابقة .

ليس على لونا مزيد ولا لهما منا ضريب
ماء وفيه لهيب نار كالشمس في ديمة تصوب
وابيض من تحته رخام كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال أبو بكر :

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم وفيه للبرد سر غير ذي ضرر
ضد أن ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال أبو جعفر التتيلي . وقد نظر فيه إلى غلام وسيم :

هل استمالك جسم ابن الأمير وقد سالت عليه من الحمام أنداء ؟
كالغصن باشر حر النار من كذب فظل يقطر من أعطافه الماء ٢

وفي أبي عامر ابن المظفر الذي ذكر يقول أبو عامر بن شهيد من
جملة قصيدة يقول فيها ٣ :

جمعت بطاعة حبك الأضداد وتآلف الأفصاح والأعياد
كتب القضاء بأن جدك صاعد والصبح رق والظلام مديد

ونقلت من خط أبي مروان ابن حبان قال : سلف لأبي عامر بن المظفر

١ في النسخ ٣ : ٢٤٧ أن البيت الثاني للأعمى إجازة

٢ ورد بهاش ب ١٣ بيتاً لابن دراج في وصف الحمام ، وهي قصيدة في ديوانه :

٢٥٢ - ٢٥٣ في مدح يحيى بن منذر ، ويستطيع القارئ أن يراجعها هناك .
ولا داعي لاثباتها .

٣ ديوان ابن شهيد : ٩٧ .

هذا بشرطه عيشة راضية في سرور وحبور وقتاً ، إلى أن ساءت الأيام بطامة ففارقها بغصة ، وكان من محاسنه أنسه بالأدب ، وغلبة أهله على خاصته ، ولم يكن منهم في مغدّى ولا مراح ، فتجمّلت آثاره بهم ، وسارت أقوالهم فيه ، وكان من ألحجهم بذكره أبو عامر بن شهيد ، له معه أخبار مأثورة مشهورة . شاهدتهم ليلة في مجلسه [و] طفيلة صغيرة عجيبة الخلق كانت تسقيهم [تسمى] أسماء عجوا من مكابلتها السهر معهم ، على صغر سنّها ، وحسن قيامها بخدمتهم ، فسأله ابن المظفر وصفها فقال :^١

أفدي أسيّماء من نديم ملازم للكؤوس راتب
قد عجبوا في السهاد منها وهي لعمري من العجائب
قالوا : تجافى الرقاد عنها فقلت : لا ترقد الكواكب

قال أبو عامر وابن حيان^٢ : واستوحش أبو عامر ابن المظفر هذا من هشام المعتد ووزيره حكيم بن سعيد القزاز ، وكانوا قد رموه بذنب سليمان بن هشام الناصري ، فلما خاف دبّر الفرار ، وخرج في لمة من ثقات أصحابه وأعوانه ، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرّمه ، وقطع أرضاً بعيدة ، ولم يعلم المعتد بخبره ، إلى أن جاء خبر اجتيازه بدير قرطبة راجعاً على عقبه من شاطبة ، لم يتفق له فيها ما أراد ، فكسّر إلى ابن عبد الله بقرمونة مستجيراً به في ظنّه . فأخلف ابن عبد

.....

- ١ ديوان ابن شهيد : ٩٤ وبدائع البداة : ٣٥٣ والنفع : ٣ : ٢٦٠ وأخطأ ابن ظافر وتابعه المقرئ ، إذ جعل صاحب المجلس هو الحاجب المظفر نفسه لا ابنته .
- ٢ قال أبو عامر وابن حيان : كذا جاء ، ولعل الصواب : قال ابن حيان ، وجاءت « أبو عامر » سهواً .

الله ظنه . وخاطبَ قائدهَ بحصرِ المُرور ولبازعاجه عن قُطره : ولا يجتازُ
على شيء من عمله ، فضاقت به الأرضُ يومئذٍ ، فألقى نفسه على أبي
حمامة حرزة البصلراني ، فأجاره وبوّأه منزلاً في حصنه على نهر قُرطبة .
أقام به في كَمَدٍ وغُصّة ، والحمامُ يغازله إلى أن مات عنده .-

وحدثني أبو عبد الله ابنُ هريرة الكاتب قال : قصّد أبو عامر ابنُ المظفر
في خروجه من شاطبة إلى مواله العامريّين بعد مُراسلة متقدّمة ، فلمّا
وصل ردّوه خجلاً خائباً . فرغب أن تخرُجَ إليه أُخته بنتُ المظفر الأيّمُ
المقيمةُ — كانت — عندهم وقتهم . فأسعفوهُ بذلك وخرجتُ إليه ، فخلا
بها وأودعها جَوْهراً نفيساً كان احتمله ، وولى ناكصاً ، والبدويّ تطرُدُه
عن ناحيتها . وأسلموه غرضاً للحُتوف . فمات عند حرزة البصلراني كما
وصفناه . وعلم ابنُ عمّه عبدُ العزيز بمكان ذلك الجواهر ، فلمّا هلك
اختدعها ووعدّها أن ينكحها ، وكانت ضعيفة الرأي . فأسلمته إليه
وغدر بها ولم ينكحها ، فصارت بقيةَ دهرها تجفوه وتشتّمه .

ولما استقرَّ أبو عامر عند حرزة ، وأيسرَ المعتدّ من انصرافه ، قبضَ
ما خلفه بداره ونقله إلى القصرِ ، فطلبَ أسبابه ، وتتبّعَ ودائعَ وعقاره ،
فانفتح على أهلِ قُرطبة في هذا البابِ بذلك الوقتِ بلاءٌ عظيم ، أجلى
بعضهم عن الأوطانِ ، بسبب تلك الودائعِ العامرية ، انتهى كلام ابن حيان.

جِلَّةٌ من شعره في أوصافِ شتى¹

حدّث عن نفسه قال ² : لما قدِمَ زهيرُ الصَّقَلَبِيّ فتى بني عامرٍ حضرة

١ من هنا تعود نسخة ط إلى الاشارة مع ب س .

٢ بدائع الدلائل : ٨٢ - ٨٤ والنفع ٣ : ٦١٠ - ٦١١ .

قرطبة من المَريّة ، وجّه أبو جعفر ابنُ عباسٍ وزيرُهُ عن لُحمةٍ من أصحابنا منهم ابنُ بُردٍ ، وأبو بكر المرواني ، وابن الحنّاط ، والطَّبّقي ، فسألهم عني ، وقال : وجهوا عنه ، فوافاني رسولُهُ مع دابةٍ له بسرجٍ عُلّيّ ثَقِيلٍ ، فسرتُ إليه ودخلتُ المجلسَ ، وأبو جعفرٍ غائبٌ ، فتحرّك المجلسُ لدخولي وقاموا جميعاً إليّ ، حتّى طلع أبو جعفرٍ علينا ساحباً للذيل لم يُرَ أحدٌ سَحَبَهُ قَبْلَهُ ، وهو يترنّم ، فسَلِمْتُ عليه سلامٌ من يعرفُ حقَّ الرجال ، فردَّ ردّاً لطيفاً ، فعلمتُ أنّ في أنفه نَعْرَةً لا تخرُجُ إلّا بسَعوطِ الكلام ، ولا تُراضُ^٢ إلّا بمستحصدِ النظام ، فرأيتُ أصحابي يُصيحُون إلى ترنّمهِ فسألتهُم عن ذلك ، فقال لي الحنّاطي ، وكان كثيرَ الإنحاءِ عليّ ، جالباً في المحافلِ ما يسوءُ الأولياءَ إليّ : إنّ الوزيرَ حضره قُسيمٌ من شعرِهِ ، وهو يسألنا إجازته . فعلمتُ أنّي المرادُ ، فاستنشدتُهُ فأنشدهُ ، وهو :

* مرضُ الجفونِ ولثغةٌ في المنطقِ *

فقلت لمن حضر : لا تُجهلوا أنفسكم فليستم المرادُ ؛ فأخذتُ القلمَ^٣ وكتبتُ بديهةً :

مرضُ الجفونِ ولثغةٌ في المنطقِ	سيّانٍ جرّاً عشقَ من لم يعشقِ
من لي بالثغِ لا يزالُ حديثُهُ	يذكي على الأكبادِ جمرَةَ محرقِ
بُنبي فينبو في الكلامِ لسانُهُ	فكأنتُ من خمرِ عَيْنِيهِ سقي

١ في النسخ : جلي ، واثبت ما في البدائع والنفع .

٢ النفع : ولا ترام .

٣ ب س والنفع والبدائع : الدواة .

لا يُنْعَشُ الْأَمَاطُ مِنْ عَشْرَانِهَا ولو انْتَهَا كُتِبَتْ لَهُ فِي مُهْرَقٍ

ثُمَّ قَمْتُ عَنْهُمْ فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ وَرَدُوا عَلَيَّ ، وَأَخْبَرُوا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لَمْ يَرْضَ ،
جِئْنَا بِهِ مِنَ الْبَدِيَةِ ، وَسَأَلُونِي أَنْ أَحْمَلَ مَكَارِييَ الْكَلَامِ عَلَى حَتَّارِهِ .
وَذَكَرُوا أَنَّ لِادْرِيسَ هِجَاهًا فَأَفْحَشُ . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ الْإِفْحَاشَ ، فَقَاتُ
فِيهِ مَعْرَضًا إِذِ التَّعْرِيفُ مِنْ مُحَاسِنِ الْقَوْلِ :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كَاتِبٌ مَلِيحٌ شَبَابٌ خَطَّاءٌ حُلُوُّ الْخَطَابَةِ
تَمَلَّأَ شَحْمًا وَلَحْمًا وَمَا يَلِيْقُ تَمَلُّؤُهُ بِالْكِتَابَةِ
وَذُو عِرْقٍ لَيْسَ مَاءَ الْحَيَاءِ وَلَكِنَّهُ رَشْحُ فَضْلِ الْجَنَابَةِ
جَرَى الْمَاءُ فِي سُفْلِهِ جَرَى لَيْنٍ فَأَحْدَثَ فِي الْعُلُوِّ مِنْهُ صِلَابَةَ

[قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَلَيْتَ شِعْرِي مَا التَّصْرِيحُ عِنْدَ أَبِي عَامِرٍ إِذَا سَمَى
هَذَا تَعْرِيفًا ؟ وَلَوْلَا أَنَّ الْحَدِيثَ شُجُونٌ ، وَالتَّابِعَ فِيهِ جُنُونٌ ، وَالْكَلَامَ إِذَا
لَانَ قِيَادُهُ ، سَهْلَ اطِّرَادُهُ ، وَإِذَا قُرُبَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، لَمْ يَفَرِّقْ فِيهِ
بَيْنَ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ ، لَمَا اسْتَجَزَّتْ أَنْ أَشِينَ كِتَابِي بِهَذَا الْكَلَامِ الْبَارِدِ مَعْرِضُهُ .
الْبَعِيدِ مِنَ السَّدَادِ غَرَضُهُ ، وَقَدْ يَطْغَى الْقَلَمُ ، وَتَجْمَحُ الْكَلَمُ .
وَقَوْلُهُ :

• جَرَى الْمَاءُ فِي سُفْلِهِ جَرَى لَيْنٍ •

يُشَبِّهُ قَوْلَ الْآخِرِ ، وَضَمِنَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

١ ط : سماء ؛ وادريس هو ابن اليماني العبدي اليابدي ، وقد أثبت ابن ظافر (بدائنه
اليدانه : ٨٤) أبياتاً هجا فيها ادريس أباً جعفر ابن عباس

يا سائلي عن خالد ، عهدي به
 « كالأقحوان غداة غب سماءه
 رطب العجان وكفه كالجلمد
 جفت أعاليه وأسفله ندي ،

وقوله :

• وذو عرق ليس ماء الحياء •

ألم به ابن زيدون فقال من جملة أبيات ١ :

مَخَضَتْ في استه الأيورُ حليياً فعلى عينه من الزبدِ نُقْطَتُهُ

وتأتق في هذا المعنى أبو الحسين ابن الجحد فقال :

وأزرقَ والأمورُ لها اشتباهُ وتؤقِي العينُ من قبلِ العجانِ
 ومما شكَّ أسفلهُ العوالي بدا^٢ في عينه زرقُ السنانِ [

قال ابن بسام : قول أبي عامر في صفة الألفج مما أحسن فيه ، لاسيما على البديه . ومن أحسن ما سمعتُ في صفته^٣ قول الرَّمَادِي^٤ :

لا الرأءُ تطمعُ في الوصالِ ولا أنا الهجرُ يَجْمَعُنَا فنحنُ سَوَاءُ
 فإذا خَلَوْتُ كَتَبْتُهَا في راحتي فبكيتُ مُنْتَحِباً أنا والرأءُ

١ ديوان ابن زيدون : ٩٣ هـ (نقلا عن الذخيرة) .

٢ ط : حرى .

٣ ط : في الألفج .

٤ انظر ابن خلكان ٦ : ٩ ، ٧ : ٢٢٧ .

وأخذ لفظ الرَّمادي هذا أبو القاسم ابن العريف^١ فقال :

أَيْهَا الْأَلْتَحُ الَّذِي شَفَّ قَلْبِي جَدُّ بَنَطَقُ^٢ وَلَوْ نَطَقْتَ بِسَبِّ
مَجْرُكَ الرَّاءِ مِثْلُ مَجْرِي سَوَاءٍ فَكَلَانَا مُعَذِّبٌ دُونَ ذَنْبِ
فَإِذَا شَتُّ أَنْ أَرَى لِي مِثْلًا^٣ فِي هَوَانِي خَطَطْتُ رَاءً يَجْنِبِي

على أنّ أبا الطيّب قد قال فأحسن^٤ :

قُشَيْرٌ وَبَلَعَجَلَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي الْفَاظِ أَلْتَحُ نَاطِقِ

ويُشبه قول أبي الطيّب قولُ بعضِ أهلِ عصرنا ، وهو أبو الوليد ابنِ
حَزَمِ الإشبيلي^٥ ، بصفِ سكران :

وَيرومُ قولَ أبي الوليدِ وربما كَتَمْتُ مَكَانَةَ لَامِهِ الْوَاوَانِ

وقال أبو عامر يتغزّل^٦ :

مَرَّ بِي فِي فَلَكٍ مِنْ رَبِّبٍ قَمَرٌ مُبْتَمِعٌ عَنْ شَنْبِ
زَيْنُ سَوا أَعْلَاهُ بِالْدَّرِّ كَمَا ثَقُلُوا أَسْفَلَهُ بِالْكُثْبِ

١ أبو القاسم حسين بن وايد بن نصر المعروف بابن العريف (- ٣٩٥) قرطبي كان عالماً بالنحو والعربية ، له رحلة إلى المشرق ، واستأدبه المنصور لأبنائه ، وكان كثير المديح في أشعاره (ابن الفرضي ١ : ١٣٤) .

٢ ب س : بحرف .

٣ ب س : مثلاً .

٤ ب س : قد ملح في قوله ، وانظر ديوان المتنبي : ٣٨٨ .

٥ ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٦ ديوان ابن شهيد : ٩١ (عن الذخيرة وحدها) .

فازدهتني أَرْيَحِيَّاتُ الصَّبَا واستَخَفَّتْنِي دواعي طَرْبِي
فَتَعَرَّضْتُ لِتَسْلِيمٍ لَهُ فإذا التَّيَّاهُ لَا يَعْبَأُ بِي
قال : هذا العبدُ مَنْ "دَلَّكَه"
يا ظُبًّا لحظي ^١ خُذِي لِي رَأْسَهُ
فانبرتُ ^٢ الحَاظُّهُ تَطْلُبُنِي
لو تراني وأنا أَلْطَفُهُ
خِلْتَهُ جَبَّارَ قَوْمٍ مَرَدُوا وأنا في لُطْفٍ الوَعْظِ نَبِي

قال أبو عامر : ومن الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام ، ويفتش
عن شَرْفِ المعاني ، وينظرَ مواقعَ البيان ، ويختسِرَ من حلاوة ^٣ خَدْعِ
اللفظ ، ويدعَ تزويقَ التركيب ، ويرَاطِلَ بين أنحاءِ البديع ،
ويُمثِّلَ أشخاصَ الصَّناعة ، فقد ترى الشعرَ فِضِّيًّا ، البَشْرَةَ ، وهو
رصاصيَّ المكسِر ، ذا ثوبٍ مُعْضَدٍ أو مهلهلٍ ، وهو مشتملٌ على بَهْتٍ
أو بَرَصٍ ، مَبْنِيًّا بلبين التماثيل ، وصفوانِ التهاويل ، وهو لا يُجِنُّ
صاحبه عن النسيم فضلاً عن الحَرَجَفِ ^٥ ، ولا يقيه رقيقَ رَيْقِ الندى
فضلاً عن شُؤْبِ الكَنَهْوَرِ ^٦ ، وقد ملحتُه ملاحهُ الأسماء ،
واتقدَّ فيه الهوى ، واضطرَّمتَ في جانبه نيرانُ الجوى ، ولمع فيه البرق ،
واستنَّ في الودق ، وسفَّحتَ عليه الدَّموع ، وبان فيه الخشوع ، وهو

- ١ س : يا ظبا المتن .
- ٢ س : أخذت .
- ٣ ط : حلته (اقرأ : خلايه) .
- ٤ ط : مضي .
- ٥ الحرجف : الريح الباردة الشابة المهبوب .
- ٦ الكنهور : السحاب المترالكب .

﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ۚ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (النور : ٣٩) لا يستحقُّ صاحبه غيرَ أن يكونَ تِلْعبَةً ، أو صاحبَ براءة . وإنما يَسْتَحِقُّ اسمَ الصَّنَاعَةِ بِتَقَحُّمِ بُحُورِ الْبَيَانِ ، وَتَعَمُّدِ كِرَائِمِ الْمَعَانِي وَالْكَلَامِ . وَأَنْ يَنْطِقَ بِالفصلِ ١ . وَيَرْكَبُ أَتْبَاجَ الْجِدِّ . وَيَطْلُبُ النَّادِرَةَ وَالسَّائِرَةَ ، وَيَنْظِمَ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا يَبْقَى بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَيَذْكُرُ بَعْدَ فَوْتِهِ ، وَيَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الْمِلْحِ . وَيَتَلَوَّنُ تَلَوَّنَ أَبِي بَرَاقِشَ . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنَّ ذَهَبَنَا بِقَوْلِنَا هَذَا مَذْهَبًا كَرِيمًا مِنَ الْكَلَامِ ٢ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ عَسْكَرَ قَرْهُ
وَعَمَمَ صُلْعَ الْمُضْطَبِّ مِنْ قَطْرِ ثَلْجِهِ
رَفَعْتُ لِسَارِي اللَّيْلِ نَارَيْنِ فَارْتَأَى
فَأَقْبَلَ مَقْرُورَ الْحَشَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
فَقَلْتُ : إِلَى ذَاتِ الدُّخَانِ ، فَقَالَ لِي
فَمِلْتُ بِهِ أَجْرَتَهُ نَحْوَ جَمْرَةٍ
إِذَا مَا حَسَا الْقَمْتُهُ كُلَّ فَلَذَةٍ
فَمَا زَالَ فِي أَكْلِ وَشُرْبِ مُدَارِكٍ
فَأَلْحَفْتُهُ فَامْتَدَّ فَوْقَ مِهْبَادِهِ
وَمَا انْفَلَكَ مَعَشُوقَ التَّوَاهِ نَمْدَهُ
تَغْنِيهِ أَطْيَارُ الْقِيَانِ إِذَا انْتَشَى
وَهَبْتُ لَهُ رِيحَانٍ تَلْتَظْمَانِ
يَدَانِ مِنَ الصَّنْبَرِ تَبْدِرَانِ
شِعَاعَيْنِ تَحْتَ النَّجْمِ يَلْتَقِيَانِ
بِدَفْعِ صُرُوفِ النَّائِبَاتِ يَدَانِ
وَهَلْ عُرِفَتْ نَارٌ بِغَيْرِ دُخَانٍ ؟
لَهَا بَارِقٌ لِلضَّيْفِ غَيْرُ يَمَانِ
لِفَرَاخَةٍ طَيْرٍ أَوْ لِسَخْلَةٍ ضَانِ
إِلَى أَنْ تَشْهَى التَّرْكَ شَهْوَةً وَانِي
وَحَدَّاهُ بِالصَّهْبَاءِ تَتَقِيدَانِ
بِبِشْرِ وَتَرْحِيبِ وَبَسْطِ لِسَانِ
بِصَنْجٍ وَكَيْشَارٍ وَعُودِ كِرَانِ

١ س : يمتطي الفصل .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٦٣ والنفع ٣ : ٤٤٠ .

٣ النفع : بنان .

ويسمو دخانُ المَنَدَلِ الرُّطْبِ فوقه كما احتملت رِيحُ متونٍ عُثَّان^١
إلى أن تشهى البينَ من ذاتِ نفسه وَحَنَّ إلى الأهلينَ حَنَّةَ حاني
فأتبَعَتْهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حاله وأتبعني ذِكْراً بكُلِّ مكان

قوله : « وَعَمَّمَ صَلَعَ الهُضْبِ »... البيت ، كقولِ بعضِ أهلِ عصرِنا
يصفُ الثلجَ أيضاً^٢ :

وأترَعَ الوهدَ من ازبادِ لُجَّتِهِ بالبرمِ يبتُ بين القوسِ والوترِ
فالأرضُ مَلَساءُ لا أَمْتُ ولا عَوْجُ كَنُقْطَةِ من سَرَّابِ القاعِ لم تَمُرْ

وقوله : « فأتبَعَتْهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حالِهِ »... البيت ، كقولِ حبيب^٣ :

فراحَ في ثنائِي ورُحْتُ في ثِيابِهِ

وأخذهُ بعضُ أهلِ عصرِنا فقال :

وَحَدُّ حَمْدِي بِجُودِكَ ، ذا بهذا كِلانا اليومَ أُرْبَعُ صَبْرَ فَيَّ
لأَصْبَحَ من نوالِكَ في رِياشٍ وتُصْبِحَ من مَقالي في حُلِي

قال أبو عامر : ولما أنشِدَ المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمّود قولَ ابنِ
قاضي مِلَّة^٤ يصفُ مركباً للروم أوقع به المسلمون وغرقوه وذكر قتلَ
العَلِيجَ :

١ العثان : الدخان . ٢ البيعان للأعشى التطيلي ، ديوانه : ٥٢ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١١٤ .

٤ ترد ترجمته في القدم الرابع من الذخيرة ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد الكندي وخي

(انظر ابن خلكان ٥ : ٣٤٨ ، ٦ : ١٥٩) .

إذا طفا أبصر الصمصام^١ يرقبه أو غاص في الماء من خوف الردى شرقا
وأي عيش لموقوف على تلف يراقب المبتتين : السيف والغرقا

وكانت إثر ذلك وقعة للمعتلي بالله على السودان بإشيلية ، فأمر أبا عبد الله
ابن الحنّاط بصفة ذلك^٢ إذ الوقعتان متشابهتان ، ففعل ؛ وبلغني أنا ذلك ،
فكتبتُ إلى المعتلي بشعرٍ طويل في المعنى أوله^٣ :

غناك سعدك في ظل الظبّا وسقى « فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرْتَفِعاً »

ومنها في صفة الوقعة :

سَقِيًّا لِأَسَدٍ تَسَاقَى الْمَوْتَ أَنْفُسُهَا	وتلبسُ الصبرِ في يومِ الوغى حلقاً
قَامَتْ بِنَصْرِكَ لَمَّا قَامَ مَرْتَجِلًا	خطيب جودك ؛ فيها ينثر الورقا
سَرِيَتْ تَقْدُمُ جَيْشِ النَّصْرِ مُتَخَذًا	سُبُلَ المَجْرَةِ في إثرِ العُلا طُرُقًا
فِي ظِلِّ لَيْلٍ مِنَ الْمَاضِي مُعْتَكِرٍ	يجلّو إلى الخيلِ منه وجهك الفلقا
وَصَفَحَ قِرْنٍ غَدَاةَ الرُّوعِ يَكْتُبُهُ	من الظبا قلّم لا يعرفُ المشقا
أَجْرِيَتْ لِلزَّنَجِ فَوْقَ النَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ	حتى استحالَ سماءُ جَلَّتْ شَفَقًا
وَسَاعَدَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِقَتْلِهِمْ	حتى غدا الفلكُ بالناجي به غرقا
مِنْ كُلِّ أَسْوَدَ لَمْ يُدْلِفْ عَلَى ثَلَجٍ	بأن جدك يجلو صفحه يققا
كَأَنَّ هَامَتَهُ وَالرَّمَحُ يَحْمِلُهَا	غرابُ بينِ على بانِ النقا نعما

١ س : الصرغام .

٢ س : فأمر ابن الحنّاط أن يصنع في ذلك شعراً .

٣ ديوان ابن شهيد : ١٢١ .

٤ س : مجلدك .

٥ س : الصبر .

ومنها :

إذا ونى ثَغَرَ الخطي ثَغَرْتَهُ أو عاذ بالنهر مسلوبَ القُوتِ غَرِقَا
وأي نهرٍ يُرَجِّي العِبرَ عابِرُهُ وسُفْنُهُ طافياتٌ غُودَرَتْ فِلَقَا

قوله : « حتى استحالَ سماءٌ » ... البيت ، إلى قولِ المعري أراه
أشار^١ .

وعلى الأفقِ من دماءِ الشَّهيدِ نِ عليّ ونجليه شاهدانِ
فهما في أواخر الليل فَجرا نِ وفي أوليائِهِ شَقَقانِ

وقوله : « كأنَّ هامتَه والرمحُ » ... البيت ، أخذ معناه ابن الحداد فقال
من قصيدة في مدائح ابن صُمادح ، يصف غلبته على وادي آش سنة
خمس وخمسين^٢ :

بلادٌ غدتْ يَأْجُوجُ فيها فأفسدتْ فكنتَ كذي القرنين والحبفلُ السدُ
وما زال شرقي المَريّةِ عاطلاً إلى أن علاها من رؤوسِهِم عقد
وقد عوضوا من بائنات^٣ جُسومِهِم بمصمّنةٍ^٤ لا عظمَ فيها ولا جلد
كأنهمُ فيها غرايبُ وَقَعُ على باسقاتٍ لا تروحُ ولا تغدو

ومن مشهورِ هذا المعنى قولُ الآخر :

١ شروح السقط : ٤٤١ .

٢ س : كقول أبي عبادته ابن الحداد من أهل المرية من قصيدة يمدح بها ابن صمادح
يقول فيها ؛ وستأتي ترجمة ابن الحداد في هذا القسم من الذخيرة .

٣ س : باسلات .

٤ ط : مصمّنة .

وعاد لكنّه رأسٌ بلا جسدٍ يسري ولكنّ على ساقٍ بلا قدمٍ^١
إذا تراءى على الخطي أسفراً في حال العبوسِ لنا عن نغزٍ مبتسمٍ

ولم أسمع في صفة الرأسِ المصلوبِ على الرمح أحسنَ من قول أبي
فراسٍ يجبرُ عن سيفِ الدولة وقد أنقذَ أبا وائلٍ التغلبيّ من الأسرِ ،
وقتلَ أسرَه^٢ :

وأنقذَ من ثقلِ الحديدِ ومسه أبا وائلٍ والدهرُ أجدعُ صاغراً
وأبَ ورأسُ القرمطيّ أمامه له جسدٌ من أكعبِ الرمحِ ضامر

وكان هذا المقتولُ الذي أوقع به سيفُ الدولة قد ظهرَ على أطرافِ
الشامِ والتفتَ عليه القبائلُ ، وكان يُعرفُ بالمبرقع ، فحارب أبا وائلٍ
تغلبَ بنَ داودَ وهو خليفةُ سيفِ الدولة على حمص ، فهزمه وأسرَه
وألزمه شراءَ نفسه بعددٍ من الخيلِ والمال ، فخرج سيفُ الدولة من حلب
وأسرى حتى لحقَ في اليومِ الثالثِ بنواحي دِمَشقَ ، فأوقع بالمبرقعِ .
وفي ذلك يقولُ المتنبي^٣ :

ولو كنتُ في أسرٍ غيرِ الهوى ضمنتُ ضمانَ أبي وائلٍ
فدى نفسه بضمانِ النصارِ أعطى صدورَ القنا الذّابلِ

١ ورد هذا البيت في اليتيمة ١ : ٣٧ .

٢ انظر ديوان أبي فراس : ١١٩ واليتيمة ١ : ٣٧ ، وابن سناء ينقل خبر المبرقع عن
اليتيمة ١ : ٣٦ - ٣٧ ، وانظر في خبره : سيف الدولة لكائار ص : ٢٢٠ نقلاً عن
ابن ظافر . إذ يقول : « في سنة ٣٣٦ ظفر الأمير سيف الدولة بالقرمطي الملقب بالهادي
واستنقذ أبا وائل . . . الخ » .

٣ ديوان المتنبي : ٢٥٩ - ٢٦٠ .

ومناهمُ الخيلَ مجنوبةً فجئنَ بكلّ فتيّ باسل
 كأنّ خلاصَ أبي وائلٍ معاودةُ القمرِ الآفلِ
 دعا فسمعتَ وكم صامتٍ على البُعْدِ عندك كالقائلِ

قال ابن بسام : واذ قد أجرى أبو عامرٍ ذكْرَ يحيى بن حمّود ،
 فلنُشِرَ إليه ، وتلّو قصيدةَ أبي عامرٍ بفصلٍ نجعلُه منبهاً عليه ، إذ قد مر
 ذكرُه فيها ، ونُسقتُ له قوافيها . وأنا أشرحُ في هذا الموضعِ مقتلَه
 خاصةً ، إذ كان خاتمةَ آثاره ، ومميّزاً من سائر أخباره . وسيمرُّ في
 أخبارِ عمّه القاسمِ كيفَ نجمَ ملكه ، وعلى يديّ من نُظِمَ سِلْكُه .

ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن حمود الذي ذكر^١

قال ابن حيّان : حكى لي أبو الفتح البرزالي^٢ قال : لما كان
 عيد الأضحى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وانغمس يحيى بن حمّود في
 شربه ولهوه ، سرتُ مع لُمةٍ من بني عمّي إلى اللحاقِ بإشبيلية .
 للاجتماعِ بابن عمنا محمد بن عبد الله والقاضي ابن عباد . فوصلنا
 وأنبأناهما من خبر ابن حمّود يحيى ولهوه ما رأيا أن يوجها إليه
 بجيشٍ لقتاله . فخرج إسماعيلُ بن عباد مع ابن عمنا محمد بن عبد الله
 في المحرم من سنة سبعٍ وعشرين بعدها ، وهما في بيعةٍ هشام بن الحكم
 تلك الأيام^٣ ، فجئنا إلى بابِ قرمونة بالجيشِ كي نغيظَ يحيى فيخرج

١ انظر الجفوة : ٢٣ والبيان المغرب ٣ : ١٨٨ وأعمال الاعلام : ١٣٦ .

٢ ط : البرزيلي .

٣ زاد في س : وخامر ناموسه الأمة .

أو يخرج أحدٌ من قبلك . وقد قدّمنا سريرةً وكن الجيشُ ناحيةً أخرى ،
وقد كنّا وجهنا فوارس ليلاً للسامرةِ بسورِ قَرْمُونَة ، فطار الخبرُ إلى
يحيى وهو تلك الليلة على شرابٍ وقد أخذ منه ، فنعر نكرةً ووثب قائماً
يقولُ : واياضَ بجي الليلة ، وابن عبادٍ زائري ! وأمر بالإسراج وتقدّمَ
إلى أصحابه وغلمانِه ، وبادر الخروج ليلاً على باب قرمونة ، وأصحابه
يتلاحقون ، فالتأمت عدته في نحوٍ من ثلثمائة فارس أكثرهم دغلُ السريرة ،
فمضى على وجهه مغترأ يضربُ إسطي أهجن خيله ، مُعنعاً إلى حينِه .

قال أبو الفتح : وأقولُ إنه على ذلك عند انتهائه ، لو ضرب مصافاً
يقيم فيه ويقدمُ رجاله للحرب طائفةً يمدُّهم بطائفة ، وتنفُ خيلهم
رداءً لهم ما فارق الصواب . لكنَّ الحينَ غطى على بصره فألقى نفسه علينا
في أوائل خيله ، ولما تستبين الأشباحُ ظلمةً . فانتشب الحربَ معنا غلَسَ
ذلك اليوم ووالى علينا الشدَّات الصعابَ بنفسه ، فعلمنا أنه لا يُنجينا إلا الصدقُ .
فاستقبلناه بوجوهنا ثم ردّدنا عليه الكثرةَ ، وطاولناه بالقوة ١ ، فحمل علينا
حملةً ثالثةً مع أسيحابٍ له ، وكنّا في سنَدٍ ضَرُوسٍ كَبُودٍ ، منيعٍ
الصُّعُودِ ٢ إلينا ، نَزُودٌ ٣ منه وننالُ من أصحابه ، فإذا ردّدنا عليهم
استعنا بفضل الانحدار من علي ، فنخطفهم خطفَ الأجادلِ : فصَدّقنا
هذه الحملةَ ، فساقنا ٤ حتى رمانا على إسماعيل بن عباد ومن معي من
الأندلسيين ، فثاروا في وجهه ، فتواقف الفريقان ساعةً . وظهر كمين

١ البيان : بالكثرة .

٢ البيان : في جبل منيع الصمود .

٣ البيان : نزود .

٤ ط : فساقها .

ابن عباد وجاد صبره ، وحرّضَ غلمانَه العجمَ ، فشَدَّتِ الجماعةُ على يحيى شِدَّةً مُنْكَرَةً ، وحدَرُوا من ذلك التل الذي تسنموه فانكسروا ، وصُرعَ في ذلك قومٌ وتمادى الطلبُ وراءهم بعد واقفةٍ عظيمة ، فصُرعَ يحيى وحرّزَ رأسه ، وطيرَ به إلى ابن عبادٍ بإشيلية فخرٌ ساجداً ومسجداً^١ . من حضر لسجوده ، وانطبق البلدُ فرحاً ، واستمرت الهزيمةُ على أصحاب يحيى ، حتى ساء ذلك محمد بن عبد الله ، وبدت عصبيةُ لقومه ، وكلمَ ابن عباد في رفعِ السيف عنهم فأطاعه في ذلك ، وتمَّ لابن عبد الله ما أراد من حقنِ دماءِ قومه ، إذ لم يأتِ الذي أتاه إلا عن ضرورة ، ولم يتلغنم أن أسرع الرِّكضَ إلى قرمونة دون إسماعيل بن عباد ، فجاءها لوقته وقد ملك سودان يحيى أبوابها على أهلها ، فدنا إلى مكان عورتها من سورها الجوفي وقد عرفه^٢ ، ففتَحَ له ودخل من ساعته دارَ يحيى وحاز جميعَ ما ألفاهُ من مالٍ ومَتاعٍ ، واشتمل على نسائه وأباح حُرْمَهُ لَبْنِهِ^٣ . واستحلَّ حرامهنَّ ، واستوى في مجلسه ، ونصر نصرّاً لا كفاء له ، ورد الله عليه ملكه ، ثم لم يجد على ذلك شاكراً للنعمة ، ولا مقصراً عن ارتكاب المعصية . وسقط الخبرُ بمقتلِ يحيى على أهلِ قرطبةَ فما صدَّقوه من الفرح .

قال أبو عامر : ومما يلزم المدعي لصناعة الكلام إذا اعتمد وصف حالة أن يستوفي^٤ جميعها ، ويكون ما يطلبه من الإبداع والاختراع فيها غيرَ خارجٍ عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وأفخمُ للمتكلم به .

١ البيان : وعجب .

٢ البيان : إلى مكان عرفه في سورها الجوفي .

٣ س : بنيه .

٤ س : يستوفي ذكره .

وأدل على أن الكلام له ومن تأليفه ، لا كما شهدته يوماً عند ابن حمّود وقد صدر عن ابن الشّرب ، وملحه عدة شعراء صدور أشعارهم لزينب والرباب وليس وفرنتي ، وأعجازها للجود والكرم وبذل اللهى ، ولم يلم أحد منهم بذلك الغرض والمغزى إلا في بيتين أو ثلاثة ، فأنشدته أنا يومئذ من جملة قصيدة أولها ١ :

فريقُ العدا من حدّ عزمك يفرقُ	وبالدّهرِ مما خافَ بطشك أولقُ
عجبتُ لمن يعتدُّ دونك جنةً	وسهمك سعدٌ والقضاءُ مفوقُ
ومن يتني بيتاً ليقطعَ دونه	ممرّ رباحِ النصرِ وهو الخورنقُ
وما شرب ابن الشربِ قبلك خمرةً	من الذل بالعجز الصريح تُصَفّقُ
توهمَ فيه الرّعنَ حصناً فزرتَه	بأرعنَ فيه مُرعدُ الموت مبرقُ
وحولك أسيافُ من السعدِ تنتضي	وفوقك أعلامُ من النصر تحفقُ
بأبيضَ مُسودّ الدّلاصِ كأنّه	شهابٌ عليه من دجى الليل يلمقُ
وأسودَ مبيضَ القباءِ كأنما	يطيرُ به نحو الكريمة عَفَقُ
وخيلٍ تمثي للوغى يبطونها	إذا جعلتُ بالمرتقى الصّعبَ تزلقُ

وهذا البيت مما لم يحسن أبو عامر سرقة ، ولا بلغ به طيقته ، وهو من قول أبي الطيب ٢ :

إذا زلقت مشيتها يبطونها كما تمثي في الصبيد الأراقمُ

١ ديوان ابن شهيد : ١٣٠ (عن الذخيرة وحدها) .

٢ ديوان المتنبي : ٣٧٩ .

وله من أخرى في سليمان المستعين^١ :

بكى أسفاً للبين يوم التفرقِ وقد هَوَّنَ التوديعُ بعضَ الذي لقي
وما للذي ولّى به البينُ حسرةً بكيتُ، ولكن حسرةً للذي بقي
وقد شاقني الورقُ السواجعُ بالضحي ومن يستمع داعي الصباةِ يشقّ
على فننٍ من أيكةٍ قد تعلقتُ بجبل النوى^٢ من قلبي المتعلقِ
فصدقتُها في البين من غيرِ عبرةٍ وكم من كثيرٍ الدمعِ غيرِ مُصدقِ
لعلَّ نسيمَ الريحِ تأتي به الصبا بنشرِ الخُزامى والكباءِ المعبقِ
كانَ عليها نفحةٌ عبشيّةٌ أتتْ من جنّابِ المستعينِ الموفقِ
ومنها :

فقلتَ الذي قد نلتَ إذ ليس للعلا^٣ سواك كأن الدَّهرَ للناسِ مُنتقي
قوله : « وما للذي ولّى به البينُ حسرةً » . . . البيت ، يلمعُ قولَ
محمد بن هانيء^٤ :

لا تسلي عن الليالي المواضي وأجرتني من الليالي البواقي
وأوضحُ منه قولُ الآخر :

١ ديوان ابن شهيد : ١٣٢ (عن الذخيرة) .

٢ س : الهوى .

٣ ط : الهوى .

٤ ديوان ابن هانيء : ٩٥ .

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء^١
 وقوله : « كأنَّ الدهرَ للناسِ منتقمي » ... لفظُ بيت أبي الطيب^٢ :
 ولما رأيتُ الناسَ دونَ محلِّه تيقنْتُ أنَّ الدهرَ للناسِ ناقدٌ^٣
 ولأبي عامر قصيدة يقول فيها ، وقد أزمع على الخروج من قرطبة إلى
 مالقة لاحقاً بيهيى بن علي^٤ :

أرى أعياناً ترنُّو إليَّ كأنما أدورُ فلا أعتامُ غيرَ محاربٍ
 ويحبُّ لي فهمي ضروباً من الأذى وأوجعُ مظلومٍ لقلبٍ وذئبي حجىً
 غنيتم على ما ترعمون عن الورى وهل يُقدِّمُ البازي على الطير في الضحى
 سلامٌ عليكم لا نحيبةَ شاكرٍ وما قُرِعتْ سني عليكم ندامةً
 عليكم بداري فاهدِموها دعائماً لئن أخرجتني عنكم شرُّ عصبيةٍ
 وإن هضمتُ حقِّي أمةً عندها ولا غرو من تلك القلائسِ جالياً
 تُساورُ منها جانبي أرقامُ وأسى فلا ألقى امرأةً لي يُسلم
 وأشقى امرئاً في قرية الجهل عالم فتىً عربيَّ تزدريه أعاجم
 لقد سفهتُ تلك الخلومُ الزوامم إذا زال عن ريش الجناح القوادم
 ولكن شجىً تنسُدُّ منه الخلاقم وأوشكُ غداً أن يَقْرَعَ السن نادم
 ففي الأرضِ بناءٌ ون لي ودعائم ففي الأرضِ إخوانٌ عليَّ أكارم
 فهاتا على ظهرِ المحجةِ هاشم إذا عرفتُ حقِّي هناك العمائم

١ البيت من أبيات لابن الرعلاء القسائي ، والرعلاء أمه ، انظر الخزانة ٤ : ١٨٧

وحامدة ابن الشجري : ٥١ والسمط : ٨ ، ٦٠٣ .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٢ .

٣ هنا تنتهي ترجمة ابن شهيد في ط .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٥٣ . ٥ كذا ورد .

قال أبو الحسن : وقد تقدّم القول من تحيّل حُدّاقِ الصناعة في أخذ المعاني أن تترك القافية والوزن ، وكذلك يجب أن يقصدَ إلى التطويل إذا نصر المتقدم ؛ ألا ترى قول أبي عامر حين سمع الرمادي يقول ١ :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعين
غداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا
فقال أبو عامر في هذه القصيدة :

ولما فشا بالدمع من سرّ وجدنا
أمرنا بإمساك الدموع جفوننا
[فظلت دموع العين حيرى كأنها
أبي دمعا يجري مخافة شامت
وراق الهوى منا عيون كريمة
تبسمن حتى بما تروق المباسم
إلى كاشحينا ما القلوب كواتم
ليشجى بما تطوي عدول ولائم
خلال ماقينا لآل توائم]
فنظّمه بين المحاجر ناظم

فقام بهذا التركيب ما نسبت له حيلة التطويل .

وبيت الرمادي من قول ابن عبد ربّه :

وكانما غاص الأسى بجفونها ٢
حتى أتاك بلؤلؤ منشور

فاحتال الرمادي حتى أتى باللؤلؤ وعوض من الغائص التبسم ، ووقعت له استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا ، وإنما هو للشغور ، بسبب توسط اللؤلؤ الذي هو للعيون والشغور ، فنسخ المعنى نسخا ، وقلّبه قلبا .

١ انظر الجذوة : ٣٤٨

٢ س : بجفوننا .

وتشبيه الدموع بالؤلؤ أكثرُ من أن يُحصى ، ومن أحسنه قولُ القائل :
ولما وقفنا الوداعَ ودمعها ودمعي يثيران الصباةَ والوجد
بكت لؤلؤاً رطباً وفاضتْ مدامعي عقيقاً فصار الكلُّ في نحرها عقداً
ومن أحسن ما جاء من توقع أهل النمام ، والاحتفال لكتمان
الدموع السواجم ، لاسيما وقد أزفَ الفراقُ ، وعصت بما فيها من الدمع
الآماقُ ، قولُ بعض العرب :

ومما شجاني أنها يومَ ودَّعتْ تولتْ ودمعُ العين في الجفن حائراً
فلما أعادت من بعيدٍ بنظرةٍ إليَّ التفاتاً أسلمتهُ المحاجر
وقال آخر ٢ :

ولما أبتُ عيناى أن تحبسا البكا وأن تمنعا درَّ الدموعِ السواكبِ
تثاءبتُ كي أبغي لدمعي علةً ولكن قليلاً ما بقاء التثاوبِ
أعرضتُماني للهوى ونعمتما عليَّ ، لبس الصاحبان لصاحب
وأنشد ثعلب ٣ :

ومُستنجدٍ بالحزنِ دمعاً كأنه على الخلدِ مما ليس يرقاً حائراً
مكلاً مقلتيه الدمعُ حتى كأنه لما انهلَّ من عينيه في الماء ناظراً
وقال آخر : ورويت لقيس بن الملوّح :

نظرتُ كأنِّي من وراء زجاجةٍ إلى الدار من ماء الصباة أنظرُ
فبعيناى طوراً تغرقان من البكا فأعشى وطوراً تحسران فأبصرُ

١ المختار من شعر بشار : ٢٤٧ والعقد ٦ : ١٤ والزهرة : ٢٩٤ .

٢ هو أحمد بن أبي فتن كما في زهر الآداب : ١٠١٢ والسمط : ١٩٨ والمختار : ٢٢٠
والزهرة : ٣٢٠ .

٣ السمط : ٤٩٦ والآمالي ١ : ٢٠٨ وزهر الآداب : ٩٤٢ .

٤ زيادة من زهر الآداب : ٩٤٢ والآمالي ١ : ٢٠٦ .

وقال آخر ١ :

وقفنا والعيونُ مثقلاتُ يغالبُ طرفها نظراً كليلُ
نهته رِقبةُ الواشينِ حصى تعلق لا يغيضُ ولا يسيلُ

وأنشد ٢ :

ومن طاعتي إياهُ أمطرَ ناظري إذا هو أبدى من ثنياهُ لي برقاً
كأنْ دموعي تبصرُ الوصلَ هارباً فمن أجلِ ذا تجري لتدركه سباً

والبيتُ الأوَّلُ من هذينِ كقولِ المتنبي ٣ :

تبَّلُّ خَدَيَّ كلما ابتسمتُ من مطرٍ برقه ثنياهَا
وقال أبو الشَّيْص ٤ :

وقائلة وقد نظرتُ للمع على الخدينِ منحدرٍ سكوبِ
تكذبُ في البكاءِ وأنتِ خلَوُ قديماً <ما> جَسَرْتَ على الذنوبِ
قميصُك والدموعُ تجولُ فيه وقلبك ليس بالقلبِ الكئيبِ
نظيرُ قميصِ يوسفَ حينِ جاءُوا على لَبَّاته بدمٍ كذوبِ
فقلتُ لها فداكِ أبي وأمي رَجَمْتَ بحسنِ ظنكِ في الغيوبِ
أما والله لو فتشتِ قلبي لسرَّكِ بالعويلِ وبالنجيبِ
دموعُ العاشقينِ إذا تلاقوا بظَهْرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

١ هو البحري ، كما في زهر الآداب : ٩٤٢ والزهرة : ١٨٩ والمختار : ٢٤٧ .

والأماي : ٢٠٦ وسط اللآله : ٤٩٦ والديوان : ١٨٢٢ .

٢ سطر اللآله : ٤٩٧ والأماي ١ : ٢٠٦ وزهر الآداب : ٩٤٣ .

٣ زهر الآداب : ٩٤٣ وديوان المتنبي : ٥٥٣ .

٤ زهر الآداب : ٩٤٣ وثمار القلوب : ٣٥ . وديوان أبي الشَّيْص : ٢٤ - ٢٥ .

وكان بشار يقول^١ : ما زال فتى من بني حنيفة يدخل نفسه فينا
ويُخرجُها منا حتى قال :

نزفَ البكاء دموعَ عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مسدّار
من ذا يُعيرُكَ عينه تبكي بها أريت عينا للبكاء تُعارُ ؟

وقال آخر ، مما أنشد أبو عليّ البغدادي :

قالوا : فما نفَسٌ يعلو كذا صُعداً وما لعينك لا ترقا مآقيها ؟
قلت : التلومُ من تدّ أب سيركُمُ ودمعُ عيني يجري من قدّى فيها

وأنشد أبو عليّ لغيره^٢ :

يقلن : لقد بكيتَ ، [فقلت] كلاً وهل يبكي من الطربِ الجليلُ ؟
ولكنّي أصاب سوادَ عيني عُويدُ قدّى له طرفٌ حديد
فقالوا : ما لدمعها سواء أكلنا مقلتيك أصاب عودُ ؟ !

وقال ابن أبي ربيعة في قريب منه^٣ :

كفكفتُ دمعِي بالرداءِ وإنما أخفيتُ فيضَ الدمعِ عن أصحابي

١ زهر الآداب : ٩٤٣ ، والأما لي ١ : ٢٠٦ والسمط : ٣١٤ وديوان العباس بن الأحنف : ١١٦ .

٢ هو لأبي المتاهية عند ابن خلكان ١ : ٢٢٤ والسمط : ١٩٧ وانظر الأما لي ١ : ٤٩ .

٣ ديوان ابن أبي ربيعة : ٤٣ .

٤ رواية الديوان :

فأنهل دمعِي في الرداءِ صباية فسترته بالبرد دون صحابي

فرأى سوابقَ عَبرةٍ مسفوحةٍ عمرو فقال : بكى أبو الخطاب!

وقال العباس بن الأخنف^١ ورجع إلى الطريق :

لكنْ ذهبْتُ لأرتدي فطرفتُ عيني بالرداءِ

وقال ابن فتوح من أهل عصرنا :

وقد تعلق بالأشجارٍ منحدرًا تعلقَ القطرُ بالاغصانِ والورقِ

وقال أبو جعفر ابن هريرة التُّطيلي^٢ :

يكفكفُ من تلك الدموعِ وربما جلاها الرداءُ وامرئُها الأصابعُ

وحدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي قال :

دخلتُ يوماً على أبي عامر ، وقد ابتدأتْ علته التي مات منها فتأتس بي ،

وجرى الحديث إلى أن شكوتُ إليه تَجَنِّيَ بعض إخواني عليّ ، ونفاره

عني ، فقال لي : سأسعى في إصلاح ذاتِ الين . فخرجتُ عنه ،

واتفق لقائي بذلك المتجنّي مع بعض إخواني ، وأعزهم عليّ ، فلما رأيته

مُؤْتِياً عن ذلك الصديق أنكر عليّ ، وسأله عن السبب الموجب ، فأخبره

وزادني مشيها حتى لحقنا بي وعزما عليّ في مكالمة صاحبي ، وتعاتبنا

عتاباً أرقاً من الهوى ، وأشهى من الماء على الظما ، حتى جئنا دارَ أبي عامر ،

فلما رأيته ضحك وقال : من كان الذي تولّى إصلاح ما كنّا سرِّرنا بفساده ؟

قلنا : قد كان ما كان ، فأطرق قليلاً ثم أنشد^٣ :

١ لم يرد في ديوانه ، وهو ليشار عند ابن خلكان ١ : ٢٢٤ والسمط : ٧٠

٢ لم يرد في ديوانه .

٣ ديوان ابن شهيد : ١٧١ (عن اللخيرة) .

مَنْ لَا اسْمِي وَلَا أُبُوحُ بِهِ أَصْلَحَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَهْوَى
أَرْسَلْتُ مَنْ كَابِدَ الْهَوَى فَدْرَى كَيْفَ يُدَاوِي مُوَاضِعَ الْبَلْوَى
وَلِي حَقُوقٌ فِي الْحُبِّ ظَاهِرَةٌ لَكِنَّ الْغَيْيَ يَعْدُهَا دَعْوَى
يَا رَبَّ إِنَّ الرُّسُولَ أَحْسَنَ بِي يَا رَبَّ فَاحْفَظْتَنِي مِنَ الْأَسْوَى

قال ابن المصنف: ودخلت عليه يوماً في تلك العلة ومعى غلامٌ وسيمٌ من إخواننا، وكان أبو عامر قبل ذلك يحبُّ مَازِجَتَهُ فيُشَافِرُهُ، حتى خاطب أبو عامر بعض إخوانه بشعرٍ مَسَتْهُ فيه بطرفٍ لسانه، فقال له ذلك الغلام: هجوتني يا أبا عامر دون أن تستثبت في أمري، وأن تعلم من سري ما يوجب ذلك، فقال: عليّ تكفيره بما يحويه من القراطيس والصُّدُور، وكان ذلك إثر صلاةِ العشاءِ الأولى، فطفنا بالجامع ثم انصرفنا إليه وأنشدنا^١:

أَلَا بَأْنِي زَائِرِي فِي الْعَتَمِ بُوْجِهْ يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلَمِ
تَكْتَمُ بِاللَّيْلِ فِي ظِلِّهِ وَهَلْ يُمْكِنُ الصُّبْحُ أَنْ يَكْتَمَ؟^٢
أَتَى يَسْتَجِيرُ أَلْفَا لَهُ كَمَا جَاوَرَ الْبَانُ رَطْبَ الْعَنَمِ
وَقَدَرَقَ مَا وَرَدُتْكَ الْخُدُودِ بِمَا سَالَ مِنْ مَسَكٍ تِلْكَ اللَّحْمِ
وَكَانَ يَحْمَحُمُ تَحْتَ الْعَذَارِ كَحَمْحَمَةِ الْخَيْلِ تَحْتَ اللَّجَمِ
فَقُلْتُ: مِنَ الزَّائِرِي وَالِدَجِي^٣ يَسُدُّ الْعَيُونَ بِثُوبٍ أَحْمَ
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: لَا تَلِمْ بِمَا جِئْتَ مِنْ كَذِبٍ يَنْتَظِمُ

١ ديوانه: ١٥٢ (عن اللخيرة).

٢ س: في الدجى.

٣ س: بثوبي آدم.

فَأَيَقَنْتُ أَنْ أَبَا خَالِدٍ مَرَرَى وَخِيَالَ حَبِيبِي أَلَمْ
فَأَبْصَرْتُ وَجْهَهَا حَكَاهُ الْهَلَالُ وَتَغَرَّأَ حَكَى الدَّرِّ لَمَّا ابْتَسَمَ
وَالْأَفْعَقُ يُقِيلُ الْعِثَارَ فَذُو الْعَرْشِ يَرْحَمُ مَنْ قَدْ رَحِمَ
فَقَالَ : بَلِ الْعَفْوُ يَا سَيِّدِي وَقَبْلَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَضَمَ
فَبِتُّ عَلَى بَرْدِ طَيْبِ الرِّضَى أَسْرُ بِلِيلِي وَإِنْ لَمْ أَنْمِ
وَقُلْتُ : ابْنُ زَيْدُونَ ، لَا كُنْتُ لِي بِخَالٍ ٢ وَلَا كُنْتُ لِي بِابْنِ عَمٍّ
خَيْثُ سَمَى يَتَنَا بِالنَّمِيمِ وَقَطَعَ خُلَّتَنَا بِالْجَلَمِ

فصل في ذكر آخر أيام^٣ أبي عامر ووفاته ، رحمه الله

قال : ولما طال بأبي عامر^١ ألمه ، وتزايد سَقَمُهُ ، وغلب عليه الفالجُ الذي عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، لم يُعِدْ مِنْهُ حَرَكَةً وَلَا تَقَلُّبًا ، وكان يمشي إلى حاجته على عصا مَرَّةً ، واعتماداً على إنسان مَرَّةً ، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً ، فإنه صار حجراً لا يَبْرَحُ وَلَا يَتَقَلَّبُ ، وَلَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُحَرِّكَ لِعَظِيمِ الْأَوْجَاعِ ، مع شدة ضغط الأنفاسِ وعدمِ الصبر ، حتى هَمَّ بِقَتْلِ نَفْسِهِ ، وفي ذلك يقول من قصيدة^٤ :

أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدَبُ نُبْلِهَا إِذَا أَنَا فِي الضَّرَاءِ أَزْمَعْتُ قَتْلَهَا
رَضِيتُ قَضَاءَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ عَلَيَّ وَأَحْكَامًا تَيَقَّنْتُ عِلْمَهَا

١ ورد بيت مضطرب قبل هذا وهو :

فَقُلْتُ أَمْرٌ بِهِمْ فَاشْمَرْ بِضَرْبِ فَاخِذِرْ حَانَ نَدَمِ

٢ س : لَا كُنْتُ بِخَالٍ .

٣ س : أَمْرٌ .

٤ ديوانه : ١٤٥ (عن الذخيرة) .

أَظْلُ قَعِيدَ الدَّارِ تَجْنُبُنِي الْعَصَا
وَأُنْعَى خَسِيسَاتِ ابْنِ آدَمَ عَامِلًا
أَلَا رَبُّ خَصِمٍ قَدْ كَفَيْتُ ، وَكَرْبَةٌ
وَرَبُّ قَرِيضٍ كَالْجَرِيضِ بَعْثُهُ
فَمَنْ مَبْلَغُ الْفَتْيَانِ أَنْ أَخَاهُمْ
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مَنْ فَنَى عَضَهُ الرَّدَى
يُبَيِّنُ وَكَفِ الْمَوْتِ تَخْلَعُ نَفْسُهُ

على ضعفٍ ساقٍ أو هن السقم رجليها
براحةٍ طفلٍ أَحْكَمَ الضَّرَّ نَصْلَهَا
كشفتُ ، ودارٍ كنتُ في المحل وبليها
إلى خطبةٍ لا ينكرُ الجمعُ فصلها
أخو فتكةٍ شنعاء ما كانَ شكلها
ولم ينسَ عَيْنًا أثبتَ فيه نَبْلَهَا
وداخلها حُبٌّ يهونُ ثكلها

ونقلتُ من خط الفقيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بْنِ حَزْمٍ الشَّافِعِيِّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ
أَبُو عَامِرِ ابْنِ شُهَيْدٍ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي اعْتَلَّتْ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ ١ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعِيْشَ وَلَى بِرَأْسِهِ
تَمَنَيْتُ أَنْتِي سَاكِنٌ فِي غِيَابَةٍ
أَذُرُ ٢ سَقِطَ الْحَبِّ فِي فَضْلِ عَيْشَةٍ
خَلِيلِي مِنْ ذَاقِ الْمَنِيَّةِ مَرَّةً
كَأَنْتِي وَقَدْ حَانَ ارْتِحَالِي لَمْ أَفُزْ
فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي ابْنِ حَزْمٍ وَكَانَ لِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ إِنِّي مَفَارِقُ
فَلَا تَنْسَ تَأْيِينِي إِذَا مَا فَقَدْتَنِي
فَلِي فِي إِدْكَارِي بَعْدَ مَوْتِي رَاحَةٌ
وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ فِيمَا تَقَدَّمَتْ

وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ لَاحِقِي ٣
بِأَعْلَى مَهَبِّ الرِّيحِ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ
وَحِيداً وَحَسْبِي الْمَاءُ ثَنِي الْمَفَالِقِ
فَقَدْ ذُقْتُهَا خَمْسِينَ قَوْلَةً صَادِقٍ
قَدِيماً مِنَ الدُّنْيَا بِلَمْحَةٍ بَارِقٍ
يَدَا فِي مُلَمَّاتِي وَعِنْدَ مَضَائِقِي
وَحَسْبُكَ زَاداً مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ
وَتَدَّكَارَ أَيَّامِي وَفَضْلَ خِلَافَتِي
فَلَا تَمْنَعُونِيهَا عُلَّالَةٌ زَاهِقِ
ذُنُوبِي بِهِ مِمَّا دَرَى مِنْ حَقَائِقِي

١ ديوانه : ١٣٣ (عن الذخيرة).

٢ تنفرد نسخة دار الكتب ببعض أبيات هذه القصيدة والقصائد التالية ، وتخلجها السهم .

٣ يدر الحب : يأخذه بأطراف الأسابع .

ومن جواب ابن حزم له :

أبا عامر ناديتَ خلاً مُصافياً
وألفتَ قلباً مخلصاً لكَ مُمنحضاً
شدائدُ يجلوها الإلهُ بلُطفه
وربَّ أسيرٍ في يدِ الدهرِ مطلقاً
سفينةُ نوحٍ لم تضيقْ بحملولها
فإن تنجُ قلتُ الحمدُ لله مخلصاً
يفدّيكَ من دهمِ الخطوبِ الطوارقِ
بودكَ موصولَ العرى والعلائقِ
فلا تأسَ¹ إن الدهرُ جمّ المضايقِ
ومنطلقٍ والدهرُ أسوقُ سائقِ
وضاقَ بهم رَحْبُ الفلا² المتضايقِ
فمن أعظمِ النعمى بقاءُ المصادقِ

وسمع في تلك العلة نعي الوزير
الكاتب أبي جعفر ابن اللماحي³ ،
فقال قصيدته هذه⁴ :

أمن ناسهمُ اتفجعُ الجنوبي
أهدى إلي دنلاً نافعاً
والليلُ قد تام في أثوابِ نادبةٍ
والنجمُ تحسبُه فدّامَ تابعه
وجَدُولُ الأفقِ يجري في متافسه
فقلتُ وانقم منشورٌ على جسدي
أهدى المائي من أزهارِ فكرته
فقتل مات فقال الليلُ قارب ذا
وبتُ فرداً أناجي مقلتي شغفاً
أسرى فصاك به في الغورِ غاري⁵؟
أدماءَ شقّ بها الدّماءَ هندي
كأنه فوق ظهر الأرضِ نوبي
حمامةً رامها في الجوّ بازي
ماءٌ سقى زهرةَ الخضرَاءِ فقي
يحدو الرّدى ورداء العيشِ مطوي :
نشرأ فقال الدجى : مرّ اللماحي
فأنهل من مقلتي نوءً سماكي
كأنني في نقوبِ الدارِ جني

١ من : فلا بأس .

٢ من : الملا .

٣ ستأتي ترجمة من اسمه ابن اللماحي في هذا القسم من الذخيرة ؛ ولعله شخص آخر .

٤ الديوان : ١٧٢ .

لَاعَشْتُ إِنْ مِتَّ لِي يَا وَاحِدِي أَبَدًا
 إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا مَا مَاتَ صَاحِبُهُ
 لَمْ يَمُتْ قَبْلَكَ لَا تَعْجَبْ فِدُو أَمَلٍ
 أَوْ مِتَّ قَبْلِي فَمَا مَنَعَكَ لِي عَجَبٌ
 زَادَ الْبَلَاءُ عَلَى نَفْسِي فَأَعْلَمُهَا
 حَتَّى أَهْمٌ بَقْتَلِي كُلَّ دَاجِيَةٍ
 إِنِّي إِلَى اللَّهِ مِنْ عَقَبَى بُلَيْتُ بِهَا

وَمَوْتُنَا وَاحِدٌ لَا شَكَّ مَرْتَبِي
 أَوْدَى بِهِ الْوَجْدَ وَالْثَكْلُ الطَّبِيعِي
 قَدْ حَمَّ مِنْ دُونِهِ يَوْماً حَمَامِي
 إِنَّ الْكَرِيمَ إِلَى الْأَصْحَابِ مَنَعِي
 صَبْرِي فَصَبْرِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَحْشِي
 يَا قَوْمَ هَلْ رَامَ هَذَا قَبْلُ إِنْسِي؟
 جَرَى بِهَا الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ الْإِلَهِي

وَقَالَ أَيْضاً فِي عِلَّتِهِ تِلْكَ ١ :

أَقْرَ السَّلَامَ عَلَى الْأَصْحَابِ أَجْمَعِهِمْ
 وَقُلْ لَهُ : يَا أَعَزَّ النَّاسِ كُلَّهُمْ
 اللَّهُ جَارُكَ مِنْ ذِي مَنَّةٍ ظَفَرْتُ
 مَا كَانَ حَبَّكَ إِلَّا صَوْبَ غَادِيَةٍ
 إِنْ شَاءَ صَرَفُ الرَّدَى تَقْدِيمَ أَطْوَعِنَا
 وَإِنْ أَحَبَّ الثَّرَى جَسماً لِيَا كُلَّهُ
 عَشْنَا [أَلَيْفِينَ] فِي بَرِّ الْهَوَى زَمَانًا
 فَشَتَّتْ نُوْبُ الْأَيَّامِ أَلْفَتْنَا

وَحُصَّنَ عَمراً بِأَرْكَى نُورٍ تَسْلِيمٍ
 شَخْصاً عَلِيّاً وَأَوَّلَاهُمْ بِتَكْرِيمٍ
 مِنْهُ اللَّيَالِي بِعَاقٍ غَيْرِ مَلُومٍ
 طَبِياً وَحَاشَا لِحُبِّي فَيْكَ مِنْ أَوْمٍ
 فَقَدْ رَضِيتُ - حَمَاكَ اللَّهُ - تَقْدِيمِي
 أَسْمَحَ بِسَمِيٍّ لَهُ يَفْدِيكَ تَعْظِيمِي
 حَتَّى زَقَا بِنَوَانَا طَائِرُ الشُّومِ
 قَسْرًا وَلَمْ يُغْنِهَا ظَنِّي وَتَنْجِيْمِي

وَكُتِبَ أَيْضاً إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي عِلَّتِهِ يَوْمَئِذٍ ٢ :

هَذَا كِتَابِي وَكَفَّ الْمَوْتَ تَزْعَجْنِي
 عَنْ الْحَيَاةِ وَفِي قَلْبِي لَكُمْ ذِكْرٌ

١ ديوان ابن شهيد : ١٤٩ (عن الذخيرة) .

٢ ديوانه : ١٠٧ (عن الذخيرة) .

إِنِّي إِلَى اللَّهِ لَا حَقَّ وَلَا عُمَرُ
إِلَّا وَأَظْلَمَ مِنْ أَضْوَائِهَا الْقَدَرُ
سَعَى لِنَارِ بَنِي الْإِسْلَامِ فَانْتَصَرُوا
عَلَى الْمُظْفَرِ فَهُوَ الْفَلَجُ وَالظَّفَرُ

إِنْ أَقْضَيْكُمْ حَقَّكُمْ مِنْ قِلَّةِ عُمُرِي
لَهْفِي عَلَى نَيْتَاتٍ مَا صَدَّعَتْ بِهَا
فَاقَرَ السَّلَامَ عَلَى الْمَنْصُورِ أَفْضَلَ مِنْ
وَاعْطَفَ بِهَا عَطْفَةً تَهْتَزُّ مِنْ كَرَمِ

وَقَالَ أَيْضاً فِي عِلْتِهِ تِلْكَ ١ :

فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا كَلِمَحَةٍ نَاطِرٍ
فَلَمْ أَلْفِهِ إِلَّا كَصَفْقَةِ خَاسِرٍ
إِذَا غَادِرُونِي بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ
وَجُوهُ مُصَابِيحِ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
بَكَوْا بَعِیُونَ كَالسَّخَابِ الْمَوَاطِرِ
أَقْلَوْا فَقْدَمًا مَاتَ آبَاءُ عَامِرٍ
بَلِیْغٍ وَلَمْ يَعْطَفَ بِأَنْفَاسِ شَاعِرٍ
قَوِيٍّ وَلَا لِلضَّعْفِ مُهْجَةً صَافِرٍ
وَيَهْفُو بِنَفْسِ الشَّارِبِ الْمُتَسَاكِرِ
يُصَدِّقُ فِيهَا أَوَّلِي أَمْرٍ ٢ آخِرِي
هُوَى كَشْرَارِ الْجَمْرَةِ الْمُتَطَايِرِ
وَيَهْتَاجُنِي وَالنَّفْسُ عِنْدَ حَنَاجِرِي

تَأَمَّلْتُ مَا أَفْنَيْتُ مِنْ طُولِ مُدَّتِي
وَحَصَلْتُ مَا أَدْرَكْتُ مِنْ طُولِ لَدُنِّي
وَمَا أَنَا إِلَّا رَهْنٌ مَا قَدَّمْتُ يَدِي
سَقَى اللَّهُ فِتْيَانًا كَانَ وَجُوهَهُمْ
إِذَا ذَكَرُونِي وَالثَّرَى فَوْقَ أَعْظَمِي
يَقُولُونَ : قَدْ أودَى أَبُو عَامِرٍ الْعُلَا
هُوَ الْمَوْتُ لَمْ يُصَرِّفْ بِإِجْرَاسِ خَاطِبٍ
وَلَمْ يَحْتَنِبِ اللَّطِشَ مُهْجَةً قَادِرٍ
يَحُلُّ عُرَى الْجَبَّارِ فِي دَارِ مُلْكِهِ
وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَدَانَتْ مَنِيتِي
وَلَكِنْ عَجِيبًا أَنْ بَيْنَ جَوَانِحِي
يَحْرُكُنِي وَالْمَوْتُ يَحْفَزُ مُهْجَتِي

وَبَلِغْنِي أَنْ آخِرَ شَعْرٍ قَالَهُ يُوَدِّعُ إِخْوَانَهُ هَذِهِ الْآيَاتُ ٣ :

١ ديوانه : ١١٣ .

٢ س ب : أول الأمر .

٣ ديوانه : ١٢٩ .

أستودع الله إخواني^١ وعشرتهم
وفتية^٢ كنجوم القذف نيرهم
وكوكبا لي منهم كان مغربه
الله يعلم أني ما أفارقه
كنّا أليفين خان الدهر^٣ ألفتنا
فإن أعش فعل الدهر يجمعنا
لا ضيغ الله إلا من يضيغه
قد كان يردي إذا ما مسني كلف^٤
حتى رمتنا صروف الدهر عن كتب
إني لأرمقه والموت يضغطني
وكل خرق إلى العلياء سباق
يهدي ، وصائبهم يودي بإحراق
قلبي ، ومشرقه ما بين أطواق
إلا وفي الصدر مني حر مشتاق
وأي حر على صرف الردي باقي
وإن أمت فسيبقه كذا الساق
ومن تخلق فيه غير أخلاق
لا يثلم الحسب آدابي وأعراف
ففرقتنا ، وهل من صرفه واق ؟
فأقتضي فرجة مرتد أرماني

ثم أوصى أن يدفن بجانب صديقه أبي الوليد الزجالي^٥ ، ويكتب على
قبره في لوح رخام هذا النثر والنظم :

بسم الله الرحمن الرحيم « قل هونبا عظيم^٦ أنتم عنه معرضون » ،
هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا إله
إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ،
وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله
يبعث من في القبور . مات في شهر كذا من عام كذا . ويكتب تحت هذا
النثر هذا النظم^٧ :

١ س : أصحابي .
٢ ذكره الفتح في القلائد : ١٥٣ (وعنه النفع : ١ : ٦٢٥ - ٦٢٦) وكنه و أبا
مروان .
٣ ديوانه : ٩٨ والقلائد : ١٥٣ والنفع : ١ : ٦٢٦ .

يا صاحبي قم فقد أطلنا
فقال لي : لن نقوم منها
تذكر كم ليلة لهُونا^١
وكم سرور هَمَنِي علينا
كلُّ كأن لم يكن تقضى
حصَّله كاتب حفيظ
يا ويلنا إن تنكبتنا
ياربِّ عفواً فأنت مولى
أنحن طولَ المدى هجودُ ؟
ما دام من فوقنا الصَّعيدُ
في ظلِّها والزمان عِيد ؟
سحابةٌ ثرةٌ تجود ؟
وشؤمُه حاضر عتيد
وضمَّه صادق شهيد
رحمةٌ من بطشه شديد
قَصَرَ في أمرك^٢ العبيد

ينظر قوله : « لن نقوم منها » ... البيت ، إلى قول ابن المعتز^٣ يصف
أهل القبور :

وسكانِ دارٍ لا تراوَرَ بينهم
كانَّ خواتيماً مبن الطين فوقهم
على قرب بعضٍ في المحلة من بعضٍ
فليس لها حتى القيامة من فض

وما أرى أبا عامر إلا نقله من قول المعري في رثاءِ أمِّه حيث يقول^٤ :

سألت متى اللقاء ؟ فقل حتى يقومَ الهامدون من الرِّجَام

قالوا : وكان أبو عامر كثيراً ما كان يخشى صعوبة الموت ، وشدة
السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب إلى الله أن يرفق به ،
ويُكثر من ذكره ، وقد أيقن بفراق الدنيا ، إلى أن ذهب نفسه رحمه الله

١ القلائد والنفح : فمينا .

٢ القلائد والنفح : شكرك .

٣ ديوان ابن المعتز ٤ : ٣٥٤ وزهر الآداب : ٧٧٤ .

٤ شروح السقط : ١٤٦٨ .

يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة . ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والويل ، وأنشد على قبره من المراثي جملة موفورة لطوائف كثيرة ، منها قول أبي الأصمغ القرشي من قصيدة يقول فيها :

شهدنا غريباتِ المكارم والعُلا	تُبَكِّي على قبر الشهيدِ أحمدا
وما زال أهل الدين والفضل والتقى	عكوفاً به حتى حسبناهُ مسجدا
أريد بسقيا الغيث إحياءَ حفرةٍ	كدرنا بها نجم العُلا المتوقدا
ولم أر مثلي بات مستسقي الحيا	لماء حياءٍ كان يشفي من الصدى
فأي جمال صار في قبضة الثرى	وأي بهاء قد طوته يدُ الردى
وأي قناة في طلى الأرض غيبت	وأي حُسام في حشا القبر أغمدا
بنفسي الذي أودى وأنشأ للندى	حماماً على دوح العلاء مغردا
أبا عامر ، بُعداً لسهم مصيبةٍ	رماك به ريبُ المنون فأقصدا
لقد فُتَّ في نشر الفضائل يافعاً	وبرزت في جمع المكارم أمردا
لَشَقَّتْ عليك المكرماتُ جيوبها	وأظهر فيك المجدُ خدأً مخددا

ومنه قول أبي حفص ابن برد الأصغر^١ من قصيدة أولها :

بفبك التَّربُّ من ناعٍ نعاني	نعى غيري إليّ وما عدائي
وكيف ولم يسئل طرفي بلمعٍ	عليه ، ولم يُجَنَّ له جنائي
لأية خصلة تبكيك عيني	ومالي بالحساب لها يدانٍ
اللهم المنوطة بالثريا	أم الشيم المهدبة الحسانِ

١ سترد ترجمته في هذا القسم من الذخيرة

أم الكرم الذي ما زال يجري مع الأنواء في طَلَقِ الرهانِ
 أم القلم الذي قد كان يجني من القرطاس نُورَ البيانِ
 أم الرأي الذي ما زال يُغني عن السيف المهتد والسنانِ
 شهدتُ لقد أصيبَ بنو شهيدٍ بقاطعة السواعد والبنانِ
 به درجوا من الدنيا فبانوا وكلُّ ما خلا الرحمن فاني

فصل في ذكر ذي الوزارين الكاتب أبي الوليد ابن زيدون ، واجتلاب عيون من أخباره ، وفصوص^١ من رسائله وأشعاره^٢

قال أبو الحسن: كان أبو الوليد صاحب^٣ منشور ومنظوم، وخاتمة شعراء
 مخزوم، أحدُ من جرَّ الأيامَ جرّاً ، وفات الأنام طُراً ، وصرَّف السلطان
 نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثراً؛ إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا
 للبدر تألقه . وشعر ليس للسحر يباؤه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه . وحظ
 من النثر غريب المباني ، شعري الألفاظ والمعاني .

حدثني^٤ غيرُ واحد من وزراء إشبيلية قال : لما خلَّص ابن عبد البر^٥

١ ب : ونصوص .

٢ ترجمة ابن زيدون في الجذوة : ١٢١ ، ٣٧٩ (البقية رقم : ٤٢٦) والقلائد :
 ٧٩ والمطرب : ١٦٤ والمعجب : ١٦٢ والمغرب : ١ ، ٦٣ واعتاب الكتاب : ٢٠٧
 والنسخ (في صفحات متفرقة) والخريدة : ٢ : ٤٨ وابن خلكان : ١ : ١٣٩ والواني
 ٧ : ٨٧ ومقدمة سرح العيون ، ومقدمة تمام المتون .

٣ ب س : غاية .

٤ ب س : أخبرني .

٥ أبو محمد ابن عبد البر الكاتب ، انظر القسم الثالث : ١٢٥ .

من يد عباد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، بقيت حضرته من أهل هذا الشأن ، أعزى من ظهر الافعوان ، وأعلى من صدر الجبان . فهم يوماً باستخلاف^١ أبي عمر^٢ الباجي المشهور أمره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الكتاب^٣ ذكره ، فكان أبا الوليد غصّ بذلك ، وواطأ أبا محمد ابن الجحدّ على الإشارة بالاستغناء عما هنالك ، فكانت الكتب تُنفذ^٤ من إنشاء أبي الوليد إلى شرق الأندلس ، فيقال : تأتي من إشبيلية كتبٌ هي بالمنظوم^٥ أشبهُ منها بالمشور .

قرأت في كتاب أبي مروان ابن حيان ، وقد أجرى ذكر من اصطنع ابنُ جهنور من رجال دولته فقال : ونوّه أيضاً بفتى الآداب وعمدة الظرف ، والشاعر البديع الوصف والرّصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوّة النبيلة بقرطبة ، والوسامة والدراية وحلاوة المنظوم والسلطة وقوة العارضة والافتتان في المعرفة . وقدّمه إلى النظر على أهل الذمة لبعض الأمور المعترضة ، وقصره بعدُ على مكانه من الخاصّة والسفارة بينه وبين الرؤساء ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك .

قال أبو مروان : وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام

١ ط : باستجلاب .

٢ في الأصول : أبي محمد ؛ وقد جاء في الفهرست العام في مقدمة الذخيرة أبو عمرو ، وفي القسم الثاني (نسخة الرباط رقم ١٣٢٤ الورقة ٣٨ ب) أبو عمر ، واسمه يوسف ابن جعفر ، وكان أبوه جعفر أحد الكتاب صدر الفتنة عند عدد من الملوك ، وتوفي جعفر سنة ٤٣٥ هـ .

٣ ب س : الديوان .

٤ ط : تأتي .

٥ ب س : بالنظم الخليل .

الجماعة والفتنة ، وفرّج أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، فذهب به العُجب كلّ مذهب ، وهوّن عنده كلّ مطلب . وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن المكوي ^١ أحد حكام قرطبة ظفر^٢ أحجّن^٣ أدّاه إلى السجن ^٤ فألقى نفسه يومئذٍ على أبي الوليد ابن جهور في حياة والده أبي الحزم ، فتشّفّع ^٥ له وانتشله من نكبته ، وصيره في صناعته . ولما ولي الأمر بعد والده نوه به وأسنى خطته ، وقدمه في الذين اصطنعهم ^٦ لدوائمه ، وأوسع راتبه ، وجلله كرامة^٧ لم تقنعه ، زعموا . واتفق أن عنّ له مطلب^٨ بحضرة إدريس بن علي الحسني ^٩ بمالقة فأطال التواء هنالك ، واقترب من إدريس ، وخفّ على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه . فعتب عليه ابن جهور ، [وصرّفه عن ذلك التصرف قبل قفوله ، ثم عاد إلى جميل رأيه فيه] ، وصرّفه في السفارة بينه وبين رؤساء ^{١٠} الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة ؛ فاستقل بذلك لفضل ما أوتيّه من اللسن والعارضة ،

١ هو عبد الله بن أحمد بن عبد الملك بن هشام ، أبو محمد ابن المكوي القرطبي ، كان أبوه أبو عمر أحمد بن عبد الملك (ترتيب المدارك ٤ : ٦٣٥) مولى بني أمية ، وكان من أفضه أهل زمانه وأحفظهم للذهب مالك ، وعظم قدره بالأندلس وصار معتمداً لجميع قضائها وحكامها فيما اختلفوا فيه ، توفي منبعت الفتنة البربرية (٤٠١) ؛ أما ابنه أبو محمد فقد استقضاها أبو الحزم ابن جهور سنة ٤٣٢ ولم يكن من القضاء في ورد ولا صدر لقلة علمه ؛ ثم صرفه أبو الوليد ابن جهور ، وبقي خاملاً حتى أدركته منيته سنة ٤٤٨ (انظر. الصلة : ٢٦٧ - ٢٦٨ والمغرب ١ : ١٦٠) .

٢ يتضح من التعليق السابق أن سجن ابن زيدون تم بين ٧ محرم ٤٣٢ و ٣ بقين من ربيع الأول ٤٣٥ ، وهي الفترة التي تولى فيها ابن المكوي .

٣ ب س : فشفع .

٤ ب س : اصطنع .

٥ هو إدريس بن يحيى بن علي الملقب بالعمالي ، بويع سنة ٤٣٤ تم خلعهم أهل مالقة سنة ٤٣٨ (انظر البيان المغرب ٣ : ٢١٧) .

٦ ب س : أمراء .

فاكتسب الجاه والرفعة^١ ، ولم يبعد في ذلك من التهاافت في الترقّي لبُعد الهمة ، فهو عَمَّا قَلِيلٍ إلى عبادٍ صاحبٍ لإشيلية ، اجتذبه إلى ذلك فهاجر عن وطنه إليه ، ونزل في كتفه ، وصار من خواصه وصحابته ، يجالسه في خلواته ، ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة . وكان ذهابه إلى عباد سنة إحدى وأربعين وأربعمئة ، [فخلا بالحضرة مكانه ، وكثر الأسف عليه . انتهى كلام ابن حيان] .

قلت : فأما سعة ذرعه ، وتدفق طبعه ؛ وغزارة بيانهِ ، ورقة حاشية لسانهِ ، فالصبحُ الذي لا ينكرو ولا يردّ ، والرمل الذي لا يحصر^٢ ولا يعدّ .

أخبرني من لا أدفع خبره من وزراء إشيلية قال : لعهدي بأبي الوليد قائماً على جنازة بعض حرّمه ، والناسُ يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سُمعَ يُجيبُ رجلاً منهم بما أجاب به آخر ، لحضور جنازه ، وسعة ميدانه .

وقد أخرجتُ من أشعارهِ التي هي حجولٌ وغُررٌ ، ونوادر أخبارهِ التي هي مآثر وأثر ، ورسائلهِ التي أخرستُ ألسنة الحفَل ، [واستوفت أمد المنطق الجزل ، ما يسرُّ الآداب ويصورُها ، ويستخفُّ الألباب ويستطيرُها^٣]

١ ب س : والمنفعة .

٢ س : يحصى .

٣ موضع هذه العبارة في ب س : وكيف يصح ذلك وهو منقول عن عمر رضي الله عنه ؛ وهي عبارة غريبة في موقعها

جملة من نثره، مع ما ينخرط في سلك ذلك من شعره

[له من رقعة خاطب بها ابن جهور من موضع اعتقاله يقول فيها ^١ :
يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتدادي به ، واعتماداي عليه ، أبداً
الله ماضي حد العزم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة . إن سلبني -
أعزك الله - لباس إعدامك ، وعطلتني من حلي إيناسك ، وغضبت عني
طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع < الأصم >
ثنائي عليك ، وأحسن الإجماد بإسنادي إليك ، فلا غرو فقد يغص بالماء
شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وإني لأتجلد
فأقول : هل أنا إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عضه إكليله ، وشرقي
الصقه بالأرض صاقله ، وسميري عرضه على النار مثقه ؟ والعنب محمود
عواقبه ، والنبوة غمرة ثم تنجلي ، والنكبة سحابة صيف عن قريب
تقشع ، ، وسيدي إن أبطأ معذور .

وإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وليت شعري ما الذنب الذي أذنبت ولم يسعنه العفو ؟ ولا أخلو من أن
أكون بريئاً ، فأين العدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟ وما أراني إلا لو أمرت
بالسجود لآدم فأبيت ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت
فعمرت ، وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت ، وقدت لأبرهة
الفيل ، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ،

^١ هذه هي الرسالة الجديدة ، التي شرحها الصفدي في تمام المتن ؛ ونصها كما أورده الصفدي ناقلاً
من خط ابن ظافر (صاحب ذخائر الذخيرة) يدل على أن ابن بسام يوجز كثيراً بالحذف ،
ويغير بعض التغييرات الطفيفة محافظة على السياق الموجز .

ونفرتُ إلى العيرِ بيدر ، وانخزلت بثلك الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاتي
في بني قريظة ، وأنفتُ من إمارة أسامة ، وزعمت أن خلافة الصديقِ فلتة ،
« ورويتُ رُحمي من كتيبةِ خالد »^١ ، وضحيت بالأشعث الذي عنوانُ
السجودِ به^٢ ، لكان فيما جرى عليّ ما يحتملُ أن يسمى نكالا ، ويدعى واو
على المجاز عقاباً

وحسبكَ من حادثٍ بامرئٍ ترى حاسديه له راحميناً^٣

فكيف ولا ذنبَ إلا نعمةٌ أهداها كاشح ، ونبا جاء به فاسق ؟ واللهِ
ما غششتُك بعد التصبحة ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصاغية ، ولا نصبتُ لك
أبعد التشيعِ فيك ، فقيمَ عبتَ الجفاءُ بأذمتي ، وعاث في مودتي^٤ ،
وأنتي غلبي المغتب ، وفخر علي الضعيف^٥ ، ولطمنتي غيرُ ذاتِ سوار^٦ ؟
ومالك لا تمنع مني قبل أن أفترس ، وتلدركني ولما أمزق ، وقد زانني اسمُ
خدمتك ، وأنتُ الجميع من سماطك ، وقعتُ المقامَ المحمود على بساطك ؟
ألستُ المُوالي فيك نظمَ قصائدٍ هي الأنجمُ اقتادت مع الليل أنجماً^٧

١ من قول أبي شجرة السلمي وكان من الفتاك (تمام المتون : ١٨٦ - ١٨٧) .

ورويت رُحمي من كتيبة خالد وإني لأرجو بمدها أن أصمرا

٢ يعني عثمان بن عفان ، وفيه إشارة إلى قول حسان (تمام المتون : ١٩١) .

ضحوا بأشعث عنوان السجود به يقطع الليل تسيباً وقرأناً

٣ البيت للمعتبي ، انظر تمام المتون : ١٢١ .

٤ تمام المتون (٢٦٤) : وعاث العقوق في مواتي .

٥ إشارة إلى قول امرئ القيس :

وانك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يظلمك مثل مغلب

٦ من المثل : « لو غير ذات سوار لطمنتي » ؛ فصل المقال : ٣٨١ والميداني ٢ : ٨١

والمسكري ٢ : ١٩٣ (تحقيق أبو الفضل) وفيها : لو ذات سوار .

٧ البيت للبحري ، ديوانه : ١٩٨٤ .

وهل لبس الصباحُ إلا برداً طرزته بمحامدك ، وتقلدتِ الجوزاءِ إلا عقداً
فصلَّتهُ بمأثرك ، وفَتَّ المسكُ إلا حديثاً أذعتهُ بمفاخرِكَ ، وما يوم حليلة
بسر^١ ، وحاشَ لله أن أعدَّ من العاملةِ الناصبةِ^٢ ، وأكونَ كالذَّبالَةِ
المنصوبةِ تضيءُ للناس وهي تحترقُ^٣ .

وفي فصل منها :

ولعمري ما جهلتُ أنَّ الرأيَ في أن أتحوَّلَ إذا بلغتني الشمس^٤ ،
ونبا بي المنزل ، وأضربَ عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال^٥ ، ولا
أستوطني العجزَ فيضربَ بي المثل : خامري أمَّ عامر^٦ . وإني مع المعرفة
بأنَّ الجلاء سباء ، والنقلة مثله^٧ ، لعارف أنَّ الأدبَ الوطنُ الذي لا يُخشى
فراقه ، والخليطُ الذي لا يتوقع زِيالُه^٨ ، والنسب الذي لا يُبغى^٩ ؛
أينما توجه ورد أعذب منهل^{١٠} ، وحطَّ في جَنَابِ قبول ، وضوحك قبل

١ انظر فصل المقال : ١٢٧ ، ٤٨٦ والميداني ٢ : ١٥٠ والفيحي ٧٩ : تمام المتون :
٢٩٤ .

٢ إشارة إلى الآية « وجوه يومئذ خاشعة عاملة فاصبة » (الفاشية : ٢ ، ٣) .
٣ من قول العباس بن الأحنف :

كنت كأي ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق
٤ من قول أبي تمام :

وان صريح الرأي والحزم لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

٥ من قول البعيث (تمام المتون : ٣١٣) :

طمعت بليل أن تريبع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

٦ فصل المقال : ١٨٧ ، والميداني ١ : ١٦٠ وتمام المتون : ٣١٨ .

٧ ب س : زواله .

٨ ب س : يخفى .

٩ ب س والصفدي : ورد منهل ير . ١٠ ب س : فنزل .

إنزال رحله ^١ ، وأعطى حكم الصبي على أهله ،

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا ميتٌ صالحٌ وصديقٌ ^٢
غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، والليب يمنٌ إلى وطنه ، حنينٌ
النجيب إلى عطته ، والكریم لا يحفو أرضاً بها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيه
مراضعهُ ، قال الأول ^٣ :

أحبُّ بلادِ الله ما ييسن منعجٌ إليَّ وسلمى أن يَصُوبَ سحابُها
بلادٌ بها عَقُّ الشَّبابِ تمائي وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابها
مع مغالاتي بعلوُّ ^٤ جوارِك ، ومنافستي في الحظ من قربك ، واعتقادي أن
الطمع في غيرك طَبَعٌ ، والغنى من سواك عناء ، والبذل منك أعور ^٥ ،
والعوض لقاء ^٦

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني ضناً به نظري إلى الأمراء ^٧
وكل الصيد في جوفِ الفرا ^٨ ، وفي كل شجرٍ نار واستمجد المرخ

١ من قول عمرو بن الاثم أو حاتم :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والزمان جديب

٢ ب س والصغدي : ومقبل ؛ والبيت لعمرو بن الاثم من مفضلية له قافية (المفضليات :
٢٤٩) .

٣ معجم البلدان (منعج) لبعض الأعراب .

٤ ب س : تملق (اقرأ : يملق) ؛ وفي تمام المتن : يعقد .

٥ في النسخ : عوز ؛ وصوبته عن تمام المتن : ٣٣٩ إذ فيه إشارة إلى المثل « بذر أعور »
انظر الميداني ١ : ٥٩ وفصل المقال : ٨١ .

٦ اللقاء : الشيء الخسيس .

٧ البيت لعدي بن الرقاع ؛ الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتن : ٣٤٠ .

٨ فصل المقال : ١٠ والميداني ٢ : ٥٤ والعسكري ٢ : ١٥٠ وتمام المتن : ٣٣٧ .

والغفار^١ . فما هذه البراءةُ ممن يتولاك ، والميلُ عمن يميلُ إليك ، وهلاً
كان هوالك في من هواه فيك ، ورضاك لمن رضاه لك :

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم^٢ وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم^٣ عدم^٤

أعبدُكَ ونفسي أن أشيمَ خلْباً، وأستمطرَ جَهاماً، وأكدمَ غيرَ كدم^٥ ،
وأشكو^٦ شكوى الجريح إلى العقبان والرَّخم^٧ . وإنما أبستُ بك
لتدري^٨ ، وحرَّكتُ لك الحوَارَ لتحن^٩ ، ونبتَهتُك لأنام^{١٠} ،
ومريتُ إليك لأحمد السرى لديك ، بعد اليقين أنك إن سنيت عقد أمري
تيسر^{١١} ، ومتى أعذرتَ في فك أسري لم يتعذر ، وعامُكُ محيطُ
بأنَّ المعروفَ ثمرةُ النعمة ، والشفاعةُ زكاةُ المروءة ، وفضلُ الجاهِ - تعودُ
به - صدقة .

وإذا امرؤُ أهدي إليك صنيعةً^{١٢} من جاهه فكأنَّها من ماله^{١٣}

١ فصل المقال : ٢٠٢ والميداني ٢ : ١٤ وتمام المتن : ٣٤١ .

٢ البيت المتنبي ، ديوانه : ٣٢٤ .

٣ ب س والصفدي : واكرم غير مكرم ؛ وما ثبت هنا فانما هو من المثل « كدست غير
مكدم » ، فصل المقال : ٣٥٥ والميداني ٢ : ٥٧ .

٤ من قول المتنبي (ديوانه : ٥١٣) :

ولا تشك إلى خلق فتشمته شكوى

٥ الميداني ١ : ١٩١ .

٦ من قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا فتبه لها عمراً ثم نـم

٧ ناظر إلى قول بشار :

فبأه ثق إن عز ما تبغني وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

٨ البيت لأبي تمام ، ديوانه ٣ : ٦٠ وتمام المتن : ٣٦٦ .

لعلِّي ألقى العصا بذراك ، وتستقرّ بي النوى في ظلك ، فتستلذّ جنى
شكري من غرسٍ عارفتك ، وتستطيب عرْفَ ثنائي من روضٍ صنعتك ،
فأستأنف التأدّب بك ، والاحتياي على مذهبك ، فلا أوجدَ للحاسدِ مجال
لحظة ، ولا أدعَ للقادرِ مساعَ لفظة ، والله شهيدُك ^١ من إطلابي بهذه
الطلبة ، وإشكائي ^٢ من هذه الشكوى ، لصنيعِ تُصيبُ بها طريقَ ^٣
المصنع ، وقد تستودعها أحفظ ^٤ مستودع ، [حسبما أنت خليقٌ له ،
وأنا منك حريٌّ به ، فذلك بيدك ، وهينٌ عليك] ^٥ . [ولما توالى غرر
هذا النثر ، واتسقت دُرُره] ، فهزَّ عطفَ غُلوائه ، وجرَّ ذيلَ خيلائه ،
عارضه النظمُ مباهياً ، بل كأيده مداهياً ، حين ^٦ أشفق من أن يعطفك
استعطفه ، وتميلَ بنفسك الطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتدَّ بالفائدة
له ، وما زال يستكره ^٧ الدهن العليل ، والخاطر الكليل ، حتى زفَّ إليك
منه عروساً مجلوةً في أثوابها ، منصوصةً بجلبها وهلابها ، وما هي ^٨ :

الهوى في طلوع تلك النجوم والمني في هبوبِ ذاك النسيم
سرّنا عيشنا الرقيقُ الحواشي لو يدومُ السرورُ للمستديم

ومنها :

.....

١ الصفدي : ميرك .

٢ الاشكاه : إزالة الشكوى .

٣ الصفدي : مكان .

٤ الصفدي : أحسن .

٥ الصفدي : بيده .. عليه .

٦ ب س : حتى .

٧ الصفدي : يستكدر ؟ ب : يستنكر .

٨ ب س : وهي هذه الأبيات ، وانظر ديوان ابن زيدون : ٢٧٨ .

وَطَرٌ مَا اتَقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى
 زَارٌ مُسْتَخْفِيًا وَهِيَهَاتَ أَنْ يَخُ
 فَوْشَى الْخَلِيُّ إِذْ مَشَى وَهَفَا الطَّيْرُ
 أَيُّهَا الْمُؤَذِّنُ بَظْلَمِ اللَّيَالِي
 مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسُ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكَ عَنْكَ يَنْحُو
 يَوْمًا اللَّهُ جَهْورًا شَرَفَ السَّوْ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْفَضْلُ
 قَلَدَ الْغُمْرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ

ومنها في ذكر اعتقاله :

زَمَنٌ مَا ذِمَامُهُ بِالذِّمِيمِ
 فَمَيَّ سُرَى الْبَدْرِ فِي الظَّلَامِ الْبَهِيمِ
 بٌ إِلَى حَيْسٍ كَاشِحٍ بِالنَّمِيمِ
 لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 سٌ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ
 دَدٍ فِي السَّرِّ وَاللَّبَابِ الصَّمِيمِ
 لَ فَكَانَ الْخُصُوصُ فَوْقَ الْعَدُومِ
 وَاكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ عَلِيمِ

سَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ فِي الْعَالِ
 نَارُ بَغْيِي سَرَتْ إِلَى جَنَّةِ الْأَرِ
 [بَابِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْ تَكُ بَرْدًا
 لِلشَّفِيعِ الْغَنَاءِ وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ
 تَدِ أَنْسُ يَفِي بِيْرُ السَّقِيمِ
 ضِ بَيَاتًا فَأَصْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ
 وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
 بِ الْحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِلْغُيُومِ

وبعد تمام هذه القصيدة : هاكها — أعزك الله — ييسطها الأمل ،
 ويقبضها الخجل ، لها ذنبُ التقصير ، وحرمةُ الإخلاص ، فهب ذنباً
 الحرمة ، واشفعْ نعمةً بنعمة ، لتأتي الإحسانَ من جهاته ، وتسلك إلى
 الفضلِ طُرقاتِهِ ، [إن شاء الله] .

وهذا البيت الأخير ، إلى معنى بيتِ البحتري يشير ^١ :

حَازَ حمدي وللرياحِ السَّلواني تجلبُ الغيثَ مثلُ حمدِ الغيومِ

وأخذه البحتري من قول أبي تمام ^٢ :

وإذا امرؤٌ أهدي إليكَ صنيعاً من جَاهِهِ فكأنتها من ماله

وقوله : «سقمٌ لا أعادُ منه...» البيت ، من قول علي بن الجهم ^٣

بيتٌ يُجددُ للكرِيمِ كرامةً ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحفدُ

وله أيضاً ^٤ في ابن جهور ، وكتب بها [إليه] من السَّجن ^٥ :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمرِ	إلا ذكرتُكِ ذكرَ العينِ بالآثرِ
ولا استطلتُ ذمَّاءَ الليلِ من أسفِ	إلا على ليلةٍ سرَّتْ معَ القِصرِ
في نشوةٍ من سناتِ الوصلِ موهمةٍ	أن لا مسافةَ بين الوهنِ والسَّحرِ
ياليت ذاكَ السَّوادَ الجَوْنَ متصلٌ	قد استعارَ سوادَ القلبِ والبصرِ
أما الضَّنى فجنته لحظةٌ عننٌ	كأنها والردى جاءا على قَدَرِ
فهمتُ معنى الهوى من وحي طرفكِ لي	إن الحوارَ لمفهومٌ من الحوارِ

ومنها :

١ ديوان البحتري : ٢٠٧٣ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٦٠ وانظر ما سبق : ٣٤٤ .

٣ ديوان ابن الجهم : ٤٥ .

٤ ط : من قصيدة .

٥ ديوانه : ٢٥٠ .

من يسأل الناس عن حالي فشاھدُها
لم^١ تطو: بُردَ شَبَابِي كَبْرَةً^٢ وأرى
قبل الثلاثين إذ عهدُ الصبا كَتَبُ^٣
يا للرزابا لقد شافهتُ مَنَهَلَهَا
هلِ الرياحُ بنجمِ الأرضِ عاصفةُ^٤
إن طال في السجن إيداعي فلا عجبُ^٥
وإن يشبط أبا الحزم الرَضَى قَدَرُ^٦
من لم أزلْ من تأنيه على ثِقَةٍ^٧
وزيرُ سلمٍ كفاهُ يَمُنُ طائره
أغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَغْنَى تَجَارِيهِ^٨
كم اشترى بكرى عينيه من سَهَرٍ^٩
في حضرة غابِ صرفُ الدَّهرِ خشية
حُرِمَتْ منه وحُظَّ الناسُ كلُّهُمُ^{١٠}
وكنْتَ أحسَبِي والنجمَ في قرْنِ^{١١}
أحينَ رَفَّ على الآفاقِ من أدبي
وسيلةُ سببٍ^{١٢} إلا تكن نَسَباً^{١٣}
بازهرة الزهر حياً وهو إن قَنِيَتْ^{١٤}
لي في اعتمادك في التأملِ سابقةُ^{١٥}

محضُ انبِيَانُ الذي يغني عن الخبر
بَرَقَ المشيبُ اعتلى في عارض الشعر
وللشبية غُصْنُ غيرُ مهتصر^{١٦}
غَمَرًا فما أشربُ المَكْرُوهَ بالغُمَرِ^{١٧}
أم الكسوفُ لغير الشمس والقمر
قد يودعُ الجفن حد الصارم الذكر
عن كشفِ ضري فلا عتبُ على القدر
ولم أبيت من تجنيه على حذر
شؤم الحروبِ ورأي محصدُ المَرَرِ^{١٨}
ونابت اللوحة العجلى عن الفكر
هدوء عين الهدى^{١٩} في ذلك السهر
عنها ، ونام^{٢٠} القطا فيها ولم يثر
لهذه العبرة الكبرى من العبرِ^{٢١}
ففيهم أصبحت منقطاً إلى العقرِ^{٢٢}
غَرَسَ له من جناه يانع الشعر
فهو الوداد صفا من غير ما كَدَّرَ^{٢٣}
حياته زينة الآثار والسيرِ^{٢٤}
وهجرة^{٢٥} في الهوى أولى من الهجرِ^{٢٦}

١ في النسخ : إن . ٢ ب : عصر غير محضّر .

٣ ب س : المرى . ٤ ب س : وبات .

٥ أولى مؤنث أول صفة للفتاة « وهجرة » ، والهجرة الأولى دليل السابقة ؛ وإنما أنهى إلى ذلك لأن محقق الديوان قد وقع في الخطأ لدى شرحه البيت (ص ٢٥٩) إذ قرأ « أولى » على أنها أفعل تفضيل .

هل من سبيلٍ ، فمَاء العتب لي أَسِينُ إلى العذوبةِ من عتباك والخصيرِ
لا تَلْنَهُ عَنِي فلم أسألكَ معتسفاً رَدَّ الصبا غبَّ إيفاءٍ على الكيِّرِ
فاشْفَعْ أَكُنْ مثْلَ ممطورٍ يبلدتهِ جذلانَ بالوطنِ المألوفِ والمطرِ

[قوله : قد استعار سوادَ القلبِ والبصرِ « لفظ المعري حيث يقول^١ :

يَوَدُّ أَنْ ظِلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لِسَه وزيدَ فيه سواد القلبِ والبصرِ]

وقوله : « هل الرياح بنجم الأرضِ عاصفةٌ »... البيت ، معنى قد طُوي
ونُشر ، ومنه قول أبي تمام^٢ :

إِنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عيدانَ نجدٍ ولم يعبَّانَ بالرَّيمِ
بنات نعشٍ ونعشٍ لا كسوفَ لها والشمسُ والبدرُ منها الدهرُ في الرِّقمِ

وأخذه منه البحري فقال^٣ :

ولست ترى شَوْكَ القَتَادَةِ خَائِفاً سَمُومَ الرِّيحِ الآخِذَاتِ مِنَ الرَّندِ
ولا الكلبَ محموماً وإن طال عمرُهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الوَرْدِ

وبيتُ البحري الأخيرُ من قول حبيب أيضاً^٤ :

فإن تَلَكُ قد نالتك أطرافُ وعَكَةٍ فلا عجب قد بوَعك الأسدُ الوَرْدُ

....

١ شروح السقط : ١١٩ .

٢ س : ومنه قول أبي تمام وقد تقدم إنشاده ، وانظر ديوانه ٣ : ٢٨٠ .

٣ ديوان البحري : ٧٥٧ — ٧٥٨ وفيه « عود الأراكَة » .

٤ ديوان أبي تمام ٢ : ٩٩ .

وأخذه الأمير شمسُ المعالي ، ونشدُ القطعةَ يحملتها ١ :

[قل للذي بصروف الدهرِ عيرنا : هل عاندَ الدهرُ إلا من له خطَرُ
أما ترى البحرَ تطفو فوقه جيَفُ وتستقرُ بأقصى قعره الدَرَرُ]
فإن تكنَ عَيشَتْ أيدي الزَّمانِ بنا ونالنا من تمادي بؤسِه ضرَرُ
ففي السماءِ نجومٌ ما لها عددٌ وليس يكسِفُ إلا الشمسُ والقمر

ومعنى بيتِ شمسِ المعالي الثاني من متداولاتِ المعاني ، منها قولُ ابن الرومي ٢ :

دَهرٌ علا قَدَرُ الوضِيعِ به وغدا الشريفُ يحطه شرفُه
كالبحرِ يرسُبُ فيه لؤلؤُه سفلًا وتطفو فوقه جِيفةُ

وقد كرّره ابن الرومي في مواضع ، منها قوله ٣ :

قالتُ علا الناسُ إلا أنت قلتُ لها : كذاك يسفُلُ في الميزانِ ما رجعا

وقال المتنبي ٤ :

ولولم يعملْ إلا ذُو مَحَلٍ تعالى الجيشُ وانحطَّ القتَامُ

وقول ابن زيدون : « في حضرةٍ غابَ صرفُ الدهرِ خشيتَه » ... [البيت ،

١ اليتيمة ٤ : ٦١ .

٢ اليتيمة ٤ : ٦١ .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ .

٤ ديوان المتنبي : ٩٢ .

مع الذي بعده ، لم يخله من برد ، ولا أقامه على ساق نقد ، وخيرُ منهما ^١ ما وصف من خبر التاجر [مع أبي دُلْفٍ وقد مرَّ به في مكان ، فوطيء له طَرَفَ طيلسان ، فقال له : يا أبا دُلْفٍ ، ليس هذا كترَجَاك ، هذه حضرةُ أمير المؤمنين ، الشاةُ والذئبُ يشربان فيها من إناءٍ ^٢ واحد .

ومن اللفظ المليح ، الطيار الخفيفِ الروح ، في هذا المعنى قولُ ابن عمار :
وَأَلَّفَ بَيْنَ الظَّبْيِ وَالذِّئْبِ عَدْلُهُ ^٣ فلا تجزعني إن زارَ ربَّكَ ذِيبٌ
وله أيضاً قصيدة فريدة خاطب بها ابن جهور ، وهو في تلك الحال من الاعتقال ، أولها ^٤ :

ألم يأن أن يبكي الغمامُ على مثلي * ويطلب ثاري البرقُ منصتَ النصلِ
وهلا أقامت أنجمُ الليلِ مأتماً * لتندُبَ في الآفاق ما ضاع من نبلي
فلو أنصفتني وهي أشكالُ همتي * لألقت بأيدي الذلِّ لما رأت ذُلِّي
ولا فترقتُ سبْعُ الثُرَيَّا وغازِها * بمجمعيها ^٥ ما فرق الدهرُ من شملي
لعمري اللبالي إن يكن طالَ نزعها * لقد قرطستُ ^٦ بالنبل في مقتل النبل

١ ط : وإنما أشار إلى .

٢ ب س : ماء .

٣ ب س : عفوهُ ؛ ولم يورده صلاح خالص في مجموع شعره .

٤ ط : وقال من أخرى وهو أيضاً بتلك الحال من الاعتقال ؛ والنظر ديوان ابن زيدون :

٢٦١ .

٥ ط : يبكي الحمام على قتلي .

٦ ب س : وغازها .. بمطامها .

٧ ط : قرطست .

تخلت بآداسي وإنّ مآربي
أخصّ لفهمي بالقلي وكأعما
وأجفى على نظمي لكلّ قلادة
ولو أتني أسطيع - كي أرضي العدا -
أمقتولة الأجفان مالك والمأ
أقلي بكاء لست أول حرّة
وفي أم موسى عبرة إذ رمّت به
ولله فينا علم غيب وحسبنا
وإنّ رجائي في الهمام ابن جهور
كريم عريق في الكرام وقلما
يرفّ على التأمل لألاء بشره
ويغنى عن المدح اكتفاء بسرّوه
أبا الحزم إني في عتابك مائل
حمائم شكري صبحتك هودلاً
جواد إذا استنّ الجياد إلى مدى
نوى صافناً في مربط الهون يشكي
أنّ زعم الواشون ما ليس مزعماً
ولم أستر حرب الفجار ولم أطلع
ولاني لتنهاني نهائي عن التي

لسانحة في عرض أمنية عطل
يسبّ للذي الفهم الزمان على دحل
مفصلة السطّين بالمنطق الفصل
شريت ببعض العلم حظاً من الجهل
ألم ترك الأيام نجماً هوى قبلي ؟
طوت بالأسى كشحاً على مضض الشكل
إلى اليم في التابوت فاعتبري وآسلي
به عند جور الدهر من حكم عدل
لمستحكّم الأسباب مستحصّد الجبل
يرى الفرع إلا مستمداً من الأصل
كما رَفّ لألاء الحسام على الصقل
غنى المقلة الكحلّاء عن زينة الكحل
على جانب تأوي إليه العلا سهل
تناديك من أفنان آدابي الهدل
تمطرّ فاستولى على أمد الخصل
بتصهاله ما ناله من أذى الشكل
تُعذّر في نصري وتُعذّر في خللي ؟
مُسَيّلة إذ قال إني من الرسل
أشار بها الواشي ويعقلني عقلي

أَنْقُصُ فَيْكَ الْمَدْحَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ فَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِضَةِ الْفَرْلِ ؟
 هِيَ النُّعْلُ زَلَّتْ بِي فَهَلْ أَنْتَ مُكْذِبٌ لِقَبْلِ الْأَعَادِي لَهَا زَلَّةُ الْحَسْلِ ١
 أَلَا إِنَّ ظَنِّي بَيْنَ فَعْلَيْكَ وَاقِفٌ وَقُوفَ الْهَوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ
 وَإِلَّا جَنَيْتُ الْأَنْسَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوَلَ السَّرَى بَيْنَ الْمُطِيعَةِ وَالرَّحْلِ
 سَيِّعَتْنِي بِمَا ضَيَّعْتَ مِنِّي حَافِظٌ وَيَلْفَى لَمَّا أَرَخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي
 وَأَيْنَ جَوَابُكَ مِنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعَلَا إِذَا سَأَلْتَنِي عَنْكَ أَلْسَنَةُ الْحَفْلِ ؟

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر ٢ :

فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَلِإِنِّي لَا بُدَّ أَخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ

وقوله : « ثوى صافناً في مربوط الهون » كقول المتنبي ٣ :

وإن تكن محكمات الشكل تمنعني ظهورَ جري فني فيهن تصهالُ
 قال القسطلي ٤ :

وذو غُرَّةٍ معروفةٍ سبقَ في المدى وقد قَرِحَ التحجيل من ألم الشكلِ

وقوله : « ويغني عن المدح اكتفاء بسروهِ » . . . البيت ، معنى متداول
 وينظر إليه * قول القائل :

١ الحسل : ولد الضب ؛ ولعله إنما يريد « زلة الحذر » لأن الضب - وهو أبو الحسل - مشهور بالحذر .

٢ ب س : وهذا مأخوذ من قول الآخر .

٣ ديوان المتنبي : ٥٠٢ ، وقد مر البيت ص : ٨١ .

٤ ديوان ابن دراج : ٤٨ ، وقد مر البيت ص : ٨١ .

ه ط : ومنه .

وأعشق كحلاء المدامع خِلْقَةً لثلاً تُرَى في عينها منة الكحلِ

وفي بني جهويز يقول ١ :

بني جهويز أحرقتُمُ بِمِغْثَاكِكُمْ جَنَانِي فَمَا بَالِ الْمَدَائِحِ تَعَبَقُ ؟
تعدوني كالمندلِ الرُّطْبِ ٢ إِنَّمَا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ حِينَ يُحْرَقُ

وأراه تَوَارِدَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ رَشِيقٍ الْقِيَرَوَانِيِّ حَيْثُ يَقُولُ ٣ :

أَرَاكَ أَتَمَّتْ أَخْلَاكَ الشَّقَّةُ وَعِنْدَكَ مَقْتٌ وَعِنْدِي مَقَّةُ
وَأَنْتَنِي عَلَيْكَ وَقَدْ سُوِّتَنِي كَمَا طَيَّبَ الْعُودُ مِنْ أَحْرَقَةٍ

وأخذه معاً من قول أبي تمام ٤ :

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتِ مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ وَقْتِنَا وَهُوَ أَبُو مَرْوَانَ ابْنُ شِمَاخٍ لِنَفْسِهِ :

نَوَائِبُ غَالَتْنِي فَأَبْدَتْ فِضَائِلِي فَكَانَتْ وَكُنْتُ النَّارَ وَالْعَنْبِرَ الْوَرْدَا

ولغيره :

إِنْ مَسَّتِ النَّارُ جَسْمِي أَبْدَيْتُ طِيبَ نَسِيمِ
كَالدَّهْرِ إِنْ عَضَّ يَوْمًا أَبَانَ فَضْلَ الْكَرِيمِ

١ ديوان ابن زيدون : ٥٩٠ .

٢ ب س : كالعنبر الورد .

٣ ديوان ابن رشيقي : ١٢٢ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٢ .

وأبو الوليد ابن زيدون على كثير إحسانه كثير الاهتمام ، في التثاير
والنظام .

وكتب إلى الأديب أبي بكر ابن مسلم^١ وهو مختفٍ بقرطبة بعد فراره
من السجن فصلاً من رقعة [يقول فيها] :

أبدأ أولاً بشرح الضرورة الحافزة إلى ما صنعت ، إذ بلغني أنك
صدرت اللاتمين لي عليه ، ومن أمثالهم : ويلٌ للشجي من الخلي^٢ ، وهان
على الأملس ما لاقى الدبير^٣ . وأعاتبك على انفصالك عني ، وبراءتك أمد
المحنة مني ، [عسى أن تتلافى عوداً ما أضعت بدءاً ، وإن كنت في ذلك
كدابعة وقد حلم الأديم^٤ ، ومنفعة الغوث قبل العطب ، وفي علمك أني
سُجنت مغالبةً بالهوى ، وهو أخو العمی ، وقد نهى عنه تعالى فقال :
﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (ص : ٢٦) الآية . وشهد علي
فلان^٥ الناشر أذنيه طمعاً ، لياكل بيديه جشعاً ، قال ، وكان القول
ما قالت حدّام ؛ وليت مع قبول من لا تجهل شهادته عليّ يُعذر فيه
إليّ ، ولم يُقرّن الحشفُ بسوء الكيلة^٦ . وكنت أول حبسي بموضع
جرت العادة فيه وضع مسيوري الناس وذوي الهبات منهم ، وفي الشر
خيار ، وبعضه أهون من بعض . ثم نقلت بعد إلى حيث الجناة المفسدون ،

١ ليس من السهل التعرف إليه ؛ وقد قدر محقق الديوان أنه أبو بكر مسلم بن أحمد بن
أفلس النحوي (الصلة : ٥٩١) وقد توفي سنة ٤٣٣ ؛ ولكن ليس من السهل قبول
هذا التقدير .

٢ فصل المقال : ٣٩٥ والميداني ٢ : ٢١٧ والفاخر : ١٨٩ .

٣ الميداني ٢ : ٢٣٤ والمسكري ٢ : ٣٦١ (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) .

٤ فصل المقال : ٤٧٢ والميداني ٢ : ٢٦٤ والمسكري ٢ : ١٥٨ (أبو الفحل) .

٥ فصل المقال : ٣٧٤ والميداني ١ : ١٣٩ .

واللصوصُ المقيّدون ، ومنعَ مني عوادي ، فشكوتُ إلى الحاكم الحابسِ
لي ، فصمَّ عني ، ولو ذاتُ سوارٍ لطمتني ^١ :

وانّكَ لم يفخرْ عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبكَ مثلُ مُغلبٍ ^٢ [

فلم أستطع صبراً ، وعلمتُ أن العاجزَ من لا يستبدُّ ، والمرءُ يعجزُ لا
المحالة ^٣ ، ولم أستجيزُ أن أكونَ ثالثَ الأذليّنِ : العيرَ والوَيْدِ . وذكرتُ
أن الفِرارَ من الظلم ، والمهربَ ممن لا يطاقُ ، من سنن المسلمين ، وقد
قال تعالى على لسان موسى : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ (الشعراء : ٢١)
فنظرتُ في مفارقةِ الوطن ، إذ قديماً ضاعَ الفاضلُ في وطنه ، وكسدَ العليقُ
الغيطُ في معدنِهِ ، كما قال :

أضيعُ في معشَري وكم بلدٍ يعودُ عودُ الكِبَاءِ من حطّيةٍ
واستخرتُ الله في إنفاذِ العزم ، وأنا الآنَ بحيثُ أمنتُ بعضَ الأمن ، إلا
أن السعي لم يرتفع ، ومادةُ البغي لم تنقطع . ونختم رسالته بهذا النظم ^٤ :

شحطنا وما للدّارِ ^٥ نأيٌ ولا شحطٌ وشطٌّ بمن نهوى المزارُ وما شطوا
أحبابنا ولت ^٦ بحادثِ عهدنا حوادثُ لا عهدٌ عليها ولا شرط

١ انظر ما تقدم من : ٣٤١ .

٢ انظر ما تقدم من : ٣٤١ الحاشية : ٥ .

٣ ط : محالة ٤ وانظر فصل المقال : ٢٩٩ والميداني : ١٧٦ .

٤ من قول الشاعر :

ولا يقيم على ضيمٍ يراد به إلا الأذلان عبر الحى والوقد

٥ ديوان ابن زيدون : ٢٨٥ .

٦ ط : بالدار .

٧ الديوان : ألوت .

لعمركم إن الزمان الذي قضى
وما شوقُ مقتولِ الجوانحِ بالصدى
بأبرح من شوقي إليكم ودونَ ما
وفي الرّثبِ الإنسي أحوى كناسه
ألا هل أتى الفتیان أن فتاهم
وأن الجوادَ الفاتت الشاؤ صافن
عليك أبا بكرٍ بكَرَتْ بهمة
أبي بعدما هيلَ الترابُ على أبي
لك النعمة الخضراء تندى ظلها
ولولاك لم تقدح زنادُ قريحتي
هرمتُ وما للشيب وخطُ بمفرقي
وطاول سوء الحالِ نفسي فأذكرت
ولما انتحوني بالتي لست أهلها
فَرَرْتُ فإن قالوا الفِرارُ إرابة
وإني لراج أن تعودَ كبديها
فما لك لا تختصني بشفاعه

بشتَ جميعِ الشملِ منا لمشتط
إلى نُطفة زرقاء أضمرها وقط
أريدُ المني منه القنادة والخرط
نواحي ضميري لا الكثيب ولا السقط
فريسة من يعلو ونهزة من يسطو
تخوته شكلُ وأزرى به رَبطُ
لها الخطرُ العالي ، وإن نالها حط
ورَهْطِي فدا حين لم يبق لي رهطُ
علي ولا جحدُ لدي ولا غمطُ
فيتهب الظلماء من نارها سقَطُ
ولكن لشيب الهم في كبدي وخطُ
من الروضة الغناء طاولها القحطُ
ولم يُمنَ أهالي بأثالها قط
فقد فرّ موسى حين هم به القبط
لي الشيمة الزهراء والحق السبط
يلوح على دهري ليسمها عكطُ

كان أول هذه القصيدة ناظر^١ إلى قول راشد أبي حكيمة^٢ حيث يقول :

١ الرقط ، الحفرة في الصخر .

٢ ط : تثقب .

٣ هو راشد بن اسحاق بن راشد أبو محمد الكاتب الأنباري ، توفي بعد الأربعين ومائتين (انظر معجم الأدباء ١١ : ١٢٢ وطبقات ابن المعتز : ٣٨٩ والفوات ٢ : ١٥ والزرکشي : ١١٧) .

ومستوحش لم يُمس في أرض غربة ولكنه ممن يُحب غريب
[وقال الآخر :

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ولكن من نأين عنه غريب]
ويناسبه أيضاً قول المتنبي ^١ :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تغارقهم فالراطلون هم
وقوله : « هَرِمْتُ وما للشيب ... البيت ، ناقص عن قول المتنبي ^٢ :

إلا يشب فلقد شابت له كبد شيئاً إذا خضبتُه سلوة نَصلاً
وقوله : « وإن الجواد » ، كقول أبي الطيب أيضاً ^٣ :

وما في طيبه أني جواد أضرت بجسمه طول الحمام
وقد كرر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من شعره ، وكلف به وشغف ،
وصرف الكلام فيه فتصرف ، وقد تقدم إنشاده . ومنه أيضاً قول عبد الجليل ،
المرسي للمعتمد بن عباد :

أنتك على خلاقيها جبادي وإن كان الضياع لها شِكالا
وكتب من سجنه إلى أبي حفص ابن برد ^٤ :

١ ديوان المتنبي : ٢٢٥ .

٢ ديوانه : ١١ .

٣ ديوانه : ٤٧٨ .

٤ ديوان ابن زيدون : ٢٧٣ .

ما على ظنني باسُ
 رُبّما أشرفَ بالمر
 ولقد يُنجيكَ إغفا
 والمحاذيرُ سهامُ
 يا أبا خصٍ وما سا
 من سَنّا رأيكَ لي في
 وودادي لك نصُ
 أذوبُ هامت بلحمي
 كلُّهم يسألُ عن حا
 يلبُدُ الوردُ السبتي^٢
 إن أكنُ أصبحتُ عجو
 فتأملُ كيف يَغشى
 ويُفتُ المسكُ في التُرسُ
 لا يَكُنْ عهدكَ ورْدًا
 وأدرُ ذِكْري كاسًا
 فعسى أن يُسمعَ الدهنُ

يَجْرَحُ الدهنُ ويأسو
 على الآمالِ ياسُ
 ل ويردِيكَ أحتراسُ
 والمقاديرُ قياسُ
 واك في فهمِ لياس
 ظلمَ الخطبِ اقتباسُ
 لم يخالفهُ القياسُ
 فالتهمُ وانتهاسُ
 لي وللذنبِ اعتِساسُ
 وله بعدُ افتراسُ
 سأ فللغيثِ احتباسُ
 مُقلّةُ المجدي النعاسُ
 ب فيوطا ويداسُ
 إنَّ عهدي لك آسُ
 ما امتطتُ كفك كاسُ
 رُ فقد طال الشماسُ

قوله : « يلبُدُ الوردُ السبتي » . . . البيت ، كقول النابغة^٣ :

وقلت يا قوم إنَّ الليثَ منقبِضٌ
 على برائنيه للوثبةِ الضاري

١ ب س : غسق .

٢ السبتي : الأسد - أو النمر - الجري .

٣ ديوان النابغة : ٨١ وزهر الآداب : ٧٧٨ .

وأخذه ابن الرومي فقال ١ :

سكنت سكوناً كان رهناً بوثةٍ عمّاسٍ كذاك الليث للوثب يلبدُ

وقوله : « لا يكن عهدك ورداً » من قول العباس بن الأحنف ٢ :

لا تبجلي وصلنا كالوردٍ حين مضى ذا طلعةٍ وأدبى الودّ كالآسِ

وكرّره العباسُ في موضعٍ آخر فقال ٣ :

ولكنني شبتُ بالوردِ عهداًها وليس يدومُ الوردُ والآسُ دائمُ

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في النسيب وما يناسبه

قال من قصيدة طويلة ٤ :

بنشتم وبنّا فما ابتلت جوانحنا	شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم	رأياً ولم نتقلد غيره ديناً
نكادُ حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الأسي لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا ففسدت	سوداً وكانت بكم ييضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا	وموردُ اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الوصل دانية	قطوفها * فجنينا منه ما شينا

١ ديوان ابن الرومي : ٩٧ وفيه « بعدوة » وانظر زهر الآداب : ٧٧٨ .

٢ لم يرد في ديوان ابن الأحنف .

٣ ديوانه : ٢٤٢ .

٤ ديوان ابن زيدون : ١٤١ .

٥ ب س : قطوفه .

لَيْسَقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ السَّرُورِ فَمَا
لَا تَحْسَبُوا نَائِكُمْ عَنَّا بِغَيْرِنَا
وَاللهَ مَا طَلَبْتُ^١ أَهْوَاؤَنَا بَدَلًا
يَا سَارِي الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسْقِ بِهِ
وَيَا نَسِيمَ النَّصْبِ بَلِّغْ نَجْمَتَنَا
رَبِيبُ مُلْكٍ كَانَ اللهُ أَنْشَأَهُ
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاهِيَّةً
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظَنْرًا فِي أَكْلَتِهِ
يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجَنْتُ لَوَاحِظُنَا
وَيَا حَيَاةَ تَمْلِينَا بِزَهْرَتَيْهَا
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبْدِلْنَا بِسُلْسَلِيهَا
كَأَنَّنا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ^٢ ثَالِثُنَا
سِرَّانَ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى عِنْدَ النَّوَى سُورًا
أَمَّا هَوَاكِ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ
لَمْ نَجْفُ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوَكْبِهِ
وَلَا اخْتِيَارَ تَجْنِينَاهُ^٣ عَنْ كَثَبِ
نَاسِي عَلَيْكَ وَقَدْ حُشِنَتْ مَشْعَعَةٌ
لَا أَكُوسَ الرِّيحِ تُبْدِي مِنْ شِمَائِلِنَا
دُومِي عَلَى الْوَصْلِ - مَا دَمْنَا - مَحَافِظَةً

كَتَمْتُ لِأَيَامِنَا إِلَّا رِيَاحِنَا
أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّائِي الْمَحِينَا
مِنْكُمْ وَلَا انصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِنَا
مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوَدِ يَسْقِينَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْبَعْدِ حَيَا كَانَ يَحِينَا
مُسْكًا وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينَا
تُومُ الْعُقُودِ وَأَدْمَتُهُ الْبَرَى لِينَا
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِنَا
وَرَدًّا جَلَاهُ^٢ الصَّبَا غَضًا وَنَسْرِينَا
مُنَى ضُرُوبًا وَلِذَاتِ أَفَانِينَا
وَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ زَقُومًا وَغَسَلِينَا
وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا
حَتَّى يَكَادُ لِسَانُ الصَّبْحِ يَفْشِينَا
مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا
شَرْبًا وَإِنْ كَانَ يَرُونَا فَيُظْلَمِينَا
سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا
لَكِنْ عَدَدْنَا عَلَى كَرِهِ عَوَادِينَا
فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا
سِيمَا ارْتِيَاكِ وَلَا الْأَوْتَارُ تَلْهِينَا
فَالْحُرُّ مِنْ دَانٍ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا

١ ب س : طرقت .

٢ ط : جنانه .

٣ ب س : تَجْنِينَاكَ .

فما استعدنا خليلاً عنكِ بصرفنا ولا استفدنا ١ حياً عنكِ يسلينا
 [ولو صَبَاً نحونا من علو مطلعهِ بلرُ الدجى لم يكن حاشاكِ يسبينَا]
 أبلي ٢ وفاءً وإن لم تبدُ لي صلةً فالذكرُ يقنعنا والطفُ يكفينَا
 وفي الجواب متاعٌ إن شفعتِ به يضرُ الأيادي التي ما زلتِ تولينا
 [عليكِ مني سلامٌ الله ما بقيتُ صباةً بكِ نخفيها فتُخفينَا]

وهذه القصيدةُ يجملتها فريدة ، وقد عارضه فيها جماعةٌ قصّروا عنه ،
 منهم أبو بكر ابن الملح ، فإنه نازعه فيها الراية ، فقصر عن الغاية ، حيث
 يقول من قصيدةٍ أولها ٣ :

هل يسمعُ الربعُ شكوانا فيُشكينَا أو يرجعُ القولَ مغناهُ فيُغنينَا

ثم استمرَّ في غزلها واسخنفر فقال :

يا باخلينَ علينا أن نودعكم وقد بعدتم عن اللقيا فحيونا
 قفوا نزرکم وإن كانت فوائدكم نزرأ ومنكمُ بالوصلِ ممنونا
 سترتمُ الوصلَ ضناً لا فقدتكمُ فكان بالوهم موجوداً ومظنوننا
 سرى من المسكِ عن ممراكمُ خبرٌ يُعيدُ عهدَ هواكمُ نشرهُ فينا
 أيامَ بلرُكمُ يُحيي ليالينَا قرباً وظيُكمُ يرعى بوادينا
 مهلاً فلم نعتقد دينَ الهوى تبعاً ولا قرأنا صحيفَ الحسنِ تلقينا

١ الديوان : ولا استفدنا . . . ولا اتخذنا .

٢ الديوان : أولي (تصحيفاً عن القلائد والمغرب) وفي أصول الديوان :
 أبلي (.

٣ ط : أين الملح فمن قوله .

ومنها :

قد نصرفتُ القول^١ يا غويونا ويرشدنا
ونتبعُ الحميَّ والأشواقُ محرقةً
كوأكب^٢ في سماءِ النقعِ قد جعلتُ
لنا رُجوماً وما كنا شياطينا

قول ابن زيدون : « وإن كان يروينا فيظلمينا » معنى متداول^٣ ،
ومن أشهره قولُ ابن الرومي :

ريقٌ إذا ما ازدَدْتُ من شربه رياً ثنائي الريُّ ظمناً
كالخمرِ أروى ما يكون الفتى من شربها أعطشَ ما كانا

وقال ابن الرومي أيضاً فيما يناسبه من بعض الوجوه^٤ :

يا ربَّ ريقٍ بات بدرُ الدجى يعلُّه^٥ بين ثناياكا
يُروي ولا ينهاك عن شربه والماءُ يرويك وينهاكا

وأشبهُ به ما أنشده الثعالبي :

كرضابِ الحبيبِ يشفي عيلاً ثم يُنشي إلى المزيد عيلاً

وقوله : « سِرَّانِ في خاطرِ الظلماءِ » ... البيت [مما زاد فيه

١ ي س : العذل .

٢ ب س : بسماء .

٣ ط : معنى كثير .

٤ زهر الآداب : ٢٣٦ والأمازي : ١ : ٢٢٨ .

٥ ب س : يمجبه .

للميح الاستعارة على قول أبي الطيب ^١ :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي [

على أن أبا الطيب أجاد فيه ما أراد، وكرره في مواضع من شعره كقوله ^٢

وكم لظلام الليل غنتك من يدٍ تخبرُ أن المانوية تكذبُ

ولما أخذه من مصراع لابن المعتز حيث يقول ^٣ :

• فالشمس نمامة والليل قوادُ •

وكل من إلى هذا المعنى أشار، فحوالي المثل دار ، وهو قولهم :
الليل أخفى للويل ^٤ .

وله من أخرى : في أثر نزهة كانت له بمدينة * الزهراء ^٥ :

إني ذكرتكَ بالزهراء مشتاقا والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله كأنه رق لي فاعتل إشفاقا

١ ديوان المتنبي : ٤٤٦ واليتيمة : ١ : ١٥٣ .

٢ ديوانه : ٤٦٤ .

٣ ط : وان كان أخذه من قول ابن المعتز ، وانظر اليتيمة : ١ : ١٥٣ .

٤ فصل المقال : ٦٥ والميداني : ٢ : ٩٤ والفاخر : ١٦٠ والعسكري : ٢ : ١٨١ (أبو الفضل) .

٥ ب س : بمنية .

٦ ديوان ابن زيدون : ١٣٩ .

٧ القلائد : ووجه .

والروضُ عن مائه الفضي مبسمُ كما حلتَ عن اللبائِ أطواقا
لا سكنَ اللهُ قلباً عن ذكرُكمُ فلم يَطِرْ بِجناحِ الشوقِ خفاقا
لو شاءَ حملي نسيمُ الريحِ حينَ سرى وافاكُمُ بفتى أضناهُ ما لاقى
يا علقى الأخطرَ الأسنى الحبيبَ إلى قلبي إذا ما اقتنى الأحبابُ أحلاقا
الآنَ أحمدَ ما كنتا لهدِكمُ سلوتمُ وبقينا نحنُ عشاقا

قوله : « وللنسيمِ اعتلالٌ في أصائله » . . . البيت ، أراهُ ألمٌ فيه
بقول ابن المعتز :

والريحُ تجذبُ أطرافَ الثيابِ كما أفضى الشفيقُ إلى تنبيهِ وسانِ
وقلبه الرضي فقال ١ :

وأمتِ الريحُ كالغيثِ تجاذبنا على الكتيبِ فضولَ الرَبْطِ واللمَمِ
وأحسبُ الفرزدقَ أبا عُدْرتِهِ ، وواسمُ غُرَّتِهِ ، بقوله ٢ :

وركبِ كأنَّ الريحَ تطلبُ عندهم لها تيرةٌ من جذبيها بالعصائبِ
ومدَّ أظنابَ المعنى بالبيت الآخر حيث يقول :

سَرَوْا يَجْطُثُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إلى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ
وقوله : « سلوتمُ وبقينا نحنُ عشاقا » يناسبُ قول الآخر ٣ :

١ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٤ .

٢ ديوان الفرزدق ١ : ٢٩ وزهر الآداب : ٣٣٥ والكامل ١ : ١٨٣ .

٣ هو العباس بن الأحنف ، ديوانه : ٨٤ .

أشكو الذين أذاقوني مودتهم^١ حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

قال ابن بسام : والشيء يذكر^٢ بالشيء وإن لم يكن من المتهاج ، ولا بُدَّ
مع ذكرِ المعترضاتِ من المعاج : قرأت في كتاب « أخبار بغداد » لابن
طاهر ، قال محمد بن عبّوس الفارسي : سرت يوماً إلى ابن الجهم فأنشدني
لنفسه في العناق^٣ :

ألا ربَّ ليلٍ ضمنا بعد هجعة^٤ وأدنى فؤاداً من فؤادٍ معذبٍ
وبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجة^٥ من الراح فيما بيننا لم تَسرَّبِ
فاقتدَحَ زندي لإبراء^٦ مثله ، فأطرقتُ وقلتُ :

لا والمتازلِ من نجدٍ وليلتنا بفيَدَ إذ جسدانا بيننا جسدُ
كم رام فينا الكرى في لُطفٍ مسلكه يوماً فما انفكَّ لا خدُ ولا عضدُ
ما أنصفوني دعوتي فاستجبتُ لهم حتى إذا قرَّبوني منهم بعدوا
أردتُ هذا البيت .

وقوله : « لو شاء حملي نسيمُ الريح » . . . البيت ، كقول المجنون
وهو أحسنُ ما قيل في التحاققِ ، على زعم^٧ المبرد^٨

١ ديوان ابن الجهم : ٩٥ والمختار : ٢٤١ وأمالى القالي : ١ : ٢٢١ وحسانة ابن الشجري :

١٩٦ ونهاية الأرب ٢ : ٠٤ .

٢ ب س : بإيراد .

٣ ب س : قول .

٤ انظر الكامل ١ : ٢٩٣ وديوان المجنون : ٨٠ .

إلا إنما غاديت يا أم مالك^١ صدى أينما تذهب به الريح يذهب
وقال المتنبي^١ :

كفى يحسني نحولاً أنني رجل^٢ لولا غناطيتي إياك لم ترنسي
وقال الخبز أرزي^٢ :

أخلّني الحب فلو زجّ بي في مقلّة النائم لم يثبته^٣
وله من أخرى ، وكتب بها من بطليوس أيام تكرّره عليها ، وهي
من غرر نظامه ، وحرّ كلامه^٣ :

يا دمع صبّ إن شئت ^٤ أن تصوبا	ويا قواذي آن أن تلوبا
إن الرّزايا أصبحت ضروباً	لم أر لي في أهلها ضريباً
قد ملأ الشوق الحشا ندوباً	في القرب أن رحت به غريباً
عليل دهر ضامني ^٥ تعدياً	أدنى الضنى إذ أبعد العلياً
ليت القبول أحدثت هبوباً	ريح يروح عهداً قريبا
بالأفق المهدي إلينا طيباً	تعطرت منه الصباً جيوباً
يرد حرّ الكبد المشبوباً	يا متبعاً إساده التأويلاً
مشرقاً قد ستم التغريباً	أما سمعت المثل المضرّباً :

١ ديوان المتنبي : ٢ .

٢ سرقات المتنبي المنسوب لابن بسام : ١٩ .

٣ ديوان ابن زيدون : ١٥٤ .

٤ ب س : ما شئت .

٥ ب س : رامي .

أرسل حليماً واستشر ليلىا
والجانبَ المستوضحَ العجيبا
ففتحني منه ما رأى^١ الجنوبا
حيث ألفتُ الرشأ^٢ الرئيبا
كم بات بدري ليلته الغريبيا
يشدو حمامٌ عقده تطريبيا
أرشفُ منه المبيمَ الشنيبيا
شبابُ أفقٍ همٌّ أن يشيبا
أهاجري أمْ موسمي تأنيبا
ما ضرهُ لو قالَ : لا ثريبيا
قد طال ما نجرمَ الذنوبا
إن قرّت العينُ بأن أووبا
لم آلُ أنْ استرضيَ الغضوبا
لما انثنى في سكره قضييا
هصرته حُلنوا الجنى رطيبيا
حتى إذا ما اعتن لي مريبيا
بادرتُ سعيًا هل رأيتَ الذيبا ؟
من لم أسخَّ من بعده مشروبيا
فلا ملامَ لحقَّ المغلوبيا^٣
ولم يدع في العذر لي نصيبيا
لم آلُ أنْ استرضيَ الغضوبا

قد ينفع المذنب أن يتوب

قوله : « هل رأيتَ الذيبا ؟ » أخذه من قول الراجز يصفه لبناً
مملوقاً :

* جاءوا بضبحٍ هل رأيتَ الذئبَ قط ؟ *

وهذا التشبيهُ عند أهلِ النقدِ نوعٌ من أنواعِ الإشارةِ ، لأنه أشار
إلى تشبيهِ لونه بالماء الذي غلب على اللبنِ فصار كلون الذئبِ .

١ ب س : ما أرى .
٢ ب س : الليبيا .
٣ س : القلوبيا .
٤ انظر الأخيرة ٣ : ٨٥٤ .
٥ فيه اعتماد على ما جاء في العمدة ١ : ٣٠٣ (تحقيق عبد الحميد) .

وقال من أخرى^١ :

وَنَقَى الشَّكَّ الْبَقِيصُ	وَضَحَّ الْحَقُّ الْمَبِينُ
تَهْمٌ مِنْهُ الظُّنُونُ	وَرَأَى الْوَاشُونَ مَا غَرَّ
وَرَجَّوْا مَا لَا يَكُونُ	أَمَلُوا ^٢ مَا لَيْسَ يَمْنَى
مَهْدَ مَوْلَى لَا يَخُونُ	وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونَ أَلَا
وَإِذَا الْوَدُّ مَصُونُ	فَلِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ
وَهَوَاهُ لِي دِينُ :	قَلَّ لِمَنْ دَانَ بِهِ جَرِي
بِكَ وَاللَّهِ ضَنِينُ	يَا جَوَاداً بِي إِنْ بِي
لَكَ وَالْعَلَقُ ثَمِينُ	أَرْخَصَ الْحَبُّ فَوَادِي
هُ نَفُوسٌ لَا عِيُونُ	يَا هَلَالاً تَرَاءَا
مَنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ	عَجَباً لِلْقَلْبِ بِقَسْوِ
بِمَرَّكَ الْحَزِينُ ^٣	مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ سَرَّ
حَيْنُهُ فَيْكَ يَجْمِينُ	وَتَلَطَّفَتْ بِصَبِ ^٤
وَالْمَعَاذِيرُ فَنُونُ	فَوَجُوهَ الْفُظِّ شَتَّى

وقال أيضاً^٥ :

رِيحٌ مَعْطَرَةٌ النَّسِيمُ	صَحَّتْ فَصَحَّ بِهَا السَّقِيمُ
لَا فِيهَا تَعَبٌ بِالشَّمِيمِ	مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبُو

١ ديوان ابن زيدون : ١٧٦ .

٢ في النسخ : آمنوا .

٣ ب س : لصب .

٤ ديوان ابن زيدون : ٢٠١ .

٥ الديوان : راحت .

لَهَا أبا عبدِ الإل
 إن عيلَ صبري من فرا
 الله يعلم أن حُبَّ
 ولئن تحملَ عنكَ بي
 قل لي : بأيّ خلال سَرَّ
 أبجدِكَ العمم الذي
 أم بالبدائع كاللآ
 إن أشمستَ منك^٢ الطلا
 وبلاغة إن عُدَّ^٤ أه
 إن الذي قسم الحظو

١ نداءً مغلوبٍ العزيز
 فكك فالعذابُ به أليم
 لك من فؤادي في الصميم
 جسمٌ فمن قلبٍ مقيم
 وكـ قبلُ أفتنُ أو أهيم
 نَسَقَ الحديثِ مع القديم؟
 لي من نثيرٍ أو نظيم ؟
 قةُ فالتدى عنها^٣ مغيم
 ملوها فأنت لهم زعيم
 ظَ حباك بالخطِّ العظيم

قوله : « ولئن تحملَ عنكَ بي جسم » ... البيت ، معنى مشهوراً أنشدتُ
 فيه لبعضهم :

أقولُ له حين ودَّعتهُ وكسلُ بعبْرتهِ مُلبَسُ :
 لئن رجعتَ عنكَ أجسامُنَا لقد سافرتُ معكَ الأنفُسُ
 وفي قريبٍ منه ، وإنما أنشدته لحسنه ، ولكون هذا المعنى فرعاً من
 غصنه ، قولُ الآخر :

١ هو أبو عبد الله محمد بن مروان بن عبد العزيز الكاتب المعروف بابن رويش والد أبي
 بكر ابن عبد العزيز (انظر القمم الثالث ص : ٤٠) . رأس أبو عبد الله في دولة عبد
 العزيز ثم لما استول المأمون بن ذي النون على بلنسية سنة ٤٥٧ هـ عهد إلى أبي عبد الله هذا بتدبيرها
 (انظر الحلة ٢ : ١٢٩ - ١٣١) .

٢ ب س س : تلك .

٣ ب س : منها . ٤ ط : حان .

حملتك في قلبي فهل أنت عالم
الآن إن شخصاً في فؤادي علته
بأنك محمول وأنت مقيم ؟
وأشواقه شخص علي كريم

وقال أيضاً ١ :

يا ليل طُلْ لا أشتي
لو بات عندي قمري
إلا كعهد قصرك
ما بت أرعى قمرَكَ

وقال أيضاً :

ودّع الصبر ٢ محب ودّعك
يقرع السنّ على أن لم يكن
يا أخا البدر سناء وسناً
إن يطل بعدك ليلى فلكم
ذائع من سرّ ما استودعك
زاد في تلك الخطى إذ شيعك
حفظ ٣ الله زماناً أطلعك
بت أشكو قصر الليل معك

وقال :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضيع
يا بائعاً حظّه مني ولو بدلت
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما
تبه أحتمل واستطل أصبر وعزّ أهّن
سرّ إذا ذاعت الأسرار لم يذغ
لي الحياة بحظي منه لم أبع
لا تستطيع قلوب الناس يستطع
وولّ أقبل وقلّ أسمع ومرّ أطلع

١ هذه القطعة والثلاثان لها في الديوان : ١٨٢ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

٢ ب س : الحسن ؛ ط : الحسن .

٣ س ؛ رجم .

٤ ب س : ضاعت .

أراهُ احتذى في هذا البيت مذهب أبي العَمَيْثَل الأعرابي^١ :

فاصدق وعِفْ وفه وأنصف واحتمل^٢ واصفح ودارِ وكافِ واحلم واشجعِ
والطف ولن وتأن^٣ واحلِّمْ واتشد^٤ واحزِم وجدَّ وحامِ واحملِ وادفعِ

وكقول ديكِ الجن^٥ :

احلْ وامرُرْ وضرَّ وانفع ولن واختر^٦ شُنْ ورشْ وابر^٧ وانتدِب للمعلي
وهذا البابُ صنعه المولَّدُون وعدُّوه تقسيماً وتقطيعاً^٨ وتبعهم المتنبي
فقال^٩ :

أقلْ أنلِ أقطعِ احملْ علَّ سلَّ أعد^{١٠} زدْ هشْ بشْ تفضلْ أدنِ سُرَّ صِلِ
ثم زاد أبو الطيبِ في هذا وتباغضَ حتى قال :

• عِشْ ابقِ اسمُ سدِّ قد جد مرَّ انه رِفِ اسرَّ نلْ •

بيته المعروف ، وأحسنَ لعمري ابنُ زيدونَ في هذا التقسيم ، ودفع^{١١}
بالحديث في صدر القديم ، ولو قرعَ سمعُ أبي منصور ، بما في^{١٢} تضاعيف
هذا التصنيف من الشذور ، لما كان عنده ابنُ وشمكبر بمذكور ، ولا

١ البيان المكبري ٣ : ٨٦ ، باختلاف في الرواية .

٢ ديوان ديك الجن : ١٢٠ .

٣ ب س : وابن .

٤ في النسخ : وتمظيماً .

٥ ديوان المتنبي : ٣٣٢ .

٦ ب س : ودافع .

٧ ط : عل ما في ؛ ب س : بمثل هذه الشذور .

أَغْرَبَ بغرائبِ الصَّاحِبِ ، ولا يبدعِ البديعِ .

ومن شعرِ ابنِ زيدون في النسيبِ السائرِ الغريبِ ، الطيارِ المليحِ ، الخفيفِ
الروحِ ، قوله^١ :

أَمَّا رِضَاكَ فَشَيْءٌ مَا لَهُ ثَمَنُ لو كَانَ سَاعِجِي فِي مِلْكِهِ الزَّمَنُ
تَبْكِي فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا قَدْ لَجَّ فِي هَجْرَهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسَنُ
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنُ قَدْ حَالَ مَذْغَابٌ عَنِّي وَجْهُكَ الْحَسَنُ
وَاللَّهِ مَا سَاءَ لِي أَنِّي خَفِيتُ ضَمَنُ بَلْ سَاءَ لِي أَنْ سَرِي فِي الْهَوَى الْعَلَنُ^٢
لو كَانَ أَمْرِي فِي كَتَمِ الْهَوَى بِيَدِي مَا كَانَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِي الْبَدَنُ^٣

وهذا البيتُ الأخيرُ ، إلى معنى صريحِ الغواني يشير^٤ :

فَقُلْتُ : قَلْبِي مَكَاتَمُ^٥ جَسَدِي^٦ وَلَوْ دَرَى لَمْ يُقَمَّ بِهِ السَّمَنُ

وهذا البيتُ الرابعُ منها ناظرٌ إلى قولِ الآخرِ :

وَاللَّهِ مَا جَزَعَنِي نَفْسِي وَإِنْ هَلَكْتُ وَإِنَّمَا جَزَعَنِي مَا مَرَّ حُسَادِي

وقال من أخرى^٧ :

أَنْتِ مَعْنَى الضَّمْنِ وَسِرُّ الضُّلُوعِ وَسَبِيلُ الْهَوَى وَقَصْدُ الدَّمُوعِ^٨

١ ديوان ابن زيدون : ١٨٠ .

٢ ب س : علن .

٣ ديوان مسلم : ١٧٦ .

٤ الديوان : أحب قلبي وما درى جسدي .

٥ هذه القطعة والتي تليها في الديوان : ١٦٦ ، ١٥٣ .

٦ الديوان : وقصد الولوع .

أَنْتِ وَالشَّمْسُ ضَرَّتَانِ وَلَكِنْ لَكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ فَضْلُ الْطُلُوعِ
لَيْسَ بِالْمُؤْسِي تَكَلُّفُكَ الْعَتَمَ بَدَلًا مِنْ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ
إِنَّمَا أَنْتِ ، وَالْحَسُودُ مُعَنَّى كَوَكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ
وَقَالَ أَيْضاً :

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا تَحْمِلُهَا مِنْي ² السَّلَامَ إِلَى الْغَرْبِ
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي احْتِمَالِهَا سَلَامَ فَتَى يَهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ
وَهَذَا مَقُولٌ مِنْ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ حَيْثُ يَقُولُ ³ :

تَاللَّهِ مَا شَطَّتْ نَوَى ظَاعِنٍ سَارَ مِنْ الْعَيْنِ إِلَى الْقَلْبِ
وَقَالَ أَيْضاً ⁴ :

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ ⁵ يَا مَنْ يُصْبِحُ بِمَقْلَتِهِ وَيُسْقِمُ
أَصْبَحْتَ تُسَخِّطُنِي وَأَمْنَحَكَ الرِّضَى جَوْرًا وَتَظْلِمُنِي وَلَا أَتَظَلَّمُ
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لِبُلُوهِ وَنَهَارُهُ فَالْحَسَنُ بَيْنَهُمَا مُضِيٌّ مُظْلَمٌ
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَابَةِ رَاحَةً ⁶ لَوْ أَنِّي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

أَوَّلُ مَصْرَاعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ مُقْتَطَعٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي الشَّيْخِ ⁷ :

١ ط : عند .

٢ ط : منا .

٣ لم يرد في ديوان ابن الأحنف .

٤ الديوان : ١٨١ .

٥ أمالي القاضي ١ : ٢١٨ وحامسة المرزوقي ٣ : ١٧٤ والحامسة البصرية ٢ : ١٤٩

وانظر ديوانه : ٩٢ - ٩٣ وفيه تحريجات عديدة .

أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وكذلك قوله فيها : « يا من تألف ليله ونهاره » . . . البيت ، مقتضب
من قول أبي الطيب ^١ :

الحزنُ يُفْلِقُ والتجلدُ ^٢ يردعُ والدمعُ بينهما عصي طيِّعُ

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في المدايح
مع ما يقشبت به من سائر الأوصاف

قال من قصيدة ^٣ :

أما في نسيمِ الريحِ عَرَفُ مُعَرَفُ
فنقضي أوطارَ المنى من زيارةِ
ضمانٍ علينا أن تُزَارَ ودونها
وقومٌ عدى يبدون عن صفحتهم
يودون لو يثني الوعيدُ ^٤ زَمَاعَنَا
وفي السيراءِ الرِّقْمِ وَسَطَ قبابهم
وليلةً وافينًا * الكئيبَ لموعِدِ
تهادى أناةَ الخطو مرتاعةَ الحشا

١ ديوان المتنبي : ٥٠٦ .

٢ الديوان : والتجلد .

٣ ديوان ابن زيدون : ٤٧٩ .

٤ ب س : البعيد .

٥ الديوان : وافتنا .

فما الشمسُ رُقَّ الغيمُ دونَ آياتها
 قعيدك أنى زُرْتُ ، نُورُك فاضحٌ
 هيبك اغترزتِ الحى واشيكُ حاجعٌ
 فأنى ١ اعتسفتِ الهولَ خطوكِ مدمجٌ
 لحاج تَمادي الحبَّ في المعشرِ العدا
 كفانا من الوصلِ التحيةُ خلصةٌ
 وإنى لِبِسْتَهْوِينِي البرقُ صَبوةٌ
 وما ولعي بالراحِ إلا توهَّمُ
 ويذكرني العقدَ المرنَّ جُمانهُ
 فما قبلَ من أهوى طوى البدرَ هودجٌ
 ولا قبلَ عبادٍ حوى البحرَ مجلسٌ

سوى ما أرى ذاكَ الجبينَ المنصفُ
 وعطركِ تَمَامٌ ، وحليكَ مُرجفُ
 وفرعُك غريبٌ ، وليلُك أغصفُ
 وردُك رَجراجٌ وخصرُك مخطفُ
 وأمُّ الهوى الأفقَ الذي فيه نشفُ ٢
 فيومىءُ طرفٌ أو بنانٌ مطرفُ
 إلى برقٍ ثغرٍ إن بدا كاد يخطفُ
 لظلمٍ به كالراحِ لو يُتَرَشَّفُ
 مِرِناتٌ ورُقٍ في ذُرَى الأبلِكِ هُتَفُ
 ولا ضمَّ رِثَمَ القفرِ خدرٌ مسجَفُ
 ولا حَمَلَ الطودَ المعظمَ رفرفُ

وهذا بيت القسطلي بجملة حيث يقولُ في ابن أبي عامر ٣ :

وكيف استوى بالبرِّ والبحرِ مجلسٌ وقام بعبءِ الراسياتِ سريرُ ؟

وفيها يقول ابن زيدون :

هو الملكُ الجعد الذي في ظلاله
 رويتهُ في الحادثِ الإِدَّةَ لحظَّةُ
 طلَاقَةٌ وجهٍ في مضامٍ كمثلِ ما
 تُكفُّ صرُوفُ الحادثاتِ وتصرِفُ
 وتوقعه الجالي دُجى الخطبِ أحرفُ
 يروق فرند السيفِ والحدِّ مُرَهَفُ

١ ب س : وكيف .

٢ نشف : نبفض ؛ والبيت قلق على هذا النحو .

٣ ديوان ابن دراج : ٣٠٢ .

على السيف من تلك الصرامة ميسم
أظن الأعادي أن حزمك نائم ؟

ومنها :

وكل بما يرُضيك داعٍ فملحف
تطلع من محراب داود يوسف
تُشير فيمضي والقضاء مصرف
بها يتلف المالُ الحسيم ويخلف
ولا ذلٌ مُقتاد ولا لان معطف
وكيف أؤدي فرض ما أنت سلف ؟
يقابلها طُرفُ الحسود فيُطرفُ

ولما قضينا ما عانا أداؤه
رأيناك في أعلى المصلى كأنما
ولما حضرنا الاذن والدَّهرُ خادم
وصلنا فقبلنا الندى منك في يد
ولولاك لم يسهل من الدَّهر جانب
لك الخير أني لي بشكرك نهضة
أنرت بهيم الحال مني غرة

قوله : « وما ولي بالراح » ... البيت ، أراه قلب قول أبي الطيب :

وما شرقي بالماء إلا تدكُراً
لماء به أهل الحبيب نزول ٢

وقوله : « ويذكُرني العقد المرن » .. البيت ، نسخه من قول أبي تمام ٤ ونقص عنه :

وبالحلي إن قامت ترتم فوقها حماماً إذا لاقى حماماً ترتماً

١ ب س : الطلاقة .

٢ ديوان المتنبي : ٣٤٧ .

٣ ب س : حلول .

٤ ديوان أبي تمام : ٣ : ٢٢٣ .

وقوله : « طلاقه وجه » . . . البيت ، معنى مشهور ، وهو في شعرهم كثير ، ومنه قول البحري ^١ :

ويحسنُ دكُّها والموتُ فيه كما يستحسن السيفُ الصَّقلُ

وزاد فيه بعض أهل عصري زيادةً مليحةً فقال :

مضاء كحدِّ السيفِ لدنًا مهزُّهُ يكفكه حِسامُ كحاشية البردِ

وقوله : « ولما حضرنا الإذن » . . . البيت ، مع الذي بعده ، أرى أبا الوليد احتذى فيه حدَّ والوليد في أبياتٍ أنشدُها لحسنها ، وهي من أحسن ما قيل في الهيبة ^٢ :

ولما حضرنا سُدَّةَ الإذنِ أخَرَتْ	رجالٌ عن البابِ الذي أنا داخلُهُ
فأفضيتُ من قربِ إلى ذي مهابةٍ	أقابِلُ بدرَ التَّمَّ حينَ أقابِلُهُ
كما انتصبَ الرمحُ الرُّدْبِيَّ تُفَّتْ	أنايبُهُ واهتزَّ لاطعنِ ^٣ عاملُهُ
وكالبدرِ وافتهُ لَتَمَّ سَعُودُهُ	وَتَمَّ سَنَاهُ واستهلَّتْ مَنَازِلُهُ
فسلمتُ فاعتاقتُ جَنَانِي هَيْبَةً	تنازَعُنِي القولَ الذي أنا قائلُهُ
فلما تأملتُ الطلاقَةَ وانثنى	إليَّ ببشرٍ آتسني غايِلُهُ
ذنوتُ فقبِلْتُ الندى من يدِ امرئٍ	كريمٍ مُحيَّاهُ سباطُ أناملُهُ
صَفْتُ مِثْلَ ما تصفُو المُدامُ خِلالَهُ	ورقَّتْ كما رَقَّ النسيمُ شِمالَهُ

وقول ابن زيدون : « وصلنا قبلنا الندى منك في يدٍ » . . . البيت ،

١ ديوان البحري : ١٨٢٢ وروايته « وقد يستحسن » .

٢ ديوان البحري : ١٦١٣ - ١٦١٤ .

٣ الديوان : لاطعن واهتز .

معنى ملج ، ولفظٌ صحيح ^١ ، إلا أنه كما تراه ، لفظُ بيت البحري ومعناه . ويقولُ بعضُ أدبائنا إن ابنَ زيدون بحري زماننا ^٢ وصدقوا ، لأنه هذا حدُّ الوليد ، إلا أن أبا الوليد في بعضِ قصائده كابنِ حُمَيدٍ سعيد . وقال بعضُ أهلِ عصرنا وهو أبو محمد ابن سارة الشنتريني من جملةِ أبيات :

وإنَّ في يَصَافِحُ راحَتَيْهِ فيعرفُ فيهما عَرَفَ السَّيَادَةِ
وقال بعضُ أهلِ العصر :

ولمْتُ يَمْنَاهُ فَأَعْيَا حُسْدِي أَنَا لثَمْتُ الْعَارِضِ الْمُتَعَجِّرَا ؟
وقال ابن زيدون من جملة قصيدة ^٣ :

يا أيها الملكُ الذي تدبِيرُهُ	أضحى لمملكةِ الزمانِ ملاكا
أعرضُ عنِ الخطراتِ إنك إن تشأْ	تَكُنْ التَّجُومُ أَسَنُ لِقَنَاكَ
هَضَرَ النِّعَمُ بِعُطْفِ دَهْرِكَ فَانْتَى	وَجَرَى الْفَرْنَدُ بِصَفْحَتِي دُنْيَاكَ
دُنْيَا لَزَهْرَتِهَا شُعَاعٌ مُذْهَبٌ	لو كان وصفاً كان بعضُ حُلَاكَ
فَتَجَلَّ في فُرُشِ الكَرَامَةِ نَاعِماً	واعتقدُ بمرتبةِ السرورِ حُبَاكَ
وأطلْ إلى شَدْوِ الْقِيَانِ لِصَاحَةِ	وَتَلَقَّ مَرَعَةَ الْكُؤُوسِ دِرَاكَ
لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٍ إِنْ تَعَرَّضَ	في لُحْيِ رَاحِكَ تَسْتَهْلُ لَهَاكَ
من كان يعلّقُ في خِلَالِ نَدَامِهِ	ذَمٌّ بِبَعْضٍ خِلَالِهِ فَخَلَاكَ

١ ط : فصيح .

٢ ط : بأقنا .

٣ ديوان ابن زيدون : ٤٣٩ .

٤ ط : تستمل .

٥ ط : نديه .

أُسْبُوعُ أَنْسِرِ حَدَّثَ لِي وَحِشَةً
وَأَنَا الْمَذْبُوبُ غَيْرَ أَنْتِي مُشَعَّرُ
أَنْتِي أَقَوْمُ بِشْكَرِ طَوْلِكَ بَعْدَمَا
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ وَاحْلُولِ جَنَّتِي
عِلْمًا بِأَنِّي لَسْتُ فِيهِ أَرَاكَ
ثِقَةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَّاكَ
مَلَائِكُ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَذَاكَ
نُعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جَمَامُ نَدَاكَ

وله من أخرى في ابن جهور أولها ١ :

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيصَا
وَلَدَيْكَ أَمْثَالُ النُّجُومِ قَلَائِدُ
فَصِّلِي بَفَرْعِكَ لِيْلِكَ الْغُرْبِيَا
أَلْفَتْ سَمَاءَكَ لَبَّةً وَتَرِيَا

يقول فيها :

لِيَنْبُ عَنْ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كَلَّمَا
وَإِذَا الْوُشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَثْنَاوَه
وَلَطَالِمَا أَبْدَيْتِ إِذْ حَبِيبَتِنَا
أُظْنِيَّةٌ ٣ دَعَايَ الْبِرَاءَةِ شَأْنُهَا
لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيَا
جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيَا
طَلَعَتْ ثُرْيَا لَمْ تَكُنْ لَتَغْيَا
كَفَاً هِيَ الْكَفُ الْخَضِيبُ خَضِيَا
أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلَمْ دُعَيْتِ حَبِيَا ؟

ومنها في المدح :

مُتَمَرِّسٌ بِالْدَهْرِ يَفْعُسُ دُصْرُهُ
لَا يَوْمَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا
إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخَطُوبِ خَطِيَا
يَعْتَادُ إِسْرَالَ الْكَلَامِ قَضِيَا

١ ديوان ابن زيدون : ٣٢٤ .

٢ ب س : أحيت .

٣ ب : أظنية .

بَسَامُ ثَغْرِ السَّنِّ إِنْ عَقَدَ الْحَبَّاءُ
 مَلَأَ النَّوَظَرَ صَامِتاً وَلَرْبَمَا
 إِنَّ الْجَهَاوِرَةَ الْمُلُوكَ تَبَوَّأُوا
 عَقْدُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَاةٍ
 فَإِذَا دَعَوْتَ وَلَيْدَهُمُ لِعَظِيمَةٍ
 هَمٌّ تَعَابَهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا
 وَمَحَاسِنُ تَنْدَى رَقَائِقُ ذِكْرِهَا
 كَانَ الْوِشَاءُ ، وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكَهِمْ
 فَرَأَيْتَ وَضَاحاً هُنَاكَ مَهْيَا
 مَلَأَ السَّمَاعَ سَائِلاً وَمُجْبَا
 شَرْفًا جَرَى مَعَهُ السَّمَاءُ جُنْيَا
 نَسَقَ اللَّالِءِ مُنْجَبَا وَنَجْيَا
 لَبَّكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أَدْيَا
 فِي سُدُودٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقْيَا
 فَتَكَادُ تُوهِمُكَ الْمَدِيعُ نَسِيَا
 أَسْبَاطُ يَعْقُوبٍ وَكَتُّ الدِّيَا

قوله : « فصلي بفرعك ليلتك الغريبا » ، من قول أبي الطيب ٢ :

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها
 في ليلة فارت ليالي أربعا
 وقال التهامي ٣ :

وتود لو جعلت سواد قلوبها
 وسواد عينيها سواد عذارى
 ومنه قول المعري وقد تقدم ٤ :

يود أن ظلام الليل دام له
 وزيد فيه سواد القلب والبصر
 وقال محمد بن هاني ٥ :

-
- ١ الديوان : تنافها .
 ٢ ديوان المتنبي : ١٠٧ .
 ٣ ديوان التهامي : ٥٥ وروايته : « وسواد أعينها غضاب » .
 ٤ انظر ما تقدم ص : ٣٤٩ وفي ب س وقع بيت المعري قبل بيت التهامي وصدر بقوله .
 وينظر إليه قول المعري .
 ٥ ديوان ابن هاني : ١٩٠ .

قد أظلموا بالدهم منها فجرهم فتكدّرت^١ شمسُ النهار تغضباً
واستأنفوا بشياتها فجراً فلو عقدوا نواصيها أعادوا الغيها

وقوله : « فتكادُ توهمك المديحَ نسيّاً » ... البيت ، من قول حبيب^٢ :

طاب فيه المديحُ والتدّ حتى فاق وصفَ الديار والتشييا

وقوله : « ملأ النواظرَ صامتاً » . . البيت ، من قوله أيضاً^٣ :

فأسألها^٤ واجعل بكاك جواباً تجدرِ الشوقَ سائلاً ومُجيباً

وينظر إلى هذا^٥ المعنى من بعض الوجوه لفظُ أبي الطيب حيث يقولُ
في ابن العميد^٦ :

فدعاكَ حُسْدُكَ الرئيسَ وأمسكوا ودعاكَ خالِقُكَ الرئيسَ الأكبرا
خلفتُ صِفَاتُكَ في العيونِ كلامه كالخط يملأ مسمعي من أبصرا

ويلمحُ أيضاً هذا المعنى قولُ أبي نُوَاس^٧ ، على ما فسّره بعض
الناس :

« ألا فاسقني خمرأ وقل لي هي الخمرُ »

١ ب س والديوان : فتكورت .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٦٨ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١٦٤ .

٤ في النسخ : أسألها .

٥ ط : ويتطرف هذا .

٦ ديوان المتنبي : ٥٤٠ .

٧ ديوان أبي نواس : ٢٧٣ وجز البيت : « ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر » .

وهذا التفسير فيه ، أضعف الوجوه. وبيتُ ابن شَرْفٍ أشبهُ من هذا
كله ببيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القيروان ^١ :

سَل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمقلِ
وقال ابنُ زيدون من أخرى ^٢ :

أما وألحظِ مراضٍ صِحاحَ	تُصْنِي ^٣ وأعطافٍ نَشَاوَى صَوَاحٍ
لفاتنٍ ^٤ بالحسنِ في خَدَه	وَرَدٌ وأثناءَ ثَنَاياهُ راح
لم أنسَ إذ باتتْ يدي ليلةَ	وشاحهُ اللاصقَ دُونَ الوشاح
لأُصْفَيْنَ المرتضى جَهْوَرًا	عهداً لروضِ الحسنِ عنه افتضاح
بَشَرْتُ آمالي بتأمله	فما عداني منه فَوْزُ القَدَاح
لم أئيمِ البرقِ جَهَامًا ولم	أقتدحِ النارَ بزئدٍ شحاحٍ
يا مُرْشِدِي جَهْلًا إلى غيرِه	أغنى عن المصباحِ ضوءُ الصباح
ذو باطنٍ أقبسَ نورَ التَّقَى	وظاهرٍ أَشْرَبَ ماءَ السَّمَح
ليه أبا الحزمِ اهتبلَ غِرَّةَ	ألسنةُ الدَّهْرِ عليها فصاح
لا طَارَ لي حَقٌّ إلى غايَةِ	إن لم أكن منك مَرِيشَ الجَنَاح
عُتْبَاكَ بعد العُتْبِ أُمْنِيَّةُ	ما لي على الدَّهْرِ سواها اقتراح
لم يثنني عن أملٍ ما جرى	قد يُرْقِعُ الخرقُ وتوسى الجراح

١ هو في مدح علي بن أبي الرجال ، الذخيرة ٤ - ١ : ١٧٣ - ١٧٤ والتنف :

١١٠ والقوات ٣ : ٣٦٠ .

٢ ديوان ابن زيدون : ٢٤٧ .

٣ ط : نسي .

٤ ب س والديوان : لبائن .

٥ الديوان : أقتدح العم ببيض الصفاح .

اشفع فللشافعِ نعمى بما سنّاهُ من عقدٍ وثيقِ النواحِ
إنَّ سحابَ الأفقِ منها الحيا والحمدُ في تأليفها للرياحِ

قوله : « وشاحه اللاصِقَ » ... البيت ، معنى متداولٌ ، ومن أقربِهِ
عصرًا قولُ النَّحْلِي من أهل وقتنا :

إنَّ العزيزَ عَلَيَّ خَصْرُكَ إِنَّهُ بالرَدْفِ حُمِلَ مِنْهُ^١ ما لا يحملُ
فَخُدِّي له جِسمي مكانَ وشاحِهِ إنَّ العليلَ بِشِكلِهِ يَتَعَلَّلُ

وقال ابن زيلون من أخرى في بني جهور عند نكبة بني ذكوان^٢ :

لولا بنو جهورٍ ما أشرقتْ همَمي > غيدُ السَّوَالفِ في أجيادها تلُعُ
هم الملوك ملوك الأرض دونهم^٣ كمثل بيض الليالي دوتها الدرع
قومٌ متى تحتفل في وصف سؤددهم لا يأخذ الوصف إلاَّ بعضَ ما يدعُ
أبو الوليد قد استوفى مناقبَهُم فلتفارقِ منها فيه مجتمِعُ
مَهْذَبٍ أخلصته أوليتُهُ كالسيف بالغ في إخلاصه الصَّنْعُ
إنَّ السيوفَ متى ما طابَ جوهرُها في أولِ الطَّبْعِ لم يعلّقَ بها الطَّبْعُ

[ومنها في عتابه أيضًا] :

قل للوزير الذي تأمِلُهُ وَزَرِي إن ضاق مضطربٌ أو هال مضطَلَعٌ :
أصيح له مسرَّ عتابٍ تحته مَقَّةٌ تُكَلِّفُ النفسُ فيه^٤ فوق ما تسع

١ ب س : منك .

٢ ديوان ابن زيلون : ٢٩٧ ؛ وقد تمت نكبة بني ذكوان عام ٤٤٠ ، وبسببها عزل أبو الحسن ابن ذكوان عن القضاء (المغرب ١ : ١٦١) .

٣ ما بين حاصرتين زيادة من الديوان . ٤ ب س : منه .

ما للمئات الذي أَحْصَفْتَ عَقْدَتَهُ
لا تَسْتَجِزْ وَضِعَ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِهِ
إِنَّ الْأَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ افْتِضَاحِهِمْ
تلك العرائنُ لم يَصْلُحْ لَهَا شَمٌّ
أودَعْتَ نِعْمَاكَ مِنْهُمْ شَرًّا مُغْتَرَسَ
قد خَامَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزَعُ؟
فَاللَّهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدَرَ الَّذِي تَضَعُ
مِثْلَ الشَّجَى فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يَنْتَزِعُ
فَكَانَ أَهْوَنُ مَا نَبِلْتُ بِهِ الْجَدْعُ
لَنْ يَكْرُمَ الْغَرَسُ حَتَّى تَكْرُمَ الْبُقْعُ

قوله : « إِنْ السِّیُوفَ إِذَا مَا طَابَ جَوْهَرُهَا » . . . البيت ، ينظرُ من
الحظِّ ١ مُرِيبٌ ، إِلَى قَوْلِ حَبِيبٍ ٢ :

وَالسِّیْفُ مَا لَمْ يَلْفَ فِيهِ صِیْقَلٌ
مَنْ سَنَخِهِ لَمْ يَتَفَعَّ بِصِیْقَالٍ

وله ٣ مِنْ أُخْرَى يَهْنِءُ الْمُعْتَصِدَ عِبَادًا بِهَزِيمَةٍ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ لابْنِ الْأَفْطُسِ ،
وَقَتْلِهِ وَلَدِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ ٤ :

لِيَهْنِ الْهَدَى إِنْجَاحَ سَعِيكَ فِي الْعِدَا
وَبِشْرَاكَ دُنْيَا غَضَبُهُ الْعَهْدَ طَلْقَسُهُ
دَعَوْتَ فَقَالَ النُّعْمُ لِبَيْتِكَ مَائِلًا
وَأَحْمَدْتَ عَقْبِي الصَّبْرَ فِي دَوَكِ الْمَنَى
وَلَمَّا اعْتَمَدْتَ ٦ اللَّهُ كُنْتَ مُؤَهَّلًا
وَأَنْ رَاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكِ أَوْ غَدَا
كَمَا ابْتَسَمَ الثَّوَارُ عَنْ أَدْمُعِ الْوَدَى
وَلَمْ تَكُ كَالِدَّاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى
كَمَا بَلَغَ السَّارِي الصَّبَاحَ فَأَحْمَدَا
لَدَيْهِ بِأَنْ تَحْمَى وَتُكْفَى وَتُعْضَدَا

١ ب س : بلحظ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٤٥ .

٣ ط : وقوله .

٤ ديوان ابن زيدون : ٤٦٧ .

٥ ب س والديوان : واغشى .

٦ ب س : دعوت .

وَجَدْنَاكَ إِنْ أَلْقَحْتَ سَعِيًّا نَتَجْتُهُ
وغيرُكَ شَاوٍ حِينَ أَنْصَحَ رَمَدًا
مَسْكِرَ الْخَائِنِ الْمَغْتَرِّ كَيْفَ احْتِقَابُهُ
مَعَ الدَّهْرِ عَارًا بِالْفِرَارِ غُلْدًا
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزْبَرًا مُصَمَّمًا
فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مَشْرَدًا

وهذا منقولٌ من قول أبي الطيب^١ :

فَأَتَيْتَ مَعْتَرِمًا وَلَا أَسَدُ
وَمُضِبَتَ مِنْهَزِمًا وَلَا وَعَلُ

رجع :

يُودِ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ أَنَّهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ آخِرَ الدَّهْرِ سَرْمَدًا
لَبِئْسَ الْوَفَاءُ اسْتَنَ فِي ابْنِ عَقِيدِهِ
عَشِيَّةَ لَمْ يُصْدِرْهُ مِنْ حَيْثُ أُوْرِدَا
وَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ
بُكَاءَ لَبِيدٍ حِينَ فَارَقَ أُرَيْدَا^٢

وَنُلَمِّعُ مِنْ أَخْبَارِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ بِلُحْمَةٍ :

قال أبو مروان^٣ : وفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع ابنُ عبادٍ
بابن الأَفْطُسِ إلى جنبِ يَابُورَةَ ، وكان سببُ هذه الحربِ أَنَّ فَتْحَ بْنَ يَحْيَى
صَاحِبَ لَبْلَةٍ يَوْمئِذٍ حَكِيمَ^٤ ابْنَ الْأَفْطُسِ وَآلَى عِبَادًا لِمُضِرَّةٍ ،

١ ديوان المتنبي : ٥٦٥ .

٢ قد وقعت بعد هذا البيت في النسخ (ما عدا ط) مادة طويلة فصلت بين القصيدة المتصلة :
بهزيمة اسماعيل لابن الأَفْطُسِ ، وبين الشرح التاريخي لها ، بحيث ضاعت الصلة بين
القصيدة والرد التاريخي ، فرأيت إرجاع ما نقل حول هذه الحادثة ، وما اتصل به بعد
ذلك ، وإجراء تغيير في ترتيب سائر الترجمة .

٣ نجاه هذا النص موجزاً في ط ؛ وقارن بما جاء في البيان المغرب ٣ : ٢٠٩ وبخاصة

ص : ٢٢٤ .

٤ ب س : خليفة .

فكاشفه ابنُ الأفطس وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله الصّامت ، عندما حمّله إليه وديعةً وقتَ تورّطه في حربِ عبادٍ قبلُ ؛ وانبتتَ بينهما العصنة ^١ ، وأرسلَ ابنُ الأفطس في ذلك الوقتِ خيله للضربِ على ابنِ يحيى فاستغاث عباداً ، فأرسل إليه خيلاً متقاةً ، فلحقّت الخيلُ الأفطسية وهي قد شنت الغارة على لبّلة ، فكرّرت عليهم إذ كانوا ضِعْفَهُمْ ، واسترسلوا في اتباعِ العباديين ولا يشعرون ، فإذا بعبادٍ يحملته في كمينٍ قد خرج لائترهم ، فدَهَشُوا وولّوا الأدبارَ فركبَهُم السيفُ ، وبذل عبادُ المالَ في رؤوسهم ، وكانت نقاةُ خيلِ ابنِ الأفطس وأبطالَ رجاله ، فجزّ لعبادٍ من رؤوسهم مائةٌ وخمسون رأساً ومن خيلهم مثلها ، فقصَّ جناحَ قرنه ، وأفنى حماةَ رجاله . ثم إنَّ عباداً لائتر ذلك جمع خيلَ حلفائه وخيله وقودَ عليها ابنه إسماعيلَ مع وزيره ابنِ سَلامٍ ، وخرج نحو بلدِ ابنِ الأفطس يابرة . وقد استدعى أيضاً ابنُ الأفطس حليفه إسحاق بنَ عبدِ الله فلحقّت به خيلُه مع ابنه العزّ بعدَ أن جمعَ ابنُ الأفطس بقايا جيشه من هزيمتهم المتقدمةِ الذكر ، وأخرجَ كلَّ من قدَرَ على ركوبِ دابةٍ من البياضِ ببلده ، وحشر من رجال البوادي بعمله خلقاً كثيراً ، وأقبلَ يجمعه هذا المنخوبُ ليدفعَ خيلَ ابنِ عبادٍ عن بلده يابرة . وقد كان برابرةُ حليفه إسحاق في عسكره قالوا له : لا تلقهم ^٢ فلست تعرفُ قدَرَ من زحفَ نحوكَ ، ونحن رأيناهم وسمعنا يجمعهم بإشبيلية ؛ فلم يسمعَ منهم ومضى ، فالتقى الفريقان من غير نزولٍ ولا تعبَةٍ ، فاختلفوا واجتلدوا ملياً ، فحقّق العباديون الضرابَ

١ البيان (٢٣٥) : الصعبة .

٢ ب س : لا تقيهم .

وتابعوا الشدات ، فحاد البرابرُ عنه أصحابُ إسحاق ، وانهزم ابنُ الأفطس^١ وحُمِلَ السيفُ على جميعٍ من معه ، فاستأصلهم القتلُ ، وقتل ولدُ إسحاقَ ، العزُّ^٢ ، وحزُّ رأسه وبُعِثَ به إلى إشبيلية مع رأسِ ابنِ عمِّ لابنِ الأفطسِ صاحبِ يابرة يدعى عبيدَ الله الخراز ، ونجا ابنُ الأفطسِ في قطعةٍ من خيله إلى يابرة .

قال أبو مروان : وأقلُّ ما سمعتُ في إحصاءِ قتلِ هذه الواقعة من ثلاثة آلاف رجلٍ فأزيد . وأخبرني من أتقُ به أن بطليوسَ بقيتَ مدةً خاليةً الدكاكين والأسواقِ من استئصالِ القتلِ لأهلها في وقعةِ ابنِ عبادِ هذه بفتيانِ أعمارٍ إلاَّ الشيوخَ والكهولَ الذين أصيبوا يومئذٍ . فاستدلتُ بذلك على فُشُوِ المصيبةِ . وجزع إسحاقُ بن عبد الله من مُصابِ ابنه ، ولم يخضع لضدِّه عبادٍ في طلبِ رأسِ ابنه ، فإنَّ عباداً ضافه إلى رأسِ جدِّه محمد ابن عبد الله الذي هو مخزن عنده بإشبيلية ، انتهى كلامُ ابنِ حيان .

قال ابن بسام : ولم يزل الرأسان عند آل عبادٍ مع عدَّةِ رؤوسٍ أهدتها إليهم الفتنةُ المبيدةُ^٣ ، حتى فُتِحَتِ إشبيلية على الأميرِ الأجلِّ سير بن أبي بكر فجيء بجوالتٍ مقفلٍ مطبوعٍ عليه ، فأمرَ بفتحهِ ، لا يشكُّ أنه مالٌ أو ذخيرةٌ ، فإذا هو مملوءٌ من رؤوس . فأعظم ذلك وهاله ، وأمر بدفعِ كلِّ رأسٍ منها إلى من بقي من عقبهِ بالحضرة^٤ .

١ ط : وانهزمت الخيل الافطسية .

٢ ط : وقتل العز بن اسحاق . ٣ العبارة مضطربة .

٤ المبيدة : قراة لما وجه ؛ ولعل الصواب « المبيدة » .

٥ كل هذه الفقرة وردت في ط على النحو الآتي : وبقيت الرؤوس في تابوت وجد يوم دخل البلد ، حسبما ذكره في أخبار المعتمد .

حدثني من رأى رأس يحيى بن علي الحمودي ثابت الرّسم ، غير متغيّر-
الشكل ، فدفع إلى بعض ولده فدفنه .

[رجع] .

قال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها ^١ :

أجل إن ليلي حيث أحيّاها الأزدُ	مهاةً حمتها في مراتعها ^٢ الأسدُ
يمانيّةٌ تدنو وينأى مزارُها	فسيان منها في الموى القربُ والبعدُ
إذا نحن زُرناها تمرّدَ ماردُ	وعزٌّ فلم نظفر به ^٣ الأبلقُ الفرْدُ
هو الملكُ المشفوع بالنسكِ ملكُهُ	فله ما يخفى والله ^٤ ما يبدوُ
لقد أوسّع الإسلامَ بالأمسِ حَسْبُهُ	نحت غرّصَ الأجرِ الجزيل فلم تعدُ
أباح حمى الحميرِ الخبيثةَ حائطاً	حمى الدينِ من أن يُستباحَ له حدُ
فطوّقَ باستئصالها المصرَ منّةٌ	يكادُ يؤدي شكرها الحجرُ الصلْدُ
غني فحسُن الظنِّ باللهِ مالهُ	عزيزٌ فصنّعُ اللهِ من حوله جنْدُ
لنعمَ حديثُ البرِ أوضعتِ الصبا	تبثّ نثاهُ حيثُ لا يوضعُ البرْدُ

وكان ابنُ جهورٍ كسرَ يومئذٍ قَنَ الحمرِ ، وكان مدحه أيضاً
يومئذٍ بمثل ذلك عبدُ الرحمن بنُ سعيد المصفرّ بشعرٍ ^٥ أولُهُ :

١ ديوان ابن زيدون : ٣٥١ . ٢ ب س : مراتعها .

٣ ب س : فلم يظفر بها . ٤ ب س : قلبه .

٥ ب س : فيا ملك ما يخفى ويا سر .

٦ ب س : عزيز بحسن . . ماله عرين ، وسقط البيت من ط ؛ والتصويب عن الديوان .

٧ ط : عبد الرحمن بن الأسد ؛ وزاد في ط بعد « بشعر » : « تجاوز فيه غاية البرد ،
وسياتي ما هو بمعناه » .

كسرت لجبر الدين أوعية الجمر فحزنت خصل السبق في الكسر والجبر
عمدت إلى الشر الذي جمعوا له ففرقت منه فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبردت جملة لها . وإنما ذهب إلى عكس قول
من تقدم من عبث الشعراء من ذم صب الشراب ، ومن أشهره قول بكر
ابن خازجة الكوفي^١ ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى^٢ السلطان لا يكن للذي أهان الهوان
سكبوا^٣ في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفران
صبها في مكان سؤم لقد صا دف سعد السعود ذاك المكان
من كميته يبدي المزاج لها لؤ لؤ نظم والفصل فيها جمان
فلذا ما اصطبحتها صغرت في القد ر عندي من أمه^٤ الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه الإنسان ؟

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات ، فقال للمنشد : « من
حق الفتوة أن أكتبها قائماً ، وما أقدر إلا أن تعملني » لنقرس كان به .
قال المحدث : فعمدته وقام فكتبها .

وكان بكر بن خازجة هذا مولى بني أسد ، طيب الشعر ، خليعاً ماجناً ،
وكان يالف هذ هذاً في موضع يأتيه كل يوم بقنبنة شراب ، فلا يزال

١ في النسخ : بكر بن حارثة ؛ وقد ذكره صاحب الأغاني (٢٣ : ٦٦) كما أثبتته ،
وانظر كذلك قطب السرور : ١٨٤ ، ٢٢٠ ، وترجمة بكر بن خازجة في الوافي : ١٠ .
الورقة : ٨٠ - أ .
٢ ب س : لقد جنى ؛ الأغاني : لما جنى .
٣ الأغاني : صبها .
٤ الأغاني : من أجلها .

يشربُ على صوتهِ إلى أن يسكّر ، وكان أيضاً يهوى غلاماً نصرانياً وهو
القاتل :

زُنَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كِبْدِي مَقْدُودٌ
وبكرُ القاتل ١ :

قلبي إلى ما ضَرَّني داعي يُكثِرُ أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدُوِّي إذا كان عدُوِّي بين أضلاعي ؟
ولصالح بن عبيدٍ في مثل ما تقدّم :

ليس همّي ولا طويلُ انتحائي لمشيبي أَدالَ ٢ غني شبائي
لا ولا لاغتراب أحباب قلبي أولصَدَّ الإخوان والأصحاب
إنما حسرتي وعبرةٌ عَيْنِي لشرابٍ يُصَبُّ فوق التراب
سُرَّتْ الأرضُ حينَ صُبَّ عليها فبكتُ صَبَّةً عيونُ السحاب
رجع :

وقال ابن زيدون يرثي ٣ :

١ قال أبو الفرج : (٢٣ : ٧٠) « وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره
أن هذه الأبيات للعباس بن الأحنف ، وذكر محمد بن داود الجراح عن أبي
هفان أنها لبكر بن خارجة » .

٢ ب س : أزال .

٣ ديوان ابن زيدون : ٥٣٠ وهي في رثاء صديقه أبي بكر ابن ذكوان المتوفى سنة
٤٣٥ (راجع في ترجمته : الصلة : ٤٩٧ وتروتيب المدارك : ٤ : ٧٨٤ والمغرب
١ : ١٥٩) وقد سقطت هذه القصيدة من ط .

انظر ١ لحال السرو كيف تُحال
من سرٍّ لمّا عاشَ قلّ مناعه
ولى أبو بكرٍ فراع له الورى
يا من شأى الأمثال منه واحد
نقصت حياتك حين فضلك كامل
من للقضاء يعزّ في أثناثه
من للتييم تتابعت أرزاؤه ؟
هيهات لا عهد كعهدك عائد
حيّا الحيا مثواك وامتدت على
وإذا التسيم اعتلّ فاعتمت به
ولئن أذلك بعد طول صيانة

وللدولة العليا كيف تُدال
فالعيش نومٌ والسرور خيال
هولٌ تقاصر دونه الأهوال
ضربت به في السؤدد الأمثال
هلاّ استضيف إلى الكمال كمال
إيضاح مشكلة لها إشكال
هلك الأب الحاني وضاع المال
إذ أنت في وجه الزمان جمال
ضاحي ثراك من النعيم ظلال
ساحاتك الغدوات والأصال
قدر فكل مصونة ستدال

وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرثي بها أبا الحزم ابن جهور ٢ :

ألم تر أن الشمس قد ضمتها القبر
وأنّ الحيا إن كان أقلع صوبه
إساعة دهر أحسن الفعل بعدها
فلا يتهن الكاشحون فما دجا
وإن يك ولى جهور فمحمد
لعمري لنعم العلق ألقه الردى

وأن قد كفانا فقدما القمر البدر
فقد فاض للآمال في أثره البحر
وذنب زمان جاء يتبعه العذر
لنا الليل إلا ريثما طلع الفجر
خليفته العدل الرضا وابنه البر
فبان ونعم العلق أخلفه الدهر

١ الديوان : أعجب .

٢ ط : قال ابن زيدون يرثي أبا الحزم ابن جهور من قصيدة أولها : وانظر ديوانه :

هُمامٌ جَرَى يَتْلُو أَبَاهُ كَمَا جَرَى
فَقُلُّ لِلْحَيَارَى قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهَلْدَى
أَبَا الْحَزْمِ قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعُ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ
مَسَاعِيكَ حَلَّتِي لِلزَّمَانِ مُرْصَعٌ
أَمَامَكَ مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ صَنِيعَةٌ
وَمَا بَكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ
تَحَامَتِ الْعِدَا لَمَّا اعْتَلَقَتْكَ جَانِبِي

مُعَاوِيَةُ يَتْلُو الَّذِي سَنَّهُ صَخْرُ ١
وَالطَّامِعِ الْمَغْرُورِ قَدْ قَضِيَ الْأَمْرُ
قُلُوبٌ وَمِنْهَا الصَّبْرُ لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ
فَمَا لِنَفْسٍ إِذْ طَوَاكَ الرَّدَى قَدْرُ
وَذِكْرُكَ فِي أُرْدَانِ أَبْيَامِهَا ٢ عَطَرُ
وَحَوْلِكَ مِنْ آيَاتِهِ عَسْكَرُ مَجْرُ
كَفْتُكَ مِنَ اللَّهِ الْكَلَاءَةُ وَالنَّصْرُ
وَقَالَ الْمُنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو

ووجدتُ له قصيدةً أخرى، على رويِّها ووزنها ، رثي بها أم أبي الوليد
ابن جهور ، وكرّر أكثر أبياتِها ، أولُها ٣ :

هَوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِّلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمَنْ شَيَّمِ الْأَحْرَارِ فِي مِثْلِهَا الصَّبْرُ
يقول فيها :

هَنِيئًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ
بِطَاهِرَةِ الْأَثْوَابِ قَانِئَةِ الْفُضْحَى
فَإِنْ أَنْتَ فَالْنَفْسُ أَنْتِ نَفِيسَةٌ
حَصَانُ إِذَا التَّقْوَى اسْتَبَدَّتْ بَذِكْرَهَا
بَنِي جَهْوَرٍ أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَّاسَةٍ

بِثَاوِيَةِ حَلَّتَهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ
مُسْبِحَةِ الْآثَاءِ مَحْرَابُهَا الْخَدْرُ
إِذَا الْجِسْمُ لَا يَسْمُو بِتَذَكِيرِهِ ذِكْرُ
فَمَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يَسْتَوْضِحُ الْجَهْرُ
مِنَاقِبِكُمْ فِي أَفْقِهَا أَنْجَمُ زُهْرُ

١ م يرد هذا البيت في أصول الديوان .

٢ ب س : أيام أردانها

٣ الديوان : ٥٣٩ .

٤ الديوان : بسرّها

تري الدهرَ إن يبطش فمَنكم يمينُهُ وإنْ تَبْصَحُكِ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا ثَغْرٌ
لَكُمْ كُلُّ رَقْرَاقٍ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ حُسَامٌ عَلَيْهِ مِنْ طَلَّاقَتِهِ أَثَرٌ

إلى أبياتٍ غيرِ هذه من سائرِ أبياتِ القصيدةِ استمرَّ فيها بالتقديمِ والتأخيرِ،
والتأنيثِ والتذكيرِ ، ثم رثى بها آخرَ عباداً المعتضدِ ، وجعل أولَ قصيدته
قوله ^١ :

• هو الدهرُ فاصبرُ للذي أحدثَ الدهرُ ^٢ •

البيت المتقدم ، ثم أتبعه بقوله ^٣ :

حياة الوري نهجٌ إلى الموتِ مهَيِّجٌ	له فيه إيضاحٌ كما يُوضَعُ السِّفَرُ
فيا واضحُ المنهاجِ جرتَ فلانما	هو الفجرُ يهديك الصراطَ أو البحرُ
إذا الموتُ أضْحَى قَصَرَ كُلُّ مَعْمَرٍ	فإنَّ سَوَاءَ طَالُ أَوْ قَصُرَ الْعَمْرُ
ألم تَرَ أنَّ الدينَ ضِيمٌ ذِمَارُهُ	فلم تُغْنِ أَنْصَارُ عَدِيدُهُمْ كَثْرُ
بَحِثُ اسْتَقْلُ الْمَلِكُ ثَانِي عَظْفُهُ	وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
أَنْفَسَ نَفْسٍ فِي الْوَرَى أَقْصَدَ الرَّدَى	وأخطَرَ عُلُقٍ لِلْهَدَى أَفْقَدَ الدَّهْرُ
أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمَلُوكِ لَقَدْ عَدَا	عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدَرُ
فَهَلَّا عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيَّةٌ	وَذَكَرَكَ فِي أَرَاانِ أَيْامِهِ عَطَرُ ؟

١ ط : وابتدأ مرثيته فيه بقوله .

٢ ديوانه : ٥٦٢ .

٣ ط : ثم قال فيها .

٤ الديوان : هادي .

٥ من قول أبي بكر (رضي الله عنه) إنما هو العجر أو البحر ، ومعناه إن انتظرت
حتى يضيء الفجر هكذا إلى الطريق ، والا فالبحر وهو غمرات الدنيا ؛ ويروي :
البحر - بالجم - ومعناه الداهية والأمر العظيم .

غُشِيَتْ فَلَمْ تَغْشَ الطَّرَادَ سَوَابِحُ وَلَا جُرَدَتْ بَيْضُ وَلَا أَشْرَعَتْ سَمَرُ
لِئِنْ كَانَ بطنُ الأرضِ هَيْءَ أَنَسِهِ بِأَنْتَ ثَاوِيهِ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ
وَلَا تَنَتِ المَحْدُورَ عَنْكَ جَلَالَةُ وَلَا عَدَدُ دَثَرُ وَلَا نَائِلُ غَمَرُ
فَهَلْ عِلْمُ الشَّلَوِ المقدَّسُ أَنْتِي مُسَوِّغُ حَالِ ضَلٍّ فِي كُنْههَا الْفَكْرُ؟
وَأَنْ مَتَّانِي لَمْ يَضْعَعُهُ مُحَمَّدٌ خَلِيفَتُكَ العَدْلُ الرِّضَا وَأَبْنُكَ الْبِرُّ؟
وَأَرْغَمَ فِي بَرِّي أَنْوَفَ عَصَابَةٍ لِقَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلِظَهْمُ شَرُّ
إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدِّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ وَقَامَ سَمَاطًا حَفَلَهُ فِي الصَّدْرِ

فتلاعب أبو الوليد كما ترى في هذه القصيدة تلاعب الخطيئة بنسبه^١ ،
وتصرف تصرف أبي حنيفة في مذهبه ، فأنت وذكرك ، وقدّم وأخّر [كما]
قال أبو العلاء^٢ :

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ وَجَدَ لابن زيدونَ إِثْرَ مَوْتِ عِبَادٍ شَعْرًا يَقُولُ فِيهِ^٣ :
لَقَدْ سَرَّنا أَنَّ النِّعْيَ مُوَكَّلَ بَطَاغِيَةٍ قَدْ حُمَّ مِنْهُ حِمَامُ
تَجَانَفَ صَوْبُ المِزْنِ عَن ذَلكَ الصَّدَى وَمَرَّ عَلَيْهِ الْغَيْثُ وَهُوَ جَهَامُ
وَقَالَ يَخَاطَبُ الوَزِيرَ أَبَا عَامِرٍ بن عبدوسَ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا^٤ :

١ ط : في نسبه .

٢ شروح السقط . ٩٧٦ .

٣ ديوانه : ٥٩٢ . ولم يرد البيتان في أصول البيتان . وإنما أوردتهما الصفيدي في المتن والوائي .

٤ الديوان . ٥٨٢ .

أَثَرَتْ هَزَبَر الشَّرى إِذ رَبَضُ
وما زِلْتَ تَبْسُطُ مُسْتَرَسلاً
أرى كُلَّ مُجَرٍّ أبا عامرٍ
أَعِيدُكَ مَنْ أَنْ تَرى مَنَزَعِي
أبا عامرٍ أَيْنَ ذاك الْوفاءُ
وَأَيْنَ الَّذي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ
عَمَدَتَ لَشَعْرِي وَلَمْ تَتَّعِدْ
لَعَمْرِي لَفَوْقَتَ سَهْمِ الْفِصالِ
وَشَمَرَتَ لِلخَوْضِ فِي لُجَّةٍ
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ وَلادَةٍ
هي الْماءُ يَأْبى عَلَى قَابِضٍ
[وبعدُ ما أَمْسَكَ عَنْهُ ٣ .

قوله : « هو الماء يأبى على قابض » . . البيت ، أبلغُ منه في المعنى قولُ
الوزير أبي محمد بن عبد الغفور :

هي الشمسُ تَأْبى عَلَى قَابِضٍ إِذَا الْماءُ نالَتْ نِداهَ الْيَدِ
وَنَبْشَتْهَا بَعْدِي اسْتَحْمَدَتْ بِسِيرٍ إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضَ
أبا عامرٍ عَثْرَةً فَاسْتَقْلَ لَتُبْرِمْ مِنْ وَدْنا ما انْتَقَضَ

١ فيه إشارة إل المثل : « كل مجر في خلاء يسر » .

٢ الديوان : هي البحر .

٣ هكذا قال هنا ، ولم يرد من ذلك شيء في الديوان .

٤ الديوان : بسري .

لَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةٌ بِالْحِجَابِ وَسَلَّمَ فَرَبُّ احْتِجَاجٍ دَحْضِ
وَحْسِي أَنِّي أَطْبْتُ الْخَنَى لِأَفْنَانِهِ ١ وَأَبْحْتُ التَّقْضِ
وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيْدِي غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرِّبْضِ

وكتب^٢ إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأفطس من رقعة ، وضمنها قصيدة أولها :

لِبَيْضِ الطُّلْتَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ بِعَقْلِي - مُذْنِبٌ عَنِي - لَمَمٌ :
لَمَّا لَبِسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - رَدَاءَ الْمَجْدِ مُعْلَمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ
الْحَمْدِ مُعْلَنًا ، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَجْرِهِ ، وَاسْتَضَاعَ فَائِحُ ذِكْرِهِ ، وَشُهِرَتْ
مَحَاسِنُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَآثِرُهُ مَسِيرَ ٣ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ،
لَمَّا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ، وَأَسْبَغَ مِنْ نِعَمِهِ ، وَوُطِّئَ لِلْأَمَلِينَ مِنْ أَكْثَافِهِ ،
وَهَزَّ إِلَى الرَّاعِبِينَ مِنْ أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَفَتْ أَجْنَحَةُ الْأَهْوَاءِ عَلَيْهِ ٤ ، وَاهْتَزَّتْ
جَوَانِحُ الْأَمَالِ ٥ إِلَيْهِ ، وَكَثُرَ التَّغَايُرُ عَلَى تَفَيُّؤِ ظِلِّهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي
الْإِعْتِلَاقِ بِحَبْلِهِ ، وَكُلُّ اسْتَفْرَعٍ جَهْدَهُ ، وَتَوَسَّلَ عَلَى حَسْبِ مَا عِنْدَهُ ،
وَلَا غُرُوَ أَنْ يُسْتَمَطَّرَ الْغَمَامُ ، وَيُؤْمَلَ الْكَرَامُ ، وَيَكْثُرَ فِي الْمَشْرَبِ
الْعَذْبِ الزَّحَامُ .

١ الديوان : لإيافته .

٢ من هنا حتى بداية خبر ولادة سقط كله من ط ؛ وهناك أجزاء من هذا الفصل قد زيدت في الأخيرة بعد ابن بسام ، وقد صرح بذلك من زادها ؛ ولعل هذا القسم الواقع قبل رسالته إلى أبي بكر ابن مسلم قد زيد أيضاً لعدم قيامه على الاختيار .

٣ س : مسيرة .

٤ ب س : إليه .

٥ ب س : الأمل .

وما زلتُ - أبقى الله الحاجبَ - ألتقى من مساعيه المشكورة ، ويقرَعُ
سمعي بآثره الماثورة ، ما هو أُنْدَى من بلوغِ الأمل ، وأشهى من اختلاسِ
القبيل ، وأغضُّ من جنيّ الزهر ، وألطفُ^١ من نسيمِ السحر ، حتى
انفادتُ نفسي في زمامِ التأميلِ والمودة ، ونازعتُ إلى الأخذِ بحظِ من
الاعتلاقِ والممازجة . ونظرتُ إلى ما دون ذلك من أسبابِ البُعدِ المانعة ،
وامتدادِ البلادِ المعترضة ، فخصّضتُ طرفَ الحية ، وطويتُ كشْحاً على
اليأسِ من دركِ الأُميّة ، إلى أن ندبَتني الأديبُ أبو فلان إلى مخاطبته ،
وحرّضني على مكاتبته ، ونبّهتني على ما في التثاقلِ عن مُداخلته ، من
التضييعِ الصريحِ ، والتقصيرِ البينِ الصّحيح ، اذ هي أسنى علقٍ غوليّ
به^٢ ، وأنفسِ ذخرِ نوفسٍ فيه . فطربتُ إلى ذلك « كما طربَ النشوانُ مالتُ
به الخمر » ، واهتزّزتُ له « كما اهتزّت تحت البارحِ الغُصنُ الرطبُ » .
ورأيتُ من شكرِ يدِ العلياءِ فيما حُفني إليه ، وحضني عليه ، مما فيه
حليةُ الفخر ، ومَكْرُمَةُ الدهر ، أن أفتحَ بابَ المكاتبةِ بالشفاعة ،
وأتهجَ طريقَ المخاطبةِ في العنايةِ به ، وبيننا ، بُعدُ ، من دمامِ الطلبِ ،
وحُرْمَةُ الودِّ والأدبِ ، ما أستقصِرُ نفسي معه أنْ أتقدمَ في خدمةٍ رغبته
بقلمي^٣ ، وقد تأخّرتُ قَدَمي ، وبُعدُ لاقتصارِ غيئته كتابي ، دون
أن أزمَ لذلك ركابي ، وهو فتى نام جَدُهُ ، واستيقظَ حَدَهُ ، فتكرّرَ الزمانُ له ،
واعترّتْ^٤ الأيامُ به ، بين ذئابِ سعاية عَوَتْ عليه ، وعقاربِ وشاية دبّت
إليه ، وأصلي بنارِ حربٍ لم يحنها ، وأعدته مباركُ جُرْبِ التيس بها ،

١ ب س : ما هو ألطف .

٢ ب س : فيه .

٣ س : قلّمي ؛ وهنا موضع غرم في ب ، ضاعت بسببه ورقات .

٤ س : واهتزّت .

آل به الأمرُ إلى فراق أحبته ، والبُعدُ^١ عن مسقط رأسه ومَعَقَ مائمه ، على ضيقِ حاله ، وضعفِ إحسانه . وأشهدُ أن ذلك لم يزدَهُ للحاجب لاءً ولاً ، وعليه إلا ثناءً ، وأنه لا يزال يُعيدُ شكره ويُبديهِ ، ويثُرُ حمده ويطويه ، والحاجب - أدام الله إعزازه - وليُّ إعدائه على زمنه لغشوم ، وأملاً بإنصافه من دهره الظلوم ، بإلباسه من جميل رأيه ما عُرِّي منه ، وإيراده من شريعةِ رضاه ما حُلِّيَ عنه ، والتخليةِ بينه وبين الأفق الذي لم يَرَ كوكبَ سَعْدٍ إلا فيه ، ولا تَلَقَى نسيمَ حياةٍ^٢ إلا منه ، فإنه ممّا يُؤليه من إحسانه ، ويأتيه من الفضلِ في شأنه ، مُستَجِرٌ شُكْرَ من أنهضه لسان ، واستقلَّ به بيان ، وهو أهل الفضل ، والمعهود منه كرم الفعل ، والله يُبقيه ويُعليه ، وهو حسبُه وحسي فيه .

ولما اطرَدَ هذا النثر لحسن اتساقه ، ولدَّ - مساقه ، هزَّتْ النظمَ أريجاً^٣ جذبَ لها بعنانه ، وعارضه بها في ميدانه ، وأبت أن يفردَ النثر بقاء الحاجب ومشافهته ، ويستبدَّ بأن يلمحَ غُرَّتَه ، ويخدمَ بالحضورِ حضرتَه ، فأثبتَ منه ما إن أنعمَ عند تصفحه بالصفح عن الزلل يعرض فيه ، والخلل يبدو منه ، وصلَّ النعمةَ بمثلها ، وقرَنَ العارفةَ بشكلها :

ليسْ نَصْرُ الطَّلِيّ وَلِسُودِ اللَّمَمِ	بعقلي ، مُدَّ بنَّ عَتِي ، أَمَّ
فَفِي نَاطِرِي عَن رِشَادِ عَمِي	وَفِي أَذْنِي عَن مَلَامِ صَمَمِ
قَضَيْتُ بِشَمَاسِي عَلَى الْعَاذِلِينَ	شُمُوسٌ مُكَلَّلَةٌ بِالظُّلَمِ

١ س : وأبعد .

٢ س : حياة .

٣ ديوان ابن زيدون : ٤٠٦ .

٤ س : ملاهي .

وما سَقَمْتُ لحظات العيون
يلوم الخليُّ على أنْ أحسنَ
وما ذو التذكُّرِ ممَّنْ يُلام
ولاني أراح إذا ما الجنبوب
وأصبو لعرفانِ عَرَفِ الصِّبَا
ومن طَرَبِ عاد نحوَ البراقِ
أما وزمانٍ مضى عهده
قضى بالصَّبَابَةِ لما انقضى
لياليَ نامتْ عيون الوشاةِ
ومالت علينا غصون الهوى
وأبامنَّا مُذهَّبات البرود
كانَ أبا بكرٍ المسلمي^١
ووشحَ زهرةَ ذاك الزمانِ
هو الحاجب المعتلي للعلا
ملكٌ إذا سابقتهُ الملوك
فأطولُهم بالأيسادي يداً
وأروع لا مُبتغني رِفده
ذُكُور الدَّمَائَةِ صعب الإباءِ
سما للمجرةِ في أفقها
وناصتْ مساعيه زهرَ النجومِ
نَهيك^٢ إذا جن ليل العجاجِ

إلا لتُغْرِيتني بالسَّقَمِ
وقد مزجَ الشوق دمعِي بدم
ولا كرم العهدِ ممَّا يُدَمِّمُ
راحستْ برياً جنوبِ العلمِ
وأهدي السلامَ إلى ذي سلمِ
أجهشت للبرقِ حين ابتسم
حميداً لقد جارَ لما حَكَمَ
وما اتصلَ الود حتى انصرم
عنا وعين الرضى لم تتم
فأجنتْ ثمارَ المنى من أممِ
رِفاق الحواشي صوافي الأدمِ
أجرى عليها فرندَ الكرمِ
بما حاز من زهرِ تلك الشيمِ
شماريخَ كُلِّ مُنيفٍ أشمِ
حوى الخِصْلِ أو يساهمته سهمِ
وأثبتهم في المعالي قدمِ
ينجب ولا جاره يُهْتَفَمِ
ثَقِيف العزيمِ إذا ما اعتزمِ
فجرٌ عليها ذُبُولُ الهَمِّ
وبارت عطاياه وطفَ الدِّيمِ
سرى منه في جنحه بدر تمِ

١ المسلمي : نسبة إلى بني مسلمة، وهم بنو الأفلح، وبني الديوان الأسلمي ، وهو خطأ .

٢ نهيك : شجاع .

فشام^١ السيوف بهام الكُماة
جواد ذراه مطاف العُفاة
يَهيجُ النزالُ به والسؤالُ
شهدنا لأوقى فصل الخطاب
وهل فات شيء من المكرمات
ومُسْتَحْمَدُ بكريم القتال
شمائل تُهجر عنها الشمول
على الروض منها رواء يروق
أبوه الذي قلَّ غَرْبَ الضلال
ولاذ به الدين مستعصماً
وجاهد في الله حقَّ الجهاد
فلا سامي الطرف إلاَّ أذلَّ
تَقِيلُ في العز من حمير
هم نَعَشُوا المُلْكَ حتى استقلَّ
نجوم هدى والمعالى بروج
أبا بكرٍ اسلم على الحادثات
أناديكَ عن مقعة عهدِها
وإن يعدني عنك شحطُ النوى
وإني لأصفيك محض الهوى
ومستشفع بي بشرته

وروى القنا في نُحُورِ البهَمِ
ويُناه رُكنُ الندى المستلم
ليلاً هُصوراً وبحراً خضم
وخصَّ بفضلِ النهى والحكم
جرى السيف يطلبه والقلَمُ
عفواً إذا ما اللثيم استنم
وتُجفَى لها مُشجياتُ النغم
وفي المسك طيبُ أريجٍ يُشم
ولاءم شَعْبَ الهدى فالتأم
بنعمة أبلغ وافي النعم
من دان من دونه بالصنم
ولا شامخ الأنف إلا رغم
مقاويل عزوا جميع الأمم
وهم ظلموا الخطب حتى اظلم
وأسدُّ وغى والعوالي أجَم
ولا زلت من ربِّها في حرَم
كما وشت الروض أبدي الرهم
فحظي أخس ونفسي ظلم
وأخفي لبعدك برح الألم
على ثقة بالتجاح الأتم

١ شام : أعمد .

٢ في النسخ : بالظلم .

وغيرك أخفَرَ عهدَ الذمامِ إذا حُسْنُ ظني عليه أذَمَّ
وقدماً أقلتُ مُسيءَ العثارِ وأحسنتُ بالصفحِ عما اجترَمَ
وعندي لشكركَ نظمُ العقُودِ تناسقُ فيها اللَّآلِي التَّوَمُ
تُجدُّ لفخرِكَ بُردَ الشَّبابِ إذا لبسَ الدهرُ بُردَ الهَرَمِ
فغشُّ مُعْصِيَا بَيْقَاعِ السَّعُودِ ودُمُ ناعماً في ظلالِ النِّعَمِ
ولا يزلُ ١ الدهرُ أيامه لكم حشَمٌ والليالي خَدَمُ

هذا - أعزَّ الله الحاجب - ما اقتضتهُ القرينةُ مع اقتضائها، وأجابتنا به
البديهةُ عند استدعائها ، والذهنُ عليل ، والطبعُ كليل ، والرؤيةُ فاسدة ،
وسوقُ الأدبِ إلا عنده كاسدة . ولو أني أوتيتُ في الثَّري غزارةَ عمرو ،
وبراعةَ ابن سهل ، وأمددتُ في النظمِ بطبعِ البحري ، وصناعةَ الطائي ، لما
رَدَدْتُ إلى الحاجبِ إلّا ما أخذتُ منه ، ولا أوردتُ عليه غيرَ ما صدر عنه ،
ولمّا أنفَذْتُ ما أنفَذْتُ إلّا بين أملٍ يَبْسُطُ ، وخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فرأيتُه
موفقاً في أن يمنح ما بعثَ الأملَ إسعافاً ، وما أوجبَ الحجلَ إغصاءً ،
ليأتي الإحسانَ من جهاته ، ويسلُكَ إلى الفضلِ طُرقاته . ومُراجعتُهُ
لي عن كتابي بعهدِ كريم ، يكونُ كَحُلّا لعين الرضى بوجنةِ القبول ،
أقفُ به من توالي النعمِ عليه ، وانتظامِ الأحوالِ بالصِّلاحِ لديه ، على
ما تبهجُ له نفسي ، ويتنظَّمُ معه عقدُ أنسي ، يدُّ عندي جناها شَهْدُ ،
وشذاها عُسْبُ وورد ، أرفلُها الشكرَ الحزِيل ، وأتبعُها الثناءَ الجميل ،
إن شاء الله . ولنِيبلغُ مني سلاماً يُهدي إليه نفسه ، ونجاةً آخرُها عندي
وأولُها عنده .

وكتب من قرطبة الى ابن مسلمة^١ بإشبيلية قبل تحوله إليها :

يا سيدي ، وأرفعُ عُددي ، وأولَ الذخائرِ في عَددي ، وأخطرَ
عِلتي ملأتُ من اقتنائه يدي ، ومن أبقاهُ الله في عيشةٍ باردةٍ الظلال ،
ونعمةٍ سابعةٍ الأذيال ، قد تقاصرُ الثناءُ عليك ، وتوالى الحديثُ الحسنُ
عنك ، حتى حللتَ محلَّ الأمانة ، وكنتَ موضعَ تقليدِ الوطر ، وإيثاقِ
الطوية . واللهُ يُمتنعُ^٢ بما حازه لك من الخير ، ووفرهُ عليك من
طيبِ الذكر .

في علمك - أعزَّكَ الله - ما تقتضيه العطلةُ من إظلامِ الخاطر ، وصدإِ
النفس ، ويجنيه طولُ المقامِ من إخلالِ الديباجة ، وإرخاصِ القدر .
وقد آن أن أجتني ثمرةً من آدابِ أطلتُ الاعتناءَ بها ، وأخلاقٍ أدمتُ رياضةَ
الأنفسِ عليها . ولما مخضتُ الملوك ، وجدتُ عميدَهم الذي أنسى السالفَ
قبله ، وتقدَّمَ الرَّاهنَ معه ، وأتعبَ الغابرَ بعده ، الحاجبَ فخرَ الدولةِ
مولاي ، ومن أطالَ الله بقاءَه ، وكبتَ أعداءَه ، لما خصَّه اللهُ به من
سناءِ المهمل ، وسماحةِ الشَّيم ، وانتظامِ أسبابِ الرياسة ، وكمالِ
آلاتِ السياسة ، واجتماعِ المناقبِ التي أفردتهُ من النظراء ، وأعلتهُ
عن مراتبِ الأكفاء ، فرأيتُ قبل أن أحملَ لغيره نعمةً ، أو أوسمَ
ممنَّ سواه بصنيعة ، أن أعرضَ نفسي مملوكةً عليه ، عَرَضَ من لا يؤهلها

١ ستأتي ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة ، وهو : أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد
ابن مسلمة الوزير الأديب ، مصنف كتاب « الإرتياح بوصف الرايح » ، هاجر
من قرطبة إلى إشبيلية ووزر للمعتضد . (انظر المطمح : ٢٣ وعنه النفع ٣ : ٤٤٤
والغريب ١ : ٩٦ والجلوة : ٦١ والبنية رقم : ١٧٠) .

٢ من : يعتمدك .

لإجازته إلا بالاستجازة ، ولا يطمعُ لها في قبوله إلا مع المسامحة ، فلو كنتُ
الوليدَ بنَ عبيدِ براعة نظم ، وجعفر بنَ يحيى بلاغة نثر ، وإبراهيمَ بنَ المهدي
طيبَ مجالسة ، وإمتاعَ مشاهدة ، ثم حقّرتُ بساطه العالي ، لما كنتُ
مع سعة إحاطته إلا في جانبِ التقصير ، وتحت عهدِ النقصانِ ، غير أنه
لم يعلمْ مني نجابة غرسِ اليدِ ، وإصابة طريق المصنع ، من ولايةٍ
أخطئها ، ونصيحةٍ أخطئها ، وشكرٍ أجنيه الغرضَ من زهراته ، وثناءٍ
أهدي إليه العطر من نفحاته ، فقوّضتُ إليك هذه السفارة ، واعتمدتُك
بتكليفِ النيابة ، لوجوهٍ : منها حظوتك لديه ، ومواتئكِ إليه ^١ ، سوغكِ
الله الموهبة في ذلك ، وأنهضكِ بأعباء الشكر لها . ومنها سرو مذهبك ،
وكرمُ سجيّتك ، وصحةُ مشاركتك ، لمن لم يستوجبها استيجابي ، ولا استدعاها
بمثل أسبائي ، من تداني الجدار ، وتصافي السلف ، والانتماء إلى أسرةِ الأدب .
فلإن وافقت السامحة ^٢ الإرادة ، فحظّ أقبل ، وعبدٌ بلغ من قبولِ سيده
ما أمل ، ولم أقل : « عمركَ الله » كما قيل في النجمين ^٣ ، بل قلتُ :
« وقد يجمعُ الله الشيتين » ^٤ ، وإن عاق حرمانُ عادتهُ أن يعوقَ عن
الظفر ويعترضَ دونَ الأمل ، فأعلمه — أيده الله — أنني في حالي العطلة
مع غيره والتصرف ، ويومي الإيطان والتطوف ، كالمهتدي بالنجم حين عدم
ذُكاء ، ومُتيمم الصعيدِ إذ لم يجد الماء :

فلإن أغشَ قوماً غيره أو أزرهمُ فكالوَحشِ يدينه من الأنس المحلُ

١ س : ومكانتك ليلي .

٢ س : السابحة .

٣ أي سهيل والثريا ، كما في قول عمر « عمركَ الله كيف يلتقيان » .

٤ من قول الشاعر :

وقد يجمعُ الله الشيتين بمما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

والله يتولاهُ بالفسحة في عمره ، والإعلاء لأمره ، ويصرفُ الأقدارَ مع
إيثاره ، ويصرفُ وجوهَ التوفيقِ إلى اختياره .

ولكَ يا سيدي في انتدابك لما نديبتُكَ له ، ما للساعي المنجحِ من
الشكر ، وللمجتهد البالغ من العذر ، وملاكُ الأمرِ تقديمُ المراجعة
بالإيجاب فأسكنُ إليها ، والجوابِ فأعتمدُ عليه ، وأهندي إليك نديي
الغضِّ الناضرِ من سلامي ، والأرجِّ العاطرَ من تحيتي .

وكتب إثر ذلك إلى المحظية رقةً يقول فيها :

أطال الله بقاءَ الحاجب فخر الدولة مولاي وسيدي ، وموَلَى المناقبِ
الحليلة ، والضرائب النفيسة ، في أكملِ ما تكفلُ^١ له به من علو القدرِ ،
ونفاذِ الأمرِ ، وخصه من النعم بأسبغها سربالاً ، وأبردّها ظلالاً ،
وأحمدّها مآلاً .

كنتُ — أعزَّ الله الحاجبَ مولاي — قد كتبت إلى الوزير أبي عامرٍ
عبيده بما أيقنتُ أنه انتهى إليه ، واشتمل عليه ، فكتب الوزيرُ إلى بعضِ
أسبابه بما يقومُ مقامَ المراجعة لي بما يرتفعُ عن^٢ قلري ، ولا تتسع له
ساحةُ شكري ، لعلمي أنه بن الحاجب — أيده الله — صدرَ ، وبإذنه تقدَّ ،
والذي عداني عن أن يكون الكتابُ في ذلك إلى الحاجب — أبقاه الله — التأدبُ
بآدابِ حصفاء العبيد في الإجلال والإعظام ، وترك التبسط والإقدام . وقلماً
استغنت أوائلُ مطالب الأتباع بحضرة المليك من وسائط تمهدها ، وتعتمد

١ س : تكمل .

٢ س : بما . . . من

أوقات الإمكان بها ، لا أني اتخذتُ إلى الحاجبِ - أدام الله علوه - > غيرَ سيادته ذريعة ، أو التمسْتُ إليه إلاّ من نفاسةٍ نفسه شفاعة . وأي معدّلٍ لمثلي عن تفيؤِ ظلاله ، والاعتمادِ بحبله ، وصناعةُ الأدبِ كاسدةٌ إلا عليه ، وطريقُ الأملِ موحشةٌ إلاّ إليه ؛ ولم يدعني < ١ إلى استطلاعِ ما فباه شكٌ في كرمه ، ولا سوءُ ظنٍ بِسماحةِ شيمه ، بل لزومُ الطريقةِ في التوسطِ للمطلب ، والتدرُّجِ إلى احرازِ الأرب . وحسبي أنّ أُملي قد ارتاد الجَنابَ الرَّحْبَ . والمُشربَ العذبَ . ولعلّ الحظوظَ ستُكشَفُ ، والنوائِبُ ستُصرفُ ، إلى أن أبلغَ إلى أبعدِ غاياتِ الأملِ من مشاهدةِ حضرته العلياء ، والنظرِ إلى عُمرته الزَّهراء ، فوالله ما ينصرفُ فكري ، ولا ينصرمُ حينٌ من عمري ، إلا في الذكرِ له والشوقِ إليه ، وتصورِ المثلِ بين يديه ، وأنا أقدمُ الاعتذارَ من مهابةٍ تستملكُ جناني ، وحَصَرِ يكادُ يقطعُ في أوّلِ المشافهةِ لساني ، فإن حدثَ ذلكَ فعُذري عُذرُ الفضلِ بنِ سهل ، وقد انقطع بين يدي الرشيدِ فقال له : يا أمير المؤمنين ، من فراهةِ العبدِ أن تملكَ قلبه مهابةٌ سيّده .

وسيفضي ذلكَ بِمُشيئةِ الله إلى ما يستجيزُهُ الحاجبُ مولاي من إمتاع ، ويقبلُهُ من شاهد ، ويستطِرُّهُ من أدب ، ويستلطِفُهُ من إجمالِ طلب ، وجمالِ مذهب . كما أني أعلمُ أني سأصِلُ إلى ما لم أعهدُ مثله من بهاءِ منظر ، وسناءِ مخبر ، ورفعةِ شان ، وعظمِ سلطان . ولعلّ السعادةَ تهيءُ لي من الحظِّ ما أثبتُ به ما ادَّعَيْتُهُ لنفسي من هذه الصفات ، وأنجزُ معه ما قدّمتُ عنها من هذه العدات ، فَحَوَّلُ الله في ذلكَ كفيل ، وهو حسبي ونعم

١ زيادة عن نسخة دار الكتب ، ولم يرد في س .

الوكيل . زاد الله الحاجب مولاي من سنيّ قسمه ، وهنيّ نعمه ، وبلغه
النهاية من آماله ، وصرفت بعزته غير الزمان عن كماله .

وكتب إليه بعد أن صدر عن حضرته إلى قرطبة رقعة يقول فيها :
أطال الله بقاء مولاي للنعم يطوقها ، < والآمال يصدّقها > ،
والمن يقلّبها ، والأحرار يستعبدّها . يعلمُ الذي أسأله إعزازَ مولاي ،
وإعلاء أمره ، وصلة تأييده ، وتمكين نصره ، أني لم أزل منذ فارقتُ حضرته
الخليلة ، حضرةَ المجد والسيادة ، ومحلّ الإقبال والسعادة ، لهجّ اللسانِ
بما أجناني من ثمار الحكمة والنعمة ، وأفادني من عقد الأدب والنشب ، فمن
كبد حاسدٍ تصدّعتْ ، وأنفاسٍ مُنافسٍ تقطعت ، وناعم البال كسفتُ
بآله ، ومتعنٍ لحالي طالما تمنيتُ حاله ، وقلّ لمن نال أدنى مكانةٍ منه ،
ورقيّ أوّلَ درجةٍ من الخصوص به ، أن تحسّدهُ الكواكبُ في إشرافها ،
وتتشدد إليه الأمانى من أطرافها ، والله يقيه لعبيده الذين أنا آخرهم في
الخدمة ، وأولهم في شكر النعمة ، ويرفعُ من همهم ما انخفض ، ويسط من
آمالهم ما انقبض ، ولا يعدمهم التقلّب في نعمه ، والاعتلاق بأسباب ذممه .
بمجلده وكرمه .

وكانت من مولاي — أعزّه الله — إشارةٌ بل عبارةٌ أعددتُها طليعةً
لسُعود ستوافي^١ طلقاً ، ومقدمةً لمسراتٍ ستتوالى سُبّقاً^٢ ؛ فلما لحق
الجسمُ بعد تركه النفسَ لديه ، والبراءة منه^٣ إليه ، بالوطن الذي

١ زيادة من نسخة دار الكتب . ٢ س : تتوافي .

٣ في المطبوعة : نسقا ، وهي قراءة جيدة .

٤ الضمير في «منه» يعود إلى «الجسم» .

أسلاني عنه ، وأسبني لي العوضَ منه ، تأتيتُ من طاعته المقرنة بطاعة الله في نفسي مماوكته ، > لما أنا مهتأ به ، منافسٌ فيه ، فساعتِ المآرب ، وأسحتِ المطالبُ ، ولم يَرِني تعذُّرُ وجهٍ <^١ حاولته ، ولا عداني نيسرُ أمرٍ تناولته ، ولم تبقَ علةٌ تسوِّغُ باعتراضِها الاعتذار ، إلا ما يترأخى ريشما يعاودُ أمره ، ويتجددُ في الحركةِ إذنه . ولم أستأذن لأنَّ الأذنَ بعد عهده ، > وأنَّ الميعادُ لم يحكمْ عقده ، بل تجنبتُ أن أدِلَّ المشاورة ، أو أخلَّ بزسمِ المؤامرة <^١ . فلمولاي الطولُ في أمرِ الواسطة عبيده بمراجعة أعتمدُ عليها ، وأجتهدُ في الانتهاء إليها . والله يبلغني الأملَ من وقفةٍ بحضرته ، ونظرةٍ إلى غرته ، وتقبيلٍ لراحته ، وتصرفٍ في ساحته ، فهو المالكُ لذلك ، والقادرُ عليه .

وله من رسالة حلف أبو الحسن رحمه الله هنا أكثرها^٢ ، ولم يذكر منها إلا قطرةً من وابل ، أو نقشةً من سحر بابل ، وها أنا مُثبتها على تواليها إشادةً بحُسن معانيها ، واستفادةً من سني آدابه فيها . وهي :

يا سيدي الذي كنتُ أراه أعداءَ عُددي لأبدي ، وأحصنَ جُنُتي من زمَني . ومن أبقاه الله في أصلح الأحوال ، وأفسحَ الآمال ، أبداً من كتابي إليك ، بشرح الضرورة الحافزة إلى ما صنعتُ ، مما بلغني أنَّك صدرُ اللاتمين لي عليه ، وأول المسفَهِين لرأيي فيه . ومن أمثالهم : ويلٌ للشحي من الخلي ، وهان على الأملس ما لاقى^٣ الدَّير ، وأوسطه بمعاتبتك على ما كان من انفصالك عني ، وبراءتك أمدَ المحنة مني . وأنتك لم تكن في وِردٍ ولا صدَر من مشاركتي فيها ، ولا كانت لك ناقةٌ ولا جملٌ في مظاهرتك لي

١ زيادة من نسخة دار الكتب .

٢ واضح أن هذا القسم دخيل على الذخيرة ، وقد ورد بعض هذه الرسالة ص : ٣٥٥ فيما تقدم .

٣ س : يلقي .

٤ س : مورد .

عليها ، مع القدرة بك على تهوين خطبها ، وتذليل صعبها ، وتلين شديدتها ، وتقريب
بعيدها :

فأرى صديقك الحديث وما ذا لك لبخلي عليك بالإغضاء^١
أنت عني وليس من حق عني غرض^٢ أجانها على الأقداء^٣
وإنما يُعَاتَبُ الأديم ذو البثرة . والمثل السائر : «ويبقى الود ما بقي العتاب»^٤
وقال الأول :

أبلغ أبا مسمع عني مغفلة وفي العتاب حياة بين أقوام^٥
وأخيمه بتكليفك ما كان سبب الكتاب ، والداعي الى الخطاب ، عساك أن تتلاني
عوداً ما ضيعت بدءاً ، وتهتبل آخرأ ما أغفلت أولاً ، فيعود غيظه على ما أفسد .
وإن كنت في ذلك كدابة وقد حلّم الأديم ، فمنفعة الغوث قبل العطب :
وخير الأمر ما استقلت منه وليس بأن تتبعه اتباعاً^٦
في علمك أنتي سُجنت مغالبة بالهوى ، وهو أخو العمى ، وقد نهى الله تعالى عن
اتباعه ، وذكر أنه مضل عن سبيله ، إذ يقول : ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله﴾ (ص : ٢٦) . وقال الشاعر :

إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال^٧
دون تأن تذكرك بعض الحاجة به ، أو استنبات تؤمن مواجهة الزلزل معه ، بل

-
- ١ البيتان لابن الرومي ، ديوانه : ٦٦ .
 - ٢ صدره : إذا ذهب العتاب فليس ود ، انظر التمثيل والمحاضرة : ٤٦٥ .
 - ٣ البيت لهيام الرقاشي في البيان : ٢ : ٣١٦ ، ٣ : ٣٠٢ ، ودون نسبة في التمثيل والمحاضرة : ٤٦٥ .
 - ٤ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣٥ والتمثيل والمحاضرة : ٦٧ .
 - ٥ ورد غير منسوب في البيان : ٣ : ١٨٧ .

أوردنا سعد^٢ وسعد^٣ مُشتمل^٤ ما هكذا تورّد^٥ يا سعد الإبل^٦

وشهد ابنُ العطار العاري من الثقة والأمانة ، البعيد من الرعية والصيانة ،
الناشر لأذنيه طمعاً ، الأكل يديه جشعاً ، فكان القولُ ما قالت حدّام . ولم يقتصر
على أن ألحق بالشهود وهو واو عمرو فيهم ، ونون الجمع المضاف معهم ، دون أن يُلحق
بخزيمة ذا الشهادتين^٧ ، وينوب منفرداً عن اثنين ، و

ليس على الله بمُستكبر^٨ أن يجمع العالم في واحد^٩

وليتني مع من لا يحل قوله^{١٠} علي^{١١} ، أعلز في شهادته إلي^{١٢} ، ولم يقرن الحشف مع سوء
الكيلة^{١٣} ، وتستصف لي الغدّة^{١٤} إلى الموت في بيت سلوية^{١٥}. خطّتا خسف لم أر النجاء
منهما إلا أن ركبت الحولي الأشهب ، ورأيت خراسان مكان السوق أو هي أقرب^{١٦}.
وكان المتولي سجنني بعد شهر من إنقاذه ، له مجلس حضره فقهاء الحضرة ، ومن أعلم
بسيماهم ، وجرى في غشيان الحكّام مجراهم ، فذكر له أنّه اتهمني بالمغيب على عهد التوفّى
مولاي - كان - نفع الله صدهاءه وبلّ^{١٧} ثراه - وثبت عنده مع ذلك أنّي ممن تعلقه التهم ، ولا
ترتفع عنه الظنن ، فكلهم أفتى بالإعذار إلي ، فيما شهد به من ذلك علي^{١٨} ، ثم سجّني

١ فصل المقال : ٣٤٧ والميداني ٢ : ٢١٤ والمسكري ١ : ٩٣ (أبو الفضل) .

٢ هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الانصاري من الأوس ، يعرف بذي الشهادتين ،
لأن الرسول (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين (الاستيعاب : ٤٤٨) .

٣ لأبي نواس ، ديوانه ١ : ١٨٥ (تحقيق فاجنر) وخاص الخاص : ٨٨ والتشيل والمحاضرة :
٨٠ ، ٤٣٤ ونهاية الأرب ٣٠ : ٨٠ ورواية الديوان « وليس لله » .

٤ س : قبوله .

٥ اشارة إلى المثل « أحشأ وسوء كيلة » وقد مر ص : ٣٥٥ .

٦ اشارة إلى قول عامر بن الطفيل : « أغدّة كذبة البعير وموت في بيت سلوية » .

٧ نثر قول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تخير فاما أن تزور ابن ضامى .

هما خطّتا كره نجاؤك منهما ركوبك حولاً من التلج أشها

تاريخ الطبري ٢ : ٨٧٢ والشعر والشعراء : ٢٦٩ والأغاني ١٣ : ٤٢٢ وطبقات ابن

سلام : ١٧٦ (الطبعة الثانية) .

إن لم آت بمُدفع ، أو أصدع من الحجة بمقنع ، فاحتاط واجتهد ، وتحرى واقتصاد ،
وصالحني من هذه الفتيا على التصف ، بتأخير الإعتذار ، وتقديم السجن ، والصلح جائر
بين المسلمين ، ثم أظهرت إليه عقداً كان المتوفى - قدس الله روحه ونور ضريحه -
قد أشهد فيه أن لا مال له ، وأن جميع ما تحيط به النار التي توفي بعيد هذا الإشهاد
فيها إنما هو للغانية^١ التي في عصمته حاشا دقائق بيتها ، وعقربات عينها . ومعلوم أن
من أشهد بهذا على نفسه ، وتقيّد إلى مثله من لفظه ، فمُحال أن يخلف عهداً ، أو يهلك
عن وصية . وسألته الشورى فيما أثبتته من هذا العقد ، فلم يجيني إلى ذلك . ولو لم تكن الشورى
من أدب الله إذ يقول : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (آل عمران :
١٥٩) لوجب أن يعلم أنها لقاح العقل ، ورائد الصواب ، وأن للمشاور إحدى الحسنين :
صواباً يفوز بمحمدته ، أو خطأ يشارك في مذمته ، قال الشاعر :

ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فإن الخوافي عُدَّةٌ للقوادم^٢
قد قرّعت له العصا ، ونُبتة على الذي دَعَوْتُهُ إليه ، لا يسوغُ لي دفعه عنه ، ولا
يجوزُ منعي منه ، فحيثن عكّفتي بمواعيد

• كانت مواعيدُ عُقُوبٍ لها مثلاً^٣ •

• إذا قطعنَ عكماً بدا عكَم •

وكان آخرها الذي تُسيخ به ما قبله أن تُلجّج الشورى إلى إبقاء الشورى للورثة ،
فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هذا الحين وأرجو أن يحين ،

• كما يرجو أخو السّنة الرّيبعا •

• كما في بطونِ الحاملاتِ رجاءُ^٤ •

فكنت وإياه سحابةً مُمحَلٍ رجاها فلما جاوزتهُ استهلتهُ^٥

١ س : الغلامه .

٢ لشار بن برد ، ديوانه (جمع العلوي) : ٢٠٦ وانظر السط : ٩٣٢ .

٣ صدر بيت لكعب بن زهير ؛ وعجزه « وما مواعيدها إلا الأباطيل » .

٤ من قول المكبر الفدّبي (أو محرز بن المكبر) وصدره : وإني لأرجوكم على بطء
سعيكم ؛ انظر الكامل ١ : ٨٠ ، ٨١ والحامسة ، شرح التبريزي (٤ : ١٥ - ١٦ ط . بولاق) .

٥ لكثير عزة ، ديوانه : ١٠٣ وروايته « كأي واياها » وانظر أمالي المرتضى ١ : ٤١٤
ومجموعة المعاني : ١٤٢ .

وفي فصل منها :

ولم أقصَّ عليك يا سيدي ممَّا اجتلبه إلا ما شهر شهرة الاسم ، وعُرف معرفة النسب ، وما يوم حليلة بسرٍّ . وكنت أول حبسي قد وضعتُ من السجن في موضع جرت العادةُ بوضع مستوري الناس وذوي الهبات منهم فيه ، وفي الشر خيارٌ ، وبعضه أهون من بعض^١ . فمُنيت من مطالبة بعض مَنْ يَأتمر الناظرون في السجن له ويسمعون منه ، بما اقتضى قلبي إلى حيث الجنة المفسلون ، والآنحوصُ المقيدون . وشكوت ذلك إلى الحاكم الخلبس لي في اليوم الذي مضى ذكره بمشهد مَنْ تقدَّم وصفه ، فانتفى من الرضى به ، وأظهر الامتناع منه ، وتقدَّم إلى الموكل بالسجن في اختيار مجلس أباين فيه مَنْ لا تليق بي ملابسته ، وأتبيدُ عن لا ترضى لي مجالسته . ثم لم ألبث أن أحضره مجلس نظره ، وأمر بتأديبه على امتثاله في ما أمره به ، وانتهائه إلى ما حدَّ له . واستأنف العهد في التضييق عليّ ، ومنع من اعتاد صلتني من الوصول إليّ ، فأصعدت إلى غرفة في السجن اقتنيتي بها مع خصاستها ، وأسلائي عن المصيبة بالكون فيها على مضاضتها ، انفرادي من لقيف الأخطا ، ومن ضمته السجن من للسقطة والسقاط . فحين استوائني إليها عهد بحطلي إليهم وخططي بهم ووضعني بينهم ، فقلقت في نفسي ثلاث نُقل على أقبح التعب ، وأسوأ الرتب . ودخل إليّ ، في هذه الحال مَنْ أبلغني عن ابن أخي الحكم رسالة جامعة من السبِّ الفاحش لفنون . مشتملة من الوعيد المرهب على ضروب ، فلو ذات سوارٍ لطمنتي ! !

ولأنك لم يفخر عليك كفأخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فلم أستطع صبراً ، وعلمت أنني قد أبليت عُدراً ، ولم يبق إلا أن يعذرن لي ليذ وكاد ورأيت أن العاجز من لا يستبد ، فالمرء يعجز لا المحاة . ولم أستجز أن أكون ثالث الأذلين : العير والوتد . وذكرت أن الفرار من الظلم والحرب ممَّا لا يطاق من سنن المرسلين . قال الله عزَّ وجلَّ على لسان موسى عليه السلام ﴿ ففكرت منكم لما خفتكم ﴾ (الشعراء : ٢١) . وقال الشاعر :

١ من قول أبي خراش الهذلي :

حدثت الهى بعد عروة إذ تجا خراش وبعض الشر أهون من بعض

٢ إشارة إلى قول لبيد « ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر » ، أي أنه أدى كل ما في طوقه ، ولم يبق إلا أن ينجو فاراً من السجن .

لا عار لا عار في الفرار فقد فرّ نبي الهدى إلى الغار

ونظرت في مفارقة الوطن ، والين عن الأحبة ، فتبين لي أن إحشاش نفسي ، وإناس أهلي ، وقطعها في صلة وطني ، غبن في الرأي ، وخوّز في العزم ، ووجدت الحرّ ينام على التكل ، ولا ينام على الذلّ ، وأذنت إلى قولهم : ليس بينك وبين البلاد نسب فخيرها ما حملك .

• وإذا نبأك منزل فتحوّل •

وقال بعض المحدثين :

أرى الناس أحلوثةً فكوني حديثاً حسنً
كان لم يزل ما أتى وما قد قضى لم يكن
إذا وطنٌ رابني فكل مكانٍ وطنٌ

ولم أستغرب أن أسامَ مثلَ هذا الخسف في مسقط رأسي ، ومعنى تمانني ، وأول أرض مسّ تراها جلدي ، قدبماً ضاع المرءُ الفاضل في وطنه ، وكسدتُ العلق الغيظ في معدنه ، قال بعضهم :

أضيق في معشري وكم بلدٍ يُعدُّ عود الكباء من حطية

فامتخرت الله عزّ وجلّ ، واضح العذر ، ثابت قلم الحجّة ، عند من غصّ عين الموى ، وخزن لسان التعسف . والله يُصيب غرض الصّواب برأيي ، ويقرّب غاية النجاح على سعيي ، حسبما في علمه أني مظلوم مبغى عليه ، منسوب مالم آت به إليّ ، فهو المؤمل بذلك والمرجو له .

ولعمرك يا سيّدي إنّ ساحة العُذر لتضيق عنك ، وما تكاد تتمتع لك في إسلامك لتليفتك وابن جارك وشيخك الذي لم تزل متوفراً عليه ، أخذاً عنه ، مقتبلاً منه ، مع إكثارك من ذكر هذا ، والاعتداد به ، وادعاء الحفظ له . وقد رويّت أنّ حسن العهد

١ عجز بيت : وصدره : « أحذر محل السوء لا تحل به » ، ينسب إلى عنترة ، قال أبو الفرج الأغانبي (٨ : ٢٢٤) : وهذا البيت لعنترة صحيح لا يشك فيه .

من الإيمان ، وسمعت المثل : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فالمرء كثير بأخيه ، وألا أقل^٢ من استعمال الجحد ، واستغراق الجهد :

- فمبلغ نفس عندها مثل منجج^١ .
- ولا لوم في أمري إذا بلغ العذر .

ولكن من لك بأخيك كله؟ وأين الشريك في المرأينا^٢؟ وبعد ما مررتي فالقضاء غالب ، وما حُرم واقع ، ولا حذر من قدر ، وقد سبق السيف العدل^٣ ، وتقدم من فعلي ما جف به القلم ، وأنا الآن بحيث أمنت بعض الأمن ، إلا أن رزاً من وعيد سقط إلي بأن السعي لم يرتفع ، وأن مادة البغي لم تنقطع ، وأن البصيرة مستحكمة في استرجاعي من الأفق الذي أحل به ، والجناح الذي أحط فيه . وأكد ذلك في ظني ما كان أشار إليه بعض من كنت آوي إلى الثقة بعهد ، وأبني على الوثاقة من عقده ، من الفقهاء الموسومين بالأثرة عند الحكم المذكور ، والمكانة منه ؛ وقد عاتبته على تأخره عن مظافرتي ، وتقصيره في مؤازرتي ، فاعتذر بأن ذلك لا سبيل إليه ، ولا منفذ للحيلة فيه ، إذ المحترض علي لا تتأق معارضته ، ولا يتهيأ الاستبداد عليه ، وأنه وصفني بالبذاء ، وعابني بالتسلط على الأعراض ، والله ما استجزت هذا بعد أن هتك من ستري ما هتك ، وانتهك من حرماي ما انتهك ، إذ كنت أقول معنوراً ، وأنثت مصدوراً ، فكيف قبل ذلك إذ لم يحدث سبب . ولا عرض موجب ؟

• وما لي وهذا المُجتنى ثم ماليا .

و﴿ستكتب شهادتهم ويستلون﴾ (الزخرف : ١٩) وليست هذه يكر من النمائم التي دخل بها بين العصا ولحائها :

وإني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديماً صحيحاً ؛

١ عجز بيت لعروة بن الورد (ديوانه : ٤٠) صدره : ليبلغ عذراً أو يصيب رغبة .
٢ من قول الشاعر :

خير إخوانك المشارك في الضر وأين الشريك في الضر أينا

وتنسب الأبيات لكثير في ترجمته من تاريخ ابن عساكر وفي الذهب المسبوك : ٣٣ ، انظر ديوانه : ٤٩٢ ؛ وهي دون نسبة في الصداقة والصديق : ٩٢ وبهجة المجالس : ١ : ٧١٧ والمقد : ٢ : ٣٠٨ .

٣ فصل المقال : ٦٧ والميداني : ١ : ٢٢١ والفاخر : ٤٨ .

٤ البيت في الكامل : ٢ : ٣٠٩ والحيوان : ٥ : ١٨١ ولباب الآداب : ٢٤٠ وعيون الأخبار : ١ : ٣٩ ، وقال في الكامل إنه لعملي بن أبي طالب أو إنه كان يكثر التمثل به .

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تَسْلُقُ مَسَامَعُهُ بِاللِّسَنَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيْدِي :

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَنْفِي شَرِيقٌ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي^١
وَوَاللهُ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أَوْتَى مَسْنَنٌ زَعَمَ أَنِّي أَتَيْتُ مِنْهُ ، مَعَ اتِّصَالِي بِهِ وَاتِّقَاعِي إِلَيْهِ ، وَاتِّسَامِي
بِالتَّأْمِيلِ لَهُ وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ ،

إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذَمٌّ^٢

وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْفَوَائِدِ^٣

لَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَتَهَبَّ لِي مَا أَنْكَرَ لِي عَرَفَ ،
وَيَغْفِرَ مَا أَسْخَطَ لِي أَرْضَى ، وَيُلْفِعَ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُؤْثِرَ الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْفَقُ ،
وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نُصِّ عَلَيْهِ مِنْ سَعَايَةِ ، وَزَفَّ إِلَيْهِ مِنْ وَشَايَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ بِاطِلَاءِ أَلْفَاءِ ، وَفَضْخِ
الْمَخْبِرِ الْمُتَقَرَّبِ بِهِ وَأَقْصَاءِ ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا صَبْرٌ صَبْرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ
وَقَبْلَ إِثَابَةِ الْمُجْتَبِ ، وَاقْتَصَدَ فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، قَدَّمَ التَّوْقِيفَ قَبْلَ التَّخْفِيفِ ،
وَالتَّائِبَ قَبْلَ التَّأْدِيبِ ،

• فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْخَاطِي عِتَابٌ^٤ •

و • الْحَرُّ يُلْحِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ • •

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَكَلِّمُهُ عَلَى شَعْتِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ^٥ ؟

وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنَّ بِالْخِصْرَةِ قَوْمًا لَا يَحْصُرُهُمُ الْعَدُوُّ ، تُحْتَمِلُ سَقَطَاتِهِمْ ، وَتُخْتَفِرُ
هَفَوَاتِهِمْ ، وَتَقَالُ عِزَاتُهُمْ :

١ البيت لعدي بن زيد ، ديوانه : ٩٣ وهو مثل ، انظر فصل المقال : ٢٦٥ ، ٨٤٤
والخزافة ٤ : ٤٦٠ .

٢ عجز بيت المتنبي ، وصدره : « وَبَيْنَمَا لَوْ رَجِيتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً » .

٣ البيت لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٨٣ .

٤ عجز بيت المتنبي وصدره : تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ .

• مِنْ أَرْجُوزَةِ بَشَارٍ ، ديوانه (جمع العلوي) : ٨٥ .

٦ ديوان النابغة الذبياني : ٧٨ .

وما شرُّ الثلاثة أمُّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحيناً^١
وما أعلم أنهم يملون بوسيلة لا أشاركهم فيها ، ولا يمتون بذريعة ينفردون دوني بها
هراجلد حتى تغفل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيلاً^٢
فإن كانت مساحتهم لسابقة سكتت فقد أحرزت منها الحظ الأعلى ، أو لكمال
أدبٍ فقد ضربت فيه بالقدح الممل ، أو للطف تودد فما قصرت في الاجتهاد ، غير أنني
حرمت التوفيق

والأمر لله ، ربُّ مجتهدٍ ما خاب إلا لأنه جاهد
فإن كان ذنبِي أن أحسن مطلبِي أساء قبي سوء القضاء لي العذر^٣
والله لقد أظهرتُ مدحه ، وأضمرت نصحه ، وتمت على الصاغية له ، وجريت
ملء العنان إلى الاعتلاق به ، أسقيه السائق من مياه ودي ، وأكسوه السايغ من برود حملي ،
وأجنيه الغص من ثمرات شكري ، وأهدي إليه العطر من نقّحات ذكري ، لا يفيدني
التحبب إليه إلا ضياعاً لديه ، ولا يزيدني التقرب منه إلا بعداً عنه :

كأنِّي استلني به ابن حنينة إذا التزع أذناه من الصلر أبعلما^٤
والذي أحبه منك ، وأثق في المسارعة إليه بك ، لقاءه مجارياً ذكري ، مفاوضاً في
أمري ، معلماً له بما لا يذهب عنه من أن الذي اخترته لنفسِي غاية ما يسيء القرونة ،
ويُسَاء المولى منه ، فالجلاء أخ القتل ، والغربة أحد السبابين ، قال الله تعالى : ﴿ ولو أنا
كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ﴾ (النساء :
٦٦) ، وقال الشاعر :

ومن يغترب عن داره لا < يزل > يرى مصارع مظلوم مجرأ ومسحبا •

١ يدخل البيت في معلقة عمرو بن كلثوم ، انظر الزوزني : ٢٣٩ وفي رسالة التفيران :

١٨٢ أن البيت لعمرو بن عدي ، وانظر الجزانة ٣ : ١٦٢ .

٢ ديوان المتنبي : ٣٥٩ . ٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٧١ .

٤ لا ين الرومي ، ديوانه : ٧٧٠ .

• البيتان للأعشى ، ديوانه : ٨٠ (برواية مختلفة) وانظر الأول منهما في الحماسة
البصرية ٢ : ٦١ والثاني في معجم البكري (كبكب) .

وتُدفن منه الصالحات وإن يُسِيءُ^١ يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

وقد هجرت الأرض التي هي ظفري ، والنار التي كانت مهدي ، وغبت عن أم
أنا واحدها ، تمتد أنفاسها شوقاً إليّ ، > وتغض أجفانها حزناً عليّ < ١ ، والله يرى
بكاءها ، ويسمع لي على من ظلمني نداءها ، فالاستجابة مضمونة للمخلص والمظلوم ، وقد
حملت السمّتين ، واستوجبت الصفتين ، ولتكن بغيتك التي تدخرها عليها كلمة تأمين ، وإشارة
إلى تأنيس وتسكين ، تراجعني بها فأظهر بحيث أنا آمنأ ، وألقي العصا مطمئناً ، فإن وجدت
عزّ الشجرة فالعنوان لا تُعلمُ الحيرة^٢ ، فإن أشبهت الليلة البارحة^٣ أعلمني بذلك ، فطلبتُ
الأمّن في مظاته ، وتقرّرت السلامة في موطنها ، وصبرتُ حتى يحكم الله لي وهو خير
الحاكين . ﴿ كلُّ يوم هو في شأن ﴾ (الرحمن : ٢٩) ، ومع اليوم غدٌ :

ولكلّ حالٍ معقبٌ ولربما أجلى لك المكروه عما تحمدهُ

. ولك يا سيدي في انتدابك لا نديتك إليه الفضل ، والأيادي قروض^٤ ، والصنائع
ودائع ، « لا يذهب العُرف بين الله والناس »^٥ ، والتحية الطيبة والسلام المردّد على
سيدي .

وما يتعلّقُ بذكر وفاة ذي الوزارتين ، رحمة الله عليه^٦

فصلٌ من تاريخ الشيخ أبي مروان ابن حيّان ، رأيتُ إثباته لنبل
مساقه ، وحُسن اتّساقه ، يقول فيه :

١ زيادة عن نسخة دار الكتب .

٢ من المثل « العوان لا تعلم الحمرة » ، الميداني ١ : ١٣ والعسكري ٢ : ٣٨ (أبو
الفضل) والسان (خمر) .

٣ من المثل « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، فصل المقال : ٢٢٧ والميداني ٢ : ١٥٢ والعسكري
٢ : ٢٠٦ (٢ : ٢٤٧ أبو الفضل) والقاهر : ٢٥٤ .

٤ هنا تعود النسخة ب للمشاركة مع س .

٥ عجز بيت للحطيئة وصدره : « من يفعل الخير لا يعدم جوازيه » .

٦ ليس من المقطوع به أن يكون هذا الفصل دغيباً ، وإن كنت أرجح ذلك ، لأن طريقة
إثباته لا تشبه طريقة ابن بسام .

وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، سار الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد إلى إشبيلية - الحضرة الأثيرة - لمطالعتها وتأنيس أهلها من وحشة خامرت عامتهم ، من أجل عدوان رجل منهم على يهودي جاء لامرجة السوق عندهم ، ماراه^١ في بعض الأمر ، فزعم أنه سب الشريعة ، فبطش به المسلم وسط السوق وجرحه وحرّك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة عبد الله بن سلام واعتقله ، فكان لعامة الناس في إنكار حبسه كلام^٢ وإكثار خشي وباله ، فخطب السلطان بقرطبة <يعرفه> ما كان منه ويستأمره في شأنه ، فعجل إنفاذ ولده الحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش كثيف من نخبة علمائه ووجوه رجاله ، لمشاركة القصة ، والاحتياط على العامة ، فغدوا معه وسط هذا اليوم ، وأنفذ معه ذا الوزارتين أبا الوليد ابن زيدون أحد الثلاثة كابري وزرائه المشاة وزارتهم ، عمّد دولته ، <ألزمه>^٣ النفوذ مع الحاجب على بقية وعك كان متألماً منه ، ولم يعذره في التوقف من أجله . فمضى لطيفه مسوقاً إلى منيته ، وخلف ولده أبا بكر القدّ الزارة ، المرتسم بالكتابة وراءه ، ساداً مكانه بالحضرة ، فأقر فيها أياماً ، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه ، أعجل بالانطلاق له ؛ فمضى بعينه غداة يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها . فخلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم ، فتحدث الناس بنبو مكان الأديب ابن زيدون لدى السلطان ، وأنّ استمساكه بعلي مرتبته ، بعد مختصه المعتضد بالله ، كان من المعتمد على الله رعاية لخصوصية ابنه

١ ب س : ما أراه .

٢ زيادة من نسخة دار الكتب .

به ، يَغْصُ بِاستمرارها ثقتاهُ المختصَّانِ به ، الحظيانِ لديه ، المستهماَنِ
لخاصته : ابنُ مرتين وابنُ عمار ، إلى أن عملا في إبعاده وإبعاد ابنه الرقيب
بعده ، فأمضي خلفه ، فعندها استساغا غُصَّتَه ، واستهما مكانه ،
واحتويا على خاصَّةِ السلطانِ وتدبير دولته ؛ ولكلِّ دولةٍ رجال ، ولكل
مُكْتَفٍ أبدال .

— ولم يطلِ الأمدُ بابنِ زيدون — رحمه الله — بعد لحاقِ ابنه
به ، ووجدانه إياه مُزَابِداً في مرضه ، نازحاً عن أُلَافِهِ ، على جَهْدِهِ في
استدعائها على انتهاء المدةِ ، وانتهاكِ القوةِ ؛ فاستقرَّ به وجعهُ إلى أن
قضى نَحْبَه ، وهلك بدار هجرته إشبيلية صَدَرَ رَجَبِ سنة ثلاث وستين ،
فدفن بها مشهوداً مفتقداً ، واحتوى تربها عليه ، فإِيا بعد ما بين قبره وقبر
أبيه لدينا ، رحمةُ الله عليهما ؛ فقد تولى من أبي الوليد كهلٌ لن يخلف الدهرُ
مثله جمالاً وبياناً وبراعةً ولساناً وظرفاً ، وحُلُولاً من مراتبِ البلاغةِ —
فظماً ونثراً — بمِرقبةٍ لم يُخلفْ لها بعده عاطياً ، بقرانه بين الكلامين ،
وبراعته في الفنين ، إلا أن يَكُونَ عند أُولي التحقيقِ والتحصيلِ في النظمِ
أمدٌ طَلَقاً ، وأحثُّ عَنَقاً ، فلا يلحقه فيه تقصيرٌ ولا ينجشِي رهقاً ، أشهاده
في الفنينِ عدولٌ مُقَانِعُ حضور عند أهل المعرفة .

لقد اتَّصَلَ خَيْرُ هُلُكِهِ بعشيرتهِ أهلِ قرطبة فتناوَّه ، وسيثوا لفقده ،
وحزنوا عليه ، إذ كان منهم ، متعصباً لهم ، هاوياً إليهم ، حديباً عليهم ،
وليعة خبير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية ، فصار مصابه لديهم
كفء ما اجتث فيه من تأميلهم ، والبقاء لمن تفرَّد به وحده ، لاربٍّ غيره .
ولا جرم أن عزى الله إخوانته عنه بامتداد بقاء فتاهُ التَّدبِ أبي بكرٍ ولده ،
سأداً ثلَّمه ، سامياً مسماهُ ، غائظاً عداه ، عاطياً متناه ، بأنواطِ صدق ،
يجذبْنَ إلى العلاء بفضيعه ، من شماخيةٍ ودماثةٍ وحصافةٍ ونزاهةٍ ومعرفةٍ ،
ووفورِ حظٍ من أدبِ بلاغةٍ وكتابةٍ ، وشركةٍ في التعاليمِ المعليةِ ، واشتدادِ

في رعاية متقدم الذمة ، لم يفقد إخوان أبيه معها إلا عينه : خلال
 حركته حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانه قسطاس السياسة ، فاستبصر في
 إحضاره ، وأدناه من اجتائه^١ ، ورقاه في مراتب والده ، منتقلاً له
 في درجاتها ، راضياً بلاءه فيما ناط به منها ، حتى فرع ذروتها عما
 قليل ، فأحظاه بالوزارة ووزره بحضرته الأثرية لإشيلية . وجنع له أعظم
 خططها العلية ، معاطن التنافس من قوائم المملكة : خطة ولاية المدينة
 مجموعة إلى خطة ولاية السكة — بكل استقل ، وعلى كل استظهر ، فكفى
 وعدل . فاغبط به السلطان ، وواتاه الزمان ، والله يؤتي فضله من يشاء ،
 له الفضل والامتنان .

وفي فصل ٢ : وكان أبو الوليد ممن أنشأته دولة الجهاورة ، واصطفته اصطفا الفرس
 للأساورة ، اختص بأبي الوليد اختصاص القرع^٣ بالنور ، وارتبط بهم ارتباط الإفاضة
 بالفور^٤ . وأبو الحزم ابن جهور إذ ذاك رأس الجماعة ، وأصل تلك الإمرة المطاعة ،
 من رجل أدهى من قعيد عمان^٥ ، وأجرأ من ليث خفان^٦ ، وأدهى من عمرو بن الجعان^٧.

١ س : أحبائه .

٢ من الواضح أن هذا الفصل اختلط بالنقل من القلائد ، ويتكرر شعر مر من قبل ، كما
 أن استئناف الحديث عن علاقة ابن زيدون بالجهاورة به أن أشجع المؤلف القول فيه ،
 يدل على أن هذا الفصل دخیل على الذخيرة .

٣ القرع : البياض .

٤ ارتباط الإفاضة بالفور : أي حين يفيض الناس في الحج من عرفات إلى منى ، يتدفقون
 بكثرة ، والإفاضة سرعة الركض .

٥ هو قيس بن زهير الذي كان يضرب به المثل في الدهاء ، وقد جاءته منيته في عمان (انظر
 الدرة الفاخرة : ٢٠١) .

٦ من قول ليل الأخيلية :

فقي كان أحيا من فتاة حيية وأجرأ من ليث بخفان غادر

وانظر الدرة الفاخرة : ١١٦ .

٧ لم أعتد لمعرفة ، وفي تكرير « أدهى » ما يستوقف النظر .

وكان ابن زيدون متصلاً بابنه أبي الوليد أطول حقبة ، اتصال أبي زيد بالوليد بن عتبة^١ ، وبينهما تألفٌ أحرما بكميته وطافا ، وسقياه من تصافيهما نطافا ، وابن زيدون يعتدُّ ذلك حساماً مسلولاً ، ويرى أنه يردُّ به صعب الخطوب ذلولاً ، إلى أن طلب عند أبيه أبي الحزم وتوسل ، فاستدفع به تلك الأسيئة المُشرعة والأسل ، فما ثنى إليه عنان عطفه ، ولا كفت عنه سنان صرفه^٢ مع استعطافه له بكلِّ مقال يحملُ سخائم الأحقاد ، واستاطافه إياه بما يردُّ الصَّعبَ سَكيسَ القياد ؛ فمن بديع ذلك وأحسنه قوله^٣ :

إليه أبا الحزمِ اهتبلُ غيرةً	السنة الشكرِ عليها فصاحُ
لا طارَ لي حظَّ إلى غايصة	إن لم أكنْ منك مَرِيشَ الجناح
عُتْبَاكَ بعدَ العتبِ أمنيّة	مالي على الدهر سواها اقتراح
لم يثنني عن أمكر ما جرى	قد يُرْفَعُ الخرقُ وتوسى الجراح
فاشحلُ بحسن الرأي عزمي يُرْعَ	منه العدا بكلِّ شاكي السّلاح
واشفعُ فللشافع نُعمى بما	تُمرُّ من عقدٍ وثيق النّواح
إنَّ سحابَ الأفقِ منها الحيا	والحمدُ في تأليفها للرياح

وكان القاضي أبو بكر ابن ذكوان^٤ ، أجلُّ من اشتمل عليه أوان ، مجلداً وشرفاً ، وتفنتاً في العلم وتصرفاً ، مع دعاية حين خلواته تحمل حُبِّي المُحتجبي ، ورقاعة عند نشواته كالتنوخِي والمُهَلَّجِي^٥ ، فإذا أصبحوا بكرّ أبو بكرٍ إلى مُصادرة ما يتجّه عليه الحكم ومواجهته ، وأنكر ما كان عليه من فكاهته ، فكأنما في بُرديه الأنام ، وكأنه وقاراً يذبل^٦ أو شَمَام ، مع عدله في قضائه ، وإنفاذ الحكم بمقتضى الحقِّ وإمضائه . حتى إذا راح

١ عن أبي زيد الطائي ومناذمته للوليد بن عتبة انظر الشعر والشعراء : ٢١٩ والهاشية .

٢ ما بين أقواس صغيرة موجود نصاً في قلائد العقيان : ٧١ .

٣ قد وردت هذه الأبيات فيما تقدم : ٣٨٣ ولم يكن بابين بسام حاجة لا عادتاً .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٩١ الهاشية : ٣ .

٥ إشارة إلى ما قاله الإسماعيلي في البيعة ٢ : ٣٣٦ عن القضاة نداء المهليي^٦ ويحتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة^٧ يمسون لحاهم في الشراب القطريلي ويرشون به بعضهم بعضاً ، فإذا أصبحوا عادوا لمعادتهم في التزمت والتوقر .

٦ في ب س : وقار يدخل ، وصوبته بما يناسب المعنى .

الرَّواح عادوا إلى القصف ، وتجاوزوا في ميدانهم كلَّ وصف . إلى أن اختلس أبو بكر منهما ، وتقلّص ذيلُ مؤانسته عنهما ، فاعتاضا عنه بسواه ، وأفاضا فيما كانا فيه وما تعدّياه .

واتفق أن مرَّ يوماً بقبْره في لُحمة من أخوانه ، وجماعة من عُمّار مبدائه . فخطفوا عليه مسلمين ووقفوا عليه متألمين ، فقال أبو الوليد ١ :

ما أقيح الدنيا خلافَ مودّع	غنيتُ به في حسنِها تخالُّ
يا قبره العطر الثرى لا يبعدن	حكُّو من الفتيان فيك حلال
ما أنت إلا الجفن أصبح طيه	نصلُّ عليه من الشباب صقال
يا من شأى الأمثال منه واحد	ضربت به في السؤدد الأمثال
نقصت حياتك حين فضلك كامل	هلاً استضاف إلى الكمال كمال
زرناك لم تأذن كأنك غافل	ما كان منك لواجب إغفال
أين الحفاوة روضها غضى الجنى	أين الطلاقة ماؤها سلسال
هيهات لا عهد كعهلك عائِد	إذ أنت في وجه الرّمان جمال
فاذهب ذهاب البرء أعقبه الضنى	والأمن واقت بعده الأوجال
حيّاً الحيا مثواك وامتدت على	ضاحي ثراك من النعيم ظلال
وإذا التسيم اعتلّ فاعتامت به	ساحاتك الغلوات والآصال
ولئن أذاك بعد طول صيانة	قلرُ فكل مصونة مستدال

وله ٢ :

على دارة الشّرقي ٣ مني تحية	زكتُ وعلى وداي العقيق سلام
ولا زال روض ٤ بالرصافة ضاحك	بأرجائها يكي عليه غمام
معاهدُ لهُ لم تزل في ظلالها	تدار علينا للسرور مدام
زمانَ رياض العيش خُضِرَ نواعم	تَرَفُّ وأمواهُ النعيم جمام
فإن بان مني عهدُها فبلوعة	يشبُّ لها بين الضلوع ضرام

١ قد مر بعض هذه القصيدة ص : ٣٩٢ . ٢ ديوان ابن زيدون : ١٥٢ .

٣ الديوان : الثقب الشرقي . ٤ الديوان : نور .

ومن اجلها أدعو لقرطبة المني
فما لحقت تلك الليالي ملامة^١
بسقيا ضعيف الطلل وهو رهام^٢
ولا ذم^٣ من ذاك الحبيب ذمام^٤

وله ٢ :

خليلي لا فطر يسر ولا أضحي
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل
وما انفك جوفي الرصافة مشعري
ويحتاج قصر الفارسي صباية^٥
وليس ذميما عهد مجلس ناصح
كأنني لم أشهد لدى عين شهدة^٦
وقائع جانيها التجني فإن مشي
وأيتام وصل بالعقيق اقتضيتها
معاهد لذات وأوطان صبرة^٧
ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح^٨
مقاصر ملك أشرقت جنباتها
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه^٩
هناك الجمام الزرق تندي حيفافها
تعوضت من شدو القيان خيالها
ومن حملي الكأس المقدسي مديرها^{١٠}

وله يرثي ٦ :

- ١ ب س : حمام .
٢ الديوان : ١٥٨ وانظر القلائد : ٧٢، ويلاحظ متابعة الرواية كما جاءت في القلائد .
٣ الديوان : بمحوس .
٤ الديوان : ذكرى .
٥ ب س : القلحا .
٦ الديوان : ٥٦٤ وقد تكررت أبيات منها في هذه الترجمة ، وكان من الممكن الاختصار على ذكرها في موضع واحد ، ومن الملاحظ أنها متابعة للقلائد في الأبيات المختارة منها .

أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ لَقَدْ عَمَدَا
 فَهَلَاءُ عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيهِ
 أَلْفَسَ نَفْسَ فِي الْوَرَى أَقْصَدَ الرَّدَى
 فَهَلْ عِلْمَ الشَّلَوِ الْمُقَدَّسُ أَنْتَنِي
 وَأَنْ مَتَاتِي لَمْ يُضْعَهُ مُحَمَّد
 وَأَرْغَمَ فِي بَرِّي أَنْوَفَ عَصَابَةٍ
 إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدَّمَسْتِ عَاقِدَ حَيَوَةٍ
 عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدَرُ
 وَذَكَرَاكَ فِي أَرْدَانِ أَيَّامِهِ عَطَرُ
 وَأَخْطَرُ عَلَيَّ لِلْهَدَى أَقْدَدَ الدَّهْرُ
 مَسُوخُ حَالٍ ضَلَّ فِي كُنْهَيْهَا الْفَكْرُ
 خَلِيفَتِكَ الْعَدْلُ الرِّضَا وَابْنُكَ الْبِرُّ
 لِقَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَمَنْظَرُهُمْ شَزْرُ
 وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلُهُ فِي الْبَصَرِ

ومما أغفل ابن بسام^١ من نسب أبي الوليد الصحيح الأقسام ، التازح عن الأطلماع والأوهام ، المُصدِّق قول الجحفرية فيما يُنصّ من الإلهام ، قوله^٢ :

لَنْ قَهَرَ^٣ الْيَأْسُ فِيكَ الْأَمَلُ
 وَنَاجَاكَ بِالْإِفْكَ فِي الْحُسُودِ
 وَرَاقَكَ سَحَرُ الْعِلَا الْمَفْرَى
 وَأَقْبَلَتْهُمْ فِيَّ وَجْهَ الْقَبُولِ
 فَإِنْ ذِمَامَ الْهَوَى لَنْ أَزَالَ
 فَدَيْتَكَ إِنْ تَعَجَّلِي بِالْوَفَاءِ *
 عَلَامَ أَطْبَيْتَكَ دَوَاعِي الْقَلِي
 أَلَمْ أَوْثِرَ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخَفَّ
 أَلَمْ أَرْضَ مِنْكَ بِغَيْرِ الرِّضَى
 أَلَمْ أَغْضُرَ مَوْبِقَاتِ الذُّنُوسِ
 وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسْمِيَ
 عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ
 وَصَانِكَ مِنِّْي وَفِيَّ أَبِي
 سَعَيْتَ لَتُكْذِبَ عَهْدِي صَفَا
 وَحَالُ تَجَنُّبِكَ دُونَ الْحَيْلِ
 فَأَعْطَيْتَهُ جَهْرَةً مَا سَأَلَ
 وَغَرَّكَ زَوْرُهُمُ الْمُفْتَعَلِ
 وَقَابَلَهُمْ بِشْرُكَ الْمَقْتَبِلِ
 أَبْقَيْهِ حَيْفًا كَمَا لَمْ أَزَلْ
 فَقَدْ يَهَبُ الرِّيثَ بَعْضُ الْعَجَلِ
 وَفِيمَ نَهْتِكَ نَوَاهِي الْعَدْلِ
 أَلَمْ أَكْثِرِ الْمَجَرَ كَيْلَا أَمَلْ
 وَأَبْدِي السَّرُورَ بِمَا لَمْ أَتَلْ
 بَ عَمْدًا أَتَيْتَ بِهَا أَمْ زَلَلْ
 بَنِي الْفَعْلِ حَسَنُكَ حَتَّى فَعَلْ
 وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْأَمَانِي بَدَلْ
 لَعَلَّ الْعِلَاقَةَ أَنْ يُبْتَدَلَ
 وَحَاوَلْتَ نَقْصَ وَدَادِ كَمَلْ

١ هذا القول صريح بأن هذا الفصل ليس من صنع ابن بسام .

٢ الديوان : ١٨٧ . ٣ الديوان : قصر .

٤ ب س : أبلية حفظك . ٥ الديوان : بالجفا .

فما عوفيت مقبي من أذى
ومهما هزرتُ إليك العسا
كأنك ناظرتِ أهل الكلام
ولو شئت راجعت حرَّ الفعال
فلم يك حطّي منك الأخصَّ
عليك السلام سلام الوداع
وما باختياري تسليت عنك
ولم يدرِ قلبي كيف التزوع
وليت الذي قاد عَقَواً إليك
يُحيل عذوبة ذاك اللَّمَى

وقوله أيضاً ٣ :

فديتك ليس لي قلبٌ فأسلو
فإن يكنِ الهوى داء مُميتاً
أسرُّ عليك عتياً ليس يقي
وما ردّي على الواشين إلاَّ

وقوله ٤ :

أنتي أضيعُ عهدك
وقد رأيتك الأمانِي
يا ليت ما لك عندي
وطالَ ليلك بعدي
سلي حياتي أهبها
الدَّهر عبيدي لَمّا
أم كيف أخلفُ وعدك ؟
رضي فلم تتعهدك
من الهوى لي عندك
كطول ليلي بعدي
فلست أملك ردك
أصبحتُ في الحبِّ عبيدك

١ ب س : صروف . ٢ ب س : عهد .

٣ الديوان : ١٧٨ ، والبيتان الأولان لم يردا في أصل الديوان .

٤ الديوان : ١٦٥ .

ولأبي بكر بن عمار يخاطب أبا الوليد ابن زيلون ، رحمهما الله :

كيفَ اعترزت على الدليل	وقطعت أسباب الوصول ؟
وقلتني وزعت أن	الذنبَ منّا للقتيل
وعليك جاهدت العدا	واليك ملت عن العنول
يا قاتلي ودمي بصف	حة خده أهدى دليل
ما ألبى الفعلَ الحمي	لَ بذلك الوجه الجميل
أبرزت في خلقِ الكري	م وراءه خلقُ البَخل
ودعوتني حتى أجيت	تلك ثم حدث عن السيل
جُد بالقليل فإنَّ نفد	سيّ منك تقنع بالقليل
واذكرْ على زمنٍ قطع	ناه بصافية شمول
إذ تسحبُ الأذيالَ ما	بينَ الخليجِ إلى النخيل
وتحلُّ من سيفِ الغدي	ر بقبة الظلِّ الظليل
والروضُ مطورٌ تنم	عليه أنفاسُ القبول
والشمسُ ترمقنا خلا	ل الغيمِ عن طرفِ كليل
إبانَ يحلو الرعدُ من	ورقِ السحابِ كالحمول
ويَهزُّ كفُّ البرقِ في ال	آفاق مرهفةً النصول
زمنٌ ستيكه الحما	مُ معي وتذهلُ عن هديل
يا برقُ أدِّ رسالي	تفديك نفسي من رسول
عرجٍ بشلبٍ مُحبيّا	ما شئتَ من تلك الطلول
والمعُ على شرفاتِ حم	ص قرارةِ الشرف الأئيل
فلماذا اجتلاك أبو الوليد	د بناظرَ البقظِ النبيل
فاقرأهُ من قلبي سلا	ماً يقتضي حسنَ القبول
يا غرةَ الزمنِ البهي	م وعزةَ الأدبِ الذليل
ومُحكّمَ القلمِ القصي	ر على شبا الرمحِ الطويل

١ شلب (Silves) بلد بالبرتغال في الولاية المعروفة باسم الغرب (Algarve) انظر
الروض ، الترجمة الفرنسية : ١٢٩ .

أَعْلِمْتَ أَتَيْ خَادِمٌ
لَمْ أَسْتَحِلْ عَمَّا عَهْدُ
أَشْفِيعْ عَنَابِكَ الْجَلِيلِ
وَلَنْ أُجِيبَ لِرَاغِبٍ
فَلَكُمْ أَتَيْتَ بِمَثَلِهَا
يَا أُنْسَ بَدْرًا فِي الظَّلَا

وله يتغزل في ولادة ٢ :

يَا نَازِحًا وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ
أَلْهَيْتَ عَنْهُ فَكَاهَاتُ تَلْدُ بِهَا
عَلَّ الْإِيَالِي تُبْقِي لِي أَجَلُ
الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَعَاهُ

وله يتشوق إليها ٣ :

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا
وَمَا ضَرَّ أَتْنَأَسَ الصَّبَا فِي احْتِمَالِهَا

وله ٥ :

أَيُوحِشُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسِي
وَأُغْرَسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي
لَقَدْ جَازَيْتَ هَجْرًا ١٦ عَنْ وَفَاءِ
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حَكْمِي

١ س ب : بدري .

٢ هذا التعميم بأن هذه الأبيات غزل في ولادة مطابق لما في القلائد : ٧٣ وانظر الديوان : ١٤٨ فانها لم ترد في أصول الديوان ، وإنما زيدت فيه من المصادر ، وانظر المغرب

١ : ٦٥ .

٣ القلائد : ٧٥ والديوان : ١٥٣ . ٤ الديوان : هوى .

٥ القلائد : ٧٧ والديوان : ١٨٥ . ٦ الديوان والقلائد : غدرأ .

وله ١ :

ولقد شكوتك > بالضمير إلى < الهوى و دعوتُ من حنَّكَ عليك فأمتنا
مَنيتُ نفسي من هواك بصلَّة ٢ ولقد تفرَّ المرء بارقةُ المني
وله يتغزل ، ويعتاب من يستعطف ويستترل ٣ :

يا مستخفًا بعاشقيه ومستفشًا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا حتى أطعنا السلوَّ فيه
الحمد لله إذ أراني تكذيبًا ما كنت تدَّعيه

وكتب عن المعتضد إلى صهره الموفق أبي الجيش بن مجاهد ٤ :

عرفتُ عَرَفَ الصَّبَا إذ هَبَّ عاطرُهُ من أَفَقِ مَنْ أنا في قلبي أَشَاطِرُهُ
أراد تجديده ذكراه على شَحَطٍ وما تَيَقَّنَ أَنِّي الدَّهْرَ ذَاكِرُهُ
نأى المزار بهِ والدارُ دَانِيَّةُ يا حَبْلًا القَالُ لو صَحَّتْ زَوَاجِرُهُ
خِلِّي أبا الجيش هل يُعْضِي اللقاء لنا فَيَسْتَفِي مِنْكَ قَلْبُ أَنْتَ هَاجِرُهُ ؟

١ القلائد : ٧٨ والديوان : ١٩١ .

٢ الديوان : وفاتك ضلة ؛ القلائد : صفائك ضلة .

٣ هذه العبارة وردت نصًّا في القلائد وبمعناها الأبيات : ٧٧ ؛ وانظر الديوان : ١٩٠ .

٤ انظر القلائد : ٧٨ والديوان : ٢٣٦ ، وهي مقطوعة لم ترد في أصول الديوان ، وانما وردت يذيله منسوبة إلى المعتضد ، وقد نسبها صاحب القلائد إلى ابن زيدون ، أما ابن بسام فسيوردها للمعتضد في القسم الثاني .

بعض خبر ولادة^١

قال ابن بسام : وأما ولادةُ التي ذكرها أبو الوليد بن زيلون في شعره فإنها بنتُ محمد بن عبد الرحمن النَّاصري . وكانت في نساء أهل زمانها ، واحدةً أقرانها^٢ ، حضورَ شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسنَ منظرٍ ومخير ، وحلاوة موريدٍ ومصدر . وكان مجلسُها بقرطبةَ منتدًى لأحرارِ المصر ، وفناؤُها ملعباً لحيادِ النظم والنثر ، يعيشو أهلُ الأدبِ إلى ضوءِ غُرَّتِها ، ويتهالك أفرادُ الشعراء والكتّاب على حلاوة عَشْرَتِها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة متابها ؛ تخلطُ^٣ ذلك بعلوِّ نصاب ، وكرم أنساب^٤ ، وطهارة أثواب . على أنها — سمحَ الله لها ، وتغمد زللها — اطرحت التحصيلَ ، وأوجدت إلى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، ومجاهرتِها بلذاتِها . كتبت — زعموا — على أحد عاتقي ثوبها :

أنا والله أصلحُ للمعالي وأمشي مشيتي وأتيهُ تبها
وكتبتُ على الآخر :

١ أهم المصادر عن ولادة — إلى جانب الأخيرة — هي الصلة : ٦٥٧ (وعنها نقل الفيدي في البنية رقم : ١٥٩٥) وما أورده الحباري في المسهب وعنه نقله صاحب المغرب (وترجمة ولادة فيه قد ضاعت) ، فأما ما جاء من تنف في القلائد فأكثره تخيل أو تخليط ؛ وعن هذه المصادر الأربعة نقلت المادة المتوفرة في المغرب : ٧ وتمام المعون والوافي للصفدي ، والفوات (عن الوافي) ٤ : ٢٥١ والزركشي (عنهما) : ٣٤١ وسرج الميون : ٢٢ وفزعة الجلساء : ١٠١ ونفع الطيب : ٤ : ٢٠٥ ؛ وقد ورد العنوان هذا بهامش ط .

٢ ب س : أوانها .

٣ ط : تختلط .

٤ ط : انتساب .

وَأَمَكْنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِّي وَأَعْطِي قَبْلِي مِنْ يَشْتَهِيهَا
هكذا وجدت هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدة ناقله ، وإلى الأدب
من غلط النقل إن كان وقع فيه .

ولها مع أبي الوليد بن زيدون أخبارٌ طوالٌ وقِصارٌ ، يفوت إحصاؤها
ويشق استقصاؤها .

قال أبو الوليد ^١ : كنتُ في أيامِ الشَّبَابِ ، وَغَمْرَةِ التَّصَابِ ، هائماً
بغادة ، تُدْعَى ولأَدَّة ، فلماً قُدِّرَ اللَّقَاءُ ، وسأعدَ القضاء ، كتبتُ إليّ :

تَرْقُبْ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ زِيَارَتِي فَلَمَّي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمَ لِلسَّرِّ
وَبِي مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ بِالْبَدْرِ مَا بَسَدَا وَبِاللَّيْلِ مَا أَدْجَى وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسِرْ
فلما طوى النهارُ كافوره ، ونشر الليلُ غيره ^٢ ، أقبلتُ بقدرِ كالفصيبِ ،
وردفِ كالكتيبِ ، وقد أُلْبِقْتُ نرجِسَ المَقْلِ ، على وردِ الحجلِ ، فملنا
إلى روضِ مُدَبَّجٍ ، وظل سَجَسَجٍ ، قد قامت راياتُ أشجارِهِ ، وفاضت
سلاسلُ أنهارِهِ ، ودُرُّ الطَّلِّ مَشْثُورٌ ، وجيبُ الرَّاحِ مَزْرُورٌ ، فلماً شَبِينَا
نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كلُّ منَّا بحبِّهِ ، وشكا أليمَ ما بقلِّهِ ،
وبتنا بليلةٍ نَجْجِي أَفْحَوَانَ الثَّغُورِ ، ونَقْطِفُ رَمَانُ الصَّدُورِ . فلما انفصلتُ
عنها صباحاً ، أنشدتها ارتياحاً ^٣ :

١ هذا النص يستوقف النظر ، أولاً لأنه حل لسان ابن زيدون ، وثانياً لأنه مصوغ في
قالب «مقامة» وأسلوبه لا يشبه أسلوب ابن زيدون أو ابن بسام ؛ ومن الغريب أنه
ثابت في ط وهي أكثر النسخ اقتصاداً .

٢ ط : غيره .

٣ ديوان ابن زيدون : ٣٧٧ ، وتنسب الأبيات في بعض المراجع لولادة .

ودَّعَ الصَّبْرَ حُبًّا ودَّعَكَ ذائعٌ من سره ما استودعَكَ
 يقرعُ السنَّ على أنْ لم يكنْ زاد في تلك الخُطى إذ شيعَكَ
 يا أبا البلدِ سناءً وسنناً حفظَ الله زماناً أطلعَكَ
 إن يطلْ بعلمِكَ ليلى فلكمَّ بيتُ أشكو قِصرَ الليلِ معكَ

قال أبو الوليد : وكانت عتبةٌ قد غتننا ^١ :

أحبَّتنا إني بلغتُ مؤملي وساعلني دهري وواصلني حيي
 وجاءَ يهنيني البشيرُ بقرَّيه فأعطيتُه نفسي وزدتُ له قلبي

فسألْتُها الإعادة ، بغيرِ أمرٍ ولأدَّة ، فخبأ منها برقُ التَّبسم ،
 وبدأ عارضُ التَّجهم ، وعابتْ عتبةً ، فقلتُ ^٢ :

وما ضربتُ عتبي للذنبِ أنتَ به ولكنما ولأدَّةٌ تشتتني ضربي
 فقامتُ تجرُّ الذيلَ عائرةً به وتمسحُ طلَّ الدمعِ بالعممِ الرطبِ

فبتنا على العتاب ، في غيرِ اصطحاب ، ودمُ المُلدامِ مَسْفُوك ،
 ومأخذُ اللهوِ مَروك . فلما قامت خطباءُ الأطيار ، على منابرِ الأشجار ،
 وأنفَت من الاعتراف ، وباكرتْ إلى الانصراف ، وشتَّ بمسكِ الأتقاس ،
 على كافورِ الأطراس ^٣ :

لو كنتَ تُنصفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَّ جاريتي ولم تتخيرِ

١ أثبتهما ناشر ديوانه : ١٢٠ على أنهما من شعره ، وليس ثمة ما يؤكد ذلك .

٢ ديوانه : ١٧٥ ، وليس من أصل الديوان .

٣ تمام المتون : ١١ وأئیس المجلساء : ١٠٢ .

وتركت غصناً مثمراً بجماله وجنتحت للغصن الذي لم يثمر
[ولقد علمت بأنني بدر السما لكن دهمت لشقوتي بالمشري]

وأما ذكاء خاطرها ، وحرارة^١ نواذرها ، فأية من آيات فاطرها :
مرت^٢ بالوزير أبي عامر ابن عبدوس - المتقدم الذكر - وكان بقرطبة
أحد أعيان المصر ، وبعض من هذى باسمها ، وتصرف على حكمها ،
وأمام داره بركة دائمة تتولد عن كثرة الأمطار ، وربما استمدت بشيء
مما هنالك من الأقدار ، وقد نشر أبو عامر كميته ، ونظر في عطفيه ،
وحشر أعوانه إليه ، فقالت له : أبا عامر :

أنت الخصب وهذه مصر فتدققاً فكلاكما بحر
فركته لا يحير حرفاً ، ولا يرد طرفاً .

وطال عمرها وعمر أبي عامر حتى أربيا على الثمانين ، وهو لا يدع
مواصلتها ، ولا يغفل مراسلتها . وتحيف هذا الدهر المستطيل حال ولادة ،
فكان يحمل كملها ، ويرقع ظلها ، على جذب واديه ، وجمود روائحه
وغواديته ، أثراً جميلاً أبقاه ، وطلقاً من الظرف جرى إليه حتى استوفاه .

وكانت - زعموا - تقرض أبياتاً من الشعر ، وقد قرأت أشياء منه في
بعض التعاليق ، أضربت عن ذكره ، وطويته بأسره ، لأن أكثره هجاء^٣
وليس له عندي إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابي < في > أرض ولا سماء .

١ ط : وكثرة .

٢ شرح العيون : ٢٣ - ٢٤ والفوات والنفع وأنيس الجلاء .

٣ أثبت المصادر نماذج من هذا الهجاء .

ونشير هاهنا أيضاً إلى شيء من أخبار أبيها المستكفي مدّاً لأطناب الآداب ،
ووفاءً بشرط الكتاب .

التعريف بمحمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري والد ولادة^١

قال أبو حيان^٢ : بويجَ محمد بن عبد الرحمن الناصري ، يومَ قُتِلَ
عبدُ الرحمنِ المستظهر يومَ السبتِ لثلاثِ خلونَ من ذي القعدة سنة أربع
عشرة وأربعمائة ، فتسمى بالمستكفي بالله ، اسماً ذُكِرَ له فاختره
لنفسه ، وحكم به سوء الاتفاق عليه ، لما كلفه لعبد الله المستكفي العباسي—
أولٍ من تسمى به — في أفنه ووهنه ونخلفه وضعفه ، بل كان هذا زائداً عليه
في ذلك ، مقصراً عن خلال ملوكية كانت في المستكفي سمية ، لم يحسنها
محمدٌ هذا لفرطِ نخلفه ، على اشتباههما في سائر ذلك كله : من توثبهما في
الفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتداء كل واحدٍ منهما على ابن
عمِّ ذي رحمٍ ماسة ، وتوسّطِ كل واحدٍ منهما في شأنه بامرأة خبيثة ،
فلذلك حسناء الشيرازية ، ولهذا بنت سكرتري المورورية^٣ فأصبحت في ذلك
على فرط التناهي عبرة .

وقال صاحبُ كتابِ نطق العروس^٤ : ومن العجب اتفاقهما في الأخلاقِ

١ أخبار المستكفي في الجلاء : ٢٥ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ وأصل الأعلام : ١٣٥ .

والنفع ١ : ٤٣٢ ، ٤٣٧ وبروفنتال ٢ : ٢٣٥ ودوزي (Spanish Is.) : ٥٨٢ .

٢ ورد نص ابن حيان بصورة موجزة في ط .

٣ ط : المورورية ؛ ب س : المروية ؛ البيان : المروزية .

٤ هو أبو محمد ابن حزم .

وفي العمر واللقب ^١ ، وأن كل واحدٍ منهما خُلِعَ عن الأمر ، وكل واحدٍ منهما تركه أبوه صغيراً .

قال أبو حيان : ولم يكن هذا المستكفي من هذا الأمر في ورْدٍ ولا صدر ، إنما أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنةً وبليّةً ، إذ كان منذ عرف غُفلاً عَطُلاً منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً من كل خلة تدل على فضيلة . عضته الفتنة فأملق حتى استجاز طلب الصدقة . رأته أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الحمودية ، ولم يكن ممن لحقه الاعتقال لتحقيق أمره ، يقصد أهل الفلاحَة أو أن ضمهم لغلاتهم يسألهم من زكاتها تكليماً ومخاطبة .

وبالجملة في تلخيص التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الإمارة مدة تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص ، إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم السر والعلانية ، أسير الشهوة ، عاهر الخلوة ، ضداً لقتيله عبد الرحمن المستظهر في اللب والمعرفة . وكان افتتح هذه السنة المؤرخة القاسم بن حمود بخلافته ، واختتمها هذا المستكفي المذكور . وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر القتيل ، فتصرمت تلك السنة النكيدة عن ثلاثة خلفاء ، وهذا من غريب الأنباء ، والله البقاء السرمدي .

وقلّدت هذا المستكفي الأمر ولم يكن من أهله ، فتلقى جميع الناس بالإيناس ، واستمالهم بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، فظن البشر الرخيص يقوم مقامه أو ينوب متابعه ، فكان يقول للناس أجمعين : ارتعوا

١ البيان : والمهر والعب .

كيف شئتُم ، وتسمّوا بما أحييتُم من الخطط . فتسمى بالوزارة في أيامه مفردةً ومُثناةً أراذلُ الدائرة ، وأخابثُ النظار ، فضلاً عن زعانف الكتّاب والخدمة . وأمّا الشرطةُ العليا وما دونها من رفيع المنازل فحملها كثيرٌ من التجار والعامة ، واثثال الناسُ على ابتغاء هذه المنازل عند السلطان بالطّماعيّة في كَرَّةِ الدَّوْلَةِ ، فغشّوا بابَه ، وعَمَرُوا فِئَاءَهُ ^١ ، وتعلّلوا بالمني . فلما استبانوا ضعفه رفضوا خِطَطَهُمْ ، وتبرّأ كثير منهم منها ^٢ . وأقسم أنّه لم يتقلدها ، ولا سيما عند تكرّر التّقسيط عليهم للغرامة عند إلحاح الإضاعة ، فجرت لبعضهم عند الانتفاء عن تلك الخطط نوادر ظريفة مضحكة ؛ وانتهى هذا التنويه العام ، بهذا الملك الهمام ، إلى أن فضّه ^٣ أيضاً في طبقات أهل العلم ، فأسمهم منهم الفقهاء ^٤ ، فأثّر العليّة منهم المشاورين أصحاب الفتوى بالإرقاء إلى خطة الوزارة ، خالطاً بهم فيها من ذكرناه من زعانف الخدمة ، وكبار الدائرة < و > النظار . وجاءوا في ذلك بطامة لم تسمع في الأعصر الخالية ، فأخطأوا وألحقوا بالدّين وصمةً ، وطلبوا زيادة المَعْتَكِلِ على العامة ، ففتنوا بهذه الخطة ، وشكّوا أيدٍ عليهم عليها ، وهجروا من خطّهم في الخطاب عنها ، مُعْرِضِينَ بما يعاب من ذلك ، إلى أن مضوا بسبيلهم . وارتقى المستكفي أيضاً بكثيرٍ مِمَّنْ يَحْمِلُ المحابر ، ويدرسُ مسائلَ الدفاتر ، من أصاغر الطبقة الفقهيّة ، إلى ما بلغتْ عِلْيَتُهُمْ من منزلة الشورى ، فوسمَ كافتهم بوسم الفتوى ، فأسرف في ذلك حتى

١ ط : واثثالوا عليه في طلب هذه الخطط وعمرها بابَه .

٢ ط : من تلك الخطط .

٣ ب س : قصه .

٤ ط : في طبقات الفقه .

٥ ب س : بعلت .

بلغ عددهم ^١ بقرطبة يومئذٍ إلى الأربعين ، وذلك ما لم يُعهد في الغابرين .

وكثرَ الإرجافُ بتغيير رجال ^٢ الدائرة ، فاضطربت قرطبة لكثرة من كان فيها من المردة ، فقبضَ على جماعة من بني عمه وحاشيته ، منهم علي بن أحمد بن حزم ، وعبد الوهاب ابن عمه المتقلما الذكر ، سُجِنُوا بالمطبق ، ثم عاجل المستكفي ابن عمه عبد العزيز ^٣ العراقي ، فخنقَ وأسى ميتاً ونعاهُ إلى الناس ، فلم يخفَ عليهم اغتياله .

وفي أيام المستكفي هذا استؤصلَ بقيةُ قصورِ جدّه الناصر بالخراب ، وطُمِستْ أعلامُ قصرِ الزهراء ، واقتُلِعَ نحاسُ الأبواب ورصاصُ القني ، وغيرُ ذلك من الآلات . فطُويَ بخرابها بساطُ الدنيا . وتغيّرَ حُسْنُها ، إذ كانت جنةَ الأرض ، فعدا عليها قبل تمامِ المائة من كان أضعفَ قوةً من فارةِ المسك ، وأوهنَ بنيةً من بعوضةِ التمرد ، والله يسلطُ جنوده على من يشاء ، له العزةُ والجبروت .

فلما كانت سنة سِتِّ عَشْرَةَ وتحرك يحيى بن حمود إلى قرطبة ، وضعف أمرُ المستكفي ، اتفق الملاء على خلعه ، فدخلوا عليه وقالوا له ^٤ : قد علمَ الله اجتهدنا في تثبيتك ، فاعتاص ذلك علينا ، واضطربنا إلى مقارعة عدونا ، وها نحن خارجون إليه ، ولا ندري ما يحدثُ عليك بعدنا ، فإن تكُ لك الكربةُ فلا تيأسْ ، فمع اليوم غد . فأجملَ الردَّ ، وانقاد للدنية ،

١ ط : بلغ أهل الفتوى .

٢ ب س : رجالة .

٣ ط : عبد الرحمن .

٤ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٤٢ .

٥ ب س : فلا تسر .

واستشعر اللذ ، واهتبل الغيرة ، وعزم على المروء . فخرج على وجهه وقد لبس ثياب الغانيات متقباً بين امرأتين لم يُمَيِّز بينهما لمرافقته على التخنيث . وخرج عن قرطبة فمات بأقلبيش ، فكانت دولته سبعة عشر شهراً صعباً نكيدات ، سوداً مشوهاً مشؤومات ؛ انتهى ما لخصته في حديثه من كلام ابن حيان .

فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحناط الكفيف^١ وسياقة جملة من نثره ونظمه^٢

[قال ابن بسام] : وأبو عبد الله بن الحناط هذا زعيم من زعماء العصر - كان - ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الأوان ، وجمرة فهم لفحت وجوه الأيام ، وغمرة^٣ علم سالت بأعلام الأنام ، فكم له من وقفة لا يبرأ أميمها ، ونكرة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه بأسبابه ، وانحياشه - كان - إلى جنتابه ، مناقضات في عدة رسائل وقصائد أشرفت أبا عامر بالماء ، وأخذت عليه بفروج الهواء ، وقد أوردت من ذلك ما يكون أنطق لسان بنباهة ذكره ، وأعدل شاهد على براعة قدره .

١ ط : المكفوف .

٢ ترجمة ابن الحناط في الجذوة : ٥٣ (والبنية رقم : ١٢٤) والصلة : ٦٤٠ والتكملة : ٣٨٧ والذيل والتكملة : ٦ : ٢٢١ والمغرب : ١ : ١٢١ والخريدة : ٢ : ٢٩٧ وطبقات الشافعية : ٢ : ١٦١ والوافي : ٣ : ١٢٤ وصفحات متفرقة من نفع الطيب .

٣ ط : وغرة .

٤ الوقفة : الضربة ؛ الأميم : المأموم أو المشجوج .

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال ^١ : وفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة نُمي إلينا أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحنّاط الشاعر الضريب القرطبي ، بقية الأدباء النحارير في الشعر ، هلك بالجزيرة الخضراء في كنف الأمير محمد بن القاسم ، وهلك إثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . وكان من أوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والإسلام ، بصيراً بالآثار العلوية ، عالماً بالأفلاك والهيئة . حاذقاً بالطب والفلسفة ، ماهراً في العربية والآداب الإسلامية . وسائر التعاليم الأوائلية ؛ من رجل موهن في دينه ، مضطرب في تدبيره ، سيء الظن بمعارفه ، شديد الحذر على نفسه ، فاسد التوهم في ذاته ، عجيب الشأن في تفاوت أحواله . وُلِدَ أعشى الحملاق ، ضعيف البصر . متوقد الخاطر ، فقراً كثيراً في حال عشاء ، ثم طفىء نور عينيه بالكلية ، فازداد براعة^٢ ، ونظر في الطب بعد ذلك فأنجح علاجاً . وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده ، فيهدي منها إلى ما لا يهدي له البصير . ولا يخطيء الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط : وتطبيب عنده الأعيان والملوك والخاصة ، فاعترف له بمنافع جسيمة . وله مع ذلك أخبار كثيرة مأثورة^٣ .

جملة من نثره

فصل له من رقعة خاطب بها ابن دري : حنانيك أيها الغيث المَطِيل ، ولييك أيها الروض الخَصِيل . فإنه طلع علينا من رعين رائد رتع بروضك . وكرع في حوضك ؛ هز بك عطف الشعر . فمد إليك طرفه ، وثني إليك عينان الشكر . فحث نحوك طرفه .

١ قسم ابن حيان شديد الایجاز في ط .

وكان فلان^١ ذو الخلق العقيم ، والخلق الكريم - ﴿ ذلك فضلُ الله يُؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ ﴾ (الحديد : ٢١) يُتَحَفَّنَا من ذكرِك بنافجةً مسك ، ويخبرنا بخبرِك عن واسطة سلك ، وتُعرِّفُ مواقعُ الغيث برؤاده . ويُوقِفُ على مواضع الماء بُورَّاده . فعن مِيقَةٍ نزعنا إليك فاجتهدنا ، وعن ثقةٍ نبهنا لها عمر ثم نمنا ، وما حرَّكتنا من أدبِك ساكنًا ، ولا أثرتنا من كرمك كاهنًا ، غيرَ أنَّ الجمرَ يُحسَّ على ذكائِه ، والنصلُ يُهزُّ على مضائِه ، فدوئكها قد جبر الخبرُ تطريزَها . وإليكها قد خلص الفكرُ إبريزَها ، تتلفَعُ منها في حلَّةٍ ثناء ، وتُتَوَجُّ منها لإكليلٍ بهاء ، يُخَالُ مِدَادُهَا من بهيم الليل صُنع . ويحسبُ رَقَّتْهَا من أديم الصَّبَحِ قُطْع . أرسلناها كافورةً بمسكِ موسومة ، وأهديناها^١ دُرَّةً بياقوتٍ مختومة ، وأقدمُ أَوْلَا الاعتراف بالتقصير ، وأذعنُ في الكَفِّ عن التعبير ، إذ أهديتُ الدرَّ إلى منظمه ، وخلعتُ^٢ الوشي على منمنمه .

وله من أخرى ٣ :

الإسهابُ كلفة ، والإيجازُ حكمة ، وخواطر الألباب سهام ، يصابُ^٤ بها أغراضُ الكلام ؛ وأخونا أبو عامرٍ يسهبُ نثرًا ، ويطولُ نظمًا ، شاعراً بأنفه ، ثانياً من عطفه ، متخيلاً أنه قد أحرز السباق^٥ في الآداب ، وأوتي

١ ط : واهديناها .

٢ ط : وجعلت .

٣ هذه الرسالة أوردتها ابن عبد الملك (٦ : ٢٢٤) بتسامها ، وهي موجهة إلى الوزير أبي العباس ابن أبي حاتم ابن ذكوان ومعها القصيدة الميمية التالية ليأخذ بمعارضتها أبا عامر ابن شهيد .

٤ ط : تصاب .

٥ الذيل : قصب السبق .

فَصَلَ الخطاب . فهو يستقصرُ أساتيدَ الأدباء ، ويستجملُ شيوخَ العلماء :
 وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قرنٍ لم يستطعَ صَوْلَةُ البُزْلِ القناعيسِ .
 وفي فصلٍ منها : في ليلةٍ بقها ، والكفُّ الخضيبُ سوارُها البدر .
 والشعرى العبورُ وشاحها النسر ، وكأنما سماؤها روضةٌ تفتحتُ النجوم
 وسطها زهراً ، وتفجرتِ المجرةُ خلالها نهراً . وادٍ يسيلُ بمسجد
 على رضراضٍ زبرجد . فلما أصبت الغيرةَ ، وأقصدت الثغرة . تقلبتُ^٢
 عراراً . وتناومت غراراً . حتى أنبهي الفجرُ ببرده ، وسرَّهني الصباحُ ببرده ،
 وهبتُ^٣ من النومِ ، وصحوت من النشوةِ . فزففتها إليك بنتَ ليلتها عذراء .
 وجلوتها عليك كريمةً فكرتها حسناء ، تتلفحُ بمجرةٍ حبر ، وتتهخترُ في شعار
 شعر^٤ . مؤتلفٌ بين رقتها ومدادها . ومجتمعٌ في بياضها وسوادها : الليلُ إذا
 صمسم . والصبحُ إذا تنفس ، رفعتها كافوراً نمنم بمسك ، وختامها ياقوت^٥
 نُظِّمَ في سلك ، فتحسبَ خطها نِيسَمَ لفظها فشكا . ونخال القلمَ رقي^٥
 لما به فبكي ، فأنشدها أخاك الشهيدي . وكلفه على العروض والقافية
 مُعارضتها . وحمله على اللينِ والشدَّةِ مقارضتها ، فستوقد بقلبه قهساً .
 وتضربُ في أذنيه جرساً ، فيستبينُ به حفظه ، ويعرف لغيره فضله .
 وختم الرقعة بهذه الأبيات :

أقصرُ * عن لومي اللائم لما دري أنتي هائمُ

١ البيت بجزير ، ديوانه : ٢٥٠ والتاج (قمص) .

٢ الدليل : توسدت .

٣ الدليل : حتى إذا ما أنبهي . . . هبت .

٤ ط : في شعر أو شعر .

٥ في النسخ : قصر ، والتصويب عن الذيل والتكملة .

من لم يزل وهو لي ظالم
 وهو أخو سلوة قائم
 غُصْنٌ ثَنَّنَهُ الصَّبَا ناعم
 ليلٌ على صبحها فاحم
 كدبة^١ صوبها دائم
 ولا اتقى خُلْفَهُ^٢ الشائم
 قصّرَ عن جوده حاتم
 وغيره للملا هادم
 مُحَنِّكٌ حازمٌ عازم
 وهو بأعباله قائم
 لم تَدْرِ أَيُّهُمَا الصَّارِمُ
 فلانتي الشاعرُ العالم
 والشمسُ في خنصري خاتم
 نظمتهُ في فمي الناظم

مازلتُ في حُبِّهِ منصفاً
 أسهرُ ليلي غراماً به
 مُهَفِّفٌ ماس في بُرْدِهِ
 شمسٌ ولكننا فرعها
 إن ابنَ ذكوان ذو راحة
 لم ياتلِيقْ برقها خُلْباً
 ومن أبوه أبو حاتم
 يني الملا بالندي جامداً
 مُحَنِّكٌ حَوْلٌ قَلْبٌ
 تبصيره دهره قاعداً
 إذا انتفى سيفه معلماً
 من لم يكن شاعراً عالماً
 البدرُ في أغمصي شينعةً
 الدرُّ لسو بَلْغَوْهُ المنى

قوله : « لم تدري أيهما الصَّارِمُ » ، كقول حسان بن المصيصي :

قَوْمٌ يَمَانُونَ إِنْ سَلُّوا يَمَانِيَةً لم تعرفِ السيفَ في الهيجا من الرُّجُلِ

وقال عبد الجليل :

شبيهٌ ما اعتقلوه من ذوابلِهِمْ فالحربُ جاهلةٌ من منهمُ الأَسْلُ

١ الدليل : ديمتها .

٢ الدليل : خلفها .

ولابن عبد ربه :

إذا أدارتُ بنائهُ قلماً لم تدرِ للشبهِ أيها القلمُ

وقال بعض أهل العصر :

بها الخيلُ والأبطالُ والبيضُ والقنا سواءٌ بحكم العين والأذن واللِّبِ
فلا فرقَ إلّا أن يتهبَّ بها الردى فيُعرفَ أنَّ الفضلَ للرجلِ الندبِ

وقال أبو الطيب ^١ :

هُمامٌ إذا ما فارقَ السيفُ غِمدَهُ وعائنته لم تدرِ أيُّهُما النصلُ

وكرّره في موضعٍ آخر فقال ^٢ :

قلوبُهُم في مضاعٍ ما امتشقوا قَاماتُهُم في قَوامٍ ما اعتقلوا

وهو من متداولات المعاني . وإنما نقلوا كلُّهم بيتَ الحمّاني ^٤ :

ما علّقَ السيفُ متابانِ عَاشِرَةٍ إلّا وعزمتُهُ أمضى من السيفِ

وكرّره أيضاً الحمّاني فقال :

١ ديوان المتنبي : ٤٠ .

٢ الديوان : الغمد سيفه .

٣ ديوان المتنبي : ١٢٧ .

٤ الحمّاني هو أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر العلوي الكوفي ، نزل في بني حمان فنسب إليهم ، بينه وبين علي بن إلهم مناقضات حول حق العلويين أو العباسيين ، وله مرث في أخيه اسماعيل وفي يحيى بن عمر الثائر العلوي ، وكانت وفاته سنة ٢٦٠ (انظر مروج الذهب : ٧ - ٢٣٦ - ٢٤٢ وسمط اللاي : ٤٣٩ والبصائر : ١ : ٢٣٦) .

وَالسَّيْفُ إِنْ قَسَمْتَهُ يَوْمًا بِنَا شَبَّهًا فِي الرَّوْعِ لَمْ تَدْرِ عِزَّمَا أَيْنَا السَّيْفُ

وله من رقعة طويلة خاطب بها المظفر بن الأفطس قال في أولها :

حَجَبَ اللَّهُ عَنْ الْحَاجِبِ الْمَظْفَرِ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي - أَعْيَنَ النَّائِبَاتِ ،
وَقَبِضَ دُونَهُ أَيْدِيَ الْحَادِثَاتِ ، فَإِنَّهُ مُذْ كَانَ أَنْوَرَ مِنَ الشَّمْسِ ضِيَاءً ، وَأَكْمَلَ
مِنَ الْبَدْرِ بَهَاءً ، وَأَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ كَفًّا ، وَأَحْمَى مِنَ اللَّيْثِ أَنْفًا ، وَأَسْخَى مِنَ
الْبَحْرِ بِنَانًا ، وَأَمْضَى مِنَ النَّصْلِ لِسَانًا ، وَأَنْجَبَهُ الْمَنْصُورُ فَجْرَى عَلَى سَنَّتِهِ ،
وَأَدَّبَهُ فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ ، وَكَانَتْ الرِّيَاسَةُ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ إِلَيْهِ
مَصْرُوقَةً ، قَبَصَرَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ كُنْهِ فَضْلِهِ ، وَعَجَزَتِ الْأَقْلَامُ عَنْ
وَصْفِ مِثْلِهِ . غَيْرَ أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا بَدَأَ مِنْ نَشْرِهَا ، وَالْمَكَارِمَ لَا عُلُرَ فِي
تَرْكِ شُكْرِهَا :

فَالشُّكْرُ لِلْإِنْسَانِ أَرْبَحُ مَتَجَرٍّ لَمْ يَعْدَمْ الْحُسْرَانُ مِنْ لَمْ يَشْكُرْ

وله في فصل :

وَرَدُّنِي كِتَابٌ كَرِيمٌ جَعَلْتُهُ عِيَّوَضَ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ فَقَبِلْتَهُ ، وَلَمَحْتُهُ
بِدَلَّ غُرَّتِهِ الْغَرَاءَ فَأَجْلَلْتُهُ ، كِتَابٌ أَلْقَى عَلَيْهِ الْحَبِيرُ حَبِيرَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ
السَّحَرُ فِقْرَهُ ، أَنْدَرَ بَبْلُوغِ الْمَنَى ، وَبَشَرَ بِمَحْصُولِ الْغَنَى ، تَخَيَّرَ لَهُ
الْبَيَانُ فَطَبَّقَ مَفْصِلَتَهُ ، وَرَمَاهُ الْبِنَانُ فَصَادَفَ مَقْتَلَهُ : مَعَارِكُ آدَابٍ ، وَوَقَائِعُ
أَلْبَابٍ ، سَالِ الْمَدَادِ بِهِ نَجِيعًا ، وَجَرَى الْغُرُضُ الْمَجْرَى إِلَيْهِ صَرِيحًا ، وَوَصَلَ
مَعَهُ الْمَمْلُوكُ وَالْمَمْلُوكَةُ الْإِذَانِ سَمَاهُمَا هَدِيَّةً ، وَتَنَزَّهَ كَرَمًا أَنْ يَقُولَ

عطية : هِمةٌ تَرْحَمُ السَّامِكِينَ ، وَنِعمةٌ تَمَلَأُ الْأُذُنَ وَالْعَيْنَ .

ومنه :

كُتِبْتُ عَلَى الْبَعْدِ مُسْتَجِدِيًّا لِعِلْمِي أَنَّكَ لَا تَبْخُلُ
فَجَاءَ الرَّسُولُ كَمَا أَشْتَهِي وَقَدْ سَاقَ فَوْقَ الَّذِي آمَلُ^١
وَمَا كَانَ وَجْهُكَ ذَاكَ الْجَمِيلُ لِفِعْلٍ غَيْرِ الَّذِي يَحْمِلُ

وفي فصل :

وَمَا حَرَّكَ الْحَاجِبُ - أَيْدِيَهُ اللَّهُ - بِكِتَابِهِ سَاكِنًا بِحَمْدِهِ ، وَلَا نَبَهَ نَائِمًا
عَنْ قَصْدِهِ ، كَيْفَ وَقَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ^٢ الَّتِي صَارَ بِهَا الْمَغْرِبُ^٣ شَرْقًا ،
وَهَبَّتِ الرِّيحُ الَّتِي صَارَ بِهَا الْحَرَمَانُ رِزْقًا ؟ صَاحِبُ لَوَاءِ الْحَمْدِ ، وَفَارَسِ
مَيْدَانِ الْمَجْدِ ، طَلَّاعُ كُلِّ ثَنِيَّةٍ ، وَفَعَّالُ كُلِّ سَنِيَّةٍ . يَسِيرُ صَدْرُ الْجَيْشِ
وَهُوَ رَبُّهُ ، وَيَتَقَلَّبُ فِيهِ وَهُوَ قَلْبُهُ . وَلَوَاءُ النَّصْرِ عَلَيْهِ مَنْشُورٌ ، وَفُؤَادُ الْكُفْرِ
مِنْهُ مَذْعُورٌ .

وفي رسالته هذه طولٌ تصرَّفَ فيها في أنواعِ البديعِ . تصرَّفَ
المطبوعُ . واندرج له في أثنائها عدةٌ مقطوعاتٍ من شعره كقوله^٤ :

وَمُهِفِّهِ قَلْبِي الْوِشَاحُ يَرُوعُهُ جَرَسُ السُّوَارِ وَيَشْتَكِي مِنْ ضَيْقِهِ
وَسَنَانُ خَطِّ الْمَسْكِ فَوْقَ عِذَارِهِ لَأَمَّا فَتَهِمْتُ الْمَوْتَ فِي تَعْرِيقِهِ

١ كذا ورد ، وهو غير منسجم مع ما قبله وما بعده في النقفية .

٢ ب س : الغرب .

٣ ط : واندرج له في فصول هذه الرسالة عدة مقطعات من شعره ، منها قوله .

مَزَجَ المِدامَ بِريقه لِماسقى فسكرتُ من فمه ^١ ومن إريقه

وختم الرقعة بقصيدةٍ هنأه فيها بخروجه من الأسر ، منها قوله :

ولمّا أقال الله عثرتك التي قضى الله فيها بالنجاة ^٢ وقدّرا
تهلّلت الدنيا وأشرق نورها وأقبل سعدٌ كان بالأمن أدبرا

وسينخرطُ في سلك أخبار ابن عبادٍ خيرٍ إساره ، وكيف خرج بلره من
سراره ، إن شاء الله .

ما أخرجته من قصائده في المدح ، وما يقشبت به
من الأوصاف

له من قصيدة في علي بن حمود ، أولها ^٣ :

راحتْ تذكّرُ بالنسيمِ الرَّاحا	وطفأهُ تكسّرُ للجُنوحِ جناحا
أخفى مسالكها الظلامُ فأوقدتْ	من برقها كي تهتدي مصباحا
وكان صوت الرعدِ خلفِ سحابها	حاد إذا ونتِ السحابُ صاحا
جادتْ على التلعاتِ فاكتستِ الرُّبى	حُللاً أقام لها الربيعُ وشاحا
روضٌ يحاكي القاطمي شمائلًا	طيباً ومزناً قد حكاها سماحا
أعلى إن تعلُّ الملوكَ فإنهم	بُهمٌ جعلتْ أغرها الوضاحا
لما طلعتْ لها بكلّ ثنيةٍ	أنسيتها المنصورَ والسفاحا

١ ب س : فيه .

٢ ب س : بالنجاح .

٣ المغرب ١ : ١٢٢ والنفع ١ : ٤٨٣ (بيتان) .

٤ المغرب : مرت .

وله من أخرى [فيه] :

شَقِيَّيْ بَعْدَنَا بِالْبُعْدِ مِنْ نَعَمٍ نَعْمَانُ
سَقَى الْقَطْرُ مَا بَيْنَ الْعَقِيقِ وَضَارِجِ
وَحْيًا الْحَيَا عَهْدًا عَهْدَانَهُ بِاللَّوَى
لِيَالِي رَوْضُ الْوَصْلِ فِيهِنَّ مَمَرٌ
تُدِيرُ عَلَيْنَا الرَّاحَ فِيهَا جَادِرٌ
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي كَيْفَ صَارَ بِقَلْبِهِ
وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَدْلِ كَيْفَ أَعَادَهُ

وله من أخرى فيه أيضاً^١ :

بَكَيْتَ لَهَا شَجَوًا وَهَنَ الْحَمَائِمُ
وَلَمَّا عَلَوْنَا^٢ الْحَزْنَ وَاعْتَمَقْتَ بِنَا
لَوَيْنَا بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ إِلَى اللَّوَى
لَتُنْ أَوْحَشَ الرَّبْعُ الَّذِي كَانَ آنَسًا
فَكَمْ لَيْلَةٍ فِيهِ وَصَلْتُ نَعِيمَهَا
سَقَى مَنِيتَ اللَّذَاتِ مِنْهَا ابْنُ هَاشِمٍ
لِمَامٍ أَقَامَ الدِّينَ حِدًّا حَسَامَهُ
وَيَزْهَرُ فِي يَمْنَاهُ نَوْرٌ مِنَ الظُّلَمِ

وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبي^٤ :

١ بعض أبياتها في المغرب ١ : ١٢٣ .

٢ ب س : علون .

٣ ب س والمغرب : البث .

٤ ديوان المتنبي : ٢٤٥ .

سفاكِ وحيانا بكِ الله انما على العيس نورٌ والحدورُ كرائمهُ
وقال أبو بكر بن عمار:

نلتمى وما غيرُ السيوفِ أزهراً لديهم وما غيرُ الغُودِ كرائمهُ
وكذلك البيت الذي قبله كقول المتنبي^١:

على عاتقِ الملكِ الأغرِ نجادُهُ وفي يدِ جبارِ السمواتِ قائمُهُ
وهومن قول حبيب^٢:

لقد حان من يُهدي سُويداءَ قلبِهِ لحدّةِ سِنانٍ في يدِ اللهِ عاملُهُ
وفي هذه القصيدة يقول ابنُ الخطّاط:

سيوفٌ إذا اعتلّتْ جهاتُ ثغورِها فمنهنّ في أعناقهنّ تمامُ
بكلّ خميسٍ طبقَ الجوّ^٣ نفعهُ وضيقَ مسراهُ الجيادُ الصّلادمُ
كانّ مثارَ النّفعِ إتمدُّ عينِهِ وأشفارَ جفنيهِ الشّفارُ الصّوارمُ
تعدُّ عليه الطيرُ والوحشُ قوتها إذا سار والتفتُ عليه القشاعمُ

وهذا المعنى قد تقدّم منه جملةٌ في مكانه ، وذكرْتُ من استنّ^٤ في ميدانه .

١ ديوان المتنبي : ٢٤٨ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٧ .

٣ المغرب : طبق الأرض ؛ ط : طوق .

٤ ط : عليها .

هـ ب س : افتن .

وقوله : « سيف إذا اعتلت » . . . البيت ، من قول المتنبي ^١ :
 وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبحتُ ومن جثِ القتلِ عليها تائمُ
 وله من أخرى ^٢ :

لم يخلُ من نوبِ الزمانِ أدبُ كلاً فشانُ النابتِ ينوبُ
 أمسي قراراً ^٣ للخطوبِ وأغتدي غرضاً تفوقُ نحوه فتصيبُ
 وإذا انتهيتُ إلى العلومِ وجدتها شيئاً يُعدّ به عليك ذنوبُ
 وغضارةُ الأيامِ تأتي أن يرى فيها لأبناء الذكاء نصيبُ
 ولذلك من صحبَ الليالي طالباً جِداً وفهماً فاتهُ المطلوبُ

وهذا أيضاً من قول المتنبي ^٤ :

وما أجمعُ بين الماء والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمعَ الجدَّ والفهما
 وقال أبو علي ابنُ رشيقي وولد معنى زائداً مُستطرفاً ^٥ :

أشقى لجدك أن تكونَ أديباً أو أن يرى فيك الوري تهديبا
 ما دُمْتَ مُستوياً ففعلك كلُّهُ عوجٌ وإن أخطأتَ كنتَ مصيبا
 كالنقشِ ليس يتمُّ ^٦ معنى ختمه حتى يكونَ بناؤه مقلوباً

١ ديوان المتنبي : ٣٧٥ .

٢ الذيل والتكملة : ٦ : ٢٢٢ ومنها أربعة أبيات في البيت ٢ : ٧٤ .

٣ الذيل : مراداً .

٤ الذيل : انتميت .

٥ الذيل : تمد به علي .

٦ ديوان المتنبي : ١٦٢ .

٧ ديوان ابن رشيقي : ٣٧ .

٨ الديوان : ليس يصح .

ومنها :

أَمْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاحِلًا فسقى صلبها غيثه الشُّبُوبُ
المعتلي بالله والملكُ الذي تاجُ الفخار برأسه معصوبُ
إِنْ كَانَ عَدُوًّا حُبًّا^١ آلِ مُحَمَّدٍ ذنباً فلاني لستُ منه أتوبُ

وهذا كقولِ العباس بنِ الأحنف^٢ :

إِنْ كَانَ ذَنْبِي فِي الزِّيَارَةِ فَاعْلَمِي إِنِّي عَلَى كَسْبِ الذُّنُوبِ لَجَاهِدُ

وله من قصيدةٍ يرثي أبا الحزم بنِ جهور^٣ ، ويهنيءُ ابنه أبا الوليد ،
وكتب بها من الجزيرة الخضراء ، إذ أقصى عن قرطبة^٤ ، أولها :

إِنَّا إِلَى اللَّهِ فِي الرَّزَاءِ الَّذِي فَجَعَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْحُكْمِ الَّذِي وَقَعَا
وَلِي أَبُو الْحَزْمِ عَنْ مَلِكٍ تَقَلَّدَهُ أَبُو الْوَلِيدِ فَعَزَّ الْمَلِكُ وَامْتَنَعَا
أَبُ كَرِيمٍ غَلَا الْفِرْدَوْسُ مَسْكَنَهُ وَابْنٌ نَجِيبٌ تَوَلَّى الْأَمْرَ وَاضْطَلَعَا
لَهُ شَمْسٌ ضَحَى فِي اللَّحْدِ^٥ قَدْ غَرَبَتْ فَأَعْقَبَتْ قَمَرًا^٦ بِالسَّعْدِ قَدْ طَلَعَا

[ومنها] :

١ ب س : مدح .

٢ ديوان ابن الأحنف : ٨١ .

٣ كان ابن الحنات من خاف من أبي الحزم ابن جهور بسبب ما شاع عنه من هجائه إياه
فلحق بيني حمود (الدليل والتكملة : ٢٢٢) .

٤ ب س : فاضطلعا .

٥ ب س : في القبر .

٦ ب س : أبقته بدر دجى .

يا واحد الدين والدنيا أقلّ زللاً
لو أنه أعطي الدنيا بما رَحِبَتْ
وما عساك سوى الإحسان تصنعه
وقد رأيت ابن سعد حين أمكنه
لَيَسْمَحُونَ مديحي فيك من أكتب
وقال من أخرى :

تفرغت من شغل العداوة والظن
أمقتولة الأجفان من دمع حزنها
فله سيري يوم ودعتُ صحبتي
رحلتُ فكم من جؤذرٍ وغضنفرٍ
وما عن قلى فارقتُ تربة أرضكم
وينظر هذا إلى قول القسطلي ٢ :

وفاحتُ لبالي الدهر مني مَبْتَأٌ ٣
فأخزين أياماً دُفِنْتُ بها حياً
وكذلك قوله : « رحلت فكم من جؤذر ... البيت » ، من قول
المتنبي ٤ :

١ ب س : عن .
٢ ديوان ابن دراج : ١٨٠ وقد مر البيت ص : ٧٣ .
٣ ط س : التوب ؛ ب س : مني عنبراً .
٤ ط : ومعنى البيت الثاني ... الخ .
٥ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

رحلتُ فكم باكٍ بأجفانٍ شادِنٍ عليَّ وكم باكٍ بأجفانٍ ضَيَّغَمٍ

ومنها :

مررتُ بشُوسٍ^١ والنجومُ كأنها
وأسريت من بدر الظلام بالْبَسَةِ
لبسنا بها ليلًا من الثلج أبيضًا
ورُحنا على ألبيرة^٢ فاستقلَّ بي
ولمَّا تنكبتنا المنكب^٣ لم نجدُ
ترامت بنا الأهوالُ في كل لُجَّةٍ
نرى السفنَ فوق الموج فيها كأنها

[ومنها] :

فبَوَّأتُ رَحلي ظلَّ أروعَ ماجدٍ
إمامٍ وصيِّ المصطفى وابنُ عمِّه

وله من أخرى :

أرقتُ وقد غنى الحمامُ الهوائفُ
أعدنَ لي الشوقَ القديمَ وطاف بي
وما الجانبُ الشرقي من رمل عالٍ
بمُنْعَرَجِ الأجزاءِ والليلُ عاكفُ
على النَّأي من ذكرى المليحة طائفُ
بحيثُ استوت غيظانهُ والنفائفُ

١ في ط والمقتبس (١٢٩) شوش « فاحتل يومه ذلك حل نهر شوش » ؛ وتحديده إلى الجنوب من قرطبة .

٢ ألبيرة (Elvira) ؛ انظر الروض المطار : ٢٩ .

٣ المنكب (Almunecar) فرضة صغيرة على البحر تابعة لمركز مطريل (Motril) في منطقة غرناطة ، وتبعد مسافة ٢٢ كيلومتراً إلى الغرب من مطريل (انظر الروض ، الترجمة الفرنسية : ٢٢٥) .

إذا ما تغنى الرعدُ فوق هضابه
 بأحسن من أطلالِ عكوةٍ منظرًا
 خليليَّ هل بالخيفِ للشملِ ألفةٌ
 أني وقفةٌ عندَ العقيقِ ملامةٌ
 سقى عَرَصَاتِ الدَّارِ كُلُّ مُلْثَةٍ
 كأنَّ نثيرَ القطرِ منها جواهرٌ
 كأنَّ ابتسامَ البرقِ فيها إذا بدتْ

سقى الروضَ من وبل الغمامة واكف
 وإن درّست آياتهُ والمعارفُ
 فيا من قلبٍ من نوى الخيفِ خائف
 على دَنَفٍ شاقتهُ تلكِ المواقفِ
 من المزنِ تزجها البروقُ الخواطفُ
 تُفرّقُها للريحِ أيدٍ عواصفِ
 سيوفُ عليٍّ بالدماءِ رواعفِ

وله من أخرى في القاسم بن حمود ، ويصف خيران الصقلبي ،
 وقتل المرتضى الرواني ، أولها ٢ :

لك الخير خيرانٌ مضى لسبيله
 وأصبح ملكُ الله في ابنِ رسوله
 يقول فيها :

وفُرقَ جمعُ الكفر واجتمع الوري
 وقام لواءُ الجمعِ ٣ فوق بمنعٍ
 وأشرقَت الدنيا بنورِ خليفةٍ
 من الهاشمين الذين بمجدهم
 فلا تسَلِ الأيامَ عما أتت به
 ولما دعا الشيطانُ في الخيلِ حزبهُ
 كتابُ من صنهاجةٍ وزناةٍ

على ابنِ حبيبِ الله بعد خطيله
 من النصرِ جبريلُ أمامَ رعيه
 به لاح بدرُ الحق بعد أفوله
 تعودَ شخصُ المجدِ جرّ ذبُولِه
 فما زالت الأيامُ تأتي بسُولِه
 وأقبلَ حزبُ الله فوق خيولِه
 تضايقُ في عرضِ الفضاء وطولِه

١ وقع هذا البيت بعد تاليه في ط .

٢ المغرب ١ : ١٢٤ والبيان ٣ : ١٣٠ .

٣ ط : الرفع ٤ : المغرب : النصر .

تقدّم خيران* إليها بزعميه ليدرك ما قد فاتته من دُحوليه
فلما التقى الجمعان عاود رأيه* فخلّني لبعض المَوَلِ جُلْ فضوله
وولى وأبقى منذراً من ورائه يقيمُ لأهل الغدرِ عُدَرَ نكوله

ذكر الخبر عن مقتل الأمير المرتضى المذكور

قال ابن حيان^١ : كان عبد الرحمن بن محمد من ولد الناصر لدين الله قد
نُصِبَ خليفةً بشرقي الأندلس ، ، وسُمي المرتضى ، فرحف بمن تألف
معه من الموالي العامريين وغيرهم إلى غزو البرابرة المنتزعين بقرطبة وأعمالها ،
وأمرها يومئذ القاسمُ بن حمود ، وعقدوا مع المرتضى على غزو قرطبة ،
فخرجوا بجملتهم سنة تسع وأربعمائة ، فعرّجوا به في طريقهم إلى غرناطة
ليبدأوا بحرب ذلك الفريق من صنهاجة لما ارتأوه من الغدر بسلطانهم ،
فأوبقوا الجماعة وأحلّوا بها الفاقة ، على أيدي البرابرة ، ورسا بتلك الوقعة
مُلكُ الحمودية ، وإذا قضى الله أمراً سبّب له أسباباً فجاءوا معهم ،
في جملتهم منذرُ التجيبسي وخيرانُ الصقلي وقطعة من خيل الإفرنجية. ولما
حلوا غرناطة وأمرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد ، ارتاعت صنهاجة
واعصوبوا بأمرهم زاوي كبش الحروب ، فأحكم لهم التدبير ، والدولة
تسعه ، والمقدارُ ينجده ، وحملت عنه في تلك الحروب حكاياتٌ بديعة :
منها أن المرتضى لما نازله خاطبه بكتاب يدعو فيه إلى طاعته ، ومسح أعطافه ،
وأجمل موعده . فلما قرىء على زاوي قال لكاثبه : اكتب على ظهر رقعة :

١ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٢٥ - ١٢٩ والاحاطة (ترجمة زاوي بن زيري) ودوزي

(Recherches : ج ١ - الملحق : ١٥ والملحق : ١٧) .

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة ، لا تزده ، فلما بلغت المرتضى أعاد إليه كتاب وعيد ، فلما قرىء على زاوي قال : ردوا عليه ﴿الْمَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها لم يزد حرقاً . فازداد المرتضى غيظاً ، ويش منه ، وناشبه القتال ودنا إليه في تعبئة محكمة ، وكراديس منتظمة ، فاقتتلوا أياماً إلى أن انهزم الأندلسيون ، وطاروا على وجوههم ، مسلموهم وإفرنجهم ، لا يلوي أحد على أحد . والخيل تطردهم في تلك المضايق ، وصُرع المرتضى في ضنك ذلك المأزق ، ووقع البرابرة من نهب محلة المرتضى على ما لا كفاء له اتساعاً وكثرة . ظل الفارس منهم يجيء من اتباعه المنهزمين ، ومعه العشرة الأبقل فما دون ذلك موقرةً بفاخير النهب ، ورفيع الشارة والحليّة . وحيزت فساطيط أولئك الأمراء ومضارب الرؤساء الذين كانوا في جمع ذلك العسكر المخدول يتباهون بالقوة والشارة ، يجمع ما فيها . وسبق سلطانهم زاوي إلى سراق الحائين المرتضى ، فحازه بما حواه مما كان الأمراء قد جمعوا له وجملوه به . وكان أمراؤه والوجوه من أهله قد تناغوا بالبشارة ، وجاءوا مجيء من لا يشك في الظفر ، فساقوا مع أنفسهم رفيع الحليّة كي يتباهوا بذلك إذا دخلوا قرطبة ، حتى إن كثيراً من جاليتها والتجار المتجهزين منهم ومن سواهم اغتروا بذلك العسكر الخاوي فصحبوه مبادرين ميسرة الفتح ، وسعة الربح ، فخابوا وحق البغي بهم ، وخسروا أموالهم .

وأول من انهزم من ذلك العسكر منذر بن يحيى وخيران الصقلبي . وكان منذر قد أوقع في نفوس مددِه من رجال الإفرنجية الذعر من غدر الموالى العامريين ، فشغل بذلك بالهم . فلما انهزم لم يعرفوا السر ، وأجفل منذر في أصحابه الثغريين ، فمرّ بسليمان بن هود صاحبه وهو مثبت للإفرنجية لا

يريم موقوفه . فصاح به : النجاة يا ابن الفاعلة ، فلست أقف عليك ؛ فقال له سليمان : جئت والله بها صلعاء ، وفضحت أهل الأندلس ! ثم انقلع وراءه ببقية عسكره ، وانقلع أيضاً خيرانُ برجاله . وصبر الموالي العامريون قليلاً حول صاحبهم المرتضى ، على أحرّ من جمر الغضا ، وهو مع جبّنه حسن الثبات ، حتى استحرّ القتلُ في أصحابه ، وصُرِع كثير منهم حوله ، فانكشفوا عنه ، وخاف أن يُقبَضَ عليه فولّى ، فوضع عليه خيرانُ عيوناً لثلاً يخفى أثره ، فلحقوه بقرب وادي آش وقد أَمِنَ على نفسه ، فهجموا عليه وقتلوه ، وجاءوا برأسه إلى خيرانَ ومنذر ، وقد لحقا بالمرية ، فتحدثت الناسُ أنهما اصطبحا على رأسه سروراً بمهلكه ، وتناولاه من الذكر عبثاً بما لم يكن أهلاً له ، وجعلا يقولان : يا أحيقُ قُم فاعرضْ جندك ؛ كلمةٌ تحدثتَ بها عنهما جرأةً على الله ونكثاً لعهوده . فقصد المرتضى على هذه السبيل ، ونجا من تلك الملحمة أخوه أبو بكر ابن هشام ، ولحق بالموالي العامريّين فزهدوا فيه ، فاستقرّ عند ابن القاسم صاحب حصن البونث^٢ ، وكان شيعة المروانية على سوء ما أسلفوه في سلفه ، فأجاره وضيّفه ، ولم يزل مقيماً عنده إلى أن كان من تقديمه للخلافة ما كان .

قال ابن حيان : فحلَّ بهذه الواقعة على جماعة من الأندلس مصيبةٌ سوداءُ أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم على البربر جمعٌ بعد ، وأقروا بالإدبار ، وباعوا بالصغار .

وورد على القاسم بقرطبة كتابُ زاوي بشرحها مع نصيبه من الغنيمة ،

١ البيان : يا حسن ؛ ط س ب : يا أحير .

٢ ط والبيان : البنت .

وفي جملتها سُرادقُ المرتضى . فضربه القاسمُ على نهر قرطبةَ وغشيهُ من النظارةِ جُملةً من عليهِ الناس ، وقلوبُهم تنقطعُ حسرةً منه ؛ فركدتُ ريحُ الروايةِ من ذلك الوقت بقتلِ^١ من نجمَ منهم في أطراف الأرضِ ، وأيسَ الناسُ من دولتهم ، وألوى الحمولُ بجملتهم ، فتقطعوا في البلاد ودخلوا في غمارِ الناس ، وامتهنوا واستهينوا .

حدثتُ يزوائدَ في شرحها حصرتُها تسميماً للقصة :

قالوا : لما جاء منذرُ التجيبيّ في جيشه مع الإفرنجِ وغيرهم للاجتماع بالمرتضى بشاطبةَ لغزو قرطبةَ ، وفي جملته ابن مسوف ، اجتاز على بكنسيةَ فأغلق واليها مبارك^٢ بابها في وجهه ، ومنعه من دخولها ؛ فلما اجتمع بالمرتضى بشاطبةَ أغراهُ على مبارك^٣ أن يُخرجه معهم للغزو فلم يجبه المرتضى لذلك ، وأقام عُدراً مباركٍ ، وأقعدَه خلفَه لجمعِ الأموال وإنفاذها خلفه ، فأحققه عليه ، فتجمع ابن مسوف وخيران ومنذر ، وتظاهروا على الغدرِ به ، فمالوا به إلى غرناطة ، وقالوا : لا يصلحُ أن نسيرَ إلى قرطبة ووراءنا هذا العدو ، ثم دسوا إلى زاوي وأمرُوا عليه الغدرَ بالمرتضى . فلما أصبحوا للقتال جعل منذرٌ يُحرّضُ المواليَ العامريين سُخريةً يبغى توريطهم ويقول : أين أنتم معشرَ أربابِ المملكةِ المؤثرينَ على كل طبقةٍ ؟ أين أصحابُ الوظائفِ المرتبة ؟ هذا يومُكم ، تقدّموا . فحمي القومُ وخرجتُ صنهاجةَ ومغراوة من زَناتةَ فاجتلدوا أيتاماً ، فلما حمي الوطيس

١ البيان : وقتل .

٢ ب : المبارك .

٣ ب : أغراه مبارك على .

أشارَ منذرٌ وخيرانُ بإدناءِ المحلّةِ إلى قربِ حومةِ القتالِ . فلمّا زُحِزِحَتِ صنهاجةٌ من موضعِها اضطربَ العسكرُ^١ ، وشدَّ البرابرُ شدةً منكرةً ، فانحازَ منذرٌ وخيرانُ لأوّلِ وقتِهما وانّهزما على وجوههما ، فلم يلكُ للناسِ ثباتٌ بعدهما ، فاستمرتْ بهنّ الهزيمةُ حسبما تقدّم .

وأخبرَ عن منذرٍ أنّه الذي ورّطَ المرتضى وحلفاءه^٢ ، وأقحمهم أوعاراً صعبةً حتى أنزلوهم فوق رؤوسِ صنهاجة في الجبلِ المطلِّ عليهم . ولما شرع في قتالهم بانَ ل منذرٍ جدُّ الموالى ، ولم يشكَّ في ظهورهم فحسدّهم وتحيّلَ لهم بما قلَّ حدّهم . وكان بلغه أيضاً عن زاوي أنّه لا يشكُّ في الغلبةِ فتداركتهُ بكتابٍ يشبه به عن حربته ، فراجعَت نفسُ زاوي وطمّعت في النجاةِ فلذلك ما جدَّ في القتالِ^٣ .

ولهوّل ما عاينه زاوي من اقتدارِ أهلِ الأندلس في تلك الحرب وجمّاعهم به ، وإشرافهم على التغلب عليه ، ما هانَ سلطانهُ عنده بالأندلس وعزم على الخروج عنها نظراً في عاقبة أمره^٤ ، ودعا جماعةَ قومه مُستنصحيناً فعصّوه في ذلك ، لظنهم بطبيبٍ معيشتهم بالأندلس ، فلم يشنه ذلك عن عزمه ، وركب هو البحرَ بماله وأهله فلحقَ بإفريقية وطنه . فكان من أغربِ الأخبارِ في تلك الدّولةِ الحمودية انزعاجُ ذلك الشيخِ الباقعةِ زاوي ابنِ زيري عن سلطانه ، ولفظه لما كان يلوّكُه من فلذةِ كبدي الأندلسِ ،

١ ب : المسكر .

٢ ب س : وحلفاءهم .

٣ حدثت بزوائده في شرحها . . . في القتال : لم يرد هذا في ط ، ولا وجود له في البيان المغرب .

٤ زاد في س : فتجدد لذلك اثر الفتح عليه ، (اقرأ : فتحدث بذلك ...) .

أرض البيرة ، بأثر الفتح العظيم الذي أُتيح له على المرتضى ومن كان معه من عساكر أهل الأندلس . فأخذ في عبور البحر حين صفا العيشُ واخضرَّ عوده ، ووقم العدو وفلَّ غربه ، فصمم في الرّحيل بعد أن استأذن صاحب إفريقيا يومئذ المعز بن باديس ابن عمه ، في ذلك ، فأذن له ، وحرص جميع بني عمه بالقيروان على رجوعه لهم لحال سنّه ، وتعرّهم يومئذ عن مثيله من مشيختهم لمهلك جميع إخوانهم ، وحصوله هو قعدُد بني مناد . الغريب شأنه ، في ألاّ يحتجب عنه من نسائهم زهاء ألف امرأة في ذلك الوقت ، هنّ — زعموا — محرمٌ له من بنات إخوانه وبناتهن وبني بنينهن . فرحل عن الأندلس سنةَ عشر وأربعمائة ، واستقلت به سفنه من مرسى المنكب ، وفي شحتها من ذخائر الأندلس ما يفوت الإحصاء . كثرة لعظيم ما خمسته^١ أيام الفتنه . فاجتمع شمله بالقيروان ، وأقره المعز في دولته وكنته . إلا أنه لم يؤثره ولا أناف بمحلته ولا قلده ولا واحداً من ولده شيئاً من عمله^٢ ، بل وكلّهم إلى سُحتهم^٣ .

قال ابن حيان : وحُدثتُ عن السبب المزعج كان ازواي يومئذ في ارتحاله ، وذلك أنه لما انهزم المرتضى قال زاوي لقومه : كيف رأيتم ما قد خلصنا منه ؟ قالوا : عظيماً ، قال : فلا تتناسوه وتغالطوا أنفسكم بعده ، إن انهزام من رأيتموه لم يكن عن قوّة منا . إنما جرّه مع القضاء غدرُ ملوكهم لسلطانهم ليُهلكوه كما فعلوا ، فإني عرفت ذلك من يوم نزولهم ، ولذلك ما كنت أقوى نفوسكم ، وقد نجّانا الله منهم برحمته ، ومضى

.. ..

١ البيان : حازه ؛ ط : قشه (اقرأ : قسه أو قشه) .

٢ س ب : أعماله .

٣ ط : محنهم .

القوم ولم يعدوا إلاّ رئيسهم ، واستخلافه هينٌ عليهم ، ولست آمنُ عودهم جملةً إليكم فيما بعد ، فلا يكون لنا قوامٌ بهم ، فالرأيُ الخروجُ عن أرضهم ، واغتنامُ السّلامة مع إحرار الغنيمة ، والرجوعُ إلى الحملة التي انفصلنا عنها كأنفين للعيال والذّريّة ، مباعدين لهم لما وراءنا من أهل جنسنا^١ زناتة ، الأعداء في الحقيقة ، الذين لا يغفلون عنا وإن غفلك الخليفة ، لاسيما وقد قرّفتنا قرّحتهم ، ونَبَشْنَا أحقادهم المدفونة . فلان فرغوا لنا على قلّة عدونا ، وظاهرنا علينا الأندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا ، وها أنا قد أذيتُ لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس ، فمن أطاعني فليرحل معي . فلم يساعده أحدٌ ، فرحل كما وصفناه .

وبلغني أن جلالي بن زاوي تلوّم بغرناطة^٢ ، بعد حصول والده بالمنكّب ، أياماً لتتميم لباناته^٣ ، . وقد دبر مع الراحلين من بني عمّه القبض على قاضي البلد ابن أبي زمين والمشيخة من أهله إذا رجعوا من تشيع أبيه ليأخذ أموالهم . فاهتدى ابنُ أبي زمين لتدبيره ونكّب عن المنكّب إلى حبّوس ، وكان متوقفاً بحصن آش يرتقب ركوب عمّه البحر فيلحق بغرناطة ، فكان ذلك كذلك . فركب مع ابن أبي زمين وقد خوفه بوائق الإبطاء ، فلم تشعر صنهاجة حتى أطلّ عليهم قارعاً طبوله ، فخرجت صنهاجة تستقبله ووقف ابنُ عمّه حلالي بباب البلد حائزاً قد فسد تدبيره على ابن أبي زمين ، ولم يُعرج حبّوس عليه حتى صعد إلى قصبة غرناطة فقبضها وحطّ رحله فيها . ثم خرج إلى ابن عمّه حلالي ليودّعه ،

١ س ط : جنه .

٢ ط : وتلوّم ابنه حلالي بغرناطة .

٣ ب س : حاجاته .

فما تبه حلالي في اقتحامه عليهم وقال له : الفوت خفت أبا مسعود في بلدك ؟ !
 اهَذَا دخولُ مكتتبٍ بفراقٍ عثيرته ؟ ! هو بدخولِ شامتٍ أشبه ! !
 كائنكَ فتحتَ بلدًا وطردتَ عدوًّا ؟ ! فاعتذر له حبّوس ، وقال :
 ما ذاك إلا لرسم الإمارة ، وإرهاب الرعية . ثم استوطن حبّوس البلدَ
 وأورثه عقبه .

قال ابن حيان : وبلغني أنَّ زاوي استوهب عليَّ بن حمّود ، يوم
 قُتل سليمانُ بن الحكم رأسه... ، حقاً على بني مروان المهديّ إليهم رأسُ
 زيري والدِه ، وأنته أسعفه بذلك ، فصار عنده ، ونقله من الأندلسِ
 معه في ذلك الوقت مفتخراً به على أهل بيته . فإن يكن ذلك حقاً فزاوي
 أكبرُ من أدرك الثَّارَ المنيم ، ورحض العارَ المُقيم . وأخبارُ هذا الداهيةِ
 زاوي كثيرةٌ ، ونوادِر أفعاله مأثورة .

وكان حبّوس هذا أحد نأبّي ١ برابرة الأندلس اللذين يفترون
 عنهما ٢ ، لم يبق بعله يومئذ ، سوى محمد بن عبد الله نظيره ، من تُرهب
 له شدة . وكان على قسوته يُصفي إلى الأدب ، وينتمي في العرب ، للأثرِ
 المقفوّ في قومه صنهاجة . وكان يؤثّرُ لذلك « كتابُ التيجان » لابن
 دريد ٣ في ذكر متابعهم ، ولا يُغبُّ سماعه ومطالعتَه . وكان وقوراً
 حليماً ، فظلاً مهيباً ، نزرَ الكلام ، قليلَ الضحك ، كثيرَ الفكر ،

١ ط : نأبّي ؛ ب س : نأبّي ، وصوبته بحسب المعنى .

٢ ب س : يفترون عنهما ؛ والتأبان أحدهما حبوس والثاني هو محمد بن عبد الله البرزالي ؛
 واقتر عن قابه : كشف عنه .

٣ كذا في ب س دون ط ، والمشهور أن التيجان لوهب بن منبه ، غير أن هذا لا يمنع
 أن يكون لابن دريد كتاب بهذا الاسم .

٤ ب س : طويل .

شديد الغضب ، غليظ العقاب^١ ، شجاعاً حسن الفروسية ، جباراً متكبراً داهية^٢ ، واسع الحيلة ، كامل الرجولية^٣ ، له في كل ذلك أخبار مأثورة^٤ .

أخبرني أبو الوليد ابن زيدون قال : سأل حبّوس يوماً محمد بن عبد الله في بعض التفائهما عن سنّه بمعارض فقال : ابن كم كنت يوم قُتل ابن الخير^٤ ؟ فأجابه مُسرّعاً : كنت يوم قُتل زيري بن مناد يَفَقّةً ، وشهدتُ وقعته مع قومي ابن كذا . فتبسم حبّوس ، وعجب من حضر من قطنتهما . وإنما أراد حبّوس تعيير ابن عبد الله بمقتل ابن الخير سلطان زناتة المصّاب في وقعة صنهاجة ، فعارضه ابن عبد الله بذكر وقعتهم بجدّ حبّوس زيري بن مناد . فلو كانا في الرّغيل الأول من أذكّياء العرب ما زادا على ما أتيا به .

وقد أعاد عليّ ولد ابن عبد الله أيام لقبته بقرطبة عن والده محمد ابن عبد الله بالطف من هذا التعريض ، مكتفياً باسم الموضعين عن ذكر اسم الرجلين ، فقال : قال حبّوس لوالدي يوماً : أشهدت يوم تلمسان ؟ فقال له والذي : لا ، أوّل مشاهدي يوم كَرَضْ ويوم تلمسان يوم الخير وزناتة ، ويوم كَرَضْ يوم زيري وصنهاجة . فلم يزد أحدهما

١ س : الحجاب .

٢ ط : الرجولة .

٣ ب س : مشهورة .

٤ محمد بن الخير بن خزر الزناتي خاض حرباً ضد صنهاجة بقيادة زيري فقتل زيري ، ثم إن يوسف بن زيري أراد الثأر من زناتة وغلّب محمد بن الخير وهزمه (سنة ٣٦٠) وحين وجد محمد أن يوسف قد أحاط به انتحر (البيان المغرب ٢ : ٢٤٣) .

على التسم ، وما درى من معهما ما ذهباً إليه ، انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام^١ : ومن ملج التلويح بالمعارض قول رجل من نعيم
وقد سائرته ابن هبيرة الفزاري فزادت بغلة النيمري عليه ، فقال له ابن هبيرة :
غض من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة - أعزك الله - فضحك . وإنما
أراد ابن هبيرة قول جرير :

• فغض الطرف إنك من نعيم •

وأراد النيمري قول ابن دارة في فزارة :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلو صك واكتبها بأسيار
وكانت فزارة ترمى بإتيان الإبل ، ولذلك قال الفرزدق يهجو ابن هبيرة :

[أمير المؤمنين وأنت برّ حليم لست بالجمع الحريص]
أوليت العسراق ورافدته فزارياً أحد يد القميص ؟
ولم يك قبلها راعي مخاض ليأمنه على وركي قلو ص

ومن المعارض : أن رجلاً هلالياً بات مع رجل من مُحارب على
بعض المياه ، وقد كثر فيه صباح الضقاد ، فقال الهلالي : ما تركتنا
شيوخ مُحارب ننام الليلة ، فقال له المحاربي : إنها أضلت برقماً فجعلت

١ قارن بما جاء في السط : ٨٦٢ - ٨٦٤ والاختصاف : ٥٠ والمقد : ٢ : ٤٦٨ - ٤٦٩
وفصل المقال : ٤ - ٦ والخزافة : ٤ : ١٦٨ والبيان : ٢ : ١٨١ - ١٨٢ وزهر
الأدب : ٢١ وكتابات التعالي : ٥٦ - ٥٨ فقد ورد فيها معظم هذه القصص المتصلة
بالنمري .

تطلبه . أراد الهلالي قولَ القائل^١ :

تجيشُ بلا شيءٍ شيوخُ مُحاربٍ وما خلقتها كانت تريضُ ولا تهرى
ضفادعُ في ظلماءٍ ليلٍ تجاوبتُ فدَلَّ عليها صوتُها حبةَ البحرِ

وأرادَ المحاربيُّ قولَ الآخر :

لكلِّ هَلالِيٍّ من اللؤمِ بَرْقُعٌ ولابنُ يزيدٍ بَرْقُعٌ وجلالُ^٢

وحضر بابَ عبد الملك ناسٌ من العرب فيهم تميميٌّ ونُميريٌّ ، فمرَّ
عليهم رجلٌ^٣ يحملُ بازيًا ، فقال التميمي : ما أحسنَ هذا البازي ! فقال
النميري : أجَلٌ ، وهو بصيدُ القَطَا ؛ أراد التميميُّ قولَ جرير :

أنا البازي المِطلُّ على نُمَيْرٍ أتيحُ لها من الجَوْ انصبابا

وأراد النميريُّ قولَ الطَّيرِمَاح :

تميمٌ بطُرُقِ اللؤمِ أهدى من القطا ولو سلكتُ سبيلَ المكارمِ ضَلَّتِ

ومن المعارضِ قول معاوية للأحنف بن قيس : ما الشيء المَلْفَفُ
في البجاد ؟ قال : السخينةُ يا أميرَ المؤمنين ؛ أراد معاويةُ قولَ القائل :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميمٍ فسركَ أن يعيشَ فجيءُ بزادٍ
بُخْبُزٍ أو بتميرٍ أو بسمنٍ أو الشيء المَلْفَفُ في البجادِ

١ البيتان للأخطل ، ديوانه : ١٣٢ وفيه : تنق بلا شيء .

٢ البيان والعقد : وقميص .

٣ ط : ومر على فاس من العرب فيهم نميري و تميمي رجل .

وأراد الأحنف أن قريشاً كانت تُعبرُ بأكلِ السخينة^١ ، وهي حساءٌ من دقيقٍ يُتخذُ عند غلاءِ السّعر ، وفي ذلك يقولُ شاعرُ كنانة :

يا شدة^٢ ما شددتنا غيرَ كاذبة^٣ على سخينةٍ لولا الليلُ والحرمُ

ومن المعارض قولُ النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة مُخفياً لشأنه عن قريش ، ومعه أبو بكرٍ ، فكلما سألهما سائلٌ عن شأنهما قال : نحنُ باغٍ وهادٍ ، يريدُ باغياً للخير ، وهادياً إليه .

ومنه : قوله عليه السلام ، حين خرج هو وأبو بكرٍ يتحسّنانِ عن العير ، وقد سألا بسبباً فأخبرهما على أن يخبراه بأمرهما ، فلما أخبرهما وسألهما ، قال له عليه السلام : نحن من ماءٍ ، فقال لهما بسببٍ : ما رأيتُ كالיום عجباً ، أمنُ ماءٍ كذا ، أم من ماءٍ كذا ؟ يعدّد مياه العرب . وقد قال عليه السلام لأصحابه ، حين أرسلهم إلى بني قُريظة أيامَ الأحزاب : إن رأيتموهم على غير ما أحبُّ فالحنؤنا لي . فلما انصرفوا قالوا له : يا رسولَ الله ، عَصَلٌ والقارةُ ، وقد كان هذان القبيلان غَدرا ، فكفى له بهما أصحابهُ عن غَدْرِ بني قُريظة .

ومما يتعلّق بابِ المعارض^٤ : قوله عليه السلام للمرأة : هلّمي حَفْصَةَ رُقِيَةَ النَّملة ، وكانت حَفْصَةُ عليها السلام عندما يريدُها صلى الله عليه وسلم ربما تلبّست ، فأراد أن يلحن لها برقية النملة ، وكانت العربُ ترقبها في

١ ط : تمير بالسخينة .

٢ ب س : غير منكورة .

٣ لم يرد هذا الخبر في ط ، وانظر مسند أحمد ٦ : ٣٧٢ .

الجاهلية ، يقول لها : العروسُ تكتحل وتحتفل ، وكل شيء تفتعل ،
غير تعاصي الرجل .

وشبيهُ هذا ما فعله معاوية - رحمه الله - حين بلغه أن بعض بناته
تمتنع ، فدخل عليها ، فجعل ينكثُ بقضيبه ويُنشد :

من الخفريات البيضِ أَمَا حرامها فصعْبُ وأما حِلُّها فذلُّوسُ

ومن المعارضِ الخبرُ المأثورُ عن كثيرٍ وجميلٍ ، قال ١ : زار
جميلٌ ٢ بثينةَ ورام لإيصال شيءٍ إليها فعزّه ذلك . فلقى كثيرًا وقد
ارتحل من عند أبيها ، فسأله عن موضع مبيتته ، فقال : كنت عند أبي بثينة .
فقال له : هل إلى إعلامها أتى ها هنا سبيلٌ ؟ فقال : هل كان بينكما
شيءٌ تعرفه هي ؟ فقال : نعم ، آخرُ عهدي بها بأسفل وادي الدَّوم ،
وأصاب عمامتي شيءٌ فغسلته جاريتها . فرجع كثيرٌ قبل أن يقوم والدُ
بثينة من مجلسه ، فقال : ما رجعتك ؟ قال له كثيرٌ : أبناتُ قلتُها وأحببتُ
أن تسمعها ، قال : هاتِ ما عندك ، فأنشده :

وقلتُ لها : يا عَزُّ أرسل صاحبي على طولِ نأيٍ والرسولُ موكلٌ ٣
[بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني بأسفل وادي الدَّوم والثوبُ يُغسلُ]
ف قالت بثينة : اخسأ ! فقال أبوها : مالك يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا

١ انظر الزهرة : ١١١ - ١١٢ والأغاني ٨ : ١٠٧ والشعر والشعراء : ٣٤٨ .

٢ ط : ومن المعارض ما حكى عن جميل أنه زار . . .

٣ ط : والموكل مرسل ، وانظر ديوان كثير : ٤٥٢ .

إذا هوَم الناسُ من وراءِ هذهِ الرابِيةِ .

قال ١ : ودخل محمد بن أمية الشاعرُ مجلساً فيه قينةٌ تغني فأعجبته ،
فقال لها : جُعِلْتُ فداكِ ، أتحسنين أن تُغنَي :

خَبَرَنِي مَنْ الرِّبَولُ إِلَيْكِ واجعلي من لا ينمُ عليك ٢

فقال له : لا ، وقُدِّمتُ قبلكَ ، ولكنني أغني في طريقيته :

أحمدٌ قال لي ولم يدْرِ ما بي أتحب الغداةَ عتبةَ حقا ٣

وأومات إلى مُخَنَّثٍ ٤ كان على رأسها اسمه أحمد .

وقد أَرخصَ الفقهاءُ في هذهِ المعارضِ ، وقال بعضُ السَّلَفِ :
في المعارضِ ٥ مندوحةٌ عن الكذب ٦ .

وكان التخصي إذا خرج من عنده أصحابه يقول لهم : قولوا لمن
سألكم عني : لا ندرى أين هو ، فإنكم لا تدرُونَ أينَ أتحوَّلُ من الدَّارِ .

ومنها قولُ شُريحٍ ، رحمه الله ، في شأنِ عبدِ الملك ، وقد عاده

١ انظر الأغاني ١٢ : ١٤٤ .

٢ البيت لمحمد بن أمية ، كما ذكر في الأغاني .

٣ لأبي العتاهية ، ديوانه : ٥٨٣ .

٤ ط : غلام .

٥ ط : وقيل إن فيها .

٦ قال الميائي (١ : ٩) إنه من كلام حمراَن بن حسين ؛ وروي عن مطرف بن عباد بن

الشيخير (طبقات ابن سعد ٧ : ١٤٤) ورفعهُ اليكري في السمت : ٢٤٠ إلى

الرسول (ص) ؛ وانظر فصل المقال : ٤ .

في علته التي مات منها : تركته يأمرُ وينهى ، فلما استُفهم قال : يأمرُ بالوصيةِ وينهى عن البكاء .

وأهدى عليُّ بن هشام إلى المأمون جاريةً اسمها «صرف» حين أحسَّ بتغيره عليه ، وأمرها أن تكتبَ إليه بما عسى أن تُحسَّ به من ذلك إليه ؛ فوقف^١ يوماً بين يديه فسقطت منه رقعةٌ ، فأخذها المأمونُ فإذا فيها : « يا موسى ، يا موسى ، ليس شيءٌ غيرُ ذلك . فقال المأمونُ لجلسائه : أيُكم يعلمُ إيماءَ هذه الرقعة ؟ فكلهم قال : لا أدري . فقال : هذه كُتبتُ من قصري ، تخوَّفُ هذا الرجلَ بادرني ، أراد كاتبها قوله تعالى : ﴿ يا موسى إنَّ الملأَ يأتمرون بكَ ليقتلوكَ ﴾ ثم حذفَ إخفاءً ، وكرَّرَ توكيداً . فبحث عن أمرِ الرقعةِ فإذا هي لصرف .

ومن ملجحٍ^٢ فطنةِ المأمونِ أيضاً — وله بهذا الباب بعض تعلق — أنه جلس يوماً في بعضِ مجالسِ أنسِه ، وفي المجلس عريبُ المأمونية ، وأحمدُ ابن محمد بن حمدون الذي كان يهاواها ، فأوماً إليها بقُبلةٍ ، فاندفعتْ تغني بيتَ النَّابغةِ الجعدي^٣ :

رمى ضرعَ نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ كحاشيةِ البردِ اليماني المسهمِ

فقال المأمونُ : من أوماً إلى عريب بقبلة ؟ فوجمَ الحاضرون ، فعزم عليهم ليخبروه^٤ . فقال أبو عيسى أخوه : لا تظلمِ الناس ؛ من يجترأ

١ هنا وقع خرم في ب ضاعت بسببه ورقات .

٢ انظر الأغاني ٢١ : ٧٨ - ٧٩ .

٣ ديوانه : ١٤٣ .

٤ س : علي وعلي لئن لم تخبروني لأقتلنكم .

على هذا إلاّ هذا الفاسق ؟ وأوماً إلى ابنِ حمدون ، فاستُفسرَ المأمون من أين وقع له ذلك ، فقال : هي لا تغنيّ حتى تؤمرَ واندفعتُ تغنيّ ارتجالاً .
 ودخل حارثةُ بن بدر^١ على زيادٍ وفي وجهه أثر . فقال له زيادُ :
 ما هذا الأثرُ في وجهك ؟ قال : ركبْتُ فرسي الأشقرَ فجمعَ بي ! فقال : أما إنك لو ركبْتَ فرسَكَ الأشهبَ ما فعلَ ذلك ! فكُنْ بالأشقرِ عن التبيدِ ،
 وبالأشهبِ عن اللبنِ .

فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بن ماء السماء^٢ ، وإثبات جملة من شعره مع ما يتعلق به من ذكره^٣

قال ابن بسّام : [هو عبادة بن عبد الله الأنصاري من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء بلحدهم الأول . ولحق بقرطبة الدولة العامرية والحمودية ومدح رجالها] . وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخَ الصنّاعة ، وإماماً^٤

١ في النسخ : زيد ، وهو غلط ؛ وحارثة بن بدر الفدائي كان جليص زياد (انظر ترجمته في - الأغاني ٢٣ : ٤٤٤ - ٥٠٠ وقد وردت القصة ص : ٤٨٢) .

٢ ترجمة عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء السماء في الجذوة : ٢٧٤ (البلية رقم : ١١٢٣) والصلة : ٤٢٦ وأدباء مالقة : ١٤٥ (مخطوطة خاصة) وصفحات متفرقة من فصح الطيب ، وله مقطعات شعرية في كتاب التشبيهات ، وانظر أيضاً الفوات ١ : ١٤٩ وقد أورد له ابن تاشكر موشحتين ؛ إلا أن الصفدي نسب إحداهما إلى محمد ابن عبادة القزاز (الواني ٣ : ١٨٩) . وقد كان عبادة أحد تلامذة القوي المشهور أبي بكر الزبيدي ، وقد ألف كتاباً في أخبار شعراء الأندلس (النفع ٣ : ١٧٣) وعن هذا الكتاب ينقل ابن سميذ في المغرب ، وترجم له ابن خاقان في المطمح : ٨٤ ترجمة موجزة (وعنه النفع ٤ : ٥٢) وانظر المسالك ١١ : ٣٩٧ .

٣ س : يتعلق بذكره .

٤ الفوات : وأحكم .

الجماعة . سلك إلى الشعر مسلکاً سهلاً ، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً . وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها . غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العنود ، فأقام عبادة هذا متأدّها ، وقوم ميلها وسنادها . فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته . وذهب بكثير من حسناته ^١ .

وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب ، تُشَقُّ على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقتها - فيما بلغني - محمد بن محمود ^٢ القبري الضرير . وكان يصنعها على أشطار الأشعار . غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة . يأخذ اللفظة العامية والعجمية ويسميه المراكز . ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب « العقد » أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا . ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز . يضمّن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة . فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن . ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضيف ^٣ . وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمّنها . كما اعتمد الرمادي ، واضع الوقف في المركز .

١ قوله : وكانت صنعة التوشيح... حسناته : النص في كتاب أدباء مالقة نقلاً عن كتاب الأصمعي .

٢ ط : حمود ؛ وهو محمد بن محمود القبري عنه الحميدي (الجذوة : ٨٦) .

٣ هذه اللفظة غير واضحة تماماً في نسخة الذخيرة س ؛ وقد سقط النص كله في ط ابتداء من قوله : ثم نشأ . . . في المركز ؛ ولهذا أثبت ما جاء في الفوات .

وأوزان هذه الموشحات^١ خارجة عن غرض هذا الديوان^٢ إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب .

وقد أثبت من شعر عبادة^٣ في هذا الفصل ومن سائر كلامه ، ما يدل على تقدمه وإقدامه .

جملة من شعره في أوصاف شتى

أخبرني الفقيه أبو بكر بن العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحميدي قال ، أخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم^٤ أن أبا بكر عبادة كان حياً في صفر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، وكان البرد المشهور خبره في ذلك الوقت^٥ الذي لم ير مثله ، فقال عبادة^٥ :

يا عبيرة أهديت لمعتبر عشيّة الأربعاء من صفر
أرسل ملء الأكف من برد جلامدا تنهي على البشر
فيالها آية وموعظة فيها نذير لكل مزدجر
كاد يذيب القلوب منظرها ولو أعيرت قساوة الحجر

قال أبو عبد الله الحميدي : وذكر أبو عامر ابن شهيد أن عبادة هذا مات

١ ط : وهي أوزان .

٢ س : كتابنا هذا .

٣ ط : حكى أبو عبد الله الطوسي عن الفقيه أبي محمد ابن حزم ؛ وانظر الجذوة : ٢٧٤ .

٤ س : التاريخ .

٥ انظر الجذوة ، ومنها بيتان في المسالك .

في شوال سنة تسع عشرة بمالقة ، ضاعت له مائةُ مثقال فاغتمَ عليها وكانت سببَ وفاته . فلا أدري مَنْ وهمَ منهما ، وأبو محمد بن حزم أعلمُ بالتواريخ وأحفظ للتقييد ، والله أعلم .

وقال ١ :

لا تشْكُونْ إذا عَشِرَ تَ إلى خَلِيطِ ٢ سوءَ حالِكَ
فِيرِكَ ألواناً ٣ من الـ إِذْلالِ لم تَخْطُرْ بِسالِكَ
إِساكَ أن تَدري بِمِـ شُكِّ ما يَدورُ على شِمالِكَ
واصْبِرْ على نُوبِ الزَما . نِ وإن رَمَتْ بِكَ في المِهاالِكَ
وإلى الذي أَغشى وأَفـ خِى اضرَعْ وسلَهُ صلاحَ حالِكَ

وقال يتغزل :

إذا رُمْتُ قُطفَ الوردِ ساورني الصَّدغُ بعقربٍ سحرٍ في فؤادي له لَدَغُ
غزالٌ بِجِسمي قِرَّةٌ من جَفونِهِ وفي أَدَمي من لونِ وجَتِهِ صِبْغُ
زِيارَتِهِ أَخَفَى خِفاءً من السُّها ودونَ فراغِي من عِجَتِهِ الفَرغُ

وقال :

ما مرَّ يومٌ عَلَيَّ لم أَرَكَ إلّا وجدتُ الضميرَ صَوْرَكَ

١ الفوات ٢ : ١٤٩ وفي الفيت ١ : ٩٧ منها بيتان .

٢ الفوات : صديقك .

٣ الفوات : أنواعاً .

ولامبيني وأنت لست معي^١ إلا مبيت القطاة في الشرك^٢
أما أنا فالبعاد غيّرني وأنت خوّف الرقيب غيرك
يا لعبة صوّرت لسفك دمي غطي بفضل^٣ النقاب محجرك

وقد رويت هذه الأبيات^٤ لابن القطان .

نقلت من خط الوزير أبي عامر بن مسلمة قال : أنشدني^٥ أبو بكر
عبادة^٦ لنفسه .

اجل المدامة فهي خير عروس
واستغنم اللذات في عهد الصبا
تجلو كروب النفس بالتنفيس
وأوانه لا عطر بعد عروس
قال : وأنشدني أيضاً له^٧ :

اشرب فعهد الشباب مُغتَنَم
وعاطنيتها بكف ذي غيد
كانها صارم الأمير وقد
واحد بتدكاره الكؤوس فما
وفرصة في فواتها ندّم
الحاظه في النفوس تحتم
خضب حديثه من عداه دم
يلد نقلاً سوى ثناه فم

وقال أيضاً :

-
- ١ س : إذ لست أنت معي .
 - ٢ س : بالشرك .
 - ٣ س : يبيض .
 - ٤ س : هذه القطعة .
 - ٥ ط : وأنشد له أبو عامر بن مسلمة في كتابه قال أنشدني .
 - ٦ الفوات ٢ : ١٥٠ والمساك ١١ : ٣٩٨ .
 - ٧ انظر الفوات والمساك .

وليلةٍ للسرورِ كان لها
قصيرةٌ أقصرَ الغرامِ بها
ناولني الكاسَ بدرها بيد
يعلّني ريقَةَ الحياةِ فَمَّ
وقال أيضاً :

سقى اللهُ أيامي بقرطبةِ المنى
وكم مَزَجَتْ لي الرَّاحُ بالريقِ من يدي
أوان عذاري لم يَرُعْ بمشييه
تعلّني فيه الأمانِي بوعدها
سَلَّ العَنَمَ البادي من السجف دانفاً
وقال أيضاً ٤ :

فهل ترى أحسنَ من أكؤسٍ
يقولُ للسّاقِي : أغثني بها
أغرِقَ فيها الهمُّ لكنّ طفا
كأنما شيبها شاربٌ
يقبلُ الثغرُ عليها اليدا ٥ ؟
وخَذَ لُجَيْنًا وأعدَّ عسجدا
حَبَابُهَا من فوقها مُزْبِدا
أَمْسَكَهَا في كَفِّهِ سَرْمدا

١ ط : الحسن ساقٍ بحسنٍ خلخال .

٢ س : طريف .

٣ كري المنتشي من : هذه قراءة تقديرية .

٤ الفوات : ١٥٠ والمساك .

٥ هنا تنتهي النسخة س ، والحرم ما يزال مستمراً في ب ؛ ولهذا يصح أكثر الاعتماد على ط م ، وستعامل م على أنها أوسع نصاً من ط ، وثبتت قراءاتها دون إشارة إلى ما نزيد به عن ط .

٦ في ط م : اغتبق لي ، والتصويب عن الفوات .

وهذا البيت أراه اخترع معناه ^١ .

وله من أخرى في القاسم بن حمود:

ما ضَبَعَ الله مُلْكًا أَنْتَ رَاحِيهِ
لَهُ دَرْكٌ مِنْ مَوْلَى عَوَارِفِهِ
تَهْدِيهِ وَالنَّاسُ قَدْ ضَلُّوا كَوَاكِبُ مِنْ
مُكْثَلًا بِرِضَاهُ هَمَّةٌ أَنْفًا
كَانَتْ خِلَافَتُنَا فِي الْغَرْبِ مَظْلَمَةٌ
سِيَاسَةٌ أَبْرَأَتْ بِالرَّقْ فِي مَهْلٍ
وَحِكْمَةٌ خَضَعَتْ هَامُ الْمُلُوكِ لَهَا
مُؤَيَّدٌ جَاءَتْ الدُّنْيَا إِلَى يَدِهِ
جَلَّتْ أَيَادِيهِ حَتَّى إِنْ أَنْفُسَنَا

وقال يتنزل من قصيدة :

مُتَجَبِّرٌ لَا يَطْبِيئُهُ بِالرَّضَى
دَارَتْ دَوَائِرُ صُدُغِهِ فَكَأَنَّمَا
رَشَاءٌ تَوَحَّشَ مِنْ مُلَاقَاةِ الْوَرَى
فَلِذَاكَ صَارَ خِيَالُهُ لِي زَائِرًا
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَرُمْتُ حَرَامَهُ
وَحَبَبْتُ حُبَّ الْأَكَارِمِ رَغْبَةً

١ نسخة التيمورية : « من معانيه المخترعة وألفاظه المبتدعة » .

٢ ط : تحليل .

وهذا ينظر إلى قول المتنبي ^١ :

وأعبدَ يهوى نفسه كلُّ عاقلٍ عفيفٍ ويهوى جسمه كلُّ فاسقٍ

وقال عبادة في الحاجب ابن أبي عامر ^٢ :

لنا حاجبٌ حاز المعالي بأسرها فأصبح في أخلاقه واحدَ الخلقِ
فلا يفتَرُّ منه الجهولُ ببشره فمعظمُ هولِ الرعدِ في أثرِ البرقِ

قال عبادة : أوّل شعري قلته أني وقفتُ على هدّاف الرّمي بعدوّة النّهر
بقرطبة ، وثمّ غلمانٌ من أبناء العبيد ينتضلون ، فقلت :

وما راعني إلّا سهامٌ رواشقٌ إلى هدّافٍ ينحوه كلُّ يدَيّ ظلمي
أقاموه كي يرموا إليه فلم يكن لهم غرضٌ حاشا فؤادي في الرّمي

وهو القائل في ميمون بن الغانية وكان وسيماً :

قمرَ المدينة كيف منك خلاصٌ أو أين عنك إلى سواك مناصٌ ؟
ما أنت إلّا دُرّةُ الحُسْنِ التي قلبي عليها في الهوى غوّاصٌ
والشادنُ الأحوى الذي في طَرَفه سحرٌ يُصادُ بسهمه القناصُ
أمن جفونك من مَغَبّةٍ ما جَنّت فينا فليس على الملاح قصاصُ

وقال عبادة من قصيدة يمدح ابن حمود :

أبسلُ عليك الماءُ حتّى يشوبه دَمٌ والكرى حتّى تُقَصّ المضاجعُ

١ ديوان المتنبي : ٢٨٦ .

٢ البيتان في المسالك ١١ : ٣٩٨ .

أَجِمَّ جِياداً أَدَمَنَ الغَزْوُ نَهْكَهَا
وَأَغْمَدُ سِوفاً تَشْتَكِيكَ جَفُونُهَا
وَسَكَنَ عِجَاجَ الرَّكْضِ شَيْئاً قَلَّنا
وَأَنَسَ قُصُوراً طَالَ إِحْماشُها بِهِ
وَهَلْ ضَرَّكَ البَاغِي بِسَهْمٍ مَكْبِيَّةٍ
وَأَيُّ يَدٍ تَنوِي قِراعَكَ بَعْدَما
فَمِنْها حَسِيرٌ فِي الجِهادِ وظالِعٌ
كَمَا تَشْتَكِي نُجْلَ العِيونِ البِراقِ
يُرى الجَوْماً مِمَّا هَجَتْهُ وَهُوَ ناصِعٌ
فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِمَّا صَنَعَتِ المِصانِعُ
وَأَنْتَ بَوَاقِي عَصْمَةِ اللَّهِ دارِعُ ؟
رَأَيْنا يَدَ الجَبَّارِ عَنكَ تَقارِعُ ؟

وهذه المعاني كلها مُتداولة ، وألفاظها مُتناقضة ، وإن كان قد تشبَّثَ
بها معانٍ آخر ، فهي أشهرٌ من أن تُذكر ، منها قول المتنبي ^١ :

فَقَدْ مَلَّ ضَبَّوُ الصَّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ
وَمَلَّ القَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُلُورُهُ
وَمَلَّ سِوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهُ
وَمَلَّ حَدِيدُ الهِنْدِ مِمَّا تُلاطِمُهُ
وقال عُبادة فيه من أخرى :

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَسُولِهِ
وَوَلَّيَهُ الْمُخْتَصَّ بِعَدِّ خَلِيلِهِ
ومنها :

وَلَهُ مِنَ السَّعْدِ المَتَّاحِ مُبْعَدَلٌ^٢
يُغْنِي أَخَا^٣ التَّنْجِيمِ عَنِ تَعْدِيلِهِ
وهذا كقول المتنبي ^٣ :

يُقَرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ^٤
وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُسْجَمُ^٥

١ ديوان المتنبي : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

٢ ط : آخر .

٣ ديوان المتنبي : ٢٩٢ .

وأبينُ منه قولُ ابنِ شَرَفٍ ١ :

ونُجُومُ آمالي طوالعُ بالني والسَّعدُ يستغني عن التقويمِ
وفيها يقول عبادة :

كم يَبْعثُ الباغون رُسُلَهُمْ إلى من كَتَبَهُ من زُرْقِهِ ونُصُولِهِ
وزَعَّ الإلهُ بِبأسِهِ وعقابه ما لم يَزَعْ بالتَصَرُّ من تَتَزِيلِهِ
هذا عليّ ناصرُ الدينِ الذي نُظِمَتْ لَهُ غُرُرُ السَّنَا بِمَجْجُولِهِ

وهذا البيت الثالث منها كقول المتنبي ٢ :

ولا كُتِبَ إِلَّا المَشْرِفَةُ عنده ولا رُسُلُ إِلَّا الخَمِيسُ العَرَمَرَمُ
وكرَّره في موضع آخر فقال ٣ :

ورُبَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعنوانه للناظرينَ قَتَامُ
حُرُوفُ هِجَاءِ الناسِ فيه ثلاثة: جَوَادٌ ورمحٌ ذَابِلٌ وحِسامٌ
وقال المعري ٤ :

ولا قولَ إِلَّا الضَّرْبُ والطعنُ عندنا ولا رُسُلَ إِلَّا ذَابِلٌ وحِسامُ

ومعنى البيت الرابع منها نَظَّمَهُ من قول الحسن بن أبي الحسن البصري :
« يَزَعُ اللهُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ » .

١ النتنف : ١١٢ .

٢ ديوان المتنبي : ٢٩١ .

٣ ديوان المتنبي : ٣٨١ .

٤ شروح السقط : ٦١٢ .

وكان عبادة يُظهر التشيع في شعره ، من ذلك قوله في يحيى بن حمود :

فها أنا ذا يا ابنَ التُّبُوَّةِ نافثٌ من القول أزيًا غيرَ ما ينفثُ الصِّلُ
وعندي صريحٌ في ولائِكَ مُعْرِقٌ تشيعُهُ مَحْضٌ وبِيعَتُهُ بَتْلُ
ووالى أبي قيسٍ أباك على العُلا فخيّم في قلبِ ابنِ هندٍ له غل

وله من أخرى في علي بن حمود الحسني^١ :

أطاعتك القلوبُ ومن عصي^٢ وحزبُ الله حزبُكَ يا عليُّ
فكلُّ من ادّعى معك المعالي كدوبٌ مثلَ ما كذب الدّعيُّ
أبى لك أن تُهاضَ عَلاكَ عهدٌ هشاميُّ وجدُّ هاشميُّ
وما سميتَ باسمِ أبيك إلا ليَحْيَا بالسّميّ له السّميُّ
فلان قال الفَخورُ أبي فلانٌ فحبُّكَ أن تقولَ أبي النّبيِّ

قوله : « عهدٌ هشامي » قد تقدّمت الإشارة به ، والوجه الذي قاله
بسيه ، في أخبار الخليفة سليمان ، المفتَح باسمه هذا الديوان^٣ .

وله من أخرى يرثيه ويهنيء أخاه القاسمَ بالخلافة :

صلى على الملكِ الشهيدِ مَلِكُهُ وسقاه في ظلِّ الجنانِ الكوثرُ
مولى دَهْتَهُ عبيدُهُ ، وَغَضَنْفَرُ تركته أيدي العُفْرِ وهو مُعْفَرُ
كانت تَهَيَّبُهُ الأسودُ فغاله في قصره مُستضعَفٌ مُستحقَرُ
لم يثنِ عزُّ المُلْكِ عنه منونه فسمتَ له من حيثُ لم يكُ يحذرُ

١ منها أربعة أبيات في المالك ١١ : ٣٩٨ .

٢ المالك : ولا عصي . ٣ انظر ما تقدم من : ٤٣ .

خَتَلَتْهُ سِرّاً وَالْقَبَائِلُ دُرْعُ نَحْمِيهِ لَكِنْ الْمَنَابِا جُمُرُ
وَلَوْ أَنَّهَا رَامَتْهُ جَهْرًا لَانْتَثَ وَالْبَيْضُ تُفَرِّعُ وَالْقَنَا يَتَكَسَّرُ

ثم خرج إلى المدح فقال :

مَا غَابَ بِدَرُ التَّمِ إِلَّا رِيثَمَا جَلَّتِي الدَّجَى عَنَّا الصَّبَاحُ الْأَزْهَرُ
إِنْ يَهْوِ مِنْ أَفْتَى الْخِلَافَةِ نَيْرُ يَهْدِي السَّبِيلَ فَقَدْ تَلَاهُ نَيْرُ
بِالْقَاسِمِ الْمَأْمُونِ أَفْرَحَ رَوْعَنَا فَالْقَسَمُ وَافٍ وَالنَّصِيبُ مَوْفَرُ

قوله : « خَتَلَتْهُ سِرّاً » البيت مع الذي يليه ، معنى " قد طوي ونشر ،
< > كُسِفَ رُؤَاؤُهُ مِمَّا ابْتَدَلَ ، وَأَسْنَى مَاؤُهُ مِمَّا عُلِّ بِهِ وَنُهْلُ ،
ومنه قول المهلهي ' يرثي جعفرًا المتوكل :

جَاءَتْ مَنِيتُهُ وَالْعَيْنُ هَادِئَةٌ هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَابِا وَالْقَنَا قَصِدُ
فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُنْجَدِلًا لَمْ يَحْمِهِ مَلِكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ
ومنه قول الأسدي أيضاً يرثيه ، وألم بهذا المعنى فيه :

هَكَذَا فَلْتَكُنْ مَنَابِا الْكَرَامِ بَيْنَ نَائِي وَمَزْهَرِ مُسْلِمِ
بَيْنَ كَاسِبِينَ أَرْدِيَاهُ جَمِيعًا كَأْسُ لَذَائِهِ وَكَأْسُ الْحَمَامِ
لَمْ يُزَلْ نَفْسَهُ رَسُولُ الْمَنَابِا بِصُنُوفِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ
هَابِهِ مُعْلَنًا فَدَبَّ إِلَيْهِ فِي كَسُورِ الدَّجَى بِحَدِّ الْحَمَامِ

وأخذ هذا المعنى عبدُ الكريم التميمي فقال يرثي صاحبَ خراجِ
المغرب ، وكان تناول دواءً فمات بسببه :

١ هو يزيد بن محمد المهلهي ، انظر مروج الذهب ٧ : ٢٨٠ والسيوطي : ٢٧٨ .

سَنَايَا سَدَدَتِ الطُّرُقَ عَنْهَا وَلَمْ تَدْعُ لَهَا مِنْ ثَنَايَا شَاقٍ مُتَطَلِّعَا
فَلَمَّا رَأَتْ سَوْرَ الْمَهَابَةِ دُونَهَا عَلَيْكَ وَلَمَّا لَمْ تَجِدْ لَكَ مَطْعَمًا
تَرَقَّتْ بِأَسْبَابِ لَطَافٍ وَلَمْ تَكْدُ تُوَاجِهُ مُوَفَّورَ الْجَلَالَةِ أَرْوَعًا
فَجَاءَتْكَ فِي سِرِّ الدَّوَامِ خَفِيَّةٌ عَلَى حِينٍ لَمْ تَحْذَرْ لِدَاءِ تَوَقُّعَا

وقد أخذ أيضاً هذا المعنى بعض أهل وقتنا وهو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، فقال من قصيدة يرى بها الوزير أبا المطرف ابن الدبّاغ الكاتب^١ :

ثَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ مَكَامِنِهَا سِرًّا عَلَى غَفْلَةِ الْحُرَاسِ وَالسَّمْرِ
أُولَى لَهْنٍ وَأُولَى لَوْ هَمَّ مَنْ بِهِ وَالْمَنْعِ ذَوْرَاحَةٍ وَالِدَفْعِ ذُو حَلَرِ

في أبيات غير هذه هي ثابتة في موضعها من هذا المجموع .

وقه در صريع الغواني فإنه أخذ عليهم ثنايا البديع في هذا المعنى ، وإد كان بينهم بُعد كما ترى ، حيث يقول^٢ :

أَلَمْ تَعْجَبْ لَهُ أَنْ الْمَنَايَا فَتَكُنَّ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودُ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ^٣ :

تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

١ ترجمته في القسم الثالث : ٢٥١ .

٢ ديوان مسلم بن الوليد : ١٤٩ .

٣ ديوان المتنبي : ٢٧٠ .

ذكر الخبر عن ولاية القاسم بن حمود قرطبة إلى انتضاء الأمر بانقطاع دولته وتغلب القاضي ابن عبّاد عليها^١

قال ابن حيّان : بوع القاسمُ بن حمود بقرطبة صبيحة يوم الأحد ،
بعد ستّ ليالٍ من مقتل أخيه عليّ بها ، وأحسنَ تكفّي الناسِ وأجملَ
مواعيدهم ، وأخرج النداءَ في أقطار البلاد بأمان الأحمر والأسود وتخلية
الناس لشأنهم ، وبراعة الذمة ممّن تسوّر على أحد . وقرّرَ الفتية الثلاثة^٢
التي فتكت بأخيه فأقروا بجرمهم ، ونفّوا عن جميع الناس المواطاة^٣
والتدليس ، فقتلهم القاسم لوقتته ، وأطفأ النائرة بولايته . وتنسّم الناس
روحَ الرقّي ، وباشروا ظُلَّ الأمن ، وأطمأنت بهم الدّار . وأمرَ
بإسقاط رسم التقرية^٣ ، وأظهر البراءة منها ، وأقصى السّعاة وطردهم ،
وأقرّ القاضي والحكّام والخدّمة على منازلهم . وزاد ككفّ القاسم في
اتخاذ السودان ، وقوّدهم على أعماله ، إلى أن ضعف أمره ، وتسكّط
البرابرة عليه حتى احتقروه . فكاتبَ مُنذرَ بن يحيى في السرّ يشّنه شأنهم ،
ويستنهضه لتقويمهم ، فلم يكن فيه فضلٌ لذلك . وكان يحيى ابنُ أخيه عليّ^٤
بالعدوة ، وأخوه إدريسُ بمالقة ، فلما قُتل أبوهما عليّ اتفقا لأوّل
وقتهما على ضبط مالقة وشدّ سلطانها ، إلّا أنّهما أظهرتا مُبايعة عمّهما
القاسم ، إلى أن انكشف له يحيى من أوّل سنة عشر وأربعمائة ، وانتقل إلى مالقة
وجعل أخاه بالعدوة ليقربَ هو من أذى عمّه القاسم ، فحلّ بالأندلس

١ قارن بالبيان المغرب ٣ : ١٢٤ - ١٣١ وخاصة ص : ١٣٠ ؛ والنص في ط موجز ،
ولهذا تم اعتماد كثير من زيادات م .
٢ ط : المواطات .
٣ البيان : التقوية .

لأول وقت جواز يحيى شواظاً من نار ، وأضرمها سعيراً ، واستخفَّ بعمته ، وضمَّ^١ الرجالَ وسعى لتبديدِ شَمَلِ عمته . وشكَّ القاسمُ أمره إلى البرابرة فتناقلوا عنه^٢ ، وأحبُّوا التضرُّبَ بينهما . ولم يزل أمرُ يحيى يقوى ، وأمرُ القاسمِ يضعُفُ ، فلم يجد مخرجاً مما وقع فيه إلا الحرب من دار الخلافة والانتقال إلى عمله باشييلية ؛ وكان يكثر الندم على ما دخل فيه من سلطانهم إلى أن عيل صبره ، ففرَّ^٣ من قُرطُبة إلى عمِّله بإشييلية في خمسة فوارس من خاصته ، وذلك ليلة السبت لثمان خلتْ لربيع الآخر سنة اثني عشرة وأربعمائة ، اتخذ الليلَ جَمَلاً ولم يُعلمْ بخبره إلا عند الصباح . فقبضَ البربرُ قَصْرَ قُرطُبة إلى أن لحق يحيى ابن أخيه بعد خطوب ، فبُوعَ يحيى في التاريخ ، واجتمع عليه الفريقان : الأندلس والبرابرة من أهل قرطبة وأعمالها خاصَّة . وكانت أمُّ يحيى لبونة بنت محمد بن الأمير حسن ابن القاسم الملقب بقنون ، فعُرِفَ يحيى بكرمِ الولادة لما جاء هاشميَّ الأَبَوَيْنِ^٤ ، رابعَ أربعة من أبناءِ القُرَشِيَّاتِ من خلافتِ الإسلام : أولُهم جدُّه الأكبر عليُّ بن أبي طالب ، وابنه الحسن بن عليٍّ ، ثم الأمين محمد بن هارون . فعُرِفَ يحيى بهذه الفضيلة ، وسلك سبيلَ والده في التحقُّق بالفروسية والحبُّ لركنِ الخيل والخروج للقنص ، وتكبَّ ما سوى ذلك من مذموم أخلاقٍ أبيه ومكروه سيرته ، فجانبَ العصية وأثر التصفَّة وطلب السلامة ، فطاب خبره . إلا أن العُجْبَ والكِبَر شانا نخصاله هذه ، إلى أن خلط وتبلَّد . وتمرَّستُ به عفايتُ

١ م : واستقم .

٢ م : عليه .

٣ ط : وأمر القاسم يصف إلى أن فر .

٤ م : الطرفين .

زَقَاتَه ، فضيقتُ عليه في التكاليف ، حتى أقصّر بعدما قصّر ، وتولى دون أن يُعذر ، وركب ما عاب مثله على عمه ، فصارت عاقبة أمره خُسراً^١.

وأقر يحيى أصحاب الخطط على مراتبهم ؛ وحسن رأيه في أحمد^٢ بن برد وعول عليه في كتابته ، واستخلص من الاندلسيين صحبه : جعفر^٣ ابن محمد بن فتح والفقبة الأديب أبا عمر بن موسى بن محمد اليماني الوراق صاحب محمد بن عبدالله النبھاني ، وولاه خُطّة الوزارة فكانت الجبال تنهدُ لهذه العظيمة ، وجَمَحَ مركبُها به^٤ ، وأبدع في الكبر والخُنزُرانة . وقدم أيضاً إلى الوزارة محمد بن الفرّضي الكاتب ، فكان أَعْدَى من الجَرَب على دولته ، وارتقبَ عقلاءُ الناس عند ذلك^٥ حُلُولَ المحنة ، فقدم^٦ استعازوا بالله من وزارة السفلة . ووصل جعفر بن فتح صاحبه الأقدم إبراهيم بن الإفليّليّ كبير الأدباء بقُرْطبة بالخليفة يحيى^٧ ، ورغبه في الإحسان إليه ، فذاكره وحدّثه وثوّ به . وسما في أيامه أبو بكر بن ذكوان وأبو العباس أحمد بن أبي حاتم^٨ أخوه ، وأنتَهضَهما إلى الوزارة عَقَبَ وفاة الشيخ أبي العباس ابنِ ذكوان . وغرّب شأوُ أبي بكرٍ منهم ، فجاء أحوذياً نسيجَ وحده في فضله وعلمه وعفته . وعدلَ بُرُوعُ الظُرفِ بابن عمّه أبي العباس إلى الاشتهار بالمجون ، فجاء فيه طرفاً ليست وراءه غاية ، يَصُورُ القلوبَ برقة ظُرفه وحرارة

١ هنا ينتهي الحرم في النسخة ب .

٢ ط : تبدأ هذه الفقرة بقوله « وكتب له أحمد . . . الخ » .

٣ ط : وقرب جعفر . . الخ . ١٠٤ م : بهذا الوضع .

٥ ط : أهل الب . ٦ ط : فقدم .

٧ ط : إلى الخليفة . ٨ تقدم التعريف بهما .

نادرته ، لا يكادُ أحدٌ يُمْكِنُه من أذنه إلا أخذ بفؤاده رِقَةً وحَلَاوةً ،
ويشوبها ببعض الهَزَل عند انبعاثِ النَّادِرَةِ ، له في ذلك أخبارٌ مشهورة ، من
أشهرها ما تَفَاكَهَ الناس به في تلك الدولة من قطعة له مُجَوْنِيَّةٌ ،
نَبَسَ بها بديهةً في بعض خَلَوَاتِه ، وقد أَكثَرُوا عليه هَيْئَةً بِالْوِزَارَةِ فقال :

أنا مشغولٌ بعزفي ^١ وبغزني للحجَّارة
إنما يصلحُ مثلي أن يرى راكباً جارة
أو يرى في جوف خانٍ لابساً نصفَ غرارة
قد نضاً عني ثيابي حشَى الكأسِ المُدارَةِ

ومَلَحَّه في الأدب غزيرةٌ شاهدةٌ له بقُوَّةِ الطَّبْعِ وخِفَّةِ الروحِ .
ثم لم يُبْعَدْ أن أقصرَ بعدُ عن الهَزَلِ على حين الذِّكَا ، فاعتدلت حاله ،
وهبَّتْ له ريحٌ بعدَ حينٍ ^٢ ، أحظته ^٣ عن العُلْيَةِ من نَمَطِه .

قال ابن حبان ^٤ : ثم فر يحيى بن علي أيضاً عن قرطبة إلى مالقة أُمَام

١ ط : يعزفي . ٢ م ب : أحظته .

٣ ورد الخبر شديد الإيجاز في ط ، ولذلك أثبت رواية م ب في المتن ، وهذه رواية
بط : ثم فر يحيى بن علي عن قرطبة أيضاً ، ويحيى يعمه القاسم بن حمود ، وصرف إلى الخلافة
بها كرة ثانية ، فانبعثت من ذلك فتنة عاثت في الناس معاشها ، فجلس القاسم على سرير
الملك بقصر قرطبة كرة أخرى في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة فبان الاختلال ، إلى أن اتفق
الناس على خلعهم في جمادى من العام الداخل ، فارتفعت بزواله عن قرطبة دولة آل حمود بعد
وقعة البرابرة على أهلها بالمرج باد فيها جماعة منهم . ثم انصرفت الكرة على البرابرة فقتلوا
قتلاً ذريعاً ، وارتحلوا عن قرطبة ، وجاء القاسم مقلولاً إلى إشبيلية ، وكان خلف بها ولده
محمد بن القاسم ، فوثب أهل إشبيلية عليه ، وجاء القاسم بعد والناس يقاتلون ابنه بالقصر ،
فرضي القاسم منهم بإسلامه مع من معه ، فماقدوه على ذلك . وخرج ابنه وأمله ، ورحل بهم
إلى شريش . وملك إشبيلية القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد ، فعارب يحيى عمه القاسم
بشريش ، وحاصره إلى أن حمله مقيداً أسيراً إلى مالقة في شهر طويل .

البرابرة ، وجيء بهمه القاسم بن حمود إلى قرطبة كرتة الأخرى التي أعقب ابن أخيه يحيى بن علي ، في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، فتكتف سريره أغمارُ الناس من البرابرة ، وخرجوا لقتالهم سنة أربع عشرة على نظام مسرود ، فانهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً ، فارتحلوا عن قرطبة وحلوا بقلشانة وشدونة وغيرها من الكور . وانتبذت من الهزيمة طائفة من صعاليك القبائل وألفاف البطون ، والتفوا بالقاسم يرجون به كربة الدولة ، فدعوه إلى الرجوع إلى إشبيلية ، وكان خلف بها ولده محمد بن القاسم مع وزيره محمد بن خالص ، فسار بجماعته تلك يؤمها ، وإذا بنجر هزيمته قد سبقه إليها ، فخاف أهلها معرفة من معه ، فوثبوا على ولده وأصحابه وحصروهم بدار الإمارة ، وأحاطوا به ، ووقع بينهم قتال شديد . فوافى القاسم باب إشبيلية بمن معه ، ولاطفهم في القول ، وطمع < في > خديعتهم فلم يصغوا إليه ، واشتد الأمر على ولده ورجاله ، فرضي القاسم من أهل البلد بإسلامهم جميعاً إليه موفورين بماله وأهله ، فعاقده على ذلك ، فخرج ابنه وولده محمد وأهله ، ودخل بهم إلى شريش . ولم يدع مع ذلك السعي في الفتنة على ابن أخيه يحيى صاحب الدولة . وكانت آفة القاسم بإشبيلية من قبل ثقته محمد ابن زيري بن . دوناس اليفرنّي ، فقدم زعيمهم القاضي محمد بن إسماعيل ابن عباد ، وأطمعه في إمارة البلد بعد دفع القاسم عنه ، فاعتر بقول ابن عباد وعاقده على ذلك ، فأعان أهل إشبيلية على قتال محمد بن القاسم ، فلم يك لأصحابه بعدُ نظام ، وخرجوا عن البلد ، وملكه أهله . فوثبهم ابن عباد زعيمهم بالغادر محمد بن زيري ، فخرج وصفت إشبيلية من البرابرة . وآلت حالُ القاسم بعدُ مع ابن أخيه يحيى إلى أن حاربه بشريش ، وحاصره عشرين يوماً ، كانت بينهم فيها حروب صعب ، قتل الله فيها من الفريقين أمة . وأجلت الحرب عن قهر يحيى لعنه القاسم ، وحمله مقيداً إلى مالقة أسيراً ، وقبض على حرته « أميرة » القرشية وسائر حرمه وولده وأسبابه ، بعد نهب

وامتهان لجماعتهم ، لم يقدر يحيى على تخليصهم منه لتلظي الحرب . وكان يحيى أولاً في حلف مع محمد ولد عمه القاسم ، فدله على إشبيلية حارس لابن عباد ، فلما انجلت الحرب وقع يحيى على نكث لعمه القاسم ، فقبض على ابنه محمد وقيده وبعث به إلى قصبة مالقة ، وحينئذ صمد إلى شريش لعمه فبلغ فيه ما وصفناه .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأصغر ، وإيراد جملة من نظمته ونثره ، مع ما يتصل من قصة وخبر بذكره^١

قال ابن بسام : كان أبو حفص ابن برد الأصغر في وقته فللك البلاغة الدائر ، ومشكلها السائر ، نقت فيها بسحره ، وأقام من أودها بتناصح نظمته وبارع نثره ، وله إليها طروق ، وفي عروقها الصالحات عروق ، إذ كان جدّه أبو حفص الأكبر - على ما تقدّم ذكره - واسطة السلك ، وقُطِبَ رَحَى المُلْك ، بالحضرة العُظمى قُرطبة ، وقد تقدم من أخباره الماثورة ورسائله المشهورة في أخبار سليمان ، وغيره من ملوك بني أبي عامر وبني مروان ، أول ما يشهد أن آل برد جمهور كتابة ، ومحور خطابة ، وقد فخر أبو حفص هذا بذلك في كتابه الموسوم بـ « سرّ الأدب وسبك الذهب » من أرجوزة يقول فيها :

١ ترجمة ابن برد الأصغر في الجذوة : ١٠٧ (البغية رقم : ٣٥٤) والمغرب ١ : ٨٦ والمطح : ٢٤ ومعجم الأدباء ٢ : ١٠٦ والمسالك ٨ : ٢١١ ونفح الطيب ٣ : ٥٤٥ (عن المطح) وصفحات أخرى .

يا طالب الدنيا بأقصى الجهد
 من شاءَ خبري فأنا ابنُ بُردٍ
 لا سَعَّ يَجِدُ منك لا يَكْدُ
 وأرفعُ الناسِ بناءَ جدِّي
 ونقدَ الكلامِ حقَّ النقدِ
 به استضاءَ في الخطوبِ الربْدُ
 كَلُّ إمامٍ وولِي عهدٍ
 حدُّ حُسامي قطعَةٌ من حدي
 من نظمِ الألفاظِ نظمَ العقدِ
 وكفَّ بالأقلامِ أيدي الأسدِ

فصول مقتضبة من كتابه المذكور

قال في صدره : أما بعد ، فإنَّ الله تعالى — وله الحمد — جمعنا
 أهلَ بَيْتِ أَشْرَبَ حُبِّ مِصْنَاعَةِ الكلامِ نفوسَهُم ، وشغلَ بطلبِ
 البيانِ والتبيينِ قلوبَهُم ، ففدانا بالبحثِ عن الأصولِ ، على حسبِ ما
 وهب الله تعالى لنا من المعرفةِ ، وسهَّلَ علينا من الحُزُونَةِ ، حتى
 عرفنا المقسومَ لنا منها فتفقهنا ، وفهمنا المنعمَ به علينا فأحكمناه ، ثم
 انعطفتنا على الفروعِ فذهبنا مع فنونها ، واستكثرتنا من عيوبها . ثم إننا لما
 رأينا أنَّ الأصولَ قد اخترناها زَاكِيةً المُنَابِتِ طَيِّبَةِ المَغَارِسِ ، وأنَّ
 الفروعَ قد لويناها لِدَنَةِ الأفنانِ عَذْبَةَ <الجَنَى> ، تَرَامَتْ بنا آمالنا إلى أن
 نَجْتَنِي من زهرتها ونَطْطَعَمَ من ثمرتها ، فرأينا أن نمدَّ^١ يداً إلى غرسٍ قد أبرَّناه ،
 حتى بلغ إناؤه ، فنقطفَ من خياره ، ونَتَأَنَّقَ في اختياره .. وأصبحنا
 بعدُ نرْمِي أغراضَ الكلامِ بأسهمِ^٢ أزرَّها التسديدِ ، ونعقلُ^٣ مناظمَ القولِ
 بالسنِّ برىء منها التعقيدِ ، ونذيبُ^٤ من المشورِ جداولَ التَّطافِ ، ونُجمدُ

١ من أول الفصل لم يرد في ط ؛ وفي موضعه : « فرأينا أن نمد . . . » .

٢ ط : ونعقد .

٣ ب م : ونرتب .

منَ المنظرمِ جواهرَ الأصدافِ . وكان جدِّي أحمدُ بنُ بُردٍ - رحمه الله - بطولِ ممارسته لهذه الصناعة ، برحاء اللب والنهمة في الطلَب ، ودعة الزَّمان وإقبال السلطان ، ومسافة العمر^١ الممتدة له ، قد اقتنعت سنامها ، ورفع أعلامها ، وأصبح إمامها ، وزينَ أيامها ، وركبَ وسطَ مساقها ، وأحرزَ قصبَ سباقها .

وفي فصل منه :

فلانتي وافقتُ أولَ معالفتي لهذه الصناعة آخرَ أيامه ، وأوانَ بتاتِ عمره وانصرامه ، خلا أنه - عفا الله عنه - ولما يحلَّ المقدورُ به ، قد كان أقبسنِي مصابيح من وصاياه فيها ، ووطأ لي مراكب من دلائله^٢ إليها ، وضرب لي صوى من هداياته^٣ نحوها ، أفاد الله بها نفعا ، وأوسعَ معها لإرشاداً . ثم إنَّ الأيامَ إثرَ مُصابه ، وبعد ذهابه ، باكرتني صروفها ، وشغلتني برقعِ خروقتها . ومكابدة ضيقها ، وسوق الأدبِ قد كسدت ، وجمرةُ السلطان قد همدت ، والحيّ أمضى من البيان ، والإساءةُ أحمدُ^٤ من الإحسان ؛ وأقلامنا يومئذٍ في عُطلة ، ومخابرنا في عُقلة^٥ ، وكُتبتنا تحت موجدة ، وحينئذٍ قلْتُ :

قَرَعْنَا بِالْكِتَابَةِ بَابَ حَظٍّ لَنَدْخُلَهُ فَرَادَ لَنَا انْغِلَاقَا

١ ب م : ومناقبه الغر .

٢ ط : الابلّة .

٣ ط : طوا . من مداد اية .

٤ ب م : أدهى .

٥ ب م : غفلة .

فلم تَبْلُغْ بلاغتنا منها ١ ولا مَدَّ المدادُ لنا ارتفاعاً
ولا رَاحَتُ تَقَرُّطسُ بالأمانِ قراطيسُ أجَدُّناها مَماقاً
وقَلَّمتِ المطالبُ من حَدِّها لنا أَقلامنا ساقاً فِساقاً
فلا هَظَلتْ على الآدابِ مُزْنُ ولا بَرَحَتْ أَهْلَتُها عَماقاً
وَعَوَّضنا بما نَدريه جهلاً لعلَّ السَّوقَ مُدْرَكَةً نَفَاقاً

فما زلنا مع الخطوبِ مُساجلين ، ولصروفِ الأيامِ مناضلين ، فيومٌ
لنا ويومٌ علينا ٢ . حتى إذا أراد الله أن يحمي لهذه الصناعةِ رَسْماً ،
ويُعِيدَ لها دَوْلَةً واسماً ، ويرَفِّعَ سائرَ العلومِ منَ التَّخويمِ إلى النجومِ ،
وفُتُونِ الآدابِ ٣ منَ التُّرابِ إلى السَّحابِ ، طَرَفَ جَفَنُ السَّعْدِ الباهتِ ،
وارتد نفسُ الجدلِ الخافتِ ، ولقيَ عَشْرَةَ العلمِ مُقِيلُها ، ودولةَ الجهلِ
مُذِيلُها . ونَحْنَوَةَ الباطلِ مُزِيلُها ، ورسومَ الغباوةِ مُجِيلُها ، وقَداحَ
البلاغةِ مُجِيلُها ؛ ورَفَعَتْ لي سُجُوفُ الأمانِ ، عَنِ المَلِكِ اليمانيِّ ،
غُرَّةَ كَنْدَةٍ التي تَضَحِكُ عنها ، وهَضْبَةَ نُجُيبَ التي تَأوي إليها ،
أبي الأَحْوصِ مَعْنِ بنِ مُحَمَّدٍ ، أَيْدَهُ اللهُ كما أَيْدَ الحَقِّ ، وَصَدَقَهُ
وَعَدَهُ كما أَحيا الصَّدَقَ ، فوصلتُ به سَبِيبي ، ولويتُ بِقُوَى أَطْنايهِ
طَنْسُبي ، ورأيتُ به للحلمِ جِبالاً موطوداً ، وللديانةِ ظِلالاً ممدوداً ،
وللتقوى جِبالاً مشدوداً ، وللعلمِ بحراً طموحاً ، وللأدبِ ٤ روضاً مجوداً

١ ب : ثواء .

٢ فما زلنا . . . علينا : سقط من ط ؛ وموضعه : « وفي فصل منها » .

٣ ط : الأدب .

٤ ب م : ورسم .

• ب م : وللأدب .

مَرْوَحاً . ولم يزل - لا زلت به النعل - مُنْذُ اعْتَصَمْتُ بِحُرْمَتِهِ ١ ،
 وَاَعْتَزَيْتُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، يُقْبَلُ عَلَيَّ فِي مَجَالِسِهِ الْمَأْنُوسَةِ بِاللَّحْظِ
 وَاللَّقْظِ ، وَيُكْسِبُنِي بِمَنَازَعَةِ الْأَدَبِ شَرَفَ الْمَرْتَبَةِ وَالْحِظِ ، فَأَتَمَّرُنْ
 عَلَى تَقْوِيهِ وَتَقْوِيمِهِ ، وَأَتَضَمَّرُ عَنْ رِيَاضَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ، وَتَلْزُمُنِي
 هَيْئَةُ كِمَالِهِ ، وَرُوعَةُ جَلَالِهِ ، إِلَى شَحْدِ سَجَايَايَ ، وَجَمْعِ قُوَايَ ،
 وَاجْتِنَابِ الْخَطَلِ فِي لِيْوَانِهِ ، وَالزَّلْزَلِ فِي مِيدَانِهِ ، فَلَا تَرَى
 شَيْئاً أَشْبَهَ بِهِ فِي التَّفَضُّلِ ، وَبِي فِي التَّقَبُّلِ ، مِنْ قَوْلِ حَبِيبٍ ٢ :

نرمي بأشباحنا إلى ملكٍ نأخذُ من ماله ومن أدبِهِ

وَالْبَلَاغَةُ ٣ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ أَرْقَى مَا اسْتَرَقَّ ٤ ، وَاللُّطْفَ مَا
 غَرَفَ ٥ ، وَأَيَسَرَ مَا بِهِ حَاضِرٌ ٦ ، وَأَقْلَبَ مَا أَمَلٌ ٧ ، وَأَوْهَنَ مَا
 خَزَنَ ٨ ، وَأَدْنَى مَا اقْتَنَى ٩ ، فَلَهُ كَلَفٌ بَانْتِقَادِهَا شَدِيدٌ ، وَصَوْتُ فِي مَعْرِفَةِ
 نِقَادِهَا بَعِيدٌ . وَقَدْ خَلَصَ بِيَمِينِهِ الْعَالِيَةِ جَوْهَرَ الْكَلَامِ مِنْ أَخْبَائِهِ ،
 وَمُمَرَّ الْقَوْلِ مِنْ أَنْكَائِهِ ، فِي غَيْرِ مَا كِتَابٍ مُنْتَمٍ إِلَى الْبَلَاغَةِ ، مُعَلِّمٌ فِي
 الْكِتَابَةِ ، فَجَاءَ بِالصَّوَابِ حَاسِراً ، وَبَيَّنَ الْحَقِيقَةَ سَائِراً ، وَفِي هَذَا النَّدَى سَقَطَ
 الْعِشَاءُ بِمَنْ سَقَطَ عَلَى السَّرْحَانِ ، وَفِيهِ أَسَاءَ مَنْ أَحْسَنَ بِنَفْسِهِ الظَّنَّ
 فِي الْإِحْسَانِ ١٠ .

١ ب م : بمصته .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٢٧٦ .

٣ ط : عرف .

٤ ب م : ما حضر .

٥ ب م : الانسان ؛ والإشارة إلى قول أبي تمام :

ويشيء بالاحسان ظنا لا كمن هو بابه ويشعره مفتون

ومِنْ هذا الباب تَوَلَّجْتُ إِلَى صِنْعَةِ هذا الكتاب ليرى - أيده الله - كيف نَبَتَ كلامي على سَقْبِهِ ، ونما ما أودعَ تَرْبَةً قَبُولِي من غرسِهِ . فإِنِّي ضَمَمْتُهُ ، في فنونٍ من البلاغة وفصولٍ من الكتابة ، سلطانِيَّاتٍ وإخوانِيَّاتٍ . وكلُّ ما أوردتُهُ ممَّا وَلَدَتْهُ ، وما وضعتُهُ ممَّا صَنَعْتُهُ ، لم أَغْلَهُ لغيري ، ولا خُفْتُ فيه أمانةَ سِوَايَ ؛ إِلَّا أَنِّي طَرَزْتُه بِأَبْوَابٍ من يَبُوتِ الشَّعَرِ المحتويةِ على الحُكْمِ البِوَالِغِ ، والجاريةِ مَجَرَّى الأمثالِ السَّوَاهِرِ ، لشعراءَ مُجِيدِينَ ، وعلماءَ مُفِيدِينَ ، قد ركبوا مِنِّ المعاني أوطأَهَا مَرْكَبًا ، ووردوا لِيَلْفَافِ أَعْدَبَهَا مَشْرَبًا ، وَتَخَطَّوْا في نظمِهِم الحِشُونَةَ إِلَى اللَّدُونَةِ ، والتَّكَلُّفَ إِلَى التَّلَطُّفِ ، وخاضوا جِسْمَ الحِكْمِ إِلَى الأرواحِ ، وخرجوا بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ مِنَ الِاتِّبَاسِ إِلَى الإِضْصَاحِ ، لثَلَاثِ تَبَايِنَ طَبَقَةٍ مَثُورَةٍ طَبَقَةٍ مَنْظُومَةٍ ، ولا تَبْعُدُ مَرْتَبَةً جَامِدَةً مِنْ مَرْتَبَةٍ ذَائِبَةٍ ، وَلِيَأْتِيَ في ازدواجِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ ، وامْتِزَاجِ المَاءِ بِالعُقَارِ :

فصول له في التَّحْمِيدَاتِ^١

فصل : الحمدُ لله الذي علا وقهر^٢ ، وبطن وظهر ، وبَحَكَمَتِهِ قَدَّرَ وأمر ، وبَعَدَلِهِ قَدَّمَ وأخَّرَ .

فصل آخر : الحمد لله الذي علَّمَ القرآنَ ، خلقَ الإنسانَ عَلَمَهُ البَيَانَ ، المحجوبِ عَنِ الأبْصَارِ ، والفائِثِ إِحْاطَةَ الأفْكَارِ ، تعالى^٣ في

١ نقل ابن سميذ بعض هذه التَّحْمِيدَاتِ في المغرب .

٢ ب م : فقهر .

٣ ب م : توارى .

الحُجُبِ العَلا ، واطلَعَ على النجوى ، وعلمَ السِّرَّ وأخفى ، خلق
المخلوقَ للفناء ، ثمَّ يعيدهم للبقاء .

فصل : الحمد لله اللطيف الخبير ، العالم بذات الصدور ، الذي يَطْلُعُ على
الإصرار ، ويعلمُ خَفِيَ الأسرار ، ويتوفاكُم بالليل ويعلم ما جَرَحْتُمُ
بالنَّهار .

فصل : الحمد لله جالي الكرب السود ، وفاتحِ المبهَمِ المسدود ، الذي
أقال العَثَرَاتِ ، وأدال من الحَسَرَاتِ ، وانتاش من البَأساء ، وأعقب
بالنِّعماء ، وأراح من جَهْدِ البلاء .

فصل : الحمد لله واصلِ الخيلِ بعد انقطاعِهِ ، وملائمِ الشَّمْلِ^١
بعد انصداعِهِ ، المُصْبِحِ بنا من ليالي^٢ الخطوبِ ، والمأحيِ عنا غياهِبَ
الكروبِ ، والنَّاطِمِ لما انتثر من الألفَةِ ، والجامعِ لما انتشر من الكلمة .

فصل : الحمد لله الكائنِ قبل المكانِ ، والموجود في عَدَمِ الزمانِ ،
الحَيِّ الذي لا يدركهُ الموت ، والدَّائِمِ الذي لا يلحقه الفَوْتُ ، والقرَدِ
الذي ليس له نظير ، والصَّمدِ دون وَلَيٍّ ولا ظهير ، وارثِ الأرضِ ومن
قطنها ، والسماءِ ومن سكنها ، مُمِيتِ كلِّ حيٍّ وباعثِهِ ، ومحْيِي كلِّ
مَيِّتٍ ومُنشِرِهِ .

فصل : الحمد لله خالقِ العوالمِ^٣ على تنافرٍ^٤ في الصفاتِ شديداً ، وتباينِ

١ ب والمغرب : الشعب ؛ م : الشعب .

٢ ب م والمغرب : ليل .

٣ ب م : العالم . ٤ م : تغاير .

في التركيبات بعيد ، فمن صلصال كالفخار ، ومن مارج من نار ، ومن جواهر روحانية^١ وأنوار ، وكل عالم منها ناطق بأنه خالق ، وشاهد بأنه واحد .

فصل : الحمد لله وإن عثرت الحدود ، وهوت السعود ، المرجو للإدالة ، والمدعو في الإقالة ، والقادر على تعجيل الانتصار ، والآخر للإسلام بمنينم النار^٢ .

فصل^٣ : أما بعد ، فما أتيت البصائر من تعليل ، ولا الأعداد من تقليل ، ولا القلوب من خور ، ولا السواعد من قصر ، ولا السيوف من كهم ، ولا الرماح من جذم ، ولا الجياد من لؤم أعراق ، ولا الصفوف من سوء اتساق . ولكن النصر تعذر ، والوقت المقلدور حضر ، ولم يكن لتمضي سيف لم يرد الله مضاءها ، ولا لتبقى نفوس لم يرد الله بقاءها . وفي قوله تعالى أحسن التأمي وأجل التعزي (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ؛ وتلك الأيام نداولها بين الناس) (آل عمران : ١٣٩) .

فصل : الحمد لله مؤلف الآراء ، وجامع الأهواء ، على ما أعهد من

١ ب م : روحانيات .

٢ المغرب : بالنار ؛ في النسخ : النار .

٣ حق لفظة « فصل » ان تمقط ، لأن ما يجيء ليس تحميداً وإنما هو تال للتحديد ، وكذلك جاء في المغرب .

٤ ط : أوتيت .

٥ المغرب : لم يشأ .

سيفِ الفتنة ، وأطفأ^١ من نار الإحنة ، وأصلح الفاسد ، وألف^٢ الشارد ، ونشر الأمن ، وأحيا الحق ، وجمع الشمل ، ووصل الحبل ، ورجع الكلمة إلى أجمل نظام ، وأنعم على المسلمين أتم^٣ إنعام .

فصل : الحمد لله الذي صير أعداءنا في أعدادنا ، وأضدادنا من أعضادنا ، والسيوف المسلولة علينا مسلولة دوننا ، والجيوش المجهزة إلينا مجهزة عنا ، حمدنا من لا يستغرب له صنعا ، ولا يرى من آياته بدعا ، ولا يطيق لنعمه عدا ، ولا يحُدُّ لآلائه حدا .

وله فصول في شكر النعم^٤

فصل : إنَّ للنعم عيوناً إذا كُحِلْنَ بالشكر أرينَ المنعمَ عليه السبيل^٥ التي يأتي المزيدُ منها ، وتنحدرُ الموادُّ عليها ، والمناهجُ التي تُفْضي بها إلى دار إقامتها ، وتبلغها مأمناً ومُلْقَى عصاها .

فصل : أما بعد ، فإنَّ زهرَ النعمة إذا تفتح بوابل^٦ الشكر رأَتْ فيه قُرَّتْهَا العَيْنُ ، وأخذت منه^٧ حاجتَها النفسُ .

فصل : نعم حاضنُ النعمة الشكر ، يغذوها فتنمي ، ويحرسُها فتحتمي ،

١ المغرب : وأخمد .

٢ ب م : وعطف .

٣ اختار في المغرب بعض هذه الفصول .

٤ ب م : السبل .

٥ ب م : يفضي .

٦ ب م : غب وإبل .

٧ ب م : فيها . . . منها .

وَيُلَطِّفُهَا فَتُلْقِي عَصَاهَا ، وَيَعْطِفُهَا فَتُعْطِي جَنَاهَا . وَلِبْسُ الْخَارُ لَهَا الْكُفْرُ ،
يُطِيرُهَا عَنْ مَوْضِعِهَا ^١ ، وَيَنْفِرُهَا عَنْ مَشْرِعِهَا ، وَيَبْقَى صَاحِبُهَا مُبْلِساً ^٢
مِنْ إِبَاسِهَا ، وَحِشّاً مِنْ إِيْنَاسِهَا .

فصل : مِنْ رَبِّي النِّعْمَةُ فِي حَجَرِ الشُّكْرِ ، وَأَرْضُهَا تُنْذِي الْحَمْدَ ،
وَكَمَلَتْهَا بِأَدَاءِ الْحَقِّ ، رَأَى فِي شَخْصِهَا النَّمَاءَ ، وَتَعَرَّفَ مِنْ عُمْرِهَا
الْبَقَاءَ ، وَأَمِنَ عَلَيْهَا التَّحَوُّلَ وَالْإِلْتَوَاءَ .

فصل :

- الشُّكْرُ حَرَمٌ لِلْمَنَةِ ، وَأَمَانٌ بِيَدِ النِّعْمَةِ .
- إِذَا أَقْفَلَ بَابُ النِّعْمَةِ فَالشُّكْرُ مِفْتَاحُهَا ^٣ .
- الشُّكْرُ عُوْذَةٌ عَلَى الْعَارِفَةِ ، وَنَمِيمَةٌ فِي جِيدِ النِّعْمَةِ .
- مَنْ شَكَرَ النِّعْمَةَ التَّحَفَّ بِهَا ، وَمَنْ كَفَرَهَا عَرِيَ مِنْهَا .
- الْكُفْرُ غُرَابٌ يَنْعَبُ عَلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ .
- الشُّكْرُ بِيَدِ النِّعْمَةِ أَمَانٌ ، وَعَلَى وَجْهِ الْعَارِفَةِ صِيَوَانٌ .
- مَهْرُ النِّعْمَةِ الشُّكْرُ ، وَطَلَاقُهَا الْكُفْرُ .

فَقَرَّ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ وَالْمَدَادِ وَالْكِتَابِ

— الْكِتَابُ مِنْ حِلْيَةِ ^٤ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾

١ ب : يطير بها عن موقعها .

٢ ب م : سليماً .

٣ ط : مفتاحه .

٤ ب م : حل .

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار : ١١ و ١٢) .

- المدادُ كالبحر ، والقلمُ كالغَوَّاص ، واللفظُ كالجوهر ، والقرطاسُ كالسلك .
- الدِّوَاةُ كالقلب ، والقلمُ كالخاطر ، والصَّحِيفَةُ كاللِّسان .
- العقلُ أبٌ ، والعلمُ أمٌ ، والفكرُ ابنٌ ، والقلمُ خادِم .
- ما أعجبَ شأنَ القلمِ ، يَشْرَبُ ظِلْمَةً وَيَكْفِظُ نُورًا .
- قد يَكُونُ قلمُ الكاتبِ ، أمضى من سِنانِ المحاربِ .
- القلمُ سهمٌ تُنْفَذُ بهِ المقاتل ، وشِقْرَةٌ تُطَبَّقُ بها المفاصل .
- إذا أخذَ الكُتَّابُ شِكَّتَهُمُ للكلام ، واخترطوا ظُهْبَاتِ الأقلام ، فكم من عرشٍ يُثَلَّ ، ودمٍ يُطَلَّ ، وجبارٍ يُذَلَّ ، وجيشٍ يُقَلَّ .
- لولا القلمُ ما عُيِّتْ كُتَّابٌ ، ولا سُرِّيَتْ مَقَانِبٌ ، ولا انْتَضِيَتْ سيوفٌ ، ولا ازْدَكَّتْ صفوفٌ .
- على غيثِ القلمِ يَفْتَحُ زَهْرُ الكَلِمِ .
- ما أصبَحَ القلمُ لِحلي الحِكَمِ .
- قاتلَ اللهُ القلمُ ، كيف يَقْلُ السَّيْفُ ، وهو يُكْسِرُ بالأسنان .
- فسادُ القلمِ خَدَرٌ في أعضاء الخط .

قال ابن بسام . وهذا محلول من قول القائلِ حيثُ يقول :

من خَطَّ يوماً بِبِرِّيَّةٍ فسدتُ أَصابَ أَعْضاءَ خَطِّهِ خَدَرٌ

— رداة الخط قذى في عين القارىء ٢ .

١ المغرب : والطرس .

٢ المغرب : القراءة .

فصول له تتخرط في سلك^١ الأمان

< فصل > : ^٢ إنَّ أفضلَ ما تناجي المسلمون به ، ووجهوا بصائرهم إليه ، وصَحَّحُوا نِيَّاتِهِمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُونُوا لَوْ عَنَهُ ، وَلَا لَفَتَتْهُمْ لَا فِتْ دُونَهُ ، مَا قَرَّبَ مِنْ رِضَى اللَّهِ ، وَأَبْعَدَ مِنْ سُخْطِهِ ، وَعُمِلَ فِيهِ بِأَمْرِهِ ، وَاحْتَسِبَ فِيهِ خِلَافَةُ رَسُولِهِ فِي أُمَّتِهِ ، مِنْ الْإِصْلَاحِ بَيْنِ الْمُتَحَارِبِينَ وَتَحْذِيرِهِمْ < مَا > فِي سَفَكِ الدِّمَاءِ ، وَتَأْرِيثِ نَارِ الشُّحْنَاءِ ، وَتَوْكِيدِ مِرَرِ الْحَقُودِ ، وَلِإِقَاطِ عِيُونِ الْحُرُوبِ ، مِنْ فُسَادِ الدِّينِ ، وَوَهْنِ الْيَقِينِ ، وَذَهَابِ الرِّجَالِ ، وَفَقَادِ الْأَمْوَالِ ، وَاجْتِيَاكِ النَّعْمِ ، وَاسْتِزْزَالِ النَّقَمِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء : ١١٤) وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات : ٩) .

فصل : إنَّ الحربَ مَشْكَلَةٌ لِلنَّفُوسِ ، مَتَلَقَّةٌ لِلْأَمْوَالِ ، < مَجْلِيَّةٌ > لِلنَّدَامَةِ فِي الْعَوَاقِبِ ، تَكْدُّ مَبَادِيهَا لِلْأَشْرَارِ ، وَتُنْجِي كَلَاكِلَ عَاقِبَتِهَا عَلَى الْأَخْيَارِ . وَقَلَّمَا يَقْدَحُ شُعْلَتُهَا ، وَيُبْغِي مَرَجْلُهَا ، إِلَّا فِرَاشُ الشَّرِّ وَذِبَّانُ الطَّمَعِ ، مِمَّنْ لَا يَحْفِلُ بِعَارٍ ، وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ فِرَارٍ ، فَإِنْ هَلَكَ لَمْ يُنْقَدْ ، وَإِنْ نَجَا لَمْ يُحْمَدْ . ثُمَّ تَرْتَكِضُ جَمَاهِيرُ النَّاسِ وَأَوَّلُو الذِّكْرِ ، وَالْأَعَاظُ أخطَاراً ، وَالْأَحَاسِنُ آثَاراً ، فِي لُجَجٍ تَبْعُدُ عَنْهَا السَّوَاحِلُ ، وَيَنْوُؤُنَ بِفَوَادِحَ تُهْدِي عَنْهَا الْكَوَاهِلُ ، فَأَصْحَحْ .

١ ب م : كتب .

٢ سقط هذا الفصل وثلاثة فصول بعده ، من النسخة ط .

النَّاسَ لُبًّا ، وَأَبْعَدُهُمْ نَظَرًا ، وَأَخْيَرُهُمْ أَحْسَابًا ، مِنْ حُضٍّ عَلَى الصَّلَحِ ،
وَنُسَبِّ إِلَى إِبْرَاءِ الْجُرْحِ ، وَلَمْ يَأَلْ إِرْشَادًا وَتَبْصِيرًا ، وَمِنْ سُوءِ الْعَوَاقِبِ
تَخَوُّفًا وَتَحْذِيرًا ، وَبَادَرَ نَارَ الْفِتْنَةِ بِالْإِطْفَاءِ ، وَعُصِّبَ الْمُتَحَازِينَ^١
بِالْإِرْخَاءِ ، وَشَوَّكَ الْحَرْبَ بِالْخُضْدِ ، فَحَقَّقَنَ الدَّمَ ، وَحَمَى الْحَرَّمَ ،
وَأَوْطَنَ النَّعَمَ .

<فصل> : أما بعد ، فقد آنَ أَنْ تُوقِظُوا^٢ سَوَاهِيَ الْعُقُولِ ، وَأَنْ تَرِيحُوا
عَوَازِبَ الْأَحْلَامِ ، فَتَسْلُؤُوا السَّخَائِمَ ، وَتُغْمِدُوا الصَّوَارِمَ ، وَتُعِيدُوا السَّهَامَ
فِي كِنَانَتِهَا ، وَتَقِفُوا الْأَسِنَّةَ فِي مَرَائِجِهَا ، وَتُسَلِّمُوا الْخِيُولَ فِي مَرَابِضِهَا ،
وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْقَادِرَ عَلَيْكُمْ وَالْآخِذَ بِنِوَاصِيكُمْ <لَهُ غَضَبَاتٌ>^٣ أَقْلَهَا
اسْتِثْصَالَ أَثَارِ النِّعَمِ عَلَيْكُمْ ، وَسَطَوَاتُ أَبْرَزِهَا تَحَكُّمُ أَيْدِي الْبَلَاءِ فِيكُمْ ،
فَكَمْ صَالٍ بِنَارِكُمْ لَمْ يَشْرَكْكُمْ فِي قَدَحِهَا ، وَشَقِيٌّ بَفِتْنَتِكُمْ وَلَمْ يَغْمَسْ
مَعَكُمْ يَدًا فِيهَا ، وَمَوْفُورٌ سَعِيْتُمْ لِدَهَابِ وَفَرِهِ ، وَمُسْتَوْرٍ أَعْتَمَ عَلَى
انْكَشَافِ سِتْرِهِ ، فَلَا الْعِظَّةَ تَسْمَعُونَ ، وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تُرْعَوْنَ ، أَمَا وَاللَّهِ
لَتَجْرَعَنَّ الْخُطْبَانُ ، وَلَتَقْرَعَنَّ الْأَسْنَانُ ، وَلَتَحَاوِلُنَّ الْأُوبَةَ وَلَا مَأْبَ
لَكُمْ ، وَالتَّوْبَةَ وَلَا قَبُولَ مِنْكُمْ .

<فصل> : بايع الإمامَ عبدَ اللهِ فلانَ^٤ بِانْشِرَاحِ صَدْرٍ ، وَطَيْبِ نَفْسٍ ،
وَنَصَاحَةِ جَنِّبٍ ، وَسَلَامَةِ غَيْبٍ ، بِسَيِّعَةِ رِضَى^٥ وَاخْتِيَارٍ ، لَا بَيْعَةَ
لِإِكْرَاهٍ ، وَإِجْبَارٍ ، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالْمُؤَازَرَةِ^٦ وَالتَّصَرُّفِ ، وَالْوَفَاءِ
وَالنَّصِيحَةِ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْجَهْرِ وَالنَّيْتَةِ ، وَالْعَمَلِ عَلَى مَوَالَاةٍ مِنْ
وَالَاهُ ، وَمُعَادَاةٍ مِنْ عَادَاهُ ، مِنْ بَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَرِيبٍ وَنَسِيبٍ ، وَيَقْسِمُ

١ ب : المتحازين .
٢ زهادة تقديرية لالتزام السياق .

على الوفاء به والقيام بشروطِ بَيْعَتِهِ ، بالله الذي لا إلهَ إلاَّ هو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ ، والقائمِ على كلِّ نفسٍ بما كَسَبَتْ ، ويُعْطِيهِ على ذلك كُلِّهِ ذِمَّةَ اللَّهِ وذِمَّةَ مُحَمَّدٍ رَسولِهِ ، وذِمَّةَ الأنبياء والمرسلين ، والملائكةِ والمُتَقَرِّبينَ ، وعبادِ اللَّهِ الصالحين .

ومتى خلعتَ رِبْقَةً بِخَيْرٍ أو غدر ، أو طَوَيْتَ كَشْحاً على نَكَثٍ أو حنث ، فعليك المشيُ إلى بيتِ اللَّهِ الحرامِ . يبطحاً مَكَّةَ من مُسْتَقَرِّكَ ثلاثين حِجَّةً ، نذراً واجباً لا يقبلُ اللَّهُ تعالى إلاَّ الوفاءَ به ؛ وكلَّ زوجةٍ لك مَهيرةً ، أو تنكحها إلى ثلاثين سنةً ، فطالقٌ تحتك طلاقَ الحَرَجِ ثلاثاً . وكلَّ أمةٍ أو غرةٍ أو عبدٍ لك أو تملكُهُ فأحراراً لوجهِ اللَّهِ العظيمِ . < وكلَّ مالٍ لك من صامتٍ أو ناطقٍ أو تملكُهُ إلى ثلاثين سنةً غيرَ عَشْرَةِ دنانيرٍ أو قدرها فصدقةٌ على الفقراءِ والمساكينِ ، وقد برىءَ اللَّهُ تعالى منك ورسولُهُ وبلائكتهُ . واللهُ بجميعِ ما انعقدَ عليك في هذه البيعةِ شهيدٌ ، وكفى به شهيداً ، وعلى الأعمالِ والنِّيَّاتِ مُشِيّاً .

<فصل> : أمّا بعد ، فإنَّ الغَلَبَةَ لنا والظهورَ عليك جلباك إلينا على قدميك دون عهدٍ ولا عَقْدٍ يَمْنَعانِ من إراقةِ دمك . ولكنّا ، بما وهبَ اللَّهُ تعالى لنا من الإشرافِ على سرائِرِ الرِّياسَةِ ، والحفظِ لشرائعِ السِّياسةِ ، تأملنا من ساسَ جهتك قبلنا ، فوجدنا يدَ سياستهِ خرقاءَ ، وعينَ حزامتهِ عوراءَ ، وقَدَّمَ مُداراتِهِ شلاءً ، لأنهُ مالٌ عن ترغيبِك فلم ترْجُهُ ، وعن ترهيبِك فلم تخشهُ ، فأدَّتْكَ حاجتُكَ إلى طلابِ الطعمِ الدُّنيَّةِ ، وقِلَّةُ مهابتِك إلى التَّهالُكِ على المعاصيِ الوَبِيَّةِ . وقد رأينا أن نَظْهِيرَ فضلِ سِرتِنَا فيك ،

ونعتبرَ بالنظرِ في أمرِك ، فمهدنا لك التَّريُّبَ لتأنَّسَ إليه ، وظللنا لك التَّريُّبَ لتفرِّقَ منه ، فإنَّ سَوَّتَ الحالتانِ طبعك ، وداوى الثِّقافُ والنَّارُ عودك ، فذلك بفضلِ الله عليك ، وبإظهارِهِ حُسْنِ السِّياسَةِ فيك ؛ وأمانُ الله لك مبسوطٌ مِنَّا ، ومواثيقُهُ بالوفاءِ لك معقودةٌ عَلَيْنَا ، وأنتَ إلى جَهْتِكَ مصروفٌ ، وبِعَفْوِنَا والعَافِيَةِ مِنَّا مكنوفٌ ، إِلَّا أَنْ تَطِيشَ الصَّنِيعَةَ عِنْدَكَ ، فَتَخْلَعَ الرِّبْقَةَ وَتَمْرُقَ مِنَ الطَّاعَةِ ، فَلَسْنَا بِأَوَّلٍ مِنْ بُغْيٍ عَلَيْهِ ، وَلَسْنَا بِأَوَّلٍ مِنْ بَدَتْ^١ لَنَا مَقَاتِلُهُ مِنْ أَشْكَالِكَ إِنْ بَغَيْتَ ، وَانْفَتَحَتْ لَنَا أَبْوَابُ اسْتِصْصَالِهِ مِنْ أَمْثَالِكَ إِنْ طَلِبْتَ .

أمان غريب^٢ الصنعة : أما بعد ، فإنكم سألتم الأمانَ أوَّانَ تَلَمَّظْتَ السِّوْفُ إِلَيْكُمْ ، وَحَامَتِ الْمَنَایَا عَلَيْكُمْ ، وَهَمَّتْ حَظَائِرُ الْخِلْدَانِ أَنْ تُفْرِجَ^٣ لَنَا عَنْكُمْ ، وَأَيْدِي الْعَصِيَانِ أَنْ تُتَحِفَنَا بِكُمْ . وَلَوْ كَلِمْنَا لَكُمْ بِصَاعَكُمْ^٤ ، وَلَمْ نَرَعْ فِيكُمْ ذِمَّةَ اصْطِنَاعِكُمْ^٥ ، لَضَاقَ عَنْكُمْ مَلْبَسُ الْغُفْرَانِ ، وَلَمْ يَسْدِلْ عَلَيْكُمْ سَرُّ الْأَمَانِ . وَلَكِنَّا عَلِمْنَا أَنَّ كَهَوْلِيَكُمْ الْخُلُوفَ عَنْكُمْ^٦ ، وَذَوِي أَسْنَانِكُمُ الْمُعَاصِينَ^٧ لَكُمْ ، مِمَّنْ يَهَابُ وَسَمَ الْخُلَعَانِ ، وَيَخَافُ سَطْوَ السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهُمْ لَا يُرَاسِلُونَكُمْ فِي مِيدَانِ مَعْصِيَةٍ ، وَلَا يَزَاحِمُونَكُمْ مَنَهْلَ حَبِيرَةٍ ، وَلَا يَمَاشُونَكُمْ إِلَى مَوْقِفِ وَدَاعٍ نِعْمَةٍ . وَلَوْلَا تَحَرُّجُنَا^٨ أَنْ نَقْطَعَ أَعْضَادَهُمْ^٩ بِكُمْ ، وَرَجَاؤُنَا أَنْ يَكُونَ الْعَفْوُ عَلَى

١ ب م : تراءت .

٢ ب م : أمان آخر ، وانظر المغرب : ٨٨ حيث نقل هذا الأمان .

٣ المغرب : تنفرج .

٤ ب : عليكم ملققي .

٥ ب م : المعالين (اقرأ : القالين) ؛ المغرب : المعاصين .

٦ ط : تحوجنا . ٧ ب م : أعضائهم .

المقدرة تأدياً لكم ، لشربته دماءكم سباع الكُماة ، وأكلت لحومكم ضياعُ الفلاة . وقد أعطيناكم بتأميننا إياكم عهدَ الله تعالى وذمته ، ونحن لا نخفرهما أيام حياتنا إلا أن تكونَ لكم كربةً ، ولغدريتكم ضرةً ، فيومئذٍ لا إعدارَ لكم ولا إقصارَ عنكم ، حتى نحصدكم ظبابةُ السيوف ، وتقتضي ديونَ أنفسكم غُرماً الخنوف .

وفي العتاب ^١ : أظلم لي جو صفائك ، وتوعرتُ على أرضٍ إخائيك ، وأراك جلدَ الضميرِ على العتاب ، غيرَ نافعِ الغلةِ من الجفاء . فليت شعري ما الذي أقسى ^٢ مُهجةَ ذلك الودِّ ، وأدوى ^٣ زهرةَ ذلك العهد ؟ عهدي بك وصِلتُنا تفرقُ من اسمِ القطيعةِ ، ومودَّتُنا تسمو عن صِفَةِ العتابِ ونِسْبَةِ الجفاء ؛ واليومَ هي آتسُ بذلك من الرضيعِ بالثدي ، والخلِيعِ بالكأس . وهذه تُغرّةٌ إن لم تحرُسْها المراجعةُ ، وتُذكُ فيها عيونُ الاستبصار ، توجهتْ منها الحيلُ على هدمِ ما بنينا ، ونقضِ ما اقتنينا ، وتلك ناعيةُ الصفاء ، والصَّارِخةُ بموتِ الإخاء .

لا أستبدُّ — أعزَّك الله — من الكتابِ إليك ، وإن رَغِمَ أنفُ القلمِ ، وانزوت أحشاءُ القرطاس ، وأُخْرِسَ فمُ الفِكْرِ ، فلم يبقَ في أحدها إسعادٌ لي على مكاتبتك ، ولا بشاشةٌ عند محاولةِ مخاطبتك ، لقوارصِ عتابك ، وقوارعِ ملامك ، التي قد أكلتْ أعلامك ، وأغصتْ كُتُبَك ، وأضجرتْ رُسُلَك . وضميري طاوٍ لم يطعمَ تجنياً عليك ، ونفسي وادعةٌ

١ انظر المغرب : ٨٨ .

٢ ب م : أقسى .

٣ ب م : وأذبل .

لَمْ تَجْنِ ذَنْباً إِلَيْكَ، وَعَقَلْتُ مُسْتَحْكِمٌ لَمْ يَمْسَسْهُ وَهْنٌ فَيْكَ . وَأَنَا
الْآنَ عَلَى طَرَفٍ مِنْ إِخْلَاكِكَ مَعَكَ ، فَلَمَّا أَنْ تَدْلِي بِحُجَّتِي فَأَتَنصَّلَ عِنْدَكَ .
وَلَمَّا أَنْ تَنْبِيءَ بِحَقِيقَةِ فَاسْتَدِيمَ خُلْتُكَ ، وَلَمَّا أَنْ تَأْزِمَ عَلَى فَاسِيكَ فَأَقْطَعُ
حَبْلِي مِنْكَ . كَثِيراً مَا يَكُونُ عَيْنَابُ الْمُتَصَافِيَيْنِ حِيلَةً تُسَبِّرُ الْمَوْدَةَ بِهَا .
وَتُسْتَنَارُ دِفَاقُنُ^١ الْأَخْوَةِ عَنْهَا ، كَمَا يُعْرَضُ الذَّهَبُ عَلَى النَّهَبِ .
وَتُصَفَّقُ الْمُدَامُ بِالْفِيدَامِ . وَقَدْ يَخْلُصُ الْوَدُّ عَلَى الْعُتْبِ خِلَاصَ الذَّهَبِ
عَلَى السَّبَكِ . فَلَمَّا إِذَا أُعِيدَ وَأُبْدِيَ ، وَرُدَّ وَوُوبِي ، فَإِنَّهُ يُفْسَدُ غَرَسُ
الْإِخَاءِ ، كَمَا يُفْسَدُ الزَّرْعُ تَوَالِي الْمَاءِ .

فصول في الاستزارة

— الْيَوْمَ يَوْمٌ بَكَتْ أَمَطَارُهُ ، وَضَحَكَتْ أَزْهَارُهُ ، وَتَقَنَّنَتْ شَمْسُهُ ،
وَتَعَطَّرَ نَسِيمُهُ ، وَعِنْدَنَا بَلْبِلٌ هَزِجٌ ، وَسَاقٍ غَنِيَجٌ ، وَسُلَافَتَانِ : سُلَاقَةُ
إِخْوَانٍ ، وَسُلَاقَةُ دِنَانٍ ؛ قَدْ تَشَاكَلْتَا فِي الطَّلْبَاعِ ، وَازْدَوَجَتَا فِي إِثَارَةِ
السَّرُورِ ؛ فَاخْرِقْ إِلَيْنَا سُرَادِقَ الدَّجْنِ تَجِيدٌ مَرَأَى لَمْ يَحْسَنُ إِلَّا لَكَ ،
وَلَا يَنْبَغُ إِلَّا بِكَ .

— الزِّيَارَةُ فِي اللَّيْلِ أَخْفَى ، وَبِالزَّائِرِ وَالْمَزُورِ أَحْفَى ، وَقَدْ سُدِّلَ حِجَابُهُ ،
وَوُقِعَ غَرَابُهُ ، وَتَبَرَّقَعَتْ نَجْمُوهُ بَغْيُومِهِ ، وَتَلَفَعَتْ كَوَاكِبُهُ بِسَحَائِبِهِ ؛
فَاهْتِكْ إِلَيْنَا سِتْرَهُ ، وَخَضْ نَحُونًا بِمَحْرِهِ ؛ وَلَاكَ الْأَمَانُ مِنْ عَيْنٍ وَاشٍ
تَرَاكَ ، وَشَخْصٍ رَقِيبٍ يَلْقَاكَ .

— الْبَدْرُ صِنُوكُ ، فَإِنْ طَلَعَتْ مَعَهُ عَلَيَّ ذُعْرَ الْخَافِقَانِ ، وَالشَّمْسُ

تربُّك ، فإن صاحبَتَهَا إليَّ استرابَ الثَّقَلانِ ؛ فاجعل لياليَ السَّرارِ مواقيتَ
الازديار ، وأيامَ الانكشافِ ساعاتِ الائتلافِ .

— لم نلتقِ منذُ عَرَيْنَا مركبَ اللّهُو ، وأخلىنا رَنجَ الأنسِ ، وقَصَصْنَا
جناحَ الطَّربِ ، وعَبَسْنَا في وُجُوهِ اللِّذاتِ . فإن رأيتَ أن تَخَفَّ إلى
مجلسٍ قد نُسَخَتْ فيه الرِّياحين بالدواوين ، والمجامرُ بالمحابر ، والاطباقُ
بالأوراقِ ، وتَنازُعُ المِدامِ بتنازعِ الكلامِ ، واستماعُ الأوتارِ باستماعِ الأخبارِ ،
وسَجْعُ البلابلِ بسجعِ الرِّسائلِ ، كان أشجَدَ لذهنِكَ ، وأصْقَلَ
لفكرِكَ . وأنسَ لحاظِكَ . وأطيبَ لنفسِكَ ، وأفرجَ لهِمَّتِكَ ، وأرشدَ
لرأيك .

— نحن من منزل أبي فلان بحيث نلتمس^١ سناك ، ونَتَنَسَّمُ ريتاك ؛
وقد راعنا اليومُ باكفهرار وجهه ، وما ذرَّ من كافورٍ ثلجه ، فادرَّعنا له
بالسَّتُورِ ، وانغمسنا بين جيوبِ السرورِ ، ورَفَعْنَا لِبَناتِ الزَّنَادِ رايات^٢
حمراء ، وأجرينا لبَناتِ الكرومِ خيلاً شقراء ، وأحببنا أن تشهدَ جيشَ
الثناء كيف يُهزَمُ ، وأنفاسَ البردِ كيف تُكْظَمُ .

فصول قصار في مدح الإخاء

— بيتنا خصائصُ ودادةٍ^١ ، كأنها وشائجُ ولادة .

.....

١ ب م والمغرب : نلتمح .

٢ المغرب : ألوية .

- رَعَيْتُ بِهِ السَّعْدَانِ ، وَأَخَذْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي بِهِ الْأَمَانِ .
 — جَلَىَّ مِنْ مَطْلَبِي مَا أَظْلَمَ عَلَيَّ ، وَأَشْعَلَ مِنْ هَمِّي مَا خَمَلَ لَدَيَّ .
 — أَهْضَى لِسَانِي ، وَبَلَّ رَيْبِي ، وَأَشَادَ بِأَسْمِي ، وَأَعْلَى قَدْرِي .
 — لَا وَالْحِجْرِ الْيَمَانِي ، وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي ، لَا جَعَلْتُ سِوَاهُ قَصْدِي ،
 وَلَا اسْتَكْفَيْتُ غَيْرَهُ عَظْمَ أَمْرِي .
 — نَاصِرِي إِذَا تَكَاثَرَتْ الْخُطُوبُ عَلَيَّ ، وَحَيْرِي إِذَا أَفْخَنْتِ الْأَيَّامُ
 جَانِبِي .

- هُوَ ذُخْرِي الْمُعَدَّة ، وَرُكْنِي الْأَشَدُّ ، وَسِلَاحِي الْأَحَدُ .
 — خِزَانَةُ سِرٍّ لَا لِاقْلِيدَ لَهَا ، وَلَا لِلتَّصَوُّصِ حِيلَةٌ فِيهَا .
 — آرَؤُهُ كَالْمِرَآئِي إِذَا جَلِيَّتْ ، وَالسُّيُوفِ إِذَا انْتَضَيْتْ .
 — يُحْسِنُ عِشْرَةَ الْجَارِ ، وَيُسِيءُ عِشْرَةَ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ .

وله في ضِدِّ ذَلِكَ ١ :

- خَلَيْتُ^٢ عَنْهُ يَدِي ، وَخَلَدْتُ قِلَاهُ خَلْدِي .
 — بَيَّضُ الْأَنْوَقِ مِنْ رِفْدِهِ أَمَكْنُ ، وَصَفَا الْمُشَقَّرِ مِنْ خَدِّهِ أَلِينُ .
 — مَتَزَوَّرُ النَّوَالِ ، رَثُّ الْقَعَالِ^٣ .
 — أَحَادِيثُ وَعْدِهِ لَا تَعُودُ بِنَفْعِ ، وَلَا هِيَ مِنْ غَرْبٍ وَلَا نَبْعِ .
 — مُطَحَّلَبُ الْوَجْهِ ، مُهَرَّاقُ مَاءِ الْحَيَاءِ ، مُظْلَمُ الْخَلْقِ ، دَبُورِيُّ
 الرِّيحِ ، مُقَشَّعِرُ الْوَجْهِ .

١ انظر المغرب : ٨٩ .

٢ ط : خلوت .

٣ المغرب : المقال .

- طاشتْ عنده الصنِيعَة ، وضاعتْ فيه اليد .
- على وجهِهِ من التعيسِ قُفْلٌ ضالٌ متاحُهُ ، وليلٌ مات صباحُهُ .
- غَيَّيْتُ من الجهل ، مُفْلِسٌ من العقل .
- تنضأ لُ النعمُ لديه ، وتَقْبِجُ محاسنُ الإحسانِ عليه .
- لم ينظم عليه قط خَرَزٌ ١ ثناء ، ولا استحقَّ أن يَلْبِسَ بِزَّةَ مديح .
- غربالٌ حديثٌ ، إذا وعى مِرّاً قطرَ مِنْه .
- أجالَ قَدْحاً غيرَ قامرٍ ، ورَمَى بَسْطَهُمُ غيرِ صائب .
- كَبِدُ الزَّمانِ عليه قاسيةٌ ، ونِعَمُ الله له ناسية .
- شَرُّ بُقْعَةٍ لِيَغْرَسَ المودَّةَ وَبَذَرَ الإخاء .
- قصيرُ الوفاء للإخوان ، عَوْنٌ عليهم مع الزَّمان .
- هو كَدَرُ الدُّنيا وسَقَمُ الحياة .
- رَقَدَتْ مُلءُ عيني في فرشِ القلَى له ، وشربتُ زلالَ ماءِ العزاءِ عنه .

— مُرَبِّ لَأَطْفالِ الإحْنِ ، مُحْيٍ لَأَمْواتِ الدِّمَنِ .

وهذه جملةٌ أيضاً من شعره في أوصافِ شتَّى

النسيب وما يُناسبُهُ

قال ٢ :

لَمَّا بدا في لازورٍ دِيَّ الحَريْرِ وقد بهَرُ

.....

١ المغرب : در .

٢ الأبيات في الجنوة والمطبخ : ٣ والنفع : ٤٦ .

كَبَّرْتُ مِنْ قَرَطِ الْجَمَا لِ وَقَلْتُ : مَا هَذَا بِشَرِّ
فَأَجَابَنِي : لَا تُنْكِرَنَّ ثَوْبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرِ
وهذا كقول ابن الرومي ^١ :

يَا ثَوْبَهُ الْأَزْرَقَ الَّذِي قَدْ فَاقَ الْعِرَاقِيَّ فِي السَّمَاءِ
كَأَنَّهُ فِيهِ بِدْرُ تَيْمٍ يَشُقُّ ^٢ فِي زُرْقَةِ السَّمَاءِ
وابن المعتز أيضاً القائل :

وَبَنَفْسِي الثَّوْبَ قَتَلْتُ لُ مُحِبِّهِ مِنْ رَائِهِ
الآنَ صرَّتِ الْبَدْرُ حَيْثُ نَ لَبِسَتْ ثَوْبَ سَمَائِهِ
ورأى ابن بردٍ غلاماً قد بَيَّضَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ أَفْقِنَا فِي لِبَاسٍ ^٣
الْبَيَاضِ عِنْدَ الْحَزَنِ فَقَالَ :

أَجِلْ جُفُونَكَ فِي ذَا الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ وَلَمْ عَلَى النَّأْيِ مِنْهُ حَادِثَ الزَّمَنِ
وَأَعْجَبَ لِمُضِدِّينَ فِي مِرَاةٍ قَدْ جُمِعَا : شَخْصَ السَّرُورِ عَلَيْهِ لِبَسَةُ الْحَزَنِ
وفي لِبَاسِ أَهْلِ أَفْقِنَا الْبَيَاضِ عَلَى الْمَتَوَفَى يَقُولُ الْخُلَوَانِيُّ ^٤ :

لَئِنْ كَانَ الْبَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ بِأَنْدَلَسٍ فَذَاكَ مِنْ الصَّوَابِ
أَلَمْ تَرَنِي لَبِسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي لِأَنِّي قَدْ حَزَنْتُ عَلَى الشَّبَابِ :

١ ديوان ابن الرومي : ١٣٧ .

٢ ط : يَنْشُقُ .

٣ ب م : لِبْسَةُ .

٤ تَجَمُّعُ تَرْجَمَتِهِ فِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ .

وقد أخذ هذا المعنى بعضُ أهل عصرنا وهو أبو العباس أحمد بن قاسم
المجدث بقرطبة فقال ^١ :

قالت وقد نظرتُ فَرَوَّعَهَا شِبُّ عَلَى فودَيِّ مُتَشِيرُ :
ما شَأْنُ تلكِ البِضْرِ ؟ قلتُ لها : ماتَ الشَّابُّ فَبَيَّضَ الشَّعْرُ

وقال ابن برد :

أَقْبَلَ فِي ثَوْبٍ لَزَوْرِدٍ قد أَفْرِغَ التَّبَرُّ مِنْ عَلَيْهِ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي سَمَاءٍ قد طَرَزَ الْبَرْقُ جَانِبِيهِ

وقال أيضاً :

بَابِي طَائِرُ حُسْنٍ لَاقِطٌ حَبُّ الْقُلُوبِ
كُلَّمَا اهْتَزَّ جَنَاحُ الْـ صَدَّ هُزَّتْ بِالْوَجِيبِ
يَتَفَنَّنِي بِلِسَانٍ مُعْرِبٍ فَوْقَ قَضِيبِ :
أَعْطَيْتِ الْمَلِكَ مُحِبُّ فَازَ مَتًى . بِنَصِيبِ

وينظر من هذا بعض النَّظَرِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ ^٢ :

وما أنا ^٣ إِنْ عَمَرْتُ أَرَى جَنَابًا وَإِنْ ضَنَنْتُ بِمِخْوَسِ النَّصِيبِ
مُقَنَّعَةً بِثَوْبِ الْحَسَنِ تَرَعَى بَغَيْرِ تَكْلِفٍ ثَمَرَ الْقُلُوبِ

وقال ابن برد أيضاً :

١ سترجم له ابن بسام في هذا القسم ويكرر البيتَين ويقي الخلواني أيضاً .

٢ ديوان أبي نواس : ٣٦٢ .

٣ ط : وما لي .

كيف لا أعشَقُ ظيًّا سارحاً في ظلِّ ملك ؟
 إنما السَّمرَةُ فيه مَزَجُ كافورٍ بمسك
 وهذا كقول ابن فتوح^١ :

قد قضيبٍ وبدرٍ ديجورٍ وثغرُ دُرٍّ ولحظٍ يعفورٍ
 نازل صبري وأيُّ مُصطبِرٍ يفني بتلك اللواحظِ الحورِ
 كأنما نورهُ وسُمرتُهُ مسكٌ مشوبٌ بدَوْبِ كافورِ
 وقال ابن برد :

بأيِّ أنت وأمي لم تطبعتَ بظلمي ؟
 أبداً تأتي بعَتَبٍ دون أن آتي بجُرمِ
 يبتلى في الحبِّ قُربى سقمُ عَيْنِكَ وجسمي
 وهذا كقول ابن الرومي :

يا عيلاً جعلَ العَلَّ مِفْتَاحاً لسُقْمِي
 ليس في الأرضِ عِلَلٌ غيرُ جَفْنَتِكَ وجِسمي
 وأخذه محمد بن هانيءٍ فقال^٢ :

المُدنَّفانِ مِنَ البريةِ كُلَّها : جسمي وطرفُ بابليٍّ أحورِ
 والمُشرقاتُ النِّيراتُ ثلاثةٌ : الشمسُ والقمرُ المتيرُ وجعفرُ

١ مترد ترجمته والأبيات في هذا القسم .

٢ ب م : الملاحظ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٣٦٢ .

وقال ابن برد :

يا كثيرَ الجفامِ لي	ومُضيعاً	وسائلي
طال حُبِّي ولم تَقُزْ	مِنْكَ نفسي	بطائل
أنت لي هاجِرٌ وإن	كنتَ في ثوبٍ	واصل
أنت أَمَرَّتْ مَنَهلاً	كان أحلّ	مناهلي
سوف أبكيك لاستحا	لِـ تلك	الشمائل
بجفونٍ قريحَةٍ	ودموعٍ	هوامل

وقال أيضاً ١ :

يا من بفيه يعبقُ العنبرُ	وَمَنْ لَمَاهُ سكرٌ مُسكرُ
صحَّ الهوى منا ولكنني	أعجبُ من بعدٍ لنا يُقدَرُ
كأننا في فلكٍ دائرٍ	فأنت تخفى وأنا أظهرُ

وقال أيضاً :

صبّ ذكتُ في فؤادهِ الحرقُ	يغرقُ في دَمْعِهِ وَيَحترقُ
لدّدَه في دجى صبابتيه	وجهٌ بماءِ الشبابِ مُؤتلقُ
لما رَمَتْهُ العيونُ ظالمَةً	وأثرتُ في جماليهِ الحدقُ
ألبسَ من نسجِ شعره زرداً	صيفتُ له من زمردٍ حلقُ

وقال في مثله :

١ أورد ابن ظافر البيتين الثاني والثالث منها في بدائع البداهة : ٢٥٣ ونسبهما لابن خفاجة .

هو في الحسن كالجوا زينَ إذ جاء سابقاً
 دِ بريح الصبا حُذي بَعِذارِي زُمُرْدِي
 وقال أيضاً :

وجهٌ لمصباحِ السماءِ مُباهي رَقَمَ العِذارُ غِلَالَتَيْهِ بأحرفِ
 يبدى الشبابُ عليه رَشَحَ مياهِ معنى الهوى في طيتها متناهي
 نادى عليه الحسنُ حينَ لَقِيَتْهُ : هذا المُنَمَّنُ في طرازِ الله
 وهذا كقول المتنبي ^١ :

فدعاكُ حَسَدُكَ الرَّئيسَ وأمسكوا خلقتُ صِفَاتُكَ في العُيونِ كلامه
 ودعاكُ خَالِقُكَ الرَّئيسَ الأكبرِ كالخطِ يَمْلَأُ مِسمعِي من أبصرا
 وقال ابن بزد :

أَعْتَبَرْتُ في قَمِيهِ فُتُنَا يا شارباً أَلْثَمِي شَارِباً
 أم صارِمٌ من لَحْظِهِ أَصْلَتَا ؟ قد هَمَّ في الآسُ أنْ يَنْبِتَا
 انظرْ إلى الذَّاهِبِ من لِيلِنَا وامزج بماءِ الذَّهَبِ المنبتَا
 كأنه ذهب في البيت الثاني منها ^٢ إلى معارضة ابن المعتز في قوله ^٣ :

قد صاد قلبي قَمَرٌ يَسْحَرُ منه النَظَرُ
 بوجنةٍ كأثَمَا يُقْدَحُ منها الثَرَرُ

١ يشهد به ابن بسام كثيراً ، وانظر ديوان المتنبي : ٤٤٠ .
 ٢ ب م : كأنه قد ذهب بقوله : وقد هم فيه الآسُ أنْ يَنْبِتَا .
 ٣ الأوراق للصولي : ٢٣١ .

وشارب قد هم^١ أو نم^١ عليه الشعْرُ
 ضعيفةً أجفائه والقلبُ منه حَجَرُ
 كأنما مقلته^٢ من فعله تغلر
 الحُسنُ فيه كاملٌ وفي الـورى مُختَصَرُ

وليست يدُ ابنِ بردٍ فيه عن مَرمَاه بقاصِرةٍ ، ولا صفته حينَ جَراه
 بخاصِرةٍ ، بل ساواه وزاد ، وأجاد ما أراد . ألا ترى قولَ ابنِ المعتزِ على
 تقدُّمِهِ : « قد همَّ أو نمَّ »^٣ عليه الشعْرُ ، لا يكادُ يخرج عن لفظِ العامة ،
 وابنِ بردٍ جمع في بيتِهِ بين بايين من أبوابِ البديع : فجانسَ بين الشارب
 والشارب ، وأنشأ أن محبوبَهُ في آخرِ درَجَةٍ مِن المرودة^٤ ، وأوَّلِ درَجَةٍ
 من اللحيَةِ ، بإشارةٍ عَذْبَةٍ وعِبارَةٍ حلوةٍ رطبةٍ ، دون تطويل ، ولا
 تثقيل^٥ ؟ وقولُ ابنِ بردٍ : « وامزُجْ بماءِ الذَّهَبِ المُنْبَتَا » - [يعنى بذلك
 الفِضَّةَ ، والمنبَتُ مُؤكَّدٌ ليس من كلامِ العرب] - ينظرُ إلى قولِ
 الصنوبري^٥ :

وليلة كالرفرف المعلنم عفوفة الظلماء بالأنجم
 تعلّق الفجرُ بأرجائها تعلّق الأشقر بالأدهم
 عدلتُ فيها بين خمريْن من خمرِ العناقيدِ وخمرِ الفم

١ ط : نم أو هم .

٢ الصولي : الحاظه .

٣ ب م : نم أو هم .

٤ ط : المردة ؛ ب م : المرودية .

٥ ديوان الصنوبري : ٤٨٧ عن قطب السرور : ٦٩١ ومنها بيتان في نثار الازهار :

٧٠ ونهاية الأرب ١ : ١٤٥ .

تَنَلُّوْلُ الْجَامِ يَدِي مِنْ يَدِي^١ مَوْشِيَّةِ الرَّاحَةِ وَالْمَعَصِمِ
شَبَّهَتْ ذَوْبَ الرَّاحِ فِي جَامِهَا بِيَذْوَبِ دِينَارٍ عَلَى دَرْهَمِ

وإن كان الصنوبري أراد غير ما ذهب إليه ابن برد ، لأنه أمر محبوبه
أن يمزج له مُدَامَةً صفراء بعام زُلَال ، والصنوبري شبه ذَوْبَ الرَّاحِ
في كأسها بِيَذْوَبِ الذَّهَبِ [وَشَبَّهَ الكَأْسَ بالدرهم ، فعلم ابن برد
الإشارة ، وأنَّ الخمر إذا اصفرتْ شَبَّهَتْ بالذهب] والمنبت إذا ذَوَّبَ أشبه
الماء ، فناسب قول الصنوبري على هذه الإشارة . وقد نما هذا النحو [بعض
أهل أفقنا] وهو أبو علي الحسن بن حسان^٢ المعروف بالسناط فقال^٣ :

أَدِرْ كَأْسِيكَ^٤ يَا قمر النَّدَى فَقَدْ نام الخَلِيُّ عَنِ الشَّجِي
كفى بك والمدامة لي صباحاً يُفَرِّقُ عَسْكَرَ اللَّيْلِ الدَّجِي
فَخُذْ ذَهَباً وَرُدَّ لَهُ^٥ لُجَيْنَا تَكُنْ فِي النَّدَى أَرْبَعِ صِيرْفِي

وقول ابن المعتز « والقلب منه حجر » .. البيت ، كقول المؤمل المحاربي^٦ :

١ الديوان : يدي .

٢ في النسخ : حسان بن الحسن ؛ وقد ترجم له الحميدي في الجذوة : ١٧٩ (البقية رقم :
٦٣١) وابن سعيد في المغرب ٢ : ٣٧ فقلا عن المسهب باسم « الحسن بن حسان »
وقد اشتهر في قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر وله فيه حدائق ، وأصله من وادي الحجاز ؛
وقتل نفسه غيظاً لأنه وجد امرأته مع رجل .

٣ الأبيات في المغرب ٢ : ٣٧ . ٤ ب م والمغرب : نجيبك .

٥ المغرب : لنا . ٦ ب م والمغرب : في الناس .

٧ في النسخ : المأمون الحارثي ؛ وهو خطأ ، والمؤمل بن أميل من بني جسر بن محارب ،
كوني مدح المهدي ، وهو ولي عهد ، وتوفي حوالي ١٩٠ هـ (انظر ترجمته في الأغاني
٢٢ : ٢٥٥ ومعجم المرزباتي : ٢٩٨ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ والخزانة ٣ :
٥٢٣) والبيتان من قصيدة له طويلة ، انظرهما في معجم المرزباتي ، والثاني منهما في
التشيل والمحاضرة : ٩٠ وخاص الخالص : ٩١ .

﴿شكوتُ ما بي إلى هند﴾ فما اكثرث^١ يا قلبها أحديد^٢ أنت أم حَجَرُ؟

وبعده :

إذا مرضنا^٣ أتينَا كُمْ نَعُودُ كُمْ^٤ وتُذَيَّبُونَ^٥ فَنَأْتِيكُمْ^٦ فنَعْتَذِرُ^٧

وقال ابن برد :

بَخِيعًا عَالِلُوهُ	وَيَهْجِرِ وَصَلُوهُ
لَمْ يُبَالُوا يَوْمَ صَدِّ	أَيَّ وَجِدِ حَمَلُوهُ
أَخْرَجُوهُ عَنْ مَحَلِّ	لِلتَّسَلِّي دَخَلُوهُ
بَلَّغُوا فِيهِ الْأَعَادِي	كُلُّ شَيْءٍ أَمَلُوهُ
رُبَّ سِتْرِ لِلتَّصَابِي	فَوْقَهُ قَدْ سَدَلُوهُ ^٨
وَسْنَا نَارِ حُمَيَّا	فِي الدَّجَى قَدْ أَشْعَلُوهُ
كُلَّمَا سَقَوهُ كَأْسًا	لِثَرِّ كَأْسٍ قَطَلُوهُ
وَهِلَالٍ بِثَرِي	بَنَجُومٍ كَلَّلُوهُ
فِي بَيْمٍ مِنْ ظِلَامٍ	بَسِيتَاهُ حَجَّلُوهُ
نَشَطُوهُ ثُمَّ لَمَّا	لَانَ عَظْفًا أَنْجَلُوهُ
عَدَلُوهُ عَمَّنْ وَصَالِي	حَسَدًا ثُمَّ وَلَّوهُ
إِنَّمَا حَسْبِيَ فَيْكُمُ ^٩	مِثْلُ مَا قَبْدَ سَأَلُوهُ ^{١٠}

١ ط ب م : فقلت لها ، والاصوب عن الموزاني .

٢ ط : مرضتم .

٣ ب م : ونعتلر .

٤ ب م : أسدلوه .

٥ ط : فيه .

٦ ب م : خلاقه أرسلوه .

وذكرت هذه القطعة قطعة على وزنها ورويها ، ويتعلق بها خبر من سيء الأخبار وشرها . قالوا : كان الأمين ^١ محمد بن هارون يوماً على بركة ماء وقد عَصَهُ ببغداد الحصار ، وأخذت عليه الأقطار ، إذ دخل عليه غلامه كوثر الخادم الوسيم ، وكان له من جبه جزء مقسوم ، وقد أصابه سهم خرّق حجاب قلبه فخرّ لحينه ، فجزع عليه الأمين جزءاً كان دونه الجنون ، ثم قال ^٢ :

قَتَلُوا قُرَّةَ عَيْنِي وَمِنْ أَجْلِي قَتَلُوهُ
يَا هَلَالَ الدَّجَنِ قَلَّ لِي مَا لِقَوْمِي جَهْلُوهُ ؟
طَلَعَ الْبَدْرُ نَهَاراً فَلَذَا لَمْ يَعْرِفُوهُ
أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنْاسٍ خَرَّقُوهُ

وذكر بعض الرواة أن أبا محمد التيمي زاد في هذه الأبيات فقال :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ قَضَ لَا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ
مِثْلَمَا قَدْ حَسَدَ الْقَا ثُمَّ بِالْمُلْكِ أَخَوَهُ

وفي غلامه كوثر يقول ، وقد نظر إلى طلوع البدر ، وهو يشرب ، على الفسطاط ^٣ :

١ ب م : بينا الأمين .

٢ انظر الأغاني ١٩ : ٣٢٤ - ٣٢٥ وتاريخ الخلفاء السيوطي : ٣٢٧ ، والتيمي المذكور هو عباد بن أيوب مول بني تيم ، من أهل الكوفة ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان أحد الخلفاء المجان ، صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم (الأغاني ١٩ : ٣١٩) .

٣ ب م : وعلى الفسطاط نرجس ؛ السيوطي : وقد سقاء وهو عسل بساط نرجس ؛ والأبيات تنسب أيضاً لحسين بن الضحاك الخليل ، كما في تاريخ بغداد لطيفور : ٣٢٥ وزهر الآداب : ٧٠٢ والديارات : ٣٩ ؛ وانظر ديوان الخليل : ٨٨ .

وصفَ البدرُ حُسْنَ وجهِكَ حَتَّى
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ الرَّجِيسُ الْغَضُّ
خَدَعُ الْمُنَى تَعَلُّنِي فِي
لَأَقِيمَنَّ مَا حَيَّتْ عَلَى الشُّكِّ
خَلَّتْ أَنْتِي وَمَا أَرَاكَ أَرَاكَ
تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَذَاكَ
لَكَ بِإِشْرَاقٍ ذَا وَنَكْهَةٍ ذَاكَ
رَ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ

وهو القائل فيه حين يش^١ من نفسه :

يَا كَوْتَرِي^٢ حَاصِرِي طَاهِرُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا الَّذِي
إِنِّي عَلَى مَا نَابِي صَابِرُ
تَرَاهُ وَالْحَسْرَانِ وَالْمَاطِرُ

وقال ابن برد :

أَسْمَرُ فِي اللَّيْلِ وَلَكِنَّهُ
يَا عَجَبِي مِنْ شَادِنِ أَهِيْفُ
إِذَا مَشَى وَالْجَيْشُ^٣ قُدَّامَهُ
قَدْ وَقَفَ الصُّبْحَ عَلَى الْإِفْصَاحِ
يُطَارِدُ الْخَيْلَ وَيَتَنَّى الرَّمَاحُ
صَاحٍ عَلَيْهِ حُسْنُهُ : لَا بَرَاحِ

وذكرت بهذا المعنى قولَ محمد بن هاني وإن لم يكن به فَيَتَطَرَّفَ الْمَغْزَى
[بَنَّا] إِلَيْهِ^٤ :

قَمَرٌ لَهُمْ قَدْ قَلَدُوهُ صَارِمًا
جَاءُوا بِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ حَشَدُوا لَهُ
وَلَوْ أَنْصَفُوهُ قَلَدُوهُ كَوَكْبًا
مِنْ رِدْفِهِ^٥ جِيشًا لَثَلًا يُغْلَبَا

١ ب م : أيس .

٢ ط : كوتر .

٣ ب م : والجند .

٤ ديوان ابن هاني : ١٩٢ .

٥ ب م : طرفه .

وكانما طَبَعُوا له من لَحْظِهِ سِفَا رَقِيقَ الشَّفَرَتَيْنِ مُشْطَبَا
خَالَسَتْهُ نَظَرًا وَكَانَ مُورِدًا فَاحْمَرَّ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَلَهَّيَا
هَذَا طِرَازُ مَا الْعَيُونُ كَتَبْنَهُ لَكِنَّهُ قَبْلَ الْعَيُونِ تَكْتَبَا
صِفَةً تَحْيِرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا حَتَّى غَدَا التَّوْرِيدُ فِيهَا مَذْهَبَا

وقال ابن برد :

زِدْتُكَ ذُلًّا فَزِدْتَ تِيهًا وَاخْطُتَ ذُلًّا مِنْ يَلِيهَا !
لَيْتَكَ حُمِلْتَ بِعَظْمٍ مَا بِي فَذُقْتَ مَا ذُقْتُ مِنْكَ فِيهَا
يَا شَاعِرَ الْحُسْنِ بِي تَرَفَّقْ لَا تَقْتُلْنِي بِهِ بَدِيهَا

ومن شعره في سائر الأوصاف

قال :

وَيَوْمَ تَفْتَنَ فِي طَيِّبِهِ وَجَاءَتْ مَوَاقِفُهُ بِالْعَجَبِ
تَجَلَّى الصَّبَاحُ بِهِ عَنْ حَيَا قَدْ اسْقَى وَعَنْ زَهْرٍ قَدْ شَرِبَ
وَمَا زِلْتُ أَحْسِبُ فِيهِ السَّحَا بَ وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْتَهَبُ
بَخَائِي تَوْضِعُ فِي سِيرِهَا وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَاطِ الذَّهَبِ

يتناسبُ معنى البيت الثاني منها قول ابن حمديس الصَّقْلِي ١ :

مَنْ قَبْلَ أَنْ تَرْتَشِفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقَ الْغَوَادِي مِنْ ثُغُورِ الْأَقَاخِ
وَقَوْلُهُ : « بَخَائِي تَوْضِعُ فِي سِيرِهَا » .. البيت ، يشبه قول الآخر من أناشيد أبي
علي البغدادي ٢ :

١ ديوان ابن حمديس : ٨٩ .

٢ ط : ومعنى البيت الأخير من قول الآخر .

حتى إذا ما رَفَعَ الآلَ الضُّحَى حسبته سلاسلًا من الذهب

وقد قال بعضُ أهلِ عصرنا وهو أبو بكر ابن بَقِيٍّ^١ فلذهب به مذمبًا عجيبًا ، وولَّدَ معنىً غريبًا :

يا لكَ منِ برقٍ ومن دِيمةٍ خلَّتُهُما في ليلي العاتِمِ
سوطاً من العسجدِ تومي به كفُّ النجاشي إلى حاتم

وقال ابن برد :

رُضابُكَ ريٍّ لمنْ قد عطِشَ رُضابُكَ أنسٌ لمنْ قد وحِشَ
وكم ليلةٍ جلَّتْها^٢ فأنجَلتْ وقد فتحَ الأفقُ للتَناظرينَ
عن شهلةِ الصُّبحِ هُدْبَ الغَبَشِ

وينظرُ هذا إلى قولِ المعري^٣ :

وصبحَ قد^٤ فَلَينا اللَّيلَ عنه كما يُفلى عنِ النارِ الرمادُ

وقال ابن برد :

عارضٌ أقبلَ في جُحِّ الدُّجَى يتهادى كتهادي ذيِ الوجَى
أتَلَقَتْ رِيحُ الصُّبا لؤلؤهُ فأنحنى^٥ يوقِدُ عنه السُّرجا^٦

١ ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٢ ب : جيتها .

٣ شروح السقط : ٣٠٧ .

٤ الديوان : وإصباح .

٥ ب : فأنحنى .

٦ ب م : سرجا .

وَكأَنَّ الرَّعْدَ حَادِي مُصْعَبٍ كلما صال عليه وَسَجَا
وَكأَنَّ البرقَ كَاسٌ سُكِبَتْ في لَهَاةِ المُنْزِ حَتَّى لَهَجَا
وَكأَنَّ الجَوَّ مِيدَانُ وَغَى رَفَعَتْ فِيهِ المَذَاكِي رَهَجَا

ومعنى البيت الثاني من هذا كقول ابن المعتز، وهو من أحسن ما قيل في
الصُّبح ١ :

وَالصُّبْحُ يَتَلَوُ المشتري فكَأَنَّهُ عُرْيَانُ يَمْشِي فِي الدُّجَى بِسَرَّاجٍ
وقال تميمُ بن المعز ٢ :

وَكأَنَّ الصَّبَاحَ فِي الأفقِ بَازٍ والدُّجَى بَيْنَ مَخْلَبَيْهِ غُرَابٌ
وقال البحتري ٣ :

وَالصُّبْحُ يَلْمَحُ مِنْ خِلَالِ سَحَابِهِ ٤ كَالْمَاءِ يَلْمَحُ مِنْ خِلَالِ الطُّحْلُبِ
وقال ابن برد ٥ :

سَقَانِي وَجَعَنْ اللَّيْلُ يَغْسِلُ كُحْلَهُ بِمَاءِ الصَّبَاحِ وَالتَّسِيمِ رَقِيقُ
مَدَامَا كَذَوْبِ التَّبَرِّ أَمَا نِجَارُهَا فَضَخْمٌ وَأَمَا جِرْمُهَا فَدَقِيقُ

١ ديوان المعاني ١ : ٣٥٨ وعاضرات الراغب ٤ : ٥٤٧ .

٢ ديوان تميم : ٧٠ .

٣ ديوان البحتري : ٨٠ .

٤ الديوان : حتى تجلي الصبح من جنباته ٤ ب : يلمح .

٥ الحلة السراء ٢ : ٤٩ والنح ٤ : ٢٤٢ والبيان ٣ : ٢٠٨ منسويين للمعتضد ،

وسيردان في الذخيرة ، قسم : ٢ كذلك .

وقال أيضاً :

وكانَ اللَّيْلُ حِينَ لَوَى هارباً^١ والصُّبْحُ قَدْ لَاحَا
كِلَّةٌ سُدَّاءُ حَرَّقَهَا^٢ عَامِدٌ أَسْرَجَ مَصْبَاحَا

وقال أيضاً^٤ :

تَأْمَلْ فَقَدْ شَقَّ الْبَهَارُ مُغْلَساً كَماثمه عن زهره الخَضِلِ النَّدِي
مَدَاهِنَ تَبْرِ فِي أَنَامِلِ فَضَّةٍ على أَذْرُعٍ مَخْرُوطَةٍ مِنْ زَبْرَجَدٍ^٥

وقال :

سَقَى جَوْفَ الرُّصَافَةِ مُسْتَهِيلٌ تُؤَلَّفُ شَمْلُهُ أَيْدِي الرِّيَّاحِ
مَحَلٌ مَا مَشَيْتُ إِلَيْهِ إِلَّا مَشَى فِيَّ ابْتِهَاجِي وَارْتِياحِي
كَأَنَّ تَرْتَّمَ الْأَطْيَارِ فِيهِ أَغَانٍ فَوْقَ أَوْتَارِ فِصَاحِ
كَأَنَّ تَشْتَتَى الْأَشْجَارِ فِيهِ عِذارى قَدْ شَرِبْنَ سُلَافَ رَاحِ
كَأَنَّ الْجُدُولَ الْمُنْسَابَ نَصَلٌ صَقِيلُ الْمَتَنِ هَزٌّ إِلَى كِفَاحِ
كَأَنَّ رِيَاضَهُ أَبْرَادُ وَشْيٍ تَعَطَّفُ فَوْقَ أَعْطَافِ مِلاَحِ

وقال :

يَا نِعْمَةً مِنْ عَشْيٍ غَابَ حَاسِدُهُ وَصَبَحَ فِيهِ اجْتِمَاعٌ دُونَ تَشْنِيتِ

١ انظر النفع ٣ : ١٩٧ .

٢ ب م : ذاهبا .

٣ ب م : أحرقها .

٤ انظر الجذوة والمطبخ والنفع ٣ : ٢٩٣ ، ٥٤٦ .

٥ ب م : لمرد .

[رَحْنَا إِلَى النَّهْرِ وَالْأَرْوَاحُ لَاعِبَةٌ
وَلَا حَ فِي الْمَاءِ مِنْهُ مَنْظَرٌ حَسَنٌ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ صَافِي اللَّجَيْنِ وَقَدْ
بِمَوَجِّهِ بَيْنَ أَحْيَاءٍ وَتَمَوَّيْتُ
حَبَسْتُ مِنِّي عَلَيْهِ طَرَفَ مَبْهُوتٍ
ذَابَتْ عَلَى مَتْنِهِ زُرْقُ الْيَوَاقِيتِ]

وَقَالَ يَصِفُ كَلَفَ الْبَدْرِ ١ :

وَالْبَدْرُ كَالْمَرَاةِ غَيْرَ صَقَلَهَا
وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِضَوْءِ صَبَاحِهِ
عَبَثُ الْعَذَارَى فِيهِ بِالْأَنْفَاسِ
مِثْلَ التِّيَاسِ النَّقْصِ بِالْقِرَاطِ

وَرَأَيْتُ ابْنَ بَرْدٍ قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ٢ فِيهِ لِأَحَدٍ شَيْئًا ، وَابْنُ
الْمَعْتَزِ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ الْفَرَنْدِ ٣ :

جَرَى فَوْقَ مَتْنِهِ الْفَرَنْدُ كَأَنَّمَا
تَنْقَسُ فِيهِ الْقَيْنُ وَهُوَ صَقِيلٌ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : وَإِذَا قَدْ انْتَهَيْنَا إِلَى ذِكْرِ الْبَدْرِ فَلْنَمِيعْ بِشَيْءٍ مِمَّا
قِيلَ فِيهِ مِنْ مَقْطُوعَاتٍ وَأَبْيَاتٍ لَهَا مَوْقِعٌ ٤ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ، لِمُحَدِّثِينَ مُتَقَدِّمِينَ
وَمُعَاصِرِينَ :

قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ ١ :

انْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورِقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حَمُولَةٌ ٥ مِنْ غَيْرِ

١ سرور النفس (الورقة : ٧٨) دون نسبة ، وحلقة الكميث : ٣٠٠ والأول وحده
في الفيت ٢ : ١٥٣ والخيرة ٣ : ٨٧٤ .

٢ ب م : لم ير .

٣ ط : وابن المعتز قال ، وانظر زهر الآداب : ٧٧٦ .

٤ ديوان ابن المعتز ٤ : ٩٨ والأوراق : ٢٦١ وديوان المعاني ١ : ٣٤٠ وحلقة الكميث :

. ٢٧٥

وسمع ابنُ الرُّومي هذا التشبيه فقال : أنا لم أرَ قطُّ^١ زورقاً من فضة ،
ولإنما أصيفُ ما شاهدتُهُ ، وأشبهه بما عاينته ، قال^٢ :

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مرَّرتُ به يدحو الرُّفاقَةَ وشكَّ الملحَ بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفِّه كُرَّةٌ وبين رؤيتها قوراءَ كالقَمَرِ
إلاَّ بمقدارٍ ما تنداحُ دائرَةُ في صفحةِ الماءِ يرمى فيه بالحجرِ

[وقال المعري^٣ :

ولاحَ هلالٌ مثلُ نُونٍ أجادها بدَوِبِ النُّصارِ الكاتبُ ابنُ هلالٍ]
وقال^٤ :

وكانَ الهلالُ يهوى الثَّريَّا فهما للوداعِ معتقنانِ
وقال ابن المعتز^٥ :

• مثل القلَّامةِ قد قُدَّتْ من الظُّمْرِ •

١ ب م ة إنَّه لم نر .

٢ مختار الديوان : ٣٤١ والشريشي ٢ : ٥٨ ومجموعة المعاني : ١٩٧ وشرح مقصورة
حازم ١ : ١١٩ والسط : ٤٤٢ .

٣ شروح السقط : ١١٩٧ وروايته : « بجاري النصار » .

٤ شروح السقط : ٤٣٠ .

٥ صدره : ولوح ضوء هلال كاد يفضحنا ؛ انظر الصناعتين : ٢٢٢ وديوان
المعاني ١ : ٣٤٠ وحلبة الكميته : ٢٧٥ ، وديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ وفيه « كاد
يفضحه » ، والأوراق : ١٨٧ - ١٨٨ وحامسة ابن الشجري : ٢٥٨ - ٢٥٩ وتشيقات
ابن أبي عون : ١٣ .

وقال أبو المغيرة ابن حزم^١ :

لَمَّا رَأَيْتُ الْمَلَالَ مُنْطَوِيًّا فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ قَارَنَ الزَّهْرَةَ
شَبَّهْتُهُ وَالْعَيَانُ يُشْهَدُ لِي بِصَوْلِحَانٍ أَوْفَى لَضَرْبِ كُرَّةٍ^٢

وله^٣ :

قَلْبِي وَقَلْبُكَ لَا مَحَالَةَ وَاحِدٌ شَهِدَتْ بِذَلِكَ بَيْنَنَا الْأَخَاطُ
فَتَعَالَ فَلَئِنْ غَظِ الْحَسُودَ بِوَصْلِنَا إِنَّ الْحَسُودَ بِمِثْلِ ذَلِكَ يُغَاطُ

وله إلى من ودَّعه ، وأودَّعه من الجوى ما أودَّعه^٤ :

يَا مَنْ حُرِمْتُ وَصَالَهُ أَوْ مَا تَرَى هَذَا النَّوَى قَدْ صَعَّرَتْ لِي خَدَّهَا ؟
زَوَّدَ جَفَوْنِي مِنْ جَمَالِكَ نَظْرَةً فَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا

قال ابن برد : ولما مات محمد بن ربيب ، صنيعة أبي الأحوص وأبي
عُتْبَةَ ، وورد الخبر قرطبة ، سألتني أبو عامر بن شهيد رثاءه^١ وَوَصَفَ
عِلَّتِهِ ، وَكَانَتِ الْعِلَّةُ الْكَبْرَى ، فَقُلْتُ :

سَيَرُوحُ الْمَرْءُ إِنْ لَمْ يَغْتَدِ وَالْمَنَابَا لِلْفَتَى فِي مَرْصَدِ
مَاتَ مِنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا بَارِئَ النَّفْسِ عَلِيلَ الْجَسَدِ
بِحَرِّ سَقَمٍ مَاجَ فِي أَعْطَافِهِ فَرَمَى فِي جِلْدِهِ بِالزَّبَدِ
كَانَ مِثْلَ السِّيفِ إِلَّا أَنَّهُ حَمَلَ الدَّهْرَ عَلَيْهِ فَصَدَّيْ

١ البيتان في المطمح : ٢٢ والنفع : ١ : ٦٢١ .

١ هنا تنتهي الترجمة في ط .

٢ البيتان لابن برد في الجفوة : ١٠٨ والمطمح والنفع : ٣ : ٥٤٥ .

٤ المطمح والنفع : ٣ : ٥٤٦ .

يَكُنْ المرءَ لم يُحْمَ الأذى لائِذُ منها بِثَنِيَّ زَرَدٍ
يُثْنِي الإِخْوَانُ عَنْهُ جَانِباً وَيَقُولُ الدَّهْرُ قَصْدَ الْعُودِ
وَتَرَى الْمُشْفِقَ عَنْهَا يَتَزَوَّى وَتَرَى الْآفَ مِنْهَا يَفْتَنِي

ومن بدائمه العقم ١ ، المستترلة للعصم ، وما أرى أبا الحسن تجافى عنها غاضباً منها ، لكن
قدر أعجله ، أوزمن لم يسمح له ، ولأمر ما عطل هذا الوزق ، وأحال على الأيام أن
تستطيق ، فالحمد لله الذي لم يثكلنا بها ، ويسرنا لاكتسابها .

رسالة في السيف والقلم وكتبها إلى الموفق أبي الجيش مجاهد ، يقول فيها : أما بعد حمد
الله بجميع محامده وآلائه ، والصلاة على خاتم أنبيائه ، فإنَّ التسابق من جوادين سبقا في
حلبة ، وقضيتين نسقا في تربة ؛ والتحاسد من نجمين أنارا في أفق ، وسهمين صارا
على نسق ؛ والتفاخر من زهرتين تفتحتا من كرامة ، وبارقتين توضحتا من غمامة ، لأحمد
وجوه الحسد ، وإن كان منموماً مع الأبد . وربما امتدَّ أحدُ الجوادين بخطوة ، أو خُصَّ
أحدُ القضيين بربوة ، أو كان أحدُ السهمين أنفذَ مصيرا ، أو راح أحدُ النجمين أضوا
تنويرا ، أو غلت إحدى الزهرتين أندى غصارة ، أو أمست إحدى البارقتين أسنى إنارة ؛
فالمقصّر يرتقبُ تقدماً ، وتقارب الحالتين في المجانسة يشبُّ نار المنافسة ، وإن حال
بينهما قدح النقاد ، وقبح تحاسد الأضداد .

وإنَّ السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان إلى القصد ، من بات يسري إلى المجد ،
وسلمين يلحقان بالكواكب ، من ارتقى لساميات المراتب ، وطريقين يشران نهج
الشرف لمن تفرَّى إليه ، ويجمعان شمل الفخر لمن تأشب عليه ، وميلتين يرشقان العلَّ
فم عاشقها ، ويسطان في وصال المنى يد واملقها ، وشفيعين لا يؤخّر تشفيعهما ، ومجمعين
لا يفرق نجميهما ، جرَّرا أذيال الخيلاء تفاخراً ، وأشما بأنف الكبرياء تناهراً ، وادعى
كل واحد منهما أنَّ الفوز ليقْدَحِه ، وأنَّ الوزِّي ليقْدَحِه ، وأنَّ الدرَّ من أصلداه ، وأنَّ
البكر من زفافه ، وأنَّ البناء من تشييده ، وأنَّ الملاء من تعضيده ، وأنَّ كباء الثناء

١ من الواضح أن هذه الرسائل قد أدخلت على نص الأخيرة ، ولهذا ميزناها بحرف طباعي
مختلف ، وقد انفردت بها النسختان ب م .

موقوف على مجامره ، وأن خطيب القصر محبوس على مثابره ، وأن حلال المآثر من نسيجه ، وأن أفراد المفاخر من تزويجه . وحين كشف الجندال قناعه ، ومدّ الخصام ذراعه ، وهزّ الإباء من عطفه ، وأشمّ الأنف من أنفه ، قاما يتباريان في المقال ، ويتساجلان في الخصال ، ويصف كل واحد منهما جلال نفسه ، ويذكر فضل ما اجنّني من غرسه ، ويتناى بتعقبة تافرت السّما ، ومرتبة رتضة خيستها^١ ، ورياسة من ذوات الجوزاء صادها ، ونباة في صهوة العيوق أفادها .

قال < القلم > : ها ، الله أكبر ! أيها المسائل بدءاً يعقل لسانك ، ويحير جنانك ، وبليّة تملأ سمك ، وتضيّق ذرعك . خير الأقوال الحقّ ، وأحمد السّجيا الصدق . والأفضل من فضله الله عزّ وجلّ في تزيّله ، مقدّساً به لرسوله ، قال : ﴿ هُوَ . والقلم وما يسطرون ﴾ (القلم : ١) ، وقال : ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم ﴾ (العلق : ٤) نجل من مقدّم ، وعزّ من قسم ، فما تراني ، وقد حللت بين جفن الإيمان وناظره ، وجلّت بين قلب الإنسان وخاطره ؟ لقد أخذت الفضل برمتي ، وقدت القصر بأزمته .

قال السيّف : عدنا من ذكر الطبيعة إلى ذكر الشريعة ، ومن وصف الخصلة إلى وصف الملة ، لا أسرّ ولكن أعلن ، قيمة كل امرئ ما يحسن . إن عاتقاً حمل نجادي سعيد ، وإن عضداً بات وسادي لسديد ، وإن قتيّ اتخلفني دليله لمهديّ ، وإن امرأ صبرني رسيّله لمقليّ ، يشق مني الدجى بمصباح ، ويقابل كل باب بمفتاح . أفصح والبطل قد خرّس ، وأبسم والأجل قد عبس ؛ أفضي فلا أنصف ، وأمضي فلا أصرف ، أزري بالوفاء ، وأهتك للأمة هتك الرداء .

قال القلم : نموذج بالله من الحور بعد الكور^٢ ، وقبّحاً لتحلّي بالبور . و < الخياقة > تسود ما يتّص الصفاء ، وتكدّر ما أخلص الإخاء ، وتؤكد أسباب الفتن ، وتضرب بقباح النتن . الحق أبلج ، والباطل بلجج ، إن < تأبى النصفة > فإنها^٣ في قدحها لأمونا الطائر ، محمودة الباطن والظاهر . أحكم فأعندل ، وأشهد فأقبل ، وترحل عزّ ماني شرة

٢ الحور بعد الكور : التقصان بعد الزيادة .

١ خيسها ، ذلها .

٣ ب م : فان .

وغرباً ولا أرحل ، أهدُ قلبي ، وأستكني فأكفي ، أحلب الفيتى من ضرّوعه ، واجني
الندى من فروعه . وهل أنا إلا قطبٌ تلور عليه الدول ، وجوادةٌ شأوةٌ يلدرك الأمل ،
شفيع كلّ ملكٍ إلى مطالبه ، ووسيلة إلى مكاسبه ، وشاهدٌ نجواه قبل كلّ شاهد ،
وواردٌ معناه قبل كلّ وارد .

قال السيف : يا لله ! استنّت الفصالُ حتى القصرى^١ ، وربّ صلفٍ تحت الرّاحلة^٢ ،
لقد تحاول امتداداً يباع قصيرة ، وانقاضاً بجناح كسيرة . أمتعربُ والقلسُ ثغرك ،
ومستجبٌ وكل بقعة وطنك ؟ جسم < عار >^٣ ، ودمع نار ، تحفى فتقتل برّياً ، حتى
يعود جسمك قيّاً ، إن الملوك لتبادر إلى درمكي ، ولتحاسد في ملكي ، ولتوارثني ظل
النسب ، ولتغالي فيّ على الحسب ؛ فتكثلني المرجان ، وتعلمني القيلان^٤ ، وتلحفني بظلم
كحلّك ، وحمائل كخمائل ، حتى أبرز برباز الفلندي يوم الجلاء^٥ ، والروض غب السماء .

قال القلم : من ساء سمعاً ساء إجابة^٦ . أستمع بالله من خطلك أريحته فيه سوانحك ،
وزال افتحت به كلامك ؛ إنّ أزدراءك بجمكّن وجلداني ، وبخس أظفاني ، لقص
في طباعك ، وقصر في باعك ؛ ألابون^٧ الذهب معدنه في القفر ، وهو أفضس الجواهر ،
[وقتار] مكنمها في الحجر ، وهي إحدى العناصر ، وإنّ الماء وهو الحياة ، أكثر المايش
وجلدناً ، وأقلها أعملاً ، وقلما تكلّى الأطلاق للنفسية ، إلا في الأمكنة الخسيسة . ولما
التحترى ، فغنيّا بالجمال عن جرّ الأذيال ؛ وهل يصلح الدر حتى يُطرح معدنه ، أو
يتهجّ الإغريض حتى يُشدّب صفه ، أم يفلأ^٨ الصبيح حتى تجلي صفه ؟ إنّ الفضحاء

١ فصل المقال : ٤٠٣ ، والمسكري ١ : ٧١ .

٢ فصل المقال : ٤٣٠ ، والميداني ١ : ١٩٨ ، والمسكري ١ : ٣١٦ .

٣ كما في ب م ؛ وزيادة عار مستوحاة مما سيجيء في السياق .

٤ ب م : النيان .

٥ ب م : الجلاء .

٦ فصل المقال : ٤٨ ، والميداني ١ : ٢٢٣ ، والمسكري ١ : ١٤ .

للرجال معروف ، وإن الخفر على النساء موقوف . ولولا جلاء الصباقل صدأك لأسرعت
ذهاباً ، وعدت مع التراب تراباً .

قال السيف : جعبة رحي لا يتبعها طحين ، وجلجلة رعد لا يليها مزن ، في وجه
مالك تعرف أمرته ١ ؛ وجه لثيم ، وجسم سقيم ، وغرب يفل ، ودم يطل ، ودموع
سجام ، كآتهن سَخام ، ورأس لم يتقلقل فيه لب ، وجوف لم يتخضخض فيه قلب ،
أوحش من جوف العير ٢ ، يشهد عليه كثرة الجور بقلة الخير . فهب من نومك ،
وأقطر من صومك ، وتحكم بطرف نظار ، في جسم ماء وحلة نار . إن انتضاني جاهل ،
أوهمتني أني سائل ، فترخوفاً أن يفرق ، وولي حذراً أن يحترق ؛ في بحر زبد الشعل ٣ ،
وبرق سحابة الخليل ٤ . لو انتضيت والشمس كاسفة لم ينظر وقت تجليها ، أو السنون
مجلبة ٥ أيقن بالحيا راعها . قد خطأ الفرند في صفحي أمثال صغار الخيلان ، في البيض
من صفحات الحسان . أكرع يوم الوغى في لبة البطل ، فأعود كالخلد كسي صبيغ الخجل ،
كأنا اشتملت بالشقيق ، أو شربت ماء العقيق .

قال القلم : إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً ٥ . ما كل يضاء شحمة ولا كل
سوداء تمرة ٦ . إن ماعك السائل بلحامد ، وإن جرمك الملتهب لبارد ، ولن يفرق
فيه حتى تكرع في السباب العطاش ، ولن يحترق به حتى يقع في نار الجباب الفراش ،
فأقصر عن جفك من المعى رواقاً ، واحلل من خصرك للجهل نطقاً ، يسفر البلاء لك عن
قضيبي عاج ، ولسان سراج ، وقدح ورق جلل بالعقيان ، وحلة نرجس فوق جسم
أحوان ، لليل في فوديه لطح ، والمسك في صدغيه فضخ . أنجلي عن المهارق ، انجلاء

١ فصل المقال : ٢٩٤ والميداني ٢ : ١١ والمسكري ٢ : ١٠٤ ؛ وأمرته - بفتح الهمزة

وتخفيف الميم - وأمرته - بكسر الهمزة وتثقيب الميم - أي نماره وكثرته .

٢ فيه إشارة إلى قول امرئ القيس : « وواد كجوف العير قفر قطعتة » .

٣ ب م : الشغل .

٤ ب م : الجلل .

٥ الميداني ١ : ٢١ والمسكري ١ : ٣١ (أبو الفضل) .

٦ الميداني ٢ : ١٥٦ والمسكري ٢ : ٢٨٧ (أبو الفضل) .

الغمام عن الحلمات ، وأرقم في بطون الصحف ، مالا يرقم الربيع في الروضة الأقف ،
من منمنم يخال بين مسهم ، ومعضد فوق مسرد^١ .

ولما كثر تعارضهما ، وطال تراوضهما ، وقابل كل واحد منهما بجمعه جمعاً ، وقرع
بنه نبهاً ، ولم يتشأن أحد الصّارين كهاماً ، ولا ارتدّ أحد العارضين جهاماً ، تبادرا
إلى السلم يقعدان لواءها ، وإلى المواقفة يردان ماءها ، وقالان من القبيح أن تشئت أهواؤنا ،
وتتفرق آراؤنا ، وقد جمعنا الله في المألف الكريم ، وأحلنا بحل غير ذميم ، بأعلى يد
نالت آمالها ، ووافيت المطالب في أوطانها ، ولم تقابل باباً مغلقاً إلا فرعته ، ولا حجاباً مضملاً
إلا رفعتة ، ولا جدّاً عائراً إلا أقالته ، ولا أملاً غائراً^٢ إلا أسالته — تلك يد الموفق أبي الجيش
مولي المعالي ومسترقها ، ومستوجب المكارم ومستحقها ، للعاهد لواء المجد بلواقب السّماك ،
والملل بفخره على الأفلاك ، والمقدم إذا أحجمت الأبطال ، والضاحك إذا بكت الآجال ،
والسّاري إلى العلياء إذا أدلج الكرام ، والمُسهد في الآراء إذا هجد الأثام ، والطالب
نار العليم بجوده ، والمشفع التّيل بمزيده ، والمسعف لمياعده^٣ ، والمخلف لإياعده ، والمجري
في ذوايا الممم ماءً ، والمطلع في ظلمات الآمال سناءً . فإذا قد عدل بيننا بحكمه ،
يوم وغاه ويوم سلمه ، فجاوز بك حد المسألة ، وجاوز بي حد المشاركة ، ولم يترك حتى
بلغ مناه ، ولم يثنني حتى وافق < هواه > ، ولم يقصر بي عن غاية بلّغك إليها ، ولم يقلعك
إلى مرتبة أخرني عنها ، فأجمل رداء ترتديه ، وأفضل حللأ تختدي ، وأهدى سبيل قصده ،
وأصفى منهل نرده ، مؤلفة تجرر ذيلها ، ونميل ميلها ، ومعاشرة تتجاني ثمارها ، وتعاطي
عقارها ، وذنوب تخلي أوطانها ، ونهدم بنيانها ، ودمن^٤ نعتي دمنها ، ونردّ في أجفانها
وسنها .

ثم قال القلم : إن مما نبرم به عقدنا وننظم عقدنا ، ويستظهر به بعضنا على بعض ،
إن حالت حال ، كان للدر انفعال ، أن نخط^٥ كتاباً معصياً ، يكون لنا متناً وعلينا رقيماً ،
قد يلبّ الدهر بقاربه ، بين المرء وأقاربه ، ويسمى بالنميمة ، بين الفرعين من الأرومة .

فقال السّيف : أنت والبيان ، وجرياً^٦ والمبدان . فقال القلم : إن الثّر في ذلك متشكّل

٢ ب م : حائراً .

٤ ب م : وحرباً .

١ ب م : مسهد .

٣ ب م : لماعده .

يسر ، وإن الشعر في ذلك ذكر خطير ، وإنه لشدة الحادي ، وزاد الرائع والغادي .
وأختره على النثر ، تنويهاً بالذكر ، فقال :

قد آن للسيف ألا يفضل القلما	مذ سُخِّرَا لَفَقَى حَازَ العُلَى بهما
إن يُجَنِّى المجد غَضّاً من كئامه	فلنما يُجَنِّى من بعض غرسهما
ما جاريا أملاً غوافياً أمدأ	إلا وكانت خصالُ السبق بينهما
سقامها الدهرُ من تشيته جرأ	وليلي حروفُ تقطعُ الرِّحما
حتى إذا نام طرف الجهل وانتهت	عينُ التهي قرعاً سنيهما فلما
راحا بكفّ أبي الجليش التي خلقت	غمامة كل حين تُطرُ النعما
فماد حبّلهما للنبى مُنقداً	وراح شملهما للنفص ملثما
يا أيها الملك السامي بهمة	إلى سماءٍ علا قد أعيت الحسما
لولا حِلَابِي غريب المدح فيك لَمَا	وصفتُ قبل حلاك السيف والقلما
وإنما كان تعريضاً كشفتُ به	من البلاغة وجهاً كان ملثما

< رسالته في التخلّة > :

أما بعد - جعلك الله من المؤثرين على أنفسهم والمؤقنين شُعبها ، والمنجزين لمواعيدهم
والمعطين صدقها - فقد علمت ما سلف لنا في العام الفارط من عتابك ، ولهبنا شكته من
ملاملك ، لما كتمتا صرام التخلّة التي هي بأرضنا إحدى الغرائب ، وفريضة العجائب ،
هرياً من أن نلزمك الإسهام في رطبها ، وحرصاً على تمام لذّة الاستبداد بها ، وقلت ، وقد
سألناك من جناها قليلاً ، ورجونا أن تُنيلنا منها ولو قليلاً : لو علمتُ أن لكم به هذا
الكلف ، وإليه هذا النزاع ، لأمسكته عليكم ، وجعلتُ حكم جداده إليكم ، ولكنها
إن شاء الله في العام الآف غلثكم ، عتاد قيس لكم ، وذخر جيس عليكم .

فلما نحن فرسما تلك العدة في سويداوات قلوبنا ، وروكلنا بها حفظة خواطرننا ، وبأما
أنت فهيلت عليها التراب ، وأسلمتها إلى يد البيل . حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ،

١ الجداد - بفتح الجيم وكسرهما - : قطف النخل أو الثمار عامة .

وَأَزَيْتَتْ زَيْتَهَا ، وَبَلَّغَتْ غَايَتَهَا ، وَأَشْبَحَ الْقَمَرُ صَبِيحَهَا ، وَأَحْكَمَتِ الشَّمْسُ نَضِيجَهَا ،
 دَبِيتُ إِلَيْهَا الضَّرَاءَ بِصَرَامِكَ ، وَمَشَيْتُ نَحْوَهَا الْجَهْرَ بِجَرَامِكَ ١ ، عَلَى حِينِ نَامِ السَّمَارِ ،
 وَغَفَلْتُ الْجَارَةَ وَالْجَارَ ، وَأَبَيْتُ بِهَا لِبَابَةِ الْأَمَدِ بِفَرِيضَتِهِ ٢ ، وَبَحْكَمَتَ فِيهَا تَحْكَمَهُ فِي
 عَنِيزَتِهِ ٣ .

وَمَا رَأَيْنَا عَلَى ذَلِكَ طَلَائِعَ الرُّطْبِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالْخَفْيَ ٤ مِنْ بَكْرِ التَّخِيلِ عَلَى الْأَطْبَاقِ ،
 هَزَّتْ جَوَانِحُنَا ذِكْرُ الْعَدَةِ ٥ ، وَقَلْقَلَتْ أَحْفَادَنَا حُلُوُ الْخَلِيَةِ ، فَرَكَفْنَا الْمَسَالِيحَ إِلَى حَرَمَتِكَ ،
 وَجَعَلْنَا نَشْدُ طَعْمًا فِي لِقَائِكَ ، فَلَمَّا غَشَيْنَا الْجَهَةَ تَلَقَّانَا فَيَّ ٦ وَصَاحَ الْجَيْنُ ، آخِذًا بِالْيُونِ ،
 فِي وَجْهِهِ لِلْأَدَبِ شَاهِدٌ ، وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنَ الظُّرْفِ رَائِدٌ ، فَقَالَ : يَا بَنِي أَنْتُمْ ، وَبَيْنَ أَفْئِدَتِكُمْ
 حَيْثُ كُنْتُمْ ، أَرَأَيْتُمْ نَاشِدِي ضَالَّةً أَوْ مُسْتَلْزَكِي سَبَبٍ قَائِتٍ ، فَاسْأَلُونَا فَرِيضًا سَقَطَ عَلَى
 الْخَيْرِ ، وَشَاوَرُوا فَاكْشُورَةَ تَفْتَحُ غُلُقَ الْأُمُورِ . قُلْنَا لَهُ : يَا بَابَتَا أَنْتَ ، إِنَّا لَنَرْجُو بَيْسُنَ
 لُقْيَاكَ ظَفْرًا بِالْمَطْلَبِ ، وَنَجْمًا فِي الْمَذْهَبِ . جَاوَيْكَ وَصَدِيقُنَا الَّذِي نَحْنُ تَلْقَاهُ مَتْلَهُ ، وَفِي
 حَاشِيَةِ عَمَلِهِ ، وَعَدْنَا مِنْذُ عَامٍ بِأَنْ يُسْهِمَ لَنَا فِي جَنَى نَخْلَةٍ لَدَيْهِ ، لَمْ تَتَفَقَّ تَرِيَّةَ هَجَرٍ عَنْ
 مِثْلِهَا ٧ ، وَلَا أَوْتِ قَمَارِيٍّ بِصُرَيْ ٨ إِلَى شَكْلِهَا ، فَجِئْتَاهُ لِنَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمُنَ ٩ قُلُوبُنَا ،
 وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ . وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ .

قَالَ الْفَتَى : يَا لِإِخْوَانِي فِي الْخَلِيَةِ ، وَشُرَكَائِي فِي فُوتِ الْأَمَلِ ، أَنَا سَاكِنُ الْمَحَلَّةِ الَّتِي
 مَنِبَتُ هَذِهِ النَخْلَةَ فِي سَاحَتِهَا ، وَقَدْ صَرَمَهَا مِنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا ، وَلَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ صَرَامِهَا
 أَمْنَحُهُ . نَظَرَ الْعَاشِقُ إِلَى الْمَعْشُوقِ ، فَإِذَا رَأَتْ الطَّيْرَ وَهِيَ عَلَى سَعَفِهَا مَا أُوْصِلَ إِلَيْهَا مِنْ
 لِحْظَاتِي ، وَأَتَابَعَ عَلَيْهَا مِنْ زَفَرَاتِي ، وَنَتَفَتَّ بِأَفْرَادٍ مِنْ رُطْبِهَا لَحْلً مِنْ شِفَاهِ الْعَذَارَى .
 وَأَنَا الْيَوْمَ أَبْكِي مِنْهَا رُبْعًا خَالِيًا ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَغْدٍ عَنْهَا جَالِيًا ١٠ .

-
- ١ ب : حتى إذا أعدت الأرض زيتها وبلغت .
 ٢ الجرام : صرام النخل ؛ وفي ب م : بجرامك .
 ٣ لعل الصواب : « حقيزته » .
 ٤ كذا و لعل الصواب : بصرة .
 ٥ ب م : رأيت .
 ٦ ب م : حالياً .

فما هذا الخيس أبا عبد الله بهلك ، وما هذه الرُبْدَةُ في وجه عدوك ١ ، وما هذا الاستنثار على إخوانك المؤثرين لك ؟ إن كنت لم تحضرنا يوم صرامها لتحكم على قولك فيها ، ولتخذ معك بأجل الأقسام منها ، فالعذر لا يضيّق عنك ، واللوم لا ينسبط إليك . هاتِ مما ذخّرته لساعات تفكّحك ، أسهم لنا فيما اعتدته ليوم نوروزك . لم يكن جناها بتر فيقسمه الإهداء ، ولا بلون فتطيب عنه النفس . ولا تحش منا ما أفسد به > ابنُ الزبير عماله < حين قال لهم : « أكلمتم تمرّي وعصيتُم أمرّي » ٢ ، إذا نحن أكلنا منها فصرّنا فناسب عنك أعداءك برّاً وبحراً ، ولا نعصِ لك أمراً .

جعلنا الله فداك : نحن عصابةٌ نتحلّى بأدب ، وننتهي إلى حفظ غريب وصباغة قريض . وربما لم تصدّق في هذا الطريق مضاءنا ، ولا قبلت يقيناً غتنا ، فأردنا أن نصف لك شيئاً من كلام العرب في النخل وبله نباته ، والتمر وتلوّن حالاته ، فإن سرّك ما جتنا به ، وراقك ما أفضنا فيه ، جعلت جوارثنا تمرّاً ، وكان ذلك لنا أجراً .

نعم ، تقول العرب لصغار النخل ٣ : الجثيث ، والودي ، والحراء ، والقسيل ، والأشياء ، والكافور ، والضمّد ، والإغريض . فإذا انعقد سمته السّياب ، فإذا اخضرّ قبل أن يشتدّ سمته الجندال ، فإذا عظم فهو البُسْر ، فإذا صارت فيه طراقة فهو المخطّم ، فإذا تغيّرت البُسرة إلى الحمرة فهي شقّحة ، فإذا ظهرت الحمرة فهي الرّهُو وقد أزهى ، فإذا بلت فيه نقطة من الإرطاب قيل قد وكتت ، هي بُسرة مُوكّنة ٤ ، فإذا أدرك حملُ النخلة فهو الإناض ، فإذا أتاها التوكيت من قبل ذئبها فهي مذقبة ، فإذا بلغ الإرطاب نصفها فهو المجزّع * والمجزّع ، لقتان ، فإذا بلغ ثلثها ٥ فهي حلّقانة ، فإذا جرى الإرطاب فيها كلها فهي مُنسبّنة .

١ وما هذه الرُبْدَةُ في وجه عدوك : عبارة مستقيمة المعنى إلا أن معناها غير ملائم للسياق ؛ ولعل الصواب « ما هذه الرُبْدَةُ وعدك » .

٢ عند البلاذري (الانساب ٥ : ١٩٤ و ٣٦٣ وانظر الاشتقاق : ٤٠٧) أنه قال ذلك لعامله على وادي القرى . ويقال إنه قالها لثيوخ من العراقيين وجههم إليه مصعب .

٣ انظر المخصص ١١ : ١٠٢ وما بعدها والتلخيص : ٤٨٦ .

٤ قال السيرافي (المخصص ١١ : ١٢٢) : بسرة موكت ، بغير هاء .

٥ ب م : المخرع ؛ ولم تورده المعاجم بهذا المعنى .

٦ ب م : ثلثها .

فيا أبا عبد الله أجدنا رطباً ، نُمَجِّنكَ خُطْباً . هذا قليل من كثير ، وثِمَادٌ من بحور ،
وليس يطيب وصفنا نظماً ونثرًا لمناقب هذه النخلة إلا بعد اختيارنا منها ، وفوز قدامنا
بها . إذا أنت فعلت فكلتُنا فيها خاصة ما تكلّمه عمرو بن بحر الجاحظ في نخل الدنيا عامة
نأتك به ، ونُثَرِّي فيه عليه . ولعلّك تحبّ أن تسمع شيئاً من منظوم الكلام في النخل يذيب
من جمودك ، ويولد عقيم جودك ، فالمنظوم خدّاع بحسنه ، مُستَهِلٌّ بطلته . أنشد الأصمعي
لأبي الغفار الرّياحي ^١ :

عَدَّتْ سَلَمَى تُعَانِي وَقَالَتْ رَأَيْتُكَ لَا تَرِيغُ لَنَا مَعَاشًا
فَقُلْتُ لَهَا أَمَا تَكْفِيكَ دُهُمٌ إِذَا أُمْنَحِلَتْ كُنَّ لَنَا رِيَاثًا
بَوَارِكُ مَا يُبَالِيَنِ اللَّيَالِي ضَرَيْنَ لَهَا وَلِلْأَيَّامِ جَاثًا
إِذَا مَا الْقَارِيَاتُ طَلَبْنَ مَدَّتْ بِأَسْبَابٍ نَنَالُ^٢ بِهَا انْتِمَاشًا
تَرَى أَمْطَاطَهَا بِالْبُسْرِ هَدَلًا مِنَ الْأَلْوَانِ تَرْتَعِشُ ارْتِعَاشًا

هذا وأنا لنخشي أنك أزيد تمادياً في أمرك ، وأعظم شحاً على تمرّك ، لإزاحة ^٣
المعاش ومعالجة الاقنيات ^٤ . فقال لها : في النخل التي رزقنا الله كفافاً من العيش كاف ،
وبلغة من القوت مقنعة . ثم أعظم من أمرها بدينوّ طعامها في الجلوب ، وصبرها لتصرف
الليالي والأيام . وما ترى أرسل هذه الآيات على ألسنتنا إلا شيطان قد شكا إليك عسرة
فأنلته بسرة ، فهو يجب إيقاننا عندك ، ودفع متطغلي الإخوان عنك ، فلعن الله الشيطان وأعادنا
منه ، وصلّى الله على محمد ولا صديقاً معه ، فإنه يقول : « نِعْمَتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ » ،
والخطاب لجميع المسلمين . وأنت قد استوليت على عمة من عمّاتهم ، تستبدّ بخيرها دونهم ،
وتُمسك معروفها عنهم . ونحن رجال من بني أخيها أتينا نفضيها ، فإن أنت سويتنا مع
نفسك فيما تدّره عليك ، وتعلأ منه يديك ، وإلا نافرناك إلى السلطان ، وآلبنا عليك
أبناء الزمان . ونستغفر الله ونسأله أن يبدلنا من بخلك نوالاً ، وبمطّلك إعجالاً .

ورسالة سمّاها بالبديعة في تفضيل أحبّ الشاء على ما يفرّش من الوطاء ،
يقول فيها : أحمك الله إلى مرشد الأمور ، ومنحك صواب التدبير ، وعرفك

١ نهاية الأرب ١١ : ١١١ . ٢ ب م : تنال . ٣ ب م : إزاحة .
٤ هذه الجارة الواقعة بعد الشمر قلعة في موضعها لأنها فصلت بين الآيات ونثر الكاتب
لها ، ابتداء من قوله : فقال لها .

من بركة التواضع ما يهلك في أهله ، وقبّح إليك من نقيضه الكبر ما يهلك بك عن سبيله ، وجعل أحب أسباب معايشك إليك ، ما عاد قليله بكثير المنفعة عليك . وما دعائي هذا بحق استوجبه بالتسليم لمن إلى الدنيا سبقتك ، وللمد باكورة التجارب مدّ يده قبلك ، ولكنه عرض لمحاسن الأخلاق عليك ، واضراب عن وجه المعاتبة لك ، في الهوة التي كانت منك . وإنني وإن كان شأو سني أمدّ ، وساعد زمني أشد ، وكنت بالأيام أظن ، ولمسائل تجاريها أظن ، فما أحب أن أقتني الخمر بالربا ، ولا أن أجزع عن أحمد أخلاق أهل الفتا ، فأحتج عليك معتاً ، وأرادك القول مجعلاً ، استطالة بأبهة الكبر عليك ، وأنساً إلى مساعدة الجاهلين فيك ، على ما عليه اليوم أقوام أساموا تدميرهم ، وجعلوا مقاديرهم ، ورأوا لأنفسهم من الحق ما لم يجعلهم الله له أهلاً ، ولا أسلكهم منه حزنًا ولا سهلاً . وإن طالت مناقلتنا الكلام ، وامتد لنا ميدان الخصام ، فلا تحسبي منهم ، ولا تنظني في سلوكهم ، وإنني من دوحة كلامك على آتي غصن شت ، وانعطف من جداول معانيك في أي جزع أحيت .

عيني أعزك الله بارتخاص الأشياء ومقا < رعة الأقوام > ٢ في الشراء ، وقلت لم تؤثر ذلك إلا للوم الخليفة ، والهمة الدقيقة ، وإلا فالشيء ربما غولي في ثمنه لطول الاستمتاع به ، وتعرف نماء فائدته ، وربما مالت نفس الحرير إلى الرخيص ، فطال بقاؤه معه ، وبلغ في التعرض منه أضعاف الذي كان استثنى ، وقامت هناك بين الرأي ، واحتجب دونك وجه النظر . وسأفصح للكلام ميداناً ، وأثر عليك من الألفاظ مرجاناً ، وأغاطيك من سلاف المعاني أكواساً ، وأشمك من روض البيان آساً ، وأريك صورة الحسن في جمالها ، وأعطيك الحلية بزمامها ، فلعلك أن تكون سلس الرجوع إلى الحق ، ملوحي نبي العنان عن التنادي في الباطل ، فزروح مشكورين : أنت على الاستماع وأنا على الإفهام .

جلّ ما له عبت ، وفيه قلت ورددت ، وبه أبدأت وأعدت ، [من] إثاري في الصيف والشتاء ، أحب الشاء ، ومراوحتي منها في البرد والحر ، بين البطن والظهر . وأي بساط منها أدل على التواضع وأعرب عن القناعة ، وأدق في السبرة ، ، وألين في المس ، وأنحف في المحمل ، وأمكن للنقلة ، وأوهق لمقدار الحاجة ، وأجدر بطول المتعة ٣ ،

.....

١ كذا في ب م : ولعلها « أهدح » أو « أنزع » .

٢ قراءة تقديرية . ٣ ب م : وأجدر بطول المتعة .

وأبقى على حدث الصبر ، وأغنى عن تكلف التبطين ومراعاة أوليات الترفع ، والمحافظة على الطي والنشر ؟ تجيد على الابتدال ، وتعتق مع الامتحان ، ولا تخرجك إلى غيظ يتأولك في السوم ، ويحجبك أمام القوم ، . تتح^١ جبينك بهرق الاختلاف إليه ، وذل التكرار عليه ، . وهو تبجيج في دكانه ، واشتغل^٢ عن سوء مقامك باستطابة عادية صيانه . ثم لعل^٣ القمل الذي يكون لم يحضر ك ، فتشمت العدو بفكك ، وتبدي ما كان مستوراً من خالك . وهذه بأفئنا مكففة ، وعن سواها مستغنية ، مع صيانة المروعة ووقاية ماء الوجه . إن قلبتها لبطونها شتوت على زئارة ، أو صرفتها لظهورها صفت في لدوة . للعيال فيها — فضلاً عنك — على تقادم العهد ووقوع الاستبدال ، أكبر عون وأكمل انتفاع ، في التمهيد للطفل الصغير ، واستعمالها في أبي الحميم في سحرة الليلة للقرعة . فإن دعتك حاجة نفسك إلى البكور بالغداة ، فقد وجدت من ذلك نعم المعين ، وإن أدلج إليك ضيف يكرم عليك ، لم يكن بحضوره لوقته عنك بنفس ثقيسه به وتقرنه معه .

وبعد ، فلنك لا تتكلف شراءها إلا في وقت تتقرب إلى ربك به ، وتستجزل من كريم ثوابه عليه ، لأنك تستعملها في أصبحيتك التي ترجو بركتها ، وتأخذ نسبة إليها فيها ، فتنتفلك أجر أخرارك ، وتُجعل لك منفعة دنياك . ثم أن جردتها مع الأعوام فتجرد آخر استئناف منفعة ، فهي أيمن قيد لك ، وأعبط كائن معك .

وباب الارتخاص الذي نعتت علي هائنا ، باب قد قامت الدلائل على فضله ، وكان له ظهري^٣ من نفسه . فقال ولو في درائك عبقر ، ورفرف تُستّر ، فلن تبلغ من هذه الفضيلة ، ولن تحظى بمثل هذه المزية ، مع قلة المؤنة ونزارة الكلفة .

ثم اعلم أنها من معاهد صالحى السلف ورؤساء الحكمة ، الذين كانوا بالدنيا أعرف ، وعن زخارفها أعزف ، جاءت بذلك الأخبار ، وقلة الخيار . ولم يجعل الله عز وجل من هذا الجنس أقرب قربان فدى به ابن خليه ، وسمّاه ذنباً عظيماً في تتريله ، إلا لمر من فضله سبق في علمه .

فإن قلت : لا ترى صنفاً من الناس أكثر افتراضاً لها من المعلمين ، وقد قيل إن العقل لا يرضى عنهم ، فكيف تسلم في حسن الاختيار لهم ، واختيار المرء قطعة من عقله ، وعيار على نقصه أو فضله ؟ قلت لك : الصوف تجمع أنت وكل^٤ ذي معرفة على أنه زي

١ ب م : تنتج . ٢ ب م : واستقل . ٣ ب م : ظهري .

التساك ، ولباس المتقطعين للتعب ، وعمدة الطراز الأول من السلف . فإن قلت : وما هو في جزيرتك زي رهبان البيع وأرباب الخانات ، وهم أضعف الناس أحلاماً وأدناهم طينة ، والقاتلون بأن الله ثلاثة — تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فجملة القول في هذا المعنى أنه لم يحجب الله تعالى وجوه المعاش ، التي يصحبها جميل النظر ، ويلوح عليها سيما البركة عن جنس من خلقه دون جنس ، ولا أبدأها إلى صنف وحجبها عن صنف ، بل ألهم الكل إلى رشد ، وعرفه نهج معرفته ، وإن تباينت الأشكال والمراتب ، واختلفت التحل والمذاهب . كما جعلها لقدرته في سائر الحيوان من الطائر والناحر بين الآنس والشارد في صحصح القفر ، كل يختلف مسعا لنفسه ، ووجه تدييره لشأنه ، على ما يستر له وألهم إليه . والمعلمون نظروا إلى ضعف سبب اكتسابهم ، وفكروا في تيسر ما تعود عليهم صناعتهم ، فأخذوا بالأقوى والأرفق ، واعتمدوا على الأرخص والأوفى ، ثم علموا أنهم إن تاملوا على أنفسهم ، واقتشوا ما يزينهم^٢ لم يلبث أحدهم أن يقوم عن مجلسه لبعض الأمر أو لقضاء الفرض ، فتقوم حرب لعب الصبيان على ساق ، وتبلغ بمزيق ذلك الذي افترشه وغالى فيه بالأيدي والأقدام ، والرامي والأزدحام ، ما لا تبلغ أنياب كلاب القنص في إهاب العقيرة ، فيعود > فيرى <^٣ ما يسخن العين ، ويوجب الرين . وهذا النوع الذي أنسوا إلى خيره ، وآثروه على غيره ، لو أقامه الصبيان مقام الطبل ، وجعلوه هدفاً للبل ، لم يكن أثرهم فيه إلا أثر الندى في صم الصفا .

وفي اختلاف ألوانه تذكرة للناظر إليه ، وعظة لمجبل بصره فيه ، فما كان منه أسود ذكر بسواد الشباب ، وقميص الفتوة ، وطيب زمن الحداثة ، فأبكى لفراقه ، وقلة المتعة به ، وما كان منه أبيض ذكر بياض المشيب ، ونذير الرحلة ورائد الأجل ، فجر إلى العبادة وبعث على صالح العمل .

هذه — أبقاك الله — خصال لو قُسمت على كل مستعمل لهذا الشأن من رخيص وغال ، ودون وغال ، لأربت على الكفاية ، وجازت مدى الغاية ، فعها من مُملها ، ودع القوس لبارها ، وأسلم أعتة الجياد إلى مُجربها . لم آت في معناها بظلمة تحتاج إلى صبايحك ، ولا جئت بلفظ ذي تهمة يضطر إلى إضحاك . فإن كنت قد لبست شبكة المعارضة ، وأوترت قسي المناقضة ، ورشت سهام المناقلة ، فإلى غيري فاكشف صفحتك ،

١ زيادة لاكمال المعنى .

٢ ب م : يزينهم . ٣ زيادة للمعنى .

في سوى هذا الفن فشمّر عن ساعديك ، فقد قام بنفسه وأعرب عن ذاته ، ولم يترك مقالاً لقائل ، ولا مجالاً لجائل .

وأخافُ عليك - شحاً بك - أن تستقبلَ بدمٍ هذه الأهُبُ كلَّ مُقترشٍ لها ، مُغتبطٍ بها ، فلا تجده إلاً شيخاً رافع الوسامة ، أبيض الشعر ، أنسَ إخوانه ، وحلّس أسطوانه ، قد حفظَ المسائل ، وملأ من إجازات الشيوخ الخزائن ، تقصده الفتيات والفتيان ، وتقديه الجاراتُ والجيران ، وتتنافس في حضوره أيامَ الزفاف ، ويختصّ بصدور المجالس وطبّيات الصحاف ، أو معلماً ذا سبّلة طولى ، وجين أخلى ، قد ائتمته الملوك على ثمار قلوبها ، وعماد ظهورها ، وقطع أكبادها ، يتوسط من صبيته قلب جيش ، ويعيش بالطفاء أمهاتهم أحصب عيش ، يقعد عنده الوراقون ، ويتحاكم إليه في الخطوط الناسخون ، فإذا كانت أيامَ الأخمسة والجمعات أطال قلنسأته ، وولّى الزيارة منسأته ، وسار مهنينا بتسيحه وتقديسه ، وهليله وتحميله ، يزور الإخوان ويتعاهد المعارف ، والكلّ هسّ إليه ، مُقبل عليه .

فإن عارضتَ هذا الجينس ، وناقضتَ هذا الصنف ، دون اتقاء من وراءهما من الأصاغر والأكابر ، والملوك والسوقة ، ضاقت عليك الأرض وكثر عند الحصى ، ولم يُستبث في شاك ، ولا رقتَ كبِدُ لرقّة بيانك . وأخوك من صدقك ، ومحبّك من نصحك ، وأنا أستغفر الله ممّا كان في ذلك من قول أو عمل ، والسلام .

فصل في ذكر الأديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبجي واجتلاب جملة من أشعاره مع ما يتشبّثُ بها من أخباره^١

كان أبو مروان هذا أحدَ حُمَاةِ سَرَحِ الكلام ، وحَمَلَةِ ألوية الأكلام ، من أهل بيتٍ اشتهروا بالشعر^٢ ، اشتهارَ المنازلِ بالبدر .

.....

١ ب م : أسطوانه .

٢ ترجمة أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبجي في الصلة : ٣٤٣ والمغرب ١ : ٩٢ والنفع ٢ : ٤٩٦ (نقلاً عن الذخيرة) والحنوة : ٢٦٥ (البنية رقم : ١٠٦٥) وبغية الوعاة : ٢١٢ والمساك ١١ : ٣٩٨ .

٣ ب م : بالثر .

أراهم^١ طرأوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة ، وانتشار^٢ شمل الطلعة ،
وأناخوا في ظلها ، ولحقوا بسراوات أهلها ، وأبو مضر أبوه زيادة^٣ الله
ابن علي التميمي الطنبلي هو أول^٤ من بنى بيت شرفهم ، ورفع بالأندلس
صوته بنباهة سلفهم .

قال ابن حبان : وكان أبو مضر^٢ نديم^٣ محمد بن أبي عامر ، أمتع
الناس حديثاً ومُشاهدةً ، وأنصبتهم ظرفاً ، وأخذتهم بأبواب الشد
والملاطفة^٤ ، وأخذهم بقلوب الملوك والجلّة^٥ ، وأنظمتهم لشمل إفادة
ونجعة^٦ ، وأجملتهم بدرهم وكسرة ، وأذبتهم عن حريم نسب^٧ . ونجعة^٨
له في كل ذلك أخبارٌ بديعة ؛ من رجل شديد الخلابة ، طريف الخلوة^٩ ،
يضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا نذر ، رفيع الطبقة في صنعة
الشعر ، كثير الإصابة في البديهة^٩ والروية ؛ انتهى كلام ابن حبان .

قال ابن بسام : وشعر^{١٠} أبي مضر ليس من شرط^{١١} هذا المجموع . لتقدم
زمانه .

فأما ابنه أبو مروان هذا فمكان من أهل الحديث . والرواية .

١ ب م : وأراهم . ٢ ب م : وانتشار .

٣ أبو مضر زيادة الله بن علي بن حسين بن محمد بن أسد التميمي الطنبلي (٣٣٦ - ٤١٥) ؛
انظر الصلة : ١٩٠ ؛ وترجم الحميدي في الجذوة : ٢٠٥ . لمن اسمه زيادة الله بن علي
ولم يرفع في نسبه ، وذكر أنه ألف المنصور كتاب « الحمام » ؛ وقد كان محمد بن حسين
أخو أبي مضر من دخل الأندلس أيضاً سنة ٣٢٥ واتصل بالعالميين وتولى الشرطة
بمدهم وكانت وفاته سنة ٣٩٤ (الصلة : ٥٦٣) .

٤ ط : شدأ وملاطفة . ٥ ط : الملوك الجلّة .

٦ ط : الافادة والنجعة . ٧ ب م : نسب .

٨ م : طريف ؛ ب م : الخلقة . ٩ ط : البديهة .

١٠ ط : نمط .

ورحل إلى المشرق ، وسمع من جماعة من المحدثين^١ بمصرَ والحجاز ، وقُتِلَ بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . ولقتله خبرُ طن^٢ ابن حيان به ، ولم يمنعه من سرِّد قصصه استبشاعه ، وحسبك من شرِّ سماعه ، ونلِّم منه بلعة :

قال ابن حيان : وذلك أنه عدّا عليه — زعموا — نساؤه بتدبير ابن سوءٍ خَلَفَ له ، حنلهنَّ على ذلك لشدة تقثيره على نفسه وعليهن في المعيشة ، وحسبه لهنَّ مع ذلك عن التماس الخيلة لتوسعة الضيقة . فقد كان في ذلك ، مع استدالِ السِّتر عليه ، وسعة ريمه بالحضرة^٣ ، وبعد نُجعته لابتغاء الفائدة ، إلى استناده لراتب هِلالي واسعٍ كان يُجريه السلطان عليه [عَوْنًا] على صيانتِه ، ويأبى إلا التزيُّن بالقُلِّ والاعتزاء إلى المسغبة ، عجباً لمن عرفه أو سمع به ، يُصدِّقُ زعمَ الجاحظ في نوادر كتابه في البخلاء ويزيدُ عليها ، فحُمِّلَ عنه في ذلك أشياء يُكاد النظرُ يُحِيلها ، حتى لأقصى به تقثيره على أهله أن وكلَّهنَّ إلى أنفسهنَّ في أكثر مؤنهنَّ ، وقاتهنَّ بأمدادٍ من غلَّت الحبَّتين القمح^٤ والشعير ، يستدعيها لهن من مُتقبل غلته مياومةً ، ويكلِّفهنَّ استطحاتها بأيديهن ، وهو قد استوحش منهنَّ واعتزلهنَّ ، وانفردَ بنفسه ليلة ونهاره ، لا مؤنسَ له سوى غلام حَزَوْرٍ من ولده ، مَثُوفِ الحلقة ، ضعيفِ العقل ، لا أمَّ له ، يدعى عبدَ الرحمن ، آواه إليه من جميع ولده وأقصى سائرهم في قعر داره ، وصيَّر بينه وبينهنَّ عُدَّةَ أبوابٍ موصلة ، فأصبح بمكانه ذلك في ربيع الآخر من العام المؤرخ قتيلاً فوق فراشه ، مضرَّجاً بدمه ، مبعوجاً بالخناجر في

١ ب م : جماعة المحدثين . ط : دريمه ؛ ب م : ريمه بالحاضرة .

٢ ب م : علف . . . البر . ط : ويتكلفهن .

٣ ط : وقد .

وريله ولبته^١ وأعالي جسده ، مُفَزَعاً لَمَنْ عاين مَصْرَعه ، قد أعلن نساؤه بالتزوح عليه ، يزعمن أنه طُرِقَ بمكانه مُنفرداً عنهن^٢ ، وأخبرن أن ابنته زيادةَ الله المُسَمَّى باسم جدّه لم يكن عنده علمٌ حتى جئن إليه وأخبرنه بما جرى على أبيه ، فهبَّ مُسْتَعْمِلاً للرَّوع مغالطاً بالدمع ، داعياً بويله ، سائلاً عن أبيه سُؤاله بالشيء الذي هو جاهله ، بلسان تحيل^٣ يُنبئ عن دهشه ، وعين جُمودٍ تدلُّ على صَحْوِهِ . وقد تكابَسَ^٤ النَّاسُ عليه تَوَجُّعاً لأبيه . وطلبَ موضعَ تَسَوُّرٍ عليه ، أو نَقَبٍ يُوَلِّجُ منه إليه ، فلم يَقِفْ أحدٌ على عين ولا أثر من ذلك ، فعرف ابنُ جهورٍ بما جرى ، فأوقع التهمةَ به ، واستبعدَ أن يُطْرَقَ أبوه بتلك الدَّاهيةَ ، من يَدِ أَعْيِ المردة ، إذ كان من وِطَاءَةِ الخُلُقِ ، ودُمَائَةِ النَّفْسِ ، وخِلَابَةِ المنطق ، واجتلابِ المودةِ من جميع الخُلُقِ ، وطلبِ السَّلامةِ منهم ، بحيث لا يَحْفَدُ عليه ذو غائلةٍ منهم ولا يفتاله صاحبُ فتَكةٍ . فأحاق به تهمةٌ وأمر صاحب المدينة بالتوكيل به والكشف على داهية أبيه المصاب ، والوقوف على صور محنته ، فلم يوقف على أثر امتحان ، وبحث عن الأمر فشملت الريّةُ أهله ؛ واستفهمَ صاحبُ المدينة الغُلَيْمَ ابنه عبد الرحمن فوصفَ أنه شاهدَ المحنةَ ، وأخبرَ أن امرأته أمٌ ولده زيادةَ الله وابنتيها ، ابنتي القَتيل ، تولين شأنه بسكينة الذي كان يُحاول به النسخ حتى بَرَدَ ، ولم يذكر أن ابنه زيادة الله حضر ذلك ، ففحشت القصة ، واضطر صاحب المدينة إلى هتك حجاب القَتيل في نسوانه ، وبطش به يضرب أم ولده الفاجر زيادة الشر ، فدرأت عن نفسها العذاب باقرارها بكيفية الحال وصفة المحنة المهولة ؛ فسجنوا . ودُفِنَ

١ ط : وإليه .

٢ ب م : لمكان تفرده عنهن .

٣ ب م : جهل .

٤ م : تكاثر .

أبو مروان اليومَ الثاني من مُصابه ، ولم يتخلف أحدٌ عن جنازته ممن سمع خبره ، لاشتهار فضله فيهم ، واجتماع صالح الحلال له من الفقه والحديث والرواية والأدب والشعر واللغة والعربية ، إلى دَمائة الخليفة ، واستقامة الطريقة ، والتزام الحقائق ، واكتمال الإيمان ، بقضائه لجميع فرائضه ، وعوده في نافلة الحج بعد تأدية فَرَضه ، على وَهْنٍ يجسده ، وتخلف في ناضه ، رغبةً في الاستكثار من الخير ، والترقي في المعرفة ، وزيادة لمعاني العلم [وطلبه] ولقاء رجاله . فأكثر الناسُ من تأيينه ، وأخلصوا الدعاءَ على قاتليه ، واستبطأوا السلطانَ في إنفاذ الحدِّ عليهم بالشبهة التي ظهرت . وأفتى الفقهاءُ بتطويل سجنهم بعد الضرب المبرِّح . وتوقف ابنُ القطان^٢ عن صدِّع^٣ الفتوى في القصة إلا بعد إنعام النظر على عبد الرحمن ابنه ، والوقوف على جنس آفته : هل هي في جسمه دون عقله ، أو في أحدهما ، أو كليهما ، فيعمل بحسب ذلك . فإن كان مُمَيَّزاً عاقلاً فهو وليُّ الدِّم القائم بطلبه دون من تقدَّم إلى ذلك من بني أخيه المقتول وأبناء عمه ، وعندها^٤ تستقيم له الفتوى في طلبه . فخالفه صاحبه ابنُ عتاب^٥ ، وألغى حقَّ الغليم ابنه عبد الرحمن ، ونجم الخلافُ وبان الإشكال . فأخذ ابنُ جهور برأي ابن عتاب ، وانفصلَ الحفلُ عن الأخذِ بالقسامة على

١ ط : بانفاذ .

٢ هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال (٣٩٠ - ٤٦٠) ، كان بارعا بمعرفة المسائل واختلاف العلماء والفتاوى والوثائق ، قدمه المستظهر للشورى سنة ٤١٤ (الصلة : ٦٤ - ٦٥) .

٣ ب م : صريح .

٤ ب م : وعند ذلك .

٥ هو أبو عبد الله محمد بن عتاب (٣٨٢ - ٤٦٢) شيخ أهل الشورى في زمانه ، قدم إل تلك الخلطة سنة ٤١٤ أيضا وكان عليه مدار الفتوى (الصلة : ٥١٥) .

المتهمين ثلاثتهم ، زيادة الله ابن القتيل وأمه وأم ولده الأخرى ، وسُجن
 زيادةُ الشرِّ ابنه زماناً طويلاً ، ثم سُرحَ فظلَّ خاسئاً بين الناس ، يخال
 أنه طليقٌ وهو من شأنهم ومقتهم في محابسٍ موصدةٍ . وطاح دمُ أبي
 مروان - رحمه الله - فلم يُقرع فيه أحدٌ بضغثٍ ، ولا حَبَقَتْ فيه عَنَزٌ .
 وبلغتْ تَرَكَهُ قيمةٌ وافرةٌ في أثمانِ دُفَاتِرَ ، وأثاثٍ فاخِرٍ ، ومتاعٍ رفيعٍ ،
 من كُسُوءٍ وفرشٍ . كثرَ الناسُ جُمْلَتَهُ ، وأخذوا في مذمتِهِ لسوءِ ما
 كان يدَّعِيهِ من القُلِّ ، ويأخذُ نفسَهُ به من شَطَفِ المِيشَةِ ^١ . وللفرائز
 المغطورةِ سلطانٌ على النفوسِ لا يُغالبُ بصِدْقٍ نَظَرٍ ولا قُوَّةِ مَعْرِفَةٍ ،
 ومن أدَّى حقَّ اللهِ في ماله فليس بشحيحٍ فيما قَتَرَ ^٢ من إنفاقهِ ، على
 أنَّ المرءَ راعٍ مسئولٌ عَمَّنْ يَقُوُّهُ من أهله ، حباناً الله بالتوفيقِ ، وأقامنا
 على وضوحِ الطريقِ ، بمنه ؛ انتهى ما تلخصته في هذه الحادثة من كلام ابن
 حبان .

قال ابن بسام : قول أبي مروان فيما تقدم من وصفه لابن هذا القتيل ^٣
 إذ جاء سائلاً عن مُصِيبَتِهِ « سؤَالُهُ بالشَّيْءِ الَّذِي هُوَ جَاهِلُهُ » ، محلولٌ ^٤ من
 قولِ نَجَوَاتِ بنِ جُبَيْرٍ ، ويتعلّق به خبرُ نوره على العادة من الزيادة في الافة :
 ذكر أهل الأدب أن الأتراك لما قتلوا المتوكل ^٥ جعفرأ بتدبير ابنه المنتصر ،

١ ب م : المِيشة .

٢ ب م : قدر .

٣ ط : قوله عن ابن هذا القتيل .

٤ ط : حله .

٥ ب م : لما قتل الأتراك المتوكل .

وكان ذلك ليلاً، فلما وقعت الصبيحة وارتفعت سحر المنتصر للحين^١، فجلس على كرسي وحفّ به بغا الصغير وجميع قتلته أبيه، فجعل المنتصر يسأل ويقول : ما هذا الصباح وما هذا الخبر ؟ سؤال جاهل به ، فكان كما قال خوات بن جبير :

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد اختربوا في عاجل أنا آجله
فأقبلت في الساعين أسأل عنهم سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

فقال بغا : إن الفتح بن خاقان علو الله قتل أمير المؤمنين ، فقال : وما فعلتم بالفتح ؟ قالوا : قتل وسفك دمه .

وخبر قتل المتوكل جعفر بتدبير ابنه المنتصر^٢ أشهر من أن يذكر ، وقد أملت من ذلك بلعة في أخبار [الخليفة] سليمان ، المفتتح به^٣ هذا الديوان^٤ . وكان البحري ليلة قتله حاضراً فاختفى في طي الباب ، وهو القاتل فيه من قضيلة يرثيه^٥ :

وكان ولي العهد أضمر غسرة^٦ فمن عجب أن ولي العهد غادره فلا ملّي الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذاك الدعاء متابره

وكان كثيراً ما يرتاح في شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان وتأبينهما ، وهو القاتل فيهما^٧ :

١ ط : الخبر . ٢ ط : وخبر قتل المنتصر أباه جعفر .

٣ ب م : المفتتح باسمه .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٨ - ٤١ .

٥ ديوان البحري : ١٠٤٨ وروايته « أكان » .

٦ ديوانه : ٤١٨ وروايته « بين سمرل وبين صبيغ » .

مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ بَيْنَ مُوسَدٍ وَبَيْنَ قَتِيلٍ فِي الدِّمَاءِ مُضَرَّجٍ
أَطْلَبُ أَنْصَاراً عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا ثَوَى مِنْهُمَا فِي التَّرْبِ أَوْسَى وَخَزْرَجِي

وفيهما أيضاً يقول ١ :

تَدَارَكْنِي الْإِحْسَانُ مِنْكَ وَنَالَتِي عَلَى فَاقَةٍ ذَاكَ النَّدَى وَالتَّطُولُ
وَدَافَعْتَ عَنِّي حِينَ لَا الْفَتْحُ يَرْتَجِي لِدَفْعِ الْأَذَى عَنِّي وَلَا الْمُتَوَكِّلُ

وقال في غلام له ٢ :

عَسَى آيِسٌ مِنْ رَجْعَةِ الْوَصْلِ يُوَصِّلُ وَدَهْرٌ تَوَلَّى بِالْأَحْبَةِ يُقْبِلُ
أَيَّاسَكُنَّا فَاتَ الْفِرَاقُ بِنَفْسِهِ وَحَالَ التَّعَازِي دُونَهُ وَالتَّزِيلُ
أَتَعْجَبُ لِمَا لَمْ يَتَغَلَّ جِسْمِي الضَّنَى وَلَمْ يَخْتَرِمْ نَفْسِي الْحَمَامُ الْمَعْجَلُ؟
فَقَبْلَكَ بَانَ الْفَتْحُ مِنِّي مُودَّعاً وَفَارَقَنِي شَفْعاً لَهُ الْمُتَوَكِّلُ
فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خَلْتُ يَفْعَلُ
وَمَا كُلَّ نِيرَانِ الْجَوَى تُحْرِقُ الْحَشَا وَلَا كُلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ يَقْتُلُ

جملة ما أخرجته من أشعار بني الطُّبَيْ

أخبرني الفقيه أبو بكر ابن العربي عن الفقيه أبي عبدالله الحميدي قال ٣
أخبرني أبو الحسن العائذي ٤ أن أبا مروان الطنبلي لمّا رجع من بلاد

١ ديوانه : ١٧٩٥ وروايته « ومشي على حاجة ذاك الجدا ؛ بيتي لافع الذي أغشى » .

٢ ديوانه : ١٨٩٢ (مع بعض اختلافات في الرواية) .

٣ الخلة : ٢٦٦ وانظر المغرب ١ : ٩٣ .

٤ الخلة : الماهدي .

المشرق إلى قرطبة ، واجتمع إليه في مجلس الإملاء أنشد ١

إني إذا حضرتني ١ ألفُ حبرةٍ تقولُ أنشدني ٢ طَوْرًا وأخْبَرَنِي
يا جَدًّا ألسُنُ الأقلامِ ناطقةٌ ٣ هذي المكارِمُ لا قَبانٍ من لَبَنٍ ٤

ووجدتُ في بعضِ التَّعَالِيقِ بَحْطَ بعضِ أدباءِ قرطبة قال ٥ : لما عدا
أبو عامرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ بنُ أبي عامرٍ على الحَدَثِ ٦ في مجلسه وضربه
ضرباً موجعاً وأقرَّ بذلك أعينَ مطالبيه ، قال أبو مروان الطنجي فيه :

شكرتُ للعامري ما صنعا ولم أقُلْ للحَذَلِمْي ٧
ليثُ عرينٍ عدا لعزته مُفْتَرِساً في وِجارِهِ ضَبْعُما
[لا برحتُ كَفَّهُ مُمَكَّنَةً من الأمانِي فتعمَ ما صنعا]
وَدِدْتُ لو كنتُ شاهداً لهما حتى ترى العينُ ذُلَّ من خضعا
إن طالَ منه سَجودُهُ فلقد طالَ لغيرِ السَّجودِ ما ركعا

[وابنُ رَشِيقٍ القائل قبله ٨ :

كم رَكعةٍ رَكَعَ الصَّفْعانِ تحتَ يدي ولم يَقُلْ سَمِعَ اللهُ لَمَنْ حَمَدَهُ]

١ الجلوة : احتوشني .

٢ الجلوة : حدثني .

٣ الجلوة : نادى بمقوقي الأقلام ناطقة ؛ المغرب : صامت بمقوقي الأقلام زاهية .

٤ صدر بيت لأمية بن أبي الصلت ، وعجزه « شيبا جاء فمادا بعد أبوالا » .

٥ النسخ ٢ : ٤٩٧ والمساك ١١ : ٣٩٩ .

٦ ط م ب : الحذيلمي .

٨ نقل المقرئ هذه القطعة في الهجاء ٢ : ٤٩٧ - ٥٠٠ ؛ وانظر البيت في ديوان ابن

رشيق : ٥٩ .

قال ابن بسّام : والعوبُ تقول فلانٌ ينجأُ العَصَا^١ وفلان يَرْكَعُ^٢
لغير صلاة إذا كنوا عن عهر الخلوة . ومن مליح الكناية لبعض المتقدمين
يخاطب امرأته :

قُلْتُ التَّشِيعُ حُبُّ أَصْلَحِ هَاشِمٍ فَرَفَضِي إِنْ شَتَّ أَوْ فَتَشِيعِي
قَالَتْ : أَصِيلُ هَاشِمٍ ! وَتَنَقَّسَتْ بِأَبِي وَأُمِّي كُلِّ شَيْءٍ أَصْلَحِ

ولما صُنِّدَ كتابي هذا عن شَتِّينِ المهجاء ، وأكبرته أن يكونَ ميداناً
للسُّفَهَاء ، أُجْرِيْتُ هَاهُنَا طَرَفًا^٣ من مליح التعريض في إيجاز القريض ،
مما لا أدبَ على قائله ، ولا وصمة أعظمُ^٤ على من قيل فيه . والمهجاء ينقسم
قسمين : قسمٌ يُسَمَّوْنَهُ هَجَوَ الأشراف ، وهو ما لم يَبْلُغْ أن يكونَ سبَاباً
مُقَدِّعاً ولا هُجْراً مُسْتَبْشَعاً ، وهو طأطأ قديماً من الأوائل ، وثُلَّ
عَرَشِ القَبائل ، إنما هو توبيخٌ وتعيير ، وتقديمٌ وتأخير ، كقول النجاشي
في بني العَجْلان^٥ ، وشُهْرَةُ شَعْرِهِ تُغْنِي عَنْ ذِكْرِهِ ، واستعدوا عليه
عمر بن الخطَّاب ، وأنشدوه قولَ النجاشي فيهم . فدرأَ الحدَّ بالنسبُها .
وفعلَ مثبَلٌ ذلك بالزُّبَيْرِ قان حين شكا الحُطَيْثَةَ . وسأله أن يُنْشَدَ
ما قال فيه ، فأنشد قوله :

١ البيان والتبيين ٣ : ٥٦ وكتايب الجرجاني : ٣٦ .

٢ ب م : يسجد .

٣ النفع : طلقاً .

٤ النفع : عطى .

٥ قصة النجاشي وبني العجلان وردت في الشعر والشعراء : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، كما وردت
قصة الحطيئة والزبير قان في الكتاب نفسه : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، والقصتان ترددان كثيراً
في المصادر الأدبية ، وقد وردتا بشيء من التفصيل في ب م ، ولكن شهورهما قلني
عن إثبات النص المطول .

دَعِ الْكَازِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا واقعدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال: والله ما أودُّ بما قال له حُمَيْرُ
التَّعَمِّ . وقال حسانُ بنُ ثابتٍ : لم يَهْجُهُ وَإِنَّمَا سَلَحَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَكَلَ
الشُّبْرُمَ ، فهمَّ عمرُ بحِقَابِهِ ثُمَّ اسْتَعْطَفَهُ بِشَعْرِهِ المشهور .

وقد قال عبد الملك بن مروان يوماً : احفظوا^١ أحسابكم يا بني أُمَيَّةَ ،
فما أودُّ أن يكونَ لي ما طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وأنَّ الأعشى قال فيَّ :

تَبَيَّنُونَ فِي الْمَشَى مَلَاءَ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْ بَيْنَ خَمَائِصَا
وَلَمَّا سَمِعَ عُلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ هَذَا الْبَيْتَ بَكَى وَقَالَ : أَنَحْنُ نَفْعَلُ هَذَا
بِجَارَاتِنَا ؟ ودعا عليه ؛ فَمَا ظَنَنْتُكَ بِشَيْءٍ يُبْسِكِي عُلْقَمَةَ بْنَ عَلَاثَةَ ، وقد كان
عندهم لو ضُربَ بالسَّيْفِ مَا قَالَ حَسَّ ! ؟ وقد كان الرَّاعِي يقول : هَجُوتُ
جَمَاعَةً مِنَ الشَّعْرَاءِ وَمَا قَلَبْتُ فِيهِمْ^٢ مَا تَسْتَحْيِي الْعِذْرَاءُ مِنْ إِنْشَادِهِ^٣ فِي
خَدْرِهَا .

ولمَّا قال جرير :

فَنَقُضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كَلَاباً

أطفأ مصباحه ونام ، وقد كان باتَ ليلته يتململ ، لأنَّه رأى أن
قد بلغَ حاجته وشَفَى غَيْظَه . قال الرَّاعِي : فخرجنا من البصرة فما وردنا

١ ب م : قوا .

٢ ب م : وما هجوت أحداً منهم .

٣ ب م : أن تنشده .

ماءٌ من مياه العرب إلاَّ وسمعنا البيتَ قد سُبِّقنا إليه ، حتى أتينا
حاضرَ بني نُمَيْرٍ فخرج إلينا النساءُ والصبيان يقولون : قَبِّحكم اللهُ
وقَبِّحَ ما جِئْتُمونا به !

والقسم الثاني هو السَّبَابُ الذي أحدثه جريرٌ وطَبَقَهُ ، ، وكان
يقول : إذا هجوتُم فأضحكُوا . وهذا النوعُ منه لم يهدِمَ قَطُّ بيتاً ، ولا
عُيِّرَتْ به قبيلة ، وهو الذي صنَّا هذا المجموع ^١ عنه ، وأعفيناه أن يكون
فيه شيءٌ منه ، فإنَّ أبا منصورٍ الثعالبي كتب منه [في يتيمة] ما شأنه
وسمُّه ^٢ ، وبقي عليه إثمُهُ .

ومن مליح التعريض لأهل أفقنا قول بعضهم :

في بني الحِثَّانِ سرٌّ فيه للعالمِ < آيَهُ >
يفهم القومُ بشيءٍ نَسألُ اللهَ الكفايةُ

ومن مليح التعريض لأهل أفقنا ^٣ ما قال بعضهم في غلامٍ كان
يَصْغَبُ رجلاً يُعرفُ بالبعوضة :

أقولُ لِشَادِنِكُمْ قَوْلَةً وَلَكِنِّهَا رَمْزَةٌ غَامِضَةٌ
لِزَوْمِ البعوضِ لَهُ دَائِمًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا حَامِضَةٌ

وَأَنْشِدْتُ فِي مِثْلِهِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْوَقْتِ ^٤ :

١ ب م : هذا الكتاب .

٢ ب م : اسمه .

٣ ب : لبعض أهل وقتنا .

٤ ب م : وأنشدت لأبي الحسن .

بيني وبينك سِرٌّ^١ لا أبوحُ به الكلُّ يَعْلَمُهُ واللهُ غافِرُهُ

وحكى أبو عامرٍ بن شهيد عن نفسه قال : عانتُ بعضَ الإخوان عتاباً شديداً عن أمرٍ أوجعَ فيه قلبي ، وكان آخرَ الشعر الذي خاطبتهُ به هذا البيت :

وإني على ما هاجَ صدرِي وغازني لِيَتَأَمَّنِي من كان عندي لهُ سِرٌّ
فكان هذا البيت أشدَّ عليه من عَض الحديد ، ولم يزل يَمْلُقُ^٢ به حتى بكى إليَّ منه بالدموع .

وهذا البابُ مُمْتَدُّ الأطنابِ ، ويكفي ما مرَّ ويمرُّ منه في أضعافِ هذا الكتاب^٣ .

ومن شعرِ أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن زيادة الله الطنبلي^٤ ، مما أخذتهُ عنه ، قوله^٥ :

كم بالهوادِجِ يومَ البَينِ من رَشاً يهفو عليه وشاحٌ جائلٌ قَلِقُ
وكم بِرامَةٍ من رِيَمٍ يُقَارِقُنَا لَهْفَانِ يَثْنِيهِ عن توديعنا الفَرَقُ
وَتَرَجِسٍ كَقَرْنِ السيفِ سَاهِرِنِي مُعَلِّلاً بِنَسِيمٍ عَرَفُهُ عَبَقُ

١ ب م : شيء .

٢ ب م : يقول .

٣ ب م : وفيما مر منه كفاية .

٤ ترجمته في المغرب ١ : ٩٣ وذكر أن الحجاري جملة أشعر بني الطنبلي ؛ وانظر المسالك

١١ : ٣٩٩ .

٥ وردت أبيات منها في المسالك .

٦ ب م والمسالك : ساومني .

نَادَمَتْهُ وَشَبَابُ اللَّيْلِ مُقْتَبِلٌ
 فِي فَتْيَةٍ كَنَجُومِ السَّيْدِ أَوْجُهُهُمْ
 نَلْهُو بِرُقْرَاقَةٍ صَفراءَ صَافِيَةٍ
 يَسْعَى بِهَا مُرْهَفٌ كَالْغُصْنِ نَعْمَهُ
 وَالنَّجْمُ كَفٌّ يُحْيِيْنَا بِهَا ١ الْأَفُقُ
 فِي أَوْجُهُ الْحَادِثَاتِ الْجُونِ تَأْتِلِقُ
 يَكَادُ يَنْجَابُ مِنْ ٢ أَضْوَائِهَا الْفَسَقِ
 مَاءُ النَّعِيمِ عَلَيْهِ النَّوْرُ وَالْوَرَقُ ٣

وأنشدني أيضاً له :

يَا سَالِيًا ٤ عَاشِقِيهِ
 وَمَنْ مُدَامِي وَنُقْلِي
 هَلَا ٥ جَزَيْتَ فَوَادِي
 وَعَاشِقًا كُلَّ تَيْهِ
 بَوَجْنَتِيهِ ٦ وَفِيهِ
 بِيَعُضِ مَالِكٍ فِيهِ

وأنشدني أيضاً لنفسه :

عَجَبًا أَنْ يَكُونَ سَاكِنُ قَلْبِي
 وَيُجَازِي عَلَى الْوَفَاءِ بِغَدْرِ
 جَازِي كَيْفَ لَا أَتْرُكُ السَّدْرَ
 رَاتِعًا مِنْهُ فِي بَسَانِي حُسْبِي
 حَسْبِي اللَّهُ ثُمَّ حَسْبِي وَحَسْبِي
 بَإِذَا كَانَ فَرَطُ حُبِّكَ ذَنْبِي

وهذا كقول أبي بكر ابن عمّار :

لَنْ كَانَ ذَنْبِي لِلزَّمانِ حَبْتِي
 فَذَلِكَ شَيْءٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ

١ ب م : به .

٢ ب م : عن .

٣ المساك : والمعلق . .

٤ المغرب : ساليا .

٥ المغرب : مزوجنتيه .

وقال العباسُ بنُ الأحنفِ ١ :

إن كان ذَنْبِي في الزِيارَةِ فاعلمي إني على كَسْبِ الذُّنوبِ لِجَاهِدٍ

فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن مسعود وإثبات
جملة من أقواله ، في جِدِّه وأهْزاله ٢

وكان - رحمه الله - ظريفاً في أمره ، كثيرَ المزَلِ في نظمه ، ونثره ،
وأراه فيما انتحاه ، تَقْيِيلَ مِنْهَاجِ سَمِيهِ وَكُنْيَتِهِ عمداً بن حجاج بالعراق ،
فَصَاقَتُ سَاحَتُهُ ، وَقَصُرَتْ رَاحَتُهُ ، وَأَعْيَاهُ الصَّرِيحُ فَمَدَّقُ ، ولم
يُحْسِنِ الصَّهْلَ فَنَهَقَ . ولما كان هذا المجموع كتابَ أدب ، وعَقْداً
يجمعُ الدُرَّ والمَخْشَلَبَ ، رأيتُ أن لا أُخْلِيَهُ من ذكره ، وهذه فصولٌ
من نظمه ونثره .

فصلٌ له من رقعة خاطب بها ابنه إذ تَوَجَّهَ إلى الغربِ ، وقد بلغه خَلْعُ
عذارِهِ في البَطَالَةِ والشُّرْبِ ، قال فيها : فاز يا بُنَيَّ من استشعر البرَّ والتقوى ،
واستمسك بالعروة الوثقى ، واعتصم بحبلِ القناعة والرضى ، وتحصَّنَ بالعفافِ ،
وتبلَّغَ بالكفافِ ، فلم ٣ يزاحم الأقدار ، ولا غالبَ الليل والنهار .

ولشَدِّ يا بُنَيَّ ما أوْغَلْتَ في البلاد ، واستوطأتَ في غُرْبَتِكَ خُشُونَةَ
المهاد ، وتورطتَ مُوحِشَ المجاهيل ، وتوردتَ آجِنَ المناهيل :

١ انظر ما تقدم ص : ٤٤٩ .

٢ ترجمته في المغرب ١ : ١٣٤ (نقل عن النخيرة والمهذب) وانظر المسالك ١١ :

٤٠٠ .

٣ ب م : ولم .

تَجَاوَزْتَ فِي هَذَا وَذَلِكَ مَا بِهِ أَمَرْتُ وَلَمْ تَقْنَعِ مِنَ الْبُعْدِ بِالدُّونِ
وَلَمْ تَتَذَكَّرْ شَوْقَ أُمِّ حَزِينَةٍ عَلَيْكَ وَشَيْخِ مَائِمِ الْقَلْبِ مُحْزُونِ
بِسَادَا يَفِي هَذَا وَذَلِكَ لَوْ حَوَتْ يَمِينُكَ مَا حَازَتْ خَزَائِنُ قَارُونِ

فأخبرني يا تاجيرَ البحرين ، وسمسارَ العراقين ، ودليلَ الحجازيين ،
وخيريتَ الفلاتيين ، وابنَ عظيمِ القرينتين ؛ أتعيسُ بكَ من خراجِ
ولاجِ ، ماضٍ على السرى والإدلاج ، جريءٍ على الليلِ الداج ، كالسراجِ
الوہاجِ ، والعارضِ الشجاجِ ، وصيفٍ لي مَوْقِعِ الشمسِ في العينِ الحميمةِ ،
وكيف كان مخلصكَ من تلكِ البلادِ الوبيثةِ ، وكيف رأيتَ مدينةَ يونسَ
[وجنةَ لارم] ، والبركانَ [المؤمنس] وجزيرةَ الغنمِ ، والزواية^١
وصخرةَ العقابِ ، وبئرَ الهاويةِ وكنيسةَ الغرابِ ، وهولَ العُرفِ ،
والمعدنِ وذلكَ الجُرفِ ، ومبيضَ العنقاءِ ، والفلاةَ الخرقاءِ يومَ البلقاء^٢ ،
والثنيةَ الخلقاءِ ، ومرسىَ الزرقاءِ ، وإيوانَ كسرى ، وكفرتوئي ،
والهرمينَ والمنارِ ، وجبلَ اللكامِ والغارِ ، وغانةَ السودانِ ، وغرائبَ
البلدانِ ، وفيفاءَ بني تميمِ ، والكهفَ والرقيمِ ، وحلقَ وادي الأشبونةِ ،
ومدينةَ جيببونةِ ؛ وكيف كان دككك^٣ على المجوسِ ، بضروبِ

١ ط : والزواية . ٢ ط : وفلاة يوم البلقاء .

٣ الدك : الشعوذة : وقد قال الجويري في كتابه المختار في كشف الأسرار : ٧٤ اعلم
أن أهل هذه الصناعة أكبر دك وزغل ، . . وقال في ص ٦٢ : وهم صناع في صوغ
الكلام والدك على الناس ؛ وقال : إني كشفت لهم ثلاثمائة طريقة في الدك ، وقال
(ص : ٦٣) ومنهم من يجعل دكه في فحمة وينزل ما فيها من الدك إلى البودقة ثم تحترق
العقاقير التي وضعها في البودقة ويبقى الدك سبيكة وعلى حسب العبارة الأخيرة
يكون « الدك » في الأصل بعض المواد المستعملة في علم الصنعة خداعا ، ثم أصبحت
اللفظة تدل على « العملية » نفسها . وذكر ابن خلكان لا بن شهيد كتابا اسمه « كشف
الدك وإيضاح الشك » (الوفيات ١ : ١١٦) وقال الجويري (ص : ٥) إنه رأى
الكتاب المذكور وطالعه ، وأنه صنف كتابه حاذيا فيه خط ابن شهيد .

الشَّعْوَذَةُ وَالنَّامُوسُ^١ ؛ [وَاحْكُ لَنَا مِنْ لُغَاتِهِمْ أَحْسَنَهَا ، وَمِنْ هَيْئَاتِهِمْ أَتَقَنَّتَهَا :

لَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ وَلَقَيْتَ كُلَّ غَرِيبٍ شَتَمَاءَ
« وَخَرَجْتَ مِنْهَا كَالشَّهَابِ وَلَمْ تَزَلْ مَذْ كُنْتَ خَرَّاجاً مِنَ الْغَمَاءِ »^٢
فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ .

[وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ بِالشَّجَرَةِ الْجَامِعَةِ وَاللِّبَانِ^٣ ، مِنْ عَيُونِ ذَوِي الْحَسَدِ وَالشَّتَانِ] . فَأَيْنَ مِنْكَ الْحَيَّةُ النَّضْنَاضُ ، وَسُلَيْكُ بْنُ السَّلَكَةِ وَالْبَرَّاضُ ؟ أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ السَّفَرَ الطَّوِيلَ ، يَرُدُّ خَشْبَةَ الْبُدِّ إِلَى عَوِيدٍ قِنْدِيلٍ ؟

صَحَّ عِنْدِي أَنَّ الْعَسَلَ فِي [تِلْكَ] الْجَهَةِ مُمْكِنٌ غَيْرُ غَالٍ ، وَمُنْحَطٌ غَيْرُ عَالٍ ، فَتَنَاوَلْ إِقَامَتَهُ وَتَرْكِيضَهُ ، وَأَتَقِنْ صِنَاعَتَهُ وَتَرْبِيضَهُ . لَقَدْ نَسِيتُ يَا بُنَيَّ أَنَّ أُبْعَثَ إِلَيْكَ بِنُسخَةٍ فِي تَرْبِيبِ الْعَسَلِ الْمَشْرُوبِ ، مُطَابِقَةً لِلْمَرْغُوبِ ، التَّقَطُّطُهَا [مُغْتَنِمًا] عَنْ فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ كَانَ انْتَخَبَهَا لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَصْحَابِهِ كَعِيسَى بْنِ مَعِيدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ . وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ دُونَهُمْ ، فَتَجَابَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ ، وَالذُّرَّةُ

١ الناموس : وقوعها بعد لفظة « شموذة » يشير إلى أنها مرادفة لها ، يقول الجوهري (ص : ٢٨) : وجعل له ناموسا من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى أعظم ناموس لهم قنديل التور ؛ ويقول أيضا : (ص : ٥٤ - ٤٦) ثم رأيت مع هذا القرد من الناموس ما لا يقدر عليه أحد .

٢ البيت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ١٩ .

٣ ط : اللويان . ب م : تربية .

قد ندرت^١ ، ومخايل^٢ السعود طالعة ، وآيات^٣ الفلاح ساطعة ،
 كما سُمي اللديغ سليماً ، وسُمع^٤ عن طهر الإوز^٥ قديماً . كانت تلك النسخة^٦
 في طيها يا بُني غاية ، وفي لذتها نهاية ؛ ولست تعدم^٧ في الجهة عوضاً
 منها ، فابحث عنها ، فخير المال يا بُني ما هبط^٨ من الأنبوط ، وصفتي^٩ على
 القنوط^{١٠} . وقد صح^{١١} عندي عنك بعض ذلك ، والألعي^{١٢} ذو تنجيم . ولا
 تعدن^{١٣} هذا تعديداً عليك ، ولا كرامة^{١٤} ، للشيطان الرجيم .

فاشرب^{١٥} على ودّي وقف^{١٦} صافياً فعمل^{١٧} المحب الوامق^{١٨} الذّاكِرِ
 ولا تكن^{١٩} تشرب^{٢٠} إلا^{٢١} على حُسن^{٢٢} أغاني خلف^{٢٣} الزامر
 وزد^{٢٤} جفاء^{٢٥} لا تكن^{٢٦} ناسياً فهو من^{٢٧} المستطرف^{٢٨} النّادر
 وتخذ^{٢٩} على الرّيق^{٣٠} من^{٣١} اسبابه جوارش^{٣٢} الأوّل^{٣٣} والآخِرِ
 حتّى ترى^{٣٤} أملتس^{٣٥} طاوي^{٣٦} الحشا قرّة^{٣٧} عين^{٣٨} الشامت^{٣٩} السّاخرِ

والبلد^{٤٠} بكثرة^{٤١} الصيد^{٤٢} موسوم ، والحوث^{٤٣} الطري^{٤٤} هناك غير^{٤٥} معدوم ،
 والبرجان^{٤٦} الذي^{٤٧} عليه المدار^{٤٨} موافق ، والصاحب^{٤٩} مشاكيل^{٥٠} مطابق .

وله من أرجوزة [مزدوجة] خاطب بها الوزير ابن بقتة * على لسان

١ ب م : برزت . ٢ ب م : وحكي .
 ٣ لم أجد « الأنبوط » ولعله آلة التقطير ، أما القنوط فهو القصب أو الأنبوب (انظر
 ملحق دوزي) .
 ٤ هكذا وردت في ط ؛ وصورتها في م : للرحان ، وهي غير معجمة في ب ؛
 وأقرب الصور إليها لبركة labarca أي القارب ، وهو مناسب للمعنى ، لأنه
 يتحدث عن الصيد البحري ، فلعل البركان (البرجان) هو النوتي أو صاحب القارب .
 ٥ بقتة : غير واضحة الرسم في ب م ؛ وربما قرئت « ابن بقتة » وقد ورد هذا الاسم
 عند الحديث عن الهدية التي أهداها ابن شهيد إلى عبد الرحمن الناصر ، انظر النفع ١ :
 ٣٥٩ ، ٣٦٠ وأزهار الرياض ٢ : ٢٦٤ ، وهذا المذكور هنا قد يكون ابناً أو حفيداً
 له .

جارية كان أهداها إليه ، وضاعت حالها بين يديه ^١ ، وهي
طويلة منها :

إِنِّي بِاللَّهِ وَبِالْوَزِيرِ
وَهَبْتَنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعِ
[وَلَمْ يُبَيِّنْ لِي بِهَذَا الْعَيْبِ
عَيْبَانِ فِي الدَّرْهِمِ نَقْصٌ وَرَدِي
جَعَلْتَنِي أُسِيرَةً مَمْلُوكَةً
يُعْزَى عَلَى الْقَالِ إِلَى مَسْعُودِ
كَأَيُّكَتَيَّ بِأَبِي الْبَيْضَاءِ
وَكُنْتُ أَرْجُو مَعَهُ لِلرَّاحَةِ ^٢
إِذَا بِهِ أَدْخَلَنِي فِي شُغْلٍ
وَقَالَ لِي إِنَّ كُنْتَ تَهْوِينَا التَّحَفَ
فَانْتَبِهِي وَحَكْمِي الْأَصَابِعُ
أَلَا وَهَبْتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرٍ
أَوْ لِنَبِيٍّ كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ
يَتَضَرَّبُ بِالسِّيفِ وَلَا يُقَاسِي
قَدْ كَسَدَتْ أَدَابُهُ وَالشَّعْرُ
الْحَنُ فِي أَشْعَارِهِ مِنْ تَيْسٍ
وَلَوْ نَرَاهُ سَائِرًا لِلِسُوقِ

أَدْفَعُ مَا حَلَّ مِنْ الْمَحْذُورِ
فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِيَ الْمَوْضِعِ
مِنْ فَقْرِهِ حَتَّى دَهَمَ بِالشَّيْبِ
وَوَاحِدٌ قَدْ كَانَ يَكْفِي ^٣ لَوْ قَدْ
لِطَلْعَةٍ حَائِلَةٍ صُعُوكَةٍ
وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ
أَسْوَدُ كَالسَّرْوَةِ فِي الظُّلُمَاءِ
إِذْ لَمْ يَقْضَ بِطَائِلِ الْمَلَاَحَةِ
لِفَرْطِ الْإِلَامِ بِسُوقِ الْغَزْلِ
وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَحِلَّةِ الطَّرْفِ
وَاطْرَحِي عَنْ نَفْسِكَ الْمَطَامِعُ
وَلَمْ أَكُنْ عِنْدَ فَقِيرٍ فَاجِرٍ
قَرُبًا حَازَ نَقِيسَ الْمَجْدِ
خَطَّةً خَسَفَ بِسُؤَالِ النَّاسِ
فَمَا لَهُ عِنْدَ الْبَرَايَا قَدْرُ
أَعْجَزُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْفَرَسِ
إِذَا بَدَأَ فِي كُسُوتِهِ الْغُرُثُوقِ

١ ب م : لديه .

٢ ط : قضي .

٣ ب م : بالراحة ، ولعل الصواب « وكنت أرى معه بالراحة » .

مُسْتَمَرًّا فِي الطَّيْنِ عَنْ سَاقِيهِ
يَأْخُذُ فِي التَّعْيِيرِ^١ وَالْإِزْمَادِ^٢
فَمَرَّةً يُعْطَى وَالْفَأْ يُنَمَّعُ
وَلَوْ تَرَى إِذَا النَّدَى مَشَوَاهُ
قِطْعَةً لِبَيْدٍ دَارِسِ الْآثَارِ
إِلَى قُدُورٍ هِيَ أَقْصَى عَقْلِ
وَقُدْسٍ^٣ مُعَلَّقٍ مُقَابِلِي
وَطُوبَى^٤ بِمَوْضِعِ الرُّقَادِ
يَا شَوْقَنَا فِيهِ إِلَى قِنْدِيلِ
هَذَا جَمِيعُ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ
[وَقَدْ شَكََا مِنْهُ لِبَعْضِ بَعْضِي
غَيْرُ الَّذِي كَسَوْتَنِي بِمَالِقَةٍ
فَلَا تَدْعَنِي غَرْضًا لِلْقُرِّ
لَا سَيْمًا ، زِيَادَةً فِي التَّحَفَةِ
وَرُبَّمَا جِثْتُ لَهُ بَاثْنَيْنِ
بِذَا وَذَا تَنْطَبِخُ الشُّشُونُ^٥

١ ط : التعبير .

٢ أقدر أن يكون صواب القراءة « يأخذ في التمشير والارعاد » أي يمشي في مشيه ويفضطرب
مهتزاً حتى يستدر عطف المحننين ، لما يرون من عجزه .

٣ ط : بلاه .

٤ هكذا ورد في الأصول .

٥ ط : وطربة .

٦ في النسخ : تنطبخ ؛ والششون هي البقول التي تنطبخ (كالسبانخ وغيره) أو تفل
دون تشييل (انظر : شش عند دوزي) .

٧ لم أحتد إلى تبين معناها .

كيسُ الفقيرِ كلهُ في طرفه^١ يعدُّ سلطانَ الهوى من ظرفه
وله من أخرى :

أصبحُ في دُكانٍ ^٢ :	ولم أزلُ في عكاظٍ ^٣
هذا الحكيمُ المعاني	هذا الطيبُ المداوي
وكُحليَ الأصهباني	فيا لعوقي وكُتبي
يوماً فليستَ تَراني	إذا تكحلتَ منه
علمُ الدُّنَا علما	قُمْ يا غلامُ فتَادِ :
كالعلمِ في الأبدانِ	فالعلمُ في الدينِ حقٌ
كالروحِ للجثمانِ	هذا لهذا قوام
نغانغِ الصَّيَّانِ	أنا أبُطُّ بِحَذَقٍ
منِّي على السَّرطانِ	أنا أَشُقُّ بِلُطْفٍ
مُشَمَّرِ الأَجفانِ	أنا المُرَجَّى المُسَمَّى
وطرفُ سلكٍ ورانٍ ^٤	عندي سناً حرمي
في مِرودٍ قيرواني	عندي حَمَامِي ولُبْنِي ^٥
على خَفِي المعاني	أنا دَلَلْتُ البرايا

١ غير واضح المعنى .

٢ ط : غطاء .

٣ ط : دكاني .

٤ السنا الحرمي هو نفسه الذي يسمى سنامكي (شرح أسماء العقار : ٢٩) والسلك هو العفص (منهاج الدكان : ١٣٥) والران لم أجده في المصادر ؛ فإن كان صورة موجزة لضرورة الشعر من «الرنج» فإن هذا هو للتأرجع نفسه (شرح أسماء العقار : ٢٨) وإن كان بالزاي فهو خشباً - معروف .

٥ الحمامي : نوع من النباتات يوجد بالشام ولا يعرف بالمغرب (ابن الحشاء : ٣٥) ولبنى هي الميعة السائلة (انظر منهاج الدكان : ١٤٣ وابن الحشاء : ٧٠) .

أَنَا تَكَلَّفْتُ صَيْدَ الْ	مَنْقَاءِ بِالْوَرَّشَانِ
أَنَا بَعَثْتُ رَسُولًا	لِلْفُرسِ عَنْ تَرْجُمَانِ
وَسُئِلْتُ نُمُودَ حَتَّى	تَمَّتْ لَهُ الْهَرَمَانِ
أَنَا رَأَيْتُ بَعِيْنِي	تَسَافُدَ الْغِرْبَانِ
أَنَا أَدَرْتُ بِرَأْيِي	نَاعُورَةَ الْخِذْلَانِ
لَكِنَّهَا لَمْ تُقَدِّرْ	لِلْحَيْنِ بِالْذَّوْرَانِ

وله من مَقْطَعَاتٍ اَنْدَرَجَتْ فِي رَسَائِلِهِ الْهَزْلِيَّةِ :

طُرَّةُ مَسْكٍ وَشَارِبُ أَخْضَرٍ	وَشَفَرُ دُرٍّ وَمُقَلَّتَا جُوْدَرٍ
رَيْمٌ إِذَا رُمْتُ أَنْ أَكَلَمَهُ	كَلَمَتِي مِنْ جَفْوَنِهِ خَنْجَرٌ
وَأَنْ تَعَرَّضْتُ مِنْ عَوَارِضِهِ	لِثَمًّا تَجَنَّى عَلَيَّ وَاسْتَكْبِرَ
كَأَنَّ خَيْلَانَهُ وَوَجْتَنَهُ	سَمَاءُ حُسْنٍ نَجْمُهَا تَزْهَرُ
طَرَزَ فِيهِ الْجَمَالَ مُبْتَدِعًا	وَشَيْئًا بَلُطْفِ الْمُهَيَّمِينَ الْأَكْبَرِ
وَقَامَ فِي خَدِّهِ لِعَاشِقِهِ	عُذْرٌ بِذَلِكَ الْعِذَارِ إِذْ عَدَّرَ

وقال أيضًا :

قُلْ لِلَّذِي دَلَّهَنِي حُبَّهُ	أَفْسَدَتْ مَا أَصْلَحَتْهُ ١ أَوَّلًا
لَمَّا بَدَأَ وَجْهَكَ فِي حُسْنِهِ	كَالْبَدْرِ وَافِيَ السَّعْدِ وَاسْتَكْمَلًا ٢
كَأَنَّمَا طَرَفُكَ مِنْ سِحْرِهِ	مِنْ مُقَلِّ الْحَوْرِ قَدْ اسْتَكْمَلًا

١ م : بَعِيْنِي ، وَرَبَّمَا قَرَأْتُ فِي ب : بِفِي .

٢ ط : أَصْلَحَتْ مَا أَفْسَدَتْهُ .

٣ ب م : فَاسْتَكْمَلًا .

أَطْمَعْتَنِي حَتَّى إِذَا قَلِيتُ قَدْ أَنْ حَرَمْتَ الْعَصَبَ مَا أَمَلَا
وَاللَّهِ لَوْلَا لَحَظَاتُ الْهَوَى لَكُنْتُ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الْأَفْضَلَا

وقال ١ :

جَنَّبُونَا سَجِيَّةَ الْعُشَاقِ وَادْعُونَا مِنْ الْهَوَى وَالتَّلَاقِ
وَأَقِلُّوا مِنَ الْبِكَاءِ عَلَى الرَّسِّ وَلَا تَأْسَفُوا غَدَاةَ الْفِرَاقِ
مَا بِشَخْصٍ الْحَبِيبِ يَفْرَحُ ذُو الْعَقِّ وَلَا بِالْخُدُودِ وَالْأَحْدَاقِ
أَتَمَّا الْمَلِكُ ثُرْدَةُ ٢ مِنْ تَفَايَا مِنْ دَجَاجِ مُسْمِنَاتِ عِنَاقِ
وَإِذَا قِيلَ لِي : بَيْنَ أَنْتَ صَبٌّ وَعِلَامَ انْكَابٍ دَمَعِ الْمَآقِي ؟
قُلْتُ : بِالسَّكْبَاجِ ٣ وَالْجَمَلِيَا تِ ٤ وَرَخْصِ الشَّوَامِعِ بِالرُّقَاقِ
وَجَشِيشِ السَّمِيدِ أَعَذَّبُ عُنْدِي مِنْ رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِنَاقِ

وقال :

مَا زَارَنِي طَيْفُكَ يَا هَذِهِ إِلَّا تَمَنَّيْتُ بِأَلَا يَزُورُ*
فَتُورُ الْحَاطِكِ ذَاكَ الَّذِي أَعَارَ أَعْضَائِي هَذَا الْفُتُورُ
وَقَدْ كُتِبَ الْمَائِسُ فَوْقَ النِّقَا قَدْ فُؤَادِي الْهَائِمَ الْمُسْتَطِيرُ
كَمْ قَائِلٍ : صَفَهَا لَنَا وَاخْتَصِرُ وَلَا تُطَوِّلْ ؛ قُلْتُ : شَمْسُ الْقُلُورِ

١ هذه القطعة لم ترد في ط .

٢ راجع صفحات متفرقة من كتاب الطيخ في المغرب والأندلس ، للاطلاع على أنواع الثردة والتفايا .

٣ انظر ص : ٩٤ ، ١١٢ من المصدر السابق .

٤ ألوان الطمام الجملي والثلث والمري والمخلل والمسل ... الخ ، (ص : ٨٥ من كتاب الطيخ ؛ وانظر ص : ١٢١ حيث يصف إعداد « جمليّة » .

• ب : يحور ؛ م : يحور .

قِيلَ وَزِدْ قُلْتُ لِمَ إِنْتَهَا
تَسْتَقْدِرُ الْجَيْفَةَ أَنْفَاسَهَا
لِلْكُحْلِ وَالْغُمَةِ فِي وَجْهِهَا
تَقْرَأُ شِقْرَاءُ عَلَى سُمْرَةٍ

فِي سَعَةِ مِثْلِ الدُّنَا وَالْبُحُورِ
وَنَجْعَلُ الْفَسْوَ مَكَانَ الْبُخُورِ
وَالطَّيِّبِ وَالزَّيْنِ شَهَادَاتُ زُورِ
فَهَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي مِنْ فُطُورِ

وله من أخرى في سليمان بن الحكم المستعين يقول فيها :

هَلْ لَكَ يَا مُوَلَايَ فِي طَرُفَةٍ
لَيْسَ عَلَى مُرْسِلِهَا نَحْوُكُمْ
قَدْ أَبْدَعْتَ أَهْزَالُ أَشْعَارِهِ
لَكُنْهَا كَاسِدَةٌ هَاهُنَا

لَيْسَ عَلَى عَاتِقِهِ ٢ عُقْدَةٌ
وَانْتَفَتَتْ عَنَفَتَيْهِ بَعْدَمَا
وَكُنْتُ ذَا هَدْيٍ وَسَمْتُ إِلَى
وَلَا بَدِيعٌ لَا وَلَا مُنْكَرٌ

فَعَلْتُ فِي آخِرِ عُمْرِي كَمَا
أَصَبْتُ فِي نُسْكِ وَزْهَدِي الَّذِي
وَكَانَ صَوْتِي قَبْلُ ذَا فِتْنَةٍ
وَقَدْ غَدَا نَاعُورَةٌ خَانَهَا الدَّ

تُنْسِيكَ حَسَنًا طُرْفَ الْمُنْحَفِينَ؟
مِنْ حَرَجٍ إِنْ رَاحَ صِفْرَ الْيَمِينِ
فِي الْعَالَمِ السَّحَرِ الْحَلَالِ الْمُبِينِ
أَكْسَدُ مِنْهَا فِي قَرْيِ شَرِيُونِ ١

إِلَّا مِنْ الْبَرْدِ ، لِأَجْلِ الْيَمِينِ
شَبِثْتُ وَذَا مِنْ حُرْفَةِ الْمُتْلِقِينَ
أَنْ لَقِيَتْ مَوْجَ الْخَنَا وَالْمُجُونِ
أَنْ يُفْسِدَ الدِّينَ صِلَاحُ الْبُطُونِ

تَفْعَلُ شَاةُ السُّوءِ بِالْحَالِيَيْنِ
أَصَابَهُ مُنْذِرٌ فِي الْبُيُورِ
تَسْتَنْزِلُ الطَّيْرَ بِحُسْنِ الرِّينِ
جَاءَ كَذَا الدَّهْرُ مُجِيعٌ خَثُونِ

وله فيه من أخرى يصفُ اللصَّ الذي أخذه في طريق قرطبة ٣ :

١ شريون : حصن من حصون بلنسية (انظر أخبار وتراجم أندلسية : ٧٠ ومجمع ياقوت).
٢ ط : عاتقه .
٣ ب م : في الطريق ؛ ومنها أبيات في المسالك .

يا ابنَ خيرِ الملوكِ والخلفاءِ
 قَتِصَ اللهَ لي مِنَ ابنا أبي الرَّ
 لم يكنْ مثله مِنَ أولادِ^١ جالو
 قالَ لي قُرطُبيّ انتَ تَحَيِّدُ
 ما أنا - يافدَيتكم - قُرطُبيّ
 وقُلِ الحقَّ والفصاحَةَ خَلَّ
 الشعيرَ الشعيرَ دعي مِنَ الشع
 هاتِ ذاكَ النطاقَ واخْلُصْ وإلا
 وأرادَ العدوّ ذبحي ولكنْ
 فعَلاني بالهَندُواني حتّى اس
 واعتراي ما لستُ أَذْكَرُ لكنْ
 يا صَباباً خَلَيْتُ في ذلكَ الفح
 وهو باقٍ هناكَ ما هَبَّتِ الرِّد
 كيفَ أَحتالُ بالتخلُّصِ مِن قير
 لو يكونَ الحرمانُ أَقصى خراسا
 إن أكنْ ثاوياً بِحمصٍ غريباً
 فوقَ رأسي قِبالةً^٦ عهدُها من

وأجلُ^٢ الولاءِ والأمرِ
 يشِرُ غليظةَ القُوادِ ذا كبرياءِ
 تَ ولكنْ^٣ مِنَ فِراخِ الزَّناءِ
 تَ ورأيتُ غفلةَ الرُقَباءِ ؟
 قالَ دَعْ ذا فليسَ حينَ انتماء
 ليسَ هذا بِمَوْضِعِ الفصحاءِ
 رِ أنا الآنَ أَشعرُ الشعراءِ
 لَمْ تُقَلِّبْ عَيْنِكَ نحوَ السماءِ
 حاطَ ذو العَرشِ صِبْيَتِي ونسائي
 ودَّ ظهري وسالَ مِنِّي دمائي
 ظنَّ ما شئتَ غيرَ^٤ كُشفِ الغطاءِ
 صِ كثيراً^٥ مُطَبَّقَ الأرجاءِ
 حُ ولاحتْ كواكبُ الجوزاءِ
 دي ؟ انبئونا <يا> معشرَ الأولياءِ
 نَ ° حذاهُ إليّ دونَ حُذاءِ
 هيناً بينكم دَيتُ الثَّواءِ
 زَمَنَ المنذِرِ بنِ ماءِ السماءِ

١ ب م : ابناء .

٢ ط : عند .

٣ ب م : كثيراً .

٤ هذا البيت وأربعة بعده لم ترد في ط .

٥ صورة اللفظة في ب م تشبه : « فراساي » .

٦ قبالة (capelo) ، قلنسوة ، وغالباً ما تكون للكاردينال .

فلقد عِشْتُ بِرُحْمَةٍ نَاعِمَ البَا

ومنها :

كُنْتُ بِعِمْتِكُمْ أَرْجِي حَيَاةً
وخرجنا كما دَخَلْنَا بِلَا شَيْءٍ
مُدَّةً فِي ذَا الْمَكَانِ ذَا الْحَرْفِ لَمَّا

وقال من أخرى :

لَا حَ عَلَى عَارِضِي الْقَتِيرِ
وكان ذَا الدَّهْرِ قَدْ كَسَانِي
فَاعْتَضْتُ^٣ مِنْهُ رِدَاءَ شَيْبٍ
أَبْيَضُ لَكِنَّهُ سَوَادٌ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَا ارْتِدَاعُ
وإن تَمَادَيْتُ ذَا خُمَارٍ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمَصِيفِ يَغْلِي
لَمْ تَغْلِ حِينَ الشَّتَاءِ مِنْهُ
وَزَارَنِي زَائِدًا لَهْمِي
فَاجَانِي وَالْمَحَلُّ صِفَرٌ

لِ <...> لِحْمًا خَصِيبَ الْفِئَاءِ

فِي اتِّصَالٍ بِكُمْ فَمْتُ بَدَائِي
١ وَلَكِنْ رَبِحْتُ صَفْعَ قَقَائِي
مُدَّةً صَفْعُ ظَلَمٍ بِاعْتِدَاءِ^٢

فَحُلَّ مَا مِنْهُ أَسْتَجِيرُ
بُرْدَ صَبَا مَأْوُهُ نَمِيرُ
وَأَسْتَرْجِعُ الْمُنْحَةَ^٤ الْمَعِيرُ
فِي الْقَلْبِ مُسْتَبْشَعٌ نَكِيرُ
وَالْعَمْرُ كَالْبَرْقِ يَسْتَطِيرُ
فَلَا خَمِيرٌ وَلَا فَطِيرُ
بِرَأْسِهِ الْحَرُّ وَالْحَرُورُ
بِالْبُرِّ فِي بَيْتِهِ الْقُدُورُ
مَنْ لَا يُسْمَى إِذَا يَزُورُ
لِلْبُرْدِ فِي جَوْفِهِ صَفِيرُ

١ المغرب : فلس .

٢ ب م : فِي اعْتِدَاءِ .

٣ ط : وَاَعْتَضْتُ .

٤ ط : الْمُنْحَةَ .

٥ ط : يَوْمَهُ .

والفأر يدعو وحقّ صوم
لَهْفَان قد أزمع ارنحالا
الشعر قوتي وقوت فأري
فلو ترانا به جارى
أبصرته مُخْنَأ طريحاً
والشيخ من بين ذا وهذا
حيران من دهشة كآتي

في فيه إذ خانته السحور
لو يستطيع الشقي يسير^٢
إذا سبي قلبه الشعر
والمرء^٣ في قبضنا أسير
ذا وبر منه يستطيع
وهذه خامس^٤ حسير
قلبت^٥ خنانه الغدير

وله من أخرى :

أمنى سليمى اسلم مفاك الحيا مثنى
فكم قد بكى في الدار قيس صباة

وإن كان ما أغنى وقوف على مغنى
ولم يقض أن يقضي اللبانة من لبني

ومنها :

أبا القاسم اسمع من عبيدك طرفة
دنت ليلة النبروز منا ولم تكن

أبشكتها فأذن لها تلج الأذنا
لترضى لنا فيها من العيش بالأذنى

ولا تبقي فيها من جراديها^٦ منا^٧
وسرلى السوق واحتفل

١ ط : السقي : ب م : السمي .

٢ ب م : تلور .

٣ ب م : والقط .

٤ القلبق أو القلابق : السلحفاة المائية .

٥ ب م : حجو .

٦ ط : خداريقنا (دون اعجام القاف) : ب م : مداريقها ؛ والجراديق : الفطائر .

٧ هذه هي قراءة ط ؛ وفي ب م : فتنا ، وهي قراءة جيدة بمعنى « نوعا » .

وقف بابن نصر واحشون^١ ثم فقه^٢
 وجز بالفتى الجزار واختره هابلاً^٣
 ولا بُدَّ من أترجسة صعترية^٤
 فقلتُ وأين النقد يا ابنة عزة^٥
 فقالت : أديب شاعر متفئ^٦
 بلا قطعة ؟ هذي لعمر ك هجنة^٧
 لئن لم نجىء بالئين ألبست شيرة^٨
 فلا ينكسر بالله جاهي عندها

من اطرف^١ ما يحويه كي تذهب الشجنا
 بقدر ابن فتوي^٢ أبي بكر المضي
 وإيالك أن تنسى التوابيل والحنأ
 لقد جئتها بلكاء متينة ننأ
 حوى من حظوظ الطرف في زعمه الأسنى
 فسر راشداً عنا فما لك من معنى^٤
 وبالزيت أضحي سجنك البيت والدنا
 وخذ في الذي أحتاج شعري ذا رهنا

ووجدتُ لابن مسعود هذا غير ما قصيدة في مثل هذه الأنحاء ، تُرني
 على حصي الدَّهْناء ، وفيما مرَّ منها كفاية ، ولا يتسعُ هذا المجموعُ
 لاستقصاء الغاية .

محمد بن مسعود آخر^١

وكان أيضاً قبله بحضرة قرطبة محمد بن مسعود آخر يعرف بالبجاني^٢ ،
 ويتسمى في غسان ، وكان شاعراً مجوداً جزل المقاطع ، حسن المطالع ، جيد

١ م : من اطراف .

٢ ب م : بعد ابن بترى .

٣ ط : يا بن عزة .

٤ ب م : مغنى .

٥ الشيرة : الكيس .

٦ لم يرد هذا العنوان في ط م .

٧ أبو عبد الله محمد بن مسعود البجاني ، أصله من بجانة وسكن قرطبة فنسب إليها ، وكان
 كثير الشعر (انظر الجذوة : ٨٦ والبقية رقم : ٢٨١ والنفع ٢ : ٣٨٧ - ٣٨٩) .

الابتداع ، لطيف الاختراع ^١ ، كثير الغوص على دقيق المعاني ، حسن الاستخراج للألفاظ الرائقة والتصريف لمستعمل الكلام .

وقُرفَ عند المنصور بن أبي عامر بالرهق في دينه ، وسُجِنَ بالمطبق مع الطليق القرشي ^٢ لأمرٍ غريب اتفقَ له ، والطلاقُ يومئذٍ غلامٌ وسيم ، وكان ابنُ مسعود به كليفاً ، فقال فيه من قصيدةٍ أولها ^٣ :

غدوتُ في الحبِّ حِدْنًا لابنِ يعقوبٍ وكنتُ أحسبُ هذا في التكاذيبِ
[يقول فيها] :

رأتُ* عدايتي تعذبي وما شعرتُ	أنَّ الذي فعلتهُ ضِدُّ تعذبي
راموا بعادي عن الدنيا وزُخرفها	فكان ذلك إدناسي وتقريبي
لم يعلموا أنَّ سجنِي لا أبالهُمُ	قد كان غايةَ آمالي ومرغوبي
يا ابنَ الخلائفِ من مروانٍ واحزني	على ضياعِك يا ابنَ الصبيَّةِ الشَّيبِ
وفيك ما يتسلى العاشقون به	من حسن خلقٍ ومن ظرفٍ ومن طيبِ
بلى لقد فُجِعَتُ نفسي لمحتجبِ	قد كان عن لحظٍ عيني غيرَ محبوبِ

١ زاد في ب م : ورأيت له عدة أشعار .

٢ الطليق القرشي : هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، مات قريباً من الأربعمئة (انظر ترجمته في الجفوة ٢٢١ والهبة : ١٣٤٢ والحلة السراء ١ : ٢٢٠ والمغرب ١ : ١٨٦ والمعجب : ٢٨٥ والتمية ٢ : ٦١ والممالك ١١ : ١٧٦ ونفع الطيب ٣ : ٥٨٦ وكتاب التشبيهات ، وعنه دراسة في كتابي : تاريخ الأدب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة : ٢٢٣-٢٣٥ ، الطبعة الثانية) .

٣ ب م : وهو القائل يومئذٍ فيه .

٤ النفع : السجن ، ب م : الحب .

٥ النفع : رامت .

قد صيغَ من فضةٍ بيضاءٍ صافيةٍ
 والتفَّ بالياسمين الغَضَّ بينهما
 ما أقبح الصَّبْرَ عندي بعد فُرْقَتِهِ
 يا غائباً قد أطالتْ كَفُّ غَيْبَتِهِ
 تعجَّبَ القطر من عيني حين همت
 عندي استقرَّتْ جنودُ الكَرْبِ أجمعها
 سِجْنٌ وقيدٌ وأعداءٌ منيتُ بهم
 في منزلٍ مثل ضيقِ القبرِ أوسعهِ
 يحنُّ عند مقاساةِ البلاءِ به
 ولو تومدَ أطباقُ الثرى جسدي
 ووشحَ الحسنُ خديه بتذهيبِ
 نصيرُ وردٍ بماء الحسنِ مهضوبِ
 يا نفسُ ذُوبِي عليه هكذا ذُوبِي
 على لظى الشوقِ والأحزانِ تقليبي
 منها الشَّائِبُ في إثر الشَّائِبِ
 فليستَ تسمعُ من بعدي بمكرُوبِ
 لا يسأمونَ مع الأيامِ تربيبي
 دخلتُهُ فحسبتُ الأرضَ تهوي بي
 قلبي إليك حنينَ الميمِ والنَّيبِ
 ناداك قلبي بترجييعِ وتثويبِ

وكان ابن مسعود يومئذٍ بالمطابق مع جماعةٍ من رؤساء الأدباء ، فلم
 يزل الطليقُ يأخذُ عنهم ، ويستمدُّ منهم ، حتى ثريَ تَرْبُهُ ، وطلع
 عَشْبُهُ ، وسما ذِكْرُهُ ، وطار شعرُهُ . وكانت أشعارُهُ تأتي ابنَ أبي عامر
 فيتهمهُ فيها .

وانطلق الطليقُ من مُعتقلِهِ وبقي ابنُ مسعود مدةً محبوباً إلى أن انطلق
 سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بعد مديدة . وليس من طبقةِ كتابي لِتَقْدَمِ
 زَمَانِهِ ، وإنما جرَّ حديثُهُ حديثُ سَمِيَةِ المتقدمِ الذكرِ ، وكذلك الطليقُ
 أيضاً مُتَقَدِّمُ الأوانِ ، وليس من طبقةِ هذا الديوان .

وابن مسعود هو القاتل في سجنه ، وقد انطلق الطليق عنه ، وقَرُبَ
 ضدهُ منه :

ولي جليسٌ قُرْبُهُ مني
قد قَدَيْتَ من لَحْظِهِ مَقْلِي
نَادَمْتِي^٢ في السَّجْنِ مَنْ قُرْبُهُ
لو أنْ خَلَقْنَا كان ضِدًّا له
إذا اشْتَهَى قَطْعِي في حُجَّةٍ^٣
كَأَنَّهُ يَجْلِسُ من ذا وذا

والطليق القائل^٤ :

بُعْدُ الأمانِي كُلِّهَا عني
وَقُرْحَتُ من لَفْظِهِ أَذْنِي
أَشَدُّ في السَّجْنِ من السَّجْنِ
زاد على يوسفَ في الحُسْنِ
سَلَطَ لِبطِيهِ على ذهني
بين كَنيفَيْنِ من النِّتَنِ^٥

غُصْنٌ يَهْتَزُّ في دِعْصِ نَقَا
أَطْلَعَ الحَسَنُ لنا من وَجْهِهِ
ورنا عن طرف ريمٍ أَحْوَرِ
وتناهى الحَسَنُ فِيهِ إِتْمَا
رُبَّ كَأْسٍ قد كَسَتْ جُنْحَ الدَّجَى
ظَلَّتْ أَسْقِيها رَشًا في طَرْفِهِ
فكَأَنَّ الكَأْسَ في أُنْمُلِهِ
أَصْبَحَتْ شَمْسًا وفَوْهُ مَغْرِبًا
فلِذَا ما غَرِبَتْ في فَمِهِ

يَجْتَنِي مِنْهُ فَوَادِي حُرْكَ
قَمَرًا لَيْسَ يَرَى مُتَحَفًا
لَحْظُهُ سَهْمٌ لِقَلْبِي فَوْقَا
يَحْسَنُ الْغَصْنَ إِذَا ما أَوْرقَا
ثوب نورٍ من سناها يَقْقَا
سَنَةً تَوَرَّثُ عَيْنِي أَرْقَا
صُفْرَةُ النُّرْجَسِ تَعْلُو الْوَرْقَا
وَيْدُ السَّاقِي المَحِيَّتِي مَشْرِقَا
تَرَكَّتْ في الْخُلْدِ مِنْهُ شَفَقَا

١ النفع : كذبا .

٢ النفع : راحني .

٣ النفع : إذا ارتعى فكري في وجهه .

٤ هنا تنتهي الترجمة في ط .

٥ انظر بمض هذه القصيدة في النفع ٣ : ١٩٧ ، ٥٨٦ والجفوة : ٣٢٢ والمغرب ١ :

١٨٦ وسائر المصادر المذكورة في ترجمة الطليق، وبخاصة الحلة السراء ١ : ٢٢٢ —

وهذا يشبه قول الآخر ١ :

ومدامة صفراء عكّلتني بها
صهباءٌ تغربُ إن بدت من كفه
رشاً كفنن البان في حركاته
في فيه ثم تلوح في وجناته

وغمام هطل شؤبوه
فكان الأرض^٢ منه مطبق^٣
خلع البرق على أرجائه
وكان العارض الجون به
في ليال ظل ساري نجمها
وقد البرق لنا مصباحها
وشدا الرعد حنيئاً فجسرت^٤
فانتشى شرباً وأضحى مائلاً
وغدت تحنو له الشمس وقد
وكان الورد يعلوه الندى

وله من أخرى :

قمري الوجه أبلى بضحي
فأراني سُبْحاً في فَمَسِب
وجهِه خط الغوالي غبشا
من عذاريه كما اصفر العشا
عَضَّ طرني فيهما أو خلشا
ضُرَجَتْ خداه حتى خلتها

١ هو ابن فتوح ، كما سيرد في ترجمته في هذا القم .

٢ ب م : الورد .

٣ الحلة : خلى .

٤ الحلة : لها مصباحه فانتشى .

وَحَوْتُ عَيْنَاهُ [خَمْرًا] لَمْ يَرُخْ
فَكَانَ الصَّبْحُ فِي وَجْنَتِهِ
عَشِيَّتَ عَيْنٍ أَمْرِيءٍ لَمْ تَكْتَحِلْ
جَدًّا فِي قَتْلِي حَتَّى خَلْتُهُ
لَمْ يَزَلْ يُوشَى بِنَا حَتَّى غَدَا

ومنها :

أَيْنَ لِي مَلْجَأٌ إِذَا مَا طَرَفَهُ
وَنَقِصْتُ الْحَاظُفَ أَنْصَلْتُهَا
رَشَاءً إِمَّا مَثَى تَحْسُبُهُ
ثَقُلَ الْخَصْرُ بِرَدْفٍ رَاجِعٍ
فَلِذَا مَا ظَلَّ يَوْمًا قَاعِدًا
خَمَشْتُ الْحَاظُفَ عَيْيَ خَدَّهُ
نَقَشْتُ عَيْتِي عَلَيْهِ أَسْطُرًا
مَنْعَتُ ثُمَّ تَجَلَّتْ فَدَنْتُ
أَنْتَ كَالْبَدْرِ يُرَى اللَّيْلُ بِهِ
كُنْ كَمَا شِئْتَ فَقَدْ شَاءَ الْهَوَى

يَجْبُوشُ السَّحْرِ نَحْوِي جَيْشًا
فَتَنَانِي بَطْشُهَا أَنْ أَبْطِشًا
غَصْبًا نَيْطُ بِهِضٍ فَاثْنَشِي
مَثَلَمَا أَثْقَلَتِ الدَّلْوُ الرَّشَا
خَلْتُهُ أَوْطَىءَ مِنْهُ فُرْشَا
مَثَلَمَا بِاللَّحْظِ قَلْبِي خَمَشَا
أَعْرَبْتُ عَمَّا بِقَلْبِي نَقِشَا
رَبَّمَا أَرْدَاكَ مَا قَدْ نَعَشَا
مُؤْنَسًا طَوْرًا وَطَوْرًا مُوَحِشَا
إِنَّهُ يُنْفِذُ فِينَا مَا يَشَا

الذخيرة في عجائب أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشبنتري (١٥٤٢)

القسم الأول - المجلد الثاني

تقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٠١

١٤١٧ھ - ١٩٩٧م

فصل في ذكر الشيخ الأديب الكامل أبي مروان ابن حيان^١ والانيان^٢ بفصول مقتبسة^٣ من كلامه سوى ما مر ويمر منها في أثناء هذا الديوان

ولما تحدّث بتاريخه في ملوك الطوائف^٤ بأفئتنا استشرفت طائفة^٥ منهم إلى مطالعة غُرَرِه ، وعدّوه من فُرُصِ العمرِ وغُرَرِه ، واهتزّوا لقطفِ زهرِه ، وافتقروا إلى مطالعة فقره ، واستهندّوه إياه ، وأجزلوا على ذلك قِراه ، وأنّ تسمعَ بالمُعَيديّ لا أن تراه ، [ليس بعُشكٍ فادرُجي ولا

١ أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (٤٦٩ -)؛ ترجم له ابن بشكوال في الصلة : ١٥٠ وانظر الجذوة : ١٨٨ (والبنية رقم : ٦٧٩)؛ وقد كتب عنه الأب ملشور أنطونية رسالة بعنوان *Ibn Hayyan de Córdoba y su Historia de la Espana musulmana* (ضمن دفاتر تاريخ أسبانيا ، المجلد الرابع ، بونس آيرس ١٩٤٦ ص ٥ - ٧٢) ؛ وللاستاذ غرسيه غومس بحث صغير منه في مجلة الأندلس (المجلد ١١ ، ١٩٤٦) وكتب عنه الدكتور مؤنس فصلا صغيراً في كتابه « تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » ص ١٠١ (مدريد ١٩٦٧) وفي كتاب بونس بويجس عن مؤرخي الأندلس وجغرافيتها معلومات عنه (ص ١٥٢ - ١٥٤) ؛ وانظر تاريخ الفكر الأندلسي : ٢٠٨ - ٢١١ ؛ وللدكتور محمود مكّي بحث مفصل صاف عنه جملة مقدمة على القطعة التي نشرها من كتاب المقتبس (القاهرة ١٩٧١) ، وإلى جانب هذه القطعة هنالك قطعتان من هذا الكتاب نشر إحداهما أنطونية (باريس ١٩٣٧) ونشر الثانية الدكتور عبد الرحمن الحجّي (بيروت ١٩٦٥) وهناك جزء يختص بفترة عبد الرحمن الناصر من ٣٠٠ - ٣٣٠ وهو ما يزال قيد التحقيق .

٢ ب م : وإيراد .

٣ ب م : مقتضبة .

٤ ب م : ولما تحدّث في قص [. . .] بتاريخ ابن حيان ، وكان ذلك في مدة ملوك الطوائف .

كرامة ، لإنه [وإن كان فيما قرع من هذا الباب ، قد مرى سحابه فصاب ،
 فإنه أخطأ التوفيقَ وما أصاب ، إذ جاء أكثرُ كلامه كما قال ابن الرومي :
 مهما تَقَلُّ فسهامٌ منكَ مُرسلةٌ وفؤك قوسُك والأعراضُ أغراضُ
 وما تكلّمتَ إلّا قُلْتَ فاحشةٌ كأنَّ فكيتَ للأعراضِ مقرّاضِ
 ومنَ علمَ أنَّ كلامه من عمّالِهِ ، أقلَّ إلّا فيما ينفعه ، ومنَ اعتقد
 أنَّه مُستولٌ عمّا يقول ويكتُبُ عليه ما يكتُبُ ، لمَ يَسْتَفرغِ المجهودَ
 في القولِ فضلاً عن أن يثلبَ . والله دَرُّ القائل :

فلا تكتبُ بكفك غيرَ شيءٍ يَسُرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ
 ومع ذلك فقد كان سهماً لا ينمي^١ رَمِيهِ ، وبحراً لا يُنكش^٢ آذِيهِ ؛
 لو ثلَبَ الماءَ ما نَقَعَ ، أو تعرَّضَ لابن ذُكَاءَ ما سطع^٣ ، يتناولُ الأحساب
 قد رَسَخَتْ في التَّخُومِ ، وأنافت على النَّجُومِ ، فيضعُ منارها ، ويطمسُ
 أنوارها ، بلفظ أحسن من لقاء الحبيب غيبَ الموعدِ ، وأمكنَ من عُدِّرِ
 الطبيب عند العودِ . فربَّ شاعخٍ بأنفه ، ثانٍ من عِطْفِهِ ، قد مرَّ في كتابه
 بفصل قد جرَّده لوضع حسَبِهِ ، وخلَّده أهدونهً باقيةً في عَقْبِهِ وولده ،
 فيردُّه ورُودَ الظَّمانِ الرَّنَقِ ، ويلبسه لبس العريان الخَلَقِ .

وقد أثبتُ في هذا الاختيار من نثره ما هو شاهد على ما أجريتُ من
 ذكره . وكانت وفاة هذا الشيخ [الباقيّة] سنة تسعٍ وستين وأربعمائة .

١ ط : ينهى ؛ ونمت الرمية : إذا أصيبت وغابت عن النظر ثم وجدت ميتة ، ولذلك قيل :
 كل ما أصميت ودع ما أُنميت .

٢ ينكش : ينزف .

٣ ب م : طلع .

٤ ط : اجتريت .

فصول من كلامه في أوصاف شتى

فصل جعله مفتتح تاريخه الكبير^١ ، قال في صدره :

الحمد لله الذي علا في سمائه ، وتفرد ببقائه ، وتسمّى الجبارَ بجبروته
[وكبريائه] ، فله الأسماءُ الحُسنى ، والمثل الأعلى ؛ خلقَ الإنسانَ علمه
البيان ، وأجرى بيده فلكَ القلم العظيم الشّان ، فعلمه ما لم يعلم ، وأشهده
ما لم يحضر ، وكرّر عليه نبأ ما لم يلحق من القرون الماضية ، والأُمم البائدة ؛
وأراهُ سبيل مُنقلبهم عن هذه الدُّنيا الفانية ، التي استعمرهم فيها قرناً بعد
قرن ليلبّوهم فيما آتاهم ، فتهافتوا في شهادها ، وتهاكّوا كالأذبة عليها ؛
لا الآخرُ بما انتهى إليه عن الأوّل معتبر ، ولا الغابرُ بما مرّ على الماضي مزدجر ،
حكمةٌ بالغةٌ فما تغني النّذر ، إذ كلّ مُقدّر^٢ كائن ، وكلّ مربوب
مسخر .

وبعض لفظه في هذا الأصل محلول ، من قول القائل حيث يقول :

تَرَحَّأَ	لدار	إنما	سكّانها	رُفُقُ	مُخِبَّةٌ
دارٌ	غريبٌ	خيرُها	وترى	الشّرور	بها مُرِبَةٌ
أدَوَتْ	وغاب	دواؤها	عن	كلّ	نفس مستطبة
وصفت	محبّةٌ	أهلها	منها	لمدغلةٍ	مضبّة

١ ب م : كتابه الكبير ؛ وهذا التاريخ الكبير هو المسمى بالمتين ، وقد ذكر ابن سعيد أنه

في نحو ستين مجلدة (النفع ٣ : ١٨١) .

٢ ب م : مقدور .

لم يدْرِ فيها حلوها من مرّها إلاّ الألبة^١
فتهافتوا في شهندها وتهاكوا مثل الأذبة

وله من رقعة^٢ :

وبعد ، فإنّي امرؤ يسرّ لطلب هذا الخبر ، واقتفاء هذا الأثر ،
أحرسُ شاردّه ، وأقيّدُ نافرّه ؛ وأبيتُ بأبوابه ، وأنصبُ لطلابه ؛
فشغلتُ به دهرأ ، وفجرتُ منه نهراً ، صيرني تريباً لعدنان ، وزماماً
على الحدّثان ، أقصُ أنباءه ، وأضربُ أمثاله ، وأحصي وقائمه ، وأحرزُ
مواعظه . وأنساني المدةُ إلى أن لحقتُ بيدي منبعثَ هذه الفتنة البربريّة
الشنعاء المذلّمة ، المفرّقة للجماعة ، الهادمة للمملكة المؤتلة ، المغربة للشأو
على جميع ما مضى من الفن الإسلاميّة ، ففاضت أهوالها تبعاضاً أدلّهي
عن تقييدها ، ووهمني ألاّ مخلص منها ، فعطلتُ التاريخ إلى أن خلا صدر
منها ، نفّسَ الخناقَ ، وبلل الرماق ؛ فاستأنفتُ من يومئذٍ تقييدَ ما استقبلته
من أحداثها ؛ فأنعمتُ البحثَ عن ذلك عند من بقي يومئذٍ من أهل العلم
والأدب لدينا ، فلم أظفر منه إلاّ بما لا قدر له ، لزهدٍ من قبلنا قديماً
وحديثاً في هذا الفن ، ونقيهم له عن أنواع العلم . وانثنتُ خائباً
خجلاً ألوم نفسي على التقصير ، وأحدوها بالأمل ، وأعذر من قال « هممتُ
ولم أفعل »^٣ ؛ وشرعتُ في التقييد غيبَ ذلك التنفيذ ، غير مُخلّ به ،

١ ط : ألبة .

٢ افردت ب م هذه الرسالة والتي تليها .

٣ من قول ضابئ بن الحارث البرجمي :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاله

ووصلتُ القولَ فيما فاتني قبلُ من ذكر انبعاث تلك الفتنة ، وأخبار ملوكها ، ومشهور حروبها ، ممّا أصبتُ به عندِي تذكرة ، أو أخذتُه عن ثقة ، أو وصلني به مشاهدة ، أو حاشته إليّ مذاكرة ؛ حتّى نظمتُ أخبارَها إلى وقفي مكتملة ، وجئتُ بها على وجوها ، وأوردتُها على سُبُوغها ؛ ناشراً مطاويها ، ومعلناً بخوافيها ، غير مُحابٍ ولا حائفٍ في الصّدق عليها ، سالكاً سبيلَ من ائتمستُ به من مستأخري أصحاب التّاريخ بالمشرق ، كأبي حمّد الحصري ، وأبي بكر ابن القوّاس القاضي ، والفرغاني ، ونظائرهم من أعلام الفقهاء الذين لحقوا الفتنة الحادثة عندهم بالمشرق بعد الثلاثمائة ، من تصرّيحهم بأخبار أمرائهم المتوثّبين على المملكة عند وهن مُتقلّدي الخلافة فيهم . فلأمرٍ ما اعتنوا بذكر أخبار الأعاجم هناك من الدّيلم والأتراك ، مع عدم الفائدة فيها وتفسّشي العار بوجوها ، وبُعدها ممّا كتبه من قبلهم من أخبار ملوك العرب صدر الإسلام لفظاً ومعنى ، وعقداً ومبنى ؛ حتّى توسّعوا في ذكرها ، وتناعوا في التّنقير عنها . وإنّ ذلك لا محالة كان لاستغرابهم شأنها . وإكبارهم بحجّة الزّمان بمثلها ، وإشارتهم إلى أنّها طرقت هادِمةً لما بنته الدّنيا ، مُغيّرةً لمحاسنها ، مزهّدةً فيها ، مؤذنةً بانقطاعها ، كي يكون البقاء لمن تفرّد بجبروته ، ويدوم البهاء لمن لا تتسلّط الغيّرُ على ملكوته .

١ كان عبد الله بن أحمد الفرغاني (٣٦٢-) مؤرخاً ، وله كتاب يعد صلة على تاريخ الطبري (انظر ترجمة الطبري هند ياقوت) وكان ابنه أبو منصور أحمد بن عبد الله (٣٩٨-) مؤرخاً كذلك ، وله تاريخ وصل به تاريخ والده ، وعنه ينقل ابن خلّكان في مواضع (راجع فهرست وفيات الأعيان) وله أيضاً سيرة كافور وسيرة جوهر (ابن خلّكان ٥ : ٤١٦) وسيرة العزيز (معجم الأدباء ٣ : ١٠٥) .

فركبتُ سننَ مَنْ تقدمني فيما جمعته من أخبار ملوك هذه الفتنة البربرية ،
ونظمتُهُ وكشفتُ عنه وأوعيتُ فيه ذكرَ دولهم المضطربة ، وسياساتهم
المنقّرة ، وأسباب كبار الأمراء المنتزين في البلاد عليهم ، وسبب انتقاض
دولهم ، حال فحالٍ بأيديهم ، ومشهور سيرتهم وأخبارهم ، وما جرى
في مُددهم وأعصارهم ، من الحروب والطوائل ، والوقائع والملاحم ؛
إلى ذكر مقاتل الأعلام والفرسان ، ووفاة العلماء والأشراف ، حسب ما
انتهت إليه معرفتي ، ونالته طاقتي .

وكنْتُ اعتقدتُ الاستثارة به لنفسي ، وخبأهُ لولدي ، والضنَّ بفوائده
الجمّة على مَنْ تنكّب لإحمادي به إلى ذمي ومنقصتي ، طويتُ على ذلك
كشعاً ، وأوجبته عزماً ، إلى أن رأيتُ زفافه إلى ذي خطبة سنيّة أنتمي
على بُعد الدّار ، أكرم خاطبٍ وأسنى ذي همّة ، الأمير المؤثّل بالإمارة
المأمون ذي المجدين ، الكريم الطرفين ، يحيى بن ذي النون .

وفي فصل له من أخرى ، صدرها :

يا مولاي وسيدي ، قحطاني زمانه ، وغلاب أقرانه ، المتوقّي في مُلكه
مَنْ ضَرَّ اعتماده عليه ، ومَنْ هنأه الله جليل الفتح له ، وعلى رعيّته به ،
ولا ألهاهُ طمّحانُ السّرور بجلالته عن تحقيق التواضع لمولاه ، وإخلاص
الخشوع لوجهه ، والعياذ بعصمته ، من إقراف ما جرّ مثله على مقترفه ،
وسؤاله تسويغه إيّاه ، بالنّخل له ، والفوز بحميل عافيته ، بمنّه .

وله من رقعةٍ خاطب بها ابن عبّادٍ بظهوره على ابن ذي النون :
لو أنّ فتناً اعتلى عن تهنة ممنوحة بارتفاع قدر ، أو جلالة صنع ،

أو فرط انتقام مُستأصل ، أو تنزّل حكم من الرّحمن فاصل ، لكان فتحه ١
هذا لك ، على عدوّ أسود الكبد ، مظاهر البغي على الحسد ، طال والله ما ٢
استحييته لا من خجل ، وتنكّبه لا عن وهل ؛ فأبى له رأيه الفائل ، وجدّه
العائر ، وحيّنه المجلوب ، وحزبه المكبوب ٣ ، إلّا اكتساب العار ، ومماننة
مُحصّد الأقدار ؛ فجمع الجيش ذا الألوف ، وتجمّع الشّقة العنوف ،
ثم لا يرزأ العدو الغاظ له إلّا التسلّط على ضعفاء رعيّته بإفساده لأقواتهم ،
ونيله من دماء المحاويج منهم ، إلى التقاط سقاط سنبلهم ؛ فكم نال فساقه
الذين أرسلهم عليهم من دم أرملة غرثى ، وبتيمة ٤ كفرخ الحبارى ،
إلى من أصيب فوقعهم من عابر سبيل وضارب لمعيشة ؛ مؤيّم نسوة ،
ومؤيّم صبيّة ؛ أضحوا طعم ذئاب .

وفي فصل منها :

حتى ابتعثك امتعاضك ٥ تحت صدق العزيمة ، ومهل الرّويّة ، وصواب
التدبير ، وتقدّم الاستخارة ، مستظهِراً منهنّ بعده ضربت عليه بالأسداد ،
وباعدته عن السداد ؛ وابتعثك تعالى للسمو ٦ إليه لما دنا منك قبل اكتمالك
في الاحتشاد ، وانتهائك في الإعداد ٧ ؛ ويسرك لرميه بأهزاع الكنانة

١ ط : فتح .

٢ ط : طالما .

٣ ط : وعز به المكتوب .

٤ ط : ويتيم .

٥ ب م : حتى حرك المدى امتعاضك .

٦ ط : للسير .

٧ ب م : الاعتداد .

ومظنّة النّجاة ، وطلّيعَة السّعادة ، الحاجب سراج الدّولة سيد العرب أنعم الله به عليك في من حضرَكَ من خاصّة الغلمان ، لله درُّهم من حُماةِ حقائق ، ومدركي أوتار ، ورحضةِ عار ، اهتدوا بقمرهم الساري ، وليتهم العادي ، وحاميهم الواقي العبّادي ، مقتضياً أثرك في محمود موافك ؛ طرّف الله عيونَ حسدتيك^١ فيه ، ومتعلّك بما منحك من يُمن طائره وسعده اللذين بهما انقضّ على عدوك انقضاضَ الكوكب الساري ، فخسفَ به ويجمعه ، أحفلَ ما كان في عديده ، وأوثقَ ما هو بجنوده ، فطواه طيَّ الرّداء ، وغلّ أيدي كمانه عن إعمال القنا ، وأرغى فوقهم سقبَ السماء ، فاقْتِسَمَتْهم أيدي الختوف بين حرّ الحديد وبرد الماء [أولى لهم فأولى : قَبِلَ اللهُ معذِرةَ المستكرهين منهم ، وقارض سواهم بطاعتهم لظُلوم فرّ عنهم فرارَ الظّليم ، وأسلمَ بائياً بالعار الذي قدماً تحاماهُ ذوو النهى ، ورأوا أن الموت منه أحجى ، ولم يقرنوا بمعذرة الحارث بن هشام ما الفرارُ منه أخرى] .

وله من أخرى يعاتب صاحب الصّلاة ابن زياد :

يا سيدي المعتلي بسموّ رتبته ، المعتدي باعتداء بصيرته ، ومنّ أصحابه الله التوفيق ، وأقامه على سواء الطريق ، ونحاه من معتبة الصديق : [من كلامهم] :
 إنَّ أدهى المكروه ما كان^٢ من تلقاء المحبوب ، لا سيما إن قارن فادحَ نكبة ، ووافق كارث مصيبة ، فزادها حطباً وأشعلها نفخاً ، وتلك داهيتي العظمى بك ، إذ علمتَ عظيمَ محنتي بأمتي الفاجرة ، التي فلّت غربي ، وفرتْ كبدي ، ونظمت أشتات المصائب في سلكي ، خَبَلًا للبال ، وثلماً

١ ب م : حسدك .

٢ ط : جاء .

للمال ، الذي لا تنام العينُ على حرازته وتنام على الإثكال . وكان الظنُّ^١ لتشيبي فيك أن تأخذ بحظك من مشاركتي ، فتتكتبتها ، وتجاوزتَ إلى قطعِ آصرتي وتذكية لوعي ، بقيامك دون الحبثتين النطفتين ابني قباط^٢ الحنّاط ، جارتني جنبي ، ومسبتي كربى ، التهجّتين سرّاً وعلانية بأذاتي^٣ وإمداد أمتي الفاجرة خليلتهما في غيّها لكون بينهما دبرَ بيتي^٤ في حائط يليهما . فلم تزل تُناولهما منه ما تُسلّله في الفلتات والخرجات السيئات حتى استأصلت متاع البيت .

وفي فصل منها :

وقد كان صاحب المدينة ذهب إلى اعتقالهما بما لاح من ظلامي ، فبادرته أنت واستنقذتَ وزكيتَ غير مستثبت في مآل من استنقذته ، ولا سائل عن باطن من زكيتَه ، وشكّكتَ السلطانَ في صدق تهمته ، فهل سبّقتك إلى مثل هذه العجلة قيّمُ شريعة ، أو فارسُ منبر ، أو واعظ أمة ؟ فتعلم الآن أن قد قمعتني قمع المقهور ، ودحرثني دحر المليم المأزور ، وحركتَ عليّ من اعتكار الضمير ، وفساد التفكير ، ما لم أمتلك معه والله عن عرض اسمك عليه ، والنجوى ببثي إليه ؛ ورجل الدولة الذي اعتمدته بخطابك ، وثبتتَ غربته عن النظر لي ، قد حلّ يده عن ذلك ، وأرسلني مُخلّي العنان في ميدان الخصام الرحيب الساحة ؛ وكنتَ حسبتَ أنه منحرف

١ ب م : نباط .

٢ ب م : بأذاتي .

٣ ب م : داري .

٤ ب م : تسله .

عني فلذلك ما انتحيته بكتابك ، وحسبت أيضاً لشغل بالي أن سراك تحت الظلام خفي عليّ إذ تحدث وتغزل ، وأنا عنك بمعزل .

وله من أخرى خاطب بها ذا الوزارتين أبا القاسم ابن عبد الغفور :
لا أبثك من ذكر حالي لانتلال عرشي ، وانفلال غربي ، بما أخشى
تناسيك له ، أو ونيتك في المعونة عليه ، فأنت طودي من بين هذه الهضاب ،
ومُصدّق ظنّي فيما ينوب من طلاب ، الموحى بأشجاني إلى جنان الملك
اللباب ، نهاية الآمال الرغاب ، أقرضك الله بغير حساب .

وخاطبه الوزير الأجل^١ أبو بكر ابن زيدون برقعة يقول فيها : وللذي
أسكن^٢ إليه من حسن قبولك ، وجميل تأويلك ، أقابيل^٣ بالحقير ، وأواجه
بالتافه اليسير . ويعلم الله تعالى لو تاحققتك بهبة عمري ، ما رأيت ذلك
كفاء^٤ لقدرك ، ولا وفاء ببرك ، فكيف ما دونه ؟ فلك المنزلة التي لا تُسامى ،
والجلالة التي لا توازى ، وما شيء^٥ وإن جلّ^٦ إلّا^٧ ومحتقر^٨ لك ، مستصغر^٩
عند محلك . ويصل مع موصل كتابي هذا^{١٠} ما ثبت ذكره في المدرجة طيه ،
وأنت بمعاليك تتفضل^{١١} بقبوله ، وتصل أجمل^{١٢} صلة بالتغاضي عن وتاحتته ،
والاستجاجة^{١٣} لزارته ، مُقتضياً بذلك شكري وحمدي ، ومُستبدّاً
منهما بجميع ما عندي .

فراجعه ابن حيّان برقعة يقول فيها : إن لفجأت المسرات الباغثة لآمال النفوس

١ ب م : أن ذلك كفاء .

٢ ط : مع موصله .

٣ ط : والاستجاجة ؛ ب م : والاستخارة .

الحائمة، صدمات تُذهل الجنان ، وتعقل اللسان ، فمن فرح النفس ما يقتل ،
ومن باهر الصنيع ما يُذهل ، ولا كمثل ما فاجأني^١ من فضلك المبتدّر ميقاته ، المقنض
المزیدُ فيه على وفاق من إنفاض الأزودة ، وخمود المصاييح المعطلة ، وعنة
من الظنون المخوفة بنكد السنة . لم يشغلك عن جودك شغل حتى قضيت
نذكرك في لأوّل وقته ، ولم ترضَ بعادتك المتكلّفة لي بشأن الدّهن ، حتى
تحملت عني ثقل القوت ، فلم أكد أشيمُ برق الزيت ، حتى نلت ودّقه^٢ ،
حاشداً لأحمال البرّ التي استحققتُ أعداله^٣ [أوطابه] فأسالت غُرته^٤ .
وطرقتني قطارُ هديتك الفاجئة غداة أصبحتُ فيها مُنفصلاً من الزاد ،
مُسْتَوْفِزاً للارتداد ، فأجلت عيني منها في حديقة مجدٍ لم يُصبها مطر ، ولا
تكمّمها^٥ زهر ، أكسبت فرحي دهشاً ، وأحالت بياني بلهاً ، حتى نوولتُ
كتابك الكريم ، ونظرتُ في لآله التّوم ، فيالي^٦ به من اهتزاز لذكرك ،
وارتياحٍ لطولك . فجوزيت أوفى جزاء المنعمين ، وأوفرَ قرص المحسنين ،
بما أرحت من فكري بكشفك عني في أديم يوم همّ عام^٧ ، فعمت فيه
أوعيتي ، وأفهقت آيتي ، مع أنك قتلت^٨ شكري ، فلا فضل فيه لمقابلة

١ ب م : فاجأني .

٢ ط : ريقه .

٣ ط : واطابه .

٤ ب م : فأدالت عزته .

٥ ط : فيه .

٦ ط : تكسها .

٧ ب م : فنالني .

٨ هام : أي مطبق بالماء وهو السحاب ؛ وإذا قرى « غام » فكأنه من غمى البيت أي غطاه .

٩ ب م : قبلت .

معروفك إلا^١ إمحاض^١ الدعاء لك ، في حراسة مهجتك ، ودوام نعمتك ،
واستبصار الملك الأعلى عميد الورى مستكفيك ، في حسن رأيه فيك . أعاذك
الله من عين الكمّال ، ووقاك طوارق الأيام والليال ، وحفظ على زماننا
ما فيك من كرم الخلال ، وأنهضك بما التزمته من إحاث من أقسم أن^٢
الجُودَ في عصرنا عدم^٣ لا يُنال ، بمنّه ويمنه .

وله من أخرى يهتّى بعض العمّال بخلاصه من نكبة : كتابي عن نفس
قد أشرق وجه صباحها ، وهبت رياح^٤ ارتياحها ، وسرى نفّس السرور
فيها ، بما طلع علينا من البشائر^٥ السّارة بخلاصك ، وجميل انفكاكك
ومناصك ، على حين بلغت قلوب الأوداء^٦ الحناجر ، وكادت موارد الحزن^٧
لا تكون لها مصادر ، فإنّ الأيّام عمّت فيك ، باساءتها إليك ، كلّ^٨
منتسب إلى فضل ، متّسم باسم نُبل ، وإن كانت قد أصابت فيك سواد
ناظرها الذي تُضيء به وتتجمل ، وسخت منك بحلي جيدها الذي يحق
به أن تبخل ، فذلك خلّق لها لم نزل نصحبها^٩ عليه اضطراباً لا اختياراً .
فالحمد لله الذي كفى ووقى^{١٠} .

فأنت أعلم^{١١} بمجاري الأمور ، ومصابير الدهور ، وأهدى إلى التسليم

١ ب م : إمحاض .

٢ ط : ربح .

٣ ط : البشارة .

٤ ب م : الحمد .

٥ ب م : نزل تصحبها .

٦ ط : ووفى .

٧ ب م : أمرف .

للمقدور ، فلم تورّد الأيامُ عليكَ من حوادثها المجهول النكر ، ولا وردت عليك بالفتنة البكر ، ولا هاضت منك بما جنته ، ولا هدّت من ركنك بما أتنه ، بل صادفت منك الإبريز الذي لا يزيده السبكُ إلاّ تخليصاً ، والمبرز الذي لا يعقبه حؤول الأحوال نكوصاً ؛ تتلقّى الخطوب بصدر وساع ، وصبر منفسح الباع ؛ وتسبر الدهر بمسبارهِ ، وتعرف من مكنونه^١ حقيقة إرادته وإصداره .

وهذه فصول مقتضبة من طويل كلامه في تاريخه ،
وكنيت عن أكثر من به صرح ، وأعجمت باسم
من به أعرب وأفصح ، رغبة بكتابي عن الشين ،
وبنفسي عن أن أكون أحد الهاجيين ، إلا في بعض
أخبار ملوك الطوائف . لما تعلق بذكرهم من فنون المعارف

وله إلى ابن عبد الغفور ، وقد أعاره سيفراً من تاريخه ^١ :

ليس يخفى عليك مكانُ هذه الصُّحف المستملاة من الصُّدور ، المستعراة
من النظير ، من أنفُس مؤلِّفِها ، وقلوب مصنِّفِها ، فأبشك شأنَ الاهتمام
بها . وناولتُك يومَ التقينا السُّفيرَ الحَقيرَ ، ختامَ تاريخي المهجور ، سائلاً
علاك تصفحه كيما تُكذِّبَ ما زوَّرت فيه عليّ ، ولا محالة أن قد فعلت ،
ورددت وجهت . واستأخر صرفه إليّ ، فحملتُ ذلك على نسيانك ،
لتقسُّمِ الأشغال لحاطرك ، ولناخ القلق ^٢ بي : « ويومانٍ مِن هجر الحبيب
كثيرٌ » ؛ ونفسي منطلقةٌ إلى حضوره حذراً من أن يعدوك ، فلا أستقبل
فيه الخيرة . فتفضَّلْ بصرفه غائماً حمدي ، إن شاء الله .

فصل :

نُعي إلينا فلانٌ ، وكان في غفلته ، ويُعد فطنته ، وغباوة شاهده ،

١ انفردت ب م بهذه الرسالة .

٢ م : لناخ القلوب ؛ ب : لنا القلوبى .

وفجاجة شمائله ، وشكاسة خلائقه ، آية من آيات خالقه ، من رجل نسمة ريب ، وقرارة حرّب^١ ؛ على لسانه نملة تدبّ على أعراض الناس ، لا يراعي لأحد ذمة^٢ ، فصار مشنوءاً إليهم ومُرَهَقاً في دينه محروماً ، لم ترتفع له قطّ حال ، ولا فارق له إقلال ، ولا أتيح له مرفق إلاّ من حيث يرتشيه ، لتلقين خصم أو توهين عقد ، أو دفع حقّ بمشاغبة ، أو بهت خصم بمعاودة ، له في ذلك نواذر محفوظة . وكان مع هذه المساوىء وسخّ الثياب ، زمرّ المروءة ، مكحل الأظفور^٣ ، وضر الطوق ، داني الغائط من المائدة ، لا يتقدّر شيئاً ألبتة . وهو أوّل من لاعنَ زوجته^٤ بالأندلس فأرّى الناس العملَ في اللعان بالعيان .

فصل ٤ :

وكان فلان^٥ من البُخل بالمال ، والكلف بالإمساك ، والتقتير في الإنفاق ، بمنزلة بدّ فيها ملوك عصره . لم يرغب قطّ في صنعة ، ولا سارع إلى حسنة ، ولا جاد بمعروف ، فما أعملت إلى حضرته مطيّة ، ولا عرّج إليه أديب ولا

١ ط : غرب (اقرأ : حزب) .

٢ ب م : الاظفر .

٣ في أخبار أبي عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الهندي أنه لاعن زوجته (سنة ٣٨٨) فلما لاموه في ذلك قال : أردت إحياء سنة (الصلاة : ١٩) والمغرب ١ : ٢١٢ والديباج المذهب : ٣٨) ولا أدري إن كان هذا هو الذي يتحدث عنه ابن حيان هنا ، فإن ابن الهندي وصف أيضاً بأنه كان حافظاً للفقّه وأخبار أهل الأنْدلس ، بصيراً بمقدّ الوثائق ، ألف فيها ديواناً كبيراً ، وكان طويل اللسان بصيراً بالحجة تلّججه الخصوم فيما يحاولونه ويشاورونه ، وكان وسيماً حسن الخلق والخلق (توفي سنة ٣٩٩) .

٤ لم يرد في ط .

شاعر ، ولا امتدحه ناظمٌ ولا ناثِر ، ولا حظي أحدٌ منهم بطائل ، ولا استُخرج منه درهم في حقٍّ ولا باطل ، فأصبحَ في اللؤم قريعَ دهره ، وفريدَ عصره ، لا يعدُّ له فيه ملك ولا سوقة . وكان فرطَ الثوارِ بصقع الأندلس في إثار الفرقة ، وتشيت كلمة الجماعة ، فاقتطع ناحيةً ، وتفرد في الشقاق ، وصار جرثومة الخلاف والتفاق ، إذ أمَّه من بعده ، وسلك سننَه ، فتركه الله في ضلاله ولم يرضَ له عقوبة الدنيا مثوبة ، لما هو أعلم به . من رجلٍ كثرت جبايته ، وكثف جمعه ، فكلما درَّت ضروعُ ورقه وتبره ، وغزرت استفادته ، زاد حرصه ، وتضاعف جشعه :

كالخوت لا يكفيه شيءٌ يلقيهُ يصبحُ عطشانَ وفي البحر قَمه

فصل :

ونُعي إلينا عدوُّ نفسه ، زاوي بن زيري موقدُ الفتنه بعد الدولة العامرية . وردَّ النبأُ بمهلكه في القيروان وطنه ، بعد منصرفه إليها خاملاً مغموراً بين أعظم قومه ، لم يرتفع له ذكر بينهم . مهلكه كان — زعموا — من طاعونة أصابته . فالحمدُ لله المنفرد بإهلاكه ، الكفيل بقصاصه ؛ فلقد كان في الظلم والجور ، والاستحلال للمحارم والقسوة ، آيةً من آيات الله ؛ أهان الله مثواه ، ولا قدَّس صداه .

فصل :

وانكدرَ على أثره من الظَّلَمَة المسرفين المترقين من السَّمسرة إلى شرف المنزلة ، فلانُ الكاتبُ الضعيفُ الرأي [والعقل] . وكان قد ركض في حلبة كتَّاب الرسائل ، وقُلِّدَ جملةً من تدبير الأعمال الجلائل ، من غير

معرفة ، ولا قديم أبوة ، ولا إحكام صناعة . ومن استخدام مثله في شيء من العمل كانت حذرتُ حكماء الملل والفلاسفة الأولن ، لاجتماع الخلال الذميمة فيه .

فصل :

ونُعي إلينا فلانٌ صديق فلان ، وكانا أخص^١ أخوين ، فرّق بينهما من عافى الفرقدين . من رجل مُرخص في السّماع ، صَبَّ بإنشاد الأغزال المفتنة^٢ ، مُسامح في التّبيذ ، ظنين الخلوة عهريها ، حاطٌ في بعض اللذة ، مُسَفٌّ إلى الرشوة ، إلى شكاسة خلق وحدة يكدرُ ان صفوه ، ويُبعدانه عن رصانة طبقته .

فصل في بكيء :

وكان فلان مع تحقّقه بعلم اللّسان ، في غير ورْد ولا صدَر من البيان ، مقلاً من العلم ، مقلّداً ، بريئاً من البلاغة ، جريئاً على الخطابة ، بإيراد ما حفظه من قول من قبله ، يُطيل مع ذلك فيخرج عن الغرض المقصود . وكان أوّل ما قام بذلك المقام اختصر القول ، ليتخلّص^٣ من مأزق ضنك لم يقمه قبل . ثمّ استمرّ على ذلك فازداد مع المراتة عيأً وحبسة ، ونثر ألفاظه ولم ينسّقها ، وطمس معانيه ولم يكشفها ، وأقلّ الابتداع^٤ ، وحذف^٥

١ ب م : أخص .

٢ ط : الأغاني الغائنة .

٣ ب م : ليخلص .

٤ ب م : الانتزاع .

٥ ط : وحرف .

الحديث ، وأدقّ الكلام ، وأحال النظم لما يسرده ، فشهد مقامه ألا حرّ بالواد^١ ، ولا فارس للأعواد^٢ .

فصل :

وكان فلان غليظ الطبع ، خشن الجانب ، وخيم الخيم ، فدماً جهم اللقاء ، يعتريه ضجر يخلُّ به ، قلتما ينجو الخصم منه من بادرة ، له في ذلك أخبار شائعة . وكان فيما زاد من علته خطأ الطبيب لإصابة المقدار ، فبان عليه أثر خطأ العلاج .

[قال ابن بسّام] : وهذا محلّول من قول ابن الرومي^٣ :
والناسُ يلحونَ الطَّبيبَ وإنَّما غلَطَ الطَّبيبُ لإصابة المقدارِ

فصل :

ونُعي إلينا فلان ، وكان فظاً قاسياً ظليماً جشعاً جباراً مستكبراً قليل الرحمة نزرَ الإسعاف زاهداً في اصطناع المعروف ، أحدُ الجبابرة القاسطين على الرعية ، المجترئين على ردِّ أحكام الشريعة^٤ وكان مهلكه — زعموا — من طاعونة طلعت عليه ببعض أطرافه ، فتجاسر على قطعها بفرط^٥ جهالته ، فمات معذباً في الدُّنيا ولعذاب الآخرة أشدّ .

١ من المثل : لا حرّ يوادي عوف .

٢ الأعواد : المناير .

٣ انظر ابن خلكان ٣ : ٣٦١ .

٤ ب م : وكان أحد .

٥ ط : الدين .

٦ ب م : لفرط .

فصل :

ومات فلان الغني^١ العَبَام ، حُجَّةُ الله في الرِّزْقِ وَغِيْظُ الأَنَامِ ،
فنهض بربناً من كل خَسَاةٍ جميلة ، تدلُّ على فضيلة ، إلى عِيٍّ غَالِبٍ [عليه] ؛
وكان أخوه مثله في الأَفْنِ والجهالة^٢ ، وكلاهما ممن استهينت به خَطَّةُ
الوزارة بحملهما اسمها الخطير الأثير ، من غير تعلُّق بفضيلة في حديث ولا
قديم ، ولا معرفة بشيء من التَّعاليم .

فصل ٣ :

وكان فلان من جَمْعِ الحطام الدُّنيوي والكَلَفِ بالتَرْقيح ، ما حُدِّثَ
عنه فيه بكل قبيح ، مع انطلاق يده على الأوقاف ، وأكل أموال اليتامى
والضَّعَاف . أخذ بأوفر حظٍّ من الفلاحة ، وضرب بأعلى سُهْمٍ وأفوز قدح
في التجارة . ثم تجاوزهما ثانياً عنانه إلى الاستعمال والعمارة ؛ فكم زوج
من عوامل البقر مسومة بالاحتراث لسنام الأَرْضِيين ، محمولة على هام
عتاة الجبابرة ، إلى عدتها من بساتين ودكاكين ، ومنازل مُغَلَّة ، إلى
أعجل جرياً منها وأسرع دوراناً مع الساعات من مناسج الحرير المرتفعة ،
يحوكها في طرزه ، ويُرفَع له فيها السوق ، فيقبض الرِّيح ، ولا يستكفُ
سُحْنَتِ الظِّلْمَةِ بأفحش القُبْحِ كل القبح . كلُّ هذا من داءِ الفتنة المبيرة ،
ولا يزال مع ذلك مُضَاعَ الجار .

١ ب م : النبي .

٢ ط : والجهل .

٣ لم يرد في ط .

فصل :

ونُعي إلينا فلان ، وكان مع ثروته مُضاع الجار ، ممطول الغريم ،
عائِب^١ الصديق ، مكرّهاً إلى الأنام ، معوضاً بأنياب الملام ، مقدّماً
في صدور الأمثال ببسطة الرزق ، على ضيق الباع في العلم والفضل ، والانتساع
في الجهل ، فلا يحفظ من الفقه مسألة ، ولا يوثق من الشروط عقداً ،
ولا يتخلّص في التلاوة من سورة ، ولا يفيض في الأدب بيت شعر ، ثم
يأوي بجهله إلى حَرَج صدر ، وغالب نَزَق ، فلا تلقاه الحصوم أبداً إلاّ سريع
التغصّب سيء التناول ، ينازق الذُّباب شراسة . سوّلت له نفسه الجهول
أنه قاضٍ لما ناسب الذّكاونة^٢ ، وأوّل من ظفر من قلائسهم بطويلة ،
فنبذ مسحة الفلاحة ، وأعجبتة نفسه الغثراء فخال أنه إمام الأمة المستظهر
على الإمارة ، فارتقى إلى النغيّ ذرى شاهق زلّت منه قدمه ، فهوى في الخضيض
أسرع من رُقيّه . غرّه ابن عمّه الشهير البطالة ، السفه الماجن ، من رجل
دد^٣ ، لم يكن قطّ من الجدّ في صدّر ولا وِرد ، دَن شراب ، وزيرُ قحاب^٤ ،
دفتره الدّف ، وتسييحه السُّخف ، وأنسه بكأس وقينة ، ودرسه لنميّة
وغيبة ، وقضمه لحوم الغافلين ، ورأيه رأي المستهزئين . إنما أربّه بطنه
وفرجه ، وهمّه عيبته وخرجه ، وبطانته كلُّ بَطال ماجن ومأفون عائِب ،
يرضون منه بالكيسرة والعِرق ، جريثين^٥ على تمزيق أهْـب الخلق ، يتجسسون

١ ط : عانت .

٢ الذكاونة : أسرة بني ذكوان .

٣ ط : حرد .

٤ ب م : وثن صحاب .

٥ ب م : جري .

له عن أخبارهم ، ويهدون إليه معانيهم ، بها يعمر مجلسه وينفي ساعات
كسله ، وبنوادرها يهزُّ مزهره ، وترسل النغمَ عليه رياحُ ضلوعه^١ .
فيالك من شقِّ بلا فصل ، وإرهاق من غير هطل ، يقطع دهره بتعميره
الموائد ، وتعطيله المساجد .

فصل^٢ :

ونعي إلينا فلان الدَّغِل ، غازله السِّلّ ، كالأفغوان الصِّل ، وكان
أحد أعاجيب الدنيا في الفجور والخبث ، والزَّهو والكبر ، والعقوق والجرأة .
وانكدرَ إثر مهلك الحبَّارين المذكورين ؛ وكان من أكابر الظَّلمة المترقِّين^٣
من السَّمسرة صدورَ الفتنة ، يجوب البلاد ابتغاءَ المعيشة ، ولا يحاشي الترقيع
عن ارتكاب كلِّ قبيح . ولم يكن إلَّا « كَلالَ » حتَّى فتحت له أبواب الرزق
على عامَّيته وأفَنه وأمَّيته . وكان إذا كتب مضطراً يُضحكُ مَنْ تأمله ،
له في ذلك نواذر محفوظة أمسى بها من حُجَج الله تعالى في الرزق المقسوم :
لو كانت الارزاق مقسومة على الحجى لم يرزق .

وهذا من قول حبيب^٤ .

١ ب م : ويرسل للتغير (اقرأ : للزفير) عليه ريح ضلوعه .

٢ لم يرد هذا الفصل في ط .

٣ ب م : المسرفين .

٤ يعني قوله :

ولو كانت الأقسام تجري على الحجى هلكن إذن من جهلن البهائم

فصل :

وفلان أحد من انسدل عليه السُّتر في هذه الفتنة المبيرة^١ ، وكان على نباهة اسمه عاطلاً من الفضائل التعاليمية ، إلاَّ أنه كان ذرب اللسان ، كثير النوادر ، ذا جواب حاضر ، وكان يلقَّب بالجنِّي ؛ فعاتبه يوماً فتى من قريش المروانيِّين بقرطبة فقال له : ما عندك من خبر السَّماء ؟ فقال : انقرضُ سُلطانُ بني مروان ؛ فأفحمه .

فصل :

وصدَّرَ فلانٌ مع أصحابه الرُّسل ، وقد امتلأت خقائبه ممَّا قمَشَتْهُ من السُّحت^٢ ، بضروب الكدية والشَّحذ ، وبخلَ حتى بالزاد المأدوم في الطريق ، وضمنَ به على الرفيق ، وأُشْرَج عليه الجوالقات تأمِلاً في توصيله للبيوت في حمارة القيقظ حتى زَنَخَ ، فكان أحرص الوفد - زعموا - على قمش ذلك السحت ، وأغوصهم على استخراجِه ، وأشرهم إلى التعرُّض بطلبه ، فلان منهم الولي اللوام العاطل من كل حلية جميلة تدلُّ على فضيلة ، فإنه حُمِلت عنه في ذلك أخبار ، إلى زيادة مساو فيه غَضَّتْ ممن أرسله وصرفه .

قال ابن حيَّان : ولولا أن أكون لهم مغتاباً ، ولرُسُلٍ نفذوا عن البيضة ثلاثاً ، لشرحتُ من مساوئ أخبار هذا الوفد أكثر مما وصفته .

قلت أنا ، صاحب الكتاب : حاشاك أبا مروان من التَّلب والاغتياب .

١ ط : المبيدة .

٢ ط : السخف .

فصل :

وفلان ساذجُ الكتابة ، بَيِّنُ الجَهل والتخُلُف ، طلق اللسان بالخنا والهَجْر ، أحد الأفسال من أولي النَّبَاهة ، عظيم البطالة والباطل ، ومن كل حلية جميلة عاطل ، من رجل عيَّ اللسان ، مثلوم الجنان ، فدم الخُلقة ، طويل اللحية متهافت ، لم يُرهِف الأدبُ طباعه ، ولا استخرج منه كلمة حكمة^١ .

فصل :

ومن غرائب هذا الدَّهر الغُفُل في اعتبار تحوُّل^٢ العالم ، والتنويه بمُضاعي^٣ الأسافل ، أن هلكت أمٌ عجوز لبني كوثر ، فاهتبل بنوها في السعي لها ، وإنذار طبقات الناس لشهود جنازتها بأنفسهم والمشي على أعظم القرية بنعيها ، فسارعت طبقاتهم لشهود جنازتها^٤ ، فجيء بسريرها ، وابنُ جهور الوزير يقدم حضَّارها ماشياً على قدميه ، قد اتسَى به كلُّ ذي منزلة رفيعة ، ووقف على جدِّها إلى أن ووريت وانفضَّ جمعها ، ثمَّ ضُرب على قبرها قُبَّةٌ عالية تمهيداً للمبيت عليها طول أسبوعها ومدة زيارة قبرها ، حسبما كانت الجبابة تفعله في الأعصر الخالية على قبور الملوك الأعزَّة ؛ فقُضِيَ^٥ العجب بمشاهدة هذه النادرة في امرأة من [نساء] حثالة العامة ، مردَّة في الحمول ، لم يكن قطُّ بينها وبين النباهة من كلا طرفيها نسبة

١ ب م : رحمة .

٢ ط : تحويل .

٣ ب م : بمناسي .

٤ ط : فاهتبل بنوها في المشي على أعظم القرية إلى شهود جنازتها .

٥ ب م : فبقي .

في الدولة القريبة ولا البعيدة ، ولا ظفرتُ ببعل مئثر ولا ذرية نبيهة ؛ عهدي ببعلها الشيخ مطرّف ناجل هؤلاء الصبيان من بنيتها قرني حزقة^١ ، أحد سماسرة البر^٢ بقرطبة ، يروح بها يومه الأطول كميش الإزار ، أعظم أفراده ظفره بقوت يومه . وكان مع ذلك كثيراً ما ينتاب الخانات على قلته وقماعة حاله ، فيروح نشوان العشيّات^٣ يمسح الأرض بأسماله . وكان له تقدّم في ضرب القرقرّة ، محكماً لأفانين إيقاعها . فسبحان الكبير المتعال ، ناقل الأحوال ، مُبدِّل العسر يسرا .

فصل :

وتوفي فلان ، وما علّم بموته نحموله ، وأخفى الدهر على أهل بيته ؛ على أنه كان خالفة^٤ منهم تطبّعاً ، عاطلاً^٥ من كل خلة تدلّ على فضيلة ، وله أولاد سُخِف قاسموه الجهل شقّ الألبسة .

فصل :

وتوفي الوزير الحسيب ، أحد أعظم القرية قرطبة^٦ ، فسيء عوام^٧ الناس بمهلكه^٨ ، لعفاف كان يبديه ، وبشر يشعه ويستعمله ، وينطوي من أمثاله لأهل^٩ الدنيا على ضده ؛ إذ كان زاهداً في إسداء المعروف ، راغباً عن اتخاذه

١ ب م : أحد السماسرة .

٢ ب م : فيروح العشيّات نشوان .

٣ ط : وتوفي فلان .

٤ ط : لموته .

٥ ب م : لأمثاله من أهل .

الصنيعة ، تاركاً للمواساة ، شرهاً إلى الحطام الدنيوي^١ ، عطلاً من جميع التعاليم المحظية ، لا يجيل في شيء منها قيداً ، ولا يقيم لسانه لحناً ؛ وكان قد عضه صرف الزمان المتقلب بأهل بلده فأقعدته^٢ إلى الأرض ، واضطره إلى التوكل على مسحاته ، مرقحاً معيشته بعمارة بستانه ، إلى أن عطف الدهر عليه بصحبة متوثبي السلاطين^٣ المنتزين على الأقطار وسط الفتنة ، فخاض معهم ، وصار أخصاً من مارسها ، وشاطر السلطان خطة الموارث ، ولزمه العمل على ذلك فسلخها نيئاً على عشرين سنة ، مرى فيها درجتها من غير تعقب ولا توقّع عزلة ، إلى أن تولت ذلك منه المنيّة ، وقد ائتمت الثرى مطيّة .

فصل :

وتوفي الفقيه النبيه ، السري المغفل ، المجتمع على كمال خصاله ، المتفق على كمال خلاله ، بقرطبة ، أبو القاسم سوار بن أحمد^٣ ، ختام رجال المملكة بها ، وسوار معصمها لدى أيام الزينة ، وكان حليماً وقوراً ركيناً ، مطلق البشر ، حسن المشاركة ، متودداً إلى الناس ، وجيهاً إلى السلطان — على انزوائه عنه ، وقد أراد أمراء التصرف فاستغفاهم ، فخلّوه واختياره ، وكسوه أثواب الوزارة فنضاها ، ولم يعج عليها ولا ارتضاها ، حتى سقط

١ ب م : حطام الدنيا .

٢ ط : متولي الإمارة .

٣ أبو القاسم وأبو سويد ، سوار بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مطرف بن سوار بن دحون القرطبي (- ٤٤٤) كان من أهل الذكاء والفهم حافظاً للمسائل عارفاً بعقد الشروط ، (المصلة : ٢٢٤) .

عنه اسمُها . وكان على خصاله الجَمَّة من أحفظ الناس لأخبار بلده قرطبة
وسير ملوكها المروانية . وأحصاهم لنواديرهم وآثارهم وعيون أخبارهم ،
بفصاحة لسان . وخلابة منطق . وحسن إيراد . يصور إليه الأفتدة .

فصل :

مِنْ رَجُلٍ غَبَرَ دهره^١ . عَطُلًا لا ينظر في شيءٍ مِنَ التعاليم^٢ ،
إلى أن فتح الله عليه درس هذه المسائل الفقهية ، فركض في حلبة الفقهاء
المشاورين . وقُدِّم لعلو السن لا لعلو الدرجة . وكان في ذاته كرية الطلعة ،
بأذى الهيئة . دَرِنَ الكسوة ، هزِيل الدابة ، يمتهن نفسه في خدمة أهله ، مما
يتتره عنه كثير من العامة . تقتحمه عيون الناس ويحصون نوادره ، وكان
موصوفاً بالنهم . على ضؤولة جسمه . وانهداد قوته ، وملازمة الذرب
لمعدته . وطلبه لعلاجها .

فصل :

مِنْ رَجُلٍ^٣ معدنٌ من معادن الجهل والأفتن والغباوة ، وحجة من حجج
الله تعالى في الرزق ، واستظهر بما رأى الناس فيه من شدة وطأة المجاعة
بما شاء من وفور الزاد وكثرة الطعام ونفاسة البر وسعة الثروة^٤ ، فاغتنى على
فرط الزلزلة في المجاعة^٥ بكثرة القوت والطعام أرسى من ثبلان وثبير^٦ ، بما

١ ط : دهرأ .

٢ ب م : العلوم .

٣ ط : وفلان .

٤ ط : بما شاء من ادخار القوت والطعام .

٥ ط : الزلزلة والمجاعة .

٦ ط : وشمام .

يفوت التقدير ، وولي المظالم صدرَ اكتهاله أيامَ التخليط الواقع بمنبعث
الفتنة :

ومن المظالم أن ولي ستِ على المظالم يا فزاره

فصل :

ومضى فلانٌ فأدرج^١ في جَنَّتِهِ غير فقيد . لم تبك عليه غير نفسه ،
إذ لم يكن لغيره نصيب في خيره ؛ لأنه كان جهم المحيّا ، باسر اللّقاء ،
مُسْتَنّاً إلى الوري . شكس الجبلّة : كثرَ الخلقة ، سريع الضجر ، شن الطبيعة ،
متغمغم المنطق . لا يكاد يُبين الكلام . لا طريق للخير من وجه عليه ،
ولا يتأدى بسبب إليه ؛ وكان مع ذلك مصاحباً للظلمة من أمراء الفتنة ،
خواصاً في دولهم المدهمة ، معيناً على مظالمهم الموبقة . قد رُزق الحظ في
شأنه ، وَبُعْدَ الصيت في جودة حوكه لأعماله ، فاكتسب وثري من المال ،
محوطاً بمنيع الجاه ، مغلولاً بوثيق من الشح . لا يتسلط عليه حق ولا باطل ،
ولا يمتريه مجتدٍ ولا سائل . ولا حُظي أحد منه بطائل .

فصل :

وكان حجة الله في القسَم ، ومحنته لذوي الفهم ، إذ كان من الأميّة
والعاميّة وخمول الأصل ، ونذالة الفرع ، ولؤم الأطراف ، ودخلة
الأعراق ، على ثبَج عظيم ، وبمكانٍ مُّقعديّ مقيم ، وعفو الله لا يبعد
عن جاءه بقلب سليم .

١ ب م : واندرج .

فصل :

وانكدرَ بإثر وفاته^١ ابن باشة^٢ المعروف بالأصغر ، هدام القصور ، ومبور المعمور ؛ وكان من التبجح في اللؤم ، والالتحاق للشؤم ، مع دناءة الأصل والفرع ، وتنكّب السداد ، وتقيّل الفساد ، على ثبّجٍ عظيم . بيده بادت قصور بني أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطّت أعلامهم المنيعة . وصار من البديع أن قدّمه ابنُ السقاء مدبّرُ قرطبة وقت النظر في جميع آلات^٣ ما تهدّم من القصور المعطّلة ؛ فاغتنى عليها أعظم آفة ، يبيع أشياء جليلة القدر ، رفيعة القيمة ، في^٤ طريق الأمانة ، ولم يكُ مأموناً على باقة بقل^٥ ؛ فعاث فيها عياث النار في يَبيس العرفج ، وباع آلاتها من رفيع المرمر ، ومُثمنّ العمد ، ونضار الخشب ، وخالص النحاس ، وصافي الحديد والرصاص ، بيعَ الإدبار . ولم يزل^٦ ينفق ما غلّ بمراى ومسمع في أبواب الباطل ، حملت عنه في التبذير نواذر تشهد بأن الدار ليست بدار مثوبة ولا جزاء . وكانت رُسُلُ أملاك الأندلس تأتيه كثيراً في ابتغاء ما لديه من تلك الآلات بالأثمان النفيسة^٧ . فيبذلها هو في أنواع الضلالات إلى أن استنفدها على طول المدة ، ثم فقر آخر مدته ، واختل واعتلّ ، ووافته منيته

١ ب م : اثر وفاته .

٢ ط : باشة .

٣ ط : بلّج آلات .

٤ ب م : على .

٥ ط : فاقة نمل .

٦ ب م : ولا يزال .

٧ ط : وكانت رسل الأملاك تأتيه لشراء تلك الآلات بأغل الأثمان .

وقد اغتدى مثلاً لمن عرفه وسمع به . وأغيطُ من ذلك لأولي الأبواب تسليطه^١ على هدم قصور بني أمية المبتناة على أساس العلا ، المسخر فيها أصناف الوري ، المكملة الاستواء في حِقَب من السنين ترى ، حتى اغتدت بجزيرة الأندلس كإرم ذات العماد لا يخشى على أركانها انهدام ، فلمّا أذنَ تعالى بحطّ أعلامها ، وطمس آثارها ، أتاح لها هذا الأُنَسيان الضعيف القوى ، القصير المدى ، كإتاحة الجرّذ المهين لسدّ مأرب ذي الأنباء البديعة ، فدكّندكها حتّى عادت كومَ رماد ومصيدَ ضباب ، ولم يُقلع عنها حتى أوقع النار على صخورها^٢ ، وصيرها كلساً لكل مرتاد . فيها لها موعظة لمن بقي على الأرض ممن لحق هذه البقعة السعيدة بدولة أملاكها . فتبارك مُنزِلُ الآيات ومُعجلُ النقمات ، ومصرّفُ الدُّولات ، ومبدّلُ البقعات .

قال ابن بسام : إلى هذا المكان انتهى ما أخرجته في هذا الفصل من كلام ابن حيان . وكان عندهم^٣ بقرطبة خاتمة المتكلمين وجمهور المحسنين ، على ما تراه ركب من إثم ، واحتقب من ظلم ، وتناول من عرض ، وأطبق من سماء على أرض ، عجباً بافتنانه ؛ وتعجبياً من بيانه ، وتنبيهاً على مكانه من علو شأنه ومشهور إحسانه . وعجائبه أكثرُ إعلاماً ، وأشهر أياماً . وأكثر ما وجدته^٤ من كلام هذا الشيخ الباقعة ، ففي هذا الباب — أعني الذّم — أحفى شبابة قلمه ، وخلّد أوابدَ كلمه . ولو وجدت له في سواه شيئاً أستشهد به على فضله ، وأجعله ذريعة إلى الثناء بنبله ، لكنّ له

١ ب م : تسليط الله تعالى له .

٢ ب م : حتى قلّع ضخام صخورها وأوقد النار عليها .

٣ قارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٢٣ .

٤ ط : وجدت .

أجمع ، وإليه أسرع . وعلى كل حال فقد سلمَ على لسانه أميرُ بلده أكبرُ أهل زمانه ، أبو الحزم ابن جَهْوَر ، وابنه بعده ، فجرى لهما بأمن طائر ، ولم يعرض لذكرهما^١ إلاّ بخير ، وقد أثبتتُ من ذلك ما دلّ على الإحسان ، ووفى بشرط الديوان .

فصول من كلامه في إيجاز الخبر عن أولية دولة بني جهور

قال ابن حيّان : وفي منتصف ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، بعد خلع هشام المعتد ومقتل وزيره حكم الحائك ، اجتمع المأمون أهل قرطبة على تقليد أمرهم وتأميرهم للشيخ أبي الحزم^٢ ابن جَهْوَر ، وعدّوا من خصاله ما لم يختلف فيه أحد منهم^٣ ، وأبى من ذلك ، فألحوا عليه ، حتى أسعفهم شارطاً اشتراك الشيخين : محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن ابني عمه خاصة من بين الجماعة ، فرأوا مشورتهم دون تأمير ، فرضي الناس بذلك ، وخلعوا مَنْ دونهم من الرؤساء ، ووجدوا له عقد الرياسة ، فأعطوا منه قوسَ السياسة باريها ، وولّوا من الجماعة أمينها المأمون عليها ، فاخترع لهم لأوّل وقته نوعاً من التدبير حمّلهم عليه ، فاقرن صلاحهم به ، واقتصر من الجند على أعيانهم ، وسدّ باب البرابر جملة إلاّ من قد صار في البلد من بني يفرن الموثوق بهم ، وأقصى من سواهم من فرق البرابرة من غير إيماء ، فنال منهم الرضى ، وملكهم عما قليل ، وأصبح في ذلك عجيباً .

١ ب م : ولم يذكرهما .

٢ ط : عل تقديمهم لأبي الحزم .

٣ ط : ما لم يختلفوا فيه .

وأجاد السياسة ، فانسدل به السُّتر على أهل قرطبة مدته ، وحصل كل ما يرتفع من البلد في جميع أوقاته ، بعد إعطاء مُقاتلته فارسهم وراجلهم ، وصيّر ذلك بأيدي ثقات من أهل الخدمة ، مُشارفاً لهم بضبطه ، فإن فضّل شيء تركه بأيديهم مُثَقَّفاً مشهوداً عليه إلى أن يَعِنَ وجهه تصرفه فيه ^١ ، لا يلتبسُ بشيءٍ منه ولا يدخل داره ، ومتى سئل قال : « ليس لي عطاءٌ ولا منع ، هو للجماعة وأنا أمينهم » ؛ وإذا رابهُ أمرٌ أو عزم على تدبير ، أحضرهم وشاورهم فيسرعون إليه ، فإذا علموا مراده فوضوا إليه بأمرهم ؛ وإذا خطب بكتاب لا ينظر فيه إلّا أن يكون باسم الوزراء . فأعطى السلطان قسطه من النظر ، ولم يخلُ مع ذلك من النظر لنفسه وترقيحه لمعيشته ، حتّى تضاعف ثراؤه وصار لا تقع عينه على أغنى منه ، حاطاً ذلك كلّهُ بالبخل الشديد والمنع الخالص ، اللذين لولاهما ما وجد عائبه فيه طعناً ، ولكمل لو أن بشراً يكمل . وكان مع براعته ، ورفعة قدره ، وتشيدته لقديمه بحديثه ، من أشدّ الناس تواضعاً وعفةً وصلاحاً ، وأنقاهم ثوباً ، وأشبههم ظاهراً بباطن ، وأولاًً بآخر ، لم يختلف به حال من الفتاء إلى الكهولة ، ولم يُعثر له قط على حال يدل على ريبة ؛ جليس كتاب منذ درج ، ونجى نظر منذ فهم ، مشاهداً للجماعة في مسجده ، خليفة الأئمة متى تخلفوا عنه ، حافظاً لكتاب الله قائماً به في سره وجهره ، متقناً للتلاوة ، متواضعاً في رفعة ، مشاركاً لأهل بلده ، يزور مرضاهم ويشاهد جنائزهم .

وفي فصل :

واستمرّ ابن جهور في تدبير قرطبة ، فأنجح سعيه بصلاحها ، ولمّ شعنها

.....

١ ط : وجه تصرفه .

في المدة القريبة وأثمرَ الثمرة الزكية ، ودَبَّ دبيب الشفاءِ في السقام ، فنعش منها الرُّفَات ، وألحفها رداءَ الأمن^١ ، ومانع عنها من كان يطلبها من أمراء البرابرة المتكسِّفين لها ، المتوزَّعين أسلابها ، بخفض الجناح والرفق في المعاملة ، حتى حصل على سلمهم ، واستدرار مرافق بلادهم . ودَرَأَ القاسطين عليه من ملوك الفتنة ، حتى حفظوا حضرته وأوجبوا لها حُرْمَةً ، بمكابדתه^٢ الشدائد حتى ألانها بضروب احتياله ؛ فَرَحَّتْ الأسعار ، وصاحَ الرِّخاء بالناس أن هلمُّوا ، فلبَّوه من كل صقع ، فظهر تزيُّدُ^٣ النَّاسِ بقرطبة من أوَّل تدبيره لها حتى ملأوا المساجد والأفنية^٤ ، وسمت أثمان الدور بها ، والابتناء لخرابها الفاشي ، أخذاً بالهويناء ، فاتصل البنيان بها ، وغلَّمت الدُّور ، وحرَّكوا الأسواق ، فعجب ذو التحصيل^٥ للَّذي أَوَى إليه في صلاح أحوال الناس من القوَّة ولما تعتدل^٦ حال ، أو يهلك عدوُّ ، أو تقوَّ جباية ، وأمر الله تعالى بين الكاف والنون .

وتوفي أبو الحزم ليلة الجمعة السادس من محرَّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فصار الأمر إلى ابنه أبي^٧ الوليد محمد بن جمهور بن محمد بن جمهور ابن عبيد الله السَّرِّ من آل عبدة ، نهاية بيوت الشَّرَف الأثيل بقرطبة ، على أَسِّ الدهر المُغرب شأوُّه في نظم قلادة خمسة ككموب الرمح أنبوباً

١ ب م : الطمانينة .

٢ ط ب م : مكابדתه .

٣ ب م : تزايد .

٤ بعدها في م ب : وحرَّكوا الأسواق ؛ وسترِد بعد قليل .

٥ ط : الناس للتحصيل .

٦ ب م : تعدل .

٧ ط : وولي ابنه أبو ؛ وقارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٣٤ .

على أنبوب ، هم ما هم ، تناقلوا الوزارة والكتابة ما بينه وبين خامسهم عبيد الله ذي المنقبة الزائدة ، خوَّ لهم الله الرياسة على تعاقب الأزمان واختلاف الأعصار ، ولم تنقلها الفتنة إلى أن ورثها تربُّها هذا الوالي الفاضل أبو الوليد ، ولما يعرف البؤس يوماً ، فأعانه ذلك على الحسب والمروءة ، وأقرَّ أبو الوليد لأول ولايته^١ الحكام ، وأولي المراتب على حسب ما كانوا عليه أيام أبيه .

قال ابن حيان : وكنت ممن جادته سماءُ الرئيس الفاضل أبي الوليد الثرة ، وكرم في فعله ابتداءً من غير مسألة ، فأقحمتني في زمرة العصابة المبرزة الحصل ، مع كلال الحدِّ وضعف الآلة ؛ واهتدي لمكان خلتي وقد ارتشف الدهرُ بلاتي ، بأن قلديني [إملأء] الذُّكر في ديوان السلطان المطابق لصناعتي ، اللأثق بتعزُّفي ، براتب واسع ، لولا ما أخذ عليَّ كتتم ما أسداه لجهدتُ في وصفه ، وإلى الله تعالى أفزع في إجمال المكافأة عني برحمته .

نُصِّمُ اقتفى أبو الوليد آثار أبيه أبي الحزم في السياسة من درء^٢ الحدود ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، والتأوُّل في تعطيل الإقادة بالحديد ألبتة ، لعدم الإمام المجتمع عليه في الوقت ، والتربُّص لإدبار الفتنة ؛ فأصبح من العَجَب^٣ العُجاب تكافؤ الناس في الأعمِّ عن^٤ التَّظالم والتَّسافل ، بخلاف ما كانوا عليه تحت الضَّبط الشديد ، وتجاوز الحدود ، بأيدي جبابرة أصحاب الشرطة أيام الجماعة ، فلا يكاد يُسمع لشرارهم من معهود ذلك إلاَّ النادرة^٤ الفذة . وبرز أيضاً أبو الوليد في فكِّ العُقل السلطانية ، وأنفَذَ الحكم

١ ط : وأقر لوقته .

٢ ب م : السياسة في درء .

٣ ب م : في العجب .

٤ ط : من .

في المظالم الديوانية ، وعقار الغيب عن قرطبة التي أجلتها الفتنة الغماء ،
أشياء عظيمة القدر توقّف والده عنها ، فأطلقها وردّها على أربابها ، وشمل
العالم الدّعة .

وأما عترة الأشراف الأموية ، فتقلّب بهم الزمان ، وغيّر أحوالهم
الحدثان . وكان بقرطبة منهم طائفة غامضة الشّخص ، باذة الهيئة ، عارمة
الأدب والمروءة ، متطبّعة بأخلاق العوام الغفل^١ ، أكثرهم من ولّد النّاصر ،
مُعصّو صبين بيّعسيب لهم من أبناء أمرائهم في الفتنة يدعى ابن المرتضى ،
أبوه كان صاحب البيعة بالشّعر يومئى إليه بالأصابع ؛ فخالطه من ذلك على
سُكر الشّباب وخيلاء الشّرب والأفن والغباوة عجبٌ وخطرسة ، عقّد
ناصيته بالشّرّياً ، فاصبح من طماح همّته في جهّد^٢ ، يراقب الناسُ منه
فتنة عمياء^٣ ، ويمشي في الناس مختالاً ، أصعّر الحدّ ، أشوس اللحظ ،
جميل الرّوءاء والشّارة ، عالي القلنسوة^٤ ، تلحظه العيون ، وكان له بقايا
من شيع المروانية ؛ فبلغ ابن جهور عنه ما بعثه على إزعاجه من قرطبة^٥ ،
فاستقرّ بشرق الأندلس حيث اضطرب أبوه المرتضى ، فبطل الإرجاف بعده .

قال ابن حيّان^٦ : وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة كثر خوض أهل

١ ط : قد تعلّموا بأخلاق العوام .

٢ ب م : في بلية .

٣ ط : عجباء .

٤ ب م : القلنسة .

٥ ب م : إخراجهم من البلد .

٦ قارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٥٥ .

قرطبة في الذي رأوه من تنافُس ولدي أبي الوليد محمد بن جَهْور في الانتصاب^١ لخلافته : عبد الرَّحْمَن كبير جماعتهم ، وأخيه عبد الملك أشههم فؤاداً وأصلهم عوداً ، الذي كشفَ عن وجوههم غُمَّة مُرْكِسهم ابن السَّقاء ، كافر نعمتهم ، فاستدركَ لهم ما كان تولَّى من سلطانهم ، لفتكته به التي أثبتت أوتادَ مُلكهم ، ثمَّ شدَّ يدهُ بِطَلَبِ حقِّه من ذلك ، ونازعَ أخاه كبيرَه عبدَ الرَّحْمَن ما ذهب إليه من التفرد به ؛ وقد كان أشار على أبيهما بعضُ حلفائه^٢ من رؤساء الأندلس بإيثار عبد الرَّحْمَن منهما ، فتمسَّكَ الشَّيْخُ بحظِّه من إرضاء ولده الصغير عبد الملك ، فمال إلى قسمة الرياسة بينهما حياته ، غيرَ ناصبٍ لأحدهما للأمر ، يقضي الله به لمن يشاء بعده ، صنيعَ والده فيه ؛ فمتَّعَ نفسه بهواها في صغير ولده ، وأنشد قول ابن الجزي^٣ :

وإذا الفتى فتقدَّ الشبابَ سما له حُبُّ البنين ولا كحُبُّ الأصغرِ

فارتعَ ولديه هذين في دنياه . وبسط أيديهما في سلطانه ، فطفقا^٤ يستميل كلُّ منهما طائفةً من الجُند ، ويصطنع من الرعيَّة فرقة ، ويفتلدُ من عقيدة المُلك فلذة ، فأصبح الأمر مختلطاً ، والأرباب متفرِّقين ، والمخاوف تطلعُ من كل ثنية ، والهوادي تؤذن بالأعجاز ، واللهُ كلَّ يوم في شأن . ثم خاف عليهما ، فجعل إلى أكبرهما عبد الرَّحْمَن النَّظَر في أمر الجباية ، والإشراف على أهل الخدمة ومشاهدتهم في مكان مجتمعهم ، والتوقيع في

١ ب م والبيان : الانتصاب .

٢ في النسخ : خلفائه .

٣ يعني عبد الملك بن ادريس الجزي ، والبيت من قصيدة له في الآداب والسنة ، كتب بها إلى بنيه (الجذوة : ٢٦٢ واحتاب الكتاب : ١٩٤) .

٤ ط : فطلق .

الصُّكُوكِ السلطانية المتضمنة للحل^١ والعقد ، والاطراح والضم^٢ ، وجميع أبواب النفقات . ألبأ كل ذلك إلى ختمه^٣ ، وأمضاه تحت حكمه . وجعل إلى عبد الملك النّظرَ في الجُنْد ، والتولّي لرضيهم ، والإشراف على أعطيّتهم ، والركوبَ فيهم لدى الرّوع ، وتجريدهم في البعوث ، والتقوية لأودهم ، وجميع ما يخصّهم ؛ فرضيا منه بهذا التقسيم ، وأقامهما به على الصّراط المستقيم .

قال ابن بسّام : إلى هذا الموضع انتهى ما وجدته^٤ من أخبار الدولة الجهورية من كتاب^٥ ابن حيّان وقت تجرّدي للفراغ من تميم^٦ هذا الديوان ، واستعجلت لإخراج هذه النسخة المقرّرة منه ، وأعياني تتبّعه لأثارهم ، وشرّد عليّ وجود لفظه ونظمه^٧ لبقية أخبارهم ، ولم أجد بدّاً من نظامها ، لتجيء أخبارهم بتمامها^٨ : فرقت الضحى بالغلس ، وجمعت بين حافر العير وجبهة الفرس . على تفاهة علمي ، وغبّ نوب أنستي اسمي ، وجرت مجرى الروح في جسمي :

كان عبّاد^٩ قد خامر صدره من شأن ابن السّقاء مدبّر دولة بني جهور ما لا يسعه بّوح ولا كتم ، ولا يردعه سفه ولا حلم ، شرّفاً بحسن سيرته ،

١ ط : خطه .

٢ ب م : ما لخصته .

٣ ب م : من كلام .

٤ ب م : من إملاء .

٥ ب م : وشرّد علي نظامه .

٦ ب م : ليحيى خبرهم بتمامه .

٧ قارن بالبيان المغرب ٣ : ٢٥٦ .

وفرقاً من استمرار مريته ، وحسداً لآل جهور في من حَسَمَ عنهم الأطماع ،
وجمَعَ دولتهم الشَّماع . فقد كان ابن السقاء هذا من الاستقلال بمكانه ،
والضَّبْط لسلطانه ، والاستيلاء على ميدانه ، بحيث يُخيف الأنداد ، ويغيب
الأعداء والحساد . فـدسَّ عبياد إلى عبد الملك بن جهور من جسَّره على
الفتك ، وإلى ابن السَّقاء من ألقى في رُوعه حُبَّ الملِك ، وكلاهما راش
وبترى ، حتى جرى القدرُ بينهما بما جرى . وسيأتي الخبر عنهما مشروح
الأسباب ، في القسم الرابع من هذا الكتاب .

وخلا لعبد الملك الجوّ بعد ابن السقاء ؛ فأعرضَ وأطال ، وطلب الطعن
وحده والنزَال^١ : وأعجبه شأنه وازدهاه ، وأمره شيطانه ونهاه ؛ ووجد
عبياد السبيل إلى شيء طالما كان شرّ دَكرَاه ، ونغصّ عليه كثيراً من لذّة
دنياه : من افتقار بني جهور إلى نصره ، وتصرفهم بين نهيه وأمره . وانقبض
عن عبد الملك لأوّل استبداده بالأمر حُماته الذين كان ابن السَّقاء يرفعهم
برفقه^٢ ، ويصطنعهم بحذقه^٣ ، ويوردهم ماءَ سماحته وبذله ، ويُلحفهم
ظُلْمِي تواضعه وعدله . وقد خامر نفسَ يحيى بن ذي النون من الشَّغف
بقرطبة ما هوّن عليه لإنفاق المال ، واحتمال الأثقال ، وتكلُّف الحلّ
والترحال ؛ فهي مضمار خيله ، ومدرَج سيله ، وحديث نفسه ، وهمّ
يومه وأمه . ونحلت السنون ، وغالت عبياداً المنون ؛ وصار الأمر إلى
ابنه المعتمد سنة إحدى وستين [حسبما يُذكر في القسم الثاني من هذا

١ من قول المتنبي :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

٢ البيان : يرفقه برفقه ؛ وهو أصوب .

٣ ط : بخرقه .

المجموع ، إن شاء الله] .

فلما كان سنة اثنتين بعدها ، دلف ابنُ ذي النون إلى قرطبة ، وكان لا يُغْبِئُها شرُّه ، ولا ينام عنها مكره ؛ وقد احتاج عبد الملك بن جَهْور إلى استمداد من المعتمد لانفصاض مَنْ لديه ، وعجزه عما كان أسند من تدبير^١ قرطبة إليه ، فأمدّه المعتمد بجمهور أجناده ، على أكابر قوَّاده ، وقد تقدّم إليهم بمراده ، ونهَجَ إليهم^٢ سبيل لإصداره وإيراده ؛ فوافوا قرطبة ، ونزلوا برَبَضِها الشرقي^٣ ، وأقاموا بها أياماً يحمون حماها ، وأعينهم تزدحم عليه ، ويدبُّون عن جناها ، وأفواهم تَتَحَلَّبُ إليه . فلماً سئم ابن ذي النون سفره واجتواه ، وقضى من غزو قرطبة وطَّره وما قضاه ، أخذ في الرحيل عنها ، فما انقشعت سُدفَةُ ليله ، ولا تمزَّقَ غبار سنابك خيله ، حتى هتك العباديون الحريم ، وركبوا الأمر العظيم ؛ باتوا متحدثين بالقفول ، ثم غلَّسوا مظهرين للرحيل ؛ وعبد الملك متأهَّبٌ لتشييعهم ، عازم على البكور إلى توديعهم ، وشكرهم على^٤ حُسْنِ صنيعهم ؛ فلم يرْعه إلاَّ لإحداقهم بقصره ، وارتفاع أصواتهم بالبراءة من أمره ، وإصمات الأفواه عن ذِكْرِهِ ؛ وقد تمخَّضت له ليلته بيوم^٥ عَقِيمٍ ، وافترَّ له ناجذ صبحها عن ليل بهيم ، ومشى من أنصاره هنالك بين أسد شتيم ، وأسود مسموم : ومَنْ يجعل الضَّرغامَ للصيد بازَهَ تَصَيَّدَه الضَّرغام في من تصيِّدا^٦

١ ب م : أمر .

٢ ط : لهم .

٣ ب م : بريف الجانب الشرقي منها .

٤ ب م : عن .

٥ البيان : عن يوم .

٦ البيت للمتنبسي ، ديوانه : ٣٦٠ .

وقُبِضَ للحين عليه وعلى إخوته ، وسائر أهل بيته وأسرته . وبالغوا لوقتهم في انتهاك حرّمه ، وإزالة نعمة ، وإخفاء ذممه . وأخرج الشيخ اليَقَن أبو الوليد - بقيةُ أشراف الأندلس كان في وقته - مفلوجَ الشّدْق ، مائلَ الشّقِّ ، مغلوبَ الباطل والحقّ ، لم تُحفظ له حرّمة ، ولا رعيّ فيه إلّا ولا ذِمة .

بلغني أنه لما وسِطَ به قنطرة^١ قرطبة خارجاً منها على مركب هجين ، وحاله تُقرُّ عيون الحاسدين ، رفع يديه إلى السماء ، وأخذ يبتهل في الدعاء ، وكان مما حُفِظَ عنه قوله : اللهمّ كما أجبتَ الدعاء علينا فأجبه لنا ؛ فمات بعد أربعين يوماً من نكبته بجزيرة شلطيّش مُزالَ النعمة ، [مُدال الحرمة] ، فتعالى المنفرد بالبقاء ، جبار الأرض والسماء . وأقرّت ساقته بها ، فأقاموا هنالك أكثر أيام المعتمد ، يأخذهم الحدّاثان ويدعهم^٢ ، ويخفضهم الزمان أكثر مما يرفعهم .

فصل له في ذكر رحيل ابن ذي النون عن قرطبة يقول فيه :^٣

لما نزل ابن ذي النون بسبيله ، فكشف الله همّه عن أهل قرطبة ، أبدوا الشّمات به ، وقضوا بالإدبار عليه ، وتنقّصوا حجاه ، واستفالوا رأيه ، وأضافوا سُوءَ محلّه إلى حُظوة جدّه ، من غير استعانة منه بغريزة لبّ ، أو مادّة معرفة ، أو اكتساب تجربة ، إذ جمع الجيش ذا الألوف المختلفة الألسنة ، الناهك الكلفة ، فجرّه على بُعد الشّقّة إلى قِرْن غُفْل غبيّ ،

١ ب م : توسط قنطرة .

٢ ب م : ويضعهم .

٣ لم يرد هذا الفصل في ط .

منخلع من صالح الحصال ، مُتردّ في هوة السفال ، لا يُتحرّزُ منه^١ في حال من الأحوال ، راکب للغيّ ، مستميت على الإمارة ، مُطّرح للنظر في العاقبة ، شَتيت الشّمل ، قليل الوفر ، نزر العدّد ، < من > حال^٢ البلد < و > حاضر^٣ أهله^٤ ، إلى مَنْ فارقوا من جاليهم ، قد وقّده^٥ ورجاله ورعيّته طولُ ما صحبوا الغلاء وحالفوا المجاعة ، يكاد يأسه يستولي على طمعه فيدفعه بالتّوطي عن الكريهة ، والتّحكيم على متقلّد خُطّة البغي في سوءِ العاقبة ، قد مثّل منتصباً لخطّته ، لابساً فؤاد القاسي فوق درعه ، بُكائر بحور الحصى من فرط جهله ، قد جمع محاشه عند شمرته لحربه ، فما إن تَنامّت عيدُتهم مائتي فارس ، أكثرهم مسوقون^٣ حاقدون معوقون^٤ مستقصرون ، يشترى لهم القوت من السوق ، مضيقاً على رعيته ، ويزدلف بهم في غد أيامهم ، ويعدّهم ثواب عاجل الطّعن نسيئة^٥ على مستأخِر النّصر ؛ قد علّم ذلك من اختلال أحواله عدوّه المتظاهرة قواه وعددّه ، فنزل بساحته نزول النّظير له ، المتكافئ العدّة ، متسنّماً هضاب جبل البلد المسامطة لباب المدينة الجوفي ، مهتصباً وأحبّشّة اللّهام ، بإنزاله إياهم ساترات تلك الأهضام ، كالمتقدّم بالاستظهار على مرهوب يبات الليل ومُغافصة النهار ، قد اقتصر من اللّصوق بأهل البلد والموالاة لقتالهم على قفص^٥ يده لزروعهم ؛ أطال بذلك حصار قرطبة ، وأعدّاه يعجبون^٤ من طول كنفه لها ، ويرونه لا محالة محروم المصال ، مع ما يُزجى من كتائب لو قادها

١ ب م : لا يتحرا (ى) منه .

٢ قبل « حال » بياض بمقدار كلمة في ب ، وفي ب م : حاصر أهله .

٣ لعل الصواب « مسوقون » .

٤ معوقون : شبههم بالمتناقضين الذين كانوا يعوقون الناس عن الخروج .

٥ القفص : الجمع ؛ وفي النسخ : قبض .

غَشُومٌ" مسلَّطٌ يوفِّيها حقَّ إقدامها على مَنْ قادها إليه ، لما قاومه نظيرٌ من أملاك أفقهِ ، إذ يقود عِدَّةَ دارعين ما بين أجناده وأمداده ، ذوي ألسنة شتى ، وبطارق أعزَّة تُعَرِّبُ عنهم التراجمة ؛ لكنَّه سلطان الله يُؤْتِيهِ من يشاء ، وينزعه ممَّن يشاء . وما أحسنَ ما تَمَثَّلَ به معاوية عندما أفاده جَدُّه بحظوة الخلافة دون عليّ رضي الله عنه الذي نازعه إياها ، على بون ما بينهما ، إذ قال وقد جرى ذِكرُ علي رضي الله عنه وخيبة سعيه :

لئن كان أدلى خاطباً فتعذَّرتْ عليه وكانت رائداً فتَخَطَّطَ
فما تركته رغبةً عن جَنابهِ ولكنها <كانت> لآخرَ خُطَّطَ

فليت شعري ما الذي يقوله مُهنئُ ابن ذي النون بقفوله إلى حضرته ، ويصوغه بمتدحه في تمجيده ، مع ضيق تولُّجهمَا عن معذرةٍ ينحلُّانها له ، واعتياص احتياهما في تخليصه من قبيح ما ركبه ؟ إنَّ وجوه التَّكذُّب لتُخجل دون مقابله ، والله تعالى شهيد عليه ، كفيل بجزائه .

فلمَّا تولَّى ابن ذي النون وقَفَلَ لطَيْتِهِ ، أصبح فؤاد سلطان قرطبة الرابض إلى جنبه فارغاً من همِّه ، مسترجحاً لرأيه ، حامداً لحدِّه ، واثقاً بدوام مُلكه ، يرى أنَّ قد فاز بحظِّه ، بإيقاد نار الفتنة بين ابن ذي النون وابن عبَّاد قِرْنِهِ ، وأتَّه مخيَّر في التشبُّث بها ، والانفصال عنها ، متى شاء وكيف ارتأى . فاشتدَّ جَدُّلُهُ ، واسترخى لِبَبِّهِ ، وارتاح إلى منصرف مَنْ عنده من رَجُل ابن عبَّاد الثقال عليه ، كيما يخلو بشأنه . فجعل يَدَسُّ^١ إليهم مَنْ يعرِّض ، ويقطع تعهُّدَهم ، وهم يُروِّنه الحرصَ على الانطلاق عنه ، والاستبطاء لإذن أميرهم لهم وقد كاتبوه ، ويأخذون في التأهَّب لمسيرهم ، ويعدون مَنْ ذهب إلى السفر معهم بوشك رحيلهم ، وسُرَى القين أولى بهم . وقد سرى بين قوَّادهم وكبار مَنْ جاورهم من أهل البلد

من التدبير معهم ، في أخذهم لسلطانهم البيعة التي تُريهم أموراً غابت عنه ، أذهله عن التجسس عليها انهماكه في لذّاته ، ومقارفته لمدامه ، إلى أن انتهت مدتها . فثارت الجماعة بعد مسير ابن ذي النون عنه بسبعة أيام سواء ، وكان من خلعه وزوال أمره ما نذكره بعد هذا إن أعاننا الله .

قال ابن بسّام : فصَحَّ عندي أنه وصَفَ كيفية خلعه وإخراجهم من قرطبة في جزء كبير سمّاه « البطشة الكبرى » في مجلد كبير لم يقع لي وقت هذا التحرير .

فصل ١ في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد المعروف بابن الفرضي ٢

شاعر مُقِلّ ، هو في العلماء أدخل منه في الشعراء ، ولكنّه حسن النّظام ، مقترن الكلام ، رحلَ ورحلَ إليه ، وأخذَ وأخذ عنه .

أخبرني الفقيه أبو بكر ابن الفقيه الوزير أبي محمد ابن العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحُمَيْدي قال : حدّثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم

١ لم يرد هذا الفصل إلا في ب م .

٢ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ المعروف بابن الفرضي : هو صاحب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة . وله من المؤلفات أيضاً أخبار شعراء الأندلس ، وكتاب في المؤلف والمختلف ، وكان فقيهاً عالماً في جميع فنون الحديث ، قتل في الفتنة لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ هـ (انظر الصلة : ٢٤٦ - ٢٥٠ والجلوة : ٢٣٧) والبنية رقم : ٨٨٨) والمغرب ١ : ١٠٣ والمطبع : ٥٧ والمغرب : ١٣٢ ووفيات الأعيان ٣ : ١٠٥ والديباج المذهب : ١٤٣ وتذكرة الحفاظ : ١٠٧٦ والشذرات ٣ : ١٦٨ والنفع ٢ : ١٢٩) .

قال : أخبرني القاضي أبو الوليد ابن الفرضي قال ^١ : تعلّقت بأستار الكعبة وسألت الله الشهادة ، ثمّ انحرفت وفكرت في هول القتل ^٢ فندمت ، وهممت أن أرجع فأستقبل الله ذلك فاستحييت . فمات مقتولاً رحمه الله في الفتنة أيام دخول البرابرة قرطبة سنة أربعمائة . قال أبو محمد ابن حزم : أخبرني من رآه بين القتل يومئذ وهو في آخر رمق يقول : « لا يُكَلِّم أحدٌ في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكَلِّم في سبيله - إلّا جاء يوم القيامة وجرحه يتعب دماً ، اللون لون الدّم والرّيح ريح المسك » . كأنّه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك ، ثمّ قضى نحبّه هنالك . وهذا الحديث في الصّحيح ، أخرجه مُسلم بن الحجّاج مسنداً عن النبي صلى الله عليه ^٣ .

وأخبرني الفقيه المذكور عن الحُمَيْدي قال : أنشدني الفقيه أبو عمر ابن عبد البر ، قال : أنشدني أبو الوليد [ابن] الفرضي شِعْرَهُ في طريقه إلى المشرق في طلب العلم ، وكان كتب بها إلى أهله ، حيث يقول ^٤ :

مَضَتْ لي شهور منذ غِبَمُ ثلاثةٌ وما خِلْتُني أبقي إذا غِبَمُ شهرًا
وما لي حياةٌ بعدكم أَسْتَلِدُّها واوكان < هذا > لم أكن بعده حرًا
سَأَسْتَعْب الدَّهرَ المُفَرَّقَ بيننا وهل نافعني أن صرت أَسْتَعْب الدَّهرًا
أَعْلَلُ نفسي بالمني في لقائكم وأَسْتَسْهَل البَرَّ الذي جُبْتُ والبحرا
ويؤنسني طَيُّ المراحل بعدكم أروح على أرضٍ وأغدو على أخرى

١ الجذوة : ٢٣٨ .

٢ ب م : في هذا القيل ، والتصويب عن الجذوة .

٣ صحيح مسلم : ٢ : ٩٦ ، باختلاف يسير .

٤ وردت في الصلة والجذوة والبهية والمغرب والنفع .

٥ في المصادر : لم أكن في الهوى .

وثاللهما فارقتكم عن قلى< لكم> ولكنها الأقدار تجري كما تُجرى
رعتكم من الرحمن عين بصيرة ولا كشفت أيدي الردى عنكم سترًا

والبيت الأول من هذا ينظر إلى قول أبي عبد الله ابن شرف القروي :

فارقتهُم لا لِمَلالٍ ولا قِلىً ولكن للخطوب الكبارِ
سنةَ أعوامٍ وما كان لي في فُرقةِ الأيام عنهم قرار

وقال أبو مروان ابن شَمَاح^١ :

صبرتُ والبُعدُ أحوالٌ وذا عجبٌ ولم أكن صابراً والبُعدُ أميالُ

وقال الحُمَيدى^٢ : وأنشدني أيضاً الفقيه أبو عمر ابن عبد البر :

إنَّ الذي أصبحْتُ طوعَ يمينهٍ إنَّ لم يكنْ قمرًا فليس بدُّونهِ
ذُلِّي له في الحبِّ من سُلطانهِ وسَقامُ جِسمي من سقامِ جُفونهِ

وبالسند المذكور عن أبي عمر بن عبد البر قال : أخبرني أبو الوليد ابن الفرضي
بتأريخه في العلماء والرواة للعلم بالأندلس .

١ سترد ترجمته في هذا القسم من الذخيرة ، ويرد البيت نفسه في ترجمته .

٢ الجذوة : ٢٣٩ وانظر البيتين في المصادر المذكورة .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر ابن اللامائي^١ وإثبات جملة من نظمته ونثره^٢

وكان أبو جعفر هذا [وقته] أحدَ أئمةِ الكتّاب ، وشهْبُ الآداب ،
مَنْ سَخَّرَتْ له فنون البيان ، تسخيرَ الجنِّ لسليمان ، وتصرَّف في محاسن^٣
الكلام ، تصرَّف الرياح بالغمام . طَلَعَ من ثنياه ، واقتعد مطاياها ، وله
إنشاءات سرِّيَّة ، في الدولة الحمُوديَّة ، إذ كان علَمَ أدبائها ، والمُضْطَلَع
بأعبائها ، إلَّا أنَّي لم أجد عند تحريري هذه النسخة من كلامه إلَّا بعض
فصول له من منشور ، [هي ثِمادٌ من بحور] ، وقد أخرجت من براعته
ما يشهد له بالفضل في صناعته ، والتقدم على أكثر جماعته .

١ اسمه أحمد بن أيوب ، عمل كاتباً لدى الناصر لدين الله علي بن حمود ، وقول تدبير
ملكه ، وأحرز لذلك صيتاً شهيراً وجملة عظيمة ؛ وعرض له داء النسيمة (ضيق النفس)
وتبادت حلقته ولم ينبج شيء في علاجها ، ثم لم تفارقه حتى كانت سبب وفاته عام ٤٦٥
بمالقة ، ونقل منها إلى حصن الورد فدفن فيه بم عهد منه بذلك ، وكتبت على قبره أبيات
من نظمته ، وحصن الورد عند حصن منت ميور (الذيل والتكملة ١ : ٧٣ - ٧٥ والاحاطة
١ : ٢٤٠ - ٢٤٣ نقلا عن الذيل والذخيرة ؛ وانظر المطمح : ٢٥ (وعنه النفع ٣ : ٥٤٧)
والجلوة : ٣٧٠ (والبنية رقم : ١٥٢٠) والمغرب ١ : ٤٤٦) . وقد ذكر في ترجمة
ابن شهيد فيما تقدم من الجزء الأول أنه رثى اللامائي عندما جاءه نفيه ؛ ولا بد أن يكون
شخصاً آخر ، أو أن يكون النسي كاذباً ، لأن ابن شهيد توفي سنة ٤٢٦ .

٢ ب م : وإيراد جملة مما وجدته من نثره .

٣ ب م : بمحاسن .

فصل له من رقعة خاطب بها أبا جعفر ابن عباس^١ :

غُصْنُ^٢ ذِكْرِكَ عِنْدِي نَاضِرٌ ، وَرَوْضُ^٣ شُكْرِكَ لَدَيَّ عَاطِرٌ ، وَرِيحُ
إِخْلَاصِي لَكَ صَبِيًّا ، وَزَمَنُ^٤ آمَالِي فِيكَ صَبِيًّا ؛ فَأَنَا شَارِبُ^٥ مَاءِ إِخَائِكَ ،
مَتَفِيٍّ^٦ ظِلَالِ^٧ وفائك ، جَانِ مِنْكَ ثَمَرِ فَرْعِ طَابَ أَكْلُهُ ، وَأَجْنَانِي
الْبِرِّ قَدِيمًا أَصْلُهُ ، وَسَقَانِي إِكْرَامًا بَرْقُهُ ، وَرَوَّانِي إِفْضَالًا وَدَقُّهُ ؛ وَأَنْتَ
الطَّالِعُ فِي فَجَاجِهِ ، السَّالِكُ لِمُنْهَاجِهِ ؛ سَهْمٌ^٨ فِي كِنَانَةِ الْفَضْلِ صَائِبٌ ،
وَكَوْكَبٌ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ ثَاقِبٌ ، إِنْ أَتَبَعْتُ^٩ الْأَعْدَاءَ نَوْرَهُ أَحْرَقَ ، وَإِنْ
رَمَيْتَهُمْ بِهِ أَصَابَ الْحَدَقَ ؛ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَسَانِي يَقْصُرُ عَنْ جَمِيلِ أَسِيرِهِ ،
وَوَصْفِ وُدِّ أَضْمَرِهِ ، « وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ » .

وموصّل كتابي هذا اختلّ ما عهدته من أمره ، وطفى عليه بحر دهره ،
فلئن سبّح غرق ، وإن شرب شرق ، وله أصل يوصله إلى استقلال بك ، > فلئن
مددت يد اعتناء نجيته ، وإن لحظته بعين احتفاء أحييته <^٤ .

وله من أخرى يعزّيه في أبيه :

إن لم أجد التّأبين ، فأجد البكاء والحنين ؛ وإن لم أحسن التملُّق
والإطراء ، فأحسن الإخلاص^{١٠} والدعاء . واتّصلَ بي موت الوزير أليك -

١ سيترجم له ابن بسام في هذا القسم من الذخيرة ؛ وهذه الرسالة وردت في المطبع : ٢٥ .

٢ ب م : ظل .

٣ المطبع : ابتنت .

٤ زيادة عن المطبع .

٥ ط : الخلوّص .

لَقَّاهُ اللهُ غَفْرَانَهُ - وَكَوْنُكَ بِفَضْلِ اللهِ مَكَانَهُ، فَرَوْعَ جَنَّانِ الصَّبْرِ، وَأَخْرَسَ
 لِسَانَ الشُّكْرِ : بَدْرٌ أَقْلٌ ، وَهَلَالٌ اسْتَقْلَلٌ . أَعْزَيْكَ وَأَسْلَيْكَ ^١ . قَدَّرُ
 مَصَابِكَ قَدَّرُ ثَوَابِكَ . صَبْرًا جَمِيلًا عَلَيْهِ لَتُؤَجِّرَ ، وَفِعْلًا حَمِيدًا بَعْدَهُ
 لَتُذَكِّرَ . أَصَابَ الْغُرَّةَ ^٢ فَأَصَبَ ، وَأَتَعَبَ أَهْلَ زَمَانِهِ فَاتَّعَبَ . أَقُولُ
 مُحَقِّقًا ، وَسَتَشْهَدُ لِي مَصْدَقًا : أَوْلَانِي مِنَ الْبَرِّ مَا لَا أَدْفَعُهُ ، وَأَلْبَسْنِي مِنَ
 الْإِكْرَامِ مَا لَا أَخْلَعُهُ :

سَتَسْفَعُ عَيْنِي عَلَيْهِ دَمًا إِذَا مَا الْعَيُونُ سَفَحْنَ الدَّمْعَ
 فَقَدْ كَانَ غَضْنِي بِهِ نَاعِمًا وَرَوْضِي أُنَيْقًا وَدَهْرِي رَيْبًا

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى إِلَى الْقَاضِي ابْنِ عِبَاد :

رَوْضُ الْعِلْمِ - أَيْدِكَ اللهُ - فِي فَنَائِكَ مُوْنِقٌ ، وَغَصْنُ الْأَدَبِ بِمَائِكَ
 مُوْرِقٌ ، وَقَدْ لَفَظَ بَحْرُ الْعِلْمِ دُرَرَهُ ، وَأَطْلَعَ رَوْضُ الْمَجْدِ زَهْرَهُ ، فَأَهْدَى
 ذَلِكَ مَعَ الْمُنْشَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ نَفِيسَ أَجْناسِهِ ، وَبَعَثَ هَذَا نَسِيمَ ^٣ أَنْفَاسِهِ ،
 فَهُوَ لَوْلُو أَدَبٌ ، وَنَوَّارُ طَرَبٍ ، يَسْقِيكَ جَنَّاتُهُ عُقَارَ اعْتِقَادِهِ ، فِي
 كَأْسٍ وَدَادِهِ ؛ وَيُغْنِيكَ لِسَانُهُ أَشْعَارَ حَمْدِهِ ، فِي مِثَانِي قَصْدِهِ ؛ مُشِيرًا إِلَى
 ثَمَرِ مَعَانٍ مِنْ بَدَائِعِهِ لَا تُجْنَى ^٤ ، فَوْقَ شَجَرِ بَيَانٍ مِنْ غَرَائِبِهِ لَا تُرْتَقَى ،
 فَإِذَا لَاحَظَهَا الْفَيْكْرُ أَنْسَ ، وَإِذَا رَامَهَا أَيْسَ ^٥ . وَلَمْ يَسِرْ إِلَّا لِيَحْمَدِ سُرَاهُ ،

١ ب م : فَأَسْلَيْكَ .

٢ ب م : الْعِزَّةُ .

٣ ب م : بِنَسِيمٍ .

٤ ط : يَجْنَى .

٥ ب م : يَنْسَ .

ولا قصد إلاّ ليلغ مناه ؛ ولم يُنادِ بحمدك إلاّ لتُجيبه ، ولم يرمِ بك دهره
إلاّ ليُصيبه^١ ؛ فأُمطرَ رجاءهُ بعضُ^٢ طَلِّكَ ، ووَسَدَ جوازته أبردَي
ظَلِّكَ^٣ ، فما ماؤك بوَشل ، ولا وردُك بَنهَل ؛ وفيه أجر ، ولديه شُكر .

وله من أُخرى :

وردني لك كتاب كريم بَنَتِ البلاغةُ سماءَ بيانه ، وجادت أرضُ^٤
إحسانه ، فنورُ شمسهِ يُشرق في ليلِ نِقسه ، وكوكبُ نواره يأتلق في اسطاره^٥ ،
فأصبحتُ تحتالُ بخلَّتكَ ، وتبسمُ عن مودَّتكَ ، وقد سرى خيالكُ فشوقُ ،
واستطارَ برقُك فأرقُ ؛ فأجفانُ الإخلاصِ ناظرةُ إليك ، ويدُ القَبولِ مُسلِّمةُ
عليك ، فَصِّلْ ما جعلك الفضلُ فيه أصلاً ، وراكُ له أهلاً . وقد حلَّ^٦
المنشد أبو محمد من جَفَنِ الشكر في سواده ، ومن صَدَرَ الإحسان في
فواده ، ألبَسَنِي حُلَّةَ إِيحائك ، وسقاني رِسل وفائك ، وحالي حالُ مَنْ
يَعْدُكَ في عَدَدِهِ ، وَيُعِدُّكَ مِنْ عُدَدِهِ .

١ ط : لتصيبه .

٢ ط : بعد .

٣ يشير إلى قول الشماخ (ديوانه : ٣٣١) :

إذا الأَرطى تَوَسَدَ أبردِيه غُدود جوازيه بالرمل عين

٤ ب م : ولدي .

٥ ط : روض .

٦ ب م : وكوكب نوره يتألق في روض طرسه .

ومن شعره

ولم يقع لي من نظم أبي جعفر عند إملائي هذه النسخة من هذا المجموع
إلاّ ما أنشدني^١ الأديب أبو بكر ابن بقي قال : أنشدني أبو الربيع ابن العريف
لجدة الكاتب أبي جعفر ابن اللّثامي^٢ :

قد قلت إذ سارَ السّفِينِ بهم^٣ والبَيْنِ ينهب مُهَجِّي نهبها
لو أنَّ لي مُلكاً أصول به لأخذت كلَّ سفينةٍ غصبها

[أنشد أبو منصور هذين البيتين للخبّاز البلدي في اليتيمة]^٤ .

وأنشدني أيضاً عنه له^٥ :

غَنّي وللإيقاع فَوْقَ بيانٍ مَنْطِقِهِ بيانُ
وكأنما يَدُهُ فَمٌ وَقَضِيْبُهُ فِيهَا لسانُ

ودخلَ عليه بعضُ أصحابه في عِلَّتِهِ التي مات منها، فجعل يُرَوِّحُ
عليه ، فقال في مقامه^٦ :

رَوِّحْني عائدي فقلتُ له^٧ ، لا تزدني على الذي أجِدُ
أما ترى النَّارَ وهي خامدةٌ عند هبوب الرِّيحِ تَتَّقِدُ؟

١ ط : ومن شعره ما أنشدني .

٢ وردا منسوبين له في المغرب ١ : ٤٤٧ .

٣ المغرب : به .

٤ اليتيمة : ٢٠٩ ، والخبّاز البلدي هو محمد بن أحمد بن حمدان (انظر الرازي ٢ : ٥٧) .

٥ انظر المغرب ١ : ٤٤٧ .

٦ النفع ٣ : ٥٩٦ والذيل والتكملة ١ : ٧٣ - ٧٤ والاحاطة ١ : ٢٤٣ .

وممّا قال في هذه العلّة ، وكانت داء النّسمة :

عَظُمَ البلاءُ فلا طيّبٌ يُرتجى منه الشّفاءُ ولا دواءٌ يَنْجَعُ
لم يبقَ شيءٌ لم أعالجها بهِ طمعَ الحياة ، وأين مَنْ لا يطمعُ ؟
« وإذا المنيّةُ أنشَبَتْ أظفارها ألفتَ كلَّ تيمةٍ لا تَنْفَعُ »^١

وممّا وجدته^٢ أيضاً بخطّه لنفسه :

طلعتْ طوالعُ^٣ للرّبيع فأطلعتْ في الرّوض وَرَدًا قبلَ حينِ أوَانِه
حيّاً أميرَ المؤمنين مُبَشِّراً ومُؤملاً للنيل من إحسانِه
[ضنّتْ سحائبُه عليه بمائها فأثاه بِسُتسقيهِ ماءَ بنانه]
دامتْ لنا أَيْامُه موصولةً بالعزِّ والتّمكين في سلطانه

[وله :

يا كبدي بالبينِ مَنْ أكلَمَكَ ويا دُموعَ العينِ مَنْ أسجَمَكَ ؟
ويا فؤادي كم تُقاسي الهوى مُكْتَمًا عَنِّي ، ما أكتَمَكَ !
علَمْتَكَ الكَمَّ أما تستَحِي ويحك أنْ تكتُمَ مَنْ علَمَكَ ؟
كنتُ أداوِيكَ فلا ذنبَ لي لو أنّني أعلمُ مَنْ أسقمَكَ]

ونقل أيضاً من خطّه قصيدةً من شِعْره يشكو نوائب دهره ، أولها :

أمسى سَقامي زاجِرِي ومؤنّي وغدا مَشْيِي واعظِي ومؤدّي

١ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، شرح أشعار الهذليين ١ : ٨ .

٢ ب م : وجدت .

٣ ب م : طالع .

أَوْهَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّي عَاتِقِي ١
وَهَمَّتْ سَحَابُهُ عَلَيَّ فَغَادَرَتْ
فَأَظَلُّ أَبْصِيرُ فِيهِ مَا لَمْ أَحْتَسِبْ
سِنٌ حَدِيثٌ تَحْتِ ٢ جَدُّ شَارِفٍ
أَغْدُو عَلَى بَكْرِ لَصْرِفِ بَنَاتِهِ
أَفْتَضُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ عُدْرَةَ
يَا سَيِّدِي وَأَخِي الْوَفَى وَمَا أَخِي
وَلِذَا غَدَا الْعِلْمُ الْمَشْرِفُ أَهْلَهُ
هَلَّا اهْتَدَيْتَ إِلَى خِطَابِ مُرْزَلٍ
لَمْ يُبْقِ مِنْهُ الدَّهْرُ غَيْرَ مَدَامِعٍ
أَخْفَتْنِي الْأَيَّامُ فِي لَهَوَاتِهَا
وَكَتَبْتَ عَنْ وَدٍّ وَقَدْ كَتَبَ الْإِخَا
بَارِقًا مِنْ دَمْعِ الْمَشُوقِ فُؤَادُهُ
فَظَلَلْتُ مِنْهُ فِي غَدِيرِ بِلَاغَةٍ
كُرُمْتُ مَغَارِسُهُ فَأَوْرَقَ قَرَعُهُ
صُبْحٌ تَلَدَّرَ مِنْ سَوَادِ مَدَادِهِ
خَفَيْتُ مَعَانِيهِ عَلَى أَوْهَامِنَا
طَلَعَتْ كَوَاكِبُهُ وَلَمَّا تَطَلَّعُ
أَنَا مُذْنِبٌ لَا شَكَّ لَإِذْ لَمْ أُسْتَطِعْ

ثِقَلًا ، وَزَعَزَعَ مِنْكَبَاهُ مَنَكَبِي
أَرْضِي قَرَارَةَ كُلِّ خُطْبٍ مُعْجَبٍ
جَوْرًا وَأَقْرَأُ فِيهِ مَا لَمْ أَكْتُبْ
وَسَوَادُ رَأْسٍ فَوْقَ قَلْبٍ أَشْيَبُ
وَأَرْوَحُ مُبْتَنِيًّا بِأُخْرَى ثِيْبُ
لَا تُشْتَهَى وَأَزَفُ مَا لَمْ أَخْطُبْ
مِنْهُ إِلَى قَلْبِ الْإِخَاءِ بِأَقْرَبِ
نَسَبًا يُؤَلَّفُنَا فَنَحْنُ بَنُو أَبِ
مَا بَيْنَ أَضْلَاعِ الْخُطُوبِ مَغِيبُ
سُفْحٍ وَقَلْبٍ بِالسَّقَامِ مُعَذِّبِ
وَسَجَنَتِي فِيهَا فَكَيْفَ شَعَرْتُ بِي؟
بَيْنَ النَّفُوسِ صَحَائِفًا لَمْ تُكْتُبْ
وَأَرْقَ مِنْ رَيْقِ الْحَبِيبِ وَأَعَذِّبُ
عَذْبٍ وَمُلْتَفٍّ الْخَدَائِقِ مُعْشَبِ
عِلْمًا وَأَثْمَرَ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ
لَيْلًا كَفَعَلَ ٣ الزَّائِرِ الْمُرْقَبِ
فَالْفِكْرُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبِ
وَعَرَبِينَ فِيهِ لَنَا وَلَمَّا تَقَرَّبُ
رَدَّ الْجَوَابِ وَأَنْتَ غَيْرُ الْمُذْنِبِ

١ ب م : أَوْهَتْ عَاتِقُ خُطُوبِ دَهْرِي عَاتِقِي .

٢ ط : فَوْق .

٣ ط : بِفَعْل .

حملته من طيب الإخاء حبة فيكم وإخلاص لكم فتطيب
وبعث ماء الورد فيه سائغاً عذباً لذائقه زلالاً فاشرب
أذكى من المسك الفتق نسيمة أرجأ وأصفى من لعب الجندب

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله البزلياني^٢ والبات جملة مما أثر ، مع ما يتعلق بذلك من خبر

وأبو عبد الله البزلياني كان في^٣ ذلك الأوان ، أحد شيوخ الكتّاب ،
وجهاً بذة أهل الآداب ، ممن أدار الملوك ودبرها ، وطوى الممالك ونشرها .
وقد أجرى ابن حيان طرفاً^٤ من ذكره ، وشرح مآل أمره . وقد ألفت
أنا منه بلمعة^٥ في أخبار ابن عبد البر في القسم الثالث^٦ من هذا المجموع^٧ .

وذكره^٨ بموضع آخر من كتابه فقال : ولما قبض عبّاد^٩ على البكريين
بأونية وشلطيش وتملكهما منهم سنة ثلاث وأربعين ، جعل بهما ابنه محمداً ،
واستكتب ابن البزلياني الكاتب البليغ النحرير . وإلى ابن عبّاد صارت مصابره
بعد طول تقلُّبه في البلاد .

١ ط : رضاب .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني : أصله من مالقة ، وكان في خدمة حبوس أولاً ، ثم
انتقل إلى بني عبّاد ، وقد عزا إليه ابن حيان ذوراً في ثورة اسماعيل بن المعتضد على أبيه ،
وذكر أن المعتضد قتله .

٣ ط : وأبو عبد الله هذا أيضاً من .

٤ ط : حرفاً .

٥ ب م : وقد أتيت به مشروحاً .

٦ ب م : بموضعه .

٧ انظر القسم الثالث ص : ١٤٦ - ١٤٧ .

فصول من نثره

فصل من رقعة عن حبّوس إلى ابن عبد الله أمير قرْمُونَة^١ :

مِنِ النَّصْحِ تَقَرُّعٌ ، وَمِنِ الْحِفَافِ تَضْيِيعٌ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ،
إِذَا عُدِّيَ بِهِ عَنْهُ اسْتِحَالٌ . وَوَصَلَ إِلَيَّ مِنْكَ كِتَابٌ طَمَسَتْ مِنْهَا ،
وَعَمِيَتْ مَعْنَاهُ ، أَوَمَاتَ فِيهِ إِلَى النَّصْحِ ، وَدَلَّتْ عَلَى سَبِيلِ النُّجْحِ ؛ فَوَقَفْتُ
عَلَى فُصُولِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَأَحْطْتُ عِلْمًا بِجَمِيعِ مَا فِيهِ . وَلَمْ يَكُنْ لِيَمَنٍ أَوْحَشْتُ
جِهَتُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ مُودَّتُهُ ، أَنْ يَدْخُلَ مَدْخُلَ النَّاصِحِينَ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ
جَمَلَةِ الْمَشْفُقِينَ . وَكَانَ بِالْجَمَلَةِ أَوَّلُهُ سَبَابٌ ، [وَآخِرُهُ إِعْجَابٌ] ؛ وَالسَّبَابُ
لَا يَنْطِقُ بِهِ كَرِيمٌ ، وَالْإِعْجَابُ لَا يَرْضَى بِهِ حَلِيمٌ . وَقَدْ نَزَّهَنِي اللَّهُ عَنِ
الْمُقَارَضَةِ بِهَذَا وَمِثْلِهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ^٢

فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ مِنِّي بِسَبِّكَ فَاسْدَأْ ، وَتَسْتَقْرِبَ مِنِّي وَدِّيَ
بِاسْتِطَالَتِكَ مَبَاعِدًا ، فَمَا هَذِهِ شَيْمٌ يَقْضِي بِهَا الْفُضْلُ ، وَلَا سِيَاسَةٌ يَحْكُمُ
بِهَا الْعَقْلُ . وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ التَّخْوِيفَ وَالْإِعَادَ ، وَالْإِبْرَاقَ وَالْإِرْعَادَ ،
فَقَدْ كَفَانِي بَيْتُ الْكُمَيْتِ^٣ :

١ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي (البرزيلي) الزناتي، بويغ بقرمونة سنة ٤٠٠هـ ،
وتوفي سنة ٤٣٤هـ (انظر البيان المغرب ٣ : ٣١١ وقد مر له ذكر في صفحات سابقة من
هذا الجزء من الذخيرة) .

٢ البيت من الحماسة رقم : ٢٥٣ (شرح المروزي : ٧٥٠) لمعبد بن علقمة المشهور باسم
معبد بن أخضر المازني (السمط : ٣٤٣) .

٣ انظر ديوانه ١ : ٢٢٥ .

أَبْرِقْ وَأَرْعِدْ يَا يَزِيدُ دُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرُ

وأنا أحد البرابرة : لا أخرج عن جماعتهم ، ولا أبعد عن موافقتهم ،
ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم :

وما أنا إلاّ من غزيرةٍ إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن ترشد غزيرةٌ أرشد^١

وفي لزوم الجماعة السداد والرشاد ، والغني في الانفراد والاستبداد .

وأما قولك: « فمن كان متبوعاً قلماً يستقيم أن يكون تابعاً، ومن عُرِف في النادي مطاعاً لم ينقلب مُطيعاً ، إلاّ أن يصادف هَدْيَ العُمَرَيْنِ ، وأجدرُ بذلك أن يبعُد » — فقد أزريتَ على كل خِلَافة ، وبيّنتَ أنّكَ خارج عن كل فرقة ، وأنّ غَرْضَكَ المحاماةُ عن عزِّكَ ، والمُراماةُ دون حِرْزِكَ ، وليس هذا نظراً مُشفق ، ولا قولاً مُحَقِّق ، إذ لا تتمُّ ديانة إلاّ بإمامةٍ يُدعى إليها ، وتجرى السنن عليها ، إلاّ في مذهب نافع بن الأزرق وعبد ربّه وأشباههما .

وفي فصل منها: وما ذكرته من الذي بين الطائفتين من بُني عمسنا بالعدوة ، فكل أمر يَقْدَر ، ولكل نبلٍ مُسْتَقَر^٢ ، والدنيا أحوال ، والحرب سجال ، وخيرُهم وشرُّهم عنّا بعيد ، وكلُّ مَنْ نصرَكَ وأبدَكَ فهو القريب الودود ، وإن تفرّقت الآباءُ والحدود . ومن شدّة عن الجماعة وفارقها ، ونازلها وشاقّها ، فهو الجاني على نفسه وعليها ، والجارُّ سوءَ العاقبة إليه وإليها^٣ ؛ وأكثرُ

١ البيت لدرديد بن الصمة ، الأصمعيات : ١١٢ (وانظر تخريج البيت في المصادر ص ١١٠) .

٢ سورة الأنعام : ٦٧ .

٣ ب م : وعلينا . . . إليه وإلينا .

الوبال واقعٌ على الظَّلم ، ونازلٌ بالجارم . والله وليُّ التَّوفيق ، والهادي
إلى سواء الطَّرِيق .

قال ابن بسام : وذكرتُ بإنشاده : « وتجهلُ أيدينا » . . . البيت ،
ما حَدَّثْتُ به عن يحيى بن علي الحمودي^١ في أيام محاربته لاشبيلية ، وبعضُ
الرجالة يعلن بثَلْبِهِ ، ويصرِّح أقبحَ التصريح بسبِّه ، وهو يظنُّ أنَّ قد
تحصَّنَ منه بالأسوار ، واحتجب عنه بما دونه من حماة الدِّمار ، فدَبَّ
إليه دبيب الكرى ، وساوره مساورة ليث الشَّرى ، حتى خالطه سيفه
الصَّقيل ، ثمَّ انصرف إلى مركزه وهو يقول :

* ونشتمُ بالأفعال لا بالتكلم * .

[وله من أخرى عنه إلى ابن منذر : واتَّصل بي ما وقع بينك وبين المؤمن^٢
وأبي المنذر والموفق^٣ وعضد الدولة أبي الحسن ، وأنكم اضطرتم إلى إخراج
كل فريق منكم النَّصارى إلى بلاد المسلمين ، فنظرتُ في الأمر بعين التَّحصيل ،
وتأولته بحقيقة التأويل ، فعظمَ قلقي ، وكثرَ على المسلمين شَفَقي ، في أن يظأ
أعداؤهم بلادهم ، ويؤتموا أولادهم ، ويتَّسع الحرقُ على الرَّاقع ، وينقطع
طمعُ التَّلَاقِ على الطَّامع . ولولم تكن - يا سيدي - الفتنةُ إلَّا بين المسلمين ،
والشَّاجر إلَّا بين المؤمنين ، لكانت القارعةَ العظمى ، والدَّاهية الكبرى .
فإذا تأيَّدنا بالمشرِّكين ، واعتصدنا بالكافرين ، وأبجناهم حرِّمتنا ، ومنحناهم

١ ب م : يحيى بن علي بن حمود .

٢ المؤمن = عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر .

٣ الموفق = مجاهد العامري .

قَوَّتْنَا ، وقتلنا أنفسنا بأيدينا ، وأدَّتْنَا إلى النَّدم مساعينا ، كانت الدَّائرة أمضًى ، والحيرة أرْمَضَ ، والفتنة أشدَّ ، والمحنةُ أهدَّ ، والأعمالُ أحبط ، والأحوالُ أسْقَطَ ، والأوزارُ أثقل ، والمضارُّ أشْمَل . واللهُ يعيِّدنا من البوائق ، ويسلك بنا أجمل الطَّرائق .

ولمَّا انتظرتُ أن يُسفر لي ذلك الدَّيَّجور ، وتستقرَّ تلك الأمور ، وأبطأ ذلك عليَّ ، ولم يَعدْ من قبلك رسولٌ إليَّ ؛ داخلْتُ عميدَ الدولة^١ جاري في هذه الأنباء ، وراوضته في علاج هذه الأدواء ؛ وأنت يا سيدي للمسلمين الحصنُ الحصين ، والسبب المتين ، والنصيح المأمون ، فاجرٍ في جَمْع كلمتهم ، والمرامة دون حَوَزَتهم] .

له من أخرى: يا سيدي الذي قطعْتُ بالاتِّصال به مدة^٢ عمري ، ونظمتُ في أجيادِ علاه دُرَرَ حمدي وشكري ؛ ومَن أبقاه الله للفضل^٣ يرسي هضابه ، والعلم يَنْدُلُ صعا به ، والمجد يؤلِّفُ مُختلفه ، والحمد يلبس مفوَّفه . أنا أحمدُ حالاً آوتني ؛ إليك وإن كانت ذميمة ، وعلةٌ أصحَّتْ أُملي وإن كانت مُليمة^٤ فقد عادتْ^٥ كريمة ، فربَّ صغيرة عادت عظيمة ، وهيهات :
.....

١ عميد الدولة = محمد بن عيسى بن محمد بن مزين صاحب شلب ، بويغ آخر سنة ٤٤٥ هـ وتلقب بالناصر ولم يزل ملكاً حتى سنة ٤٥٠ هـ (البيان المغرب ٣ : ٢٩٧ - ٢٩٨) ولا يمكن أن يكون هذا جاراً لحبوس ، فاعل عميد الدولة لقب لشخص آخر ، وما يؤكد ذلك أن حبوس توفي سنة ٤٢٨ هـ ؛ والظاهر أن الرسالة ليست على لسان حبوس .

٢ ب م : مسافة .

٣ ب م : للحلم .

٤ ب م : أدتني ، ولعل الصواب « أدتني » .

٥ ب م : سليمة .

٦ ب م : وضعت .

مَنْ رَغِبَ عَنِ الْفَضْلِ فَنَفْسَهُ ظَلَمَ ، وَمَنْ فَرَّ مِنَ اللَّيْلِ أَدْرَكَهُ حَيْثُ خَبِثَ . وَمَنْ لَكَلَّ ظَمَانٌ بَعْدَ زَلَالٍ ، وَلِكُلِّ آمَلٍ بَنِيْلُ الْآمَالِ ؟ وَمَا كُلُّ مُسْتَسْقٍ يُمَطَّرُ ، وَلَا كُلُّ طَالِبٍ يَظْفَرُ . وَلَوْلَا الْعِلَلُ لَمْ تُحَمَّدِ الصِّحَّةُ ، وَلَوْلَا التَّرَحُّةُ لَمْ تَطْطِبِ الْفَرَحَةُ . وَمَا ضَاقَ عُذْرُ مَنْ وَسَّعَهُ حِلْمُكَ ، وَلَا خَذَلَ دَهْرُ مَنْ نَصَرَهُ عَزْمُكَ . وَمَا عَشْتُ يَا سَيِّدِي عَمْرًا لَمْ أَقْطَعِهِ فِي ذِرَاكِ ، وَلَا نَلْتُ حِظًّا لَمْ يَكُنْ بِمَسْعَاكِ ، وَلَا حَسَنٌ لِي عَمَلٌ خَالَفَ هَوَاكَ ، وَلَا لَذَّةٌ لِي أَمَلٌ لَمْ يَكُنْ بِرِضَاكَ . وَالْآنَ قَدْ أَمَكَّنَكَ اسْتِرْقَاقُ حُرِّ رَائِدُهُ مِنْ حُرِّيَّتِكَ ، وَابْتِنَاءُ مَجْدٍ دَعَائِمُهُ مِنْ سَرُّوكَ وَمَرْوَعَتِكَ ؛ فَالْأَبْيُّ مُصْحِبُ لِمَرَامِكَ ، وَالْعَصِيُّ مُطِيعٌ لِعِزَّتِكَ . وَمَا أَحْسَنَ الْعَافِيَةَ وَلَا كَحُسْنِهَا بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَمَا أَلَذَّ السَّعَادَةَ وَلَا كَلَذَّتْهَا بَعْدَ الشَّقَاءِ ، وَمَا أَنْقَعَ الْوَرْدَ لِفُلَّةِ الْخَوَامِسِ ، وَأَطْيَبَ الظِّلَّ لِلضَّاحِي الشَّامِسِ ! وَمَنْ عَدِمَ الشُّفْعَاءَ قَامَتِ أَمَامَهُ فُضَائِلُكَ ، وَمَنْ قَسَا عَلَيْهِ الزَّمَنُ^٢ لَانَتْ لَهُ شِمَائِلُكَ . وَالشَّمْسُ بَعْدَ السَّحَابِ أَجْبَى ، وَالْإِمْكَانُ بَعْدَ التَّعَذُّرِ أَشْهَى . وَمَنْ يَحْسُدُ مَنَاوئًا ، وَيَغْبِطُ مِضَاهِيًّا ، فَأَنَا أَحْسَدُ قِرْطَاسِي عَلَى مِلَاقَاتِكَ ، وَأَغْبِطُ نَفْسِي^٣ عَلَى مَنَاجَاتِكَ . فَإِنْ مُنَعْتُ عَنْكَ عَيْنِي فَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي كُلِّ حَسَنٍ تَرَاهُ ، وَإِنْ حَزَنْتُ بِالْبُعْدِ مِنْكَ فَقَدْ سَرَرْتُ بِمَا مِنْ لِقَائِكَ أَتَمَّنَاهُ . وَاللَّهُ يَدْنِيْنِي مِنْ حَضْرَةِ الْمَجْدِ ، وَالتَّمَاحِ غِرَّةَ السَّعْدِ .

وله فصل من رقعة: وتوجه فلان^١ إلى ما قبيلك يأمل سنأ فهداه، ورجاء

١ ب م : فخر .

٢ ب م : الزمان .

٣ ب م : أنفاسي .

هَبْ لَهُ نَسِيمُهُ فَحْيَاهُ وَأَحْيَاهُ . وَإِنَّ طَائِرًا أُجْرِيَ بِسَعْدِكَ لَسَانِحٌ ، وَإِنَّ تَاجِرًا
 افْتَتَحَ بِاسْمِكَ لِرَابِحٍ ، وَبِعِزِّمَاتِكَ تَنْفِذُ الْأَسِنَّةُ فَكَيْفَ أَشْحَذُهَا ، وَلِمِثْلِكَ تَنْفَعُ
 التَّذْكَرَةُ فَكَيْفَ أَنْبِذُهَا ؟ وَقَدْ تَهْزُ الصَّوَارِمُ فَتَقْعُدُ الدُّرُوعُ ، وَتُهَاجُ
 الضَّرَاغِمُ فَتَنْفُضُ الْجُمُوعُ ، وَحِمَاكَ الْإِسْلَامُ فَكَيْفَ يُبَاحُ ؟ وَرُكْنُكَ
 الْإِيمَانُ فَكَيْفَ يُزَاحُ ؟ وَجَارُكَ الْأَدَبُ فَكَيْفَ يُهْتَضَمُ ؟ وَحِزْبُكَ الْقُرْآنُ
 فَكَيْفَ يَغْلَبُ وَيَذْمُ ؟^٢

[وله فصل من أخرى عن حبّوس إلى صاحبي شاطبة :

وَقَدْ عَقَدَ اللَّهُ بَيْنَنَا عَقُودًا قَادَهَا لِلَاخْتِيَارِ ، وَفِي طَوْلِ الْأَمَدِ ، وَتَصَرُّمِ
 الْمُدَّدِ ، وَتَبَاعُدِ الدِّيَارِ ، وَتَقَلُّبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، مَا يُحِيلُ الْأَحْوَالَ ،
 وَيَقْطَعُ الْأَمَالَ ، وَيُشْفِقُ مِنْهُ الضَّئِنُ ، وَتَسْوَأُ مِنْهُ الظَّنُونُ ؛ لَا سِيَّمَا إِلَى
 هَذِهِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تُبْسَلِدُ الْحَلِيمَ ، وَتَخْلُطُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ . وَأَنَا لَكَمَا الصَّفِيُّ
 الَّذِي لَا تَقْدَحُ الْأَيَّامُ فِي وَدَّةٍ ، وَالْوَفَى الَّذِي لَا يَخْشَاهُ الْأَنَامُ عَلَى عَهْدِهِ .
 وَإِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ أَوْدِيَّ مَعْتَقِدِي فِي ذَلِكَ مَشَافَهَةً ، فَإِنِّي أَنْبَأْتُهِ مَكَاتِبَةً ،
 مَعَ مَنْ يَنْطِقُ بِلِسَانِي ، وَيَشْفِقُ بِجَنَانِي ، أَلْصَقَ أُسْرَقِي نَسْبًا ، وَأَفْضَلَ خَاصَّتِي
 حَسْبًا ، وَأَصْدَقَهُمْ عَنِّي خَبْرًا ، وَأَحْمَدَهُمْ فِي السَّفَارَةِ أَثْرًا ، الْوَزِيرُ
 أَبِي فُلَانٍ] .

وله في فصل : تَفْدِيكَ نَفْسٌ نَفْسَتَ عَنْهَا خَنَاقَ الْكُرُوبِ ، وَأَنْقَذَتْهَا مِنْ
 أَيْدِي شُعُوبٍ ، وَأَسْأَلَ الَّذِي سَنَى لَكَ الْفَضْلَ عَلَيَّ ، وَجَعَلَ مِنْ نِعْمَتِكَ أَكْبَرِيَّ^٣ :

١ ب م : متجرأ .

٢ وحزبك . . . ويذم : زيادة من نسخة دار الكتب .

٣ في النسخ : اكبر .

هِمَّتِي وَلُبِّي ، وَطَبَعَ بِشُكْرِكَ أَصْغَرِيَّ : لِسَانِي وَقَلْبِي ، أَنْ يَجْزِيكَ جِزَاءَ
مَنْ أَحْسَنَ ثُمَّ عَادَ^١ ، وَوَالِي فَضْلُهُ وَزَادَ ، كَالرِّيَاضِ تَعَاهَدَتْهَا الْعِيَادُ ؛
وَأَلَا يُخْلِيكَ مِنْ فِعْلِ يَكْتُبُ الذِّكْرُ مَحَاسِنَهُ عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ ، وَيَصْبِرُ^٢
ثَاقِبُهُ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ ، ثَالِثُ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ .

وله في فصل من أخرى: قد قيَّدَني من بَرِّكَ وإيثارك ما أفصح عن طيب
نجارك ، وأوضح عندي كَرِيمَ آثارِكَ ، وتركني أَرْسُفُ في قيود الامتنانِ ،
وأَنوؤُ^٣ بِأَعْبَاءِ الْإِحْسَانِ . وأَقْعِدُنِي عَنْ لِقَائِكَ لِسَانٌ حَسِيرٌ ، وَخَاطِرٌ بَهِيرٌ ،
وَحَدٌّ كَثِيلٌ ، وَلَحْظٌ مِنَ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ ؛ وَشِبْمَةٌ^٤ الدَّهْرِ إِذَا صَفَا تَكْدَرُ ،
وَإِذَا عَافَى تَنْكَرُ ، وَإِذَا سَرَّ أَحْزَنُ ، وَإِذَا سَهَّلَ اخْشَوْشَنُ^٥ ، وَإِذَا سَمَحَ
بِالْإِنْعَامِ ، بَخِيلٌ بِالتَّعَامِ .

وله فصل: هذا الوقت الذي كنتُ أَتَايَاهُ^٦ ، وَالْحَيْنَ الَّذِي مَا زِلْتُ أَتَمَنَّاهُ ،
وَالزَّمَنُ^٧ الَّذِي قَاسَيْتُ فِيهِ تَعَسَّبَ الْإِنْتَظَارَ ، وَقَطَعْتُ إِلَى بَلُوغِهِ مَسَافَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
وإِلَى مِثْلِكَ يُتَقَرَّبُ بِإِخْلَاصِ الْوَدَادِ ، وَمِنْ فَضْلِكَ تُجْتَنَّى ثَمَرَةٌ [حُسْنُ]

١ ط : أعاد .

٢ ب م : وتصير باقية .

٣ ط : ولا أبوء .

٤ ب م : وسمة .

٥ ب م : وإذا أسهل أحزن .

٦ ب م : أتأناه .

٧ ب م : والزمان .

الاعتقاد ؛ ولا يجتمع رجاؤك^١ واليأس في قلب ، ولا تحِلُ محبتك^١
والحرمان في خِلْب .

وله في فصل: البدرُ موصوفٌ ولا كصفة السّاري به ، والبحرُ معروفٌ^٢
ولا كعرفة الجاري فيه ؛ وقد جلوتُ بنورك من الظلُّمات ، واجتليتُ بجانبك من
الأمنيات ، ما وسَمَ زماني^٢ الغُفل ، وصارَ لذلك الدَّهرُ على سائر الدهور^٣
الفضل ؛ أيّامَ ناديكَ مَحَطٌ كلُّ مرتاد ، وجاركُ أَمِنَ من جار أبي دُواد^٤ ،
إلى أن ضرب البُعْدُ بجرانه ، وحكم الدهر بعدوانه ، وأعاد العين أثرًا ، والخبرَ
خبرًا ، واللّقاءَ تَوَهُّمًا ، والمناسمةَ تَوْسُّمًا ؛ ومع ذلك فما خِستُ بذمم
فضائلك ، وما أنستُ إلاّ بكرم شمائلك ؛ أمزج بذكرها خُطبان^٥ الخطوب
فَتَحَلَّلَوْنِي ، وأسرج بسناها في أجفان الكروب فتنجلي ، وأرمي بها إذا
هوى سهمي فيصيب ، وأنتَسَمُ عَرَفَهَا إذا خوى نجمي فيَصُوب .

وحاربتني الأيامُ عليك ، فلم توجدني سبيلًا إليك ؛ إلى أن طلع
نجمك في مطلعه ، ووقع حزمك في موضعه ، وأُعْطِيتِ القوسُ بارِيَهَا ،
والسَّهَامُ راميَهَا ، والدُّرُّ أجْيادَهَا ، والغُرُرُ جِيادَهَا ، وفي الشمس
يقوى السَّعْدُ ، وفي عنق الحسنة يستحسن العِقْد .

١ ط : رجاؤه . . . محبته .

٢ م ب : أيامي .

٣ ط : الدهر .

٤ يضرب المثل بمنة جار أبي دواد ، انظر ثمار القلوب : ١٢٧ .

٥ ط م : والمناسبة .

٦ الخطبان : العلقم .

[وله من أخرى إلى ابن عبد الرحيم : طيب ثنائك ثني إليك أنسي ،
وغريب وفائك أفاء عليك نفسي. والثناء النفيس شركُ النفوس ؛ وفعل
المحبوب مصائدُ القلوب ؛ ومن كان الفضلُ من أنصاره ، اجتمع
على إثارة ؛ حين طلعت من سماءِ فضلك نجومه ، ونصرت بك من روض
رجائي هشيمه . وأنا أحمد للأيام هذه الكرة ، وأستغربُ من أفعالها هذه
النُدرة . وأحبُّ أن يعلم سيدي أنني سابقٌ في مضمار وداده ، لاظاً^١
بثنايا ارتباطه واعتقاده ، أنني عليه خنصري إذا عدتُ واعتددت ، وأبدأ به
بعد البسمة إذا كتبتُ مَنْ وددتُ واعتقدت . وله — أعزه الله — الرأيُّ العالي
في قبول مَنْ أقبل عليه ، والتزاع إلى مَنْ نزع إليه . فأقسم لو كتبَ عني
عطار ، أو جعلتُ لك النجومَ قلائد ، ما أقنعُ في وصف ودادي ، ولا
بلغتُ الأمل من مرادي] .

وله من أخرى إلى أبي جعفر ابن عباس ، وقد زاره فلم يوفّه حقّه :

كُلّفُ المروءة — أبقاك الله — صعبةٌ إلاّ على الكرام ، وطرق الجفاء
رحبةٌ لسلوك اللثام ، والأحمقُ يرى البيرَ خسراً^٢ ، ويعتقد إكرام الوافدين^٣
نقصاناً ، فيمنح الكثير من عِرْضه ، ويمنع اليسير من عَرَاضه ، ويلبس
درعاً وهو مهتوك بالطعن ، ويجعل الكبرياءَ رداءً^٣ وهو مطرّز باللّعن ؛
والكبرياءُ رداءُ الله الذي مَنْ جاذبهُ إيّاه قصمته ؛ والثقي حبل الله الذي مَنْ
تعلّقَ به عصمته ، وما يتكبر متكبّر إلاّ من جهله ، وعُجِبُ المرء أحد

١ ط : لاضر .

٢ ب م : الزائر .

٣ ب م : رداء .

حَسَادَ عقله ؛ والمتكبرُ في النفوس صغير ، والمتواضع في الصدور كبير ؛
والرَفِيعُ مَنْ تَرَفَّعَ عَنِ الدَّنَاءَاتِ ، والوَضِيعُ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ وَاجِباً وَضِيعَ
الوَاجِبَاتِ . وَجِئْتُكَ زَائِراً ، فَكَأَنِّي ١ جِئْتُكَ آمِلاً ، وَأُردتُ مَصَافِحَتَكَ
فَمَا مَدَدْتَ يَدَا ، وَطَلَبْتُ مُعَانِقَتَكَ فَخَلَّتَكَ مَقْعَدَا ، وَبَعْدَ أَنْ هَمَمْتَ بِالنُّهُوضِ
أَقْعَدَكَ الْكَسَلَ ، كَأَنَّكَ خُمُصَانَةٌ ٢ أَثْقَلَهَا الْكَفَلُ ؛ وَجَعَلْتَ تَشِيرَ بِالْحَاجِبِ
وَتَلْوِي الشَّفَةَ ، وَتَدَّعِي بِالْجَهْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَعْرِفَةً . فَمَا كَانَ ضَرْكَ
حِينَ أَخْلَلْتَ لَوْ أَجَلَّلْتَ ، وَمَا كَانَ يَسُوؤُكَ حِينَ نَازَلْتَ لَوْ أَجَمَلْتَ ٣ ،
وَمَا كَانَ يَنْقُصُكَ حِينَ حَكَمْتَ لَوْ عَدَلْتَ ؟

زَعَمْتُ أَنِّي أَخْطَأْتُ فِي كِتَابِ « سَحْنِ الْوَجْهِ » بِالسُّنِّ ، وَطَمَسْتُ
طُرُقَ الْمَخَارِجِ لِي وَهِيَ تَسْتَبِينُ ، وَهَذِهِ اللُّغَةُ كُلُّهَا قَدْ طَلَبْتُهَا
فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا « صَحْنِ الْوَجْهِ » بِالصَّادِ ، فَإِنْ أُرِدْتُ أَنْ تَسْتَعِيرَ « صَحْنِ
الدَّارِ » لِلْوَجْهِ فَلَا يَبْعَدُ أَنْ أَجْعَلَ « السَّحْنِ » جَمْعَ سَحْنَةٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ
وَأَعْرَفُ ؛ وَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْأَكْثَرَ اتَّفَقُوا عَلَى كِتَابِهِ بِالصَّادِ ، فَإِنَّ لِمَثَلِي
أَنْ يَخْتَارَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا أَرَادَ . وَمَا أَبْرَأَى نَفْسِي مِنْ زَلَّهِ ، وَلَا أَعْصِمُهَا
مِنْ ظُهُورِ خِلَّةٍ ؛ فَالْأَدِيبُ يَجْعَلُ لِلْأَدِيبِ مَخْرَجاً ، وَلَا يَجْعَلُ بَابَ الْعَذْرِ
لَهُ مُرْتَجِئاً .

١ ط : فَكَأَن .

٢ ب م : وَهَنَانَةٌ .

٣ ب م : أَكَلْتُ .

٤ ب م : كِتَاب .

٥ ب م : أَكْثَرُ الْعَرَبِ .

وفي فصل منها: ومن العجب أن تنسبني إلى الشَّعوذةِ وهي حِصْنك إذا^١
غلبت، وتُلحِّحني في النُّطق وهي عادَتُك إذا كتبت. ولعمري لقد قُلتها
ولقد جهلتها، وتركتهما وما عرفتهما؛ وكما أن بركة الأشجار في الأنوار،
فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار. فأين رسائلك وأشعارك،
ومؤلفاتك وآثارك؟ هيهات هيهات: غلبك على الحقُّ أهله، ونفاك^٢
عنه جهله؛ وكفاك ما طار لك من حُسن الذِّكر، وطيب النشر^٣، ولمثله
فاعمل^٤، وعلى ما كسبت منه فتوكَّل، فستحصل الذي زرعت، وتعلم
عاقبة ما صنعت^٥.

«وهذه نبذة من كلامه الواقع من هذا السفر، مكان الوساطة من عقد البكر،
جمعها أبو الحسن في مسودة هذا التأليف، ورأيت قد ألمع منها عند التحرير
بالنزر اللطيف على عادته من إيثار الاختصار واقتضاب ما يتخلص على الانتقاء
والانتخاب. وقد رأيت أن أحبر منها هذه الأوراق التي بقيت بيضا، بما يحجل
الروض أريضا، ويزري بالمسك قضيضا، تحفظاً بتلك الآثار الكرام أن تعفو،
وخوفاً على تلك الأنوار الوسام أن تحبو».

[...].* أفاز اللهُ يا سيّدي الأعلى قدحك، وجعل لمرضاته كدحك، وسدّد
إلى أغراض الصواب سهامك، وأوردت على حياض السحاب أعلامك؛ وفتح المبهماتِ

١ ط : إذ .

٢ ط : ونفلك .

٣ ط : الشكر .

٤ هذه نهاية الترجمة في ط ؛ وما جاء بعد ذلك فهو زيادة دخيلة أوردتها من اطلع على مسودات

ابن بسم، وألحقها بترجمة البزلياني، وقد انفردت بها ب م .

٥ بياض بمقدار ثلاث كلمات .

بعزْمك ، وأوضح المظلمات بتجملك ، وأبقى المحاسن بيقينك ، وسقى مواطنَ العلياء بسقيّك .

كتابي يا سيدي ، وأجلّ عُددي ، كتب الله لك السّلامة ، وهب لك الكرامة ، ولو تقدّمني في الاعتراف بمآثرِكَ مُطنب ، أو أفحمني في أوصاف مفاخرِكَ مسهب ، ما شقّ غباري في ودادك مُجار ، ولا تعلّق باثّاري في اعتقادك مُبار . وكيف وقد حزّتُ الغائتين من تفضيلك [وإعزازك] ، وأحرزّتُ الفضيلتين من تجميلك وإحرازك ؛ وما افردتُ من زماني بفائدة توازيك ، ولا استبددتُ من إخواني بفائدة تُساويك ؛ وبحسب ذلك ضنّتي بك وشحّتي ، ومحبتّي لك ونصحي ؛ وما أذكركُ ما لا تذكر ، ولا أبصركُ ما لا تبصر ؛ فأني علمٌ إلاّ سلكتُ شعابه ، وأيُّ حلمٍ إلاّ ملكتُ رقباه ؛ وإن كنتُ لا أوردُ عليك إلاّ ما يؤثرُ عنك ، ولا أوفدُ إليك إلاّ ما يظهرُ منك ، فللسّاعي مراده ، وللدّاعي اعتقاده ، وللمجتهد أجره ، وللمقتصد عدره ؛ فما أستصيحُ إلاّ من قمرِكَ ، ولا أستوضحُ إلاّ بغررك ، ولا أعشو إلاّ لنارك^٢ ، ولا أمشي إلاّ بأنوارك . والله ييقبك للأفضلين أسوة ، ويحييك للأكرمين قدوة .

واتصل بي يا سيدي ما وسوسَ به الشّيطان من الأمر ، حتى عمد^٣ له البيان ، في الفتق لأثر مسحوب وقدر مكتوب . وأنت الذي نجمدته التجارب ، وشحذته النّوائب ، وارفع أخلاف الحُرُوب ، وامتضغ أصناف الخطوب ، وعجم قنّاة الزّمن ، واقتحم غمرات المحن ، بقلبٍ غير منخوبٍ ولا وهل ، وعقلٍ غير مسلوبٍ ولا وكل ، وذكاءٍ تنكسفُ له ذكاء ، وآراء ينكشفُ لها الغطاء ، وعلمٍ بما تأتي وتذر ، وفهمٍ بما تورد وتصلر ، ومذاهبٍ مثلها لك التحقيق ، ومطالبٍ شرحها التوفيق ؛ فهي بعصمة الله محفوفة ، وبنعمته مكفوفة ، وعلى إرادته متوقّفة ، وفي طاعته متصرّفة ، فكم لك في المشركين من البلاء الجميل ، وعلى المسلمين من الغناء الجزيل ؛ فكم علم خلّدت ،

١ ب م : زمانك .

٢ ب م : أمشي الابرارك .

٣ قراءة تقديرية .

وحزم أبتدت، وكم فضل أبديت وأعدت، وكم طول بنيت وشيدت، وكم راية للدين رفعت، وغيابة عن المسلمين قشعت. أفالآن يدعى للهوادة، ويُسمى لغير العادة، حين أملت للزيادة، واكتهلت في السيادة، وأرج بفخرك كل ناد، ولهج بذكرك كل حاد؛ عديم أتراب وأقران، ونديم آداب وقرآن؛ لم تفتك من الفعال فضيلة، ولا شانك إلى الكمال وسيلة. ولا اعرفك من المعالي ما لا تعرف؛ ولا أصفك من المفاخر بما لا توصف؛ الألسنة عن واجبك حسيرة، والأمكنة بمنابلك معمورة؛ والله تعالى يزيدك علواً ومجداً، ويقيدك سمواً وجداً. وأنت لا تألو المسلمين نصحاً، ولا يُعلمهم سعيك نجحاً، ولا يفقدهم هديك صفحاً. فعياذاً بالله أن يسفك بك دم، ويهتك بسببك محرم، أو يهلك بطلبك مسلم؛ وأنت العالم بأمر الله، والقائم بسنة رسوله، والحاكم بما يرضاه، والعاصم بتزليه، والمقتدي بسبيله، والمهتدي بدليله. فلا أتلو عليك من آدابه إلا ما أحكمت تأويله، ولا أجلو لك من تبيانهِ إلا ما قدّمت تحصيله. فما مثلك من أهل الفضل [يذكّر] بقول الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿التوبة: ٧٠﴾.

وله عنه إلى صاحبي شاطبة^٣: كتبتُ يا سيدي، ومشاربُ الآمال قد تكدّرت، ووجوهُ المحاسن قد تغيّرت، وأيدي التوازر قد قصّرت، وسبيلُ التناصُر قد توعرت، إلا أن يتلافى الله الخلل بتسديد نظركما، وينعش الأمل بحميد أثركما؛ فينظم الشمل، ويصلّ الحبل، ويسدّ الثلم، ويشدّ الحزم، ويرقع المنخرق، ويجمع المفرق، ويضع الإصر، ويرفع الوزر، ويعيد الكلمة متفقة، والأمة متسقة، والأيدي متأيّدة، والنفوس متودّدة، والأهواء متعاضدة، والأنحاء واحدة، والدّماء محقونة، والعاقبة مأمونة؛ والله تعالى يُعينُ كلاً على الصّلاح، ويفضي بنا إلى النّجاح، بعزّه.

١ ب م : وينهك (أقرأ : وينهتك) .

٢ ب م : بطلب .

٣ هما مظفر وبارك، وكانا صاحبي بلنسية أيضاً (انظر القسم الثالث من الذخيرة : ١٣) ؛ وقوله : « عنه » لا يعرف إلى من تشير على وجه اليقين .

واتصل بي ما وقع بينكما وبين المظفر أبي محمد من التنازع ، الذي أخاف أن يفضي بكم إلى التقاطع ، وورد عليّ كتابكما الكريم في ذلك بما ترقبت أنصرام أجله ، وتنظرت أنحصام عله ، حتى خشيت أن يتمادى بكم اللجاج ، ويتعاصى في أموركم العلاج ، وأشفقت من ادلال الشيطان بمخاتله ، وإطلال الخذلان بجائله ؛ فيقرع الثكلان سنه من الندم ، وينطوي الحران على يده من ألم . وحالي يا سيدي في الأخذ من أحوالكما بأوفر نصيب ، والتزع في أموركما بأكبر ذنوب ، حال من أعد كما لحواث الزمن ، وكوارث المحن ، واعتقد كما العدة الكافية ، والعصمة الواقية ، فيما استسرّ وعلم ، وظهر وبطن ؛ فلم أر نفسي في سعة من إهمال التذكرة ، واغفال التبصرة . والله يعيد الكلال من الشتات والشّمات ، ويعيدكم إلى المواساة والمواتاة .

ولم يخف عليكما ما في صلاح ذات البين ، من الفوز بخير الدارين ، وأمن العباد ، وخصب البلاد ، وإعزاز الدين ، وإذلال القاسطين ، وتوهين المشركين ، وقوة العضد ، ووفور العدد ، ودعة الأجسام ، والرعة عن الآثام ، وستر العورات ، وحفظ الحرمات ، والانتفاء إلى حدود الله ، والازدجار بزجره ، والتأدب بأدبه ، والائتمار بأمره ؛ فإنه يقول عز من قائل ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ (الانفال : ١) وقال ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ . . . الآية (آل عمران : ١٠٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً وعلى طاعته أعواناً » . وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية ، والقرون الخالية إلا بتقاطعهم وتحاسدهم وتدابُرهم وتخاذلهم ؛ وأنّ اللجاج مطية الجهل ، والهوى آفة العقل ، والحمية من أسباب الجاهلية ، والعصبية من العنجهية ، والحرب مشتقة المعنى من الحرب^١ ؛ مع ظنك المتغلب وكأنه المنغلب ، وتم الأطفال ، وتلتهم الرجال ، سوق^٢

١ من قول أبي تمام (ديوانه ١ : ٧٠) .

لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحرب

٢ ب م : بسوق .

لا ينفق حاضروها غير النفوس والأرواح ، وشربٌ يتعاطون المنايا بظلم السيوف وأطراف الرماح ؛ مصروعهم دائر^١ ، وصارعهم خاسر ، وماضيهم نادم ، وباقيهم واجم .

والذي يحملون من أوزارهم وأوزار مع أوزارهم ، ويحتقبون من آصارهم ، تسليطُ النصرارى على المسلمين ، وعيْثهم في بلادهم يقتلون ويأسرون ؛ فالأموالُ مُستهلكة ، والحرمانُ منتهكة ، والدِّماءُ مهراقة ، والنِّساءُ مستاقاة ، وعقد الدِّين مفسوخ ، وعهد الإسلام منسوخ ، والكفرُ عال على الإيمان ، والسَّوءُ غالبٌ على الإحسان . فقد بلغني أنَّ مذهبكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد المسلمين ، يطؤون ديارهم ، ويعفون آثارهم ، ويحتاجون أموالهم ، ويسفكون دماءهم ، ويستعبدون أبناءهم ، ويستخلمون نساءهم . وإن نفذ هذا - وأعوذُ بالله - فهي حالٌ مؤذنةٌ بالذَّهاب ، وجريرةٌ تؤذُنُ بالخراب ؛ ولم نأمن أن يظهر لهم من الخلل في بلادنا ، والقلَّة في أعدادنا ، ما يجرتهم علينا ، ويجرمهم إلينا ، بما لا نقدر على مكائرتهم فيه ، ولا تقوى على مصابرتهم به ، فتلك الواقعة التي لا يتعش عشورها ، والقارعة التي لا ينجر كسيرا . ولم أجد يا سيدي وعدَّتي دواءً أنجع ، ولا سعيًّا أنفع ، من صلة يدي بيد الفتى الكبير فلان ، في توسَّطه هذه الأحوال بينكم ، والتأتّي لإصلاح ما فسد منها عليكم ، ولم نلف سبباً إلى كشف هذه الغيبيات ، وفتح هذه المبهمات ، أقوى في النَّجاح ، وأهدى إلى الصَّلاح ، من بعث أعلام بلدنا ، ووجوه رجالنا .

وكتب إلى ابن الناصر : سيدي وأعظم عُددي ، بقيت لمجدي تؤسسه ، وحمدِ تلبُّسه ، كتبتُ - كتب الله لك ما يفوتُ أملك - عن نفسٍ تعدك أكرم نقائسها ، فلا يساويك معظمٌ في حاجسها ، وضميرٌ صفا لك منهله ، فلا أحدٌ قبلك ينزله^٢ ، وود أحكمتُ لك عقده ، ونظمت بك عقده ، حقيقةً أدني نظرها إليك ، وخليفةً وقف سرها عليك ؛ فطرفُ اهتبالي إليك شاخص ، وضميرُ إدلالي عليك خالص ؛ والعهدُ الذي أنت لحرمانه لاحظ ، ولأماناته حافظ ، ينجدُ لساني في المقال ، ويمدُ عناني في الاسترسال ، ويوفدُ إليك النصيح محضاً ، ويورد عليك الصِّدق فرضاً ؛ موازنةً لا أرى التخلف عنها

١ ب م : داير .

٢ ب م : نزاله .

ديانة ، ومظاهرة لا أعدّ التبرّي منها أمانة ؛ وأخوك من صدقك ، وعدوك من مذقك .

واتصل بي ، ما جزعت له ، من لزومك مع الموفق أبي الجيـش ، ومن تبعكما معاقيديكما ، لفاتنة المظفر أبي محمد ومنازلته ومقارعتة ، واستجاشة كلّ حزب منكم بالتصاري ، وطعمكم أن تمنعوا بهم ذماراً ، وتقضوا بإخراجهم أوطاراً ، وتلركوا بأيديهم أوتاراً ؛ ولم يخف عليك ما يتسبّب بالفتن ، من البلوى والمحن ، وما يكتسب فيها من الحوب ، ويحقب بها من الذنوب ، وما ينوب الظالم والمنصف من معرفتها ، ويصيب البريء والتطف من مضرتها ، وما يعم من بأسائها ، ويطم من دهياؤها ، باخترام الرجال ، وإيتام الأطفال ، وإرمال النساء ، وإحلال الدماء ، وانتهاب الأموال ، واعتساف الأهرال ، وإخلاء الأوطان ، وجلاء السكان ، وانقطاع السبل ، واتساع الخلال . هذا إذا كانت الدعوة واحدة ، والشرعة معاضدة ، فأما إذا انساق العدو إلينا ، وتطرق علينا ، وضري على أموال المسلمين ودمائهم ، وجرو على قتل رجالهم وسبي نسايتهم ، وبانت له العورات ، وتحققت عندهم الاختلافات ، وأحدوا رحاهم ، واستمدوا من وراهم ، لم يكن للمسلمين بهم بعد يد ، ولا عن إخلاء هذه الجزيرة بدّ ، والله يحميها من الغير ، ويكفيها سوء القدر .

وإن أحقّ من لم شعث المسلمين ، وضمّ منتكث الدّين ، من أيد الله أولهم بأوليّه ، ورقع خللهم بمساعيهم ومساعيه ؛ وكانت وقائعه في المشركين مشهورة ، وصنائه بالكافرين مذكورة ، ومن لا تؤرّخ الأيام إلاّ بغزواته ولا تحلّي الأيام إلاّ بفعلاته . وأنت قاضب من تلك القواضب ، وثاقب من تلك الكواكب ، وغرة من تلك الأوضاع ، وشعلة من ذلك المصباح ، ومعلّى من تلك القداح ، وعامل من تلك الرّماح ، فحقيق عليك أن تجري إلى غاياتهم ، وتعلي راياتهم ، وتحمي ذكرهم ، وتحيي مجدهم . وقد علمت ألاّ عدّة أعدّ ، ولا نجدة أنجد ، من توازر القلوب ، وتناصر العيون ، وتضامن الأبادي ، وتظاهر المساعي ؛ فحينئذ يخشن الجانب ، ويهنّ المجانب ، ويصحب الأبيّ ، ويطيع العصي . ومن خلا من صالح الأعوان ، وضع الاستظهار بأحباء الإخوان ، كان أجزم الرّماح ، كهام السّلاح ، مقصوص الجناح ، خائب القداح ، مفلول الحدّ ، مصلد الرّند ؛ والمرء كثير بأخيه ، والجناح بقوادمه وخوافيه ، والانفراد في الوطن غربة ،

والانقيادُ للآخر كربة ؛ مع أنَّ الغلبة بالثغري والإخطار ، ليست من شيم أولي البصائر
والأبصار .

ومن الذي دعاكَ يا سيدي إلى فتنَةٍ تخوضُ غمارها ، وتحمل أوزارها ، ولا تغتبط
بعُقبها غالباً ولا مغلوباً ، ولا تنتشطُ من بوساها حارباً ولا محروباً ؟ ! فإن كان وفاءُ لمن
عاهدت ، وغناءُ عمتن عاقدت ، فأدنى المساعي إلى النجج ، وأولى المطالب بالكدح ،
وأبعد المذاهب من العيب والقذح ، ما بُدئَ بالمشاركة^١ وختم بالصلح ؛ فاللهُ تعالى يقول :
« والصلحُ خيرٌ » « والفتنة أشدُّ من القتل » .

والاتفاق يا سيدي أضمُّ للشمل ، وأوصل للحبل ، وأحمد فاتحة وخاتمة ، وأرضى
بادئةً وعاقبةً ، وأسلمُ دنيا وآخرة . ومعاذ الله أن تزلَّ بك قدم ، أو يحلَّ بك ندم ، أو
ترجعك إلى المجاهل بلحاجة ، وترهج لك في الباطل عجاجة .

وله عن تأييد الدولة أبي جعفر :

كُتِبْتُ — كتبَ الله في قلبك ذكراً لا يمحوه نسيان ، وأعذبَ لي من شربك ما ينسي
مرارة كلِّ خطبان — ولو أعطيت الأجسام لطاقة الأرواح ، لطرتُ إليك بلا جناح ؛
ولأنا يمثلُ الجسم بين يديك ، فالقلب مائلٌ لديك ، والنفس حائمة عليك ، والأملُ نَزَّاعٌ
إليك . فهل لمولاي عطفة ، تميلُ إلى عبده عطفه ، فتقبَّلُ الثريَّا كَفَّهُ ، أم هل له إليه
لحظة ، تنيله الدنيا بها حظَّه ، فقد طال إبعادُ الليالي بالإحالة ، وأوعاد آمالي بالإدالة ، وأنا
بينهما كالظفر يوم صفين ، والخلافة يوم تحكيم المسلمين . وقد أطلت من عنان أُملي
ما قصَّرت خطا العوائق ، وفستحت من ميدان رجائي ما ضيقت مسارح البوائق ، فلا عذر لي
ولم أفصل به الجوزاء عقوداً ، وأنل السماء قعوداً ، فالواعد حري بالوفاء ، والله مليٌّ بالعطاء .

وله : الحسبُ — أعزَّكَ الله — في مواطنه ، كالذهب في معادنه ، والشرف في
الأشراف ، كالدرُّ في الأصداف ، والمجدُّ في أهله ، كالفرع في أصله ؛ ومن حازت

١ ب م : بالمشاركة .

له آفاق المعالي تجيب ؛ ورثَ السَّيادة نجيباً عن نجيب ، وكان الكرم فيه كالفرند في القواضب ، والضَّيَّاء في الكواكب ، والصفاء في الماء ، والروح في الأحياء ١ وإن لم يحظ بك العيان ، ولا أسعد بقربك الزَّمان ؛ فالرؤية بالقلب لا بالعين ، والقرب بالنفس على الدنوّ واليبس ؛ ومن كان مثالك نور ناظره ، وخيالك سمير خاطره ، فقد قاربك مقاربة الارتياح للأرواح ، بل مازجك مماجزة الماء للراح . وإذا كان المعتقد من الإخوان أوفاهم ذمّة ، والمعتمد عليه في الحدثنان اعلاهم همّة ، وأحقّ الناس بالوفاء وارثوه ، وأشبه الأتباع لتبّع بنوه ، وقد أعلقت ودّي منك من يزكو ودّه ، وأوثقت عقدي بمن لا ينحل على الأيام عقده . فشاري ودّك بنفسه رابح التجارة ، ومضيع عهدك في أمسه فاحشُ الخسارة . وأنا أحمد يوماً وصلني بمعرفتك ، وأذم دهرأ قطعني عن صلتك ، واعتقدك أكرم العقد ، وأعدك للأهل والولد ، ولا وسيلة إلّا فهمك ، ولا وصيلة إلّا همك ؛ فما أזור الرياض إلّا تشوقاً إلى شيمك ، ولا ألحظ السحاب إلّا تخيلاً لكرمك .

وفيما يحكيه فلان [مردّد] شكرك ، ومطيّب ذكرك ، من مآثرك الزاهرة ، ومفاخرك الباهرة ، شائقٌ يحوّم طير القلوب عليك ، وسائقٌ يحدو بالنفوس إليك ، وأنت أرق نفساً وطبعاً ، وأكرمُ أصلاً وفرعاً ، من أن يُجمع عليّ بُعدك وبُعد كتابك ، وفقدك وفقد خطابك .

وكتب إلى صديق وقد بعث تفاحاً : لو لم تكن نفسي لك ، لأهديتها إليك ، ولولا أنه حقّك أثبتته لديك ، بلحوت وجه مودّتي عليك ، متوجّاً بطيب الذّكر يرفل في حلل الشّكر ؛ وما عسى أن يهدي الغريق في بحار برّك ، والمنقطع في مضمار شكرك ! لكن لك الإبداء بالفضل والإعادة ، ولي الاقتداء والبحري على العادة ، في إهداء الحقيير إلى الخطير ، ومقابلة الجليل بالقليل ؛ فما قصرت مقدرته ، من أطالت مكارمك معدرته .

ولكلّفي بشمائلك الشّمولة ، وشغفي بخلائقك المعسولة ، بعثْ بما يحكيها ولا يدانيها ، ويخبرُ بريّاه وطعمه عن بعض ما فيها ، تفاحٌ قطعت حمرته وصفرته من خجالات الحدود

ونزعت صورته شبه فوالك اليهود ، وختم على الذن من سلوى النحل ، وأعذب من جني النحل ؛ ناسب الرياض وأفنى عمره عمرها ، فورثته زهرها ، تذكرك أسافله سرر البطون الغلب ، وطعمه لذادة الثغور الشنب .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس^١ وسياقة جملة من نثره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

كان أبو جعفر هذا قد بدأ أهل زمانه^٢ في أربعة أشياء :
المال أولاً : لم يجتمع — زعموا — عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده
من عين وورق ، ودفاتر وخيرق ، وآنية ومتاع ، وأثاث وكراع .
والعجب : فلم يكن الفضل بن يحيى ، ولا معلمه عمارة بن حمزة ،
ولا عبيد الله بن ظبيان ، ولا مطعم بن جبير ، في ذلك إلا بعض قوى
سببه ، وحشالة واطيء عقبه^٣ .

والبخل : حتى لو أن الجاحظ رآه ما ضرب في البخل مثلاً ، ولا
ذكر في رسالته رجلاً . له في ذلك أخبار تخرق سجع العادة ، وتضيق
عن قبول الزيادة . حدثت عن الوزير أبي محمد بن الجحد ، وكان امرأ
صديق ، أنه سافر أيام شببته في معسكر زهير فقي ابن أبي عامر قبل

١ أبو جعفر أحمد بن عباس : ترجم له في المغرب ٢ : ٢٠٥ (واعتمد على الذخيرة) والنفع

٢ : ٣٥٥ والاحاطة ١ : ١٢٩ (١ : ٢٦٧ تحقيق عنان) وراجع ترجمة ابن شهيد

فكما سبق من هذا القسم .

٢ ب م : قد بدأ الناس وقته .

٣ تأتي هذه الفقرة في ب م بعد الحديث عن بخله .

٤ ب م : سافرت ؛ وكذلك سائر الخبر بضمير المتكلم .

أن يظهر أمره ، ويشتهر بصحبة السلطان ذكره ؛ فرحلوا في بعض الأيام وقد خلص إلى الأحشاء برّد الأجسام ، وسوى برّس^١ السماء بين الغيطان والآكام ، حتى كأن الأرض صفيحة^٢ حسام ، أو صبير غمام ؛ وغيب مطر قد غادر الكثبان وعوثا ، وصير المسالك تلاء^٣ ميثا ؛ فكبت به فرسه وقد تأخر عن صحبه ، وساخت رجله في بعض ذلك الخبر فصرع لحينه . وكانت عنده قرّوة^٤ فنك قد أعدّها لأيام الوفد ، فاستظهر بها يومئذ على شدّة ما كان فيه من الجهد ، ومخافة من عادية ذلك البرد ، فأصابه من الطين ما كاد يشكّكه في عيانه ، وأقام عامّة يومه على إصلاح ما فسد من شأن فروته وشانه . فورد العسكر وقد زاحم الليل ، وبث الوزير المذكور في طلبه الخيل ، فساعة رآه قال له : ما غالك ، وأي شيء حبّسك لا أبالك ؟ فظفّق يقصّ عليه أمره وهو يضحك ، وكان آخر ما راجعه به أن قال : أوّما عندك غير ذلك الفنك ؟ ثمّ انتفخ في إهابه ، واستدعى قهرمان ثيابه ، وقال له : كم أودعت عياني ، وأدرجت أثناء^٥ ثيابي في سفرنا هذا من الأفناك ؟ فجاء منها بعدد ، ما ظنّ أنها تجميع لأحد ، ولا يحيط بها ملئك يد . قال أبو محمد : ولم أشك في تحصيل فروته ، وجرّ ذبول كسوته^٦ ، فوالله ما زاد على أن عدّها ، وأمر القهرمان فردّها ؛ ثم قال : يا أبا محمد ، هذه ثياب سفري ومهنتي ، فكيف

١ البرس : القطن ، ويعني به هنا الثلج .

٢ ب م : صفحة .

٣ الميث : جمع ميثاء ، وهي الأرض السهلة أو الرابية الطيبة .

٤ الخبر : ما تهور من الأرض وساخت فيه القوائم .

٥ ب م : في أثناء .

٦ ب م : فروة . . . كسوة .

لو رأيت ثياب المدينة ، وملابس الزينة ؟ !
والكتابة : وهي أقلُّ أُرْبَعَتَه ، وعلى كلِّ حال فله بها يد ، ونفَسٌ
ممتدّ ، وفيها يوم وغد ، وعدّةٌ وعدَد .

وقد ذكر ابن حيّان من أين غَرَبَ وطَلَعَ ، وكيف طار حتّى وقع ،
وأنا مثبتٌ من ذلك في هذا المكان ، ما يليقُ بهذا الدُّيوان ، بعد لإثبات بعض
فضائله ، واستخراج^١ ما حضرنى من رسائله .

فصول له في أوصاف شتى

من ذلك رقعة [خاطب بها أبا المغيرة ابن حزم] قال فيها :

أنهَى إليّ كتابك رجل طويل القامة ، صَقِيلُ الهامة ، بعينه لِيَانة ، وعلى
أسنانه طُرَامَةٌ^٢ ، وفي شاشيّته^٣ وضارّة ، وفي منطقهِ لُكْنَةٌ صعبة ، وعلى
أنفه عقدة كالْكُبَّة ، وفي أطواقه سَعَةٌ ، يخرج منكباه من أقطارها كأنّها
ثيابٌ والِه ، أو شَبَارِقُ^٤ رَاهِب < تائه >^٥ ، وفي مشيته تَفَحُّجٌ قبيح كأنّه
عائم في يَبَسٍ^٦ ، وعليه غِفَارَةٌ شَقَافَةٌ شَبَكِيَّةٌ السِّدَارَةُ^٧ ، وأظنُّ

١ ب م : وإخراج .

٢ الطرامة : خضرة تتركب الأسنان أو بقية الطعام بينها .

٣ الشاشية : غطاء الرأس من حرير أو جلد أو غيرهما .

٤ الشبارق : الثوب الرقيق أو المقطع .

٥ زيادة من نسخة دار الكتب وحدها .

٦ ب م : يبيس .

٧ السيدارة : القلنسوة بلا أصداغ ؛ وفي ب م ط : السداوة ، ولعل صوابها « السداة » .

العمالقة غزلت صوفها زمن الفِطْحَل^١ ، والأكاسرة تولّت صباغها عام
 الصُّفْر^٢ ؛ كأنّها الطيلسان الحربيّ ، أو التُّبَّان^٣ السَّعْدِيّ . ولقيتُ الرَّجُلَ
 وقد أحاط بي جَمْعٌ ، والتفتْ عليّ قومٌ ؛ فوقفتُ معه موقفاً كفك الله
 خزيه ، ولا وقفك مثله . وقد عهدتُك تجري بميدان الفكاهة ، وتنخرط
 في سلك الدُّعابة ؛ فلمّا أسلم إليّ الكتاب ولحظتُ عنوانه ، وحيّاني بلفظ
 لم أفهم لسانه ، قلتُ : خباها [أبو المغيرة] وربّ الكعبة ، وأهدى إليك
 بهذا الإنسان لعبة ؛ ورماك عن قوس فكاهته بهيئة باذّة ، ودهاك من تماثيل
 خياله ؛ بطلعة شاذّة ؛ وسدّ تطييبك بسدادٍ من ثغره ، وطار إلى أفق
 تنديرك^٤ بجناح من هزله . فتماسكتُ وما كدت ، ثمّ تجلّدتُ ؛ ولحأتُ
 إلى فضّ الكتاب ، وابتغيْتُ نقلةً لَأَسْتَرَّ [بجملة أسباب] ؛ واعتصمتُ
 بعصمة خطّه الموشّيّ ، ولفظه البابليّ ؛ وصعدتُ في الكتاب وصوّبتُ
 لأعمل لنفسي شغلاً ، حتّى رأيتُ النَّسَبَ ، وسمعتُ اللَّقَبَ ، فقلتُ :
 الرَّجُلُ — لا محالة — عِبريٌّ^٥ المنتمى ، وشاهد الطَّلعة عدلٌ مُزَكَّى .
 فَوَحَّقَ الطَّرَبَ ، وحرمة الأدب ، لقد هممتُ أن أوفي الشَّطارة حقّها ،
 وأسمي الخلاعةَ وسمها ، فأجفلَ في يده عكّاز قصبة خضراء ، وفي رأسه
 قلنسوة بيضاء ، وأضع على عاتقه^٦ خُرْجاً بنُخالة ، وأقيم من نفسي ومن حُضَرَ

١ الفطحل : زمن نوح ، أو دلالة على زمن قديم : « والحجارة رطبة » .

٢ عام الصفر : هو عام يؤرخ به الرومان من عصر قيصر اكتبيان (Octavius)
 (المغرب ٢ : ٨) .

٣ التبان : سراويل صغير يكون للملاحين .

٤ ب م : حيلة .

٥ ب م : تدبيرك .

٦ ب م : عربي .

٧ ب م : عنقه .

عَرَافَةٌ وآلَةٌ ، وآخِذْ بِهِ مِنْ طُرُقِ بَنِي مَرْدَخَاي^١ عَلَى قَارِعَةِ الْمُحْجَةِ بَيْنِ
النَّاسِ ، وَأَقْلَدَهُ سَيْفُ الْبَاجِي^٢ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَإِنَّهُ صَفِيحَةٌ مُقَشَّرَةٌ لَا غِرَارَ
لَهَا وَلَا ظُبَّةَ ، كَأَنَّهُ قَضِيبُ صَاحِبِ اسْفِيرَا^٣ ، أَوْ عَمُودُ نِزَكِي^٤ لَمْ يُحْدَدْ
لَهُ زُجْجًا ، وَهَذَا شَرْطُ ذَلِكَ اللَّعْبِ ، فَفِي نَفُوسِ الْقَوْمِ خَوْرٌ ، لَا تَحْمِلُ
مَعَهُ السِّلَاحَ إِلَّا بِخَوْفٍ وَحَذَرٍ . وَتَأَمَّلْتُ خُفْيَهُ فَإِذَا بِهِمَا مِنْ كَيْبِ خُتْ^٥
بَالٍ ، مُصَدَّرَانِ تَصْدِيرِ السَّنْدَالِ^٥ ، قَدْ انْهَرَتَا أَشْدَقَهُمَا ، وَتَهَدَّلَتْ
مُشَافَرُهُمَا ، وَصَارَ عَاجُهُمَا آبَنُوسًا ، وَنَعْلُهُمَا خِيَالًا مَرَسُوسًا^٦ ؛ فَقُلْتُ :
لَا يَزْدُوجُ طِيلَسَانُ ابْنَ حَرْبٍ إِلَّا بِخُفْيِ حُنَيْنٍ ، وَقَدْ كُفِينَا ارْتِيَادَ خِلْعَةٍ ،
تُؤَافِقُ هَذِهِ الطَّلْعَةَ ؛ ثُمَّ جَمَعْتُ جَرَامِيزَ صَبْرِي ، وَأَخَذْتُ بِكَظْمِ نَفْسِي ،
وَاسْتَعَذْتُ بِاللَّهِ مِنْ آفَةِ الْغَفْلَةِ ، وَشَغَلَ بَالِي ذَلِكَ الْمَرَأَى الشَّنِيعَ ، وَالْمَوْقِفُ
الْمَهُوْلُ ، وَحُرْمَتُ عَامَةِ نَهَارِي مَن يُعْلَمَنِي ، حَتَّى ظَفَرْتُ بِمَن أَوْسَعَنِيهِ
عِلْمًا ، وَفَسَّرَهُ لِي نَصًّا ، فَلَفَفْتُ رَأْسِي حِيَاءً مِنْهُ ، وَتَمَنَيْتُ أَنْ تُضَرِّرَنِي
الْبَلَادُ عَنْهُ ؛ وَأَدْرَكَتُهُ - لَا مَحَالَةَ - خَجَلَةٌ ذَلِكَ الْمَلْتَقَى ، فَحَمَانِي زَوْرَتَهُ ،
وَمَنْعَنِي عَوْدَتَهُ ، يَرْجِمُ فِي الظَّنِّ السَّوْءِ ؛ وَإِنْ يَقِلُ فَمُعْذُورٌ ، وَإِنْ يَكُنْ
مَنْنِي مَا كَانَ فَغَيْرُ مَكْلُومٍ ، لِأَنَّكَ رَمَيْتَنِي بِأَيْدِي الْأَوَابِدِ ، وَدَاهِيَةِ الْغَبَرِ^٧ ،
وَمَشْكَالَةٍ لَا تَنْفَرُجُ بِالْبَدِيَّةِ ، وَلَا يُنْفَتَدُ فِيهَا إِلَّا بِطُولِ الرُّوِيَّةِ ، وَمَا أَعْجَبَ

١ ب م ط : مردخان .

٢ ب : اسفيرا ؛ م : أسمير ؛ والاسفيري : خليط من اللحم والبيض والبصل .

٣ نيزكي : نسبة إلى النيزك ، وهو الرمح القصير .

٤ الكميخت : (لفظة فارسية) نوع من الجلد .

٥ ب م : السندان .

٦ ب م : مرموساً ؛ مرسوساً : قد نسي لتطاول العهد عليه .

٧ ط : العمر ؛ ب م : العبر .

شأنها إن كان وقع اتفاقاً ، وأغلب الظن أن تأتيها اعتماداً .

ومن جواب أبي المغيرة عليها : وأرجع من كتابك إلى ما ركض جوادَ
الهزل ، وشهرَ سلاحه ، ونشرَ علكمه ، وشبَّ زَبُونَ حربه ، وأوقد
وطيسَ فتنته ؛ بل إلى ما مدَّ بساطه ، وفرشَ أنماطه ، وأدارَ كؤوسه ،
وأماطَ عبوسه^١ ، وحرَّكَ أوتاره ، ونَبَّهَ أطياره ؛ بل إلى ما أقامَ لَعِبِهِ ،
وحرَّكَ لُعْبِهِ ، وأحضرَ مجونه ، واستجرَّ^٢ فنونه ، وزمَّرَ في بُوقه ، ونقرَ
بطنَ دُفِّه ، ورقصَ على إيقاعِ لحنه ، فمَقَلَّتْ في أختانه ، وطرطرَ في
قرونيه^٣ ، وبربرَ في رَعي ضانته ، وترهَّبَ في غير خالقه ، ولم يدعُ من
الجدِّ طرفاً ، ولا للهزل سبباً ، إلّا وتمسَّكَ به . فهو القائمُ القاعد ،
والغويُّ الراشد ، في وصف الطَّارِئِ بالكتاب عليك* ، الذي هدَّبه الزمان ،
وقاده إليك الخذلان ، وحمله إليك من أنزح مكان ، ليكونَ أتمَّ في إلهائك^٤ ،
وأبلغ في إضحاكك . فالغريبُ من كل حقٍّ وباطلٍ نافقٌ ، والموجود كاسد .
ولم أُمَيِّزْ من هيئته غير القامة ، وأنكرتُ سائر ذلك من الهامة ؛ فعهدي
بجبينه كالصحيفة الصقيلة ، وخدَّه كمرآة الغريبة ، وعينه كناظر صقر
طاوٍ على مَرَقَب ، وضفدع ينظر من خلال طُحْلُب ، وأنفه كغرار
سيف ليس الذي قلَّدته به ، وألقيتَ حمائله في عُنُقِهِ ، ولسانه كمخراقٍ

١ ط : غموسه .

٢ ب م : واستمد .

٣ ب م : قروبه .

٤ ب م : لهزل .

٥ ب م : إليك .

٦ ب م : إلعابك .

لاعب ، وبصوتٍ شَبِيب به نَيماً^١ ، وزَجَرُ أبي عروة همساً خفياً ؛
 وأثوابه تُزري على اليَمَنِ^٢ بشرف صنعة صَنَعَاتِهَا ؛ وخُفُّه لو وَطِئَ لابسُهُ
 على الصَّمِيم في المجلس بين جعفر والرَّشيد والحاجب الفضل بن الرِّبيع ،
 ما أنكر مدخله ، ولا تُبَيِّن خَلْلُهُ . لطفُ توَصُّلِ يوهمك أن السَّحَر
 يَمُدُّه ، وقواه تشدُّه ؛ لو شاءَ أن يجمع بين الجن والإنس ، ويضمَّ جميع
 الأنواع تحت جنس ، ما ارتقى صُعُداً ، ولا لقيَ كَبَداً^٣ . فكيف انقلبت
 هذه العين ، وانسلختُ من ذلكَ الزَّين ، وصارت أبداً تُلْهِي ، ونادرةً
 تجري ، لولا ما هيأهُ سَعْدُكَ ، وسبَّبَهُ جَدُّكَ ؟ وقد قامَ النُّوروز بما
 وجب عليه ، ولم يوجِدِكَ السَّيْلَ إليه ، فارتقبُ من المهرجان نعتها ،
 وانتظر فيه شِكْلَهَا . وكنتُ أسومك مساجلتي بنظيرها ، وأمقابلتي بمثلها ،
 لكن مَنْ لي بمساعدة الزمان بقسطك ، والأخذ فيه بشرطك ؟

ولابن عباس من رقعة إلى أهل غرناطة يقول في فصل منها^٤ : لم أعقر
 ناقةً رضاكم فأسُخِّطَ ، ولا أكلتُ من شجرة عقوبكم فأشعِطَ ؛ وإنما
 أعطيتكم صفقة الصَّاغِيَةِ لأُكْرِمَ ، وانحرفت عنكم على زاوية المِيقَةِ كي
 لا أهان ، ونمتُ على مهاد الثِّقَةِ بكم لئلاَّ أُنْهَمَ . أقاليم يقال : جعلتُنا
 قنطرة ، وكتبتُ إلى صديقك كتباً مَبْطُنةً^٥ ؟ ! وكان ابن أبي موسى مَوَاناً
 نُفِخَ^٦ الرُّوحُ فيه ، وعِيالاً علينا فاستأثرت به ، وجعلتموني مركز دائرتكم

١ ط : وبصرته شبيهاً تيمياً .

٢ ب م : النمر .

٣ ب م : كدا .

٤ انظر المغرب ٢ : ٢٠٥ .

٥ المغرب : مسترة .

٦ المغرب : نفختنا .

في اللفظ ، وعين سعايتكم في القصد ، فضربتكم بي^١ أمثال السوء ، إلى معانٍ طوال الصقمتكم بي عارها ، وطوqتموني شئارها ، انحداراً عليّ كالسيل بالليل ، وتصدياً^٢ إليّ كالسهم ، وتولعاً بي كأنتي عندكم ذنب الدهر . تُلزِموني صيدَ العنقاء في جحوركم ، وتشرطون عليّ ببيض الأنوق في بيوتكم ؛ فأقِرُّوا الطيرَ في وُكناتها ، واتركوا القِطاةَ بمنامها ، وكونوا تجافيفَ الإنس ، وصُورَ الحمّامات ، وخیال الظلّ ، أو ﴿ كسر ابٍ بقيعةٍ يحسبهُ الظّمانُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجيدهُ شيثاً ﴾ (النور : ٣٩) .

وأما ما عدّتموه من الآثار الجميلة عندي ففصل قبيح بكمٍ لإرادته ، والكریمُ ينتزهُ عن مثله ، والمنُّ بالصنيعة تكفيرها ؛ ولقد أجهدتُ نفسي في خدمة هواكم ، واتّباع رضاكم ، وصرتُ منقاداً لرمز حواجيبكم ، وتبعاً لركابكم ؛ على أنني ما أكلتُ من حلّوائكم ما يحطّي في أهوائكم ، ولا لمّظتُ^٣ من دنياكم العريضة بلذّظة ؛ ولقد خيبتنا من صفقات أرباحكم ، وحصلنا^٤ على الحرمان من متاجركم ؛ وقفنا بشتمٍ قُتاركم ، واستنشاق النسيم من تلقائكم^٥ .

وله من أخرى إلى أهل قرطبة عن زهير الفقي : أنتم - معشَرَ الأعلام ، وأكابر الرّجال - غُررُ مصر ، وبقايا هذا العصر ، وموضع اقتباس النور والرأي ،

١ ب م : لي .

٢ ب م : وتسديداً .

٣ ب م : تلمظت .

٤ ط : وصرنا .

٥ ط : لقائكم .

والملا المقتدَى به^١ ، والمشار إليه ، مَنْ حاط هذه الملة ، وانتدب لصالح الأمة ، ومخص^٢ الرأى وهذه ، وألقح عقيمه ونتججه ، ورفع عن هذا العالم أسباب الشبهة ، وكشف لهم عن غطاء الهداية ، فقد طالما خبطوا عشواء ، وأخذوا بغتة ، وکلب عليهم من بني زمانهم مَنْ انتدب لتجويز المُحال . ولو أخذنا في عدّهم^٣ ، وبسّط أولهم وآخرهم^٤ ، لخرجنا عن غرض الخطاب إلى التآليف ، وجانبنا سير القصد في الأمور إلى التصنيف . وأشدُّ هذه العصابة المشؤومة ابن عبّاد ، الذي سلَّ سيف الفتنة والبغي من قرابه ، وأثار بعير الظلم من مبركه^٥ ، وانتزى ببطنته أشراً ، ومثى في الأرض مراحاً ، وظن أن يخرق الأرض ويبلغ الجبال طُولاً ؛ فغزا [أهل] الإسلام في عُقر دارهم . وأسقط عن نفسه حرمة الله فيهم ، وأذهب ذمته ، وبني أمره على دعامه زيت ، وأتى لشأنه^٦ من ظهر بيت ، واستعار اسم الشهيد هشام المؤيد بالله لغير أهله ، وعزاه^٧ إلى مَنْ ليس من شكله ؛ فضاعف السيئة ، وجاهر بالمعصية ، واتبع الرسم الدائر ، وجعل حظاً^٨ الناس فيه التمثيل في اسم كاذب ؛ واعترض على مُنكره بكهانة شقّ وسطيح ، وآيات طسّم وجندیس ، واحتجّ بكتب الجفّر ، ودان بالتناسخ ؛ وأضاف

١ ب م : بكم .

٢ ب م : ومخص .

٣ ط : عددهم .

٤ ط : بآخرهم .

٥ ب م : بروكه .

٦ ب م : شأنه .

٧ ب م : وعدا به .

٨ ط : خط .

إلى هذه الغرائب قراعَ أَسْمَاعِ الأَغْمَارِ بها ، يُرِيهِمُ وجوهَ الاستبصار ، فضلاً عمّن تدرّج في طبقات المعرفة ، وجرى على ونيرة الدّراية ، وسبقت له ^١ قدم صدق في الرواية . ثمّ رفع السوط للسيف ، فأوجع قلوب المسلمين باللسان واليد ، يحكم كيف شاء في أبشارهم ، وصارفهم صرف الدينار بالدراهم في أمواهم ؛ لا تتخلّل الموعظة قلبه ، ولا تفرغ التذكّرة سمعه ، فتارةً يأخذ النصارى واليهود بذنّب التّوراة والإنجيل ، وأخرى يقول للمسلمين توبوا ممّا ^٢ عسى أن يكون .

[وفي فصل منها: فإن كان كاذباً فيا لها حسرة ، وإن كان صادقاً ^٣ فما أخرج المُلْكَ إلى قطرة] ! وكتابي هذا إليكم وقد اتفقت الكلمةُ في وضع رأس الإمارة على كاهله ، ونصّل الإمامة في نصابه ، وأعدنا الحقّ إلى أهله ، وأصفقنا على بيعه رضئى واتفاق وطاعة لعبد الله أمير المؤمنين لإدريس المتأيد بالله - أيده الله - وطهّرنا المنابر من دنّس تلك الدعوة المستعارة ، وهتّمنا بها هتف التباشر ، وقامت بها الخطباءُ على المنابر ، وانجالت الغيايةُ عن فلتق الصُّبح ، وأقلعت ^٤ الظّلّمة عن وّصح الشمس ، وأزاح - بفضلله - تعالى غُصّة الشك ، وشجى الإفك .

فاعتبروا بما ألقينا إليكم اعتبار من يحتاطُ لدينه وتقواه ، ويرغب

١ ط : لهم .

٢ ب م : لما .

٣ ط : فلأما .

٤ ط : المؤيد .

٥ ط : وانقلعت .

عن الهضيمة بنفسه في دنياه ؛ والرمز يكفيكم ، والإيماء يغنيكم . ولم نجعل علمكم بحال الموصوف ، لمعرفة بمكانكم من التحصيل ، إذ أنتم أهل النظر والتأويل . ولما استوثق الأمر على منهاجه ^١ ، واستتم الرأي على أدراجه ، هزناكم هزة التذكير ، ورمينا إليكم بنبد يسير ^٢ .

وله من أخرى إلى أبي المغيرة ابن حزم : قرأت الرقعة الكريمة التي ناولتنيها اليد العزيزة ، فكأنَّ البدر مدَّ إليَّ كفّاً ^٣ تختَمَت بالنجوم الزاهرة ، أو الدهرَ أعطاني بها أماناً من خطوبه الجائرة ، وعينتُ وشياً منمنماً ، وأبصرتُ ريطاً مُسهماً ، وطفقتُ ألتبس المجارة ، وأروم المباراة ، فإذا شأوي حسير ^٤ ، وباعي قصير ، وفي مُلجَم ، ولساني مُفحَم ، لأنني تعاظيتُ أسدَ العرين وهو مُشبِل خادر ، وموج البحر وهو مُزبد زاجر :

وفي تعَبٍ من يحسدُ الشمس نورها وبَطْمَعُ أن يأتي لها بضَرِيب ^٥ لله أنتَ من نثرة آداب ، وسليل أحساب ، وسام ^٦ حاسد ، وسراج محامد ، إن ناضلَ عن الحريم حماه ، وإن رمى الغرض أصماه ؛ يفتح مغالِق ^٧ الأمور بسياسته ، ويستنزل الشارد المُمتنع بلطافته .

١ ب م : منهاجه .

٢ ط : هزناكم بهذه التذكرة . . . يسيرة .

٣ ب م : يبدأ .

٤ ب م : حصير .

٥ البيت للمتنبي ، ديوانه ٣٢٧ :

٦ ط : وسام (اقرأ : وشجى) .

٧ ب م : مغالِق .

وفي فصل منها : ولو جاز أن يُقرن مع البدن العَجَف ، ويُنظم مع الجوهر الصَّدَف ، لشفَعَتْهُا إليك ، لكنها ممنوعة ما سألت ، وغير مدركة ما طلبت ، فالسادة لا تمتزج مع العبيد ، والشهد لا يضاف إلى الهَيِّد . ورأيت ما نخلتَه الرسالة المُعَرِّبة عن فنون البراعة ، وأعرتَها من بدائع الصناعة ، التي لو رام نُبْدَأَ منها بديع الزَّمان ، أو عمرو بن عثمان ، لتردَّداً يخبطان عشواء ، وأصبحا في خجلة يطلبان النِّجاء . فدونكها عذبة اللثام ، كريمة الأخوال والأعمام ، بَدَلُ المهج أَقْلُ أثمانها ، والعنبر الورد يسيل من أردانها . فإن كنتَ حَضَضْتَنِي على أن أصونها في تامور الخاطر ، وأكتبها على جبهة الأسد الخادر ، فأعزُّ من هذا أن أنوطها بذوائب العيوق ، وأودعها الجوانح على التحقيق ؛ فهي لمن تأمل دُرٌّ نثير ، ولن تنزَّه روضة وغدير ؛ لنسيم الأدب فيها هبوب ، ولكلِّ قلبٍ منها^٢ نصيب ؛ قد وُشِّحَتْ بغرائب الكلم ، ورُصِّعَتْ بجواهر الحكم .

ليس^٣ فيها عيب يُدرِك ، ولا سبب يُفرك ، غير صَدَرِها عن صَدْرٍ فاجر نِكْس ، ومن لسان ملحد رجس ، لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يؤاخي إلاَّ كلَّ منافق كافر ؛ يسبُّ الصَّحابة الأبرار ، ويكذِّبُ بالجنة والنار ، ولا يرجو حساباً ، ولا يحذر عقاباً ؛ ادَّعى خلافة الله فهي منه تَضَيِّجٌ ، ولبس أثوابها فهي عليه تعجٌ ؛ لو اتعظ بمصرع أبيه ، لأقلع عما هو فيه ؛ بل أشبَّهه حقاً فما ظلم ، وتَقَيَّلَه نسقاً فزاد وتمم ؛

١ ب م : لشفعت لها .

٢ ب م : ومن كل قلب .

٣ هذه الفقرة حتى قوله : « حنقها وغضبها » لم ترد في ط ، وهي دخيلة - فيما يبدو - لأنها متقطعة الصلة بما قبلها وما بعدها .

يأخذ الرشوة على بيت الله الحرام ، ويستخفُّ بشرائع الإسلام ؛ يهتك الحريم ويسفك الدماء ، ويستصحب الأوغاد والشُّطار ؛ بثسَّ الشيعةُ وقودُ جهنم وحَصَبُها ، وعليهم يزداد حنقُها وغضبُها .

وفي فصل منها: وبقيَ جزءٌ من الإطالة أسوقه إليك، وأورده عليك: أنا مُقرٌّ بالعجز لبيانك، مُقبِّلٌ أنجمَ الثريا من بنانك، راغبٌ أن تلبسني من عفوك ثوباً أسحب أذياله، وأن تُفَيِّتني من صفحك ظيلاً آمناً زِياله، إذ أنا سَكَيْتُ هذه الصناعة التي بيدك لواؤها، ولك يدين رؤساؤها، وإليك تُعزى وتُنسب، وباسمك على منابرها يُخطب. وتردني لك كتبٌ لو فوجيءَ بها نُقادُ الكلام، وجهابذةُ النثر والنظام، لألقوا إليها السَّلم، وادَّعَوْا عندها البَكَم. فأتى لي بمقاومتك، مع تقدُّمك وتخلُّفي، ومصارعتك، مع قوتك وضعفي؟ ! فالواحد لا يُقرَن مع الكل، والفرع لا يُضاف إلى الأصل. فأسألك وأستعفيك، وأضرعُ إلى مجدك ومعاليك، ألا تُرهِّقني عُسراً، فيظهر عجزِي، ولا تُحمِّلني إصراً، فيبين نقصي؛ فإنَّك إمامٌ^٢ وأنا مأموم، وأنت حاضر وأنا معدوم، وأنا قُفٌّ وأنت نَهْر، وأنا جدول وأنت بحر.

قال ابن بسّام: وسائرُ رسائل أحمد بن عبَّاس ثابتة في القسم الثالث من هذا المجموع في أخبار أبي عامر ابن التَّأَكُّرْتِي^٣، إذ تنازعا في هذه الصناعة الرَّأْيَة، وجرياً^٤ من البلاغة فيها إلى غاية.

١ ب م : فَيَتَيْن .

٢ ب م : لِإِمَامِي .

٣ انظر القسم الثالث : ٢٢٩ - ٢٤٤ .

٤ ط : وَتَجَارِبَا .

إيجاز الخبر عن مقتل أحمد بن عباس وزهير فتي بني عامر^١
وما اتصل به من خبر نادر^٢

قال ابن حيّان : كان سبب فساد باديس بن حبّوس وجماعة قومه
صنهاجة على جارهم وحليفهم القديم الحلف والولاية^٣ زهير الصّقليّ ، فتي
المنصور بن أبي عامر ، موالاته لكاشحه محمد بن عبد الله زعيم زناتة . ومضى
على ذلك حبّوس من عداوته ، وخلّفها كلمة باقية في عقّبه ، أضرم^٤
زهير^٥ بعد نارها بتمادي تمسّكه بالمذكور وإيفاده إليه المدد بقرمونة ،
واستخفافه بحق باديس ، وإنزاله إياه منزلة الأكفاء ، وهيهات له من ذلك
من فتي غير قليل التجربة ؛ فآثر شفاء نفسه عن النظر لعاقبة أمره ، وأضمر
الغدر ، وقدم العذر ، وأرسل رسوله إلى زهير مُلطفاً في العتاب ، مستدعياً
تجديد المحالفة ، فسارع زهير إلى ذلك ، وأقبل نحو باديس لإقبال المستطيل
عليه ، المتصور له صورة اليتيم في حجره ، المضطر إلى اتباعه وموافقته ،
فصار في تضييع الخزم والاغترار بالعجب ، والثقة بالكثرة ، والانحلاع
من فضيلة الرأي وفائدة التجربة ، ضدّاً للقصد الذي قصده ، وآية للغابرين
بعده ، إذ جاء مدلاًّ بجمعه وكثرته ، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى
العامل من عمّاله ؛ قد ترك رسوم الالتقاء بالنظراء المعهودة له ولمن قبله ،

١ انظر البيان المغرب ٣ : ١٦٩ والاحاطة ١ : ٢٦٨ - ٢٧٠ ، ٥٢٦ - ٥٢٨ (تحقيق
عنان) .

٢ ط : خبر ونادر .

٣ ط : باديس بن حبوس على جاره القديم الحلف .

٤ ب م : أضرم .

من التوافق على المكان ، والاستظهار بآخر حدود الأعمال ، وغير ذلك من وجوه الحزم^١. فأعرضَ زهيرٌ عن ذلك كله، وأقبل ضارباً بسوطه ، حتى تجاوز الحدَّ الذي جرت به العادة ، من الوقوف عنده^٢ من عمل باديس دون إذنه ، وصيّر الأوعار والمضايق خلف ظهره، لا يفكر فيها، واقتحم البلد حتى وصل إلى باب غرناطة ، وخرج إليه باديس في جمعه ، وقد أنكر^٣ اقتحامه عليه ، وعدّه حاصلاً في قبضته ، فبدأه بالجميل والتكريم ، وأوسع عليه وعلى رجاله في القيرَى والتعظيم ، ما مكنَّ اغترارهم ، وثبَّت طمأنينتهم .

ووقعت المناظرةُ بين باديس وزهير ومن حضرهما من رجال دولتيهما من أوّل يوم التقائهم ، ففشا بينهما عارض الخلاف لأوّل وهلة ، وحمل زهير أمره كله على التشطط ، وخلط التغيرير بالدالة ، والجفاء بالملاطفة ، وزعم في بعض ما يقوله ان الذي جاء به زيارةُ قبر حليفه وخليله جبّوس ، وهو قد بخل بالتعزية على ولده إثر موته . واتصلت بينهما المناظرة، والإمرار يزداد ، وزهير يأبى ذلك ويتهاون كأنه قد اقتدر على خصمه ، ووزيره أحمد بن عباس المعجب التياّه يفري الفري في تصريح ما يعرض به زهير ، إيعاداً للقوم ، وإغلاظاً عليهم^٤.

١ وردت العبارة موجزة في ط على النحو الآتي : « تمسكه بالمذكور ، فأرسل إليه باديس رسوله معاتباً مستدعياً تجديد المحافاة ، فسارع زهير وأقبل نحوه ، وضيع الحزم ، واغتر بالمعجب والثقة بالكثرة ، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى العامل من عماله ، قد ترك رسوم الالتقاء بالنظرَاء ، وغير ذلك من وجوه الحزم » ؛ وما في البيان المغرب مطابق لنص النسخة ط .

٢ ب م : الحد الذي جرت عادته بالوقوف عنده .

٣ ب م : استكثر .

٤ - ٤ يقابل هذه العبارة في ط : « ومن حضرهما من رجال دولتيهما ، فنشأ بينهما عارض الخلاف لأوّل وهلة ، وحمل زهير أمره كله على التشطط ، ووزيره أحمد بن عباس يفري الفري في التصريح بما يعرض به زهير » .

فغزم باديس عند ذلك على القتال ، وواقفه قومه صنهاجة ، فأقام
مراتبه ، ونصب كتائبه^١ ، وأرسل إلى طريق زهير فقطع قنطرة^٢ لاجميد زهير
عنها ، والحائن زهير لا يشعر ، وبات تتمخض له ليلته عن راغية البكر؛
وغاداه باديس^٣ صبيحتها على تعبئة مُحَكَّمة ، فلم يرعه^٤ إلا رجّة القوم
راجعين^٥ إليه ، تخفق طبولهم وهدير رقاصته الأسود ، فدهش زهير وأصحابه ،
فيا لك من أمر شئت ، وهول مفاجيء ، قسم بال المرء بين نفسه وماله ،
ووزّع همه بين روحه ورحله ! إلا أن أميرهم زهيراً أحسن ابتداء الثبات
لو استتمّه ، وقام ينصب الحرب^٦ ، فثبت في قلب عسكره ، وقدم
خليفته هذيل^٧ الصقلي في وجوه أصحابه من الموالي العامريين الفحول
وعشيرته الصقل^٨ وغيرهم لاستقبال صنهاجة . فلما رأوهم علموا أنهم
حُمته وشوكته ، وأنهم متى خضدوها لم يثبت لهم من وراءهم ،
فاختلط الفريقان ، واشتدّ بينهم القتال^٩ ملياً ، فلم يكن إلاّ كلاً ، حتى
حكم الله بالظهور لأقل الطائفتين عدداً ليُري الله قدرته ، ويُجدّد في
قلوب عباده عبرته ، فنكّص في الصدمة قائدُهم هذيل ، والرحى عليه
دائرة ، إما بطعنة أردته عن متن فرسه ، أو بكبوة كانت منه ، وابدع أصحابه
عباديد وانهزموا ، وقيد هذيل لوقته إلى باديس أسيراً ، فأعجل بضرب
رقبته . فما كان إلاّ أن نظر زهير إلى مصرعه ، فأنثنى عنه وفرّ على وجهه ،
فلم يستصحب ثِقّة ، ولا انحاز إلى فئة ، ولجّ به الفرار ، وانهزم أصحابه

١ ب م : كائنه .

٢ ب م : راجفين .

٣ زاد في ب م : بما أسرع القعود عنه .

٤ ب م : حصودها .

خلفه لا يلوون على شيء ، وركبت صنهاجة^١ ولفقها [ومن تبعها] من أمداد زناتة أكتاف القوم ، باذلين السيف فيهم بصدق العصبية وإيثار النساء ، فلم يُبقوا على أحد قدروا عليه ، ولا فرقوا بين أندلسي ولا جندي ولا سوقي ، فأساءوا الاعتداء ، وأبادوا أمة ، حتى إمام فريضة زهير ولد الفقيه ابن نابل . فاستدل بقتلهم على من سواهم ؛ وعلم المنهزمون أنه أخذ عايهم المضيق المعترض في طريقهم ، فنكبوا وأخذوا في شعاب وعرة وجبال شامخة ، أبلأهم إليها السيف ، فكانت حتف من فر ، وتقطعوا وتمزقت أوصالهم . وفي هذه السبيل أودى أميرهم زهير وصار ذلك سبب مجهل مصرعه واعتصم الرجال بتلك الأوعار الأشبة .

وأما السودان من رجاله زهير فإنهم غدروه^١ أول وهلة وعمدوا^٢ إلى خزانة سلاحه فنهبوا ، ونادوا بشعار صنهاجة ، وانقلبوا معهم ، ووضعوا السلاح فيهم ، وليست بالبدع من أفعالهم ، وكانوا قطعة خشنة يتقاربون الخمسمائة ، وكان زهير يعدهم للنائبة ، فكانوا أول من أعان عليه . ولو لم مقام الأندلسيين بهذا المأزق وانهزموا ، فاصطلم عسكرهم . فنصر باديس^٢ ، وغنم رجال باديس من المال والخزائن والأسلحة والحلية والعُدَد والغلمان والخيام ما لا يُحاط به وصفاً ولا قيمة .

وظهر باديس^٣ في الموقعة على قوم^٤ من وجوه رجال زهير ، فعجل على

١ ط : وجهل مصرعه ؛ وسودان زهير غدروه .

٢ - ٢ في ط : وانقلبوا مع صنهاجة ، وليست بالبدع من أفعالهم ، وكانوا قطعة خشنة يقاربون خمسمائة .

٣ ب م : والعدة .

٤ ب م : بقوم .

الفرسان والقواد بالقتل، فكان ذلك من أكبر ما صنعه لخلاف الوجه في قتال أهل القبلة. واشتمل الأسارى على حملة الأقالم جميعاً، وفيهم وزيره التياه المستكبر المعجب أبو جعفر أحمد بن عباس، الجار لهذه الحادثة : قِيدَ إلى باديس، وصدره وصدور أصحابه تغلي^١ عليه بما أوقد من هذه النائرة، فأمر بحبسه ليستخرج منه مالا، وشفأؤه الولوغ في دمه، وعجلَ عليه إلى مديدة، وحلت به الفاقة بعدد دون أصحابه من حملة الأقالم، فإن باديس عف^٢ عن دمائهم من بين أصحاب السيوف إلا مَنْ أُصيب منهم في الحرب^٣، وأما الأسرى كابن حزم وابن الباجي صاحب الرسائل وغيرهم فأطلقهم^٤.

قال ابن حيّان : أخبرني القُرشيّ المعروف بالقِطّ عن شيخ من شيوخ صنهاجة يسمى بُلُقَيْن^٥ قال : سرتُ والله ليلة الواقعة إلى الرقيع ابن عباس مستنزلاً له عما كان صاحبه الجاهل زهير تهادى فيه من قطيعة باديس صاحبنا^٦، وعدلته وألطفته وقلت له : اتقِ الله فإنما هذا منك ، وصاحبك منقاد إليك ، وقد تعرفنا البركة في تألفنا ، وقد رببنا به مثل هذه النعمة التي كثر عليها حسّادنا، فاستدم بنا ما نحن فيه من الاتفاق، ولا تُعنق إلى الفتنة، فيزول أكثر ما تراه . ما الذي غرّكم من موالة ابن عبد الله

١ ب م : تُلغى .

٢ ط : عف باديس عن . . .

٣ ب م : المعركة .

٤ ط : وأطلق ابن حزم والباجي وغيرهما .

٥ ط : عن بلقين الصنهاجي .

٦ ب م : مستنزلاً عما أزعج عليه صاحبه . . . من قطيعتنا .

حتّى تقاطعوناً^١ في رضاه ؟ فأجيبوا هذا الفتى أميرنا فيما دعاكم إليه^٢ من الألفة . فجعل يستجھلني ، ويحبب جواب المتبوع للتابع ، وأنا أرفقُ به بعد أن قبِلْتُ وجهه ، واستعبرت رقّةً لاستلانتَه ، فلم يزدد بذلك إلا قسوةً ، وقال : دَعِ القعاقع فليست تهولنا ، وكلامي لك الليلة مثلُ كلامي لك أمس ، والله لا نزلتم إلّا على رضانا ، وإلّا أعقبكم على ذلك ندامة ؛ فأحفظني كلامه وقلت : يا هذا < أبهذا > أرجع إلى الجماعة ؟ قال : نعم وأشد منه . فانصرفت إلى أميرنا باديس ومن معه من المشيخة ، وإن دموعي لتتحدّر على وجهي غضباً ، فلما رأوا ما بي ابتدروا سؤالي ، فخبّرتهم وقلت : يا صنهاجة ، هذه إحدى الكبر ، قوموا لدفاعها بقوة وإلّا فليست داركم ! فالتظّت الجماعة ، وسعّر بلقين ابن حبوس نار أخيه باديس ، فحمي الوطيس ، وكان أحرص منه على الحرب ، فهيأنا لها ، وصبّحنا القوم على تعبئة محكمة ، فما زالت الشمس إلّا وهم جَزَرَ مذبّحة ، ومغويهم ابن عباس بدنة مشعرة .

وكان سبب نجاة القائد ابن شبيب من يدي باديس ، وقد أسر ذلك اليوم ، أن نظر إلى ابن عباس وهو يقاد إلى باديس أسيراً ، فلم يمنعه هول مقامه أن صاح : حاجب ! أسألك بالذي نصرك ألا يفلتك هذا المأبون الزاري بالخليفة ! فوالله ما جنّ كلّ هذا غيره ، فليتنّ عاينتُ حتفه ولا أبالي القتل بعده . فتبسم باديس لقومه وعرف صدقه ، وأمر بإطلاقه .

وحكى أحمد القيسي متقبّل السكة بالمرية أن مهلك زهير وأصحابه كان

١ ب م : تسخطونا .

٢ ب م : إل ما دعاكم إليه .

بقدر الله على يدي أحمد بن عباس وزيره المدبر لسلطانه ، إذ كان في باطنه فاسد الضمير عليه ، حريصاً على إيرايطه والحصول على المرية مكانه ، إذ كانت دار والده عباس وحوزته ، وأهلها صنائعه وخوله ، وجندها ترييته ، فهو يرى أن مهلكه ترائه ، ويحرص على زواله .

وحدثت^١ أن باديس لما تقدّم تلك الليلة بجبس الأوعار أشعر بذلك زهير ، وقال له بعض أصحابه : أطيعني وقتلني عارها ، وهون على نفسك هذا الخرق ، وخلّ عنها ، وتقدّم إلى قوادك الليلة في الارتحال معك سرّاً ، واتخذ الليل جملاً ، فلعلّك تجاوز هذه الأوعار فتخرج من الورطة ، فإنّ القوم متى تبعوك فيها دخلوا من التّغير فيما خرجت عنه ، وتها لك العطف عليهم بمجال فسيح يمكنك القتال فيه والتعلّق ببعض حصونك . وأكثر من ذلك حتى ردّ عليه أحمد بن عباس قوله وقال : هذا وسواس أدخلك فيه الذّعر . فقال له : أثلثي تقول هذا يا أبا جعفر وأنا فارس [ابن فارس] ، نيفتُ على عشرين وقعةً وأنت ما قرعتك قطّ وعرةً ؟ استعلم عاقبة أمرك . فأجلت الوقعة عن أسره^٢ ، وكان مناه الخلاص إلى المرية لينفرد بالإمارة .

وكان من جهله المأثور أن قال يومئذ للذين يحملونه إلى باديس : الله الله في حمولتي^٣ ! قولوا لأبي مناد باديس يحتاط عليها لا تنخرم ، فإنّ فيها قطعة دفاتر لا كفاء لها ! فضحك البرابر من جهله .

١ ب م : وبلغني .

٢ ب م : على أسر ابن عباس .

٣ ب م : حمولي .

٤ ب م : فيه .

ولما سقط إلى المريّة خبرُ زهير ملكوا بلدهم^١ ، وكاتبوا عبد العزيز بن أبي عامر ، فلحق بالمريّة ودخلها عفواً إثر الواقعة ، وذلك مُنسلخَ ذي القعدة سنة سبع وعشرين^٢ وأربعمائة ، وظفّر^٣ مَن تركه مولاه زهير وأصحابه الصّقل المصابين معه في هذه الواقعة على أموال عظيمة وأمتعة رفيعة تفوت الإحصاء والقيمة ، أمسى فيها عبد العزيز كخرقاء وجدت صوفاً ، فرطَ تبذير ، إلى مال كثير من العين أصابه بيت مال زهير من الوريق والذهب ، ووضع عبدُ العزيز كلّ ذلك غير موضعه ، فتضاعفت البليّة .

مقتل أحمد بن عباس

قال ابن حيّان : وكان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى ، وكان الرئيس أبو الحزم بن جهّور قد وجّهَ رسولاً إلى باديس شافعاً في جماعتهم ، مؤكداً في شأن أحمد بن عبّاس ، وكان^٤ أبعدهم من الخلاص . واعتذر في حبسهم ليمين مغلظة ، وشدّ صفاد أحمد ، ورغب عن الرغائب المبذولة فيه ، فاشتدّ البلاء بأحمد لفرط فزعه وثقل حديدته ، وامتناعه عن استيفاء الغذاء المقيم لجسمه ، وتألّمه من عقر القيد لظنوبه . وظل يستعطف باديس ويشهيه بكثرة ما بذل له من الأموال في فكّك نفسه ، وباديس يترجح في ذلك وقتاً ، وتأبى له قوة غضبه عليه إلاّ شفاء نفسه بقتله ، فأثر الشفاء

١ ب م : بلدتهم .

٢ ب م : تسع وعشرين .

٣ ب م : وظهر .

٤ - موضع العبارة في ط : فكان أبعدهم خلاصاً ، وأثر الشفاء من قتله على عظيم ما كان يعطى في فديته .

منه على عظيم ما كان يعطي في فديته ، وتولى قتله بنفسه [مع] أخيه بلقين
إغراقاً في العداوة وتحقيقاً في الأنفة . فانصرف يوماً من بعض ركباته مع
أخيه بلقين ، فلما توسطت الدار التي فيها أحمد بن عباس وقف فيها هو
وأخوه بلقين وصاحبه الخاصة علي بن القروي لا رابع لهم ، وأمر بإخراج
أحمد إليه ، فأقبل يرسف في قيوده حتى أقيم بين يديه ، فأقبل على سببه
وتبكيته بذنوبه ، وأحمد يُلطِّفُه ويسأله لإراحته ممّا هو فيه ، فقال له :
اليوم تستريح من هذا الألم وتنتقل إلى ما هو أشدّ ! وجعل يُراطينُ
أخاه بلقين بكلامه ، فبان لأحمد وجه الموت منه ، وجعل يكثر الضراعة
لباديس ويضعف له عدد المال ، فأثار غضبه وهزّ ميزرقتَه ، فأخرجها
من صدره ، فاستغاث الله عند ذلك - زعموا - وذكر أولاده^١ ، فاعتوره
أخوه بلقين بزرقات كثيرة كبّته لوجهه ، وشركهما ابن القروي
فمزقوه . وأمر باديس بحزّ رأسه ، وووري خارج القصر . وزعموا أن
القيد الذي بساقه عسر إخراجَه بعد موته على خازن باديس فرض قدميه
حتى ، انتزعه وهما القدمان الدّرمان والكعاب التي لم يخشن لها موطىء في
سالف الزمان . فمضى ابن عباس [بسبيله] ، رحمه الله ، على هذه السبيل ،
ولم تبك أرض عليه ، ولا قطّيع ذنّب عتر فيه .

وكان أحمد بن عباس كاتباً حسن الكتابة ، مليح الخطّ ، جيّد الخطابة^٢ ،
غزير الأدب ، قوي المعرفة ، شارعاً في الفقه ، مشاركاً في العلوم ، مقتبساً
للشعر من غير طبع فيه ، حاضر الجواب ، ذكيّ الخاطر ، جامعاً للأدوات

١ ب م : وذكر بأولاده .

٢ ب م : الخطاب .

الملوكيّة ، جميل الوجه ، حسن الخلقّة ، كلفاً بالأدب ^١ ، مؤثراً له على
سائر لذّاته ، جمّاعاً للدفاتر ، [مقتنياً للجيد منها] ، مغالياً فيها ، نفّاعاً
مَنْ خصّه بشيء منها ^٢ ، لا يُستخرج منه شيءٌ للؤمه إلاّ في سبيلها ، أثرى
كثيرٌ من الوراقين والتُّجار معه فيها ، حتّى جمع منها ما لم يكن عند ملك .
حكى ورّاقه ^٣ أنّه حصلها قبل مقتله بسنة ، فبلغت المجلدات في التحصيل
أربعمائة ألف ، وأما الدفاتر المحزومة فلم يقف على عددها لكثرتها .

وكان مع ذلك أغنى ملوك الأندلس ، ولا يُعلم ابنٌ ورث لأبيه ما ورثه
أحمد هذا ^٤ . زعم بعض مَنْ عرف أمره أن ماله العَيْنَ بلغ خمسمائة ألف
مثقال جَعْفَرِيّة ، سوى الفضة والآنية والحلية . وأما الأمتعة في المخازن والكسوة
والطيب والفرش فبحسب ذلك . ثمّ حاط هو تلك النعمة بالبخل الشديد
القبيح ، وحماها بالإمساك الصريح ، وأثلها بالاكْتِسَاب والترقيح ، حتّى
أضعفت أضعافاً ، ولم يوفقه الله فيها لبرٍّ مُزْلَفٍ إليه ، ولا لصنيعة مشكورة
منه ، بل كرّه الخلقَ فيه ^٥ بالكبر والعُجب ، والصِّلَف والتّيّه ، فطُمست
بذلك محاسنه ، ووضّحت مقابحه .

وحسبك ^٥ من جهله وعجبه أن عامل أهل قرطبة الذين فيهم منتماه ،
وهم بقية الناس ، أيام دخلها مع زهير صاحبه ، بأسوأ ما عنده ، فحجب ^٥
كبيرهم الشيخ أبا عمر ابن أبي عبّدة من غير عذر ، وما عُرِف عبّاسٌ

١ ب م : مسهما بالأدب .

٢ ط : خصه بها .

٣ ب م : ولا يعلم أب ورث ابناً مثلاً .

٤ ب م ط : له .

٥ ط : ومن عجه أنّه دخل قرطبة ومنها منتماه وهم بقية الناس فحجب .

أَبُوهُ إِلَّا بِخِدْمَةِ ابْنِ عَمِّهِ ، وَتَنْقُصَ أَدَبِيَّتَهُمْ أَبَا عَامِرٍ بِنِ شَهِيدٍ وَلَمْ يَكْ
 [يَحْسَن] مُسْتَمْلِياً لَهُ . ثُمَّ أَجْمَلَ وَصَفَ جَمَاعَتَهُمْ ، [وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُمْ] ،
 فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ بِقَرُوبَةٍ إِلَّا سَائِلًا أَوْ جَاهِلًا . وَهُوَ مَعَ تَنْقُصِهِ الْخَلِيقَةَ
 أَظْهَرَهَا نَقْصًا ، لَمْ يُنَافِسْ فِي مَكْرَمَةٍ وَلَا رَغْبٍ فِي إِسْدَاءِ مَنَّةٍ ، وَلَا لَذَّةَ
 بِنِعْمَةٍ شَاكِرٍ ، وَلَا هَشَّ لُثَامٍ حَامِدٍ ، وَلَا اسْتُخْرَجَ دَرَاهِمٌ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا
 فِي سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ ؛ فَأَسْمَنَ جَسْمَهُ ، وَهَزَلَ عِرْضَهُ ، وَأَشْبَعَ بَطْنَهُ ،
 وَأَجَاعَ ضَيْفَتَهُ ، يُمَسِّكُهُ عَلَى الْهُنُونِ ، وَيُعَلِّلُهُ بِالْأَمَلِ ،

* لَكِي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودٌ ٢ *

مَنْ رَجُلٌ كَانَ يَطُوفُ فِي مَقَاصِيرِهِ - زَعَمُوا - عَلَى خَمْسِمِائَةٍ مِنْ
 مُثَمَّنَاتِ الْقِيَانِ ، وَرَبَّمَا لَمْ يَكُنْ حَظُّ الْحَسَنَاءِ مِنْهُنَّ عَنْدهُ غَيْرَ لَدَغَةِ الْعَصَةِ ،
 ثُمَّ لَا يَعُودُ الدَّهْرَ إِلَيْهَا ، وَاتَّهَمَ عَلَى ذَلِكَ ٣ بَعَثَهُ الْخُلُوعَ لِلَّذِي شُهِرَ بِهِ مِنْ
 قَلَّةِ الْجَمَاعِ ، إِلَى بَخْلِ لَا كِفَاءَ لَهُ بِالْحُبْرِ فَمَا فَوْقَهُ ، يَحْمِلُ النَّاسُ عَنْهُ
 فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ شَائِعَةً ، مِنْ أَحْضَرَهَا مَا حَكَاهُ لِي الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ زَيْدُونَ ،
 عَنْ ابْنِ الْبَاجِي كَاتِبِ الرِّسَائِلِ قَالَ : دَعَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا مَعَ خَوَاصِّ
 أَصْحَابِهِ إِلَى دَارِهِ ، فَصَرْنَا فِي مَجْلِسٍ نَاهِيكَ بِهِ ، مُتَشَاكِلِ الْحُسْنِ ، فِي
 فُرُشِهِ وَسُتُورِهِ وَأَلَنَتِهِ وَأَتْنَتِهِ ، قَدْ صُفِّتْ ٤ فِيهِ فَوَاكِهُ غَرِيبَةٌ وَأَنْقَالَ
 مُلُوكِيَّةٌ عَلَى طَوْلِهِ ، مَا وَقَعَتْ عَيْنِي قَطُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا وَلَا أَغْرَبَ مِنْ أَجْنَاسِهَا ،

١ ب م : بِقَرُوبَتِكُمْ .

٢ صدره : جَوْعَانٌ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيَمْسِكُنِي .

٣ ط : لَذَّةُ .

٤ ب م : مُشَاكِلِ الْخُسْنِ .

٥ ب م : صُنِفَتْ .

ولا أنفس من أطباقها ، وقد غُطِّيَ جميعُها بمناديل شَرِبَ تَبِينُ صُورُهَا
 من تحتها فتَصَوَّرَ الأعين والقلوب إليها . فأخذ يلاعِبنا بالشَّطرنج التي كانت
 أغلب الشهوات عليه ، فاستغرق فيها ولها عن سائر ما أرادنا له ، ووصل
 اللَّعِبَ نهاره كلُّه وبعض ليلته ، لا يرفع رأسه ولا يدعو لنا بطعام ولا غيره ،
 إلى أن جعنا وألحنا عليه في الانصراف إلى منازلنا ، فبعد لأيٍ أذن لنا .
 فانصرفنا ولم نرزأهُ شيئاً مما كان أعدَّ لنا ، ولا اعتذر إلينا ، ولا مِنَّا
 إلَّا مَن أسِيَّ على ما حرَّمنا من نعيم ما بين يديه ، وتعجَّب من قِبحته
 وبخله واستخفافه بمن دعاه .

ومن صلف ابن عباس وعجبه^١ الذي صحبه إلى يوم محنته أنَّه لما قيدَ
 إلى باديس أسيراً فوقعت عينُه عليه ، بدأه أحمد بالابتسام وقال له :
 أبا مناد ! رأيت أيَّ كأسٍ أدركتها لك على هؤلاء الكلاب ؟ ! — يشير
 إلى الموالي العامريين — أريد أن تتقدَّم إلى حفظ دفاتري فإنها أهمُّ ما عليَّ .
 فتعجَّس له باديس وقال : أمكراً عند الموت يا ابن الفاعلة ؟ إيتاي تغالط !
 وأمر بتلِّه إلى محبسه . فعند ذلك عرف ما يُراد به ، ويثس من المغالطة
 في جُرمه .

قال أبو مروان : وبلغني أنَّ عبد العزيز بن أبي عامر سعى على دمه
 ودماء المأسورين معه من أصحاب زهير عند باديس ، لما حصل على المريَّة ،
 وخاف أن يتخلَّص فيكدِّرها عليه . وإن آكد ما أشخص به أبا الأحوص
 ابن صُمادح يومئذ لباديس خبر ابن عبَّاس ، فقتله انصراف ابن صُمادح عنه .

١ ط : ومن صلفه .

وحكي^١ خادم لباديس قال : رأيت جسد ابن عباس ثاني يوم قتل ،
ثم قال لي باديس : خذ رأسه ووارده مع جسده . فنشئت صداه^٢ وأضفتُه
إلى جسده بجانب^٣ قبر أبي الفتح قتيل باديس أيضاً . وقال لي : ضَعْ عدوّاً
إلى جنب عدوّ إلى يوم القيصاص .

وحكي أن باديس وبلقين أخاه إذ طَعَنَّا يومئذ أحمد بن عباس ما وقع
إلاّ عن سبع عشرة طعنة ، وإنه لباقي الذّماء طلق اللسان طامع في الحياة ،
فَعَجِبَا من قوة نفسه ، وكان الظن أن يلفظها لأوّل طعنة ، لفرط ترفهه
وغضارة جسمه ، فاغتاظ باديس عند ذلك وأمر بقطع جسمه .

وحُدِّثت من غير وجه أن ابن عبّاس كان قد أولع قبل محنته ببيت
من الشّعْر صيّرهُ هَجِيرَاه أوقات لعبه للشطرنج ، أو معنى يستريح له ،
مستطيلاً بجَدِّه ، ومكافياً بسعده ، فيقول :

عيون الحوادثِ عني نيام وهضمي على الدهر شيءٌ حرامٌ

وذاعَ بيته هذا في الناس وغازَهم حتى قلبَ له مصراعه الأخير بعض
الأدباءِ فقال «سَيُوقِظُنَا قَدَرٌ لَا يَنَامُ» . فما كان إلاّ «كَلَا» حتى
تنبّهت الحوادث لهضمه انتباهةً انتزعَتْ منه نخوته وعزّتَه ، وغادرته
أسيراً ذليلاً يرسف في وزن أربعين^٤ من قيده ، مترعجاً من عضّه لساقه
البُضّة ، التي طالما تألّمت من ضغطة جوربه — غبّ يومٍ أصبح فيه أميراً

١ انظر الاحاطة ١ : ٢٧٠ .

٢ ب م : عن صداه ؛ الاحاطة : فنشئت قبره .

٣ ط : بحيث .

٤ الاحاطة (٢٦٩) : أربعين رطلا .

مُطَاعاً ، أَعَى خَلَقَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَمَنَهُمْ لِمَكْرِ رَبِّهِ ؛ فَأَخَذَهُ أَخَذَ مَلِكٌ
مُقْتَدِرٌ ، وَسَلَبَهُ نِعْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا كُفُؤاً ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وَحَكِي^١ عَنْهُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ سَفَرِهِ مَنَزَلاً ، وَاسْتَدْعَى مَاءً لِنُغْسِلَ
رِجْلَيْهِ ، لِإِثْرِ خَلْعِهِ لِحُفْصَيْهِ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَبُّ الْمَنْزِلِ الْمَاءَ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةٌ
أَسْمَاطٌ ، فَمَرَّ أَسْفَلَهَا بِقَدَمِ أَحْمَدَ فَتَأَلَّمَ وَتَأَوَّهَ لِحُرُوشَتِهَا ، وَكَأَنَّ شَيْئاً لَدَغَهُ ،
[تَمَاجُناً] ، وَقَالَ : أَبْعِدْ يَا هَذَا فَقَدْ بَرَدَتْ رِجْلِي بِجَبَّتِكَ ، إِنَّمَا هِيَ
اسْكَلْفَاجٌ وَلَيْسَتْ بِسَاجٍ ! فَخَجَلَ الرَّجُلُ وَأَخَذَ فِي طَرَفٍ مِنَ الْإِعْتِدَارِ .

وَأَخْبَارُهُ فِي الْكِبَرِ غَرِيبَةٌ شَائِعَةٌ جَدًّا .

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو عَامِرٍ ابْنُ التَّائِكِرْنِيِّ^٢ : يَا سَيِّدِي ، وَأَجَلٌ عُدَدِي ،
وَذَخِيرَةُ الْإِيَّامِ عِنْدِي ، وَفَائِدَتُهَا الْعِظْمَى بِيَدِي ، الَّذِي أُسْتَنْدُ^٣ إِلَى فَضْلِهِ ،
وَأُسْتَظِلُّ^٤ مِنْ هَوَاجِرِ النُّوَابِثِ بِظِلِّهِ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ لِلْأَيَّامِ مَقْرَعًا ،
وَاللَّخَائِفِينَ مَقْرَعًا ، أَحْمَدَ مَسْعَاهُ ، مَنْ كُنْتَ مِنْتَاهُ ، وَحَمْدُ سُرَاهُ ، مَنْ
كَانَ مِنْ ضِيَائِكَ سَنَاهُ ؛ وَقَادَ النَّجَاحَ بِرِمَّتِهِ ، مَنْ سَمَا إِلَيْكَ بِهِمَّتِهِ ، وَقَرُبَ
مَنَالُ الْجُوزَاءِ ، عَلَى مَنْ أَمْتَطَى إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَأَخْصَبَ رَائِدُ مَنْ وَجَدَكَ ،
وَأَعَذَبَ وَارِدُ مَنْ وَرَدَكَ وَاعْتَمَدَكَ . وَأَتَتْ الْخَيْرَاتُ شَفْعًا مَنْ
كَانَ إِلَيْكَ شَافِعًا ، وَلَمْ يَعْدَمْ مِنَ الصَّالِحَاتِ نَفْعًا مَنْ كَانَ عِنْدَكَ نَافِعًا ،
لَأَنَّ اللَّهَ أَحْلَكَ مِنْ حَوْضِ الْمَجْدِ < فِي > عَقْرِهِ ، وَجَمَعَ لَكَ بَيْنَ رَوْضِ

١ ورد هذا الخبر مقدمًا في ب م على سابقه .

٢ لم ترد هذه الرسالة في ط ؛ ويبدو أنها مقحمة ، وأن سياق الترجمة ينتهي نهايته الطبيعية قبلها ؛

وترجمة أبي عامر التائكرني في القمم الثالث من الذخيرة : ٢٢٦ .

٣ ب : أسند .

الحمد ومطّره ؛ وجريّت من المكارم في مضمار طالما أحرزَ أبوك حصّله ،
وأويت من حفظ الدّمَم إلى جوارٍ شدّ ما عرف أولوك فضله ؛ والله تعالى
يزيدك من جزيل نِعَمه ، ولا يُخلّيك من جليل قسمه بحوله .

< وفلان جمع > إلى ذمام النَّسَب ذمام الأدب ، وأوى من تأميلك
إلى حيض حصين ، ومَتَّ من صحبة أهلك - رضي الله عنه - بالسبب
المتين ، وحقيقٌ على مثلك ممّن جمع أشتات الفضل ، واحتاز مكارم
القول والفعل ، أن يجمع بين شفاعتي والنجاح ، ويؤلّف بين حاله والصّلاح .
وفلان شاكر فضلك ، وراجي طوّلك ، ممّن يمتّ بوسائل ، ويُدني
بوسائل ، أنت المعين على رعيها ، والمؤيّد على حفظها ، وحاجته حاجتي
وإرادته إرادتي ، وشكّري لك على ما تُؤليه وتؤلّيني فيه ، شكرٌ يتضوّع
نسيمه ، ويأرج شميمه ؛ وهذه بكرة حوائجي فاجعل مهرها القبول ،
وأوّل شفاعتي فأوسعها فضلك الجزيل ، ورأيتك الجميل ، ناهجاً لأملِي
فيك السبيل ، وموضيحاً لرجائي لك الدليل ، إن شاء الله .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص عمر بن الشهيد وإيراد جملة مما انتخبته من نظمه ونثره^١

وأبو حفص هذا [في وقتنا] كان فارسَ النّظم والنّثر ، وأعجوبة
القيران والعصر ، ونهاية الخبر والخبر ؛ رقمَ برود الكلام ، ونظّمَ

١ ذكره الحميدي (الجذوة : ٢٨٣ والبغية رقم : ١١٦٥) ونسبه إلى تميم وقال إنه كثير
الشعر ، مقدم عند أمراء بلده ، وكان لقاءه له بالمرية في حدود سنة ٤٤٠ هـ ؛ وانظر نفع
الطيب ٣ : ٤١٣ ؛ وسترد رواية الحميدي هذه في ترجمته (انظر ص : ٦٩٠) وهي
رواية انفردت بها النسختان ب م .

عقودَ النثر والنظام . وهو وإن لم يترّر لِمَلَك ، ولم تندّر عليه رحي مُلْك ،
فليس بمُتأخّرٍ عن طبقات المحسنين ، ولا بسُكّيتِ حلّبات^١ الكتّاب المجيدين .
وقد أخرجت في هذا الفصل^٢ من بارع كلامه ، في نثره ونظامه ، ما
بشهدُ برسوخ أعلامه ، وشُهرة^٣ أيامه .

جملة من كلامه في أوصاف مختلفة

من ذلك رقعة خاطب بها بعض إخوانه يقول فيها : أبشّك أحدىّة
حجّبت تُضْحِك سِنِّكَ ، وتطبّق بالطيب وقتك^٤ ، فما زالت النوادر
مستغرّبة^٥ لاسيّما نوادر عِليةِ الكتّبة : وجّهتَ فلاناً إليّ بكتاب يخصّك
ما تَضَمَّنَه ، وكنتُ - علم الله - حين موافاته منزلي حليف ألم ، قد أطلتُ
عليه التملُّل ، وأسهرتني ليله^٥ الأطول ، وقد انفَصَّ عني مَنْ كان
معي رجاء غفوةٍ أَسْتَشْفِي بها ، وأسردُ بعض مُنْتَي بها . فقرع الباب
قرعاً مُنْكَراً يَتَبَيَّنُ الحَرَجَ فيه ، ويظهر الضَّجْرَ في تتاليه ؛ فتداخِلَ الخادم
رعباً وقالت : هو خطب ؛ ثمّ خرجتُ على تحامُل ، بروعةِ جَنَان ،
ولحَلْجَة لسان ، ومنطق جَبَان ؛ تنقل قدمها إليه على وَجَل :

* كما يَمَسُّ بظَهْرِ الحَيَّةِ الفَرِيقُ *

١ ب م : في حلّبات .

٢ ب م : الديوان .

٣ ط : بوضوح . . . وشهر .

٤ لعل الصواب : ردنك (وهي قراء نسخة دار الكتب) .

٥ ب م : ليلى .

ثم قالت : مَنْ الرجل ؟ فأغض رأسه نحوها وقبض على لحيته بيمينه ،
وأحدَّ النظر إليها وتنهَّد وقال : أوّاه على طُموس رسم الأدب !
وتمثل :

إني لأفتَحُ عيني ثم أُغْلِقُهَا على كثير ولكن لا أرى أحداً^١

ثم أقبل على الخادم وقال : يا لكعاء ، كسبت في ترفه^٢ العيش معرفة
الحلو والمر ، والحسن من اللين ، وفي كل ذلك لم تحفظي بيتاً واحداً من
الشعر يحسن به أدبك ويَحْجُرُكَ أن تقولي مَنْ الرجل ؟ أين أنت
يا لكعاء مِنْ قول أبي تمام^٣ :

بجميه لألأوه ولو ذَعَيْتُهُ من أن يُذالَ بمن أو ممّن الرَّجُلُ

ولكنك ما علمت ، حَرَجَةُ الصّدر ، قلبك فارغٌ إلاّ من الغفلة ،
ولحظاتك بليدة على التفصيل والجملة . أقسمُ لو أنك امرأة من الأزد ، أسد
الباس ومقاديم الناس ، لرأيت لألأة الأزدية في أسرةٍ وجهي ، ولولا
تحفّزي للأمر الذي وردتُ له ، لكان لي ولك خَطْبٌ^٤ ، ولأعطيتك قانوناً
في الفراسة والزّجر ، ونبذت إليك بعلم من علوم الدهر ، لا يلتبس عليك
معه الشّريف أيام عمرك . يا هذه قولي لربّ المنزل يتسرّرمُ لإنفاذ هذا
الكتاب . فقالت له الخادم : عافاك الله ، إنّه عليل ، ومن وصّبه ثقیل ،

١ البيت لدعبل في العقد ١ : ٢٨١ ، ٢ : ٢٩٥ ، ٣ : ٢١٤ وشرح الشريشي ١ : ٣٥١
وديوانه : ٥٧ (تحقيق محمد نجم) وروايته : حين أنتمها .

٢ ط : مؤنة .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ١٥ ، وفيه : أو اودعيت .

٤ ط : شأن .

وقد برَّح به السَّهر ، ولان لغفوته السَّمر ، ولا بدَّ من التَّخفيف عنه .
فجرَّجَرَ جَرَّجَرَةَ العَوْدِ الدَّبر ، وتزيَّد من الحرج والضَّجَر ، وقال :
بَسْلُ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَنْ نَقْرِي وَلَا نَخْلُق ، أو نَتَوَجَّهَ فِي أَمْرِ فَلَا
نُحَقِّق . يا هذه ، ليس هذا إيوان كسرى فنتزوَّد لاستخراج الحاجة به : المال
والصَّبْر والعقل ؛ ومن العَجَب وقوفي معك منذ اليوم أضرب لك الأمثال ،
وأصْرَفُ المقال ، وأنت لاهيةٌ عني ، لا يعينك أمري . أترين صاحبك
شَرِبَ من الخمر أقداحاً ، وسمع نوبات ^١ ، فلمَّا اعتدل مزاجه ، وتوارت
وجوهُ النوائب عنه ، قال للدهر ^٢ أدِرْ دوائرَكَ فَإِنِّي لَا أَعْبَأُ بِكَ ! ؟
قد علمتُ علته ؛ أقسم لو أنَّ به ألف علَّة ، تكون حياته من جميعها
مُخْتَلِةٌ ^٣ ، لينْبُذَنَّ هذا الكتاب . قالت له الخادم : ويحك ما أجفاك
مِنْ وافد الأزْد ! أين منك رِقَّة الحجاز وفصاحة نَجْد ؟ ما أقبَّح هذا العقوق ،
بمن شَرِبَ ماءَ العقيق ، وأسوأ هذا الأدب ، ممَّن ينتهي إلى ذؤابة العَرَب !
فقال : يا لكءاء ، إنك لتجادليني عن نَسَبِي ؟ وحياة ما نقلتُه من الخُطى ،
وتجشَّمتُه من البیداء ^٤ ، لينْبُذَنَّ هذا الكتاب ، أو لأشهدنَّ عليه بالعصيان
والتكاسل ، والتواني والتثاقل ؛ فمثلي لا يَرِدُ إِلَّا بِحَزْمٍ ، ولا يَصْدُرُ إِلَّا
عن فَضْلٍ . فقالت له الخادم : ما أسوأ تقديرك للأمور ! لئن كان مخموراً
خُماراً وَصَبَ ، فهؤلاء الشهود معهم شَرِبَ ، وعندهم طَرِبَ ، وصاحبُ
المدينة منه يَنْسَبُ ، وعلى صلة سَتَبُ ، فأين تذهب ؟ فشمخَ بأنفه ،

١ نوبات : جمع نوبة وهي الدورة الفنائية .

٢ قال للدهر : سقطت من ط .

٣ ط : مختلفة .

٤ ط : النداء ب : البدا (اقرأ : البذا) .

٥ ط : عليك .

وكسر من طَرَفه ، ومددَ الزَّفرة ، ورددَ التلْهف والحسرة ، ثم قال :
أف للدينيا فما تزال تعيننا بمثل هذه الهنات . فلما شدَّ على شِسْعِه للانصراف
أقبلَ على الخادم فقال :

قفي قبل التفَرُّقِ يا ضُباعا ولا يَكُ مَوْقِفٌ منك الوداعا^١

أما إنك لولا أن تكوني باهليَّة الضَّئِيءِ لعرفتُك . ولكن سأودع^٢
عندك أرجاً يدُلُّ على موقفي في هذه البُحْبُوحَة . أنا العتْكيُّ الحَسَب
والنَّسَب ، وذو الهمة والأدب ، فمن سألك فقولي ما شهدت ، وحدَّثني
عمَّا عاينت ، وما أراك تجدين ظاهراً تُقيمين به فرض الثناء عليَّ ؛ اذهبي
لا محفَوظة ولا مَكْلُوءة . ثم انحدر فما علمنا ما كان منه .

وله من مقامة حذف بعض فصولها لطولها

قال في صدرها : إنَّ صناعة^٣ الكتابة مِحنةٌ من المِحن ، ومهنة
من المهن ؛ والسعيدُ مَنْ خدمتْ دولةَ إقباله ، والشقيُّ مَنْ كانت رأسَ
ماله ، والعاقلُ مَنْ إذا أخرجها من مثالبه لم يُدخلها في مناقبه ، لاسيَّما
وقد تناولها [يد] كثيرٍ من السُّوق ، وباعوها بيع الخلق ؛ فسلبوها تاج
بهائها ، ورداءَ كبريائها ، وصيَّروها صناعةً يكاد الكريم لا يعيرها لحظَه ،
ولا يفرِّغُ في قلبها لفظه ؛ إذ الحظُّ أن يعثرَ الكرام إذا وَلَّى الأعلاج ،
وأن تستنَّج الآساد إذا استأسدت النَّعاج . غير أنَّه مَنْ وُسِّمَ بِسِمَتِها ،

١ البيت للقطامي ، ديوانه : ٣١ .

٢ ب م : سادع .

٣ ط : صنعة .

وظهر في وسمتها ، فغيرُ مجهول مكانه ، ولا مُسلّم له كتمانُه . وما عسى أن يصنع بلدي مكانة وحسب ، إذا اتفقَ يومُ سرور وطرب ؛ ورغب رغبةً كريم ، أن يُؤرّخَ له بمثور ومنظوم ؟ أقسمُ لو كان وجه الإنسان^١ في صفاقة نعله ، أو وقاحة جافر بغله ، لما وسّعه غير الإسعاف ، على حُكم الإنصاف وإلاّ لزمه اسم التبريد والجمود . وبهذا السبب دُفِعا إلى النصب فيما تسمعه ، وربما تستبدعه^٢ . ولئن مرت بك كلمات مُحاليات ، تنظمها سلوكُ هزليّات ، فانما هي أوصاف طابقت موصوفاتها ، وحلّى على أقدار مُحليّاتها . والبلغُ كالجوهريّ واجد التعب ، في نظم الدرّ أو المخشَب ، وكالصانع^٣ واجدُ العناء ، في سبك الصّقر أو الفضة البيضاء ، وكالعقاب واجد الانهواء ، على الصّقر أو المُكّاء . والعاقلُ من برزَ يومَ السرور في زيّ الأعياد ، ويوم الحزن في ثياب الحداد ؛ وسيان في الفجاجة والبرد ، من جدّ عند الهزل أو هزلَ عند الجُدّ . ولا أوضح في القياس ، من حركات النَّاس ، كحركاتِ الشُّموس والأقمار ، في الفلك الدوّار ، كلّمّا انتقلت في المنازل والبروج ، عدّت بالأسطرلاب والزّيج ، ووُقيف على حقائقها ، بثوانها ودقائقها ، محصورةً بالحدود ، في القريب والبعيد ، كحركات الفقيه ابن الحديد ، فإنّ أيامه على مناكب الأيّام أرديةُ شباب ، وفي مفارقتها تيجانُ نخوة وإعجاب .

وفي فصل منها: فدُونكها عذراء ، مُحجّلةٌ غراء ، كما رُفِعَ عنها سَجفُ الإبداع ، وأبرزت من كيناس الاختراع ؛ تنظر بعين الغزال رُوع ، وأويس

١ ط : وجه .

٢ ط : تستبدعه .

٣ ط : وكالصانع .

بعدما أطمع . نعم ، اتَّفَقَ من الربيع^١ وقتُ حلول الشمس في الحَمَل ، وقام وزنُ الزمان واعتدل ، وأخذَ آذارُ على ما اعتاد ، فحلَّتْ الوهاد والنَّجاد^٢ ، وخلع على ظهور المروج ، ضروب الدبابيج^٣ ، وأثقلَ صدورَ الأشجار ، بحلَى النُّوَّار ، واطَّيَّ نفوس الأطيَّار ، بنضارة الثَّمار ، فبهتت أشجانها ، تُرجِع ألحانها ، فما شئتَ من رُمان تملأ^٤ ؛ كفَّ العميد ، من أمثال النُّهود ، تحت القلائد والعقود ، وتفتق عن أمثال الجمر ، إن وصُفَّت فكاللَّثَّات الحُمْر^٥ أو ارتُشِفَتْ فكالرُّضاب الخَصِرِ أو الحُمْر . ولما انتظمت للزَّمان هذه المحاسن ، حنَّتْ نفسُ الفقيه بسيادتها ، إلى كَرَم عاداتها ، من الإحسان إلى الاتِّباع ، والتسليّة لنفوس الأُلُف والأشياء ، فلمَّا صَعِقُ^٥ الديكُ وصاح^٦ ، واستغفر كلُّ عبد مُنيب ربَّهُ وسَبَّح ، وهَمَّ بشنُّ الغارة كمينُ الصبح من المشرق ، واهتزَّ الفجرُ اهتزاز الرُّمَح في يمين الأفق ، أطلقَ لسانه الفصيح ، بالتَّهليل والتَّسبيح ، ثم دعا بماءٍ طَهُور ، وأفرغه نُوراً على نُور ، فوضأً وجهاً وضأً ، يملأ العيون بهجةً وسناء .

وفي فصل منها : وملنا إلى منزل بدويّ ، ذي هيئةٍ وزيّ :

١ ب م : البديع .

٢ ب م : الأوهاد والأنجاد .

٣ ب م : الدبابج .

٤ ط : تملأ .

٥ صقق : أتى بصوت شديد ، والأشهر أن يقال في حال الديك «صقق» ؛ وفي ب م : صفق، وهي قراءة جيدة، وسيكرر الكاتب «صفق وصرخ» في المقامة الآتية في حديثه عن الديك.

٦ ط : وصرخ .

له منزل " رَحْبُ عَرِيضٌ مُزْرَبٌ " بأعوادٍ بَلُوطٍ وَطَوْجٍ مُفْتَلٍ^١
 « تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِي عَرَصَاتِهِ وَبِعَانِهِ كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلْفُلٌ »

فهشّ وبشّ ، وكنسَ منزله ورشّ ، وصيّرَ عياله إلى ناحية ، وجمع
 أطفاله في زاوية ، وجعلَ يدورُ كالخُدُرُوفِ أمامَ الصُّفوفِ ، يتلقّى الواحد
 منا بعد الواحد ، يأخذُ بركابه ، ويكشرُ عن نابه ، ويتمثل :

أَخْذِي كَذَا بَرَكَابِ الضَّيْفِ أَنْزِلُهُ^٢ أَلْذُّ عِنْدِي مِنَ الْإِسْفَنْجِ^٣ بِالْعَسَلِ
 أَوْ مِنْ رَعَائِفِ كَانُونِ مُلْهَوِجَةٍ أَوْ رَائِبِ بَقَرِيٍّ جَيِّدِ الْعَمَلِ
 أَوْ مِنْ خَوَارِ عَجُولٍ فِي مَسَارِحِهَا أَوْ مِنْ رُكُوبِ الْحَمِيرِ الْفَرِهِ فِي الْكَفَلِ

ثم مال بنا إلى بيت مُكْنَسٍ ، مُنَوَّعٍ مُجَنَّسٍ ، قد جلَّلهُ حُصْرًا
 بَلَدِيَّةٍ ، وَغَشَاهُ بُسْطًا بَدَوِيَّةً ، ومدَّ فيه شرائطَ وَحِبَالًا ، كَأَنَّهُ يريد
 أَنْ يُخْرِجَ خِيَالًا^٤ ، وَعَاقَى مِنْهَا غَلَائِلَ وَمُلَاءَاتَ ، وَهَمَائِينَ وَسَرَاوِيلَاتَ ،
 وَكَمْ شَتَّى مِنْ خَرِيقٍ مُعْصِفَرَةٍ ، وَعَصَائِبَ مُزْعَفَرَةٍ ، حَتَّى الْمَقْنَعَةَ وَالْحِمَارَ ،
 وَالِدَّلَالَ الْمُسْتَعَارَ ؛ وَقَدْ اتَّخَذَ فِي الْحَائِطِ كُتُوبًا وَثَانِيَةً ، وَمَلَأَهَا حَقَاقًا
 وَآثِيَةً ، وَأَوْدَعَهَا مِنْ عَتَادِ الْعُرُوسِ فَاخِرَةٍ ، وَمِنْ طَيِّبِ الْبَادِيَةِ أَوَّلَةٍ وَآخِرَةٍ ،
 مِثْلَ حِرَاقَةِ الْوَرْدِ بِالْبَيَانِ ، وَعَصَارَةِ الْعَصْفَرِ بِالزَّعْفَرَانِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الْأَثْمَدِ
 وَالْأَسْفِيذَاجِ^٥ ، وَمِرَاوِدِ الزَّجَاجِ ، وَحَبَاتِ الْمِصْطَكِيِّ وَاللَّبَانِ ، وَغِبَارِ الْعَفْصِ
 وَقَشُورِ الرَّمَانِ ، وَكَثِيرٍ مِنْ سَنُونِ ذَلِكَ الْمَكَانِ . فَقُلْتُ : يَا صَاحِبَ الْمَنْزَلِ ،

١ مزرب : محاط بزرائب أو أسوجة ؛ الطوج : الخلفاء (Spartum) .

٢ الاسفنج : عجين لدن راب بالتخمير ، يلقى في الزيت ويعرك بالبيض ثم يحشى بالجوز أو
 ما أشبه (شبيه بالمقطائف المشرقية) انظر كتاب الطبخ : ٨٨ .

٣ أغلب الظن أن اللفظة هنا تعني «خيال الظل» .

٤ ب م : والاسميدام .

هَثَّتْ وَهْنَيْتَ ، لقد أُوتِيتَ وَأُوتِيتَ ، وَجَعَلْتُ أَرْقُقُ عَنْ صَبُوحٍ ١ ،
وأقول :

* متى كان الخيامُ بذي طُلُوحٍ ٢ *

من أين للبداوة ، بهذا الرَوْنَقِ والطلاوة ، وكيف حتى أغرَّتْ على
حانُوتِ العطار ، ومتى نُقِلَ سوق البَزِّ إلى هذه الدار ؟ لقد قرَّتْ بك
الأعين ، وسُرَّتْ الأنفس . هذا زيُّ العروس فأين العُرس ؟ فضحك
البدويُّ ملء فيه ، وتوسَّمتُ الازدراء فيه ، وأنشد :

يا أخي نحن على أنَّ ٣١ نَتَّاجٌ بَدَوِيٌّ
سادةٌ ناسٌ لنا في هذه الدنيا دَوِيٌّ
عندنا إنْ جاءَ ضَيْفٌ شَبَعٌ جَمٌّ وريٌّ
وسريرٌ حَشْوُهُ رِيٌّ شُ الفَرَارِيجِ وَطِيٌّ
وكراماتٌ كثيرًا تٌ وهيثاتٌ وزيٌّ

ثمَّ قام من مكانه ، ودعا بصبيانَه ، وأغراهم بديك له هَرِمَ ، لِيَذْبَحَهُ
في طاعة الكَرَمِ ٤ . فأَجْرَوْهُ لَأُمِّهِمُ الهاوية ، من زاوية إلى زاوية ، حتى
سقط الديكُ سقوط طَلِيحٍ ، جسمًا بلا روح ، فأقبلوا إليه ، متهافتين ٥
عليه ، وهو يضطرب اضطراب المَخْنُوق ، ويستغيث بالخالق والمخلوق .

١ من المثل : « أعن صبوح ترقق » (فصل المقال : ٧٥ والميداني ١ : ٣١٥ والمسكري
١ : ١٦) يضرب مثلاً لمن كفى عن شيء وهو يريد غيره .

٢ صدر بيت ، وعجزه : « سقيت النيث أيتها الخيام » ، ديوان جرير : ٢٧٨ .

٣ ب م : وإن كذا .

٤ ب م : واهتز هزة هزم للكرم .

٥ ب م : يتهافتون .

وَاتَّفَقَ لَفْطَ حَنَقِهِ ، وَمُؤَلَّم تَقَلُّقِهِ ، أَنْ عَضَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ ^١ عَضَّةً ،
وَانْتَفَضَ مِنْهُمْ نَفْضَةً ، وَصَعَدَ فِي بَعْضِ الْجَوَائِزِ ^٢ ، وَحَمَدَ اللَّهَ حَمْدَ
الْفَائِزِ ، وَتَمَثَّلَ :

إِذَا غَرِقَتْ بِبَحْرِ مِنَ الرَّدَى فَيَاضِـ
فَلَا يَكُنْ بِهَلَاكِكَ عَلَيْكَ ظَنُّكَ قَاضِـ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ ^٣ سَيْفُ الْمَنِيَةِ مَاضِـ

وَحَانَ وَقْتُ الظُّهَيْرَةِ ، فَصَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ ثِنْتَيْنِ ، وَصَرَخَ صَرَخَتَيْنِ ،
وَاقْتَدَى بِهِ الْمُؤَذِّنُونَ ، وَتَجَمَّهَرُ الْمُؤَذِّنُونَ ، حَتَّى إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ اسْتَصْرَخَهُمْ
فَأَصْرَخُوهُ ، وَتَوَاتَبَتْ إِلَيْهِ السَّادَةُ وَالْوُجُوهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الدَّيْلُكُ : أَيُّهَا السَّادَةُ
الْمُلُوكُ ، فَيَكُمُ الشَّابُّ مُتَّعٌ بِالشَّبَابِ ، وَالْأَشْيَبُ نَوَّرَ شَيْبُهُ مَعَ الْكُوعِابِ
وَالْأَتْرَابِ ؛ وَقَدْ صَحَّحْتُمْ مَدَّةً ، وَسَبَّحْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى رُؤُوسِكُمْ مَرَارًا
عَدَّةً ، أَوْقَفْتُكُمْ بِالسَّحَارِ ، وَأُؤَذِّنُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَقَدْ أَحْسَنْتُ لِدَجَاجِكُمْ
سَفَادًا ، وَرَبَّيْتُ لَكُمْ مِنَ الْفَرَارِيجِ أَعْدَادًا ؛ فَالآنَ حِينَ بَلِي فِي خِدْمَتِكُمْ تَاجِي ،
أُنْعَى إِلَى دَجَاجِي ، وَتُنْحَى الشُّفْرَةُ عَلَى أَوْدَاجِي ؟ ! وَحِينَ أَدْرِكُنِي الشَّيْخُ ،
يُحْزَقُ لِحْمِي وَيُطْبَخُ ؟ يَا لِلْكَرَامِ ، مِنْ ذُلِّ هَذَا الْمَقَامِ ! وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ
تَسْفَحُ مِنْ دَمِهِ ، وَالْحُزْنُ يُطْبِقُ عَلَى فَمِهِ ؛ ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ، فَاجْتَمَعَتْ
الْبَدَاوَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إِلَيْهِ ، يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ ، وَيُخْلِصُونَ لَهُ فِي
الدَّعَاءِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ وَأَنْشَدَ :

١ ب م : أحدهم .

٢ الجوائز : جمع جائزة وهي خشبة السقف .

٣ ب م : حين .

٤ ط : والحرر .

عَلَامَ يُقْتَلُ شَيْخٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ بَرِيٌّ ؟
 مُحَقَّقٌ مُتَحَرِّجٌ مُوَحَّدٌ سُنِّيٌّ
 هَلْ نَصْرَ هَذَا كِتَابٌ أَوْ قَالَ هَذَا نَبِيٌّ
 لَا ذَنْبَ لِي غَيْرَ أَنْتِي مُؤَذِّنٌ بَدَوِيٌّ

فرقت له أنفسُ القوم ، وأقبلوا على صاحب المنزل باللوم ، فقال :
 وبحكم ، إن هذا الديك ذو فخذٍ وصُدْرَةٍ ، وقد أصابني عليه ضجرة ؛
 ولي في ذبحه سِرٌّ ، ولا بدَّ أن تُزَيِّنَ به قِدرٌ ، وتُضرمَ تحته النيران ،
 وبشبع من لحمه الضيفان^١ ؛ أما تروّنه قُرّةَ العين والقلوب ، سبيكة لُجين
 مُحْكَمَة التذهيب ؟ وتمثل :

ومن^٢ شيمتي مهما تزَيَّنَ منزلي بضيفٍ أن آقر به بأحسن ما عندي
 لو أن دمي خمرٌ لرويته به ولو صلحت كبدي شويت له كبدي
 بذلك أوصاني أبي مُذْ عقلتُه وقد كان أوصاهُ بذأ قبله جدّي

فقال الديك : لا أكذبُ ، الحقُّ طريقٌ مُستبين ، واتّباعه مُروءةٌ
 ودينٌ ؛ أما إنّه لعلّ خلُقٍ عظيم ، كريم ابن كريم ؛ غير أنّه لؤمٌ في
 أمرِي وأفرطٌ ، وغلطٌ ما شاء أن يغلط . أما علم أن هَرَمَات الديوك ،
 ليست من مطاعم الملوك ، وأنها بالأدوية ، أشبهُ منها بالأغذية ؟ ! وأقسمُ
 لو اتّخذتُ بُرْمَةً من فؤاد مهجور ، ووضعني من مثله على تنّور ، لا قضى
 بي حاجة ، ولا عَدِمَ مِنِّي نُموءٌ وفجاجة^٣ ؛ وإنَّ له في بَنِيّ ما لا يحده

١ ط : الصبيان .

٢ ب م : من .

٣ ب م : مجاجة .

في ، من طيب المشم ، ولذة المطعم ، والتوليد لأحمر ما يكون من الدم .
 وأنى كالفروج اسفيداجا ، لمن أراد أن يعدل مزاجاً ؟ فزكى
 قوله ، كل من حوله ، لم يألوه تعظيماً ، واتخذوه من ذلك اليوم حكيماً .
 وصرف البدوي من أطفاه ، ما أحسن به قيرى أضيافه ؛ وختم نوبة
 بيرة ، بالرغبة في بسط عُدِّره ، فسمعنا منه ، ورحلنا سحرأ عنه .

وفي فصل منها : ولم تزل الجياد تمعج بكلماتها ، والشمس تنتقل في
 درجاتها ؛ حتى أشرنا على غين كالدِّينار ، كأنما هُندست بالبركار ،
 ذات ماء ريان من الشنب والخصر ، وحصباء كالأسنان ذوات الأشر ؛
 وقد حف بها النبات حفيف الشارب بفم الأمرد ، وتزينت بخضرة كالمرأة
 الصقيلة طوقت بالزبرجد .

ومنها : فأصغيت فإذا بصوت ناقوس ، في دير قسيس ؛ وقرية
 آنة ، كلتها حانة ؛ دار البطريق ، وملعب الكاس والإبريق ؛ سائمتها
 الخنازير ، وحياضها المعاصير ، ومياها الأنبذة والخمور ؛ وشكلها
 مثلث مسطوح ، هندسته حواريو المسيح ؛ نباتها غصون من قدود ،
 تهتز في أوراق من برود ، وتثمر رماناً من نهود ، وتفاحاً من خدود ،
 وعقارب من أصداغ ، وأفاعي من أسورة وعقود ؛ وفيها مدام من رُصاب ،
 وسفأة من كواعب أتراب ، وغيد لمهوى قرط ، وارتجاج لكثيب في
 ميرط ؛ وجولان لنطاق ، وغصص للخلخال في ساق ، وحنث في ألفاظ ،
 ومواعيد بالحاظ ، وقلوب تكلف وتُشغف ، ونفوس تنشأ وأخرى

١ ب م : وأين .

٢ الاسفيداج : تفايا بيضاء ساذجة ، وهي إذا كانت من لحم الضأن تقطع قطعاً صغيرة وتخلط
 ببعض التوابل والاوز المقشر ، وتنضج على نار لينة (كتاب الطبخ : ٨٥) .

تَتَلَف . فلمّا أَكْثَرَ مَحَدَّثنا بِحَضْرَةِ الْفَقِيهِ ، مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ ، وَمِنْ هَذِهِ
 الْمَحَاسِنِ ، الْمُحَرِّكَاتِ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّوَائِكُنِ ، قَطَّبْنَا لَهُ وَجْهَ الْاِسْتِكْرَاهِ ،
 وَعَضَضْنَا لَهُ عَلَى الشِّفَاهِ . فَبَيْنَا نَخُنْ كَذَلِكَ نَكْثُرُ لَغَطاً ، وَنَرَى الْحُلُولَ
 بِالْمَسِيحِيِّينَ غَلَطاً ، إِذْ نَظَرْنَا إِلَى اطِّرَادِ صَفُوفٍ ، مِنْ أَعْطَافِ خَنْثَةٍ
 وَخَصُورِ هَيْفٍ ، وَشُمُوسٍ وَأَقْمَارٍ ، عَلَى أَفْلَاقِ جُيُوبٍ وَأَزْرَارٍ ؛ لَا سِوَى
 إِلَّا مِنْ مُقَلٍّ ، وَلَا دَرَقٍ إِلَّا مِنْ خَجَلٍ ، وَلَا عَارِضٍ إِلَّا مِنْ خَلْقٍ ،
 وَلَا صِنَاعَةٍ غَيْرِ تَخْلِيقٍ ، وَلَا اسْمٍ غَيْرِ عَاشِقٍ وَمَعشُوقٍ ؛ فَتَشَفَّعَ الْقَسِيسُ
 بِحَسَنِ خُدُودِهِمْ ، وَأَقْسَمَ بِنِعْمَةِ قُدُودِهِمْ ، إِلَّا أَجْزَأْتُمُ الْمُنَّةَ ، وَثَنَيْتُمُ
 الْأَعْيَنَةَ ، تَعْرِيجاً إِلَيْنَا ، وَتَحْكَمًا فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ عَلَيْنَا . فَكَرَمَتِ الشِّفَاعَةُ ،
 وَقَلْنَا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَجَلُّنَا جَوَّالَانَ الزَّنَانِيرِ ، عَلَى هَيْفِ الْخُصُورِ ،
 نَغْصُ بِمَا بَقِيَ مِنَ الطَّرِيقِ ، غَصَّ الدِّمَالِيجِ^١ بِخُدَالِ السُّوقِ ، حَتَّى وَافَيْنَا
 الْبَابَ ، وَأَنْخَنَّا الرِّكَابَ ، وَتَوَلَّيْ تَوَلَّيَ الْحُرِّ ، ضَرْوباً مِنَ الْبَيْرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَنَعَ بِالْدَنِّ
 وَجْهَ مَدَامِهِ ، تَقَنَّعَ الْوَرْدَ بِأَكَامِهِ ، وَقَضَّانَا مِنَ الْإِكْرَامِ نَافِلَةً وَفَرْضاً ،
 وَشَدَّدْنَا الْجِيَادَ عَنْهُ رَكْضاً ، وَسَرَّانَا حَتَّى رُفِعَ لَنَا فِي طَرِيقِنَا جُدُرٌ ، فَلِذَا
 كَنِيسَةٌ عَارِيَةُ الْأَطْلَالِ^٢ مِنَ الْجَمَالِ ، إِلَّا تَعَلَّيْتُ الْمَتَوَسِّمَ^٣ ، لِلتَّخْيِيلِ وَالتَّوَهُّمِ ،
 كَالثُّوبِ الْكَرِيمِ أَخْلَقَهُ ابْتَدَاهُ ، أَوْ كَخَدِّ الْأَمْرَدِ تَغَشَّاهُ سِبَالُهُ ، فَهَبْجِ
 ذِكْرًا ، وَأَجْدِّ^٤ فِكْرًا ، فَأَنْشَدْتُ :

وَكَنِيسَةٍ أَخَذَ الْبَلَى مِنْهَا كَمَا أَبْصَرْتَ فَيْثًا فِي مَغَارٍ يُنْهَبُ

١ ب م : غَصَصَ الدِّمَالِيجَ .

٢ ب م : الْأَطْلَالُ .

٣ ط : التَّوَسِّمُ .

٤ ط : وَأَحْدَ .

نَنَتْنَا عَلَيْنَا فِي السَّفَارَةِ نَفْحَةً
 أَهْوَى إِلَيْهَا بِالْمَطِيِّ تَخِيلُ^١
 فَتَوَاقَفَ الرُّكْبَانُ فِي عَرَاصَاتِهَا
 أَنَّى تَأْتَتْ لَابْنَ آدَمَ قَسْدَرَةً
 وَمِنْ آيٍ أَرْضٍ كَانَ رَائِعَ مَرْمَرٍ
 كَمْ صَادَ لِإِبْلِيسَ بِهَا مِنْ تَائِبٍ
 وَكَمْ ابْتَنَى الْقَيْسِيُّ فِيهَا مَنِيرًا
 سَقِيًّا لَهَا مِنْ دَارِ غَيٍّ لَمْ يَزَلْ
 كَلَّا وَمَا زَالَتْ نَجُومٌ مُدَامَةً
 بَشِ الْمُصَلَّى إِنْ أُرِدْتَ تَعَبْدًا
 مِنْ مَاءٍ كَرَمٍ كَانَ فِيهَا يُسْكَبُ
 مِنَّا بَرِيءٌ وَالْأَمَانِي تَكْذِبُ
 كُلُّ بِهَا مُتَحَيِّرٌ مُتَعَجِّبٌ
 حَتَّى اسْتَقَامَ وَتَمَّ ذَاكَ الْمَنْصِيبُ
 كَسَوَاعِدِ الْغَزْلَانِ فِيهَا يُجْلَبُ
 بِجِبَالِ أَلْقَى بَهَنَ تَرْهَبُ
 مِنْ جُؤْذِرٍ وَبَدَأَ عَلَيْهِ يَخْطُبُ
 فِيهَا كَرِيمٌ بِالْمَلَّاحِ مُعَدَّبُ
 فِيهَا بِأَفْوَاهِ النَّدَامَى تَغْرُبُ
 فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ نِعَمَ الْمَشْرَبُ

ثم أغلذنا سيرا ، وكأننا نُنفِرُ طيرا ؛ حتى نظرنا من السائمة تسرح
 في مروجها ، كالعداري تيمس في دبابيجها ؛ كلاً نصير ، وماء نمير ؛
 وما زلتُ أروى هناك بالرائب والميس^٢ ، حتى كاد كياني ينقلب إلى كيان
 التيس . ثم رحلنا وتذكرنا الطراد ، فمشت الجياد ، وتوالت آساد ،
 واستعدَّ بباز وكلاب ، فإذا بحر من برك^٣ ، يخرقه سفين من برك^٤ ،
 وفي السيور صقور إذا نظرت ، وليوث إذا جرّدت ، تنظر من أمثال
 الدنانير ، وتتخطّف بأشباه المهرقة الذكور ، فأرسلناها لإرسال سهام الأحداق ،
 إلى قلوب العشاق ، فلم نرَ إلّا ريشاً مخلوجاً ، وميسراً يُحسِن توديعاً ؛

١ ط : تخيل .

٢ الميس (أو الميعس) : مصالة اللبن (والميس المطبوع في (Brosat = Vocabulista) .

٣ البرك : جمع بركة ، طائر مائي صغير أبيض .

٤ التوديع : الفصل .

ووردنا ماءً في رقّة النسيم ، ولذاذة بنت الكروم ، فشربنا وطعمنا ،
وقرّينا سباع الفلاة ، ممّا فضل عن الكُماة ؛ ونقشتُ على مَرْمَرَةٍ بيضاء ،
ساعة وردنا ذلك الماء :

يا ربّ ماءٍ عازبٍ مَجّه	مُزَنٌ هزيمٌ الودقِ في سَبَسَبِ
زبرجد جالسه مَكْنُه	غشاء ديباجٍ من الطُّحْلُبِ
إن كان فيما قد مضى مَوْرَدًا	فللعطاشِ الأُسْدِ والأذُوبِ
باكرته مع كُلِّ ذي هِمّةٍ	لا يرتضي الأفلاكَ عن مركب
ولغَط الطَّيرِ بأرجائه	كلغَط الصَّبِيّةِ في المكتبِ
فانقَضَ من أيماننا كوكبٌ	ذو ناظرٍ أنورٍ من كوكبِ
مُكْحَلِّ الآماقِ ذو مِيسَرٍ	يسترزق الرّحمن من مِخْلَبِ
فاستشعر الطَّيرُ هروباً وهل	عن نازل المقدور من مَهْرَبِ
فصاد ما أوسعَ صحبي قِرى	وفاض في الأبعدِ والأقربِ
صَيْدٌ لعمري لم يعبه سوى	أنْ لم يكن نُقْلاً على مَشْرَبِ

ثمّ لم نزل نسري سُرى النجوم في الدياجي^١ ، إذ تلقّانا شاب كما
ذُهِبَ عقيق خدّيه ، ونمّ شاربُه بالتدكير عليه ، متقلّد حسامٍ كأنما
طُبِيع من لحظه لا من لفظه ، على جوادٍ ظمآن الأسافل كخصرّيه ،
ريّان الأعالي كردفيه ؛ تستعيد عيونُ البرّة من النظر إليه ، وتزدحم أطماع
الفَجَرَة حواليه :

ذو مقلةٍ شهلاء روميّةٍ	وذو لسانٍ عربيٍّ مُبِينِ
قلت وقد عيبَ بثليثه	مقالَ ذي رأيٍ وعقلٍ رصينِ
طلعتُه الدنيا و [يا] قلّما	يُجمع للإنسان ديناً ودينِ

١ ط : نسري النجد في الدياهيم .

فلمّا بلغنا ، قبلُ عُرْفِ جواده ، وعبراته تنسكب على نجاهه . قلنا : مالك لا أبالك ؟ فقال : مُنفلتٌ من السجن ، وأبقٌ من أهل الحصن ، وعائذٌ من ظلمات الغواية ، بنور الهداية ، ومن ذلّ عبادة الأوثان ، إلى عزّ عبادة الرَّحمن ؛ ولي خبر أريد أن أقصّه ، ويتمنّى^٢ الفقيه وفقه الله أن يسمع نصّه . فخرج إليه الإذن ، وقيل له ادنُ ؛ ففضى فرضَ التحية ونافلتها ، ثمّ قال : أيها الفقيه ، للأشياء غايات تنتهي إليها ، ومقادير تجري عليها ، أما والخلاق العليم ، والفاطر الحكيم ، الذي أسعد قوماً بالهداية وأثابهم عليها ، وأشقى آخرين بالضلالة وعذبهم بها ، لقد أنحلتني عبادة الطواغيت فعبدتُ الصليب وقرعتُ الناقوس ، وفعلتُ كلّ ما قرث به عينُ إبليس ؛ قدَرْتُ لم يكن ليخطئني ولا يتخطّاني ، إلى أن استنقذني ربّي وهداني ؛ وأنا أشهدُ أيّها الأَشهاد أن الله إلهٌ واحدٌ ، ليس له ولدٌ ولا والد ، كان ولم تكنِ الأكوان : لا^٣ أرضٌ ولا ماءٌ ولا دُخان ، مخترعُ الكلِّ ومُنشئُهُ ، ومُعِيدُهُ ومبدئه ، له المثلُّ الأعلى ، والأسماءُ الحسنى .

١ ط : بعز .

٢ ط : ويتمنى .

٣ ط : ولا .

ومما وجدت له من المدائح في المعتصم بن صمادح

له من قصيدة^١ :

لما دعيتك المكرّماتُ أجبتّها لا وانياً عنها ولا متثاقلا
فهزّزت من أسد الرجال قوادماً وهمتكت من بُردِ الظلامِ حياثلا
وسرّيت في القمر المنيرِ بمثله وجهاً وأعرافاً زكّت وشماثلا
ومنها في اجتماعه بصهره ابن مجاهد :

أبدى عليّ فرحةً بمحمد أبدت مسالك في الصفاء جلائلا
فلئن غدا بك للقلوب مُباهياً فلقد رأى ملكاً أغرّ حلائلا
سبّط اليدين^٢ كأنّ كلّ غمامة قد رُكبت في راحته أناملا
وأما وحقّك إنسه الحقّ الذي بدّ الحقوق مسامياً ومساجلا
لقد احتملنا في مغيبك لاجعاً أنحى على كبدٍ وأثقل كاهلا
ومنها :

تفديك أنفُسُنَا التي ألبستّها حُللاً من النعمى وكنّ عواطلا
كانت نَوَاكِ البحرَ يزخرُ موجه فالآن صار لنا إيابك ساحلا
لا عيشَ إلّا حيث أنت^٣ وإنّما تمضي ليالي العُمرِ بعدك باطلا
لا عَطَلْتُ منك الحياةُ فإنّها لولاك ما سرّرت لبيباً عاقلا

١ منها بيتان في النفع ٣ : ٤١٣ ، وذكر أنه استحسناها فقال للشراء : هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا ؟

٢ النفع : البنان .

٣ النفع : كنت .

وله من أخرى :

سقى كلُّ غيثٍ صادقِ البرقِ وابل
فروى غصوناً كالقدود تطلعت
خليلي عوجاً بي على الربعِ دارساً
ملاعِبَ كاساتٍ ونزْهةٍ أعيُنِ
وأحسنُ من رَوْضٍ تحلَّى بنورهِ
جوادٌ كأنَّ الأرضَ جمعاءَ راحةٍ
ليهنَّ تَجيباً أنَّها عندما اغتدتْ
تُكسِّدُ سوقَ الدَّرِّ فيكَ قصائدي
جللتَ فجلاً القولُ فيكَ وإنَّما
يُزيِّنُ شِعري أنَّه فيكَ سائرٌ

وله من أخرى وكان المعتصمُ قد هجر التَّبيذَ زمناً :

عسى دهرنا أن يكفَّ الخطوباً
وشتَّ حادثاتُ الليالي بها
وكم من ذِمَامٍ لها مثله
وأنت ابنَ مَعْنٍ على خِلقةٍ
ويجعلُ منكَ لكأسٍ نصيباً
فأعرَضْتَ عنها وكانت حبيباً
يحلُّ الحُقودَ ويثني القلوباً
تُقبلُ المُسيءَ وتمحو الذنوباً

وله فيه من أخرى :

هجر المدامَ وكان يَأْلَفُ وصلَّها
فاصْفَرَّتِ الأقداحُ من جَزَعٍ ولو
وتطلَّعَ السَّاقِي يَوْمُلاً عودَةً
مَلِكٌ جليلٌ في الملوكِ عظيمٌ
يَسْطَعْنَ لم يَأْرَجْ لهنَّ نسيمٌ
ليعودَ عهدُ الكرامِ كَرِيمٌ

١ ب م : تَجَل .

وله من أخرى :

لو خَيَّمُوا بِظِلَالِ الضَّالِّ والسَّمُرِ
لكن مَقِيلُهُمُ المَرْهُوبُ جَانِبُهُ
بَحِثْ لَا لِبَدٍّ إِلَّا فَوْقَهُ لِبَدٌ
وَأَيْنَ مَوْقِعُ شَكْوَى الصَّبِّ من زَرَدٍ
دُونَ الظَّبَاءِ ظُبًّا جَدًّا الصَّلِيلُ بِهَا
وَفِي المَوَادِجِ أَبْشَارٌ كَأَنَّهَا
مَلَكٌ لَهُ سَيْرٌ فِي المُلْكِ فَاضِلَةٌ
إِذَا أَنَامَلَهُ ضُمْتُ عَلَى قَلَمٍ

وقال من أخرى :

وَمِمَّا شَجَانِي فِي الغَصُونِ حَمَائِمُ
يُرْجَعْنَ أَلْحَانًا لَهْنٌ شَوَاجِيًا^١
سَقَى اللهُ أَيْكَأَ مَا يَزَالُ حَمَامُهُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ لِلدَّهْرِ بَاهِيَتْ نَجْمُهَا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الشَّمْسَ فِي الأفْقِ طَالِعًا
أَمْتَعْتُمْهَا بِاللَّهِ لُقِيَتْ عَصْمَةٌ
لَكَ المَثَلُ الأَعْلَى إِذَا ذُكِرَ النَّدى

وله أيضاً :

الْحَمْرُ مَوْصُوفَةٌ بِالمَجْدِ والشَّرَفِ
تُعَوِّضُ^٢ الخُلْفَ البَاقِي عَنِ السَّلَفِ

١ ب م : الحائِظَا ... سَوَاجِيًا .

٢ ب م : تَعَوِّد .

انظُرْ وبارِكْ على حاسٍ ومُعْتَصِرٍ
 كأنما كأسُها نجمٌ على فَلَاقٍ
 أَلْقَيْتُ في دَنِّهَا الدنيا بأجمعها
 ولا الأميرُ أبو يحيى بمُنْتَقِلٍ
 تخالَفَ النَّاسُ حتَّى في معارفهم
 كَمَنْتَ في الكونِ حتَّى لَحَتَ منه لنا
 فالدهرُ تحتَ صباحٍ غيرِ مُلْتَبِسٍ
 والطَّوْلُ منكَ به صَفْوٌ بلا كَدَرٍ
 مكارِمٌ لم تزلْ تُجْري لغايتها

وقال أيضاً :

فشربتها^١ كَيْلَ الفُؤادِ عَمِيداً
 خُتِمَتْ بَطِينَتِها وزَمَزَمَ حولها
 وتُنَوِّسَتْ فكأنَّ صَفَّ دنانِها
 وكأنَّما الحَمَارُ كَلَبُهُمْ وقد
 وكانَ ذا القرنينِ أفرغَ دونها
 صُهْبَاءُ أَلْبَسَهَا التَّوَرْدُ مَجْسِداً
 فإذا شَمَمَتْ فَمِيسَكَةٌ مَفْتُوقَةٌ
 وإذا طَعِمَتْ فَرِيقَ أَشْنَبٍ واضحٍ
 حُدَيْتٌ على خلقِ ابنِ مَعْنٍ فاغْتَدَتْ

ماذا تَوَلَّدَ بينَ القارِ والخَزَفِ
 وريحُها نَفَسٌ في روضةٍ أنْفِ
 فليس عن صرفِها قلبي بمُنْصَرَفٍ
 عن عادةِ البرِّ والإجمالِ واللُّطْفِ
 وليس في خُلُقِهِ خَلَقٌ بمُخْتَلَفٍ
 فردَ الجمالِ كَمونَ الدُّرِّ في الصَّدَفِ
 وتحتَ نَيْرٍ سَعْدٍ غيرِ مُنْكَسِفٍ
 والحكمُ منكَ به عَدْلٌ بلا جَنْفٍ
 كالسَّهمِ سَدَّ دَهْهُ الرَّامِي إلى الهدفِ

راحاً وكانت مَرَّةً عُنُقوداً
 قَسَّ وغادرَ بابَها مَسدوداً
 في الحانِ أصحابِ الرِّقَمِ رُقوداً
 ألقى ذِراعِيهِ وسَدَّ^٢ وصَيْداً
 سَدَّ آجَرِي قِطْرًا وسالَ حديدًا
 عَجَبًا وقلَّدَها الحِبابُ عقوداً
 وإذا لَحِظْتَ فبارقاً معقوداً
 شَفَّ المشوقَ تَجَنُّبًا وصُدوداً
 أَملاً وكترًا للسرورِ عتيداً

١ ب م : نشر بها (اقرأ : بشر بها) .

٢ ب م : وشد .

أخبرني الفقيه أبو بكر ابن الوزير الفقيه أبي محمد العربي عن الفقيه أبي عبد الله الحميدي قال : كان الوزير أبو حفص عمر بن الشهيد كثير الشعر ، متصرفاً في القول ، مقدّماً عند أمراء بلده ، وشاهدته في حدود الأربعين وأربعمائة بالمرية ، وكتبت من أشعاره طرفاً ، ومن شعره مما كتبه^١ :

في صُحبةِ النَّاسِ في ذا الدهر معتبرٌ لا عين يؤثرُ منها لا ولا أثرٌ
ليست تشيخٌ ولا يُزري بها هرمٌ لكنها في شبابِ السنِّ تختصرُ
إذا حبت بينهم أطفالٌ ودَّهمُ لم يتركِ البغي حابيهنَّ يثغرُ
كأنَّها شرَّ سامٍ على لهبٍ يغدو الحمدُ عليه حين ينتشرُ
كأنَّ ميثاقهم ميثاقُ غانيةٍ يُعطيك منها الرضى ما يسلب الضجرُ
فلا يغرنك من قولٍ طلاوتهُ فإنَّما هي نوَّارٌ ولا ثمرُ
لو يُنفقُ النَّاسُ ممَّا في قلوبهمُ في سوقِ دعوَاهمُ للصدقِ ماتجروا
لكنَّ فيها نقودَ القولِ جاريةٌ على مقاديرٍ ما يُقضى به^٢ وطرُ
يَقضي المَحْنُكُ أو يُقضى^٣ الحُنْكَتِ
تسابقُ النَّاسُ إعجاباً بأنفسهمُ وبين ذاك وهذا ينفدُ العُمُرُ
فللتسامي ضبابٌ في صدورهمُ إلى مدىِّ دونه الغاياتُ تنحسرُ
وما عدلُهمُ لكنَّ عذرتهمُ وللتكبرِ في آثافهمُ نُعرُ
فالجَهلُ ليس له سمعٌ ولا بصرُ فالجَهلُ ليس له سمعٌ ولا بصرُ

وبالسند المذكور عن الحميدي ، قال : ومما كتبت له أيضاً :

١ جاء في موضع هذه المقدمة في ط قوله : ومن شعره في الأوصاف ، له من قصيدة ؛ وانظر

الجلد ٢٨٣ .

٢ ط : بها .

٣ الجلود : يغضي . . . أو يغضي .

٤ ط : تنحصر .

تعلّم لحظك سفك الدماء وأنت تعلّمت ألاّ تدي
وليتك إذ كنت لي مُمرضاً رثيت فزرت مع العودِ
حنانك إن هلاك العبيد د ممّا يعودُ على السيّدِ
وما بيّ نفسي ولكنّي أشحّ بمثلِكَ أن يعتدي

وقال أيضاً^١ :

يا قومُ شدّوا المطيّ واسروا فإنّ رُوحِي بأرضِ قومِ
نام الخليّون واستراحوا ومنّ لعينِ الشّجي بنومِ
وطيبُ هذا النّسيم يُنبّي أنّي أراهُ غداةَ يومي

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد^٢
وإيراد جملة من أشعاره وما يتشبث بها من مستطرفات^٣ أخباره

قال ابن بسّام: وكان أبو عبد الله هذا شمسَ ظهيرةٍ ، وبحرَ خبيرةٍ

١ ليست هذه الأبيات من رواية الحميدي ، وقد وردت قبل الأبيات الرائية في ب م .
٢ ترجمته في المطمح : ٨٠ والتكملة : ٣٩٨ والمغرب ٢ : ١٤٣ والذيل والتكملة
٦ : ١٠ والاحاطة ٢ : ٢٥٠ والمحمّدون من الشعراء ٩٩ والحريرة ٢ : ٢٠٤
والسلفي : ١٧ والوائي ٢ : ٨٦ والفوات ٣ : ٢٨٣ والمسالك ١١ : ٤٠٠ والزرّكشي :
٢٦٢ ، وانظر ابن خلكان ٥ : ٤١ - ٤٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ؛ وأورد
ابن خلكان نسبه كالآتي: محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم ، وورد
في سائر المصادر محمد بن أحمد بن عثمان ؛ ووصفه ابن عبد الملك بأنه كان متقدماً في التعاليم
والفلسفة ، مبرزاً في فك المصى لا يكاد يدرك فيه شأوه ، وذكر ابن الأبار أن ديوانه
مدون على حروف المعجم ؛ وكانت وفاته في حدود ٤٨٠ بالمريّة .

وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة ؛ وضح في طريق المعارف وضوح^١
الصُّبح المتهلّل ، وضرب فيها بقدرح ابن مقبيل ؛ إلى جلالته مقطّع ،
وأصالة مترّج ، ترى العلمَ يَمُّ على أشعاره ، ويتبيّن في منازعه وآثاره ،
وله في العروض تأليف ، وتصنيف مشهور معروف ، مزج فيه بين
الأنحاء الموسيقية ، والآراء الخليلية^٢ ، وردّ فيه على السرقسطي المنبوز
بالحمار^٣ ، ونقض كلامه فيما تكلم عليه من الأشطار .

وأصل أبي عبد الله من وادي آش إلا أنه استوطن المريّة أكثر عمره ،
وفي بني صُمّادح معظم شعره ، ومع ذلك طُوّلبَ عندهم هنالك^٤ ؛
ولحق بثغر بني هُود ، وله فيهم أيضاً غير ما قصيد ، وهو القائل بعد
خروجه من المريّة من قطعة فلسفية^٥ :

لزمْتُ قناعتِي وقعدتُ عنهمُ فلستُ أرى الوزيرُ ولا الأميرا
وكنْتُ سَميرَ أشعاري سفاهاً فعدتُ لِفلسفيّاتي سَميرا

١ ب م : وضح .

٢ تأليفه في العروض هو « المستنبط في علم الأعارض المهملّة عند العرب » وله أيضاً « قيد
الأوابد وصيد الشوارد » وكتاب ثالث اسمه « الامتاع للخليل » ، وفي هذا الأخير رد
على السرقسطي المنبوز بالحمار واسمه سعيد بن فتحون ، وقد مرّ التعريف به (انظر الذيل
والتكملة : ١٠) .

٣ شرح ابن عبد الملك هذه المطالبة ، وذلك أن أخا ابن الحداد قتل رجلاً فقبض عليه ، ونالت
الشاعر بسببه مطالبة أخفى نفسه من أجلها حيناً ، ففصل إلى مرسية ونفذ منها إلى سرقسطة
سنة ٤٦١ .

٤ أقام ابن الحداد في كنف المقتدر أحمد بن هود مدة وامتدحه وامتدح ابنه الحاجب المؤمن
ثم عاد إلى المريّة سنة ٤٦٤ .

٥ انظر نفح الطيب ٣ : ٥٠٢ .

وكان أبو عبد الله قد مُنيَ في صباه بصبيّةٍ نصرانيّةٍ ، ذهبتْ بلُبه كلَّ
مَدْحَبٍ ، وركبَ إليها أصعبَ مَرَكَبٍ ، فصرفَ نحوها وجهَ رضاه ،
وحكمها في رأيهِ وهواه ؛ وكان يُسمّيها « نُوَيْرَة » كما فعله الشعراءُ
الظُرَفاءُ قديماً في الكنايةِ عمَّنْ أحبُّوه ، وتغيّرَ اسمُ مَنْ عَلِقُوهُ .

وقد كتبتُ في هذا الفصلِ بعضَ ما قال فيها من مُلَحِّهِ ، ورائقِ
أوصافهِ ومِدَحِهِ ، وسائرِ شعرهِ بعد تقديمِ فصولٍ من نثرهِ ، ما يُقِرُّ
بِتَفَضُّلِهِ ، ويشهدُ له بِجُمْلَةِ الإحسانِ وتفصيلهِ .

جملة من نثره

فصل له من جواب عن كتاب عتاب استفتحته^١ من قول أبي الطيّب^٢ :

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ ما يَعتادُهُ من تَوَهُّمٍ
وعادى مُحِبِّهِ بِقولِ عُدَاتِهِ وَأَصْبَحَ في ليلٍ من الشكِّ^٣ مُظْلَم

لما كان — أعزَّكَ اللهُ — العتابُ ؛ جلاءَ الأقداء ، وصِقَالَ الأصدقاء ،
وعِقَالَ الأدواء^٤ ، وَسَمَنِي منه بوسُومٍ ، وَلَفَحَتَنِي بِسَمُومٍ ؛ وأَسْرَرَتِ
حَسَنُوا في ارتِقاء ، فأدْرَجَتِ^٥ ذمّاً في ثناء ؛ والحرُّ يأنفُ من الضَّيِّمِ ،

١ ب م : افتتحه بقول .

٢ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٣ ب م : قطع من الليل .

٤ ط : الكتاب .

٥ ب م : الأوداء .

٦ ب م : فأدججت .

ويشتمز^١ من الذئم ، ولا يقتصر^٢ على الاجتزاء^٣ بغير الجزاء ؛ ولو تُركَ القطا ليلاً^٤ لنام^٥ ، « وفي العتاب حياة^٦ بين أقوام^٧ » . فاصطبر^٨ لشرب صبره ، وانتدب^٩ لتسوغ^{١٠} مقره ، فمن الحكم العدل ، والقضاء الفصل ، أن^{١١} ألدغك^{١٢} بما لدغتي ، وأجرعك^{١٣} ما جرعتني ، غير آفك^{١٤} في حال ، ولا مباحيت^{١٥} بمحال ، فالتمويه^{١٦} ليس من الخلق النبیه ؛ والحر^{١٧} على ماساء^{١٨} يصير^{١٩} ، وكل^{٢٠} مجر بالخلاء^{٢١} يسر^{٢٢} ؛ والفضل لمن حواه^{٢٣} ، لا لمن زحرف^{٢٤} دعواه ، وتحقيق البرهان غير تنميق البيان ، والسؤدد^{٢٥} في محاسن الخلال والفعال ، لا في إمكان الزمان وإقبال السلطان ، وقيمة كل^{٢٦} امرئ ما يحسن^{٢٧} : أمثال^{٢٨} أضربها لك^{٢٩} واضحة المناهج ، ومقدمات^{٣٠} أنشئها معك صادقة النتائج ، وجمل^{٣١} تشتمل^{٣٢} على تفصيل حالينا ، ونبد^{٣٣} تشير^{٣٤} إلى ما فيه جرّينا .

وقد دهمني عتابك وإجلابك^١ ، بريح تعصف^٢ ، ورعد^٣ ينعصف^٤ ، واستقبلي^٥ خطابك^٦ وإطنابك^٧ ، بوبل^٨ يخشف^٩ ، وسيل^{١٠} ينسف^{١١} ، بلغ^{١٢} الزبى وزاد^{١٣} ، وغمر^{١٤} الربى والوهاد^{١٥} ؛ لو أم^{١٦} الهلالي^{١٧} لاقتلعت^{١٨} أزهاره ، وطمس^{١٩} أنواره ؛ أو اعتمد^{٢٠} الميكالي^{٢١} لطم^{٢٢}

١ ط : الأجزاء .

٢ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ٣٨٤ والميداني ٢ : ٨٢ والعسكري ٢ : ١٦٢ .

٣ حجز بيت ، وصدرة : أبلغ أبا مسمع عني مغلفة .

٤ ب م : لمسوغ .

٥ مثل ، انظر فصل المقال : ٢٠٣ والميداني ٢ : ٥٤ والعسكري ٢ : ١٣٣ .

٦ ب م : يخشف .

٧ الهلالي : لعله يعني أبا اسحاق الصابي .

على قَرَبِهِ^١ ، وطما على سَرِيَّة^٢ ؛ فما ظَنَّتْكَ بغير^٣ ، على مَذْهَبِكَ
 غُمُر^٤ ، يَحْتَلُّ من الأدب في صَبَب^٥ ، لا يَرُدُّ إِلَّا بَقْطَه^٦ ، ولا يَزُودُ
 إِلَّا سَقَطَه^٧ ؛ فهل عندك مِرْيَةٌ أَنَّهُ غريقُ أُنْيَه^٨ ، ومُحْتَمَلُ أَذِيَه^٩ ؟
 تَضَمَّنَ صدرُهُ من بَرِّكَ وتقْرِيطِكَ ما ملأَ صدري ثَلَجًا ، وأفقي أَرْجًا ،
 فحِيَاهُ حَمَدي بِنُورِهِ ، وسقاه شُكري من عُقَارِهِ . ثُمَّ أَنتَقِلُ من
 تَصَفُّحِهِ إلى صفاحِ تَأْيِيبِ لَامِعَةٍ ، ورماحِ تَثْرِيبِ شَارِعَةٍ ، وسيهامِ
 مَذَامٍ ، وأعلامِ مَلَامٍ ، تَرُوعُ المِقْدَامِ ، وتُدْحِضُ الأَقْدَامِ ؛ لكنْ
 تَلْقَيْتُهَا في لُؤْمٍ^{١٠} التَّجَمُّلِ ، وتَوَقَّيْتُهَا بِجُنُنِ التَّحَمُّلِ ؛ وما عسى
 أن أقولَ لِرَعِيمٍ من زعماءِ حضرتي ، وعميدٍ من عَمَدِ أَسْرَتِي ، وقَمَرٍ
 من أَقْمَارِ أَفلاكِي ، ووُسْطَى أَسلاكِي ، يُسَلِّمُ له وَيُسْتَسْلِمُ ، وَيُعَرِّضُ
 عن زَاخِرِ جَفَائِهِ ، ولا يُلْتَفَتُ إلى زَبَدِهِ وجَفَائِهِ ؟

تَبَيَّنَتُ العِلَّةَ الدَّاعِيَةَ^{١١} إلى قَعْقَعَةِ شِنَانِكَ ، وجَعَجَعَةِ لِسَانِكَ ،
 ومَعَمَعَةِ نِيرَانِكَ . ولقد أَوْضَحْتُ في المجلسِ المذكورِ علاءَكَ ، وأخْفَضْتُ
 فيه لَوَاءَكَ ، وأعْبَقْتُ فيه أَنْبَاءَكَ ، غيرَ مُوَاطِئٍ بِرَمَزٍ^{١٢} كما أَنهَى لِيكَ ،
 ولا مُلَاحِظٍ بِهَمَزٍ كما صُوِّرَ لَدَيْكَ ؛ فامْلِكْ من جَمَاحِكَ ، واخْفِضْ
 من طَمَاحِكَ ، ولا يُجْرَجِرْ بَازِلُكَ ، ولا يَزُجِرْ بِأَسِيلِكَ ، فما نَبَحَ

١ القري : مجرى الماء .

٢ السري : النهر .

٣ البقط : تفاريق الأشياء ؛ ولعل الصواب هنا « نقطه » ، وفي ب م : وخطه .

٤ ب م : يرود .

٥ لؤم : جمع لامة ، وهي آلة الحرب .

٦ ب م : الدافعة .

٧ ب م : يلمز .

كلبي بدرك، ولا سترغيمي زهرك، ولا بهرج ميري درك؛ ولا ألدت
في آيتك، ولا حططت من رايتك؛ ووجه الموحش أقبح، وخذ
الموحش أوقح، ورب ملوم لا ذنب له :

ومن وضعت للقول أغراض سمعه رمته ولم تخطيء سهام النائم

وكان الأحبى بمكانتك، والأحرى بأصالتك^١ وركانتك، أن تمحص
ما أنهي عني إليك، وتخلص ما به شبه عليك؛ ولا يبتز من حلمك
هذا الابتزاز، ولا يستفز من جلدك^٢ هذا الاستفزاز؛ ولو وليت البحث
قسطه، وأعطيت النظر حقه، لذكرت قول الزباء : « عسى الغوير
أبوساً »^٣، ولتبيئت أن الخائن المائن^٤، الذي حرق ناب حرجك^٥
وحردك، وأعض أنامل ضجرك وضمدك^٦، ولم يذهب - أذهب
الله شرواه، وأبعد منا^٧ نجواه - إلا لطيش بأناتك، ويؤجيش من
هناتك، والنيق لا يهتز لحريق^٨، والهشيم لا يثبت لنسيم .

وفي فصل : ومطلعنا من أفق، ومرجعنا إلى تحقق؛ وإن كانت

١ ب م : بأثارتك .

٢ ب م : خللك .

٣ انظر فصل المقال : ٤٢٤ والميداني ١ : ٣١٢ والمسكري ٢ : ٧٣ .

٤ ب م : المائن الخائن .

٥ ط : خرق حجاب خرجك .

٦ ط : وخمدك .

٧ ب م : منك .

٨ النيق : أرفع موضع في الجبل ؛ الحريق : الريح الشديدة ؛ وفي ب م : لحريق .

أَيْدِي الْفِتَنِ قَدْ أَرْعَجَتْ أَسْلَافَنَا عَنِ الْوُطَنِ ، وَاعْتَصَبَتْ^١ أَمْلَاكُنَا إِلَّا
 أَسْمَاءَ ، وَاسْتَلَبَتْ جَمَاهِيرَنَا إِلَّا اللَّفَاءَ ، فَقَدْ أَعْذَرَتْ إِذْ أَبَقْتُ بِأَيْدِينَا
 مَا أَبْقَى مِاءَ الصَّوْنِ بِزُرْقَتِهَا وَجِوَامِهَا ، وَزَهْرَاتِ السَّرْوِ فِي غَضَارَتِهَا
 وَكَمَامِهَا . وَلَمْ أَمْتَدِحِ الْمُعْتَصِمَ طَالِبَ جَدِّي ، وَلَا رَاغِبَ نَدْيٍ ، عَلَى أَنَّ
 جَمِيعَنَا رَائِدٌ فِي رِيَاضِ إِنْعَامِهِ ، وَوَارِدٌ فِي حِيَاضِ إِكْرَامِهِ ؛ وَلَكِنِّي
 مُنِيتُ بِقَرْدَةِ حَسَدَةٍ ، أَعْجَزَتْهُمْ مُحَاكَاتِي ، وَأَعْوَزَتْهُمْ مُحَاذَاتِي ،
 فَوَخَزُوا فَضْلِي بِمَثَلِ الْأَشَافِي ، وَرَمَوْا عِرْضِي بِثَالِثَةِ الْأَثَانِي .

وفي فصل : وَلَوْ أَنِّي مِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ الَّتِي مَزَجَنِي بِهَا ظُلْمُكَ ، وَضَمَّنِي
 إِلَيْهَا هَضْمُكَ ، وَعَمَلْتُ عَمَلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ ، وَسَلَكْتُ سُبُلَهُمْ^٢ عَلَى
 زَعْمِكَ ، لَكَانَ لِي فِي تَشْبِثِكَ الدَّائِي ، وَتَعَلُّقِكَ الْمُجَاهِدِي ، أَسْنَى
 مُؤْتَسَى ، وَأَهْدَى مُقْتَدَى . فَلَا تَسَامِي مَنَاقِلَ ، وَلِلتَّرْقِي مَنَازِلَ ؛ وَإِنْ
 جَمَعْتَنِي بِهِمُ الصِّفَاتُ ، فَقَدْ أَفْرَدْتَنِي مِنْهُمْ الْمُوصُوفَاتُ ، وَمَا كُلُّ بَيْضَاءَ
 شَحْمَةٍ ، وَلَا كُلُّ سُودَاءَ تَمْرَةٍ :

قَدْ يَبْعُدُ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ يُشَابِهُهُ^٣ . إِنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرْقِ

وَمَا كُلُّ مَعْنَى يَصْحُحُ ، وَلَا كُلُّ دَعْوَى تَصْحُحُ ، كَثَلُ مَا تَابَعْتَ
 لِإِرَادَةِ ، وَشَفَعْتَ تَرَدَادَهُ ، مِنْ أَنَّكَ غَرَسْتَنِي وَبَنَيْتَنِي^٣ ، وَأَقَمْتَنِي وَقَوْمَتَنِي ،
 وَكَلَّمَهَا عِبَارَةُ تَوْلِيمِ الْأَبِيِّ الْحَمِيِّ ، وَاسْتِعَارَةُ تَوْهِيمِ السَّامِعِ الشَّاسِعِ ،
 وَإِشَارَةُ تَعْجِيبِ الْحَاضِرِ النَّاطِرِ . وَلَسْتُ بِمَنْكَرٍ مُعَاضِدَتِكَ فِي شَأْنِ الْكَتَائِنِ

١ ب م ط : واعتصبت .

٢ ب م : سبيلهم .

٣ ط : ونهيتني .

الكرمين ، فهما وسَمِيكَ وَلِيكَ ، المكتوبان بزعمِكَ على وجهِ صباحك ،
 والموصولان بأجنحةِ رباحك . ولن تعدَم^١ على ذلك جزيلَ حمدي هنالك .
 وحاشا لله [أن] أنكرَ البدَّ وإنْ صَغُرْتُ ، أو أَكْفَرُ النِّعْمَةَ^٢ وإنْ
 نَزُرْتُ ؛ ولستُ بِحِجَّةٍ صَمَاءَ كما أَشْرْتُ ، ولا بِسِلْقَةٍ^٣ طَلْسَاءَ كما عَرَضْتُ .
 ولو غيَرُ أعمامي أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرائنِ ميسما^٤
 وما أَفْصَحَ تبيانَكَ لفهائتي ، وأَوْضَحَ بُرْهانَكَ على جَهائتي ، في تلويحك
 بل تصريحك ، أني لم أَرِمُ ذَرَائِي^٥ ، ولا بِرَحَتٍ مِثْوَائِي ، ولا أَعْمِلْتُ
 لي رِجْلَةً للعلماء ، ولا هَجْرَةً^٦ للفهماء^٦ . فيا للأدبِ لهذا العجبِ ، ما أَكْثَرَ
 لِجَحَافِكَ ، وأَقْلَ^٧ لِنِصَافِكَ ! كأنك جَهَلْتَ أَنَّ العلماءَ بِمِصْرِي متوافرون ،
 والمشِيخَةَ الْجَلَّةَ به متكاثرون ، وَأَنَّ فنونَ العلمِ به تُلْتَمَسُ ، ومن
 أنوارِهِ تَقْتَبَسُ^٨ ، وإليه كانت أَوَّلًا^٩ وفادَتُكَ^٩ ، ومنه عَظُمَتْ^٨ إفادَتُكَ .
 وأما زعمُكَ أَنَّ الدَّهْرَ لو عَضَّنِي^٩ والخُبْرَ لو عَجَّنِي ، لتَبَيَّنْتُ أَنَّ
 بحري ضحَضاحٌ ، وَأَنَّ لِصباحي مصباح ؛ فليس بأَوَّلٍ جَنَنُكَ ، ولا
 ببدعٍ من سَرَفِكَ ؛ إِنَّ التَّقَدُّمَ بِالْأَذْهَانِ لَا بِالْأَسْنَانِ^{١٠} ، والتَّفْهَمُ بِالْأَفْهَامِ

١ ب م : ولم تعدم .

٢ ب م : المنة .

٣ السَّلْقَةُ : الذِّبَّةُ .

٤ البيت للتملس ، انظر الأغاني ٢٣ : ٥٦٩ .

٥ ب م : دارِي .

٦ ب م : للفقهَاء .

٧ ب م : أَوَّلُ وفادَتِكَ .

٨ ب م : عَظَمِي .

٩ ب م : حَنَنِي .

١٠ ب م : لِلْأَذْهَانِ لَا لِلْأَسْنَانِ .

لا بتكاثر الأعوام ، والمرءُ بأصغريه ، والحسامُ بفرّاريه ، والسقطُ بحرقِ
الحرّاجة وهو حقير ، والنّاظرُ بخرقِ الفلك وهو صغير . وأمّا الامتحانُ
فذهني لبريز ناره ، ولُبّي تبريز مضمّاره ، وطالما فوّضتُ ففضّلتُ ،
ونوّضتُ فنضّلتُ ، وقد أنصف القارة من رامها^٢ ، والحلبة من جاراها ،
ولأن قلت المذكية لا تُقاسُ بالجداع^٣ ، فلنّتي أقول : في الإجراء
من مائة ترك الجداع^٤ ، وكشّف القناع :

وتخفى السوابق من غيرها إذا لم تُضمَّ إلى مقبض^٥

وإذا شئت فحكّ ذكاء لا تخبو ناره ، ولا تنبؤ شِفاره^٦ ، وبهرك
مضاء لا تطيش سهامه^٧ ، ولا تخفي أزمّاه ، وإن كنت على زعدك
عوداً لا يقلح^٨ ، فالحديد بالحديد يُفلح^٩ .

وفي فصل : فتحقق أني مُكدر^٩ الشمس التي تكسِفُها ، ومُغور^٩

١ ب م : يخرق .

٢ انظر فصل المقال : ٢٠٤ والمسكري ١ : ٣٦ .

٣ انظر المثل : « مذكية تقاس بالجداع » في فصل المقال : ٤١٣ والميداني ٢ : ١٤٧ والمسكري

٢ : ٢١٧ .

٤ انظر المثل : « ترك الجداع من أجرى من مائة » في فصل المقال : ١٥٤ والضبي : ٢٨ والميداني

١ : ٨١ والمسكري ١ : ١٨٨ .

٥ ب م : مقبض .

٦ ط : أشفاره .

٧ يقال في المثل : « عود يقلح » ، يضرب للمسن يؤدب ، والقلح : صغرة تركيب الأسنان ،

والتقليح هو نزع وقتنيته ؛ انظر السكري ٢ : ٣٩ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ١ : ٣٠٩ .

٨ انظر المثل : « الحديد بالحديد يقلح » في فصل المقال : ١٣٤ والميداني ١ : ٨ والمسكري ١ : ٢٢٩ .

٩ ب م : مكور .

البحار التي تنزفها ، وأنا أخلع عليك حظي من الفهم الأدبي والعلم الشعري ،
ولم أجعلهما غرضاً ، فلم ألمحهما^١ إلا عرضاً ، وكذلك أناقص زهوك ،
وأخالف بأوك ، وأعترف لتعديك ، لعلني أرضيك . وإنني لا أضربُ بسهم
في قههم ، ولا أختصُ بقسم في علمي ، ولا آخذُ بحظ في لفظي ، ولا
ألمُ بمغنى لمغنى ، ضيقُ العطن في الفطن ، عالمُ باضمحلال خيالي ،
ونضوب أوشالي ، منقطع الرجاء عن تهيئة واحدتك ، وتقوية قافيتك ،
واعتراض عروضك . والله انت ! لقد أغربت بعنقائك ، [وبرزت]
بيلقائك ، فلا داحس لغبرائك ، ولا مباري لغرائك . إلا أن الحسنة
لا تعدم ذاماً^٢ ، وبليق^٣ مع جريه لا يفقد ملاماً^٤ ؛ فكم ندي قضى منتلوه ،
وحكم مشاهدوه ، أن يتيملك هذه منحلة^٥ من إحدى بناتي ، وحقيقتك
مستخلّة^٦ من بعض خيالاتي . وزعموا أنك في لواحبها^٧ سلكت ، وعلى
قوالبها سبكت ، وما زدت على أن مسخت راءها نوناً ، وصيرت أبكارها
عوناً . ومن الظلم الجمل أن تجعل نصري خذلاناً ، وعصدي عدواناً ؛ وكل^٨
سمع قولي : إن بحر الوزير أزخر من أن يستمد بجزري ، وعلمه أوفر^٩
من أن يستكثر بنزري ، وفضله أبرع من أن يختلس من حلالي ، وشمسه
أرفع من أن تقتبس من سهاي ؛ والاتفاق غير نكير ، فقد جرى لهمام

١ ب م : ألمحها .

٢ انظر المثل في فصل المقالة : ٤٢ والميداني ٢ : ١٠٩ والمسكري ٢ : ٢٧٣ .

٣ بليق : اسم فرس ، وفي المثل : « يجري بليق وينم » يضرب الرجل يجهده ثم يلام ؛ انظر
اللسان (بليق) والمسكري ٢ : ٤٢٤ والميداني ٢ : ٢٤٩ .

٤ ب م : منحلة .

٥ الواحب : جمع لاحب وهي الطريق الواضحة .

٦ ط : أمتن .

وجريير ، وقبلهما للكندي والبكري^١ .

وفي فصل : وهذه نزغات الحاسدين ، وتنتغات^٢ المنافسين ، فأعرض
عن فندهم ، ولا تحفل بعندهم ، وقل في قولهم قول الأحنف في مثلهم :
• عثبة تقرض جليداً أملسا^٣ •

ومن قال سمع ، ومن قرع قرع ، ومن جمح كبح ، ومن زهي
ازدري^٤ ؛ فلا تسمع ممن يقصد إسماعك ، ويعتمد إجماعك ، فلو
فحصت لما انتقصت ، ولو تحققت لما تدفقت ، فرب غيث عاد عيثاً ،
وعجلة تهب ريثاً^٥ ؛ فقد تعاطينا كأس النصف ، فلنجدع أنف الأنف ،
ولنطفئ سقط الشنف^٦ ، ولنمخ السالف بالمؤتلف ، فقد بردت كبدة
الإخلاص ، وانتهجت سبيل الاستخلاص ، وانصقلت ماوية^٧ الصفاء ،
ونوثقت آخية الإخاء ، فلا يختلج بهاجسك ، ولا يخطر بخاطرك ، أن
هفوات هذه الهنات تغض أجفاني عن لحظ سناك ، أو تُخرس لساني
عن إيضاح علاك ، وعلى ما خيلت ، أن أنفصل من تقديمك ، وأن أنفك
من تعظيمك .

١ همام : الفرزدق بن غالب بن صعصعة ، أما الكندي فهو امرؤ القيس ، والبكري : طرفة
ابن العبد .

٢ التبع : الميب ؛ وفي النسخ : « تبعات » .

٣ انظر المثل : « عثبة تقرم جليداً أملسا » في السكري ٢ : ٥٤ (تحقيق أبو الفضل) والميداني
١ : ٣٢٠ ؛ والعثبة : تصغير عثة وهي دويبة تقع في الجلد فتفسده .

٤ ب م : ازدهي .

٥ انظر فصل المقال : ٣٣٥ والفصبي : ٦١ والميداني ١ : ١٩٨ والسكري ١ : ٣١٣ .

٦ السقط : الحرارة ؛ الشنف : البضاء .

٧ الماوية : المرأة ، وقيل حجر البلور .

وله من أخرى إلى ابن الحديدي^١ بطليطة : قد سطع - أعزك الله - من سناك وسنايك^٢ ، ونضوع^٣ من نثاك وثناك^٤ ، وانتشر من علاك وحلاك ، ما ضمتخ مسكه اللوح ، وستر نوره يوح^٥ ؛ فسور سبرك^٦ تتلى في منازل الفضائل ، وصور غرك^٧ تجلى في محافل الأفاضل ؛ ولا غرو أن تنزع الأنفس الشاسعة^٨ تلقاك ، وتتمنى لقاءك ؛ ولا بدع أن تمتد^٩ الأعين النازحة إليك ، وتود^{١٠} أن تقع عليك ، فالفضل موموق^{١١} ، والنفس مرموق^{١٢} ، وحرص^{١٣} الحوباء^{١٤} على مشافهة الأخلاء يقضي عليها باقتداح زند المخاطبة ، واستفتاح غلق^{١٥} المكاتب ، وإذا عديم^{١٦} التناطق ، فقد وجب التباطؤ^{١٧} ، ولو أن التكتاب لا يقع إلا^{١٨} بعد وقوع طير التعارف ، على ماء التألف ، وتفيؤ^{١٩} النفس ، ظلال^{٢٠} الأنس ، لانسدت^{٢١} أبواب^{٢٢} المواصلة ، وانبتت أسباب^{٢٣} المراسلة . وما زلت^{٢٤} مذ تنست^{٢٥} أرج ذكراك ، وتوسمت^{٢٦} نهج عليك ، أصبو إليك صبوا^{٢٧} الهائم ، وأظلم^{٢٨} نحوك ظمأ^{٢٩} الحائم ، وأرتقب^{٣٠} للإمكان صالحة^{٣١} أتوصل^{٣٢} بها إلى مجاراتك^{٣٣} في ميدان الاستدلال ، وأتوسل^{٣٤} بها إلى معاطاتك^{٣٥} أفنان^{٣٦} الالتئام والاتصال ، والزمن يأبى إلا^{٣٧} التي^{٣٨} ، فيشهد^{٣٩} العوائق^{٤٠} لي^{٤١} ، إلى أن دهمني^{٤٢} من ضروب خطوبه بعجائب ، واستقبلني

١ لعله أبو بكر ابن الحديدي وكان مقدماً عند أهل طليطة ومن أهل العلم والدهاء ، حسن النظر في صلاح بلده ، وكانت العامة تعضده ، ولهذا كان اسماعيل بن ذي النون ثم ابنه يحيى من بعده يستشيرانه في مهمات الأمور (البيان المغرب ٣ : ٢٧٧) وسيعقد ابن بسام فصلاً في القسم الرابع يتحدث فيه عن مقتل أبي بكر هذا (انظر المطبوعة ٤ / ١ : ١١٨) .

٢ اللوح : الجو ؛ يوح : الشمس .

٣ الحوباء : النفس .

٤ التباطؤ : التراسل بالبطاقات ، وكأنه اشتقه إذ لم يرد استعمال الفعل « بطق » في المعاجم .

٥ ط : وتوهمت .

٦ ب م : مانحة (اقرأ : فاتحة أو سانحة) .

من صنوف صروفه بغرائب ، قدفتني من سمائي ، وسقتني غير مائي ،
فأيدي التغرّب تتعاطاني ، وأقدامُ التّوب لا تتخطّاني . والله يحسن العقبي ،
ويُعقبُ الحُسنى ، بمنّه .

وله من أخرى : قد كنتُ خاطبتك في أمر فلان ، وجلوتُ إليك^١
معه خبري ، وشكوتُ إليك عُجْرِي وبُجْرِي ، لتنظرَ كيفيّةَ حاله ،
ولعلّك تصرفه عن محاله . فما أصرتَ بنهركَ زبدًا ولا حبيبًا ، ولا أثرتَ
لنُهرِكَ عنقًا ولا خبيبًا ، ولا ساكتَ لشعبك صُعدًا ولا صبيبًا ، ولا فككتَ
لسميكٍ وتداً ولا سببًا . وعهدتُكَ - أبقاك الله - أنفَذَ سهامِي ، وأقتل
سمامي ، فما الذي عاق بداركَ إلى رغباتي ، وسكّنَ مثارك في طلباتي ؟
فعوداً إلى معترفاتك^٢ ، وجرياً على قديم عاداتك ، في أن تعملَ حيلكَ
البابليّة ، وهدايتك اللاهوتيّة ، وألطفك التاموسيّة ، ودقائقك البطايموسيّة ،
فعساك أن تُطلقَ ربقي ، وتُعتقَ رقتي .

وله من أخرى إلى أبي بكر الخولانيّ المنجم^٣ : لو أنصفك الزمانُ
الذي أنت غرّةُ أيامه ، ودرّةُ نظامه ، لكنتَ أحقَّ بالسرطان من الزّبرقان ،
وأولى بالميزان من كيوان ، وأحجى بعلوِّ المراتب من سائر الكواكب ،
فما زلتَ لفلكٍ علمها مركزاً ، ولمدى فهمها محرزاً . ولو ميّزَ الزمانُ ضياءَ
جوهركَ ، وصفاءَ عنصركَ ، لما عدّاك عن العروج ، إلى فلک البروج ؛

١ ب م : عليك .

٢ ب م : معترفاتك .

٣ ذكره العماد في الخريدة ٢ : ٥٨٤ وقال إنه منجم المعتمد ، وسيأتي له ذكر في القسم الثاني
من الذخيرة ، ويعتمد عليه ابن بسام في رواية بعض الأخبار .

وأرجو أن هذا زمانه ، وقد آن أوانه ، فقد ظهرت له دلائل ، وشهدت له ^١ محابيل . فكأنني بك من ذات الصدع ، إلى ذات الرجع ، على كبدي الخزع ^٢ ، فيا ليت شعري هل يتمارى فيك ، فيقول من يصافيك : ما رشح ولا مشق ، ولكنه شبه وموه . أوردنا الله خير موارد النجاة والهدى ، وعصمنا من الضلالة والردى ، بمنه .

وله أيضاً : يا سيدي الذي هو قسيم ذاتي إن تحققت الذوات والنحائر ، وشقيق نفسي إن تبينت الخلائق والغرائز ، ومن أبقاه الله بقاء الفرقدين ، في تدبير السعدين ؛ بيننا — أعزك الله — من التحام المقة واستحكام الثقة ، ما أربأ به عن تضمين الصحائف ، ولو قدت من السوالف ، وأنزله عن اشتغال المداد ، ولو كان من دم الفؤاد ، فصفاؤنا شمسي ^٣ النقاء ، ووظاؤنا فلكي البقاء ، ولا تضمن الطروس ، إلا ما لحقه الدروس . وكتابي بعد ^٣ إثر إتحافك لي بكتابين كالنيرين ، فإن كان القمر ويوح ، لإنارة اللوح ، فهذان بلقاء الأذهان .

وهذه أيضاً جملة من شعره في أوصاف شتى

ومن ذلك ملحه في نورية ، قال :

ورأت جفوني من نورية كاسمها نارا تفضل وكل ناري ترشد
والماء أنت وما يصح لقابض والنار أنت وفي الحشا تنوقد

١ ب م : به .

٢ ذات الصدع : الأرض تنصدع عن النبات ؛ وذات الرجع : السماء ، ترجع بالمطر ؛ والكبد : المعانة والمشقة ؛ الخزع : القلع .

٣ ب م : هذا .

وقال أيضاً^١ :

قلبي في ذات الأثيلات رهين لسوعات وروعات
فوجها نحوهم إلتهم وإن بغوا قبلة بُغياتي
وعرسا من عتقات اللوى بالهضبات الزدريّات
وعرجا يسا فتيسي عامر بالفتيسات العيسويّات
فإن بي للروم رومية^٢ تكنيس ما بين الكنيسات
أهيم فيها والهوى ضلّة^٣ بين صواميع^٢ وبيعات
وفي ظباء البدو من يزدرى بالظبيّات الحضرّيات
أفصح وحدي يوم فصح لهم بين الأريطى والدؤبحات
وقد أتوا منه إلى موعد واجتمعوا فيه لميعات
بموقف بين يدي أسقف^٢ ممسك مصباح ومنساء^٣
وكل قس مظهر للتقى بأي إنصات وإخبات
وعينه تسرح في عينهم كالذئب يبغي فرس نعجات
وأبي مرء سالم من دوى وقد رأى تلك الظبيّات
فمن خدود قمريّات على قُدود غصنيّات
وقد تلووا صحف أناجيلهم بحسن ألحان وأصوات
يزيد في نقر يعايرهم عني وفي ضغط صباباتي
والشمس شمس الحسن من بينهم تحت غمامات اللثامات
وناظري مختليس^٢ لمحها ولمحها يُضرم لوعاتي

١ وردت أبيات من هذه القصيدة في الحريدة ٢ : ٢٦٧ منسوبة للأشمد بن بليطة .

٢ ب م ط : صوامع .

٣ المنساء : العسا .

وفي الحشا ناراً نويرية^١ علقها منذُ سنّات
لا تنظني وقتاً وكسم رمتها بل تلنظي في كلّ أوقاتي
فحيّ عني رشاً المنحى وإن أبى رجّع تحياتي

وقال أيضاً :

حديثك ما أحلى فزيدي وحدّثي
ولا تسأمني ذكره فالدكر مؤنسي
وبالله فارقي خبل نفسي بقوله
أحقاً وقد صرّحت ما بي أنه
وأقسم بالإنجيل إني لماثين^٢
ولا بدّ من قصّي على القسّ قصّتي
فلم يأتهم عيسى بدين قساوة
وقلبي من حسن التجلّد عاطل^٣
سيصبح سريّ كالصباح مشهراً
ويغري بذكري بين كأس وروضة

وقال أيضاً :

صنّت اسم إلفي فدأباً^١ لا أسميه
وصاحبي عدديّ قد رمزت به
ولا أزال بالغازي أعميه
بذكر أعداد ما تحوي مبانیه

١ ط : مثنى ويلفو .

٢ ب م : ويشدّ لشعري .

٣ ب م : فرأياً .

فجذرُ أوَّلِه رُبْعٌ لآخره رُبْعٌ. لثانيه
وإنَّ ثانيَه خُمُسٌ لثالثه فافهم فقد لاح للأفهام خافيه

وقال أيضاً :

أماً الذي بي فلنثي لا أسميه لكن سألقي رموزاً جمّةً فيه
إذا أردتَ من الأعداد نسبته فجذرُ أوَّلِه عَشْرٌ لثانيه
وإن أضفتَ إلى ذي الجذر رابعه رأيتَ ثالثه زُهرًا معانيه
ونصفه أولعتُ أختُ الرشيد به فقد تبينَ ماضيه وباقيه

وله فيها أيضاً :

عساكِ بحقٍّ عيساكِ مريجةَ قلبي الشاكي
فإنَّ الحُسنَ قد ولّاكِ كِ إحيائي وإهلاكي
وأولعني بصلبانٍ ورهبانٍ ونسّاكِ
ولم آتِ الكنائسَ عن هوى فيهنَّ لولاكِ
وها أنا منك في باوى ولا فرَجٌ لبِلواكِ
ولا أسطيعُ سلواناً فقد أوثقتِ أشراكي
فكم أبكي عليك دماً ولا ترثين للباكي
فهل تدرين ما تقضي على عينيَّ عيناكِ
وما يُذكّيه من نارٍ بقلبي نورُكِ الدّاكي ؟
حجبتِ سنّاكِ عن بصري وفوق الشَّمسِ سيمّاكِ
وفي الغصن الرطيب وفي الـ نقا المرتجّ عِطفاكِ

وعند الرّوض خدّاك ومن ١ ربّاه ربّاك
نؤيرة ٢ إن قليت فإدّ ني أهواك أهواك
وعيناك ٣ المنبثنا لك ٤ أني بعض ٥ قتلّاك

وقال أيضاً :

وبين المسيحيّات لي سامريّة ٦
مُثلثة ٧ قد وحدّ الله حسنّها
وطيّ الخمار الجون ٨ حُسن ٩ كأنما
وفي معقيد الزنار ١٠ عقد صباي
وفي ذلك الوادي رشاً أضلعي له

وله فيها أيضاً :

رويدك أيّها الدّمع ١١ الهتون ١٢
يظن ١٣ بظاهري حلم ١٤ وفهم ١٥
إلى كم أستسر ١٦ بما ألاقى
نؤيرة ١٧ بي نؤيرة ١٨ لا سواها

وله فيها من قصيدة :

ومن جرحته مقتلّاك نؤيرة ١٩
أرى كلّ ذي سلوى رآك ٢٠ متيماً
ونارُ الأسى تخبو بقرب نؤيرة ٢١

١ ب م : وفي .

وقال فيها أيضاً :

وفي شرعة التثليث فردّ محاسن
وأذهل نفسي في هوّى عيسويّة
فمن الجفوني بالتماح نويرة
سبّتي على عهد من السّلم بيننا
تنزّل شرع الحبّ من طرفه وحيا
بها ضلّت النفس الحنيّفة الهديا
فتاة هي المردى لنفسي والمحيا
ولو أنها حرب لكانت هي السّيبا

واسمها على الحقيقة « جميلة » ولذلك قال فيها :

أتعلم أنّ لي نفساً عليه وأشواقاً مبرّحة دخيله ؟
وفي طيّ الحميلة ريم أنس
رمزت بها فلقته الحميلة

فصحف اسمها كما تراه ، وجرى في وصفها طلق الجموح فلم يف
شرط الكتاب بمداه .

ما أخرجته من المدائح في أميره ابن صمادح

من ذلك قصيدة أولها :

لعلك بالوادي المقدّس شاطيء
فكالعنبر^٢ الهنديّ ما أنا واطيء
وانّي في ربّاك واجدٌ ريمهم
فروح^٣ الهوى بين الجوانح ناشيء

١ وردت أبيات منها في المسالك والمغرب وابن خلكان والمطبع ونفع الطيب ٣ : ٥٠٣ والخريدة .

٢ ط : فكالعنبري .

٣ النفع : فجمبر .

ولي في السرى من فارهم ومنارهم
لذلك ما حنت ركابي وحممت
فهل حاجها ما حاجني أو لعلها
رويداً فذا وادي لُبيني وإنه
مبادين^٣ تيامي ومسرح ناظري
ولا تحسبوا غيداً حممتها^٤ مقاصر
محاملة السلوان مبعث حسنه
فكيف أرقى كلم طرفك في الحشا
وما لي لا أسمو مراداً وهمة^٥
وما أخرتني عن تناء مبادي^٦
ولكنه الدهر المناقض فعله
كأن زمني إذ رأي^٧ جذيله
فداريتُ إعتاباً ودارأتُ عاتباً
فألقيتُ أعباء الزمان وأهله
ولازمتُ سمت الصمت لأعن فدامة

هداة^١ حداة^٢ والتجوم طوافي
عرابي وأوحى^٢ سيرها المتباطي
إلى الوخد من نيران وجدي لواجي
لورْدُ لبانقي وإنني لظامي
فللشوق غايات به ومبادي
فتلك قلوب ضممتها جاجي
فكل إلى دين الصبابة صابي
وليس لتمزيق المهند رافي
وقد كرمت نفس وطابت ضااضي^٥
ولا قصرت بي عن تباه^٦ مناشي
فذا الفضل منحط وذو النقص نامي
قلاني فلي منه عدو ممالي
ولم يغني أني مدارٍ مداري
فما أنا إلا بالحقائق عابي
فلي منطق للسمع والقلب مالى

١ ابن خلكان : حداة هداة .

٢ أوحى : أسرع .

٣ النفع : موارد .

٤ ابن خلكان والخريفة : حوتها .

٥ الضاضي : جمع ضضيء وهو الأصل والمعدن .

٦ ب م : تناء .

٧ ط : رأى ابن جذيله .

ولولا علا الملك ابن معن محمد
 لآلئُ إلا أن فكري^١ غائص
 لما برحت أصدافهن^٢ الآلئ
 وعلمي دأماً ونطقي شاطئ
 وأعشى الحجى للألوه المتلألئ
 وتنقلب الأفكار وهي خواسئ
 فتعكس الأبصار وهي حواسر

أنشده هذه القصيدة سنة خمس وخمسين ، وأخذ عليه أنه همز
 فيها ما لا^٢ يهمز فقال^٣ :

عجبت لغمازين علمي بجهلهم
 تجلت لهم آيات فهمي ومنطقي
 وإن قناتي لا تلين على الغمز
 مبيتة الإعجاز ملزمة العجز
 وويل بها ويل^٢ لذي الهمز واللمز
 ولاحت لهم همزية^٢ أوحديّة
 ومن لمس الأفعى شكا ألم التكرز
 رموها بنقص بيت^٢ فيه نقصهم
 وقد عرفت أكبادهم صحة الهمز
 وإن أنكرت أفهامهم بعض همزها

وقال من أخرى :

أقبلن في الخبرات يقصرن الخطا
 سرب الجوى لا الجوة عود حسنه
 ويرين في حُلل الوراشين القطا
 أن يرتعي حبّ القلوب ويلقُطا
 ميلاً يخيف قدودها أن تسقطا
 مالت معافهن من سكر الصبا
 لمهفّف سكن الحشا والمسقطا
 وبمسط العلمين أوضح معلّم
 يخثال^٢ والحوط^٢ النصير إذا خطا !
 ما أخجل^٢ البدر المنير إذا مشى

١ الخريدة : ذهني .

٢ ط : لم .

٣ انظر النفع ٣ : ٥٠٣ .

ومنها :

يا وافيدي شرق البلاد وغربها . أكرمتما خيلَ الوفادةِ فاربطا
ورأيتما ملكَ البريةِ قاطباً ووردتما أرضَ المريّةِ فاحططتا
يرمي^١ نحر الدّارعين إذا ارتأى ويُدِلُّ عزّ العالمين إذا سطا

ومنها :

فإليكما تُنبئكَ أني ربّها نسبُ القطا متبيين^٢ مهما قطا

ومعنى هذا البيت منقول^٣ من قول المعريّ حيث يقول^٤ :

عُرِفَتْ جدودُك إذ نطقتَ وطالما لَغَطَ القَطَا فأبانَ عن أنسابه
وقال النابغة قبله^٥ :

تدعو القطا وبه تدعى إذا نُسيَتْ يا صدقها حين تدعوها فتنتسبُ

وألّم بهذا المعنى بعضُ أهل عصرنا وهو عبد الجليل ، من قصيدة يمدحُ
بها المعتمد بن عباد حيث يقول :

وحين أسمعتُ ما أسمعتُ من كلمٍ ثُمثَلْتُ لهم الأعرابُ والحللُ

ومن أناشيد أهل المعاني لأبي وجزة السّعدي^٦ في صفة القطا مما يتعلّق

١ ب م : يدمي .

٢ شروح السقط : ٧٢٥ .

٣ ديوان النابغة : ١٧٧ والمعاني الكبير : ٣١٩ .

٤ هو يزيد بن عبيد بن أبي سعد بن بكر ، كان شاعراً راوية للحديث ، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠

(انظر ترجمته في الشعر والشعراء : ٥٩١ والأغاني : ١٢ و٢٣٩ والخزانة : ٢ : ١٥٠ وابن

حيان رقم : ٥٦٦ والجمهرة للزبير : ٢٦٨) .

بهذا المعنى ^١ .

ما زلن ^٢ ينسبن وهنأ كل صادقة
حتى سلكن الشوى منهن ^٣ في مسك
تنساب منهن ^٤ فيه أمة خلقت
باتت تباكر ^٥ عرماً غير أزواج
من نسل جوابة الآفاق مهداج
جُداً مذبحة ^٦ منه ^٧ بأوداج

وله أيضاً :

خليلي من قيس بن عيلان خطبا
ركابي تُعرج نحو مُنعرجاتها
بعيشكما ذات اليمين فلأنتي
أراح لشم الروح من عقداتها

١ الأبيات من قصيدة له ورد عدد من أبياتها في اللسان والمعاني الكبير : ١٠٥٢-١٠٥٣ ، والبيتان الأولان منها في اللسان (هـج) ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٧٣ والأول وحده في اللسان (زوج ، قطا) والحيوان ٥ : ٥٧٣ والميداني ١ : ٢٧٨ والمعاني الكبير : ٣١٨ ، والثاني وحده في اللسان (هـج ، مسك) والثالث في المعاني الكبير : ٦٤٠ .

٢ المعاني والحيوان : ومن .

٣ في المصادر : مباشر .

٤ أي أن القطا تقول : قطا ، قطا حين تفزعها الحمر ليلا فتنسب أنفسها فتصدق في نسبتها .
العرم : بيض القطا لأنه منقط . غير أزواج : لا يكون بيضها إلا فرداً .

٥ الشوى : الأطراف ؛ المسك : الذبل من العاج كهينة السوار ، جوابة الآفاق يريد الريح .
مهداج : ريح حنون . يتحدث عن حمر الوحش في ورودها الماء ، وقد شبه الشمر الذي في قوائمه بالمسك ، حين وردت الماء (الذي هو من نسل الريح لأن الريح تسوق السحاب وتمصره) .

٦ المعاني الكبير : تنحاز . . . منها ؛ وفي النسخ : جنداً .

٧ يصف الأمة التي تنساب في الماء أو تنحاز فيه ، وهي المسك ، والجد جمع جداء وهي التي لا لبن لها ؛ قال ابن قتيبة : وكان بعض العلماء يزعم أنه أراد ألقطاً ينحاز من الحمر عند الماء ؛ مذبحة : أراد الأطواق في أعناق القطا كأنه أثر الذبح ، وكان يرويه « حذا » والقطة حذاء (أي قصيرة الذنب قليلة الريش) .

فقد عبقْتُ ربيعُ النَّعَامِ كأنما
وتيماءُ للقلبِ المتيمِّ منزلُ
وإن تُسعدا من أسلم الصبرُ قلبه
فبانَتْها الغيناءُ مألُفُ بانهٍ
وروضُها الغنَّاءُ مسرحُ روضةٍ
هنالك نخوطُ في منابتِ عزَّةٍ
مشاعرُ تهبُّ وكعبةُ فتنةٍ
فكم صافحتني في منادا يدُ المنى
عهدتُ بها أصنامُ حسنٍ عهدني
أهلُ بأشواقٍ إليها وأتقي
غرامُ كإقدام ابنِ معنٍ ومغرمُ

ومنها :

وكم قد رأت رأيَ الخوارجِ فرقةُ
بعزم أبي لا يُردُّ مضاًؤهُ
هو الجاعلُ الهيجا حشاً وسانه
فكنتَ عليّاً في حروبِ شراها
وهل تُملكُ الأفلاكُ عن حركاتها؟
هوى فهو لا يعدو قلوبَ كتابها

ومنها :

وكم خطبتي مصرُ في نيلِ نيلها
ولم أرض أرضاً غيرَ مبدلِ نشاقي
ورامتُ بنا بغدادُ وردَ فراثها
ولو لحتُ شمساً في سماءِ ولاتها

١ ب م : أجام .

ولي أملٌ إن يسعد السَّعدُ نلتُهُ^١ ويفهمُ سرَّ النفسِ في رمزاتها
وأسنَى المني ما نبيل في ميعَةِ الصَّبَا وهل تحسنُ الأشياءُ بعد فواتها ؟

قوله : « هو الجاعلُ الهيجا حشاً » . . . البيت ، ذهب بمعناه إلى قول
أبي الطيب^٢ :

كَأَنَّ الهامَ في الهيجا عيونٌ وقد طبعَتْ سيوفُكَ من رقادِ
وقد صُفَّتِ الأسنَّةُ من همومٍ فما يخطرُنْ إلَّا في فؤادِ
والمُ أبو الطيب في بيته بقول مُسلم^٣ :

لو أنَّ خَلْقًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً من بأسهم كانوا بني جبريلا
قومٌ إذا احتدمَ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجحامجَ للسيوفِ مقيلا
وقول مُسلم يشير إلى ما قال النَّعمري^٤ :

ذكرُ بروثقه الدِّماءُ كأنَّما يعلو الرجالَ بأرجوانٍ ناقعِ
وكانَ وقعته يجمجمةِ الفتى خدرُ المدامةِ أو نعاسُ الهاجعِ
وقال ابنُ الحدَّاد من أخرى^٥ :

١ كذا في ب م وسقط البيت من ط .

٢ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٣ ديوان صريع الغواني : ٦٠ وديوان المعاني : ٥١ .

٤ ب م : احمر ؛ الديوان : حمي .

٥ هو منصور بن سلمة النعمري (ترجمته في الأغاني ١٣ : ١٣٩ وطبقات ابن المعتز : ٢٤٢

وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ والشعر والشعراء : ٧٣٦) .

٦ انظر النفع ٣ : ٥٠٣ وقال إنه عما يتغنى به بالأندلس .

فَذَرِ الْعَقِيقَ مَجَانِبًا لِعَقْوِهِ وَذِرِ الْعَذِيبَ عَذِيبَ ذَاتِ الضَّالِّ ١
أَفُتْقُ مُحَلَّتِي بِالْقَوَاضِبِ وَالْقَنَا لِلْأَغْبِيدِ الْمَعْطَارِ لَا الْمَعْطَالِ
حَجَبُوكَ إِلَّا مِنْ تَوَهُّمٍ خَاطِرِي وَحَمُوكَ إِلَّا مِنْ تَبَوُّءٍ بَالِي
وَالْقَارِظَانِ جَمِيلِ صَبْرِي وَالْكَرَى فَمَتَى أُرْجِي مِنْكَ طَيْفَ خِيَالٍ ؟

وَالْقَارِظَانِ رَجُلَانِ ذَكَرْتَهُمَا الشُّعْرَاءُ قَدِيمًا ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ ٢ :

وَحَتَّى يَوْوَبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيَنْشُرَ فِي الْهَلَكِيِّ كَلِيبُ لَوَائِلِ

فَأَحَدُهُمَا فَقَدَ فِي طَلَبِ الْقَرِظِ ، نَهْشَتُهُ حَيَّةٌ ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ رَهْمٍ بْنُ
هَمِيمٍ مِنَ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ ، وَلَا حَدِيثَ لَهُ . وَأَمَّا حَدِيثُ الْآخَرِ فَسَبَبُهُ
كَانَ خُرُوجَ قُضَاعَةَ مِنْ مَكَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ خَزِيمَةَ بْنَ مَالِكٍ بْنِ نُهْدٍ هَوِيَ
فَاطِمَةَ بِنْتَ يَذْكَرَ بْنِ عَنزَةَ وَخَطَبَهَا ، فَردَّه أَبُوهَا عَنْهَا ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ
هُوَ وَأَبُوهَا يَذْكَرُ يَطْلُبَانِ الْقَرِظَ ، فَمَرَّ بِقَلْبِيبٍ فِيهِ مَعْسَلٌ لِلنَّحْلِ ، فَتَقَارَعَا
لِلنَّزُولِ فِيهَا ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يَذْكَرٍ ، فَتَزَلَّ وَاجْتَنَى الْعَسَلَ ، ثُمَّ قَالَ :
أَخْرَجْنِي ، فَقَالَ لَهُ خَزِيمَةُ : لَا أَخْرِجُكَ حَتَّى تَزُوجَنِي فَاطِمَةَ ، فَقَالَ :
أَخْرَجْنِي وَأَفْعَلْ ، فَتَرَكَه هُنَاكَ وَمَاتَ بِهَا . وَانصَرَفَ إِلَى الْحَيِّ ، فَسُئِلَ عَنْهُ
فَقَالَ : أَخَذْتُ طَرِيقًا وَأَخَذْتُ أُخْرَى ، وَاتَّهَمُوهُ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَمَنْعَهُ أَهْلُهُ .
وَلِإِنْ خَزِيمَةَ شَهَرَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ ٣ :

١ ب م : الْحَالِ .

٢ دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ : ١٤٧ ، وَانْظُرْ عَنْ حَدِيثِ الْقَارِظَيْنِ دِيَوَانَ بَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ : ٢٦

وَفَصْلُ الْمَقَالِ : ٤٧٣ وَالْمِيدَانِي : ١ : ١٤٢ وَالْأَزْمَنَةُ وَالْأَمْكَنَةُ : ٢ : ١٣ وَالْأَغَانِي : ١٣ : ٧٥ .

٣ الْأَغَانِي : ١٣ : ٧٦ .

فتاةٌ كانَ رُضابَ العَصِيرِ يُعلُّ بفيها مع الزنجبيل
قتلتُ أباهَا على حُبِّهَا فتبخلُ إن بخلتُ أو تنيل

فاحتربتُ بكر وقضاعةُ بسببه ، فكان ذلك أوّل بدء تفرّقهم عن تهامة ،
فلما أخذوا يتفرّقون قيل لخزيمة : إنّ فاطمة قد ذُهبَ بها فلا سبيل إليها ،
فقال : أمّا ما دامت حيّةً فأنا أطمعُ فيها ، وقال :

إذا الجوزاءُ أردفتِ الثريّا ظننتُ بآل فاطمةَ الظنونا^٢
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخرجُ الداءَ الدّفينَا

وقال ابن الحداد أيضاً :

فيا عجباً أن ظلّ قلبي مؤمناً
أرجّي لسواني نشوراً وحسناً
وليس على حُكم الزمان تحكّم^١
ومعرفةُ الأيام تُجدي تجارباً^٣
ولولا طلابُ الدّهر غاية علمها
ولولا أبو يحيى ابنُ معنٍ محمد^٤
فلا تُنكروا مني بديعاً فمجدّه^٥
بشرع غرامٍ ظلّ بالوصل كافرا
يرى رأي ذي الإلحاد أن ليس ناشرا
على حسب الأفعال يُجري مصادرا
ومن فهم الأَشْطار فكّ الدوائر^٤
لما بسطوا منها بسيطاً ووافرا
لما كانت الأيامُ عندي ذنائرا
نوادِرُ قد أوحّت إليّ النوادر^٥

١ الأغاني : بفيها يعل به .

٢ أي طلعت الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ، ففي ذلك الوقت يرجع أهل البوادي إلى مياههم ،
فعند ذلك أظن الظنون بآل فاطمة لأنّي لا أعرف أين ينزلون ، معنا أم مع غيرنا .

٣ ط : محارباً ، غير معجمة في ب ، م : محاربياً .

٤ يعد هذا البيت وقع خرم في النسخة ب .

٥ ط : فهجره (اقرأ : ففخره) .

يُحْجُ ذَرَاهُ الدَّهْرَ عَافٍ وَخَائِفٌ جَمُوعاً كَمَا وَافَى الْحَجِيجُ الْمَشَاعِرَا
فَزَر مَكَّةَ مَهْمَا اقْتَرَفَتْ مَا ثَمًّا وَزَّرَ أَفْقَهُ مَهْمَا شَكُوتُ مَفَاقِرَا^١
نَهِيمٌ بِمَرَاهُ الْعَصُورُ جَلَالَةً وَتَحْسُدُ أَوْلَاهَا عَلَيْهِ الْأَوَاخِرَا
وله فيه أيضاً^٢ :

يا سائلي عما زكنتُ^٣ من الورى والسرُّ قد يُفْضِي إِلَى الْإِعْلَانِ
إِيَّاهُ سَقَطَتْ عَلَى الْخَبِيرِ بِحَالِهِمْ عِنْدَ الْعُرُوضِ حَقَائِقُ الْأَوْزَانِ
هَمٌّ كَالْقَرِيضِ وَكَسْرُهُ مِنْ وَزْنِهِ يَبْدُو مِنَ التَّحْرِيكِ وَالْإِسْكَانِ
هَاجُوا سَكُونِي فَاسْتَدَمْتُ هَيَاجَهُمْ إِنَّ الْحَرَكَ دَلَالَةُ الْحَيَوَانِ
فَانْجَابَ عَنْ شَمْسِي دَجَى لِجَلَابِهِمْ وَلِرَبِّ بَرٍّ كَانَ فِي بُحْرَانِ
لَمَّا فَضَّلْتُ رَمَوْا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَالْفَضْلُ مَوْضِعُ أَسْهَمِ الْبَهْتَانِ
شَادَ ابْنُ مَعْنٍ فِي تَعْجِيبٍ مَكَارِمًا لَيْسَ لِمَعْنٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ
يَا مَنْ يَضِيفُ إِلَيْهِ حَاتِمَ طَيْيٍّ مَرَعَى وَلَكِنْ لَيْسَ كَالسَّعْدَانِ
أَعْطَاهُ أَهْرَاءَ الْقُلُوبِ سِيَاسَةً خَفِيتَ لَطَائِفَهَا عَلَى سَاسَانِ
وَبَدَتْ لَنَا مِنْهُ صُورَةٌ سِيرَةٍ تَنْبِيكَ عَمَّا سَنَهُ الْعِمْرَانِ

قوله «هم كالقريض» . . . البيت ، كقول أبي العلاء^٤ :

١ ط : ماقرا .

٢ انظر الخريدة ٢ : ٢٨١ .

٣ ط م : ركنت .

٤ ط : فنى .

٥ اللزوميات : ٦٦/أ (نسخة ليدن : ٢٠٦) ، ١ : ١٧٦ (ط . هندية) .

تَقَارَبَ عَالَمُنَا وَامْتَزَجَ^١ فَرَجَ حَيَاتِكَ فِي مَنْ يَزْجُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ طَوِيلَ^٢ الْعُرُوضِ مِنْ مُتَقَارِبِهِ وَالْهَزْجِ

وَلَهُ فِيهِ مِنْ أُخْرَى :

سَلِ الْبَانَةَ الْغِنَاءَ عَنْ مَلْعَبِ الْجُرْدِ
وَسَجِّجْ ذَاكَ الظِّلَّ عَنْ مُلْهَبِ الْحِشَا
فَعَهْدِي بِهِ فِي ذَلِكَ الدَّوْحِ كَانَسًا
وَفِي الْجَنَّةِ الْأَلْفَافِ أَحُورُ أَزْهَرُ

وَمِنْهَا :

فَأَيَّ جَنَانٍ لَمْ يَدْعَ نَهْبَ لَوْعَةٍ
وَفِي صَدْغِهِ اللَّيْلِ نَارُ حَبَابٍ
وَفِي زَنْدِهِ الرِّيَّانُ سَوْرٌ تَعْضُهُ
أَحَازِرُ أَنْ يَنْقُدَ لَيْنًا فَأَنْثِي
وَقَدْ جَرَحْتَ عَيْنَايَ صَفْحَةَ خَدِّهِ
وَأَمَلُ مِنْ دَمْعِي إِلَانَةَ قَلْبِهِ
وَلَأِنِّي بِذَاتِ الْأَيْكَ أُسْعِدُ وَرُقَّةً
وَقَدْ لَاحَ مِنْ تِلْكَ الْمُحَاسَنِ فِي جَنْدٍ ؟
مِنْ الْقَرْطِ يَصِلَاهَا حَبَابٌ مِنْ الْعَقْدِ
فَيَدْمِي كَمَا ثَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزُّنْدِ
بِقَلْبٍ شَفِيقٍ مِنْ تَثْنِيهِ مَنْقَدٍ
عَلَى خَطَا فَاخْتَارَ قَتْلِي عَلَى عَمْدٍ
وَلَا أَثْرُ لِلْغَيْثِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ
فَهَلْ عِنْدَ ذَاتِ الطَّوْقِ مَا لِلْهَوَى عِنْدِي

وَمِنْهَا :

وَيَا لَكَ مِنْ نَهْرِ صَوُولٍ^٣ مَجْلَجِلٍ
كَأَنَّ الثَّرَى مَزْنٌ بِهِ دَائِمُ الرِّعْدِ

١ الزوميات : غدا الناس كلهم في أذى .

٢ م : خفيف ؛ الزوميات : ألم تر أن طويل القريض .

٣ ط : متول .

إذا صافحته الريحُ تصقلُ متنه
 كأن يد الملك ابن معنٍ محمدٍ
 ويرفل في أزهاره واخضراره
 وقد وردت في غمره نُهل القطا
 مفيضُ الأيادي فوق أدنى وأرفع
 فمن جوده ما في الغمامة من حياً
 تلاًلاً كالإفرند في صارم النُهي
 وإن ولهُت فيه أذيهان معشرٍ
 ومنك أخذنا القول فيك جلالةً
 وتصنع فيه صنع داود في السرد
 تفجّره من منبعِ الجود والرّفد
 كما رفلت نعماء في حلل الحمد
 كما ازدحمت في كفه قبّلُ الوفد
 وصوب الغواذي شامل الغور والنّجد
 ومن نوره ما في الغزالة من وقد
 وكُثرراً كالإبريز في جاحم الوقد
 فلا فضل للأنوار في مقلة الخلد
 وما طاب ماءُ الورد إلاّ من الورد

قال ابن بسام : قوله « أذيهان معشر » بالتصغير ، يشبه قول عيسى بن عمر^٢ : ما كانت إلاّ أثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك . ولعله أراد أن يتبع أبا الطيّب في قوله^٣ :

ظلتُ بين أصبحابي أكفّفهُ
 وظلّ يسفحُ بين العُدْرِ والعَدَلِ
 وهيّات ، ما كلُّ من جرى سبق ، ولا كلُّ من ارتاح نطق .
 وله من قصيدة أولها :

نوى أجرتِ الأفلاك وهي النّواعجُ وأطلعتِ الأبراج وهي الهواجُ

١ م : ويجرز .

٢ عيسى بن عمر الثقفي الشحوي البصري (- ١٤٩) كان صاحب تقييد واستعمال للغريب ؛

انظر نور القبس : ٤٦ وانباء الرواة : ٣٧٤ والفهرست : ٤١ ومجمع الأدباء : ١٦ : ٣٧٤

ووفيات الأعيان ٣ : ٤٨٦ .

٣ ديوان المتنبي : ٣٢٨ .

طواويسُ حُسنٍ روّعتني بينها
مَواسٍ قُضِب فوق كُتبٍ كأنما
وما حزني ألاّ تعوجَ حدودُهم
مُضرجُ بردٍ الوجنتين كأنما
وما الدَّهرُ إلاّ ليلةٌ مُدلتهمه^١
كأنّك في الأملاكِ نقطةٌ دائر
سماحٌ وإقدامٌ وحليمٌ وعفة^٢
فقد صاك من فضلِ العوالم طيبه^٣
مَساعٍ أحلتك العُلا فكأنها

وله فيه من أخرى :

لقد سامني هوناً وخسفاً هواكم^٤
إذا شئتَ تنكيلاً وتنكيدَ عيشةٍ
وإن تبغِ إحساناً وإحماد مقصدٍ
حليمٌ وقد خفتَ حاومٌ فلو سري
جوادٌ لو أنّ الجودَ بارى يمينه^٥
ذكيٌ لو أن الشمسَ تحوي ذكاهه^٦
ولو في الحدادِ البيض حدّةٌ ذهنه^٧

واصطبَح المعتصمُ يوماً مع ندمائه ، وأظهر صبيّةً مهدويّةً في أنواعٍ

١ م : المزور .

٢ ط م : فأبدى .

من اللعب المطرب ، وحضر أيضاً لاعبٌ مصريٌّ هنالك ، فارنجل ابن
الحداد يصف ذلك :

كذا فلتلُحْ قمرأ زاهرا	وتجنِ الهوى ^١ ناضراً ناضرا
وسيبك صوبُ ندَى مُغْدِقٍ	أقام لنا هاملاً ^٢ هامرا
وإنَّ ليومكَ ذا رونقاً	منيراً لنور الضحى باهرا
صباحُ اضطباحٍ بإسفاره	لحظنا مُحْيِياً العلا سافرا
وأطلعتَ فيه نجومَ الكؤوس	وما زال كوكبُها زاهرا
وأسمعنا لاحقاً فاتناً	وأحضرنا لاعباً ساحرا
يُزَفِّنُ فوق رؤوسِ القيان	فتنظرُ ما يُذهلُ الناظرا
ويحفظها ^٢ ذيلُ سرباله	فتبصرُ طالعهَا غائرا
فظاهرها ينثي باطناً	وباطنها ينثي ظاهرا
وثنائه ^٣ ثانٍ لآلعا به	دقائقُ تنثي الحجى حائرا
وفي قِسمِ الراحِ من سحره	خواطرُ ولَّهتِ الخاطرا
إذا وردَ اللحظُ أثناءها	فما الوهمُ عن وِردِها صادرا
ومن بدعِ نِعَمائكَ إبداعه	فما انفكَّ عارضُها ماطرا
وسروكَ يجتذبُ المغرياتِ	ويجعلُ غائبها حاضرا

وله فيه أيضاً :

والنفسُ عاديةُ الكمالِ وإنما	بالبحثِ عن علمِ الحقائق تكملُ
والمرءُ مثلُ النَّصْلِ في إصدائه	والجهلُ يُصْدي والتفهيمُ يصقلُ

١ ط : وتحني الهدى ناصراً ناصرا ؛ م : وتحني الهدى .

٢ ط : ويحفظها .

ومنها :

متألىء^١ يثني العيونَ نواكساً كالشمس تعكسُ لحظَةً من يتأملُ
لا يتقي رمدَ النَّوائِبِ ناظرٌ يحلى بنيرَ صفحتيك^١ ويكحل
وكانَ راحتَه الذَّرَاعُ إفاضةً وكأنَّما الأنواء منها الأمل
تتصورُ الأكوانُ في حوابعه فكأنَّ خاطره الصَّغِيرُ سَجَنجَل

ومنها :

ولإذا رأتك الشَّهْبُ مزْمَعِ غزوةٍ ودَّتْ جميعاً أنَّها لك جحفل
ولوِ الأمورُ جرتْ على مقدارها حملَ السلاحَ لك السَّمَاكُ الأعزل

وله فيه من أخرى :

دوينَ الكتيبِ الفردِ قَضْبُ وكُثبانُ عليها لورقِ الوجدِ سمجٌ وإرنان^٢
وفي ظللِ الأفنانِ خُوطٌ على نقاً منيعُ الجنى لدنُ التأوُدِ فينان
وفي مكنسِ الرِّقْمِ المنعمِ أحوَرُ كأنَّ مصاليتَ الظُّبَا منه أجفان
وبين دراريِّ القلائدِ نيرٌ له الحسنُ تمُّ والتَّلثُّمُ نقصان
على صُدغهِ الشَّعْرَى تلوحُ وتلتظي وفي نحرهِ الجوزاءُ تزهى وتزدان

ومنها :

وما بالُ طرفي لا يوافيكَ شاكياً وطرفُكَ في كلِّ الأحايينِ وسنان

١ م : صفحته .

٢ ط : يسمع إرنان .

وفي ثغرِكَ الوضاحُ ريُّ لباتي فظلمكُ صدماءُ^١ وقلبيَ صديانُ
تسحُ بأهواءِ الورى منه راحةٌ شأبيهاً فيها^٢ لجينُ وعقيان
وما كيميئيه الفراتُ ودجلةٌ وإن حكموا أن المريّة بغدان
به اعتدلتْ أزمانُها وهواؤها فكانونُ أيلولُ وتموزُ نيسانُ

وله من أخرى يعتذرُ من خروجه عن المريّة بعد اعتقال أخيه ، وكتب
بها من مرسية^٣ :

الدَّهرُ لا يَنفكُ من حدّثانه والمرءُ منقادٌ لحكمِ زمانِه
فدعِ الزمانَ فإنّه لم يعتمدْ بجلاله أحدًا ولا بهوانِه
كالمنزّل لم يخصّصْ بِنافعِ صوبِه أفقاً ولم يختَرِ أذى طوفانِه
لكن لباريه بواطنُ حكمةٍ في ظاهرِ الأضداد من أكوانه

ومنها :

وعلمتُ أن السَّعي ليس بمنجحِ ما لا يكونُ السَّعد من أعوانِه
والجِدُّ دونَ الجِدِّ ليس بِنافعِ والرُّمَحُ لا يمضي بغيرِ سنانِه

ومنها :

وسما إلى الملكِ الرّضا ابنِ صمادحِ فأدالني بالسَّخَطِ من رضوانِه

١ م : صداء ، وكلاهما صحيح .

٢ م : فينا .

٣ أنظر نفع الطيب ٣ : ٥٠٤ وذكران المعتصم بن صمادح حين قرأ الأبيات قال : لا يتهيأ له صلاح عيش الا بأخيه ، فهو منه بمنزلة السنان من الرمح ؛ وأمر باطلاقه .

وهوى بنجمي من سماء سنائه وقضى بحطبي من ذرأ سلطانه

ومن شعره أيضاً في بني هود ، ولحق ابن الحداد بسرقة سنة
لأحدى وستين ، فأكثر المقتدر بالله من بره ، وعلم أنه متشوف إلى شعره ،
فمدحه بقصيدة أولها :

أَسَأَلْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لَوْلَوْ أَجْفَانِ وَأَجَرَتْ عَقِيْقَ الدَّمْعِ فِي صَحْنِ عَقِيَانِ
وَأَلَقْتُ حُلَاهَا مِنْ أَمِّي فَكَأَنَّمَا أَطَارَتْ شَوَادِي الْوَرَقِ عَنْ فَنِّ الْبَانِ
وَأَذْهَلَهَا دَاعِي النَّوَى عَنْ تَنْقَبُ فَحِيًّا مُحِيًّاهَا بِتَفَاحِ لُبْنَانِ
وَقَدْ أَطْبَقْتُ فَوْقَ الْأَقَاحِي بِنَفْسَجَا كَمَا خَمَشْتَ وَرْدًا بَعْنَابِ سَوْسَانِ

ومنها :

وَلَيْلٍ بِهَيْمٍ سِرْنَهُ وَنَجْمُهُ أَزَاهِرُ رَوْضٍ أَوْ سَوَاهِرُ أَجْفَانِ
كَأَنَّ الثَّرِيًّا فِيهِ كَأْسُ مُدَامَةٍ وَقَدْ مَالَتْ الْجُوزَاءُ مِيلَةً نَشْوَانِ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ مُدْطَمَّةٌ وَشَمْسٌ ضَحَاها أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ

وله فيه من أخرى أولها :

وَقَفُوا غَدَاةَ النَّفْرِ ثُمَّ تَصَفَّحُوا فَرَأَوْا أَسَارَى الدَّمْعِ كَيْفَ تَسْرَحُ

وفيهما يقول :

كَافَأَتْ مَتَجْهِي بِوَجْهِي نَحْوَكُمْ وَنَوَاطِرُ الْأَمْلَاقِ نَحْوِي طَمَحُ
أَيَّامٍ رَوَّعَنِي الزَّمَانُ بِرَيْبِهِ وَأَجْدَّ بِي خَطْبُ الْفَرَارِ الْأَفْدَحُ
وَلَنْ أَتَانِي صَرْفُهُ مِنْ مَأْمَنِي فَالْدَّهْرُ يُجَمِّلُ نَارَةً وَيَمْلَحُ

فكأنما الإظلامُ أيمٌ أرقطُ وكأنما الإصباحُ ذئبٌ أصبحُ

صدعَ الزمانُ جميعَ شعلي منجياً
ففضى بحطبي عن سمائي واقتضى
يَمَمَتَها سرقسطةٌ وهي المدى
حيثُ العُلا تجلى وآثارُ المنى
والنفسُ توقنُ أنَّ عهدك في الندى
فحيا المنى من بحر جودك يمتري

وإنَّ الزمانَ مُملَكٌ لا يُسجِعُ
رِحْلاً تُطِيعُ ركائبي وتطلُّعُ
والدَّهرُ يكبحُ واعتزامي يجمعُ
تُجْنِي وساعيةُ المطالب تُنجعُ
موفٍ بما طمحتُ إليه وتطمحُ
وسنا الضُّحى من زند مجدك يقدرُ

ومنها :

والشعرُ إن لم أعتقدهُ شريعةً
فبسحره^٢ مهما دعوتُ لإجابةً
فاذخر من الكلم العليّ لآثاً
وارباً بمجدك عن سواقطٍ سقط
ونظامُ ملكك رائقٌ متناسبٌ
أمسي إليها بالحفاظ وأصبحُ
ولفكره مهما اجتليتُ توضّحُ^٣
يبأى بها جيدُ العلاء ويجمعُ^٤
هي في الحقيقة مقدحٌ لا ممدح
فكما جللتُم فليجلَّ المدحُ

وكان ابنُ ردمير الطاغية قد بنى على بعض حصون سرقسطة ، فنهد*

١ الأضبح : ما كان لونه على لون الرماد ؛ وإذا قرئت بالصاد المهملة دلت على لون فيه حمرة ؛
والأول أدق في وصف الذئب .

٢ م : فلسهره .

٣ بعد هذا البيت تعود النسخة بلمشاركة ط م وينتهي الحرم .

٤ ب م ط : وينجح .

٥ ط : فنغد .

له المقتدر ، وأسرى إليه ، وأناخ عليه ، وابن رديمير في جموعه يُشرف
على ذلك من بعض جباله ، ثم عطف المقتدر على بعض حصونه وافتتحه ،
وانصرف غانماً إلى سرقسطة سنة اثنتين وستين ، فقال يصف ذلك :

مضاؤك مضمونٌ له النصرُ والفتحُ وسعيك مقرونٌ به اليمنُ والتَّجَحُّ
إذا كان سعيُ المرءِ للهٍ وحده تدانت أقاصي ما نحاه وما ينحو
بك اقتدَحَ الإسلامُ زند انتصاره وبيضك نارٌ شبَّها ذلك القدح
وجلى ظلامَ الكُفْرِ منك بغرةٍ هي الشمس والهندي يقدمها الصبح
فهم ذهلوا عن شرعهم وحدوده فقد عطلَ الإنجيلُ واطرحَ الفصح

وله يهتئء المؤتمن بن المقتدر بن هود بمولودٍ من جملة قصيدة :

فبشتر سماء السَّنا والسَّناء بنجم هُدَى لاح في آل هودِ
بمقتبسٍ من شمس النفوس ومقتدحٍ من زناد السَّعودِ
هلالٌ تألَّقَ من بدرٍ سعدٍ ومزنٌ تخلَّقَ من بحر جودِ
شهابٌ من النِّيَّرين استطار لإرداء كلِّ مرِيدٍ عنيدِ
ونصلٌ إذا تمَّ منه انتضاءٌ فويح العدا من مبيرٍ مبيدِ
تبيِّن فيه كُمونُ الذكاء ويا ربَّ نارٍ بمخضرٍ عُودِ

وله أيضاً من قصيدةٍ في المقتدر ، ويذكر كمال السلم بينه وبين أخيه
المظفر ، ويصفُ غزوَ الحاجبِ ابنه المؤتمن وبنياه^٢ في نحر العدوِّ حصن^٣
المدور :

١ ط : ومقترع : ب م : زنود .

٢ ب م : وشأنه .

٣ ط : وحصن .

مساعبك في نحر العدو سهامُ ورأيك في هام الضلالِ حسامُ
ولحُك يُردِّي القرن وهو مدججُ وذكركَ يثني الجيش وهو لهام
كأنَّكَ لا ترضى البسيطةَ منزلاً إذا لم يُطنبه عليك قتام

ومنها :

كأنَّكَ خلتَ الشمسَ خوداً فلم يزل يُقنَّعها بالنقع منك لثام
وقد يحسبونَ السَّلم منك سلامةً وربَّ منامٍ دبَّ فيه حمامُ
ثم عاد ابن الحدَّاد إلى المريَّة ، وَحَسُنَ بعدُ بها مثواه ، وأكرمته
المعتصمُ وأجزَلَ قيراه .

ومن شعره في النسيب وما يتصل به من الأوصاف

أبا شجراتِ الحيِّ من شاطئِ الوادي سقاك الحيا سقياكِ للدَّنفِ الصادي
فكانتَ لنا في ظلِّكِنَّ عشيَّةُ نسيتُ بها حسناً صبيحةَ أعيادي
بها ساعدتني مِن زماني سعادةُ فقابلني أنسُ الحبيبِ بإسعادي
فيا شجراتِ أثمرتِ كلَّ لذَّةٍ جناكِ لذيذُ لو جنيتِ على الغادي
فهل لي إلى الظبي الذي كان آنساً بظلكِ من تجديدِ عهدٍ وتردادِ
وقلبي على أغصانِ دَوْحك طائرُ ينوحُ ويشدو والهوى نائحُ شاد

وقال أيضاً :

يا زائراً ملأَ التواظَرَ نورا والنفسَ لهواً والفضلُوعَ سرورا

١ ب م : العادي .

لو أستطيعُ فرشتُ كلَّ مسالكي حدقاً وبيضَ موالفٍ ونحورا
فبك اكتمى جوتي سناً وتلاثوا وارتدَّ ثُرْبِي عنبراً وعبرا

وله أيضاً^١ :

واصل أخاك وإن أذاك بمنكري فخلوصُ شيءٍ قلماً يتمكّنُ
ولكلَّ شيءٍ آفةٌ موجودةٌ إنَّ السراج على سناهُ يدخنُ
وشعرُ ابن الحداد كثير ، ولا يفي بشرط هذا الكتاب إلا ما كتبت منه .

لُمعٌ من أخبار الأمير ابن صُمادح المذكور^٢

هو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي . وقد ذكر ابن حبان بيته في تجيب ، والمع بلُمعٍ من أسباب ملكه المغصوب ، وبين كيف تبلج نهاره ، ومن أين انصبَّ تياره . وقد كتبت من ذلك ما أمكنني تفسيره ، ولاقت بكتابي أعجازه وصدوره .

قال ابن حبان^٣ : كان جدُّه محمد بن أحمد بن صمادح المكتني أيضاً بابي يحيى صاحب^٤ مدينة وشقة وعملها ، طلعت نباهته في أيام المؤيد

١ وردا في الخريدة والمغرب والتكملة والذيل والتكملة وسرور النفس ، الورقة : ٤٤٩ والنفع ٣ : ٥٠٤ وأورد المقرئ معهما قصة .

٢ راجع أخباره في البيان المغرب ٣ : ١٦٧ ، ١٧٣ - ١٧٥ والمعجب : ١٩٦ والمغرب

٢ : ١٩٥ والقلائد : ٤٧ وأعمال الأعلام : ١٩٠ والمطرب : ٣٤ والحلة السيرة

٢ : ٧٨ - ٨٨ والخريدة ٢ : ٨٣ - ٨٩ ووفيات الأعيان ٥ : ٣٩ والوفاء ٥ : ٤٥

وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٦٢ وعبر الذهبي ٣ : ٣٠٦ وصفحات متفرقة من نفع الطيب .

٣ قارن بالبيان المغرب ودوزي (Recherches ج ١ الملحق : ١٩) .

٤ ط : حاجب .

هشام ، ثم كان له بسليمان اتصال^١ فثنى له الوزارة وأمضاه على عمله . وكان أوّل أمره مجاملاً لابن عمه منذر بن يحيى التجيبي ، يُظهر موافقته ، ويكأتمه^٢ من حسده إياه ما لا شيء فوقه ، حتى خذله تجمّله^٣ ، فلم يلبث أن تفرّجت^٤ الحال^٥ بينهما بعد مُضيّ سليمان ، وتحارباً على مُلك وشقة ، فعجز ابن صمّادح عن منذر لكثرة جمعه ، وأسلم له البلد وفرّ بنفسه ؛ فلم يبقَ له بالتغرّ متعلّق ، وكان أوّل ساقطٍ من الثوّار ، لم يتملّ سلطانه ولا أورثه من بعده .

وكان أبو يحيى هذا رجل الثغر رأياً ومعرفة ، ودهياً ولساناً وعارضة ؛ ولم يكن في أصحاب السيوف من يعدّله في خلاله هذه — من رجل محروم ، يقارنه الشّوم ، ويقعدُ به النّكدُ واللّوم . وكان يحملُ قطعةً صالحةً من الأدب ينالُ بها حاجته مخاطباً ومذكراً ، وكان لا يزال يسمو إلى طلب الدُّنيا والحرص عليها في أكثر حركاته ، فيقعد به جدّه ، ويُنكسه زمانه ، إلى أن أخفى عليه — حسبما ذكرناه .

وأما معن^١ ابنه^٢ ذو الغدرَةِ الصّلاء^٣ ، فإنّه لما قتل زهير فتى ابن أبي عامر صاحب المريّة ، وصارت لعبد العزيز بن أبي عامر واستضافها^٤ إلى بلده بلنسية ، واستمد بما ورثه من تلاد الفتيان العامرين موالي جدّه ،

١ البيان : جملة .

٢ البيان : تقبّحت ؛ وأراه استعمل « تفرّجت » بمعنى : انكشفت وتوضح منها ما كان مستوراً ، أو املها : « تمرّجت » بمعنى فسدت .

٣ ب م : أبوه .

٤ ب م : الشّعاء .

٥ ب م ط : واستضافت .

حسده على ذلك مجاهد^١ صاحب^٢ دانية ، وأظلم الأفق^٣ بينهما ، فخرج مجاهد غازياً إلى بلاد عبد العزيز ، وهو بالمرية مشغل^٤ في تركة زهير ، فخرج مبادراً عنها لاستصلاح^٥ مجاهد ، واستخلف فيها صهره ووزيره معن بن صمادح ، فكان شر^٦ خليفة^٧ استخلف ، لم يكذب يوارى وجهه عبد^٨ العزيز عنه حتى عمل بالغدر به والتمهيد لنفسه عند رعيته ، فخان الأمانة ، وطرده عن الإمارة ، ونصب له الحرب ، فغرب^٩ في اللوم ما شاء ، وتنكّب^{١٠} التوفيق ابن أبي عامر لاسترعائه الذئب الأزلي^{١١} على ثلثته ، ومسترعي الذئب أظلم ، وسر^{١٢} الله في خليقته لا يظهر أحداً عليه ، وكان من العجب^{١٣} أن تملأها^{١٤} ابن^{١٥} صمادح مدته ، وخلفها مبرأ^{١٦} في عقبه .

ثم أفضى الأمر^{١٧} من بعده إلى ابنه أبي يحيى محمد بن معن ، وصار من العجائب أن ارتقى ذروة الإمارة ، وتلقب^{١٨} من الأسماء الخلفيّة بالمعتصم ، والرشد^{١٩} لم يلبه ، وهو يعلم^{٢٠} أن^{٢١} من الجور أس^{٢٢} ملكه الموروث عن أب^{٢٣} لم يكرم^{٢٤} فيه فعله ، ولا طال في طلبه^{٢٥} تعب^{٢٦} ، ثم لم يكفه تغطيه عن أجنحة النوايب بساحله الذي حال الحوز^{٢٧} أمامه واللج^{٢٨} وراءه ، فرعى خضرته ، ولبس فروته ، وأفنى دجاجه ، مستبدآ^{٢٩} بمال ألفاه ، لا يتجاوز به شهواته ومآربه إلى قضاء^{٣٠} حق^{٣١} في جهاد عدو^{٣٢} أو سد^{٣٣} ثغر ، أو معونة^{٣٤} على بر^{٣٥} ؛ حتى مل^{٣٦} العافية ، وبطر^{٣٧} الدعة ، وطلب الزيادة ، فسمى للتوسع في بره^{٣٨} .

١ ب م : لإصلاح .

٢ ب م : تملكها .

٣ ط : فيه .

٤ ب م والبيان : الحزن .

٥ ب م : يده .

فحاول مفاتنة^١ أحق الناس بولايته ، ابن خاله عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر الفتي المتأمر - كان - ببلنسية بعد أبيه عبد العزيز المنصور ، ولم يرع فيه حق صهره يحيى بن ذي النون كبير أمراء الأندلس ، وقد كان بادر إلى مفاتنته ، وبادر السير لإثر خاله عبد العزيز بنفسه ، طمعاً في مدينة لورقة ، فصدّ عنها خائباً ، وانصرف على قطيعة عبد الملك منها وزير صدق ، شيخ مجرب للأمر ، يلجأ من تديره إلى كهف منبع ، وهو الوزير ابن عبد العزيز ، وعلى ذلك صمد ابن صمادح هذا على حصن من عمل تدمير وثب فيه لعامل عبد الملك ، وجرت بينهما خطوب^٢ ، واستعان بحليفه باديس ، واستمدّه على ما ذهب إليه من الفتنة ، فوجده مسارعاً إلى ذلك ، لما كان يعتقد من العصبية البربرية ، ويذهب إليه من إيرااء الفرقة بين أصدقاءه الأندلسيين^٣ ، على ذلك كله انقلب ابن معن هذا خائب السعي ، قبيح الحجل ، ضائع النفقة ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام^٣ : ولم يكن أبو يحيى هذا من فحولة ماوك الفتنة^٤ ، أخلد إلى الدعة ، واكتفى بالضيق من السعة^٥ ، واقتصر على قصر بينيه ، وعلق بقتنيه ، وميدان من اللذة يستولي عليه ويبرز فيه ؛ غير أنه كان

١ ب م : معاتبة .

٢ ط : من ازدراء فرقة الأندلسيين ؛ ب م : من ارداء .

٣ نقل ابن الأبار هذا النص في الحلة (٢ : ٨٢) ونسبه إلى أبي عامر السامي ونقله ابن سعيد ونسبه إلى ابن بسام .

٤ ب م : أبو معن .

٥ ب م : من فحولة الملوك .

٦ ب م والبيان : واكتفى من (البيان : عن) الضيق بالاسعة .

رَحْبَ الْفَيْءِ ، جَزَلَ الْعَطَاءَ ، حَلِيمًا عَنِ الدِّمَاءِ وَالْدِّهْمَاءِ ؛ طَافَتْ بِهِ
الْأَمَالُ ، وَاتَّسَعَ فِي مَدْحِهِ الْمَقَالُ ، وَأَعْمَلَتْ إِلَى حَضْرَتِهِ الرِّحَالُ ، وَلَزِمَهُ
جَمَلَةٌ مِنْ فَحُولِ شُعْرَاءِ الْوَقْتِ كَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ وَأَبِي الْفَضْلِ ابْنِ
شَرَفٍ وَابْنِ عُبَادَةَ وَابْنَ الشَّهِيدِ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يُعْلِقْ بِسِوَاهُ سَبَبًا ،
وَلَا شَدَّ إِلَى غَيْرِ ذِرَاهِ كُورًا وَلَا قَتَبًا .

وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُلَفَائِهِ مِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْجَزِيرَةِ ، فُتُونٌ
مُبِيرَةٌ ، غَلَبُوهُ عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ سَجِيَّتِهِ مُكْرَمًا إِلَيْهَا ، لَمْ يَكُنْ مَكَانُهُ
مِنْهَا بِمَكِينٍ ، وَلَا صَبْحُهُ فِيهَا بِمَبِينٍ . وَقَدْ انْدَرَجَتْ لَهُ وَلَهُمْ فِي تَضَاعِيفِ
هَذَا التَّصْنِيفِ قِصَصٌ تَضِيْقُ عَنْهَا الْأَيَّامُ ، وَتَتَبَرَّأُ مِنْهَا الْقِرَاطِيسُ وَالْأَقْلَامُ .

وَلَمَّا أَهَابُوا بِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، دَخَلَ ابْنُ صِمَادِحٍ فِي غِمَارِهِمْ ، وَمَشَى عَلَى آثَارِهِمْ ، فَخَرَجَ
عَنِ الْمَرِيَّةِ إِلَى لَيْبُطٍ^١ يَجْرُ جَيْشًا ، لَا تَتَأْتِي الطَّيْرُ غُدُوَّتَهُ^٢ ، وَلَا يَتَوَقَّعُ
الْعَدُوُّ وَطَأْتَهُ :

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِيِّ أَعْرَضَتْ . وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ^٣
فَأَلْفَى بِهَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَلَاحَتِهَا ، وَضَرَبَ^٤ أَبْنَتَهُ

١ فِي النسخ : لَيْبُطٌ ؛ وَقَدْ تَكْتَبُ الْبَيْطُ وَهِيَ (Alledo) حَصْنٌ بَيْنَ لُورَقَةٍ وَمَرْسِيَةٍ .

٢ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

تَتَأْتِي الطَّيْرُ غُدُوَّتَهُ ثِقَّةً بِالشَّيْخِ مِنْ جِزْرِهِ

٣ الْبَيْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَعِيمٍ النَّمِيرِيِّ الشُّقْفِيِّ وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ يَهُوَى زَيْنَبَ أُخْتِ
الْحُجَّاجِ ، انْظُرِ الْأَغَانِي ٦ : ١٨٠ - ١٩٧ فِي أَحْوَارِهِ ؛ وَالْبَيْتُ ص : ١٨٣ ، وَفِي
الْأَغَانِي : ١٥٣ .

٤ بِمَط : وَاضْطَرَبَ .

بين جوزائها وحققتها ، وتمكّنَ من قيادها ، وألقت إليه بأفلاذ أكبادها ، لولا أجلٌ محتومٌ ، وتخاذُلٌ من مُلوكِ الطوائف بالأندلس معلومٌ ؛ فعرض ابنُ صُمّادح نفسه عليه ، ومثّلَ بين يديه ، فتلقّاهُ أميرُ المسلمين ، رحمه الله ، بجميلِ نظَرِهِ ، وبوَأهُ جانباً من مُعسكرِهِ ؛ فكان كالقريّ أفضى إلى البحر ، أو الكوكب الدُرّيّ غرقَ في لُجّةِ الفجر ؛ وسيأتي الخبرُ عن ذلك مشروحاً في أخبار محمد بن عباد المخلوع ، بموضعه من هذا المجموع ^١ .

وأتسى ابنُ صُمّادحٍ به مجاهرّاً بالعصيان ، وأبدى صفحةَ الشّتان ، فوافيا نكبتهما كفرسي رهان ؛ غيرَ أنَّ ابنَ صُمّادحٍ كانت بينه وبين الله سريرة ، أو سلفت له عندَ الحمام يدٌ مشكورةٌ ، مات وليس بينه وبين حلُولِ الفاقة به إلّا أيامٌ يسيرة ، في سُلْطانه وبَلَدِهِ ، وبين أهله وولده .

حدّثني مَنْ لا أَرُدُّ خبره عن أروى بعض مَسانٍ حظايا أبيه قالت : لاني لَعِينَدَهُ وَهَر يُوْصِي ^٢ بِشَأْنِهِ ، وَقَدْ غُلِبَ عَلَى أَكْثَرِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَمُعْسَكْرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ بِحَيْثُ نَعُدُّ خِيَمَاتِهِمْ ، وَنَسْمَعُ اخْتِلَاطَ أَصْوَاتِهِمْ ، لَإِذْ سَمِعَ وَجْبَةً مِنْ وَجَبَاتِهِمْ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، نُغْصِ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَوْتُ ! قَالَتْ أَرَوَى : فَدَمِعَتْ عَيْنِي ، فَلَا أُنْسِي طَرَفاً إِلَيَّ يَرْفَعُهُ ، وَإِنْشَادَهُ لِتَايِ بِصَوْتٍ لَا أَكَادُ أَسْمَعُهُ :

تَرَفَّقْ بِدَمْعِكَ لَا تُفْنِنِهِ فَبَيْنَ يَدَيْكَ بَكَاءٌ طَوِيلٌ

١ موضعه القسم الثاني من الذخيرة .

٢ ب م : يوصيني .

وكان فيما أوصى به إلى ابنه الذي كان رشتحه لسلطانه^١ ، وبوَاهَ صدرَ إيوانه ، ولقبه من الألقاب السلطانية بالوائق بالله ، أن قال له : يا بني إنَّ ابنَ عبادٍ معنى السَّريرة ، وشيخُ هذه الجزيرة ، فساعة يبلغُكَ عنه شيءٌ فأخفِ صوتكَ ، وانجُ وليتَكَ .

فلما فار التَّنور ، وبطلتْ تلك الأساطير ، وسقط عليه بخير ابن عبادٍ الخير ، باع ذِرْوَةَ الملك ، بصَهْوَةِ الفُلْكِ ، واعتاض من مُناسمةِ الرُّوحِ والريَّحان ، بمزاحمةِ الشَّراعِ والسَّكَّان ، ومن سماعِ نغمِ المزامير والأوتار ، بالتَّصامُمِ عن صَحْبِ تلك الأتَّاجِر والغمار . وخلَّى أهلُ المِريَّة بينه وبين شأنه رَعياً للذَّمام ، ومكافأةً عن سالف أياديه الجسام ، وسُخَّر له البحرُ فنجاً ولم يعلقه شرَك ، ولا رَجَعَ عليه دَرَكَ^٢ .

ولأبي يحيى بن صُمادح :

وتحتَ الغلائِلِ معنىً غريبٌ شفاءُ الغليلِ وبُرءُ العَكيَلِ
فهل ليَ مِن نيلهِ نائلٌ ولا بن السَّبيلِ إليه سبيلِ
فما ليَ إلَّا الهوى متجرٌ فغيرُ الغواني متاعٌ قليلِ
فيا ربَّةَ الحُسْنِ في غايةِ وعَصَرَ الشَّبَابِ وظِلَّ المَقيَلِ
ذريني أعانقُ منكِ القَضيْبَ وأرشفُ من ثغرِكَ السلسيلِ

١ هو ابنه معز الدولة أحمد ، وقد عهد إليه أبوه أن يلحق ببلاد ابن حماد إذا هو سمع بخلع ابن عباد على يد المربعين ، فلما حدث ذلك ، غادر المرية في رمضان وقيل شعبان سنة ٤٨٤ وقصد بحماية فأنزله المنصور بن الناصر بن علناس في كنفه (الحلة السَّيْراء ٢ : ٨٩ - ٩٠) .
٢ عند هذا الحد تنتهي الترجمة في ط ؛ ويبدو أن ما ألحق بعد ذلك إنما هو دخيل على الذخيرة ، فهو مأخوذ عن القلائد والمطبخ .

وكتب إليه النحلي^١ :

أيا من لا يضافُ إليه ثانٍ ومن ورثَ العُلا باباً فباباً
أجلّك^٢ أن تكونَ سوادَ عيني وأبصرُ دون ما أبغي حجاباً
ويمشي الناسُ كلّهمُ حماماً وأمشي بينهمُ وحدي غراباً

فوصله ، وراجعه^٣ :

وردّت وللليلِ البهيمِ مطارفُ عليكَ وهذي للصّباحِ برودُ
وأنتَ لدينا ما بقيتَ مُقرَّبُ وعيشُك سلسالُ الحمامِ برودُ

وله في خبر^٤ :

لما غدا القابُ مفجوعاً بأسودِه وفُضَّ كلُّ ختامٍ من عزائمِه
ركبتُ ظهرَ جوادي كي أعزيّه وقلتُ للسيفِ كن لي من تائمِه

وله^٥ :

انظر إلى حُسنِ هذا الماءِ في صَبَبِه كأنّه أرقمُ قد جدّ في هربه

١ انظر الحلة السيرة ٢ : ٨٨ والقلائد : ٤٨ والمغرب ٢ : ١٩٧ وكانت المناسبة أن دخل

النحلي المرية والناس قد لبسوا البهاض ، أما هو فكان يرتدي أسعالا سوداء ؛ وسترّد ترجمة النحلي في القسم الثاني .

٢ الحلة والقلائد : أيجمل .

٣ القلائد : ٤٨ والمغرب .

٤ القلائد : ٤٩ .

٥ المصدر نفسه ؛ والفتح ١ : ٦٦٦ ، ٣ : ٣٢٩ والمغرب ٢ : ١٩٧ .

أبو يحيى رفيعُ الدولة بن صمادح^١

من بيت إمارة، وإلى عليها السَّعد طوافه^٢ واعتماؤه ، انتجعوا انتجاع الأنواء ،
واستطمعوا في المحل والأواء ، وأبو يحيى فجرُ ذلك الصُّباح ، وضوءُ ذلك المصباح ،
التحفَ بالصُّون وارتدى ، وراح على الانقباض واغتدى ، فما تراه إلاَّ سالكا جدداً ،
ولا تلقاه إلاَّ لابساً سؤدداً . وله أدبٌ كالرُّوض إذا زهر ، والصُّبح إذا اشتهر ، وقفه على
النَّسيب ، وصرفه إلى المحبوبة والحبيب :

يا عابدَ الرَّحمن كم ليلةٍ أرقتني وجداً ولم تشعر
إذ كنت كالغصن ثنته الصُّبا وصحنُ ذاك الخلد لم يشعر

وله :

مالي وللهدر لم يسمع بزورته لعلَّه ترك الإجمال أو هجرا
إن كان ذاك للذب ما شعرت به فأكرمُ النَّاس من يعفو إذا قدرا

وله :

وأهيف لا يلوي على عتب عاتب ويقضي علينا بالظُّنون الكواذب
يُحكِّمُ فينا أمره فنطيعه ويُحسِّبُ منه الحكمُ ضربةً لازب

وله :

وعلقته حلَّو الشَّائل ماجناً خنت الكلام مرتجع الأعطاف
ما زلت أنصفه وأوجبُ حقَّه لكنَّه يَأبى على الإنصاف

١ رفيع الدولة : ذكره صاحب سبط الجمان ولم يسمه وكناه أبا يحيى وكذلك فعل السالمي ،
وكناه صاحب المطمح أبا زكريا (وفي النفع ٣ : ٣٦٩ أبو زكريا يحيى بن المعتصم) ؛
انظر في ترجمته الحلة ٢ : ٨٢ والمغرب ٢ : ١٩٩ والمطح ٣٠ : ٣ والنفع ٣ : ٣٦٩ ،
٣٨٧ ، وفي ج ٧ : ٤٣ ترجمة منقولة عن المطمح ولهي مختلفة عن ما جاء في المطمح المطبوع ؛
وتعد هذه القطعة دخيلة على الذخيرة ولذلك ميزتها بحرف طباعي أصفر .

٢ المطمح : حجه .

وله :

حبيبٌ متى بناى عن القلب شخصه
ويهدأ ما بين الضلوع إذا بدا
يكادُ فؤادي أن يطير من البين
كان على قلبي تآلم من عيني

وله إلى أبي نصر^١ :

قدمت أبا نصرٍ على حالٍ وحشةٍ
وقررت بك العيان واتصل المني
فجاءت بك الآمال واتصل الأنس
فأهللاً وسهلاً بالوزارات كلّها
وفازت على يأسٍ لبغيتها النفس
ومن رأيه في كل مظلمة شمس

وكتب ابن اللبّانة لرفيع الدولة^٢ :

يا ذا الذي هزّ أمداحي بحلبته^٣
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله
وعزه أن يهزّ المجد والكرما
فجُد عليه لأيام المني سلما

فراجعه :

المجد ينجل من لُقياك^٤ في زمنٍ
فلونك التزّر من مُصَفٍ مودّته
ثناه عن واجب البرّ الذي علما
حتى توفّر أيام المني للسلما

وله^٥ :

سلوت أبا نصرٍ وما كنت ساليا
وأظهرت عن قرب المزار التنايا

١ يعني الفتح بن خاقان .

٢ حتد ابن الأبار (الحلة ٢ : ٩١) أنه كتب بذلك إلى عز الدولة وهو أخو رفيع الدولة ؛

وانظر الشفح ٣ : ٢٦٩ ، ٧ : ٤٢ - ٤٣ .

٣ الحلة والشفح : بحلبته .

٤ الحلة والشفح : من يقديك .

٥ هذه القطعة والتي تليها لم يوردهما المطبع المطبوع .

فديتك قل كيف اجترأت على النوى وخلقت من نهواه بالجرع ثاويا
ظننت بأن يسليك نأي محله وهبها ما تزداد إلا تماويا
وله :

عجبت أبا نصر لعيشك آسيا بفاس وما فيها مقام لفاضل
وفي حمص الدنيا نعيم وجنة وماء وظل وارفت غير زائل

فصل في ذكر الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي^١ وإيراد جملة من نظمه ونثره

وكان فرداً من أفراد الشعراء والكتاب ، وبحراً من بحور المعارف
والآداب ، شق كمام الكلام عن أفانين النور والزهر ، ورفل من
النثر والنظام بين الأصول والبكر ، ولم يقع إلي من شعره ونثره ، إلا
نُبذة كلامه المريب بذات صدره ، وفيما أثبت منها ما يُعرب^٢ بذكره ،
ويُعرب عن عجيب أمره . وأقام بالمرية مدةً تحت ضنك معيشة مع
عدة مدائح ، رفعها لأمرها ابن صمادح ، فلما كان يوم عيد أنشده
شعراً قال فيه :

١ ترجم الفتح في القلائد (١٧٠ - ١٧١) لمن سماه الوزير المشرف أبا محمد بن مالك وقل
المقري بعض تلك الترجمة (١ : ٦٧٤) ويؤخذ مما ذكره ابن خاقان أن منزلة ابن مالك
ارتفعت لدى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وأنه بؤاه المراتب اللاتقة به وجعله مشرفاً حل
سرف أموال خصصت لإصلاح الأحوال بشرق الأندلس ؛ وقد التقى به الفتح بطرطوشة ،
كما لقيه باشبيلية .

٢ ب م : اخترت . . . ما يعرف .

الإخواننا لهما عليكم وحسرة
 عليكم سلام من مُحِبِّ يودُّكم
 وما هو إلاَّ البَيْنُ قد جدَّ جدُّه
 حقائب قد ضُمَّنَّ كلَّ لطيفةٍ
 أمعتصماً بالله يا خيرَ موئِّلٍ
 مضى الفطرُ والأضحى ولا نبلَ يُقتضى
 وكم عفتُ قدماً من جزيلِ مواهبٍ
 سأرحلُ عنكم دون زادٍ لبُلغةٍ
 فلاننا صَحِبناكم أبرَّ أصحابٍ^١
 فقد قَلِقتُ نحو العراقِ^٢ ركابي
 فلم يَبْقَ منه غيرُ شدِّ الحَقائبِ
 وإن صَفِرتُ من مُنْفساتِ المواهبِ
 وأكرمَ مأمُولٍ وأفضلَ واهبٍ
 فلم أخفقتُ وحدي إليك مطالبي
 وقد خَطَبتني من جميعِ الجوابِ
 وتلك لعمري سبَّةٌ في العواقبِ

فقال له ذو الوزارتين^٣ أبو الأصْبَحِ ابنُ أرقم : عياداً بالله من ذلك
 يا أبا محمَّد . وما زال يُعلنُ باضطرابه ، ويشكو الفقرَ في أشعاره ، حتى
 أعباهُ ذلك ، فجعل بعدُ يصفُ الغنى واليسارَ هنالك ، تعريضاً وتطبيهاً ،
 فمن ذلك قوله من جملة قصيدة :

وما نذكر الإعدامَ إلاَّ تَخَيَّلاً لكثرةِ ما أغنى نَدَاهُ وما أفى
 وأكثرُ ما نخشاهُ طغيانُ ثَرَوَةٍ فلاننا نرى الإنسانَ يطغى إذا استغنى

فقال له بعضُ أصحابه : ومن أينَ هذا الغنى وقديماً تشكو الفقرَ ؟
 ومضوا معه إلى منزله فما وجدوا معه غيرَ قُلَّةٍ فخارٍ وقدرٍ للماء ، ونحو
 ثمانيةِ أربالٍ دقيقٍ في غلَّةٍ .

١ ب م : أصحاب .

٢ ط : الفراق .

٣ ط : الوزير .

فصول له من مقامة تعرب عن حفظ كثير
خاطب بها ابن صمادح المذكور
اقتضبتهما لطولها وسقت بعض فصولها^١

يقولُ في فصلٍ منها :

إِنْ تَطَلَّعَ — لَا زَالَ طَالِعاً نَجْمٌ سَمُودِهِ — إِلَى نَبَأٍ مِنْ أَنْبَاءِ عَبِيدِهِ ،
فَلَأْتِي أَنْبَشُهُ ، وَلَا أَنْبِيءٌ إِلَّا حَقّاً ، وَأُخْبِرُهُ وَلَا أُخْبِرُ إِلَّا صِدْقاً ؛ أَمَّا
الْأَفْتَدَةُ مِنْ بَعْدِهِ فَمَفْزُودَةٌ ، وَأَمَّا الْأَكْبَادُ لِبُعْدِهِ فَمَكْبُودَةٌ ، وَالذَّهْرُ
مِنْ بَعْدِهِ لَيْلَةٌ لَيْلَاءٌ ، وَالنَّاسُ جِبِلَّةٌ دَهْمَاءٌ .

وفي فصل : بُشْرَى لَنَا وَلِدَوْلَتِهِ الْغُرَاءُ ، وَهَنِيئاً لَنَا وَلِحَضْرَتِهِ الزَّهْرَاءُ ،
فَتَحَّ تَفْتَحَتْ لَهُ أَزَاهِيرُ^٢ النِّجَاحِ ، وَبُشْرَى^٣ تَبَاشَّرَتْ بِهِ تَبَاشِيرُ الْفَلَاحِ ،
وَرُوءاً^٤ أَشْرَقَ مِنْهُ جَبِينُ الصَّبَّاحِ ، وَخَبْرٌ تَصَوَّعَتْ بِهِ نَوَائِجُ^٥ الرِّيَّاحِ ؛
يَوْمٌ هَزَّ لَهُ الزَّمَانُ^٦ ثِنْيَيْ عَطْفِهِ ، وَشَمَخَ عِزَّةً^٧ بَأَنْفِهِ ؛ فَالآنَ حِينَ انْصَدَعَ
جَوْنُ^٨ الْهَزِيعِ ، عَنْ جَوْنِ الصَّدِيعِ^٩ ، فَوَجَّهَ الزَّمَانُ ضَمَحِيانُ^{١٠} مُشْرِقُ ،

١ يعتمد ابن مالك في هذه المقامة حل الأبيات الشعرية ، وسأشير إلى نماذج من ذلك في سياق
هذه التعليقات ، ولكن استقصاء ذلك كله يثقل الحواشي كثيراً .

٢ ب م : أزهار .

٣ ب م : وبشرى .

٤ النوائج : الرياح الشديدة المروروالجبوب ؛ ب م : نوائج ؛ ط : بوائج .

٥ انصدع جون الهزيع من جون الصديع : انشق سواد الليل عن بياض الصبح ، والصديع :

انصدع الصبح ؛ ب م : انصدع جون الصريع .

وعُودُ الدهرِ فينانُ موري ، والعيشُ غُصَّةٌ مكاسرُهُ ، عذبةٌ موارِدُهُ
ومصادرُهُ ، طابَ كما لذَّتْ لشاربها الشمولُ ، وتضوَّعَ كما خطرتُ
على الرُّوضِ القَبول .

وفي فصل : فليلته يومُنَا بالأمسِ ، ما أجليبه لألطفِ الأنسِ ١ ، حين
طلع علينا مَنْ كان طلوعُهُ ألدَّ إلى الأعينِ من وَسْنها ، وأوقعَ في القلوبِ
من سكنها ، طلعَ طُلوعُ الصباحِ المُتهلِّل ، وجاءَ بجيِّءِ العارضِ المُسبِّل ،
دلفنا إليه كالقطا الأسراب ، فبهَرْنَا الأمرُ العُجَاب ، وكادتِ الأفئدةُ ممَّا
وجفتْ ، والألبابُ ممَّا رجفتْ ، ألا يرجعَ نافرُها ٢ ، ولا يقعَ طائرُها .

وفي فصل : لا تسمَعُ إلَّا هَمِّمةً وصهيلًا ، وقعقةً وصليلاً ،
فخلتْ الأرضُ تَميلُ مَميلًا ، والجبالُ تكونُ كَثيبًا مَهيلًا ، لا تعلمُ
لأصواتِ تلكِ الغماغم ، وضوضاءِ تلكِ المماهم ، من وهواهٍ صهيل ،
ودَرْدَابِ طُبُول ، أزييرُ ليوثٍ بآجام ، أم قعقةُ رعدٍ في ازدحامِ غمام ؟
فتزاحمَ في الأفقِ المَهميمُ والهديدُ ٣ ، وتلاطمَ في الجوّ النثيمُ والوثيدُ ٤ ،
فكادتِ الدُّنيا بنا تَميد ، لا تُبصرُ غيرَ مللملةٍ جأواء ٥ ، وموارةٍ ٦ شهباء ،
قد ضعُضتِ ٧ التلال ، ودكدكتِ القِلال ، إذا فرعت من ذاتِ نيق ،

١ ب م : أجليبه الأنس .

٢ ب م ط : تنافرُها .

٣ المَهميم : كأنه من الهمة وهي الصوت الخفي ؛ والهديد : الدوي ؛ وفي ب م : البهيم .

٤ النثيم : الصوت الضعيف الخفي ؛ الوثيد : الصوت العالي الشديد .

٥ الكتيبة الجأواء : التي يملوها السواد لكثرة الدروع ؛ ط : بأواء .

٦ ب : سواده ؛ ط : مواده .

٧ ب م : صفصفت .

أَوْ صَوَّبَتْ^١ مِنْ فَجٍّ عَمِيقٍ ، أَوْ تَطَالَعَتْ مِنْ أَفْقٍ سَحِيقٍ ، حَسِبْتُهَا تَجِيْشُ^٢
عَلَى الْبِلَادِ بِحَارًا ، أَوْ تَسُحُّ^٣ عَلَى الْوَهَادِ مَدْرَارًا ، فَقَدْ نَسَجَتْ فَوْقَهَا مِنَ الْقَتَامِ ،
ظُلُلًا كَثْرَاكُمُ الْغَمَامِ^٤ ، فَكَأَنَّمَا رَفَعَتْ سَمَاءً مِنْ عَجَاجٍ ، وَأَطْلَعَتْ
نُجُومًا مِنْ زُجَاجٍ .

ومنها : حَتَّى لَاحَ لَنَا مِنْ مَلِكِ الْأَمْلاَكِ ، وَثَالِثُ الْقَمَرَيْنِ فِي الْأَفْلَاكِ^٥ ،
وَجَهٌ جَلِيٌّ^٦ هَبْوَةً ذَلِكَ الْعَثِيرِ ، وَالْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ ، فَحِينَ جَلَّتْ غُرَّتُهُ
الْغَرَاءُ جَلَايِبَ الْغُبَارِ [لَمْ نَدِرْ أَبَدْرُ اللَّيْلِ] أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ . فَلِلَّهِ مَا
ضَمَّتْ^٧ أَطْنَابُ ذَلِكَ السَّرَادِقِ ، وَمَا أَظْلَتْ أَفْيَاءُ تِلْكَ الْخَوَافِقِ ، مِنْ مَالِ
الْمُسَيْفِ وَعَنْبَرِ الْمُسْتَاثِ^٨ ، وَلَيْثِ الْعَرِينِ وَبَحْرِ الْأَغْتَرَاثِ ، وَمَنْ نَزَالَ
الْمَوَاجِرِ ، وَبَذَّالِ الْجَوَاهِرِ ، فَلَمَّا جَلَّتْ غُرَّةٌ وَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ ، غَبَايَةً ذَلِكَ
الْقَسْطَلِ ، جَعَلَتْ أَنْتَاطِلُ ضَرَاعِمَ فَوْقَ قُبِّ صَلَادِمَ ، فَمَنْ كُتِمَتْ تَسْبِغُ
بِكُمَاةٍ ، وَمَنْ حُمُ تَرْدِي^٩ بِحِمَاةٍ ، قَدْ تَحَلَّتْ بِحُلِيِّ لِبَاتِهَا وَأَجْمَهَا^{١٠} ،
تَحْلِي الْغِيَاظِ بِأَنْجَمِهَا ، يَرْفُلْنَ فِي الْعَبْقَرِيِّ وَيَحْمِلْنَ جِنَّةَ عَبَقَرٍ ، وَيَسْفِرْنَ

١ ب م : صرفت .

٢ ب م : من الغبار . . . كثراكم الغمار .

٣ ط : وثابت . . . الأحلاك .

٤ ط : جلا .

٥ ط : ضمنت .

٦ من قول المعري (شروح السقط : ١٢٦٤) :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاث

والمسيف هو الذي ذهب ماله . والمستاث : الشام ، يقال : ساف الطيب يسوفه واستافه
يستافه . .

٧ ط : تودي (وهو خطأ) .

٨ ب م : وأنجمها .

عن مثل الصبح إذا أسفر ، من الجياد اللواتي تضمن^١ أقوات النور القشاعم ،
وتقري سراحين الفلاة بالطللى والجماجم ، أنجاد^٢ كأنها أسنتها ، وحياد^٣
كأنها أعنتها ، فما ترى غير محارب يهز حراباً ، وأعاريب تركض^٤ عرباباً .

[وفي فصل]^٥ : كلّ قد أخذ عتاد اليوم للبأس الشديد ، يُظاهِر^٦
بالحديد على الحديد ، تلبّى بالسّابريّة وتدرّع ، وتمصّب بالصّقال وتفتّع ،
حتى البلائق والدروع سواء ، وحتى المقلّة النجلاء والحلقة الخوصاء ،
من كلّ مسرود الدّخارص ، متألّق دُلامص^٧ ، كأنما جلّته بجبكتها
السحاب ، أو خلع برّده عليه الحُباب ، أو غُمِسَ في ماء فجمد عليه
الحُباب ، وكأنما باض^٨ على رؤوسهم نعام الدّوّ ، وبرقت في أكفّهم
بوارق الجوّ ، لكنّها ما هُزّت فبوارق ، وإذا صُبّت فصواعق ، من كلّ
ذي شطّب كأنما [أهل] قرى نمل^٩ ، علون منه قرا نصل^{١٠} ، فإذا أصاب
فكلّ شيءٍ مقتل^{١١} ، وإذا حزّ فكلّ عضو مفصل^{١٢} ، أمضى في الأشباح ،
من الأجلّ المتاح ، عَضِبُ الحَدّ^{١٣} صقيبل^{١٤} ، يكادُ إذا انتضي يسيل ، ويكادُ
مُبصِرُهُ يغنى عن الورد ، إذا اخترط من الغمد^{١٥} ، ما لم يَخْلُهُ ريعان سراب^{١٦} ،
في صحصحان يباب^{١٧} ، لاشتباه فرنده بحباب في شراب ، أو حُباب في

١ ط : جياد تضمن .

٢ الكلام متصل في ب م .

٣ ب م : فظاهر .

٤ الدغرس والدغرسمة من الدرع ما يوصل به البدن ليوسعه . والدلامص : البراق الذي
يبرق أونه .

٥ ب م : باغت .

٦ ب م : المتن .

٧ من قول المعري : فلولاً الغمد يسكه لسالا .

سراب ؛ فلما رأيت جفنه قد انطوى على جمر الغضا ، وماء الأضا^١ ،
وانضم^٢ على خضرة الجنح ، وروّنتق الصُّبح ، قلتُ : سبحان مكوّر الليل
على النهار ، والجامع بين الماء والنار .

وفي فصل : ومن كلّ مثقف الكموب ، أصمّ الأنبوب ، كأنما سلب
من الرُّومِ زرقَتها ، واجتلب من العرب سمرتها ، وأخذ من الذئب عسلانته^٣ ،
ومن قلب الجبان خفّاقانه ، ومن رقراقِ السراب لمعانه ، أو استعار^٤ من
العاشق نحوه ، ومن العليل ذُبُوله .

فكررتُ الطرفَ خِلالَ تلك الجياد ، فرأيتُ مُقَرَّبَاتِ خيلٍ يتخايلن
تخايلَ العذارى الرُّود ، ويتهادين تهادي المهارى القود ، فكأنّما يتوجّسن-
عن أطراف أقلام ، ويتشاوسن عن مُقَلِّ آرام : فمن مُبَيضٍ شطر
كأبيضاضِ المُهرَّق^٥ ، ومسودّ شطرٍ كاسودادِ الموهق^٥ ، كأنما اختلس^٦
نصفه الفلّلق ، واحتبس بنصفه الغسق ، «مُقابِلُ الخلق بين الشمس والقمر»^٦ ،
ومُقسَّمُ السَّرْبَالِ بين الجنح والفجر ؛ إذا توجّس^٧ عن رقيقتين ، كأنما

١ الأضا : جميع أضاة وهي البركة .

٢ ط : وارتسم .

٣ ط : واستعار .

٤ ب م : الفرق .

٥ الموهق : الخفاف الأسود ، وقيل هو الطائر الذي يسمى الأخیل واوله أخضر أورق

وقال ابن خالويه : الموهق الصبغ شبه اللازورد .

٦ ب م : والبدر .

٧ توجس : تسع .

صيفتا من لجن^١ ، حسبته من شهامة نفس^٢ ، ولطافة حس^٣ ، يُحس^٤
وطء الرزايا ، ويعلم مغيبات الخفايا . ومن ورد^٥ كأنما جُلل^٦ بورد ،
أو خُلِيت^٧ عليه من الصُّباح المسفر^٨ ، حُلّة^٩ فجره المُعصفر^{١٠} ، أو شُقّت^{١١}
عنه كئام^{١٢} شقيق^{١٣} ، أو سلّت^{١٤} عقيقته من أديم عقيق^{١٥} ، أو كسي^{١٦} حدود
الغانيات^{١٧} ، فرمي بالعيون الرّانيات^{١٨} ، فأخجلته^{١٩} حياء^{٢٠} ، وضرجته^{٢١} دماء^{٢٢} ،
واستعار^{٢٣} بُرد^{٢٤} الأفق^{٢٥} ، عند وقت الغسق^{٢٦} ، ومن أصفر^{٢٧} كأنما يصفر^{٢٨} عن وجنة^{٢٩}
عليل^{٣٠} ، ويرفل^{٣١} في حُلّة^{٣٢} أصيل^{٣٣} ، أو كأنما كسفت^{٣٤} في أديمه الشمس^{٣٥} ،
أو ذرّ^{٣٦} على^{٣٧} نُقْبته^{٣٨} الورس^{٣٩} ، حتى ليكاد^{٤٠} الجادي^{٤١} يجري من ماء^{٤٢} عطفيه^{٤٣} ،
ويُجنّي^{٤٤} الخوذان^{٤٥} من روض^{٤٦} متّنيه^{٤٧} ، ومن ذي كتمة^{٤٨} قد نازع^{٤٩} الخمر جريالها^{٥٠} ،
فسلبها^{٥١} سربالها^{٥٢} ، ومن محجل^{٥٣} هملاج^{٥٤} ، كأنما سور^{٥٥} بوقف^{٥٦} عاج^{٥٧} ، أو سُكّل^{٥٨}
بشكالين^{٥٩} ، صيغ^{٦٠} له من ناصع^{٦١} لجن^{٦٢} ، أو من خوافق^{٦٣} برق وشيخ^{٦٤} ، تسير بها^{٦٥}
متون^{٦٦} عناجيج^{٦٧} ، إذا أهوت^{٦٨} بها سراعاً^{٦٩} ، خلّتها^{٧٠} سفناً^{٧١} تحمل سراعاً^{٧٢} ، ثني^{٧٣}
متونها^{٧٤} هبات^{٧٥} الرّياح^{٧٦} ، كما تثني^{٧٧} ٣ أعطاف^{٧٨} النّشاوى^{٧٩} نشوة^{٨٠} الرّاح^{٨١} ، فكان^{٨٢}
أعطافها^{٨٣} أعطاف^{٨٤} سكارى^{٨٥} ، وكأن^{٨٦} قدودها^{٨٧} قدود^{٨٨} عذارى^{٨٩} .

وفي فصل منها : وعليم^١ - لا زال مؤيداً - أن الدّاء^٢ يبرأ إذا حُسم^٣ ،
والخطب^٤ يستشري كلما قدّم^٥ . وأنهم إن تُركوا في اليوم كراعاً^٦ ،
صاروا في الغد ذراعاً^٧ ، فرماهم بملهيات^٨ عزم^٩ كالنّجوم العواتم^{١٠} ، وماضيات^{١١}

١ محلول من قول البيهقي (ديوانه : ١٧٤٥) :

متوجس برقيتين كأنما تريان من ورق عليه موصل

٢ ط : رد .

٣ ط : ثنت .

٤ من المثل : إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً ؛ في ط : صاروا في الغد .

رأي كالسيوف الصوارم ، وآراف تصدّع صفا الجلمود ، وعزمات تنقّب
 في الصخرة الصبيخود ، فغدّت أمانهم نقماً وكانت نِعماً ، وعادت
 أراجيتهم هموماً وقد كانت همماً ، فقرّع السنّ من النّدم ، « وزلّة الرأي
 تُنسي زلّة القَدَم » ، وأيقنَ أنّ مَنْ خطبَ بنات النّصرِ بالسّعدِ زُوج ،
 ومَنْ ألّقَحَ الرّأيَ بالعزمِ أنْتَج .

ومنها : ولما علم أنه إمّا شرقٌ وإمّا غرقٌ ، وعاین الموتَ مُحَرَّةً
 أظافره ، مُوفيةً مواردهُ ومصادرهُ ، ووصلت له دؤلُولُ ابنةِ الرّقمِ ^١ ،
 في أعلى تلك القِسمِ ، فحينئذٍ انجلت عمايته وغياطله ، واستخذى لحقَ مولاه
 باطله ، وكان حريّاً أن تثير حلائلهُ ؛ وأوهم أنه لو ظلت بين منازل النّجوم
 نوازلهُ ، لرأى أنها عقالاته لا معاقيله ^٢ ، فرمى بيده صاغراً إلى السّلم
 ثقةً بعفْرِ كظُلّ المزنّةِ الممدود ، وكرمٍ كشطِ اللّجةِ المورود . فلولاً حلمٌ
 كالجبال رصين ، وجودٌ كالسحاب هتون ، لبادوا خلال تلك الدّيار ،
 كما بادت جديسُ في وبار ، ولتغلت تلك المنازلُ نَقْلَ الجلد ، وحتّت
 كما حتّت وشائعُ مین بُرد ^٣ . وما دلائهم في غدرهم الذي غدروا ، وغرّهم
 في خترهم الذي ختروا ، إلّا العلمُ بأن سوف يعفو حين يقتدر ، فقد اعتصموا

١ الدؤلُول : الداهية ، والرقم كذلك .

٢ نثر هنا أبياتاً لأبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٧ . ٢٨) :

وكم فاكث للعهد قد نكتت به أمانيه واستخذى لحقك باطله
 إذا مارق بالغدر حاول غدره فذاك حري أن تبين حلائله
 وإن بين حيطاناً عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقله

٣ من قول أبي تمام (ديوانه ٢ : ١٠٩) :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي وحتت كما حت وشائع من يرد
 والوشائع : خيوط الثوب ؛ وحتت : أخلقت .

بجبل مُعْتَصِمٍ بِخَالِقِهِ ، وتوَكَّلُوا عَلَى رِزْقٍ مُتَوَكِّلٍ عَلَى رَازِقِهِ ، وَاسْتَوْثَقُوا
مَنْ عَقَدَ مَنْ لَا عَقَالَه بِأَنْشُوطَةٍ ، وَلَا مِثَاقَهُ بِأَغْلُوطَةٍ .

وفي فصل : فَيَا أَيُّهَا الْمُفْتَزُونَ بِخُلُقِهِ الْفَضْفَاضِ ، وَكِرْمِهِ الْقِيَاضِ ،
لَا يُجْهَلُنَّكُمْ تَحْلُمُهُ ، وَلَا يَفْرَتُكُمْ تَكْرُمُهُ ، فَالْبَحْرُ قَدْ تَرَدَّى غَوَارِبُهُ وَلَيْسَ
بَطَامٍ ، وَالْعَارِضُ قَدْ تُصِيبُ صَوَاعِقُهُ وَلَيْسَ بِرُكَامٍ ، وَالتَّنْصِلُ قَدْ
يَبْرِي وَهُوَ غَيْرُ مَوْثَلٍ ^١ ، وَأَيْنَ نَارٌ لَيْسَ لَهَا شَرَارٌ ، وَأَيْنَ خَمْرٌ لَيْسَ لَهَا
خُمْارٌ ؟ فَهُوَ جَدْبٌ وَرَبِيعٌ مُعْرِقٌ ، وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ مُشْرِقٌ ، فِيهِ الصَّابُ
وَالْعَسَلُ ، وَفِيهِ السَّهْلُ ^٢ وَالْجَبَلُ ، لَهُ خَاطِرٌ عَلَى خَوَاطِرِ الْحَوَادِثِ مُرْسَلٌ ،
وَطَرْفٌ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُوَكَّلٌ . فَأَنْتَى بَعْنَادٍ مِنْ تَمِيدِ الْأَرْضِ إِذَا وَجِمَ ^٣ ،
وِيرِقٌ نَسِيمُ الْهَوَاءِ إِذَا ابْتَسَمَ ؟ فَلَمْ يَجْتَمِعْ لِلْمَلِكِ - حَاشَاهُ - خَضَابُ
الصَّوَارِمِ ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ ، قَسَمَ الْعَدْلَ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، كَقِسْمَةِ
الْغَيْثِ بَيْنَ النَّبْتِ وَالشَّجَرِ ، فَلَا غُرُورَ أَنْ يَفُوقَ جَمِيعَ الْأَنْامِ وَهُوَ مِيزَانُ
الْأَنْامِ ، فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ^٤ ، وَإِنَّ مَعْدِنَ الذَّهَبِ الرَّغَامَ ^٥ .
فَهُوَ الْأَبْلَجُ الْمَتَدَقِّقُ ، وَالْأَزْهَرُ الْمَتَأَلِّقُ ، مِنْ جَوْهَرَةِ الْمَجْدِ وَهُوَ مَاؤُهَا ،
وَمِنْ مُهْجَةِ الْعَلِيَاءِ وَهُوَ سُيُودَاؤُهَا ، وَلَا يَقْتَنِدِي فِي سُؤْدَدٍ بَغْرِيْبٍ ، بَلْ

١ مؤل : محدد .

٢ ب م : وأي .

٣ ط : السهب .

٤ ط : رجم .

٥ من قول المتنبي (ديوانه : ٢٥٨) :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

٦ من قول المتنبي (ديوانه : ٩٢) :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

يجري على سننٍ منه^١ وأسلوب ، كالغيثِ شؤبياً بشؤبوب ، والرُمحِ أنبوباً
على أنبوب^٢ .

وفي فصل: فلله أيُّ مرادٍ ردتُهُ ، وأيُّ مورِدٍ وردتُهُ ، لم أكن ممّن
غرّه السراب ، حين أعوزهُ الشراب ، ولا كنتُ كمن زجر الطير بالنجم
والدبران ، ولا ممّن سقطَ العشاءُ به على سرحان^٣ ، ولا كمن قال مرعى^٤
ولا كالسعدان^٥ ؛ كلاً ، إنّ مملوكك ألقى أرواقه ، حيثُ مدّ المجدُ
رُواقه ، بحيثُ يُعتَصِرُ الندى من عودِهِ ، ويُرْتَشَفُ صِرفُ الجودِ من
ناجوده ، فانثقيتُ الجارَ قبل المنزل ، وبوّأتُ رحلي في المحلّ المُقبل ،
ورتمتُ في أثرِ الغمام المُسبل^٦ .

وفي فصل : ولولا ذلك لكان لي في الأرض العريضة مسارح ، وفي
أبناء الكرامِ منادح ، غيرَ أنّي عن أكثر المراتع عزوف ، ولأكثر المشارعِ
عيوف وأنّي لكالسيف^٧ لا يحمد كلّ من حمّله ، وكالرُمح لا يُسرّ بكلّ
مَن اعتقله ، وما كلُّ عَجيبٍ في عيني بعجيب ، ولا كلُّ غريبٍ في نفسي

١ نثر قول البحتري (ديوانه : ٢٤٧ - ٢٤٨) :

لا يحتذي خلق القضي ولا يرى متشبهاً في سودد بغرب

شرف تتابع كاهراً عن كاهر كالرمح أنبوباً حل أنبوب

٢ انظر فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢١ والمسكري ١ : ٢٢١ .

٣ انظر فصل المقال : ١٩٩ والفضي : ٥٤ والميداني ٢ : ١٥٢ .

٤ نثر قول أبي تمام (ديوانه ٣ : ٤٩) :

بوّأت رحلي في المراد المقبل فرتمت في أثر الغمام المسبل

من مبلغ أبناء يعرب كلها أنّي ابتنيت الجار قبل المنزل

وفي ط : أنزلت رحلي .

ه ط : كالسيف .

بغريب . أنساني الله رشدي يوم أنساه ، وأبدلني يوم أستبدل^١ سواء ، ما وصل أو قطع ، ورفض^٢ أو اصطنع ، وما ضر^٣ أو نفع . ولئن أعقب يوماً من الدهر بحرمان^٤ — وحاشاه — فلقد سبق بمعروف ، وإن ساعني منه يوماً فعلة^٥ — وخلاه — فإن اللواتي قد سررن^١ ألوف^١ . ولقد ألقى ودّه صدري^٢ خلاء^٣ من غيره فاستوطن ، وصادف قلباً فارغاً فتمكّن^٤ .

وفي فصل : ما رأيتُ وجهاً أسمع ، ولا حلماً أرجح ، ولا سجية^١ أسجح ، ولا بشراً أبدى ، ولا كفاً أندى ، ولا غرة^٢ أجمل ، ولا فضيلة^٣ أكمل ، ولا خلقاً أصفى ، ولا وعداً أوفى ، ولا ثوباً أظهر ، ولا سمناً أوقر ، ولا أصلاً أطيب ، ولا رأياً أصوب ، ولا لفظاً أعذب ، ولا عرضاً أنقى ، ولا ثناءً أبقى ، مما خص^٤ الله به ثالث القمرين ، وسراج الخافقين ، وعماد الثقّلين ، المعتمم بالله ذا الرّياستين ، دامت راياته^٥ منصورة ، [وآياته^٦ منظورة^٧ ، ومقاصير^٨ ملكه بالسعد معمورة^٩ ، ما هبت صبا وجنوب ، وما أقام يذبل^{١٠} وعسيب . ولإني وإن أطنبت^{١١} فأطبيت ، وأسهب^{١٢} فأعذبت ، لنحجل^{١٣} أن يكون^{١٤} مثلي يثير^{١٥} غباراً على جبينه ، وينظم^{١٦} سواراً عن يمينه . فإن^{١٧} فكري بعد^{١٨} كالسيف^{١٩} الحشيب^{٢٠} ، والقذح^{٢١} المخشوب^{٢٢} ، فهذا لم تذلق^{٢٣} .

١ من قول الشاعر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعله اللائي سررن ألوف
وانظر ما تقدم ص : ٣٤٠ .

٢ ط : خلدي .

٣ من قول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

٤ السيف الحشيب : الحديث الصنعة أو الذي برد ولم يصل ، المخشوب : الذي بري البري الأول .

٥ ط : تذكر .

ظُبَيْتَاهُ ، وَذَاكَ لَمْ يُخَلِّقْ حَقْوَاهُ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ اسْتِعْمَالِ الْقَرِيحَةِ ، وَرِيَاضَةِ
السَّجِيحَةِ ، وَأَوَّلُ الضَّرَامِ سَقَطٌ ثُمَّ يَلْتَهَبُ ، « وَأَوَّلُ الْغَيْثِ طَلٌّ ثُمَّ
يَنْسَكِبُ » ١ .

وَفِي فَصْلِ : فَإِنِّي غَادَرْتُ بَعْدِي لِحِمَا عَلَى وَضْمٍ ، وَجَرَحِي بَيْنَ عَقْبَانٍ ٢
وَرَخَمٍ ، سَتَعْلَمُ أَيَّ خَبَرٍ أُنَمِّمُ ٣ وَأَحْبَبُّ ، وَأَيُّ دُرٍّ أَنْظُمُ وَأَنْثَرُ ، فَإِنِّي
وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانَهُ ٤ ، وَالسَّكَيْتَ أَوَانَهُ ، لِلدَّلِيلَةِ ٥ عَلَى الدَّلَائِلِ ، وَغُبْلَةٍ
عَلَى الْمَخَايِلِ ، أَنْتِي آتِي بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ [فَأَفْصَلُهَا كَتَفْصِيلِ الْجَوَاهِرِ
فِي الْعِقْدِ ، وَأَقْدَرُ تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ] .

وَفِي فَصْلِ : وَيَا لَهْفِي أَلَا تَكُونُ مَعُونَتِي لَهُ إِلَّا بِاللَّسَانِ ، دُونَ السَّنَانِ ،
أَطَاعَنُ أَمَامَهُ دِرَاكًا ، وَأُزَاحِمُ قُدَّامَهُ الْأَقْرَانَ لِكَاكًا ٦ ! وَلَوْلَا أَفْرُخُ
كَزْغَبِ الْقَطَا ، يَدْبَتُونَ فِي نَائِلِيهِ عِنْدِي دَيْيَبُ الْكُرَى ، فَيَسْتَشْفُونَ عَلَالَتِي ،
وَيَسْتَتَرُونَ بِبَلَاتِي ، لَامْتَطَيْتُ مِنْ جَدْوَاهِ السَّابِحِ الْيَعُوبِ ٧ ، وَتَقَلَّدْتُ
مِنْ نِدَاءِ الصَّارِمِ الرَّسُوبِ ٨ ، وَاعْتَقَلْتُ مِنْ عَطَائِهِ الصَّعْدَةَ السَّمَرَاءَ ،

١ من قولهم : وأول الغيث قطر ثم ينهر .

٢ ب م : غربان .

٣ ب م : أي جيد أقلد .

٤ من قول الممرى :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطه الأوائل

٥ ط : لدلالة .

٦ اللكالك : الزحام .

٧ يعبوب : الفرس الطويل الكثير الجري ، وقيل الجواد السهل في حذوه .

٨ الرسوب : السيف الماضي الذي يغيب في الفريجة .

وادرعتُ من حياته الفضاضة الجدلاء^١ ، فيبصرُ هنالك ، مملوكه ابنَ مالك ، يلاعبُ الأسنة كعامر بن مالك^٢ ، فينظرُ أحسنَ منظر ، ويبلو أفضلَ مخبر ؛ ربَّ القصائدِ والقنا المتقصد ، فطوراً طعناً بالمثل^٣ وضرباً بالمصل ، وطوراً ارتجالاً بالخطبة الفيصل ، كخطبة قيس بن سنان^٤ ، في حمالة عبسٍ وذبيان ، خطبة تباري الربيع في هبوبها ، من لدُنْ طلوعِ الشمسِ إلى غروبها ، حضاً على السلم والمُحاجة ، ونهياً عن الحرب والمناجزة ؛ فلو شهدَ هنالك لشهد أمراً معجباً ، وأبصر خطيباً مُسهباً ، فيرى شقشقةً وقرماً مصعباً ، يخنحهم إلى السلم لُماً لُماً وثُباً وثُباً .

قال ابن بسّام : ومدَّ ابنُ مالك في رسالته هذه أطناب الإطناب ، وشنَّ الغارة فيها على عدّة شعراء وكتاب ، من جاهليّين ومُخضرمين ، ومحدثين ومعاصرين ، ولو ذكرتُ من أين استلب واختطف ، جميع ما وصف ، وانصرف إلى كلّ أحدٍ كلامه ، نثره ونظامه ، لحصل هو ساكتاً ، وبقي باهتاً .

ومن شعري له من قصيدة في يوسف بن هود أولها :

شرح الشباب أمن رَوْحٍ وريحانٍ عَصْرَاك أم جوهرٌ في الوهم روحاني^١
عهدي بليلى فجراً والهجير ضحى^٢ ضحيانَ أزهرَ رَقراقِ الأصيلان

١ الجدلاء : الدرع المحكمة النسيج .

٢ هو أبو براء عامر بن مالك شيخ بني عامر ، وكان يلقب ملاعب الأسنة ، لمهارته في التصرف بالرمح ؛ وفي ب م : ملاعب الأسنة .

٣ م : بالنيل ؛ ب : بالميل .

٤ المشهور هرم بن سنان الذي قام بالحمالات بين عبس وذبيان .

٥ ب م : واقتطف .

٦ ب م : ريحان .

أكان عهدك في دارين ينفح أم
وكان من غفلات الدهر طيبك أم
سقياً لِعَهْدِكَ ما أُنْدَى نوافحه
عَصْرٌ جَنَيْتُ جَنَاهُ الغصَّ من قمرٍ
إذ تشرَّبْتُ ليَ الأغصانُ مائسةً
فلم أزل ساحباً أذيالَ بُرْدَتِهِ
وابتزَّ رائحَ رِيْعانٍ نذيرُ نُهيٍّ

ومنها :

وإنما العذرُ لي أن جئتُ في زمنٍ
والله لولا رجائي أن تهاودني
لُتُّ من كدٍ غيظاً على دُولٍ
وليس يوسفُ عندي مثلَ يوسف بل
إذ ما يزال بقسطي باخساً أبداً
وقد حويتُ قصابَ³ السَّبَقِ في بدعٍ
وكم بدائعٍ لي ما باشرتُ بشراً
لكن بصائرهم عُميٌّ ولا بَصَرٌ
لقد أجدُ فوادي من محبته

لا الجليلُ جيلي ولا الأزمانُ أزمانِي
إلى ابن هودٍ هُوادي كل مدعان
صروفُ أزمانها تجري بإزمانِي
لقيا أبي عمراً من عمري الثاني
من لم يزني بقسطاس⁴ وميزان
شتى وأحرزتها في كل ميدان
ولا سرى طيبها في وهم إنسان⁵
والشمس تشرقُ إلاّ عندَ عَميان
ما كنتُ أحسبُهُ وسواسَ جنّان

١ ط : عامر .

٢ ب م : بقسطاسي .

٣ ط : نصاب .

٤ ب م : ولا سرى وهما في طيف وسان .

مغنيطس^١ في ذراه الرّحب يجذبنا أم سحرُ بابل أم آثارُ حرّان ؟
 أم عنصر^٢ شاق أجساماً وأنفسها^١ بجوهرٍ فيه جسماني ونفساني ؟
 براهن^٣ هنّ عن عليك موضحة^٤ لو أحوجتنا إلى إيضاح برهان
 فضائل^٥ لك تستدعي فضائلها لك الأفاضل^٦ من آفاقِ بلدان
 وليس فضلك مطوّباً صحيفته فيستدلّ على ضمنٍ بعنوان
 فالصبحُ أينُ لآلاءِ لمبصره من أن يعانَ بشرحٍ أو بتبيان

فصل في ذكر الأديب أبي أحمد عبد العزيز بن خيرة^٢ القرطبيّ المشتهرة^١
 معرفته بالمنفّتل ، وسياقة جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلقُ بذكره

والمنفّتل أيضاً ممّن نثر الدُرّ المفصّل ، وطبّقَ في بعضٍ ما نظمَ
 المفصّل ، ولم يحضرني في وقتِ تحريري^٣ هذه النسخة من شعره إلا
 النّزر القليل ، وقد يُعربُ عن العنق الصّهيل ، ويكفي من البياض الغرّة
 والتّحجيل .

فصل له من رُقعة وقد بعث بيأثرُجّة ، قال فيه^٤ : وقد بَعثت إليك

١ ط : وأنفسنا .

٢ ذكره الحميدي (الجزء: ٣٦٦) في من شهر بالكنية ولم يعرف اسمه «أبو أحمد المنفّتل»
 (البقية رقم : ١٥١٠) وانظر المغرب ٢ : ٩٩ حيث ذكر أنه من أعلام شعراء البصرة
 في مدة ملوك الطوائف ، وإن صاحب المسهب ذكره ، وذكره العمري في المسالك ١١ : ٤٠٤
 والعماد في الحريدة ٢ : ١٦٥ وسماه أحمد بن شقاق ؛ وجمع ابن ظافر في بدائع البدائه بين
 التسميتين فقال : أحمد بن الشقاق (في البدائع : الشقاق) المنعوت بالمنفّتل . ويقول العمري :
 «وأقام على الفواية برهة ثم أقبل» وانظر النفع ٣ : ٢٦٤ ، ٣٣٢ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .

٣ ب م : عند إملاء .

٤ انظر المسالك ١١ : ٤٠٦ .

من بنات الثمار أجملتها^١ ، ومن نتائج البستان أفضلها ؛ لم تطرفها^٢ عينُ أحد ، ولا باشرها بشرٌ بيد^٣ ؛ قد صيرت من الأغصان خيذراً ، وأرسلت من الأوراق سيثراً ، فلما تكامل حسنُها ، ومادَ بها عُصْنُها ، وارتوت من ماء الجمال ، وصارت في نصاب الكمال ، هتكت سيثَرها ، وطرقتُ خيذَرها ، فإذا هي في حُلَّة الخائف ، قد اصفرت وجلاً من يد القاطف ، فشربت على ودها رطلين ، وتناولتها بالراحَتَيْن ، ثم وضعتها في هودج خيَزران ، وأثرتك بها على جميع الإخوان ؛ فبحرمة الكأس التي رضعنا ، وأمير الظرف^٤ الذي بايعنا ، إلا ما رفعت قدرها ، وجعلت القبول مَهَرها ، وجلوتها على مجلس المدام ، وحجبتها عن عيون اللثام^٥ ، فخصَّالها عجيبة ، وصفاتها غريبة ، إن خزنتها عطرَت أثوابك^٦ ، وإن أمسكتها أذهبت أوصابك ، وإن أعملت فيها غَرَب السكين ، قرنت لك بين النرجس والياسمين ، وأرتك وجنة الكتيب ، على سالفه الحبيب ؛ يا لها من أترجة غَضَّة ، قد صوّرت من ذهب وقضة ! قد سرقت من العاشق سيماء ، ومن المعشوق طعم ثاياه ، وخصّت بالحسن أجمع ، وأعطيت الطبائع الأربع . فصلّني - وصل الله آمالك ، وقرن بالنمو سعدك وإقبالك - بالأمر^٧ بقبولها ، وتعريفي بوصولها ، إن شاء الله .

١ المسالك : تطرقها .

٢ المسالك : الطرب .

٣ ط : الأنام .

٤ المسالك : ثيابك .

٥ المسالك : بالمن .

جملة من شعره في أوصاف شتى

قال :

سمعَ الزمانُ لنا بأسعدِ ليلةٍ والسَّمْعُ لا يُدْرِي ١ له قبلُ
أبصرتُ نفسي بينَ ظبيّ قفرةٍ هذي المدامُ وهذه النّقلُ
وكانَ ذا وعدٍ وذا إنجازهِ وكأنّي منَ بينهم مَطْلُ

وقال أيضاً ٢ :

بيتنا كانَ مدادَ الليلِ شَمَلْتُنَا ٣ حتّى بدأ الصّبحُ في ثوبِ سحولي
كانَ ليلتُنا والصّبحُ يتبعها زنجيّةٌ هَرَبَتْ قدامَ رومي

وقال أيضاً ٤ :

ولما تجلّى الليلُ والبرقُ لامِيعٌ كما سَلَ زنجيٌ حُساماً من التبرِ
وَيْتٌ سَمِيرَ النّجمِ وهو كأنه على مِعصمِ الدّنيا جِباثُ من درٍ

وقال يَصِفُ الشّمسَ وقد طَفَلَت للغُروب :

إني أرى شمسَ الأصيلِ عَليّةً تَرْتادُ من * بين المغاربِ مَغرباً
مالتَ لتَحجُبَ شَخْصَها فكأنها مَدَّتْ على الدّنيا بَساطاً مُذهِبا

١ ب : يرمى .

٢ المسالك ١،١ : ٤٠٥ .

٣ ط : يشملنا .

٤ ورد البيتان في المسالك .

٥ ط : ما .

وقال أيضاً :

مَنْ لِي بِظَلَمِي بِزَنِّي نُسْكِي قَامَ مِنَ الْكَافُورِ وَالْمُسْكِ
لَوْ أَنَّ دَاوُدَ رَأَى وَجْهَهُ أَلْقَى إِلَيْهِ خَاتَمَ الْمُلْكِ
أَوْ أَنْ يَتَعَقُوبَ رَأَى وَجْهَهُ فِي غَيْبَةِ الصَّدِيقِ لَمْ يَبْكَ

وقال أيضاً :

لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مَنْ تَرَكَ لِي رُوحِي يَوْمَ الْوَدَاعِ وَلَمْ أَتْرُكْ تَبَارِكِي
وَمَنْ بَقَائِي أَمْشِي فِي دِيَارِهِمْ يَا مَنْ رَأَى جَسَدًا يَمْشِي بِلَارُوحٍ ؟

وله أيضاً :

مَا لِي بِجُورِ الْحَبِيبِ مِنْ قَبْلِ هَلْ حَاكَمَ عَادِلٌ^١ فَيُحْكَمَ لِي ؟
حُمْرَةَ خَدَيْهِ مِنْ دَمِي صُبِغَتْ وَيدْعِي أَنَهَا مِنَ الْحَجَلِ

وحضر عند القائد ابن دري بجيان مع أبي زيد بن مقانا الأشبوني^٢ ،
واستدعاهما إلى عِنَبٍ أَسْوَدَ قَدْ قُطِفَ فِي غَيْرِ لِبَانِهِ ، مِنْ عَرِيشٍ قَدْ أَقِيمَ
عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ ، تَحْتَهُ صَهْرَبِجٌ ، فَقَالَ الْمُتَقَتِّلُ^٣ :

عِنَبٌ تَطْلُعُ فِي حِشَا وَرَقٍ نَلْدَى صُبِغَتْ غَلَائِلُ خَدَيْهِ بِالْإِثْمِ
فَكَأَنَّهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ كَوَاكِبٌ كُسِفَتْ فَلَاحَتْ فِي سَمَاءِ زَبْرِجَدٍ

١ ط : عادل حاكم .

٢ أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني القبادي : له ترجمة في القسم الثاني من الأخيرة ،

ونسبه الحميري (الجلاوة : ٢٦٠) إلى بطليوس ؛ ورويت القصة والبيتان في النسخ ٣ :

٢٦٤ وبدائع البداهة : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

٣ انظر البيهقي في المسالك والنسخ وبدائع البداهة .

وقال في صفة خال^١ :

في خدّ أحمد خال^٢ يصبو^٣ إليه الخلي^٤
كأنه روض^٥ ورْد جنّاته حبشي^٦

وقال فيه :

قد فؤادي بحسن قدّه وسدّ باب الكرى بيصدّه
أردتُ تقبيله فذابست سوداء قلبي بصحن خدّه

وأخذ هذا ابن ربّاح أبو تمام الحجام فقال في صفة الخال^٣ :

يا لابساً للحسن ثوبَ سمائه كالبدر يُشرق في دجى ظلماته
أحرق قلبي فارتمى بشرارة في صحن خدك فانطفأ في مائه

ووعده المنفلت بعض^٧ أخوانه أن يعمل^٨ مرقاساً^٩ ويدعوّه إليه ، وصنع
ذلك فلم يدعّه فقال :

يا أجود الناس بما عنده إلا إذا استعمل مرقاساً
فلن يُنلها عنده^{١٠} بيّن^{١١} إذ لم يجد فيهن أنفاساً

١ وردا في المغرب والخريدة .

٢ ب م : يسمو .

٣ ترجمة أبي تمام ابن رباح الحجام في القسم الثالث (ص : ٨٢١) والبيتان في المسالك ١١ : ٤٥٢
برواية مختلفة .

٤ ط : يستعمل .

٥ المرقاس ، (أو المركاس كما في كتاب الطبخ : ٢١) نوع من الذئبان ، يدق اللحم ويمرك
في قصعة بشيء من الزيت ثم يضاف إليه ثلاثة أرباعه من الشمع ويحشى به المصران ويقل
ثم تصنع له مرقة من خل وزيت .

وقال فيه بهجوه :

لا آكل المرقاس دهري لنا ويل الورى فيه قبيح العيان
كأنما صورته إذ بدت أنامل المصلوب بعد الثمان

وقال ١ :

إن جفاني الكرى وواصل قوماً فله العذر في التخلف عني
لم يخل الهوى لجسمي شخصاً فإذا جاءني الكرى لم يجدني
وهذا كقول الآخر :

لم يعيش أنه جليد ولكن ذاب سقماً فلم تجده المتون
وقال المنفقل :

بأبي غزال زارني فشفأ الفؤاد المذنف
عانتقته فكانني يعقوب عانق يوسف

وقال أيضاً :

قلت لمن أهوى تصدق على معذب حبك أضناه
بقبلة من فيك يا سيدي فقال لي : يحفظك الله

وقال :

لو تقاسي من الهوى ما أقاسي ما تمنيت^٢ أن قلبك قاسي
كنت أدعوك للعناق ولكن أتقي أن تدوب من أنفاسي

١ وردا في المسالك .

٢ ب م : لتمنيت .

وقال في صفة قطرميز^١ وأخبر عنه^٢ :

أنا من كل فتنةٍ مخلوقٌ جسدي لؤلؤٌ وروحي عقيقٌ
فلماذا الكؤوس دارتْ بريقي فاح في الأفقِ منه ميسكٌ فتيقٌ
فكأنني بين الكؤوس هلالٌ وكأنَّ الكؤوسَ حولي بروقٌ

وقال يهجو الأفوه الشاعر الجزّار^٣ :

وباردٍ المنظرِ والمخيرِ أبردٌ من ريح الصبّا الصّرصرِ
تبدو على أضراسِهِ صفرةٌ كأنه من فمه قد خري
حديثه أوحش من وجهه وشِعْرُهُ يُشبهُ ذاك الطري

وله في < ابن > ميمون بن القراء^٤ :

لابن ميمون قريضٌ زمهريرِ البردِ فيهِ
فإذا بيّتَ بيتاً نَفِقتْ سوقُ أبيه

١ القطرميز (Bocal) نوع من الزهرية ضيق عند العنق واسع الفم .

٢ الأبيات في المسالك .

٣ ط : الحرار .

٤ يعرف بالأخفش بن ميمون أو بابن القراء ، أصله من القيظاق وتأدب في قرطبة وله أمداح

في ابن النغريلي (النغرله) الاسرائيلي وزير صاحب غرناطة (انظر المغرب ٢ : ١٨٢ - ١٨٤

والنفع ٣ : ٣٨٧ ؛ وبيتا المقتل في النفع والثاني منهما فيه ٣ : ٣٣٢ ونسه ابن سعيد

٢ : ١٨٤ لابن زيدون) .

٥ المغرب والنفع : فإذا ما قال شعراً .

وقال في جهران^١ بن يحيى صاحب لبلة^٢ :

إنَّ ابنَ يحيى ضحكةٌ فتوسَّم واذكرْ به خُدَّامَ نارِ جهنمِ
أكلَ الخبيثَ فشرُّه متساقيطٌ كالكلبِ أسقطَ شرُّه لعق^٣ الدَّمِ

وله من رُقعةٍ خاطبَ بها ابن النغريلي الإسرائيلي : مَن فهمَ عن
الزمان وخُلُقِهِ ، ورَفَلَ في جَدِيدِهِ وخَلَقِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَأْصِلُ رِيثَما
يواصل ، وَيَقْصِمُ غَيْبٌ ما يَقْصِمُ ، لَمْ يُبَالِ بِوَقْعِ سِلَاحِهِ ، وَلَا اسْتَعَدَّ
لَوْقَتِ اسْتِصْلَاحِهِ ، وَلَمَّا أَغْصَنِي بِالرِّيقِ ، وَحَفْزَنِي بِالْمُضِيقِ ، وَلَمْ يَتْرَكْ
هَمًّا إِلَّا سَنَى عَقْدَهُ ، وَلَا نَظْمًا إِلَّا نَثَرَ عِقْدَهُ ؛ وَرَأَيْتُ اسْتِحَالَةَ
فِي الْحَالِ ، وَالْعَيْلَةَ فِي الْعِيَالِ ، وَجَدًّا قَدْ جَدَّ فَجَاءَ مِنَ الْمُصْلَتَيْنِ ، وَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ الْمُدَحَّضَيْنِ ، هَيَّأتُ رَاحِلَةً وَأَثْنًا ، وَطَلَعْتُ ابْنَةَ الْوِطْنِ ثَلَاثًا ،

١ ب م : حمدان .

٢ ثار بليلة أبو العباس أحمد بن يحيى اليمصبي سنة ٤١٤ وظل يحكمها حتى سنة ٤٣٣ وتلقب
تاج الدولة ثم خلفه أخوه محمد عز الدولة حتى سنة ٤٤٣ وجاء بعده ابن أخيه فتح بن خلف بن
يحيى ناصر الدولة إلى أن قضى المعتضد على دولته سنة ٤٤٤ ، ولا أدري إلى أي واحد يشير
بقوله « جهران » ولعل الصواب : حمدان وهي صورة من صور « أحمد » .

٣ ب م : لثق .

٤ ابن النغريلي الإسرائيلي : يكتب الاسم على أشكال لعل أحدها ابن نغدة أي « المدبر » ويطلق
على اثنين مشهورين هما صموئيل بن يوسف (اسماعيل أو اشموال بن يوسف) ويوسف
ابنه ، وقد كان اسماعيل عالماً وزر لصاحب غرناطة ، وخلفه ابنه يوسف فاساء التصرف
فيما يبدو ، فثار عليه الناس وقتلوه . ولكز ابن بسام ينسب أفعال الابن إلى أبيه ، ويتابعه
في ذلك ابن سعيد في المغرب ، وهذا خطأ على وجه الدقة (انظر مقدمتي على رسالة الرد على
ابن النغريلة لابن حزم : ٩ - ١٨ ، القاهرة ١٩٦٠) .

٥ ب م : لم يَألم .

٦ ب م : حَقْدًا .

وقلتُ لِمَا أن أجدَ فأظهر ، أو أموتَ فأعذر^١ ، فكم من حُرَّةٍ سافرة
القناع ، تندبني موقتَ الوداع ، وباكية يومَ الرّحيل ، بكاء الحمام
على الهديل ؛ فقد فقأت عينَ السرى ، بأربع كقداح السّرا^٢ ، يتشبثون
بالآكام ، تشبّثَ الخصوم بالأحكام ؛ ويتعلقون بالمطيّ ، تعلقَ الأيتام
بالوصيّ ، إلى أن أخضلت الدموع المحاجر ، وبلغت القلوبُ الحناجر ؛
وجعلتُ أعودُهن^٣ بالمثاني ، وأبسطُ لهنّ في الأماني ، وأقولُ : ستسعين
هذا الموقف ، إذا اتصلتْني بإسماعيل بن يوسف ، فتي كرمٍ خالاً وعمّاً ،
وشرح من المجد ما كان مُعتمى ، قُسمًا فصاحة ، وكعباً سماحة ، ولقمان
علماً ، والأحنف^٤ حلماً . أكرم همةً من همتام ، وأعظم بسطةً من
بسطام ؛ إن خاطبَ أوجز ، وإن غالبَ أعجز ، أو جادَ أجاد ، أو وعدَ
أعاد ؛ يأمر ويّسمير ، ويأجرُ ويحير ؛ مأوى السّماح والضيّف ، ورحلةُ
الشتام والضيّف ؛ حامى الذّمار ، بعيدُ المضمار ؛ لا يظلمُ فقيراً ، ولا
يُخيبُ فقيراً ؛ يحافظُ على صلاته ، حفظه لصلاته ، ويحنُّ إلى البذل ،
حنين الغريب إلى الأهل :

قرَنَ الفضائل والفواضل فشأى الأواخر والأوائلُ

١ من قول امرئ القيس :

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنموت

٢ السراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي ، وقال زهير - والكاتب هنا يوصي إلى ما ورد
عنده :

ثلاث كأقواس السراء وناشط قد انحص من لس النمير جعافله

٣ استعمل « أربع » على التأنيث ، ثم قال : « يتشبثون ، ويتعلقون » ثم عاد إلى التأنيث بقوله
« أعودهن » . الخ .

٤ ب م : وأحنف .

سقطوا برفعة فضله
هذا ابن يوسف الذي
شرف الزمان بمثله
من لم يلد بجناحه
مستقلد سيف العلا
قصرت في وصفه له
ما قل ما يرجى الكما
سكن الندى في كفه
وجرى الحياء بوجهه
كالشمس في شرف المناقل^١
ورث الفضائل عن فواضل
شرف الأئمة بالعوامل^٢
لم يأمن الدهر المخاتل
والمكرّمات له حمايل
ولو اتني سبحانه وائل
للمن أبوه غير كامل
سكني الرواجب في الأنامل
جرى الفرند على المناصل

فحين سمعوا بوصفه ، الذي هو طبيعة عُرْفه ، وثقوا بمجده ، وودّعوني
مستبشرين ، وتركتهم منتظرين .

وله فيه من قصيدة أولها^٣ :

أحاجيكم هل يّمّموا الضّالّ والسترا
وفي الهودج المزور جوذر رملة
كأنّ الثريا ما بدا من وشاحها
يذكرني شكل الهلال سيوارها
يقولون إن السحر في أرض بابل
أبى قلبي المعمود أن يسكن الصّدرا
أسيل مجال القرط في حرّة الذفرى
وقد همّت الأرداف أن تسلم الحصرا
وقد أرسلت من دون هودجها ستر
ولو عاينوا أجفانها نظروا السحرا

١ ب م ط : المقاتل .

٢ يعد هذا البيت وقع خرم في ب .

٣ ورد منها عشرة أبيات في المسالك ١١ : ٤٠٦ .

٤ المسالك : قد بدت .

يريكَ طلوعَ البدر طرُقُ شعاعها وتفجأ من إيضاح غرّتها الشّمرى
فيا لكَ من نحرٍ يزِينُ عِقْدَها^١ إذا عِقْدُ مَنْ تشجى بها زين النحرا
فلا هَجَرَتْ عيني سوابقُ أدْمعي كما أن ليلى بعدَهم هجرَ الفجرا
فقل في شجٍ قد باتَ يمسحُ دمعهُ بكفّ وأخرى تحتها كبدٌ حرّى
وقد ضربَ الليلُ البهيمُ رواقه وأطلعَ في الآفاقِ أنجمه الزُّهرا
كأنَّ سماءَ الأرضِ بحرٌ زبرجدٍ وقد نثرَ الغوّاصُ من فوقه درا
لقد طالَ هذا الليلُ فالدهرُ بعضهُ ولم أرَ ليلاً قبله شاكلَ الدهرا
وما اكتملت عيني بمثل ابن يوسفٍ ولستُ أحاشي الشمس من ذا ولا البدرا

ومنها :

بدورٌ ولكنّا أمنا سرارها بحورٌ ولكن لا نرى دونها برأ
غُيُوثٌ^٢ إذا ما المحلُّ شبَّ ببلدةٍ كهوفٌ إذا جاءت بنا أرضه كبرى
يخالون من فرط الحياءِ أذِلَّةً وترتجُ أحشاءُ الملوكِ لهم ذعرا
ومن لم يكن للنظمِ والنثرِ محسناً فإنّ نداهم علّمَ النظمَ والنثرا

وهذا القصيدُ اندرجَ له من الغلوّ فيه ، ما لا أثبتّه ولا أرويه ، وأبعدَ
الله المنفعل ، فيما نظم فيه وفصل ، وقبّحه وقبّح ما أمّل^٣ .

١ ط : تزين عقودها .

٢ م : كهوف ، وسقط البيت من ط .

٣ هذه العبارة التي تنص على عدم إدراج الغلو قد نسخت بما جاء بعدها من إثبات للغلو ،
وتعليق لابن بسام عليه ، وهذا قد يشير إلى مرحلتين من العمل في نص الذخيرة ؛ ولم يرد
هذا القدم في ط حتى نهاية الفصل .

وله في هذه القصيدة من الغلو في القول ، ما نبأ منه إلى ذي القوة
والحول ، وهو قوله :

ومن بك^١ موسى منهم^٢ ثم صنوه
فكم لهم^٣ في الأرض من آية ترى
أجامع^٤ شمل المجد وهو مشتت^٥
فضلت كرام^٦ الناس شرقاً ومغرباً
ولو^٧ فرّقوا بين الضلالة والهدى
ولاستلموا كفيك^٨ كالركن زلفة^٩
وقد فزت^{١٠} بالدنيا ونلت بك^{١١} المني
أدين^{١٢} بدين^{١٣} السبب^{١٤} جهراً لديكم
وقد كان موسى خائفاً مترقباً
فقل فيهم^{١٥} ما شئت^{١٦} لن^{١٧} تبلغ العُشرا^{١٨}
وكم لهم^{١٩} في الناس من نعمة ترى
ومُطلق شخص الجود وهو من الأسرى
كما فضل^{٢٠} العقيان^{٢١} بالخطر القطرا^{٢٢}
لما قبّلوا^{٢٣} إلا^{٢٤} أناملك^{٢٥} العشرا^{٢٦}
فيمناك^{٢٧} لليمنى ويسراك^{٢٨} اليسرى
وأطمع^{٢٩} أن ألقى بك^{٣٠} الفوز في الأخرى
وإن كنت^{٣١} في قومي أدين^{٣٢} به سرا
وقد كان موسى خائفاً مترقباً
فقل فيهم^{٣٣} ما شئت^{٣٤} لن^{٣٥} تبلغ العُشرا^{٣٦}
وكم لهم^{٣٧} في الناس من نعمة ترى
ومُطلق شخص الجود وهو من الأسرى
كما فضل^{٣٨} العقيان^{٣٩} بالخطر القطرا^{٤٠}
لما قبّلوا^{٤١} إلا^{٤٢} أناملك^{٤٣} العشرا^{٤٤}
فيمناك^{٤٥} لليمنى ويسراك^{٤٦} اليسرى
وأطمع^{٤٧} أن ألقى بك^{٤٨} الفوز في الأخرى
وإن كنت^{٤٩} في قومي أدين^{٥٠} به سرا

قال ابن بسّام : فقبّح الله هذا مكسباً ، وأبعد من مذهبه مذهباً ، تعلّق
به سبباً ؛ فما أدري من أيّ شؤون هذا المدلّ بذنبه ، المجترى على ربّه ،
أعجب^١ : التفضيل هذا اليهودي المأفون على الأنبياء والمرسلين ، أم خلعه
إليه الدنيا والدين ؟ حشره الله تحت لوائه ، ولا أدخله الجنة إلا^٢ بفضل
اعتنائه .

.....

١ م : لم .

٢ القطر : النحاس .

٣ م : وان .

٤ ط : المأبون .

فصل في تلخيص التعريف بمقتل ذلك اليهودي^١

وكان من عجائب ذلك الزمان الواهي النظام ، اللاعب بالأنام ، ترقى ذلك اليهودي المأفون^٢ الرأي ، الزاري على كل دين^٣ ، لم تسلم له يهود في دينها الملعون ، ولا أمنت على غيبها الظنين . وكان أبوه يوسف رجلاً من عامة اليهود ، حسن السيرة فيهم ، ميمون النقيبة عندهم ، تولى لباديس ولأبيه قبله حبس بغرناطة جباية المال ، وتدير أكثر الأعمال ، ونجم ابنه بعد غلاماً وضياً ، ومركباً - زعموا - وطياً ، وكانت لمن اعتنى يومئذ بالغللمان فتنة ، حتى كان يقال إنه وإنه ، فقلد أزمّة الأعمال ، وخلّي بينه وبين أثباج الأموال ، وأوطىء عقبه جماهير الرجال ، وجرى به طلق الجموح ، مهوئاً فيه مأثور القبيح ، فنأى بجانبه ، وأعرض عن ذكر عواقبه ، حتى كان يغسل يده من القبيل ، ويتمدح بالطعن على الملل ؛ ألف كتاباً في الرد على الفقيه أبي محمد بن حزم المتقدم الذكر ، وجاهر بالكلام ، في الطعن على ملّة الإسلام ، فما دفع عن ذلك بتأنيب ، ولا استطيع تغييره عليه إلا بالقلوب ؛ قد نصبه مكانه من السلطان غيظاً للأحرار ، وحمّة^٤ على الليل والنهار . واليهود مع ذلك تشعأم باسمه ، وتنظلم من من جور حكمه ، على ما كان قد رصّخ لهم من الخطام ، ووطأ لهم من

١ واضح أن القصيدة موجهة إلى اسماعيل ، وهذا الفصل يشرح مقتل ابنه يوسف ، وقد أشرت إلى اضطراب ابن بسام في ذلك .

٢ ط : المأفون .

٣ م : على كل دين .

٤ م : نصب .

٥ م : وحجة .

مراكب الأمور العظام ، وهو مع ذلك متمادٍ في غلوائه ، غافلٌ عن عادة الله في نظرائه . فغصّب يهود أحكامها ، وذلّل أعلامها ، وتسمّى من خططهم الشرعيّة بالناغيد^١ ، معناه المُدبّر بالعربية^٢ ، خُطّةٌ تحامها قدماءهم ، وتطأطأ عنها قديماً زُعماءهم ، اجتراً هو عليها بوهي أسّته ، وقلة نظره لنفسه . وأمّا ما بلغ من المترلة عند صاحبه وغلبيته عليه فما لا شيء فوقه .

أخبرني من رآه يُسائرُ صاحبه بساحة قرطبة في بعض قَدَماته عليها لبعض تلك الشؤون المضلّة ، والفنّ المصمّلة^٣ ، قال المحدث^٤ : فرأيت مع باديس ، فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس ، فأنشدت : « تشابهت المناكب والرؤوس^٥ » .

وحدثتُ عن ابن السقاء مدبّر قرطبة يومئذٍ أنّه قال : لا بأس باسماعيل لولا أنّه نسي اليهودية .

وكان على ذلك قد نظرَ في الكتب ، وشدا^٦ أشياء من علم العرب . وكان آخرَ أمره قد حجبَ صاحبه عن الناس ، وسجنه بين الدّن والكاس ، ملحداً في أمره ، مبرماً لأسباب غدره ، ووعدَ جاره ابنَ صمادح بالمرية أن يُقعدَه مكانه ، ويخلعَ على أعطافه سلطانه ، فسربَ إليه ابنُ صمادح

١ ط : بالناغير .

٢ م : عندهم .

٣ م : المذهلة .

٤ من قول أعرابي يهجو بني جوين :

إذا ما قلت أيهم لأي تشابهت المناكب والرؤوس

انظر فصل المقال : ١٩٦ - ١٩٧ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

٥ م ط : وشد .

صميمَ الأموال ، وجلا عليه وجوهَ الآمال ، وإنما كان أراد أن يثُلَّ^١ عرشَ الباديسي^١ بالصُّمادحي^١ ، لما كان يعلمُ من كلاله ، ويتيقنُ من قلّة استقلاله ؛ وقد عزمَ ساعةً يخلو له وجهُ ابنِ صُمادحٍ بعد باديس أن يتمرّس بجانبه ، ويُلحقه بصاحبه ، كأنّه نظرَ خبرَ عبّيد الله بنِ ظبيان ، حين وضع رأسَ المصعب بين يدي عبد الملك بن مروان ، فسجد عبدُ الملكِ ، قال ابنُ ظبيان : فممتُ في ركابي ، وأحسّ بي ورفع رأسه وقال : ما الذي أردتَ أن تصنع ؟ قلتُ : هممتُ أن أقتلك فأكونَ قد قتلتُ ملكي العرب في يومٍ واحدٍ . فقال : لولا منتك علينا برأسِ المصعبِ ، لكان عنقُك أهون ما يضرّب . فأرادَ هذا اليهوديُّ على انحطاطه عن الرّجال ، وانخراطه في سلكِ ربّاتِ الحجال ، أن يستدرِكَ على ابنِ ظبيان ، بقتل رئيسين من رؤساء ذلك الزّمان ؛ فلمّا تمّ تدبيره ، واستوسقت له أموره ، لزمَ سكّنى القصر ، وأخذ مفاتيحَ المصر ، وأظهر لصاحبه أنّ الناس قد ملّوا سياسته ، ونفسوا عليه رياسته .

وركبَ ابنُ صُمادحٍ بعسكره^٢ ، وكمنَ حيثُ يسمعُ صوتَ المُهيب ، ويتنصّب^٣ — بزعمه — رَوْحَ الفَرَجِ القريب . فلمّا كان اليومُ الذي أراد أن يختمه بداهيته الدّهياء ، ويلبسَ سوادَ ليلته لغدرته الشّنعاء ، نذّر به قومٌ من الرّجالة المغاربة ؛ وقد كان الناسُ قبل ذلك استرابوا باختلال الشّان ، واستوحشوا من احتجاب السّلطان ، وقد كان اليهودي ملكَ ابنِ صُمادحٍ أكثرَ حصون غرناطة باحتجان أموالها ، وإفساد قلوب رجالها ،

١ ط م : البادي .

٢ ط : نجمة .

٣ م : وتنسم .

فأضافها ابنُ صمادح إلى بلده ، وباديس لا يشعر بخروجها عن يده ، واليهودي أثناء ذلك يريشُ ويبري ، وشفرته في أديمِ صاحبه تخلقُ وتفري ، فلما كان اليومُ الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه ، وإراحة عباده وبلاده منه ، نَذَرَ به أولئك المغاربةُ ، فأعلنوا بالصَّباح ، وثاروا^١ إلى السَّلاح ؛ وأنى الصَّريحُ بقيَّةَ الجند وعامة أهل البلد ، ونادى مناديهـم : غدرَ اليهودي وخان ، وطاح المظفر - يعنون باديس - وحان ! فدخلوا القصر من كلِّ باب ، وهتكوا حرمة اليهوديِّ دون حجاب^٢ ، فقتل - زعموا - في بعض خزائن الفحم . وسمع باديسُ الوجبة فخرج يقول : اسماعيل لا يحفل بسواه ، ولا يرتاع لشيء يسمعه من ذلك ولا يراه .

وقد استطال الناسُ على يهود ، وقتلَ منهم يومئذٍ نيِّفٌ على أربعة آلاف ، ملحمةٌ من ملاحم بني إسرائيل ، باعوا بذلتها ، وطالَ عهدُهم بمثلها . ورجع ابنُ صمادح قد صفرت يداه ، وأخلفه ما تمنَّاه ، وانقلبَ اليهوديُّ مذموماً مدحوراً ، لم يُمتع بدنياه ، ولا خلصَ إلى ما رجاه .

١ م : وثابوا .

٢ م : وهتكوا دون اليهودي كل حجاب .

ذِكْرُ الأديب أبي المُطَرِّفِ عبد الرحمن بن فتوح^١ ، وإثبات جُمْلَةٍ من شعره في الغَزَلِ والمديح

بَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ بَابَنَ صَاحِبِ الإِسْفِيرِيَا^٢ ، مِنْ مَشَاهِيرِ الأَدْبَاءِ ،
وَلَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّ إِحْسَانَهُ نَزَرَ يَسِيرَ . وَلَهُ تَأْلِيفٌ فِي الأَدَبِ تَرْجَمَهُ
بِكِتَابِ « الإِغْرَابِ »^٣ فِي رِقَائِقِ الآدَابِ » ، وَرَفَعَهُ إِلَى المَأْمُونِ بِحَبْسِ بْنِ ذِي
النُّونِ ، وَتَصْنِيفِ آخِرِ سَمَاءَ بِكِتَابِ « الإِشَارَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ الرِّجَالِ وَالْعِبَارَةِ » ،
وَكِتَابِ سَمَاءَ « بَسْتَانَ المُلُوكِ » ، رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ جَهْوَرِ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ بِقَرْطَبَةِ .

وَحَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ صَحَبَ أَبَا حَفْصَ بْنَ بَرْدٍ الأَصْغَرَ ، وَجَاذِبَهُ
أَذْيَالُ المَذَاكِرَةِ ، وَرَاكَضَهُ أَفْرَاسُ المَحَاضِرَةِ ، حَتَّى وَقَعَهُ — بَزَعَمَهُ — عَلَى
البَدِيعِ والبَيَانِ عَلَى حَقِيقَتِهِمَا ، وَوَضَحَتْ لَهُ جَادَتُهُمَا ، وَعَرَّفَهُ أُنْحَاءَهُ ، وَكَاشَفَهُ
أَجْزَاءَهُ ؛ قَالَ ابْنُ فَتَوْحٍ : فَمَتَى رَمْنَا مَعْنَى أَطْلَقْنَا عَلَيْهِ بُزَاةَ البَحْثِ ، وَأَخَذْنَاهُ
أَحْسَنَ أَخْذٍ ، وَصَدَدْنَاهُ دُونَ كَلَالِ فَهْمٍ ، وَلَا نَبْوٍ لِسَانٍ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا حَفْصٍ
يَشْفُ عَلَيْنَا جُمْلَةً فِي المُلْحِ القَصَارِ ، أَضْعَافَ شَفُوقِنَا عَلَيْهِ فِي مَطُولَاتِ الأَشْعَارِ .
قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَابْنُ فَتَوْحٍ هَذَا كَثِيرُ الإِهْتِدَامِ وَالِاغْتِنَابِ ، وَالِاخْتِطَافِ
وَالِاسْتِلَابِ ، لِأَشْعَارِ سِوَاهُ ، قَبِيحُ الأخْذِ فِي كُلِّ مَا انْتَحَاهُ ، وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ

١ ترجم له ابن الأبار (التكملة رقم : ١٥٥٢) وذكر أن كنيته أبو الحسن ، وقال : روى
عن أبي بكر مسلم بن أحمد الأديب بقربة ، وله كتاب بستان الملوك ، ذكره القنطري .
ومسلم بن أحمد هو ابن أفلح النحوي الأديب (٣٧٦ - ٤٣٣) كان رجلاً جيد الدين
راوية للشعر وكتب الآداب ، وكان اتلاميذه كالأب الشفيق (انظر الصلة : ٥٩١ - ٥٩٢) .
٢ م : بصاحب الاسفيريا ؛ والاسفيريا (وتكتب أيضاً اسفريا) نوع من الطعام ، راجع
وصفه في كتاب الطبخ : ٢٣ .

٣ م : الإغراب .

البرد ، وبينه وبين ابن بردٍ من مسافة البعد ما بين القطب الثابت ، والقصب
 الثابت^١ . وقد أثبت في هذا المجموع من شعر الرجلين ، ما يتيبن به الصبحُ
 لذي عينين ، على أني ظلمتُ ابنَ بردٍ ولم أعدل ، إذ لا يُمثَل بينهما بأفضل ،
 وأين مواقع السيل ، من مطالع سهيل ، وهو معه كما يقابل الصباح بمصباح ،
 وتبارى الرياح بجناح . وأكثر شعر ابن برد مליح السرد متمكن القوافي
 لا تكاد له قافية تخرج من مركزها ؛ وقوافي ابن فتوح قلقة موضوعة في غير
 مكانها ، نازلة في غير أوطانها .

جملة من شعر ابن فتوح في النسيب

قال^٢ :

قَدْ قَضَيْتُ وَبَدُرُ دِيحُورٍ وَتَغَرُّ دُرٌّ وَلِحْظُ يَعْفُورٍ
 أَزَالُ صَبْرِي وَأَيُّ مُصْطَبِرٍ يَبْقَى لَتَلْكَ الْمَلَا حَظُّ الْحُورِ
 كَأَنَّمَا نُورُهُ وَسَمَرَتُهُ مَسْكٌ مَشُوبٌ بِذُوبٍ كَأَفُورٍ

وقال أيضاً :

وَقَفَّ الْعِدَارُ بِخَدِّهِ فَحَسِبْتُهُ لَيْلًا تَوَقَّفَ وَسَطَ ضَبْوِ نَهَارٍ
 وَتَوَرَّدَتْ وَجَنَاتُهُ فَحَسِبْتُهَا نَارًا تَكْظِي فَوْقَ مَاءٍ جَارٍ

وقال :

خَلَعَ الْجَمَالَ عَلَيْكَ ثُوبَ بَهَائِهِ فَغَدَوْتَ تَسْحَبُ ذَيْلَهُ مُتَبَخِّرًا

١ هنا ينتهي الحرم في ب .

٢ وردت هذه الأبيات ص ٥٠٨ من هذا الجزء .

فكأنَّ خدَّكَ والعذارُ بصحنه صُبْحُ جرى فيه دجى فتحيِّرا
وما أقبح هذا الأخذ ، فإنه لفظُ تميم بن المعزِّ حيثُ يقول ^١ :

ما بانَ عُذري فيه حتَّى عَدَّرا ومشى الدُّجى في صُبحه فتحيِّرا ^٢
وقال :

ولما أحسَّ الليلُ أني منادمٌ مُعذَّبٌ قلبي بالتجنُّبِ والهجرِ
تولَّى مُغِيذاً لا يَبْقُرُ كأنما يعاينُ ألفاً فهو في لائمه يجري
فما كان ما بين الطَّفول وفجره كما بين جفن العين في الطول والشَّفَر

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس في قصر اللَّيل ^٣ :

وليلةٍ مِن اللَّيالي الزُّهرِ قرَّنتُ فيها بدرها ببدري
لم تكُ غير شفقٍ وفجرٍ حتَّى تَقْضَتْ وهي يَكُرُّ الدَّهر

ولغيره في هذا المعنى ^٤ :

يا ليلةً كادَ مِن تقاصُّرها يَعرُثُ منها العِشاءُ في السَّحرِ

١ اليتيمة ١ : ٣٠٨ ودوية القصر ١ : ٩٣ وألحق بديوانه : ٤٦٤ .

٢ الدمية واليتيمة : في خده ؛ الدمية : فتبخَّرا .

٣ ديوان إبراهيم بن العباس : ١٤٥ ومعاني العسكري ١ : ٣٥١ وزهر الآداب : ٢٩٩

ونهاية الأرب ١ : ١٣٤ وسرور النفس : ٣٢ .

٤ نسبة في سرور النفس : ٣٢ لابن المعتز .

وقد أكثرَ الناسُ في قصرِ الليلِ وطولهِ ، فمنهم من استهدفَ فيما
وصَفَ ، ومنهم من عدلَ وأنصفَ ، كقولِ بشار^١ :

لم يطل ليلى ولكن لم أتم ونفى عني الكرى طيفاً ألم
ولنأخذ من قول الأعرابي^٢ :

ما أقصرَ الليلَ على الرَّاقِدِ وأهونَ السَّقمَ على العائِدِ
وممن بلغَ الغايةَ في الإنصافِ ، لو سلَّم له من الاستلابِ والاختطافِ ،
قولُ ابنِ بسَّامِ البغدادي^٣ :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعي أنْ نجومَ الليلِ ليست تغور
ليلى كما شئتَ فإن لم تجدْ طالَ وإن جادتْ فليلى قصير

وهذا بجملته منقولٌ ، من قولِ علي بن الخليل ، حيث يقول^٤ :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعي أنْ نجومَ الليلِ ليست تزول
ليلى كما شئتَ قصيرٌ إذا جادتْ وإن ضنتْ فليلى طويل

وهذه السَّرقةُ كما قالَ بديعُ الزمانِ في التنبيهِ على الخوارزمي في بيت
أخذَ وزنه ومعناه وبعضَ لفظه : إن كانت قضيةُ القطعِ تجيبُ في الرَّبعِ ،

١ ديوان بشار : ٢١١ (جمع العلوي) وفيه تخريج كثير .

٢ ورد لابن المعتز (الأوراق : ٢٢٤) .

٣ سرور النفس : ٣٠ ومغني المسكري : ١ ٣٤٨ وزهر الآداب : ٧٤٩ والمختار : ٢٠

ونهاية الأرب : ١ ١٣٥ .

٤ انظر المصادر المذكورة في الحاشية السابقة .

فما أشدَّ شفقِي على جوارحه أجمع ، ولعمري ما هذه سرقة ، إنما هي
مُكابرةٌ محضَةٌ ، وأحسبُ أن قائله لو سَمِعَ هذا لقال : هذه بضاعتنا ردتْ
إلينا ؛ فحسبتُ أن ربيعةَ بنَ مُكْدَمٍ وعتيبةَ بن الحارث ما كانا يستحلّان
من النهب ما استحلّه ، إنما كانا يأخذان جُلّه ، وهذا الفاضلُ قد أخذَه كله .

وأخذَه عليُّ بنُ الخليل من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
حيثُ يقولُ ١ :

لا أسألُ اللهَ تَغْييراً لما صَنَعْتُ نَامَتْ وقد أسهرتْ عينيَّ عيناها
فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفقدُها والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها

وابن بسّامٍ في هذا كما قال الآخرُ :

وفى يقولُ الشعرَ إلاّ أنّه في كلّ حالٍ يسرقُ المسروقا

رجع :

وقال ابنُ فتوح :

ونخلٌ كان يألُفني قديماً مواصلةَ الصّوّادي للورود
فلما قلَّ وفري صارَ يَلْقَى تحيَّاتي بلحظٍ ٢ من بعيد
برئتُ إلى البريّةِ من إخاهُ كما برىء المسيحُ من اليهود

١ زهر الآداب : ٧٤٩ والمختار : ٢١ والمكبري ١ : ٤٠ وسرور النفس : ٣٠ ونهاية

الأدب ١ : ١٣٥ وديوانه : ٢٠ .

٢ ط : بلفظ .

وقال :

ريمٌ أرومٌ الدهرَ منه على رغمِ العدا قريباً فما أقدرُ
كأنما غرته تحتها ماءٌ عليه صارمٌ يشهرُ
كأنما حمرة^١ إذ بدت من فوقها نارٌ بها تسعر
كأنما والصدغُ قد شابها ذوبٌ عقيق شابهُ عنبر
كأنما يهتزُّ من بُرده غُصْنٌ يبدرُ ساطعٍ مثمر
كأنما الله لتعذينا ألبسه الحُسنَ ولا أكثر

قال ابنُ بسام : وتشبيهه صفاء الوجه وحمرة ، بصفاء الماء وحمرة النار
من مبتذلات الألفاظ ، ومُتداولاتِ المعاني ، وما أملتَح قول محمد بن
هاني^٢ :

افتك بهذا السامريّ السّاحرِ وأذقه طعمَ المشرفيّ الباتر
كم قلتُ إذ نزهتُ في وجناته طرقي فما رجعتُ إليّ محاجري
ذا ويحكم ماءٌ وجرٌّ محرقٌ فقد اشتفيتُ وما تروى ناظري

وأخذه ابنُ هانيء من قول تميم بن المعز^٣ :

وبارزةٍ بين أحبارها بروزَ الشموسِ لإسفارها
وقد فصلت بين ثقلِ الكتيبِ ولينِ القضيبِ بزُئارها
ترى الماء والنار في وجهها قد امتزجا بين أبشارها
فلا النَّارُ تعدو على مائها ولا الماءُ يعدو على نارها

١ ب م ط : حمرتها .

٢ لم ترد في ديوانه .

٣ ديوان تميم : ٢٣٩ .

وقولُ ابنِ فتوحٍ « غُصْنٌ بِبَدْرِ مُثْمِرٌ » كقولِ بعضِ البصريّين :

بأبي قضيبُ مثمرٌ إثمارُهُ بدْرُ الدُّجى
لما بدا لي سافراً عنه نَقَدْتُ له الحجى

وقال ابنُ وكيعٍ ٢ :

غُصْنٌ ظَلَّ مُثْمِراً بِبَدِيعٍ مِنْ الثَّمَرِ
ما رأى الناسُ قبله غُصْناً أُنْمَرَ الْقَمَرِ

وقال أبو الوليد بن زيدون القُرطبي ٣ :

عُدْرِي إِنْ عُدَلْتُ فِي خَلْعِ عُدْرِي غُصْنٌ أَثْمَرَتْ ذَرَاهُ بِبَدْرِ
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوْمَ شَطْرًا وَتَجَافَى عَنْ الْوَسَّاحِ بِشَطْرِ

وقولُ ابنِ فتوحٍ « كَأَنَّمَا اللَّهُ لَتَعْدِينَا » البيت ... ينظرُ إلى بَيْتٍ
من جملة هذه الأبيات لثميم بن المعزّ حيث يقول ٤ :

وساقٍ يَمْلَأُ الْعَيْنَيْنِ حُسْنًا رَخِيمٍ دَلَّهُ يَصْبُو وَيُصْبِي
شَقَائِقُ خَدَّهَ بِاللَّحْظِ نَسْجِي وَلَحْظُ جَفَوْنِهِ بِالْغَنَجِ يَسْجِي
لَهُ نَبْتُ عَلَى الْخَدَّيْنِ غَضٌّ يُصْنَفُهُ فَيَتَأَفُّ كُلَّ لُبٍّ
تَبَارَكَ مَنْ يَرَاهُ بَلَا شَبِيهِ وَسَلَّطَهُ عَلَى قَتْلِ الْمُحِبِّ

١ ب م : نبذت .

٢ لم يردا في ديوانه .

٣ ديوان ابن زيدون : ٢٣٠ .

٤ لم ترد في ديوانه .

وقال ابن فتوح ^١ :

ومُدَامَةً صَفراءَ عَلَّني بها رَشاً كغصنِ البانِ في حَرَكَاتِهِ
صَهْبَاءَ تَغربَ إنْ بَدَتْ من كَفِّهِ في فيه ثَمَّ تَلوَحُ في وجناته

وهذا من قول ^٢ الآخر ^٣ :

بدرٌ بدا يَشْرَبُ شمساً بَدَتْ وحدها في الحُسْنِ من حَدِّهِ
تَغْرُبُ في فيه ولَكِنَّها من بَعْدِ ذا تَطْلُعُ في خَدِّهِ

وقال الطَّلِيقُ المِروانيُّ المَتَقَدِّمُ ^٤ الذِّكْرُ في شعرِ تَقْدِمِ إنشاده ^٥ :
فلِذَا ما غَرَبَتْ في فَمِهِ أَطْلَعَتْ في الخَدِّ مِنْهُ شَفَقاً

وقال ابن فتوح :

ناولني الكأسَ على غَفْلَةٍ مَن مَلَأَتْ الحَاظِلَةَ الكاسا
ظِيًّا إِذَا ما شَمَتَهُ شارباً ذَكَرَنِي شاربُهُ الآسَا ^٦

وهذا من قول ابن بُرْدٍ وقد تَقَدَّمَ ^٦ :

يا شارباً أَلْثَمَنِي شارباً قد هَمَّ فيه الآسُ أنْ يَنْبُتَا

١ وردا من قبل ص : ٥٦٥ .

٢ ط : كقول .

٣ هما لكشاجم في قطب السرور : ٥٦٩ .

٤ انظر ما تقدم ص : ٥٦٤ .

٥ ط : الكاس ، الآس .

٦ انظر ١٠ تقدم ص : ٥١٠ .

وكذا بيته الأولُ من قول الآخر :

يا رَبَّ ساقِ يُديرُ كأساً تملؤه في الهوى جُفونهُ
كأنما قدَّهُ قَضيبٌ يهفوا بلبِّ اللبيبِ لينهُ

وحدث ابنُ فتوحٍ هذا عن نفسه قال : ماشيتُ غلاماً معذراً كنتُ
قديمَ الامتزاج به ، والكلفِ بقربه ، فلقيني بعضُ إخواني معه في جوف
المسجد الجامع فسلم عليّ مضمراً خبراً ثم قال لي : مثالك في عصرنا مثالُ
ذي الرِّمّة في وقته ، تمنعك الأطلالُ ، وما شخصٌ^٢ من آثار الديار ،
فهمتُ عنه ، وأنشدته قبلَ أن يستمَّ كلامه :

ما رُبَّ مَيَّةَ معموراً يطيفُ به غيلانُ أبهى رباً من ربيعها الخرب^٣

فقال : إلى متى يدومُ غرامُك بهذا الغلام ، وهذه بنودُ عزِّله قد
رُفعتْ ، وعُقُوداتُ خلعه قد عُقدتْ ؟ فقلتُ : لا والله ما أرى بنودَ
عزِّله ، ولا عُقداتِ خلعة ، وإنما أرى لاماتِ ميسكٍ في صحيفةٍ كافور ،
وسُطورَ دُجى في مهارِقِ نور ، فولّيتُ عني .

وكتبتُ إليه :

أيتها العائِدُ المُفَنِّدُ جهلاً في هوى من قِوامِ نفسي هواهُ

١ ط : يلهو .

٢ ط : دثر .

٣ البيت لأبي تمام ، ديوانه ١ : ٦٢ .

٤ ط : عزله . . . خلطته .

أَنْتَ تَلْحَى عَلَى قَضِيبِ لُجَيْنٍ عَظَفْتَنِي عَنْ غَيْرِهِ عَظْفَاهُ
 كَانَ صُبْحاً لِعَاشِقِيهِ فَلَمَّا بَقَلْتُ صَفْحَتَاهُ أَغْشَى^١ سِنَاهُ
 مِثْلَ ضَوْءِ الْهَلَالِ يَزْدَادُ ضَعْفاً نَوْرُهُ إِنْ دَجَّتْ لَهُ. أَفْقَاهُ

وَقَالَ أَيْضاً :

نَشَرَ الْغَمَامُ رِدَاءَهُ فَتَقَنَّتْ خُجَلًا^٢ بِهِ لِلنَّاطِرِينَ ذُكَاءُ
 فَكَأَنَّهُ سَتَرٌ تَشِيرُ بِمُقَلَّةٍ مَطْرُوفَةٍ مِنْ خَلْفِهِ عِذَاءُ
 وَكَأَنَّهَا إِذْ مَدَّهَ مِنْ تَحْتِهَا سُرٌّ تَضِيقُ بِكُتْمِهِ الظَّلْمَاءُ

وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ :

نَهَارٌ لَاحَ فِي سِرْبَالٍ لَيْلٍ فَمَا عُرِفَ الرَّوَّاحُ مِنَ الْبُكُورِ
 وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو مِنْ بَعِيدٍ رَنُوَ الْبَيْكِرِ مِنْ خَافِ السُّتُورِ

وَإِبْنُ الْمَعْتَزِ الْقَائِلُ قَبْلَهُمَا^٣ :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمَقُنَا بِطَرْفٍ خَفِيَ لِحْظُهُ^٤ مِنْ خَلْفِ سِرِّ
 تُحَاوِلُ فَتَقْنَ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْبَى كَعْنَيْنٍ يَحَاوِلُ نَكْحَ بَيْكِرٍ

١ ط : أَغْشَى .

٢ ديوانه ٤ : ٩٠ والأوراق : ٢٦١ وحلقة الكميت : ٣٢٩ ونهاية الأرب ١ : ٤٦ وشرح

الشريشي ١ : ٧٢ .

٣ الدهوان : يلاحظ مريض مدنف .

وتابعه ابنُ الرومي فقال^١ :

واليومُ مدجونٌ فجونته ما بين مُطلعٍ^٢ ومعتجبٍ
ظلتُ تلاحظنا^٣ وقد بعثتُ ضوءاً يلاحظنا بلا لب

ومحمد بن سيق^٤ من غلمان ابن أبي عامر :

فكانَ الشمس بكَرٌ حُجِبَتْ وكأنَّ الغيمَ سَرٌّ قد سُدِّلَ

وقال ابنُ فتوح يصفُ الشمع :

ولما دجا الأفقُ^٥ واغرورقتْ كواكبُه وسطَ لُجّ السَّحْبِ
نصبنا له قُضْباً صاغها من التَّبرِ صائغها للعَجَبِ
ودارتْ نُجُومٌ من الرِّاحِ في برُوجِ التَّصَابِي بأفقي الطَّرَبِ
وهزَّ نسيمُ الصَّبَا عطفه^٦ وقام خطيبُ الصَّبَا فاخطب
تجهَّم وجهُ السَّما إذ رأى سرورَ الوري بتهادي النَّخبِ
كأنَّ السَّحابَ به إذ بدتْ بخاتٍ على غيمها تُرْتَكِبِ
تسيرُ ويَقْرَعُها رَعْدُها لتعلو بِسَوَاطِلِها من ذَهَبِ

١ ديوان ابن الرومي : ١٤٧ .

٢ الديوان : فحرته فيه بمطلع .

٣ الديوان : شمس تشرقنا ؛ ط : ظلت تلاحظه .

٤ ب م : ميق ؛ والقاف غير معجمة في ط ؛ ولعل الصواب : « ينيق » .

٥ ب م : الليل .

٦ ط : غصنه .

وهذا كقول ابن بُرْدٍ وقد تقدّمَ إنشاده^١ :

بخائِي تَوَضُّعُ فِي سَبْرِهَا وَقَدْ قُرِعَتْ بِسِاطِ الذَّهَبِ

وقولُ ابنِ فتوحٍ في صفةِ الشَّمعِ من قول أبي الفضل الميكالي^٢ :

وليلٌ كلونِ المهجرِ أو ظلمةِ الخبرِ نصبنا لداجيه عموداً من التبرِ
[يشقُّ جلايبَ الدُّجى فكأنما نرى بينَ أيدينا عموداً من الفجرِ]
تبدَّى لنا كالغُصْنِ قدآ وفوقه شعاعٌ كأننا منه في ليلةِ القدرِ
تحمّلَ نوراً حتفه فيه كامنٌ وفيه حياةُ الأنسِ والتهو لو يدرِي
تراه يدبُّ الدهرَ في بري نفسه وقد كان أولى أن يريش ولا يبري
إذا ما عرّته علةٌ قطَّ^٣ رأسه فيختالُ في ثوبٍ جديدٍ من العمرِ

وهذا كقول ابن المعتز^٤ :

وصفراءَ تونسُ جلاّسها بقَدَّ يُقَطِّعُ أنفاسها
تبيتُ تُقَضِّي لَباناتنا وتُعمِلُ في نفسها باسها
ولم أرَ مِنْ قبلها مثِلها إذا قَطَّعُوا راسها

وهذا المعنى يتطرّفُ قولَ العباس بن الأحنف^٥ :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مِنْ عَشَقُوا

١ انظر ما تقدم ص : ٥١٦ .

٢ زهر الآداب : ٦٩٢ وسرور النفس : ٤٢٧ .

٣ في النسخ : قد ، وزهر الآداب : جر (اقرأ : حز) .

٤ لم ترد في ديوان ابن المعتز ؛ ونسبها صاحب سرور النفس : ٤٢٤ للتامي ، ولم تدرج

في ديوانه المجموع .

٥ ديوان العباس : ١٩٧ .

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصَبْتُ تُضْيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَرْزُقَانَ يَصِفُ شَمْعَةً
أَقِيمْتُ بِجَانِبِ مُطَيِّبٍ نَرْجِسُ :

وَشَمْعَتَيْنِ يَرُوقُ الشَّرْبُ حَسَنَهُمَا ٢
نُورٌ وَنَارٌ مُجَالٌ فِيهِمَا الْبَصَرُ
فَإِذَا تَمَوْتُ إِذَا مَا نَالَهَا بَلَلٌ وَذَاكَ يَحْيَا إِذَا مَا عَمَّهُ الْمَطَرُ

وَوَقَفْتُ عَلَى رَأْسِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ ابْنِ خُلْدُونَ وَصَيْفَةٍ فِي يَدِهَا شَمْعَةٌ فَقَالَ ٣ :

يَا شَمْعَةٌ تَحْمِلُهَا أُخْرَى شَبَّهْتُهَا شَمْسًا عُلْتُ بِدِرَا
امْتَحَنْتُ إِحْدَاهُمَا مَهْجَتِي بِمَثَلِ مَا تَمْتَحِنُ الْأُخْرَى

وَقَالَ أَيْضًا غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ ٥ :

وَقَدْ أَتَبَّهُوا جَنَحَ الدُّجَى كُلَّ شَمْعَةٍ كَأَنَّ سَنَاها مِنْ مَحْيَاكَ أَوْ فِكْرِي
بِأَيَّةٍ مَا تَبْكِي وَفِي النَّارِ صَدْرُهَا وَقَدْ جَمَدَتْ عَيْنَايَ وَالنَّارُ فِي صَدْرِي
وَقَدْ نَصَبُوهَا رَزْدَقًا بَعْدَ رَزْدَقٍ كَمَا أَشْرَعُوهَا تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْحَمْرِ

١ ترجمة ابن مَرْزُقَانَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الذِّخِيرَةِ .

٢ ب م : بَيْنَهُمَا .

٣ ط : وَقَالَ فِي جَارِيَةِ كَانَ فِي يَدِهَا شَمْعَةٌ ؛ وَانْظُرْ نَفْحَ الطَّيِّبِ ٣ : ٢٦٤ .

٤ ط وَالنَّفْحُ : إِحْدَاكَا .

٥ ب م : وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ هَرِيرَةَ الطَّيِّبِ ؛ وَلَمْ تَرُدَّ الْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَهِيَ تَلْحَقُ بِقَصِيدَتِهِ
رَقْم ٢٤ (ص : ٧٠) فِي رِثَاءِ زَوْجَتِهِ .

٦ ب م ط : خَدَمَتْ .

وهذا كقول أبي الفضل البغدادي من جملة أبيات تأتي في أخباره من
القسم الرابع :

فنارُك من جمرٍ وناريّ من شجرٍ وصدرُك في نارٍ وناريّ في صدري
وقال أبو الفضل الميكالي^١ :

يا ربّ غُصْنٍ نورُهُ	يُزري	بِنُورِ	الشَّفَقِ
يظَلُّ طُولَ عُمُرِهِ	يَبْكِي	بِحَقْنِ	أَرْقِ
صُفْرَتُهُ تُخْبِرُ عَنْ	عَشَقِ	ولما	يَعَشَقِ
نارُ المُحِبِّ في الحشا	ونارُهُ	في	المُفْرِقِ
لاحَ لنا في مَغْرِبِ	فردنا	في	مَشْرِقِ

وقال أيضاً فيها^٢ :

أعددتُ لليلِ إذا الليلُ غسقُ
وقبَدَ الأَلفاظَ من دونِ الطُّرُقِ
قُضبانَ تبرٍ عريتُ من الورقِ
يُغني النَّدَامى ضبوؤها عن الفلقِ
شفاؤها إن مرضت ضربُ العُنُقِ

وقال^٣ :

وقضيبٍ من بنات النَّحْلِ لِي في قَدِّ الكَعَابِ

١ زهر الآداب : ٦٩٣ .

٢ سرور النفس : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

٣ زهر الآداب : ٦٩٣ .

يُسْبِيهِ العَاشِقَ فِي لَوْنٍ وَدَمْعٍ وَالتَّهَابِ
كُسْبِيَّ البَاطِنِ مِنْهُ وَهُوَ عُرْيَانُ الإِهَابِ
فَإِذَا مَا أَنْعَمَ الأَبْدَا نَ مَلْبُوسُ الثِّيَابِ
فَهُوَ لِلشَّقْوَةِ < مِنْهَا > فِي بَلَاءٍ وَكِذَابِ

وقال الأسعد بن بليطة :

لَنَا شَمْعَةٌ نِطْتُ ذُرَاهَا بِشُعْلَةٍ كَحَيَّةٍ تَبِرُ نَضْنَضَتْ بِلِسَانِهَا
إِذَا عَثَرَ السَّاقِي بِذَيْلٍ مِنَ الدُّجَى نَحَرْنَا لَهُ نَحَرَ الدُّجَى بِسَنَانِهَا
تَمُوتُ إِذَا مَا قَبِلَتْ خَدَّ حَائِطٍ فَتَثْبُتُ خَالَاً فَوْقَهُ مِنْ دَخَانِهَا
كَأَنَّ الْجِدَارَ امْتَصَّ جَوْهَرَ رُوحِهَا وَلَمْ يَسْتَسْغِ مِنْهَا سَوِيدَا جَنَانِهَا

وقال أبو العلاء المعري^١ :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نَوْبِ الأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ
تُرِيكَ ابْتِسَاماً دَائِماً وَتَجْلُدُكَ وَصَبْرًا عَلَى مَا نَالَهَا وَهِيَ فِي الْهُلْكَ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ مُحَقَّةٌ تَحَالُونَ أَنِّي مِنْ حَذَارِ الرَّدَى أَبْكَي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجَدْتَهُ فَقَدْ تَدَمَّعُ الْعَيْنَانِ مِنْ شِدَّةِ الضَّحْكَ

وقال ابن فتوح وقد استهدي مقصداً فبعث بها وكتب معها :

خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ فِطْنَةٍ مَشْبُوبَةٍ وَذَكَاءٍ
تَحْكِيكَ فِي دَفْعِ الْمَلَمِ^٢ لِأَنَّهَا وَلِئْتَ بَشَقَّ حَنَاجِرِ الأَعْدَاءِ

١ شروح السقط : ١٦٨٣ و سرور النفس : ٤٢٨ .

٢ ط : المهم .

قال ابنُ بسام : وقد نهى بعضُ الظُّرَفَاءِ الأدباءَ عن إهدائها واستهدائها ،
قال الفقيه ابن قالوص في ذلك :

إعطاءٌ مثلي للمقصِّ نقيصةٌ وأرى إعارتها أجلُّ العارِ
إنَّ المقصِّ حكمتُ بصورة شكلها « لا » والجوادُ بـ « لا » لثيم نجار

وهذا من الاختراعِ البديع ، والتشبيه المطبوع . وتشبيهُ ابن فتوحِ
صديقه بالمقصِّ من الوصف القبيح < فهو > مما مال فيه إلى العقوق ، وعدا
به سواء الطريق . ومتى كانت المقصُّ تشقُّ الحناجر ، ونجرتُ الجرائر^١ ،
كأنه لم يسمع قولَ الآخر ، وهو ابن الرومي^٢ :

وما تكلَّمتُ إلَّا قُلْتُ فاحشةً كأنَّ فكَّيكَ للأعراضِ مقراضُ

وهذا بالمقصِّ أشبه ، وعلى تفاهة قدره أنه . ولم أسمع في المقصِّ^٣
أحسن من قول ابن الرومي أيضاً يصف قوادة :

تسعى لكي تجمعَ وسنطينهما كأنها مسمارُ مقراضِ

وسُمِّيَتِ المقصُّ لملازمتها القصاصَ ، وهو أطرافُ الشعر .
وقال ابن فتوح في صفةِ نحلة :

وطائرة تخفي كأنَّ جناحها ضميرٌ خفيٌ لا يحدِّدُه وهمٌ
منافرةٌ للإنسِ تأنسُ بالفلا مرفرةٌ للشَّهد من بعضها السَّم
فادناؤها رشدٌ وهتكُ حجابها إذا احتجبت في غير إبانها ظلم^٣

١ ب م : وتخر الجرائر .

٢ انظر ما تقدم ص : ٥٧٤ .

٣ هنا تنتهي الترجمة في ط .

وحدث ابنُ فتوح أيضاً عن نفسه قال : كنتُ ليلةً في رمضانَ أطوفُ
بالمسجدِ الجامعِ بالمريّة سنة ثلاثين^١ ، وإذا فتى حسنُ المنظر ، فسلمَ عليَّ
سلاماً ارتاحت له نفسي ، وانشرحَ له صدري ، فرددتُ عليه ردّاً من
توسّم فيه سمةَ الفهم ، فقال لي : بحرمة الأدب إلاّ ما أعدتُ عليّ البيتَ ،
فأعدتُه ، وأنشدتُ سائرَ الأبيات ، فقال : الشعرُ > لك ؟ قلت : أجل < ،
ثم قال لي : إنّما أخذته من قولِ العباسِ بن الأحنف^٢ :

وأحسنُ أيامِ الهوى يومُكَ الذي تروّعُ بالهجرانِ فيهٍ وبالعتبِ
لماذا لم يكن في الحبِّ سخطٌ ولا رضىٌ فأينَ حلاواتُ الرّسائلِ والكتبِ ؟

فقال : ورّيتُ بك زنادي ، فأخبرني عن السّببِ الموجب لترديدك
البيت ، قلتُ له : منيتُ بخلٍ مولعٍ بالخلاف ، مائلٍ إلى قلّةِ الإنصاف ،
إن لا ينته غضب ، وإن استعنته عتب ، وقد علم الله شفقةَ نفسي لفرقة ،
فقال : قلبُ الله لك قلبه ، وجنبك عتبه . ثم ولّى عني وقد غرسَ في كبدي
ثمرةً ودّه ، فبتُ الليلةَ مستأنساً بخياله ، جدلانَ بوصاله ، حتّى رأيتُ
غُرّةَ الفجر تلمعُ في كفل الدُّجى ، فخلته بحراً تسرّبَ فيه جدول ، أو

١ أقدر أن هنا سقطاً في النص ، لا يتم المعنى دونه ، كأن يقال « وأنا أردد قولي . . . »
وأنه لا بد من إيراد البيت المقصود ، وذلك ينسجم مع قوله من بعد « بحرمة الأدب إلا ما
أعدت علي البيت » .

٢ ليس الشعر للعباس بن الأحنف ، وإنما ينسب تارة لعلمية بنت المهدي (الأغاني ١٠ : ١٨٥
والفوات ٣ : ١٢٥) وتارة لأبي حفص الشطرنجي (الأغاني ٢٢ : ٥١ والفوات ٣ : ١٣٦)
وكان الشطرنجي قد نشأ في دار المهدي وكان يقول الأشعار لعلمية فتنسبها .

عجاًباً سُلَّ من تحتَه منصُل ؛ فقامتُ ثابتاً على قصده^١ ، فلم ألبث أن سمعته
يَنشُدُ ويطلبُ منزلي ، ففرَعَ البابَ وأذنتُ له فدخل ، فرحبتُ به ، وقمتُ
إليه ، وأقبلتُ عليه ؛ فقال لي : يا ابن الكرام ، إنَّ هذا يومٌ قد بكى ماء
غيمه ، ونبضَ عرقُ برقه ، وخفقَ قلبُ رعدِه ، واغرورقت مقلَّةُ أفقه ،
ونحن لا نجدُ الحمر ، فبِمَ نقطعُ تأويبه ؟ فقلتُ : الرأيُ إلى سيدي أبقاه
الله ، فقال لي : كيف ذكرُك لرجال مصرِك ، ووقوفُك على شعراءِ عصرِك ؟
قلتُ : خيرُ ذكرٍ . فقال : مَنْ أعذبُهم لفظاً ، وأرجحُهم وزناً ؟ قلتُ :
الرقيقُ حاشيةَ الظرف ، الأنيقُ ديباجةَ اللطف ، أبو حفص ابنُ بردٍ .
قال : فمن أقواهم استعاراتٍ ، وأصحُّهم تشبيهاتٍ ؟ قلتُ : البحرُ العجَّاجُ ،
والسراجُ الوهَّاجُ ، أبو عامرٍ ابنُ شهيدٍ . قال : فمن أذكُرهم للأشعار ،
وأنظمهم للأخبار ؟ قلتُ : الحلو الظريفُ ، البارعُ اللطيفُ ، أبو الوليد بنُ
زيدون . قال فمن أكلفهم بالبديع ، وأشغفهم بالتقسيم والتتبع ؟ قلتُ :
الرائعُ في روضةِ الحسب ، المُستطيلُ بمِرْجاةِ الأدب ، أبو بكر إبراهيم بن
يحيى^٢ الطُّبِّي ، فأنشد :

وخاطبَ قُستاً في عكاظٍ محاوراً على البُعدِ سبحانُ فأفجعه قُسنُ^٣

١ ب م : بائياً على قصوره ؛ ب : قصوده .

٢ في ب م : يحيى بن إبراهيم ، والصواب ما أثبتته وهو إبراهيم بن يحيى بن محمد بن حسين

ابن أسد التميمي ، وكان صديقاً للفقير أبي محمد ابن حزم ، توفي سنة ٤٦١ (الجلد : ١)

١٤٩ والبنية رقم : ٥٣١ والصلة : ٩٦) وهو ابن عم عبد الملك بن زيادة الله الذي تقدمت

ترجمته ، يلتقيان في « حسين » .

فصلٌ في ذِكْرِ الأديب أبي بكر بن ظهار وإبّات جُملةٍ مِمَّا وجدتُ له من الأشعار

وكان أبو بكرٍ هذا من فتيانِ الأدباء في ذلكَ الأوان ، ثم اعتبط وماءُ معرفته غيرُ مُمتاح ، ورُكنُ إبداعه غيرُ مراح ، في شرح شبيبته وأوان ظهوره ، ولولا ذلكَ لبزَّ أهل الآفاق ، رقةً وحسن مساق^٢ . وأكثرُ ما وجدتُ من شعره ففي مدح أبي المغيرة بن حزم ، إذ كان قد ميَّزه تمييزَ مثله من صيارفةِ النثرِ والنظم . وحُدِّثُ عن بعض من جعلَ الانتجاعَ بهذا العلق الذي نحنُ في إقامةِ أودِه [من أجلَ ذخائره وعدده] ، أنَّه انتجعَ أبا بكر بن ظهار ، وكان من الاقلال في غاية ، ومن قلة ذات اليد في نهاية^٣ ، وقصده في ذلكَ بخمسةِ أبياتٍ شعريٍّ أنشدتها سقطت من ذكرِي ، فباع ابنُ ظهارِ ثوبه ووجهه إليه بشمنه ، وكتبَ إلى مُستمنحه بهذه الأبيات^٤ :

يعزُّ على الآدابِ أنْتَكَ رَبُّهَا	وَأَنْتَكَ فِي أَهْلِ الْغِنَى خَامِدُ النَّارِ
وخمسةُ أبياتٍ كَأَنْتَكَ قَلْتَهَا	بِهَاً وَإِشْرَاقاً مِنَ الْقَمَرِ السَّارِ
طلبتُ لها كَفْؤاً كَرِيماً مِنَ الْقَبْرِ	فَقَصَّرَ بَاعُ الْمَالِ عَنْ نِيلِ أَوْطَارِ
سِوَى فَضْلَةٍ لَا تُسْتَقَلُّ بِنَفْسِهَا	وَأَقْلَلُ بِهَا لَوْ أَنَّهَا أَلْفُ دِينَارِ
بعثُ بها لَا رَاضِياً لَكَ بِالَّذِي	بعثُ به إِلَّا فَرَاراً مِنَ الْعَارِ

١ ذكره ابن سعيد (المغرب ٢ : ٢٨١) ونسبه إلى لورقة ، وكذلك ورد ذكره في المسالك ١١ : ٤٠٧ ، وكلا المصدرين يعتمد على الذخيرة .

٢ ط : لبز أهل عصره .

٣ ط : وكان من ذوي الاقتار .

٤ المغرب ٢ : ٢٨٢ .

ومن شعر ابن زهراء قوله ^١ :

والله ما أربى ^٢ من الدنيا إلا المدامُ ووجه من أهوى
فلذا نظرتُ إلى صفاتها ^٣ لم يبقَ لي أملٌ ولا دعوى

وقال ^٤ :

صَبَّغُوا غَلالته بِحُمْرةِ جدِّه وكسوه ثوباً من لى شَفَتَيْهِ
فَتَحَالَهُ فِي ذَا وَتِلْكَ كَأَنَّمَا نَزَرَ الْبَنَفْسُجُ وَالشَّقِيقُ عَلَيْهِ

وقال ^٥ :

مَنْ لِي بِدَانِي الْمَحَلُّ نَامٍ تَرَاهُ عَيْنِي وَلَا أَنَالُهُ
لَا وَصَلَ لِي مِنْهُ غَيْرُ أَنْتِي أَقُولُ لِلنَّاسِ كَيْفَ حَالُهُ

وقال ^٦ :

عَلَّانِي فَاتَمَا أَنَسَا حَيْثُ جَادَ رَوْضَ أَهْوَى مِنْ الْوَصْلِ غَيْثُ
وَكَأَنَّ الظَّلَامَ لَمَّا تَوَلَّى نَعِيرٌ رَاعَهُ مِنْ الْفَجْرِ لَيْثُ

١ وردا في المغرب .

٢ ب م والمغرب : أطي .

٣ ب م : صفاتها .

٤ وردا في المغرب والمساك .

٥ انظر المغرب ٢ : ٢٨٣ .

٦ وردا في المساك .

وقال :

أما ترى بدر^١ الدُّجى مشرقاً
كأنتما يَنْشُرُ مِنْ نورِهِ
يضحك^٢ من نورٍ بلا ضحك^٣ ؟
في الأرض كافوراً على مسك

وقال^٣ :

إذا أردتَ صباحاً فانظرْ إلى وجهِ ساقبك^٤
فقد أطلتَ سؤالاً^٥ يا قومُ هل غرَّدَ الدُّبْكُ
ماذا تُريدُ بصبُحٍ أو أين ترقى أمانيك
وللتجومِ مدارٌ عليك والبدرُ يسقيك

فصل^٦ في ذِكْرِ الأسعدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أسعدِ بنِ بَلَيْطَةَ^٧

« سرَدَ المعاني أحسنَ السَّردِ ، وافترسَ المعالي كالأسدِ الورد ، فأبرزَ
دُرَرَ المحاسنِ من صدفها ، وأحرزَ ما شاء من فخرِ الاجادة وشرفها »^٨ .

١ ب م والمغرب : وجه .

٢ المغرب : ييمم .

٣ وردت في المغرب والمسالك .

٤ المسالك : صباحاً .

٥ وردت ترجمته في الجذوة : ١٦٦ (البقية رقم : ٥٨١) والمطمح : ٨٣ والمغرب ٢ : ١٧

والمغرب : ١٢٦ والخريدة (في ثلاثة مواضع) ٢ : ٩٠ ، ٢٦٢ ، ٥٨٥) والمسالك (في
موضعين في الثاني منهما ظنه ابناً له) ج ١١ : ٤٠٨ ، ٤٦٠ وخط بعض شعره بشعر ابن
الحداد ، ونقل المقرئ (النفع ٤ : ٥١ - ٥٢) تراجمته عن المطمح ، وانظر النفع أيضاً

٤ : ١٠٠ .

٦ ما بين حاصرتين من المطمح : ٨٣ .

وأصله^١ كان من حضرة قرطبة، وتردّد بأقطار الجزيرة شرقاً وغرباً^٢، وكان بها في وقته أحد الغرائب، وأعجوبة^٣ في عيون العجائب؛ عالم^٤ بما يريشه ويبريه، على لوثة^٥ — زعموا — كانت فيه؛ وكان بعيد الهمم، بليغاً بالسيف والقلم، تردّد على ملوك الطوائف بالاندلس، فارس جحفل، وشاعر محفل، فجرى في الميدانين، وارتزق في الديوانين. ولم أظفر من شعره في حين إخراجي هذه النسخة من هذا المجموع^٦ إلا بقليله؛ ولا بأس — بحمد الله — من الزيادة فيه^٧؛ وقد أثبت منه ما يعترف بحقه، ويعرف به مقدار سبقه.

ما أخرجته من شعره في النسيب وما يناسبه من الأوصاف

قال^٨:

لو كنتَ شاهدنا عشيّة أمسنا والمزنُ تبكينا بعيني مذب
والشمسُ قد مدتْ أديم شعاعها في الأرض تجنحُ غير أن لم تذهب
خلت الرّذاذَ برادةً من فضةٍ قد غربلتْ من فوقِ نطعٍ مذهب

وقال^٩:

ظَلَنْتُ به والدُمُوعُ جاريةٌ أَقْبَلُ الجيّدَ منه والليّنَا
تَقَطَّرُ دُرّاً حتّى إذا وَرَدَتْ رَوْضَةً خَدَّيْهِ عُدْنَ ياقوتا

١ ط : وأظنه .

٢ ط : وتردد ببلاد المغرب .

٣ ب م : في حين تألّفي هذا التصنيف .

٤ ب م : ولا بأس بحول الله من حصوله .

٥ هي في الجذوة والمسالك : ٤٠٨ ، ومنها بيتان في المطمح والنفخ .

٦ وردا في المسالك : ٤٠٨ .

وهذا من قول الحسن^١ ، وزاد في التشبيه ، فأجاد ما أراد فيه ، وهو :
وقد غلبتها عبرة* فدموعها على خدّها بيض* وفي نحرها صُفْرُ
وقال^٢ :

ليس ليوم البين عندي سوى مدامعٍ نَجيعها سَكْبُ
كأنّما فضّ بأجفانها رُمّةٌ فانتشرَ الحبّ
وقال :

عوذتُ قلبي منهُ بكلّ ما يُتعوذُ
كأنّما خدّه والى هذارُ حينَ تأخذُ
تُفّاحةٌ علقتُ في سلاسلٍ من زُمُرْدُ

وقال :

قمرٌ لوى من فوقه من صدغٍ غاليةٍ حنشُ
ودنا ليلثيمَ جمرةٍ من وجنتيه فأنكش

وأملح من هذا التشبيه ، قولُ تميم بن المعز فيه^٣ :

طمعتُ تقبله عقاربُ صدغيه فاستلّ ناظره عليها خنجرا

١ هو أبو نواس ، وهذا البيت في ديوان المعاني ١ : ٢٥٨ وتشبيهات ابن أبي حنون : ٨٤
ونهاية الأرب ٢ : ٢٧٢ .

٢ وردا في المسالك .

٣ تقدم هذا البيت من قبل .

وقال محمد بن هاني^١ :

وكانَّ صفحةً خدّه وعذاره تُفّاحةٌ رُميتْ لتقتُلَ عقرباً

وقال الأسعد^٢ :

مَنْ رأى الوردَ تحتَ قطرٍ نداهُ لم يعبْ فوقَ وجنتي جُدريّاً
أنا شمسٌ أردتُ في الأرضِ مشياً فنثرتُ النُّجومَ حليّاً عليّاً

وهذا كقول ابن السراج النحوي^٣ صاحب كتاب «الأصول»^٤ :

لي قمرٌ جدّرٌ لما استوى فزادَهُ حُسناً وزادتْ همومي
كأنّما غنّى لشمس الضُّحى فنقطته طرباً بالنُّجوم

وقال الأسعدُ في سمجٍ بينَ مليحين^٥ :

أما ترى الدهرَ بما قد أتى من حُسْنِ هذينِ وهذا السَّجْ
كدُرّتي عِقْدٍ على ثُغرةٍ بينهما واسطةٌ مِن سَبَجِ

١ ديوان ابن هاني : ١٩٤ .

٢ هما في المسالك : ٤٠٨ والخريدة ٢ : ٩٠ ، ٢٧٠ ، ٥٨٧ .

٣ هو أبو بكر محمد بن السري النحوي (- ٣١٦) ؛ انظر ترجمته في إنباه الرواة ٣ : ١٤٥ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

٤ إنباه ٣ : ١٤٨ وذكر أنه قالهما لما حضر ابن يانز المغني .

٥ وردا في الجذوة .

وقال يصفُ الخيلانُ ١ :

تَتَنَفَّسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفَّسِ الرَّيْحَانِ فِي الْآصَالِ
وَكَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي وَجَنَاتِهِ سَاعَاتُ هَجَرٍ فِي زَمَانٍ وَصَالِ

قال ابنُ بسَّامٍ : وهذان النوعان من وصف الجُدريِّ والخيلانِ
غيرُ موجودين في أشعارِ المُحدثين والمولدين والعصرين إلَّا في النادر ،
وأنا أنشد في هذا الموضع بعضَ ما تعلَّقَ من ذلك بحفظي ، ووقع في شركِ
صدري . قال الشيخُ أبو مروان بن سراج ٢ :

جُدُرَتِ فَقَالُوا بِهَا عِلَّةٌ سَتَقْبُحُ بَعْدُ بِأَثَارِهَا
إِلَّا إِنَّهَا رَوْضَةٌ نَوَّرَتْ فزادتُ جَمَالًا بِأَنْوَارِهَا

وقال أبو عامر ابن عبدوس القرطبي :

أَكْثَرَ الْخَاسِدُونَ فِيكَ فَقَالُوا جُدْرِيٌّ بَدَأَ عَلَى وَجَنَتَيْهِ
وَيَحْمِهِمْ مَا دَرَوْا بِأَنْتِكَ وَرَدُّ نَثَرَ الْجَوْهَرُ النَّقِيسُ عَلَيْهِ
وَنَجْمُ السَّمَاءِ أَسْرَى خُلَاهَا وَجَمَالُ الْوَشَّاحِ فِي طَرَّتَيْهِ

ولأبي زيد بن العاصي :

عَابَهُ الْخَاسِدُ الَّذِي لَمْ فِيهِ أَنْ رَأَى فَوْقَ خَدِّهِ جُدْرِيًّا
إِنَّمَا وَجْهَهُ هَيْلَالٌ تَمَامٌ جَعَلُوا بُرْقَعًا عَلَيْهِ الثُّرَيَّا

١ قطعة من ثلاثة أبيات في المطرب ٤ : ١٢٦ والخريدة (٩٠ ، ٢٦٩ ، ٥٨٧) والمسالك :

٤٦٠ . واثنان في المسالك : ٤٠٨ .

٢ سيجي الحديث عنه في هذا القسم .

ولأبي تمام بن رباح :

[أوقدت قلبي فارتى بشارةٍ في صحن خدك فانطفت في مائه]^١

وله أيضاً :

خدكَ مرآةٌ كلُّ حُسْنٍ تحسُنُ من حُسْنِها الصِّفات
مالي أرى فوقه نجوماً قد كُستُ وهي نيراتُ ؟

وأنشدني أبو محمد بنُ فرجٍ الجيانيُّ لنفسه يصفُ خالين بخدَّ غلامٍ
أحدهما أصغرُ من الآخر :

لاني ضعفتُ عن الهوى قد صادني عبدُ القويِّ بلحظِ ريمٍ أحورٍ
أبصرتُ في الحمام منه محاسناً حَسَنٌ بلوى قلبي المتحيرُ
جسمٌ من البلورِ يطفو فوقه عَرَقٌ تبدَّى مثلَ نظمِ الجواهر
وبخدهُ خالانٍ أمّا واحدٌ فيلوحُ والثاني كأن لم يظهر
فكانته من حُسْنه بدرُ الدُّجى كسفَ السُّهى في صحنه والمشتري

وأنشدني أبو بكرٍ الدَّانيُّ لنفسه^٢ :

بدا على خدِّه خالٌ يزيِّنه فزادني شغفاً فيه إلى شَغَفٍ
كأنَّ حَبَّةَ قلبي عندَ رؤيته طارت فقلتُ لها في الخدِّ منه قفي

١ تقدم من قبل .

٢ انظر القسم الثالث ص : ٦٦٩ .

رجع :

وقال الأسعد يصف النفط ^١ :

والتنقطُ مهما افتَرَّ فوهُ فاغراً
أجرى لسانَ النارِ فوقَ الماءِ
فكأنه ذهبٌ بدا في صارمٍ
أو رَجَعُ برقٍ في أديمِ سماءِ

وله ^٢ :

وتلذَّ تعذبي كأنك خلّني
عوداً فليس يطيب ما لم يحرقِ

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون :

تظنونني كالعود حقاً وإنما
تلذَّ لكم أنفاسه حين يحرقُ

وقال في أسود ^٣ :

يا رَبَّ زنجيَّ لهوتُ به	الشمسُ عند سناهُ ممقوتُهُ
مُحدودٌ قد غاب كاهلهُ	في منكبيه فلا ترى ليته
قد حكّمَ التّجعيدُ لمتّه	فتراكتُ فكأنها توته
وإذا سعى بالكأس تحسبه	جُعلاً يدحرجُ فصّ ياقوته
وكأنه والكأسُ في يده	نجمٌ رمى في الجوّ عفرته

١ هما في المسالك : ٤٠٨ .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في ط : وأغلب الفن أنهما دخیلان من المطمح : ٨٤ (النفع
٤ : ٥٠) والبيت الذي للأسعد هذا أحد بيتين في الجذوة : ١٦٦ ؛ وانظر ديوان ابن
زيدون : ٥٩٠ وروايته : تعدوني كالمتدل الرطب إنما ؛ وقد مر البيت في ترجمة ابن
زيدون ص : ٣٥٤ .

٣ وردت ثلاثة منها في الخريدة : ٥٨٨ واثنان في المسالك : ٤٠٨ :

وأخذَ هذا التشبيهَ من قولِ [بعضِ أهلِ أفقنا وهو] ابنُ زرقونَ
في الكُمَيْتِ الشاعر^١ :

تَأَمَّلْتُ الكُمَيْتَ وقد علاه من الأثوابِ ثوبٌ ذو احمرارِ
فقلتُ لصاحبي جُعِلَ تمشى لعمري في ثيابِ الجُلُنارِ

ومن قديمِ هذا التشبيهِ قولُ الفرزدقِ في نُصَيْبٍ وقد لبس ثياباً بيضاً^٢ :

كَأَنَّهُ لما بدا للناسِ أيرُ حمارٍ لفَّ في قرطاسِ

وقال ابنُ بُلَيْطَةَ الأسعد^٣ :

وزورقي أبصرته عائماً وقد تغطى ظهرَ دأماءِ
كَأَنَّهُ في شكلِهِ طائرٌ مدَّ جناحيهِ على الماءِ

وأنشدني أبو بكرٍ الخولانيُّ المنجَّمُ قال : أنشدني ابنُ بُلَيْطَةَ الأسعد
لنفسه^٤ :

رَأَيْتُ لِيُوسُفَ في بَيْتِهِ فخرَبَهُ اللهُ بينَ البيوتِ

١ أبو بكر الكميّ بن الحسن شاعر وشاح كان من شعراء عماد الدولة أبي جعفر بن المستعين
ابن هود بـسرقة ، لقيه الحميدي وقرأ عليه كثيراً من شعره (انظر الجذوة : ٣١٤ والبقية
رقم : ١٣١٥ والمغرب ١ : ٣٧٠ والنفع ٣ : ٤٥٣ والتكملة : ٣٤٨) وانظر جيش
التوشيح : ٨٦ - ٩٦) .

٢ ينسب أيضاً لـجرير : انظر ديوانه : ١٠٣٠ .

٣ هما في المسالك : ٤٠٨ .

٤ وردت الأبيات في الخريدة : ٩٠ والمسالك : ٤٠٨ .

حصيرَ صلاةٍ علاه^١ الغُبارُ وقد نسجتُ فوقه العنكبوت
فقلتُ له : كم لذاك الحصير وكم لك لم تَقْرَ فيه القنوت
فقالَ : هُنَالِكَ الْفَيْتَةُ^٢ وثمَّ يكونُ إلى أن أموت^٣

وأنشدني له أيضاً^٤ :

أَحْيَبُ بَنَوْرِ الْأَقْلَاحِ نَوَّارًا عَسَجْدُهُ فِي لُجَيْنِهِ حَارًا
أَيُّ عَيُونٍ صَوَّرَنَ مِنْ ذَهَبٍ رُكِّبَ فِيهَا اللَّجِينُ أَشْفَارًا
إِذَا رَأَى النَّاظِرُونَ بِهَجَّتِهَا قَالُوا نَجُومٌ تَحْفُ أَقْمَارًا
كَأَنَّ مَا أَصْفَرَ مِنْ مُوسَطَهٗ عَلِيلُ قَوْمٍ أَتَوْهُ زَوَّارًا
كَأَنَّ مُبْيِضَهٗ صَقَالِيَّةٌ صَارُوا بِجُوسًا فَاسْتَقْبَلُوا النَّارَا
كَأَنَّهُ ثَغْرُ مَنْ هَوَيْتُ وَقَدْ أَلْقَيْتُهُ فِيهِ بِغِيٍّ دِينَارًا

وأنشدني له أيضاً من قصيدة أولها :

أَرْجَى عِساهُ فِي الْهَوَى وَلَعَلَّهُ وَلَوْ وَصَفُوا حَالَ الْعَلِيلِ لَعَلَّهُ
خَلِيلِيَّ مِنْ نَعْمَانٍ مَا أَكْثَرَ الْهَوَى لِحَاجَا وَصَبْرِي فِي الْهَوَى مَا أَقْلَهُ

ومنها :

فَلَا تَتَضَرَّبَنَّ حَدَّآ بِحَدِّ فَإِنَّهُ إِذَا السَّيْفُ لَأَقَى مُضْرِبَ السَّيْفِ فَلَهُ

.....

١ - ط : عليه .

٢ ب م : نموت .

٣ منها أربعة في المغرب .

٤ ب م : كانوا .

٥ ب م : وضعت .

ومن شعر الأسعد في المديح وما يتصل به

له من قصيدة في ابن صمادح^١ أولها :

برامة ريم زارني بعد ما شطاً تقنصته في الحلم^٢ بالشط فاشتطاً
رعى من أناس في الحشا ثمر الهوى جنيّاً ولم يرع العرّار ولا الخنطاً
خيال^٣ لمرقوم البنان براعة^٣ تأوّبني بالرقمتين فذي الأرقطى
فأنشفتني من خدّه روضة المتى وألثمني من صدغه حية رقطاً
كان الدجى جيش من الزنج نافر^٤ وقد أرسل الإصباح في إثره القبطاً

[منها في وصف الديك :

كان أنو شروان أعلاه تاجه وناطت عليه كف مارية القرطاً

< ومنها > :

وطائر حُسن بالسقاة موكل^٥ بحب قلوب الشرب يلقطها لقطاً [
توهم عطف الصّدغ نوناً بخدّه فبات بمسك الحال ينقطه نقطاً

وهذا كقول ابن المعتز^٦ :

غلالة خدّه صيغت بوردي ونون الصّدغ معجمة بخال

١ منها ستة عشر بيتاً في المطمح (مكررة في النفع ٤ : ٥٠ ، وثلاثة في النفع ٤ : ١٠٠) و ١٣ ثم ٧ ثم ٣ في الحريدة : ٥٨٥ ، ٢٦٦ ، ٩٠ ، ٤ في المسالك : ٤٦٠ .
٢ ب م : بالحلم .
٣ المطمح والنفع : برامة .
٤ الأوراق : ١٩٩ .

مُحَيَّرَةً الْأَحَاطِ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ
أَرَى صَفْرَةَ الْمَسَاكِ فِي حَوَّةِ^١ اللَّحْمِ
عَسَى قَنْزُحٌ قَبَّلَتْهُ فَإِخَالَهُ
وَسَارِيَةٌ خَلْنَا تَلَأْلُوَ بَرْقَهَا
فَبِتْنَا نَخَالَ الْجَوَّ بِحَرًّا قَدْ أَرْسَلَتْ
وَبَاتَتْ تَثِيرُ الْمَسَكَّ مِنْ هَجْعَةِ الثَّرَى
حَيًّا أَلْبَسَ الْبُسْتَانَ وَشَيْئًا مَرْصَعًا
كَأَنَّ أَبَا يَحْيَى بْنَ مَعْنٍ أَجَارَهَا^٢
تَأَلَّفَ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرٍ نَجَارُهُ
أَقُولُ لِرَكْبٍ يَمْشُوا مَسْقَطَ النَّدَى
أَنِّي الْمَجْدُ يَبْغِي لِابْنِ مَعْنٍ مَنَاقِضَ
وَلَوْ قَابَلَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ أَظْلَمَتْ

وله من أخرى في المعتضد :

عَلَيْكَ عَقَلْتُ مَطِيَّ الْأَمَلِ
وَفَيْكَ تَنْسَمْتُ زَهْرَ الْعُلَا
كَأَنَّا وَمَجْدُكَ يَسْمُو بِنَا
أَيَّا مَلِكًا رَاعٍ سَرَبَ الْعَدَا
وَفَيْكَ اعْتَقَلْتُ بَزْرُقِ الْأَسْلِ
جَنِيًّا وَرَوْضُ الْعُلَا قَدْ ذَبَلُ
ذَبَالُ^٣ أُمِدَّتْ^٣ إِلَيْهَا شَعْلُ
وَأَمَّنَ سَرَبَ الصَّرِيحِ الْجَلَلِ
وَيَكْرَعُ عَبْدُكَ ذَا فِي وَشَلْ ؟
أَتَصْبَحُ بِحَرًّا مَعِينَ الْجَلَا

١ ط والخريدة : حمرة .

٢ ب م : أجادها .

٣ ب م : ذبالا أعدت ؟ وسقطت جميع الأبيات من ط .

فَقِي سَارَتَكَ^١ أَمَانِيهِ مِنْ أَقَاصِي الشَّوَاهِقِ حَتَّى نَهْلٍ
أَعْدَّ لِأَعْدَائِكُمْ صَعْدَةً وَنَصْلًا جَرَّازًا وَطَرْفًا رَفْلٍ
جَهَّازُ ابْنِ هِجَاءٍ عَمَلَامَةٍ بَطْنِ الْكَلَى وَبُضْرِبِ الْقَلَلِ
وَشَمَخَتِ الْخَوَاشِي لِمَنْ سَامَهُ رُحَابِ الْخَلِيقَةِ فِي مَنْ يَحُلْ
تَنْسَمُ إِذَا شَتَّ رِيحَانَةً وَهَزَّ إِذَا شَتَّ عَضْبًا أَفْلٍ
فَمَثَلِي لَدَى مَلِكٍ مَاجِدٍ يُهَانُ وَيُقْصَى لَكِي يَرْتَحِلْ ؟
أَبْشَكَ مِنْ بُجْرَيٍ بَعْضُهَا فَجَلْدِي بِكُتْمَانِهَا قَدْ نَعْلُ
وَلَسْتُ أُرِيدُ الَّذِي قَدْ مَضَى فَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ فِيهِ الْعَدْلُ
فَلَا غِيضَ بِحَرْكِ غَيْثِ الْوَرَى فَحَنُ الرِّيَاضُ وَأَنْتَ السَّبَلُ

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزّاز^٢

من مشاهير الأدباء الشعراء . وأكثر ما اشتهر^٣ اسمه وحفظ نظمه
في أوزان الموشحات التي كثرت استعمالها عند أهل الأندلس . وقد ذكرت
فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء من برع في هذه
الأوزان من الشعراء . وهذا الرجل ابن القزّاز ، ممن نسج على منوال

١ كذا ؛ ولعل الصواب : شأيرتك ، أي ارتفعت ببصرها إليك .

٢ ترجمته في أخبار وتراجم للسلفي : ٧٦ وسماء هناك عبادة بن محمد (وعبادة هو ابن هذا الشاعر المترجم به) والفلاذ : ١٤ والخريدة ٢ : ١٨٢ والمغرب ٢ : ١٣٤ والوافي
٣ : ١٨٩ والنبح ٣ : ٤١١ ، ٤٩٣ ، ٦١٠ ، ٤٤١ ، ١٠٣ ، وترجمته في أزهار :
الرياض ٢ : ٢٥٢ أجود ، وهي منقولة عن ابن خاتمة ، وانظر مسالك الأبصار ١١ :
٣٧٧ ودار الطراز حيث وردت له موشحات ؛ ومن الغريب أن لسان الدين لم يذكره
في جيش التوشيح .

٣ ط : ذكر .

ذلك الطراز ، ورقم ديباجه ، ورصع تاجه . وكلامه نازل في المديح ،
فأما ألفاظه في هذه الأوزان من التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف ،
وتلك الأعاريص خارجة عن غرض هذا التصنيف .

فصل له من رقعة خاطب بها أبا بكر الخولاني المنجم يقول فيه :

إن لم تتقدم بيننا مخاطبة ، ولا جرت بيننا مكاتبة ، فقد عليم الله
تعالى أن ودادي لك محض لا يشوبه كدر ، وأن ثنائي عليك غص
يتضوع تضوع الزهر ، فحال قدري لوصفك الجليل ، مطرزة بذكرك الجميل ،
وتيجانه على مفارق مجدك الأثيل ، مرصعة بلآلء حمدك الجزيل . وكنت
عند حلولك بالمرية ، قد باشرت من أفعالك السنية ، وشهدت من محاضرك
الحسان ، ما يكل عن وصفه كل لسان ، وما زلت مذغبت عنها — لا غاب
نجم سعدك ، ولا أصلد واري زندك — أذكر ما ترك ، وأنشأ مفاخرك ،
وأيت ما عاينت من مناقبك ، كالذي يتعين من واجبك ، أعان الله على
أدائه ، والقيام بأعبائه . ولما بلغنا ما سنأه الله من التأيد والتمكين ، والظهور
على المشركين ، بسعد المعتمد على الله ، نظمت بعض ما سمعته من ذلك
الخبر السار ، ووصفت ما حاز فيه من الفخار ، ولم تطب نفسي — فاديتك —
على الإرسال بما قلت إلا لعلمي بجدك فيما يعول فيه عليك ، وأشرت
إلى ما تراه ، وتقِفُ عليه إن شاء الله ، فلك الفضل في توصيل ذلك
إليه ، وتقيل الكريمتين غني يديه ، فإن نجح السمي وساعد السعد ، فمن عندك
أرى ذلك ، فأنت المشارك المشكور على اهتباك ، ولولا جوائج جرت
علي ، فقصت جناحي وسلبت ما لدي ، لأمضيت عزمي ، وكنت مكان نظمي .

١ ب م : وأنشد .

ومن قصيدته التي بعث بها يومئذٍ قوله في أولها ١ :

ثناؤكَ ليسَ تسبقهُ الرِّيحُ	يطيرُ ومن نذاك له جناحُ
لقد حَسَنَتْ بِكَ الدُّنْيَا وشَبَّتْ	فغَنَّتْ وهي ناعمةٌ رَدِاحُ
ثناؤكَ في طُلُها حَلِيٌّ دُرٌّ	وفي أعطافها منهٌ وشاحُ
تطيبُ بذكركَ الأفواهُ حتى	كأنَّ رضاها مسكٌ وراحُ
مَلَكَتْ عَنانَ دهرِكَ فهو جارُ	كما تهوى فليسَ له جماحُ
فذاكَ مَلُوكُ هذا العصرِ طرّاً	فإنَّكَ ضَيِّغُمْ وهمُ لَقاحُ
وأنتَ بكلِّ ما تحوي جوادُ	وهمُ بأقلِّ ما حازوا شِحا
فزندُكَ في العلا والحربِ وارٍ	ولا زندُ لهم إلا شِحا
جزاكَ اللهُ خيراً عنْ بلادِ	محا عنها الفسادَ بك الصِّلاحُ
جَنِبْتَ ^٢ إلى الأعداءِ أَسَدُ غَابِ	برائِئُها المَهْنَدُ الصِّفا
وقَدَّتْهُمُ فكانَ لهم ظُهورُ	ولولا الشَّمْسُ ما ظهرَ الصِّباحُ
وقَفْتَ وموقِفُ المِجاءِ ضَنُّكَ	وفيه لباعك الرِّجَبِ انْفِسا
والسَّنَةُ الأستةُ قائلاتُ	قِفوا هذا المؤيَّدُ لا برا
محمدٌ بنُ عبادٍ هِزَبُ	لعبادِ المسيحِ بدا فطاحوا

ومنها :

رأى منه أبو يعقوبَ فيها	عُقَاباً لا يُهاضُ له جناحُ
فقال له لك القِدْحُ المَعْلَى	إذا ضُرِبْتَ بمشهدِكَ القِداحُ

١ منها ١١ بيتاً في المغرب و ٦ في قلائد العقيان : ١٤ وأربعة في الحريرة .

٢ ب م : جلبت .

في أبياتٍ غير هذه ثابتة في القسم الثاني من هذا المجموع ، إذ لها موقعٌ بذلك الموضع :

وله من أخرى ١ :

يا دَوْحَةً بظلالها أتفياً	بلْ مَعْقِلًا آوي إليه وأجلاً
رَمِدَتْ جفوني مُدَّحَلَّتْ هنا ولو	كُحِلَتْ برؤيتكمْ لكانت تبرأ
فَتَحُبُّبْتُ عَنْكَ وَإِنَّمَا أَنَا جَوْهَرٌ	في طَيِّ أَصْدَافِ الحَوَادِثِ أَخْبَأُ
يا مَنْ إِذَا انْتَسَبَ الْبَرَايَا لِلثَّرَى	فَلَهُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُتَبَرِّقَةِ ضُضْءٌ
لم أَخْتَرَعْ فَيْكَ الْمَدِيحَ وَإِنَّمَا	من بِحَرَكَةِ الْفَيَاضِ هَذَا التَّوَلُّؤُ
أَمَّا بَنُو عَيْنِدِ الْحَمِيدِ فَلَانِهِمْ	زُهْرٌ وَأَنْتَ هَلَالُهَا الْمُتَلَالِءُ
فَخَرَّ الزَّمَانُ بِنَا لِأَنَّكَ حَاتِمٌ	في جُودِهِ وَلَأَنْتِي الْمُتَنَبِّئُ

وأنشدني أبو بكر الخولاني المنجم ، قال أنشدني أبو عبد الله القزاز لنفسه ٢ :

أبا عامرٍ ماذا أثبتَ من العارِ	فها أنت من ثوبِ العلا في الوري عاري
تبدلتَ شريطاً بصاحب شرطة	كريم نجار النفس ممتنع الجار
فأصبحت كالطرطورٍ كان لسيدٍ	فأنخلقَ حتى صارَ في رأس عيار

١ منها ه أبيات في المسالك وثلاثة في المغرب .

٢ ط : وهو القائل .

٣ ط : العلاء به .

وله في رجلٍ قرأ^١ من أهل جَيَّان :

أوغادُ أهلِ المِريّةِ افترسوا عرسكَ يا وغدَ أهلِ جَيَّانِ
قرأقُهمُ أنتَ غيرَ أنَهمُ قد بَشَروا رأسَ قافك الثاني

وقال :

شابتُ وزارَةَ عَصْرنا فَأشَبَّها عبدُ العزيرِ
فكأنَّما هو يوسُفُ وكأنَّها امرأةُ العزيرِ

وقال :

انظُرُ الفَحْمَ قد علَّاهُ بَيَّاضُ وكسا لونَ وجهِهِ تَريباً
لَوْنِ شَعْرِ الشَّبابِ كانَ ولكنْ حُرِّقُ النَّارِ أورثته المشيبا

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن مالك الطغفيري^٢ من غرناطة

لم أقف من ذكر هذا الرَّجُلِ إلّا على أبيات من شعره ، وفصلين
من نثره ، ويُسْتَدَلُّ على الشَّجَر ، بالواحدة من الشَّعْر ، ومع قلته فإنه
يعرف أنه صدرٌ أديب ذو حفظ كثير وأدب غزير .

فصل^٣ له من رُقعة يصفُ فيها السَّوْطَ الذي يجلبسُ لحَثِّ الخَليل من
المغرب : وتوأمُ هذا الجوابِ — أعزَّكَ اللهُ — البعثةُ بالمُحَثَّة ؛ وقد تخيَّرتُها

١ القراق : الذي يصنع الأقراق (نوع من النعال) فهو الإسكاف .

٢ لم أجد أحداً ذكره سوى العمري في المسالك ١١ : ٤١٢ اعتماداً على الذخيرة ؛ وفي ب م :

الطغيري .

عَقِيلَةً أَتْرَابَ ، كَرِيمَةً أَصْحَابَ ، تَسْمُو بِالنَّسَبِ الْبَحْرِي ، وَتَنِيهُ بِالنَّصَابِ
 الْمُلُوكِيِّ ، قَدْ أَشْبَهْتُ سَرَقَ الْحَرِيرِ لِمَسَا ، وَاشْتَقُّ اسْمُهَا مِنْهُ ، وَدَعَجَ
 الْآبَنُوسَ لِبَنَسَا ، مُحْكَمِي لَوْنِهَا عَنْهُ ، كَأَنَّمَا اسْتَلْتُمْ مِنْ ظَهَرِ حَيَّةٍ ، أَوْ
 حُلْتُمْ مِنْ أَكَارِعِ طَلَا مَوْشِيَّةٍ ، عَنْوَانُ عِزَّةٍ ، وَجَمَالُ بَزَّةٍ ، وَدَلِيلُ
 لِمَانَةِ ، وَخَلِيفَةُ خَيْرَانَ الْخِلَافَةِ ، أَبْهَى فِي أَيْدِي الصَّيِّدِ ، مِنْ طُرَرِ الْغَيْدِ ؛
 وَأَحْسَنُ عَلَى أَعْنَاقِ الْجُرْدِ ، مِنْ قَطَاطِي الْمَرْدِ ؛ وَكَأَنِّي بِالْفَقِيهِ ، يَحْرُكُ رَأْسَهُ
 عِنْدَ هَذَا التَّشْبِيهِ ، فَيَقُولُ : الصَّدَقُ عَلَى الْأَلْمَعِيِّ لَا يُبْطِئُ ، وَفِرَاسَةُ الْمُؤْمِنِ
 لَا تُخْطِئُ ، كُلٌّ عَلَى شَاكِلَتِهِ يَفْعَلُ وَيَقُولُ ، وَمِنْ جَرَاهِ يَزِنُ وَيَكِيلُ ،
 وَيَظُنُّ مَا يَظُنُّ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَبَعْدَ رَغْبَةٍ لَهُ وَرَغْبَةٍ فِيهِ ، أَقُولُ :

يَا مَعْلَمَ الْعُلَمَاءِ يَا زَيْنَ النَّدَى	لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَقِيهِ أَوْحَدٍ
أَكْثَرْتَ إِطْرَابِي فَظَنَنْتِي أَتْنِي	أَصْبَحْتُ مِنْ وَعْرِ الْعِتَابِ بِقَرْدٍ ٢
مَا حَقَّ ذَاكَ السُّوْطِ سُوْطٌ ٣ مَدَانِحِ	أَصْبَحْتُ مِنْهَا بِالْمَكَانِ الْأَبْعَدِ
لَمَّا أَتَيْتُ سَمْعِي فَخَرْتُ شَطَارَةً	وَطَرَدْتُ مِنِّي مِنْكَبَتِي مَتَمَرْدٍ
فَامَنْنَ بِبَسْطِ الْعُذْرِ فِي تَأْخِيرِهِ	مَنْدًا أَرِدُ مِنْهُ بِأَعْذَبِ مَوْرِدِ
وَأَنْعَمَ بِأَيَّامِ أَرْقٍ مِنَ الْهَوَى	وَالَّذِي مِنْ وَصْلِ الْحَبِيبِ الْمُسْعِدِ
تَاللَّهِ إِقْسَامَ الْمَحَبِّ لَمَّا حَبَا	دَهْرِي بِأَكْرَمِ مَنْكَ عِلْقًا فِي يَدِي
أَنْتَ الْوَهَّابُ أَخُو التَّفَضُّلِ طَالِبًا	وَأَنَا إِذَا قَبِلْتُ يَدَاكَ الْمُسْجَتَدِي

١ ط : العيد .

٢ ط : بفرقد .

٣ ب م : شوط .

وله من أخرى خاطبَ بها والد غلام تناول بيرةً في الحمام ، قال فيها ^١ :
ولا ظهيرَ إلاَّ فُرَيْخٌ لي رطيبُ العظام ، لم يَمَقْنَا دمه ، ولا تَغْرِفمه ،
ولا انْعَقَدَ مُخّه ، ولا دعاه من الشباب شَرخه ؛ فعلى هذه الحال ما وكلَ
بني النجيبُ ابنُك - دامتْ به قُرّةُ العين - عيناً راعية ، وبترجيبي على
علاء الحال ^٢ أذنأ واعية ، فانتاشني من ذلك المُقام بيد طالت أيدي ^٣ المتطاولين
إلى رُكني ، في سماء بَعُدَ على أرشية الأذرعِ هواؤه ، وقعدَ عن القائم
ماؤه ^٤ ، فوشكانُ ما استفرغَ لي منه جمّةُ المجهود ، وقُربُ العدمِ من
الوجود ؛ وطافَ عليَّ منها بأكوابٍ كما رأيتْ مُقلّةَ المشرق في دمعها
المغرب ، وسمعتْ بجابيةَ الشيخِ العراقي تفهق ^٥ ، وطرفَ ^٦ ذلك بنبدٍ من أدبه
البارع ، كنبذ الزارع ، ولمُحِ من نظمه الساطع كبرقه اللامع .

-- وأنشدتُ لعبد الرحمن ^٧ بن عبد الرزاق وزير عبد الله الأمير ^٨ - [كان
بها - من قصيدةٍ أولها] :

بخلَ الظّاعنونَ بالتسليم فأعاروا الجفونَ سُهْدَ السليمِ

١ ب م : يصف فيها قدر الحمام ، خاطب بها والد غلام ، كان له هناك حفظ وإكرام ،
يقول فيها .

٢ ب م : على ذات الحال .

٣ ب م : يد .

٤ ب م : نماؤه .

٥ من قول الأعشى (ديوانه : ١٥٠) :

نفى الدم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

٦ ط : وطرف ؛ ب م : وظعن .

٧ بهامش ط تصحيحاً : لعبد الرحيم .

٨ ليس يتضح علاقة هذه الأبيات بالترجمة ، أو علاقة المترجم به بعبد الرحمن بن عبد الرزاق ؛
والأمير عبد الله هو عبد الله بن بلقين آخر بني زيزي في غرناطة (٤٦٩ - ٤٨٣) ولكني
لم أجد ذكراً لوزيره في المصادر .

وطوى كل مطمع فيهم اليا
ما عليهم لو ودعوا مُستهماً
قلت يوماً وقد أتت منبت البيا
علمي القُضْب منكَ حُسن التثني
علمتها سَفْلَكَ الدِّماء كِماءُ
أياسوا من إسعاد سَعْدَى ومن إذ

سُ فإن مت مت غير مُلِم
ذا غرام مُغرى به كالغريم
ن فازرت بكلّ خطو قويم
فيها حاجة إلى التّعليم
لم يرقّوا يوم النّوى المُقيم
عام نعيم ورشف ظلم الظّلم

وله من أخرى ٣ :

صَبَّ على قلبي هوّى لاعمج
في شادن أخور مُستأنس
ما قدّر نَعمان إذا ما مَشَى
فقدّه مِن رقة مائس
كان ماء الحُسن في خدّه
عنوان ما في ثوبه وجهه
فلا تقيسوه ببدر الدّجى

ودبّ في جسمي ضنى دارج
لسانُ تَدْكارى به لاهج
وما عسى يبلغه عالج ؟
وردّفه من ثِقَلِ مائج
مدّاة شَعْشَعها المازج
تَشابَه الدّاخِلُ والخارج
ذا مُعلَمُ الوجّه وذا سادج

فصل في إيراد أشعار رُئي بها الوزيرُ الفقيهُ أبو مروان بن سراج
رحمه الله بحضرة قرطبة مع ما يتشبت بها ويذكر بسببها

وهي بجملة قصائد لغير واحد من أهل العصر، منهم من يأتي ذكره

١ ط : منية .

٢ ط : الظليم .

٣ منها أربعة أبيات في مسالك الأبصار .

٤ ب م : ذا طرر الوجه وذا سامج .

٥ ترجمته في الصلة : ٣٤٦ والقلائد : ١٩٠ والخريدة : ٢ : ٣٧٤ وترتيب المدارك : ٤ : ٨١٦

والغرب : ١ : ١١٥ والديباج المذهب : ١٥٧ وبقية الوعاة : ٣١٢ .

فيما بعد ، ومنهم من لم يسمَحْ بإثباتِ شِعْرِهِ النِّقْدَ . وقد وجدتُ الكاتبَ أبا الوليد بنَ طريف^١ قد أثبتَ في جزءٍ لطيفٍ جُمْلَةٌ هذه القصائد ، ولم يَسْلُكْ فيها أسلوبَ ناقدٍ ، ضنَّانةً منه بحظّها من التَّسامي بالمؤيَّن بها ، وتثبيتاً لذكر اسمه المطرَّزة به حواشيها ، فنشرَ طيَّ كلَّ نسيجةٍ عن منوالها ، وأثبتها بحالها . وقد أثبتُ أنا منها ما يليقُ بالكتاب ، فراراً من الاطناب ؛ وسردتُ الفصلَ الذي أدارَ أبو الوليد عليه رحاه ، وقدَّمه صدقةً بينَ يَدَيَّ نَجْوَاه .

قال أبو الوليد : وكان أبو مروان عبدُ الملك بن سراج قدَّ العَصْرَ ، وعَلِمَ الفَخْرَ ، وبَقِيَّةَ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ ، ونُخْبَةَ أَهْلِ التَّقْدِمِ في شَرَفِ النِّصَابِ ، وكرَمَ الأحسابِ ، ونسبُهُ في كلاب بنِ ربيعة ؛ أَصَابَ سَلَفَهُ سِباءٌ قديمٌ صيرهم أولاً في ولاءِ بني أُمَيَّةَ بالْمَشْرِيقِ ، فكانوا في عدادِ مُقَدِّمَةِ المَوَالِي المِروانيِّينَ ، وصدرأ في عَظَمَائِهِمْ ، ثمَّ انصَلَّتْ نَبَاهَتُهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ بِرِثْهَا خَالِيفٌ عَنْ سَالِفٍ ، ويخلفها عن تالِدٍ طَارِفٍ ، مع صِيَانَةٍ وَعِفَّةٍ وَكَرَمِ طَعْمَةٍ ، وعَاوِ نَفْسٍ وَشَرَفِ هِمَّةٍ ، وَعُدُولٍ عَنْ خِدْمَةِ السَّلْطَانِ ، وتَنَزُّهُ عَنْ التَّصَرُّفِ فِيهَا وَالِامْتِهَانِ ، وانْحِيَاشٍ إِلَى طَلَبِ الدِّيَانَةِ وَالْمُحَاطَاةِ فِي شَعْبِ طَرِيقَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ؛ ويؤثر أن سراج ابنَ قُرَّةِ الْكَلَابِيِّ^٢ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو جدُّهم الَّذِي

١ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد ، روى عن شيوخ قرطبة ومن بينهم أبو مروان ابن سراج وابن حيان ، وكان أديباً نحويّاً لغويّاً كاتباً بليغاً ، وهو أحد شيوخ ابن بشكوال ، وكانت وفاته سنة ٥٢٠ (الصلاة : ٧٩ - ٨٠) .

٢ ذكر القاضي عياض أنه « قوة » بالواو ، وهو سراج بن قوة بن رفي بن الكاعن (ترتيب المدارك : ٨١٦) .

إليه ينتمون ، وناهيكَ بذلك شرفاً مؤثلاً ، وفخراً خالداً مؤبداً ، فتمسكوا بالانقباض عن التكالِبِ^١ على الدنيا ، على أنها كانت متصدية لهم لوجنحوا إليها ، ومُعَرَّضة لهم لو أقبلوا عليها ، بل اقتصروا على مكاسبهم الطيبة وترقيح رفيع معاشهم ، من فاشي ضياعهم المنتشرة المغلة ، مُقْتَعِدِينَ غاربَ الوَقَارِ والتجلّة ، أيامَ الصلاحِ وزمانَ الجماعة ؛ ثم استمروا على طريقتهم تلك في مُدَّةِ الفتنة وأمدِ المحنة ، عندَ تقلصِ الأموال ، وذهابِ الأحوال ، وفشوِ الاختلال ، لم يفارقوا مع تزلزلِ الأقدام ، وتقلبِ الأيام ، وذهابِ السلطان ، وتضعُّعِ الأركان ، مركزهم من الصيانة ، ولا أخلّوا بكرمِ عادتهم من التحلّي بها ، والتزيّي بباهرِ رونقها ، ولا انحطّوا عن رفيعِ مرتبتهم من نفائسِ المأخذِ والسيرةِ التي آثروها ، ولا انسلخوا من حلّةِ القناعة ، إلى أن درَجَ من درَجِ منهم ، وسترَ التَّجَمُّلِ ضافٍ لديه ، وظلَّ الجلالة مكثفٌ له ومشمّلٌ عليه .

ثم نشأ هذا الشيخ أبو مروان فيهم محيي [رسم] عِلْمِ اللسان بجزيرة الأندلس ومُقيم أودِه ، ومُسَدِّدُ زِيغِه ، ومثقفُ معوجِّ قناته ، وموضِّحُ مُعضَلِه ، ومُجَلِّي غِيَابِ مُشْكَلِه ، وجامعُ مفترقِ أدواته ، وحاوي قَصَبِ السبقِ في إحرازِ بعيدِ غاياته ، وتجاوزِ أقصى نهاياته ، وأعلمُ به من كلِّ من شُدَّتْ إليه الأفتاب ، وأنضيتْ في طلبِ ما عنده الرِّكاب ؛ ولقد كان في ذلك كله آيةٌ من آياتِ الله معجزة ، وندرةٌ من ندراتِ الأيامِ معجبة ، ونوراً ساطعاً ، وجوآداً سابقاً ، مع متانةِ الدِّينِ ، وصحّةِ اليقين ، وجلالةِ المأخذِ ، وجزالةِ المقطع ، وصلابةِ القناة في الحقائق ، وقلةِ الإدهانِ فيها ،

ومُلَازمةِ الجِدَّةِ في جميعِ الأحوال ، ومشهودِ^١ الثقةِ فيما يتقلَّدُهُ ، وبراعةِ
الإيجازِ فيما يلقيه ويورده ، وحُسْنِ التَّأْدِيَةِ ، وقُرْبِ الإفْهَامِ ، وتذليله
كُلَّ صَعْبِ المَرَامِ ، والتَّبَيِّنِ في الرَّدِّ والإقْناعِ في الجوابِ ، وتركِ الجدالِ
والمراءِ ، والبُعْدِ عن العُجْبِ والخيلاءِ ؛ لعَظِيمِ ما كانَ يحمله ، وجليلِ
ما ينتخلُهُ ، وخطيرِ ما يشتملُ عليه صدرُهُ ، وبِحَيْشٍ به بحرُّهُ ، ويسخوُّ
به ذكره ، وتفيضُ به مَوَادُّ مَعْرِفَتِهِ ، وتنهلُ به أَهَاضِيْبُ عِلْمِهِ ، وتُسَعُّ
به شَائِبِ إحاطته ، ثم لا يزالُ مع ذلك دهرَهُ يعترفُ بالتَقْصِيرِ ، وينتسبُ
إلى التَّعْذِيرِ ، ويعلمُ أنَّ الإحاطَةَ مُعْجَزَةٌ ، وأنَّ محاولتها معوزة . سبق
بهذه الخلال الحميدة مَنْ سَلَفَ ، وأَيْسَ^٢ بإدراك بعضها من خَلَفَ ،
لم ير قبله مثله ، ولا يرى بعده ، والله أعلم . وأحيا كثيرًا من الدَّوَاوِينِ الشهيرةِ
الخطيرةِ ، التي أحوالتها الرُّوَاةُ الذينَ لم تَكْمُلْ لهم الأداة . ولا استُجْمِعَتْ
لديهم تلك المعارف والآلات ، واستدرك فيها أشياء من سَقَطَ واضعُها ،
ووهم مُؤَلِّفُها ، ككتابِ البارِعِ لأبي عليٍّ البغدادي ، وشرحِ غريبِ
الحديثِ للخطَّابِ وقاسمِ بنِ ثابتٍ السَّرْقُسْطِيِّ . وكتابِ أبياتِ المعاني^٣
للْقُتَيْبِيِّ ، وكتابِ النَّبَاتِ لأبي حَنِيفَةَ وكتابِ الأَمْثَالِ للأَصْبَهَانِيِّ وغير ذلك من
كتبِ الحديثِ وتفسيرِ القرآن^٤ ، مما لم يحضرني ذكره ، ولم يمكن حصره ،
إذ كانت قبل فتحها عليه ، وإصلاحها بين يديه : طامسةُ الأعلامِ ، مُخْتَلَةٌ
النِّظامِ ، وقد سدَّ التَّصْحِيفُ طُرُقَهَا ، وعوَّرَ التَّبْدِيلُ نَسَقَهَا ، ففتحَ

١ ب م : ومشهور .

٢ ب م : وأيس .

٣ ب م : وكتاب المعاني .

٤ ط : وغير ذلك من الكتب .

مُسْتَغْلِقَةً، ونظَّم مُفْتَرِقَهَا، وعانى خللها، وأزاح عللها، وقيد مهملها، وأبرز محاسنها، وأثار كائناتها، وأعتقها من هجنة التعطيل فرغب في استعمالها، وأطلقها من ربة الخمول فحرص على حملها وانتحالها، فلو رأى ذلك الواضعون لها وشاهدوه لسلموا له وأذعنوا، وصرخوا بفضل شغوفه عليهم وأعلنوا.

ولقد أذهب الله بذهابه خيراً كثيراً، وأطفأ بوفاته سراجاً منيراً. وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمان خلون^١ لذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة^٢، ومولده كان في ربيع الأول لاثني عشرة ليلة خلت منه سنة سبع وأربعمائة^٣ وكان رحمه الله في اعتلاء سنّه حسن البنية، ممتعاً بحواسه وتوقّد ذهنه وسرعة خاطره، يقرأ دقيق الخط، ويثابر على المطالعة ويدأب عليها، ولا يُخِلُّ بحظه منها، ويقرأ عليه مُستغلق الكتب، وعويص المعاني وغامضها، فينكر وهم القارئ ويحسن الرد عليه؛ ختم الله به عليم اللسان، كما ختم به وبأبيه قبيلته أفاضل أهل الزمان. ودفن عصر السبت التاسع^٤ من ذي الحجة المؤرخ، وصاتى عليه ابنه الوزير الفقيه أبو الحسين سراج بن عبد الملك، تاليه في الفضل وكرم الخلال مع سري الخصال، وحائز ميراث مفاخره الجمّة. وكان يومه حافلاً مشهوداً، والأسف في الخاصة والعامة عليه شديداً، والثناء حميداً، وتناغت لُمة أهل الأدب من الآخذين عنه والمقتبسين منه وغيرهم في تأبينه وراثته،

١ ط : لثلاث خلون ؛ وعند ابن بشكوال : ليلة عرفة .

٢ ب م : سنة خمسماية .

٣ في الصلة : سنة أربعماية .

٤ ط : الرابع .

فأكثرُوا وأجادوا ، وأبدؤُوا وأعادُوا ، منهم الشيخ الفقيه أبو بكر بنُ
خازم^١ وبقيّة الأعيان - كان - في ذلك الأوان من أهل قُرطبة وذوي
السوابق التّبيهة فيهم ، رثاهُ بقصيدة أولها^٢ :

ألم تر أن الموت نادى فاسمعا فأنت جدبر أن تشيب وتجزعا

.....

ولما فشا بينَ البرية نعيه . أصمَّ به الناعي وإن كان اسمعا
ومما شجاني أني إذ سمعته تمنيتُ أن نسقى كؤوس الردى معا
فقطع قلبي ثم سألَ بمدمي فيالك دمعاً من فؤادٍ تقطعا !

ومعنى هذا البيت الأخير مشهور ، وقد اندرج منه في تضاعيف هذا
التّصنيف كثير ، ومنه قولُ ابن دريد^٣ :

قلبٌ تقطّعَ فاستحالَ نجيعا وجرى فصار مع الدموع دموعا

رجع :

فيا طالباً للعلم لا تطلبته بطيَّ الثرى قد غادروا العلم أجمعا
أبعد أبي مروان تُبصرُ عالماً نبهياً لأنواع العلوم مجمعا ؟
إذا ما احتبى في مجلس العلم أنصتوا له وأتى بالمعجزات فأبدعا
وما كان إلا الغيث عم بنفعه الـ أنام فلما عم بالري أقلما

١ ط : ابن خازم ؛ وهو خازم بن محمد بن خازم (٤١٠ - ٤٩٦) قرطبي غلب عليه الأدب
وكان له تصرف في اللغة ولكنه لم يكن بالضابط لما رواه (الصلة : ١٧٨) .

٢ ط : قال فيها ..

٣ ديوان ابن دريد : ٣٩ (ط . تونس) .

ومنهم الأديب أبو جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بابن شانجه^١ الوكيل
الاختصاص به والزم له ، والأخذ عنه . رثاه يومئذ بقصيد يقول فيه :

نعي علم الهدى والعلم ناع
فأودى ما تضمنته الصدور
سيعلم من نعاه لنا بأننا
وجدنا الفضل ناعيه كثير
يقول القائلون حواه لحد
تجسم دونه كرم وخير
ولا والله ما وارتك أرض
وسررك فوقها أبداً يسير

ومنهم الوزير الفقيه النبيه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي بن
أبي طالب القيسي^٢ أحد أعيان وقته ذكاء ونُبلاء ، وسرّوا كاملاً
وفضلاً ، أبنته بقصيدة أولها :

انظر إلى الأطواد كيف تزول
والموت حتم والنفوس ودائع
لا يعصم العصماء منه شاق
يرمي فما تشوي الرميّة نبله
يهوى الفتى طول البقاء مؤملاً
يلهو ويلعب مطمئناً ذاهلاً
والحالة العليا كيف تحول
والعيش نوم^٣ والمنى تضليل
صعب ولا الورّد السبتي غيل
فيصاب تنبال بها وتبيل
وله رحيل ليس عنه قفول
وله رسيم نحوها وذميل

١ صحب أبا مروان ابن سراج مدة أربعين عاماً ، وكان من أهل المعرفة بالآداب ومعاني الأشعار
وكان عمر الأخذ نكد الخلق ، وتوفي سنة ١٤٥ هـ (الصلة : ٧٧ - ٧٨) .

٢ جده مكّي بن أبي طالب هو المقرئ المشهور ؛ أما هو فكان شيخ ابن بشكوال ، صحبه خمسة
عشر عاماً ، وكان عالماً باللغات والآداب ضابطاً ، جماعة للكتب في هذا الشأن ، وتوفي
سنة ٣٥٥ هـ (الصلة : ١٢٩ والمغرب ١ : ١٠٨ وإنباء الرواة ١ : ٢٦٧ وبغية الملتص
رقم : ٦١٧) .

٣ ب م : غلى .

٤ ب م : منه .

ومنها :

أودى سراجُ المجدِ وابنُ سراجِه
لو كانَ عِلْمُ الدينِ بِبَكي مِيتاً
كمُ منَ حَدِيثٍ لِلنَّبِيِّ أَبانُهُ
لَبكى الحَدِيثُ عليه والتَّزِيلُ
فَبَدَتْ لَهُ غُرُورُ بُرَى وَحُجُولُ
كمُ مُصْعَبٍ فِي التَّحَوُّرِ اضْجَمَاحِه
حَتَّى غَنَدَا وَالصَّعْبُ مِنْهُ ذَلُولُ
أَدْنَى إِلَى الْأَفْهَامِ نَائِي عِلْمِهَا
حَتَّى تَسَاوَى عَالَمٌ وَجَهْلُهَا
طَبَّ بِأَدْوَاءِ الْكَلَامِ مُلْتَقَنٌ
سَهْمٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ مَدْلُولُ

قوله : « انظرُ إلى الأطوادِ كيفَ تَزُولُ » مَعْنَى مَنقُول ، ومنه
قَوْلُ ابنِ بَسَّامِ البَغْدَادِي ٢ :

قد استوى النَّاسُ وماتَ الكَمالُ
وقالَ صَرَفُ الدَّهْرِ أَيْنَ الرَّجَالُ
هذا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعَشِهِ
قوموا انظروا كيفَ تَزُولُ الْجِبَالُ
وقالَ ابنُ الرُّومِيِّ :

مَنْ لَمْ يُعْلِنِ سِرَّ نَعَشِ مُحَمَّدٍ
لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُسَيَّرُ الْأَجْبَالُ
وقالَ الرَّضِي يَزِيدِي الصَّاحِبُ ٣ :

أَكْذَا الْمَنُونُ تُقَطَّرُ الْأَبْطَالَا
وكذا الزَّمانُ يَضَعُضُ الْأَجْبَالَا ؟
جَبَلٌ تَسْتَمَتِ الْبِلَادُ هَضابَهُ
حَتَّى إِذَا مَلَأَ الْأَقَالِيمَ زَالَا

١ ب م : به .

٢ ابن خلكان ٣ : ٢١٤ ، ٥ : ٣١ ونسبها لابن المعتز .

٣ ديوان الرضي ٢ : ٢٠١ .

وقال أبو محمد الصَّقَلِيّ للمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ١ :

ولما رحلتُمُ بالندى في أكفكم وقليلَ رضى منكم وثبيرُ
رَفَعْتُ لساني بالقيامةِ قد دنتُ فهذي الجبالُ الراسياتُ تسيرُ

وقوله: «يهوى الفتى طولَ البقاء... البيت مع الذي بعده ، من المعاني المتداولة أيضاً ، وقد تفرقت ٢ في أثناء هذا الكتاب .

ومنهم الوزيرُ الكاتبُ أبو محمد عبدُ المجيد بن عبدُون ٣ أحدُ الزعماء في صناعة الشعرِ والنثرِ ، وثبوتِ القدمِ في الأدبِ ، أبْنَهُ أيضاً بقصيدةٍ فريدةٍ أولها :

الحكمُ حُكْمَكَ في القاري وفي البادي	ما منك يا موتَ لا واقٍ ولا فادي
عليك يا مورِدَ الحادي على الهادي	قدَمُ أناساً وأخرَ آخرينَ فلا
فصبغُ شيبك في أفقِ النهى بادي	يا نائمَ الفكرِ في ليلِ الشَّبابِ أفقُ
فألقِ سمعك واستجمعْ لإيرادي	سلني عن الدهرِ تسألُ غيرَ إمعةٍ
على جديسٍ ولا طسمٍ ولا عادٍ	نعمَ هوَ الدهرُ ما أبقتْ غوائله
بالِ مَمامَةٍ من بيضاءِ سِنْدَادٍ	أَلقتْ عصاها بنادي مأربٍ ورمتْ
وعبدتْ للرزايا آلَ عبادٍ	وأسلمتْ للمنايا آلَ مَسَامَةٍ
منها تُصرِّعُ أضداداً بأضدادٍ	ما لليالي أقالَ اللهُ عثرتنا
بعودٍ طلحٍ وأسيافاً بأغمارٍ	فلتْ قنا سمهرٍ شلتْ أناملها

١ ديوان ابن حمديس : ٢٦٩ .

٢ ط : تصرفت .

٣ ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

فَعَوَّضْتُ مِنْ حُسَيْنٍ الْخَيْرِ أَوْ حَسَنِ
 بَعْدَ لِيَوْمِكَ يَا نَوْرَ الْعَلَاءِ وَلَا
 لَهْفِي عَلَيْكَ خَبَا فِيهِ سَنَاكَ وَمَا
 لَأَشْمَسَ قَبْلَكَ زَادَتْ بِالْغُرُوبِ سَنًا
 أَطْلَعْتَ ذِكْرَكَ لَمَّا غَبَتْ وَابْنُكَ فِي
 لَمَّا مَلَأَتْ دَلَاءَ الْمَائِرَاتِ إِلَى
 وَطَبَّقْتَ بِكَ آفَاقَ الْعُلَا هِمَمٌ
 غَضَّتْ عَنَّا نَكَ أَيْدِي الدَّهْرِ نَاسِخَةٌ
 لَا دَرَّ دَرْ لِيَالٍ غَوَّرْتَكَ وَلَا
 فَمَا سَمِعْنَا بِبَحْرِ غَاضٍ فِي جَدَثٍ
 وَلَا بَطُودٍ رَسَا تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا
 أَعْجُوبَةٌ قَصَّرَتْ مِنْ خَطْوِكَ حَجِي
 لَقَدْ هَوَتْ مِنْكَ خَائِنَتُهَا قَوَادِمُهَا
 وَمُقَرَّمٌ كَانَ يَحْمِي شَوْلَ قَرطِيبَةٍ

ومنها :

مَنْ لِلْعُلُومِ إِذَا مَا ضَلَّ نَاشِدُهَا
 مَنْ لِلْحَدِيثِ إِذَا مَا ضَاقَ حَامِلُهُ

بِالْأَرْقَطِ ابْنَ أَبِيهِ أَوْ بَعْبَادٍ
 شَجَا بِمَوْتٍ وَلَا سَلَى بِمِيلَادٍ
 خَبَا وَلَكِنَّهَا شَكْوَى عَلَى الْعَادِي
 وَاسْتَأْنَفَتْ نَشْرًا أَنْوَارٍ وَأُورَادٍ
 أَفَقِ الْعُلَا نَبْرِي هَدْيٍ وَإِرْشَادٍ
 أَكْرَابَهَا وَاحْتَبَى فِي حِلْمِكَ النَّادِي
 زَانَتْ مَطَالِعَ آبَاءٍ وَأَجْدَادٍ
 عَلِمًا بِجَهْلٍ وَإِصْلَاحًا بِإِفْسَادٍ
 سَقَى صِدَاهَا غَرِيضُ الرَّائِحِ الْغَادِي
 وَكَانَ مِيلَاءَ الرَّبِّي ٣ يَرْمِي بِأَزْبَادٍ
 عَلَى السَّهْلِ حَمَلُوهُ فَوْقَ أَعْوَادٍ
 فَلَمْ يَكُنْ فِي قُوَى مِنْهَا ٤ وَلَا آدٍ
 بِكُوكَبٍ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ وَقَادٍ
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا بَلَّ شَوْلَ بَغْدَادٍ

فِي ظُلْمَةِ الشَّكِّ بَعْدَ النَّبْرِ الْهَادِي ؟
 ذَرَعًا بَتْنٍ وَإِضْصَاحٍ وَإِسْنَادٍ ؟

١ ط : وارت .

٢ ط : نشأ ، وسقطت من م .

٣ ب م : الملا .

٤ ب م : منه .

من للتلاوة أو من للرواية أو من للبلاغة بعد العاد والبادي ؟
شق العلوم نظاماً والعلا زهراً ثمين ما بين رواد ووراد
مضى فله ما أبقت وما أخذت أيدي الليالي من المفدي والغادي !

وهذه القصيدة طويلة سلك فيها أبو محمد طريقته في الرثاء ، إلى
الإشارة والإيماء ، بمن أباده الخلدان من ملوك الزمان ، وقد نسق ذكرهم
على توالي أزمانهم في قصيدة [اندرج له كثير من البديع فيها] هي ثابتة
في أخباره في القسم الثاني من هذا المجموع . واقتفى أبو محمد أثر فحول
القدماء ، من ضربهم الأمثال في التأين والرثاء ، بالملوك الأعزة ، وبالوعول
المتنعة في قلل الجبال ، والأسود الحادرة في الغياض ، وبالتسور والعقبان
والحيات في طول الأعمار ، وغير ذلك مما هو في أشعارهم موجود ،
فأما المحدثون فهم إلى غير ذلك أميل ، وربما جروا أيضاً على السنن الأولى .

وممن رثاه يومئذ الكاتب أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف
أحد كتاب العصر ، وفرسان النظم والنثر ، رثاه بقصيدة أولها :

يُبِيحُ الحمامُ مَنِيحَ الحجابِ ويسري إلى المرء من غير باب
ولم أرَ أنفدَ من سهمه وأفوزَ مِن قِدْحِهِ بالغلابِ
ألم تَرَهُ كَيْفَ هَدَى الهُدَى وأصمى العُلا باليم المُصاب ؟

ومنها :

فمن الخفايا حديث الرسول ومن لغوامض علم الكتاب ؟
ومن ذا يروى ظمأ العقول ويشحد الباهن التوابي ؟

١ ب م : القوى .

فلهفي عليه وإن كان لهفي
إذا عادني عيدٌ تذكاره
وإن جمده الدَّمْعُ في ناظيري
فلا شيء أعجبُ من يومه
عزاءٌ سراجُ العلّا فالجميعُ
قليلُ العزاءِ ضعيفُ المتأب
أجدُّ أسي لم يكن في الحساب
مَدَدْتُ قواه بقلبٍ مُذاب
برؤيةٍ ثهلان بين الرقاب
قليلُ البقاءِ سريعُ الذهاب

ومنهم الوزيرُ الكاتبُ أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين الكاتب
المُشرفُ أبي مروان بن عبده العزيز^٢ المقدّم في نبيله^٣ على تأخّر سنّه ،
رثاه أولاً بقصيدةٍ أولها :

هل فوجئتُ بمُصابٍ قبله العربُ
أو أسقطتُ لِمُسلمٍ غيره الشَّهْبُ ؟
ومنها :

ما كنتُ أحسبُ أن الموتَ معترضُ
مَنْ لا تَمُرُّ عليه الشَّمْسُ طالعةً
إذا تطلَّعَ في ناديه محتجباً
يا طالبَ العلم لا ترحل فقد رَدِيتُ
فيم الذَّمِيلُ وحثُّ السَّيرِ منتجباً
ضَلَّتُ سبيلك لا دَادٍ ولا عَلمُ
يا فاصلَ الخطّةِ الشَّعاعِ قد عَوِصتُ
ذاك الجلالَ ولما ينته الرَّهْبُ
إلّا وعزّينها من نَعْلِهِ تَرَبُّ
لم يأتِه الدَّهْرُ إلّا وَهَوَ مُنتَقِبُ
بك المهارى وجفّ الماءُ والعُشْبُ
وَأينَ يُبلِغُكَ التَّقريبُ والخِصْبُ
وغاض شربك لا وردٌ ولا قَرَبُ
تعيّا بها الخُطباءُ التَّنّ والخطبُ

١ ب م : فوق .

٢ تردد ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

٣ ط : المتقدم بنيله .

إن الخُصومَ قد اصطككتْ مرافقها^١ فخلَّ بينهم حكماً فقد شغبوا
 قلها لدى الحفل تمضي إنَّ مَبْلَغها طودَ العلَا زعزعتك الناقباتُ وما
 ما ماتَ من خلدتْ فينا^٢ ماثره لولا سراج وفي وجدانه عيوض^٣
 [فإن تُفْلَلْ بأيدينا صوارمنا لم يُدرَ ما اسمُ المعلومِ ولا لتَقَبْ
 لم تعن^٤ إلاَّ وأطرافُ القناسِ لُلب]

ومنهم الفقيهُ الأديبُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمدٍ القُرشيُّ المرواني
 الناصريُّ^٥ ، عينُ أهلِ بيته الخطيرةُ ، وأحدُ شهبها المنيرةُ ، رثاه أيضاً
 بقصيدة أولها^٦ :

رَمَتْهُ الرِّزايا عن قسيٍّ خُطوبها بِسهمٍ فأَيَّاً فَوَقَّتْ نحوه أيتا ؟
 فيا عَجَباً أنْتى طواه ضَرِيحُهُ وقد كان يطوي الدهرَ من نشره طيًّا
 فُئِّلَ ذرا عرشِ العلَا وتناثرتْ نجومُ المعالي من مراتبها وهيا
 وكم آيَةٍ لِلدِّينِ بَيِّنَ شرحها ولم يعترفها عن جوابٍ ولا فُتيا
 وكم مُصْعَبٍ في النحرِ راضٍ جماحه فعاد ذلولاً بعدَ ما كان قد أعيَا
 وكم مِن حديثٍ للنبيِّ أبانته وألبسه من حُسْنِ مَنْطِقِهِ وشيا

١ ب م : اصطفت مواقفها .

٢ ط : فيها .

٣ ط : تفنى .

٤ هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن حكم بن سليمان بن الناصر

الأموي ، ويعرف بالأحمر ، تلمذ على أبي مروان ابن سراج وكان حافظاً للفقهِ متفتناً

في المعارف ، توفي سنة ٥٤٢ (الصلاة : ٥٥٧) .

٥ ب م : أبه قصيدة يقول فيها .

ومنهم الأديبُ النَّبِيلُ أبو العباس أحمد بن محمد الكناني أحدُ تلامذته
الآخذين عنه ، رثاه أيضاً بقصيدة أولها :

رُزءٌ تطلبتُ فيه الصبرَ فامتنعاً ورمتُ دمعي على التَّسكينِ فاندفعاً

قال فيها :

جديتَ صدق نعي الناعي إليَّ ضُحى فرغتُ فيه إلى التَّكذيبِ حينَ نعي
صبراً سراجٌ فما يُبقي الردى أحدأ كلُّ سبُجٍ رُعهُ مَنْ كأسِه جرَّعا
أقولُ صبراً كأنني غيرُ مُكثَرِثٍ واللهُ يعلمُ أنا موجعانِ معا

إلى غيرها من قصائدٍ طويلةٍ قليلة الطائل أثبتتها أبو الوليد المذكور بجملتها ،
لم يتَّسعَ هذا المجموعُ لاستيفائها^١ ، وفيما مرَّ منها كفاية .

وأكثر من أثبتته في ذلك اليوم أطالَ في مدحِ ابنه ، وليس من عادةِ
أئمة الشعراء المُفْتَنَدِي بهم الاكثارُ من مدحِ المعزَّى في تأييدِ حميمه
المتوفى ، وإنما يُلْمونَ به إلاماً بعدَ التوفر على نُذبةِ مِيتِه والإشباعِ في
ذِكْر ما فُقِدَ من خصاله ، ثم الكَرَّ على تَسكينِ جأشه ، وحَضَّه على
التعزِّي اتقاءً لربه ، هذه طريقة فحول^٢ الشعراء .

والوزيرُ الفقيه أبو الحُسَيْن^٣ ابنه المخاطب يومئذٍ بهذه الأشعار هو سِراجُ

١ ب م : وليس هذا المجموع لاستقصائها .

٢ ط : قدما .

٣ ترجمة أبي الحسين سراج بن عبد الملك في الصلة : ٢٢٢ والمغرب ١ : ١١٦ والقلائد :
٢٠٢ وأخبار وتراجم أندلسية : ١٣٢ والديباج المذهب : ١٣٦ وترتيب المدارك : ٨١٥ : ٤
والخريدة ٢ : ٤٨٤ والمغرب : ١٢٣ والمسالك ١١ : ٤١٤ ومعجم الأدباء ١١ : ١٨١
وبغية الوعاة : ٢٥١ .

ابن عبد الملك بن سراج ، اسمٌ وافقَ مُسمّاه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، فإنه سراجٌ علمٌ وأدبٌ ، وبحرٌ لغةٍ لسانِ العرب ، وإليه في وقتنا هذا بحضرةِ قرطبةٍ شدُّ الأفتاب ، وإنضاء الرّكّاب ، في الاقتباسِ منه ، ثم إنّه في هذا الفنّ الذي نحن في إقامة أوّده ، زمامه وخطامه في يده ، ولننظّمه ونثره ديباجةً رائقةً ، وهو القائل^١ :

لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ فَوَادِي مَنَزَلَا وَغَدَا يُسَلِّطُ مُقَلَّتِيهِ عَلَيْهِ
نَادَيْتُهُ مُسْتَرْحِماً مِنْ عَبْرَةٍ أَفْضَتْ بِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ^٢ إِلَيْهِ
رِفْقاً بِمَنْزِلِكَ الَّذِي تَحْتَلُّهُ يَا مَنْ يُخَرِّبُ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ !

وهذا البيتُ الأخيرُ منها كقولِ التّهامي^٣ :

حَرَّقَ سِوَى قَلْبِي وَدَعَهُ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ وَأَنْتَ فِي سُودَائِهِ

وَأَنْشَدْتُ أَيْضاً لِبَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ :

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَرْمِ قَلْبِي فَإِنَّهُ مَكَانُكَ وَالْمَرْمِي^٤ أَنْتَ وَلَا تَدْرِي

وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ حَزْمٍ :

أَذْكَيْتَ فِي قَلْبِي بِنَايِكَ لَوْعَةً حَتَّى خَشِيتُ عَلَى مَحَلِّكَ فِيهِ

وَفِي قَرِيبٍ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ :

عَجِبْتُ مِنْهُ وَأَحْشَانِي مَنَازِلَهُ كَيْفَ اسْتَقَرَّ بِهَا مِنْ كَثْرَةِ الْفَلَقِ

١ وردت الأبيات في المغرب والخريدة والمسالك والسلفي .

٢ ب م : الدسوع .

٣ ديوان التهامي : ٨٩ .

٤ ترد ترجمته في القسم الثاني من الذخيرة .

وقلبَ هذا المعنى بعضُ فتيانٍ وقتنا وهو الأديبُ أبو بكر بنُ بقيّ فقال^١ :

أبعدتُه عن أضلُعٍ تشتاقه كي لا ينامَ على وِسادٍ خافقٍ

وبلغني أنه خرجَ مع بعض إخوانه إلى بعض البساتين ، فعارَ فرسُ^٢
أحدهم فاتبعه صاحبه وساعده أبو الحسين ، وتخلّف عنهما^٣ أبو الحسن بنُ
الْبَسَمِ^٤ ، وأكبَّ على راحه هنالك ، فكتب إليه أبو الحسين ابن سراج^٥ :

عَمري أبا حَسَنٍ لَقَدْ جِئْتُ الَّتِي عَظَفْتَ عَلَيْكَ مَلَامَةَ الْإِخْوَانِ
لَمَّا رَأَيْتَ الْيَوْمَ وَلِيَّ عَمْرِهِ وَاللَّيْلُ مُقْتَبِلُ الشَّبِيْمَةِ دَانِي
وَالشَّمْسُ تُنْفِضُ زَعْفَرَانًا فِي الرَّبَى وَتَفْتِ مَسْكَتَهَا عَلَى الْغَيْطَانِ
أَطْلَعْتَهَا شَمْسًا وَأَنْتَ عَظَارِدُ وَحَفَفْتَهَا بِكَوَاكِبِ التَّدْمَانِ
فَأَنْتَبَهَ بَدْعًا فِي الْأَنَامِ مُخَلِّدًا فِيمَا قَرَنْتَ وَلَاتَ حِينَ قِرَانِ
وَلَهَيْتَ عَن خَلْتِي صَفَاءٍ لَمْ يَكُنْ يُلْهِمُهُمَا عَنْكَ اقْتِبَالُ زَمَانِ
غَنِيَا بِذِكْرِكَ عَن رَحِيقِ سَلْسَلٍ وَحِدَائِقِ خَضِرٍ وَعَزْفِ قِيَانِ
وَرَضِيَتْ فِي دَفْعِ الْمَلَامَةِ أَنْ تُرَى مُتَعَلِّقًا بِالْعَذْرِ مِنْ حَسَنَانِ

وهذا رواء الديباج الخسرواني ، ورونقُ العَصَبِ اليماني ، ومثله فلتنشرح

١ من أبيات له سائرة ، انظر الخريدة ٢ : ٢٣٧ وابن خلكان ٦ : ٢٠٣ والمطرب : ١٩٨
والمغرب ٢ : ١٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٢١ والنفع ٣ : ٢٠٩ ، ٤ : ١٥٥ ، ٢٣٧
وسترد ترجمة ابن بقي والأبيات في القسم الثاني من الأخيرة .

٢ ط : عنه .

٣ أبو الحسن بن اليسع : أخباره في الحلة الميراء ٢ : ١٧٢ - ١٧٦ والمغرب ٢ : ٨٧ ،
٢٤٨ والقلائد : ١٦٧ .

٤ ط : فارتجل أبو الحسين ؛ وانظر الحلة : ١٧٣ .

الصُّدُور ، وَيَتَشَوَّفُ السُّرُور ، وَيَذَعْنُ الْمُنْظُومُ وَالْمُنْثُور ، أَلَا تَرَى مَا آتَقَّ
استعاراته ، وَأَرَشَقَّ إشاراته ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالتَّشْبِيهِ دُونَ أَدَاتِهِ ،
وَكَذَلِكَ طَبْعُهُ فِي سَائِرِ مَقْطَعَاتِهِ .

عَلَى أَنَّ أَشْعَارَ الْعُلَمَاءِ عَلَى قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحْدَيْهِ بَيِّنَةُ التَّكَلُّفِ ، وَشَمْرُهُمُ
الَّذِي رَوَى لَهُمْ ضَعِيفٌ ، حَاشَا طَائِفَةً ، مِنْهُمْ خَلَفُ الْأَحْمَرِ ، فَإِنَّ لَهُ مَا
يَسْتَنْدِرُ ، وَقَطْرُبُ^١ لَهُ أَيْضاً مَا يَسْتَغْرِبُ ، كَقَوْلِهِ وَقَدْ رُوِيَ لغيره :

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِيَ فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِيَ يَرْعَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غَيَّبْتَ عَنْ بَصْرِي
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقِدُهُ وَنَظَرُ الْقَلْبِ لَا يَخَاوُ مِنَ النَّظَرِ

وَالْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، لَهُ أَيْضاً بَعْضُ مَا يَحْمَدُ ، وَمُؤَرِّجُ السُّدُوسِيِّ ،
وَابْنُ دُرَيْدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْعُلَمَاءِ ؛ وَكَذَلِكَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَصْرَةِ أَبُو مُحَمَّدٍ
الْيَزِيدِيُّ^٢ وَبَنُوهُ ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي حَمَوِيهِ ابْنِ أُخْتِ الْحَسَنِ الْحَاجِبِ^٣ :

إِنْ فَخَّرَ النَّاسُ بِآبَائِهِمْ أَتَيْتَهُمْ بِالْعَجَبِ الْعَاجِبِ
قُلْتُ وَأَدْعَمْتُ أَبَا خَامِلًا^٤ أَنَا ابْنُ أُخْتِ الْحَسَنِ الْحَاجِبِ

١ هو أبو علي محمد بن المستنير أحد تلامذة سيديويه (توفي سنة ٢٠٦) انظر نور القيس :
١٧٤ وفيه نماذج من شعره ، وانباء الرواة ٣ : ٢١٩ وفي الحاشية ثبت بمصادر ترجمته .

٢ أبو محمد اليزيدي : يحيى بن المبارك بن المنيرة العدوي (- ٢٠٢) . ترجم له ابن خلكان
٦ : ١٨٣ (وفي الحاشية بيان بمصادر ترجمته) وانظر مجموعة من شعره في نور القيس :
٨٠ - ٨٧ ؛ وقد قام الدكتور محسن غياض بجمع شعر اليزيديين (بغداد ١٩٧٣) .

٣ انظر شعر اليزيديين : ٣٤ .

٤ ط : جاهلا .

ومن هذا أخذ دعبل^١ قوله :

سألتُهُ مَنْ أبوهُ فقالَ دينارُ خالي
فقلتُ دينارُ من هو فقالَ والي الجبالِ

وابنُ مُناذِرٍ أيضاً عالمٌ شاعرٌ ، وأبو محمَّد السَّعدي^٢ ، وهو الذي يقول :

تصيحُ لكسرى حينَ تسمعُ ذكرَه بصمَاءَ عن ذِكْرِ النَّبِيِّ صَدُوفٍ
وتغريقُ في إطراءِ ساسانَ وابنهٍ وما أنتَ مِن أعلامِهِمْ بِشَرِيفٍ

ومن العلماء الشعراء أحمدُ بنُ أبي كامل وهو القائل :

لا أرى فيما أرى شبيهاً لكَ غيرَ البدرِ في الظلَمِ
غيرَ أنَّ البدرَ ليسَ له لحظةٌ تدعو إلى السَّقَمِ

ومن الرواة الأخباريين محمدُ العتي^٣ ودو القائل :

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضن عني بالحدود النواضر

١ ديوان دعبل : ١٣٦ .

٢ اسمه محمد بن سعد (ويقال هشام) بن عون السعدي ، وكان يسمى بمحمد ومرة بأحمد

وكنيته أغلب عليه ، وكان أعرابياً يفهم كلامه ويعرب منطقه ، توفي سنة ٢٤٨ (الفهرست

٤٨ وانباء الرواة ٤ : ١٦٧) . وفي ب م ط : ابن محم .

٣ هو محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أموي النسبة ، بصري ، وكان يروي الأخبار وأيام

العرب ، وكان مستهتراً بالشراب ويقول الشعر في عتبة فعرف بالعتبي ، توفي سنة ٢٢٨ .

(انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

الآيات .

هؤلاء أعيانُ العلماء الشعراء بالمشرق ، ممن علا شعرهم ديباجة ورونق ، فأما من سواهم كيونس والأخفش وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه والفراء وسائر أصحابهم فأكثرُ الرواة لم يسمع لهم بشعر ، والكسائي الذي يقول : « إنما النحوق قياسٌ يتبع » له شعرٌ ضعيف ، بين التكليف . فأما أبو عبيدة فله شعر يضحك ، لا سيما قوله في ابن أخي يونس النحوي ، وكان يُسمّى خرك^١ ، لم أرَ أن أكونَ من رواته إذ هو معدودٌ في هناته .

وللأصمعي قصيدةٌ في بني برمك أكثرَ فيها من الغريب ، وما أتى بغريب ؛ وكذلك من علماء الكوفة جماعةٌ مثلُ خالد بن كلثوم ، وأبي عمرو الشيباني ، وابن الأعرابي وأصحابهم ، زعم ابن المنجم أنه لم يسمع لهم بشعر .

وأما العلماءُ الشعراء بأفقنا هذا الأندلسي من حين استفتحت^٢ الجزيرة إلى آخر دولة بني عامر ، فقد تقدّم المصنفون قبلي إلى تدوين نثرهم ونظمهم ، فأغنانني عن ذكرهم ، وإنما شرّطتُ ذكرَ أهلِ عصري ممن شاهدته بعصري ، أو لحقته بعض أهلِ دهري .

١ في النسخ ابن ليونس . . . جرك ؛ والتصويب عن نور القيس : ١١٤ وإنباء الرواة

٣ : ٢٨٢ ، وورد شعر أبي عبيدة فيهما .

٢ ب م : استفتاح .

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي مروان عبد الملك بن محمد بن
شماخ^١، وإيراد جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلق به ويذكر بسببه

وأبو مروان هذا أحد من شافهته^٢ وذاكرته ، وأنشدني شعره ،
وكان باهر الضوء، صادق النوء، ينفثُ بالسحر، في عقد النظم والنثر،
ويوفي على أنواع البديع، إيفاء نيسان على محاسن فصل الربيع ، إلى علم أعذب
من الماء ، وأكثر من حصي الدّهاء، وفهم أذكى من الشمس، وأجرى
من النفس في النفس ؛ ولولا أنه اختضر ، لبهر الشمس والقمر ، كما
أعجز من نظم ونثر ، وسبق أكثر من تقدم وتأخر^٣ ، وقد أجريت^٤ من
نظمه ونثره ، ما يُشيدُ باسمه ، ويدلُّ على سعةِ علمه .

فمن ذلك رُقعة خاطب بها الفقيه قاضي الجماعة^٥ أبا عبد الله بن حمد بن ،
افتتحها متمثلاً بهذه الأبيات^٦ :

لما وَضَعْتُ صَحِيفَتِي فِي بَطْنِ كَفِّ رَسُولِهَا
قَبَلْتُهَا لَتَمَسَّهَا يُمْنُكَ عِنْدَ وَصُولِهَا
وَتَوَدَّ عَيْنِي أَنَّهَا تَرَكْتُ بَعْضَ فِصُولِهَا
حَتَّى تَرَى مِنْ وَجْهِكَ حَيِّمُونَ غَايَةَ سِرِّهَا

١ لم أجد من ترجم له ، وفي الذيل والتكملة ٥ : ٣٣ ذكر لعبد الملك بن محمد بن شماخ الغافقي
أبي مروان أخي أبي جعفر وأنه روى عن أبي جعفر البطروجي ، ولم يزد على ذلك .

٢ ط : أدركته .

٣ ط : ولولا أنه اختضر لمهر وبهر .

٤ ط : أخرجت .

٥ ط : القاضي .

٦ ط : قال فيها .

نَعَمْ ، أدام الله ١ عزَّ الفقيه سامي الرِّفعة ، إني حاسدٌ هذه الرُّقعة ،
لأنها تَحْظِي دُونِي بِرُؤْيَتِهِ ، فلو حظيت بمثل ما به حظيت ، لَبَلَغَ قَلْبِي
غَايَةَ اْمُنْيَتِهِ . أمثالٌ أَضْرَبَهَا عَلَيْكَ مَا لَهَا أَمْثَالُ ، وَسَلَسَالٌ أَمْزُجُهُ لَدَيْكَ
يَحْيَا بِهِ الصَّلَاصَالُ ، يَا أَيُّهَا الْخَطِيءُ الَّذِي أَنْبَتَهُ وَشَبَّجَهُ ، يَا أَيُّهَا الْأَعْوَجِيُّ الَّذِي
هَذَبَهُ ٢ تَخْرِيجِهِ ، يَا أَيُّهَا الْفَرَعُ الَّذِي ثَبَّتَ أَصْلَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ ، وَشَمَخَ
سِنِّخَهُ بِنَاصِيَةِ الْجُوزَاءِ :

إِذَا ثَبَّتَتْ فَوْقَ السَّمَاءِ أَصُولَهُ فَأَيْنَ أَعَالِيهِ وَأَيْنَ الذُّوَابُ ؟

بَعْدَ صَيْتِكَ فِي النَّبَاهَةِ حَتَّى طَبَّقَ الْغَبَاءُ ، وَصَعَدَ سَرُّوكُ فِي الْجَلَالَةِ
حَتَّى آتَى الْخَضْرَاءُ ، لَوْ اقْتَصَرْتَ عَلَى مَا بَقِيَ لَكَ أَوَّلُكَ ، لَسَبَقَ جَهْدَ
السَّابِقِينَ مَهْلُكَ ، بَلْ بَنَيْتَ عَلَى مَا بَنَوْا ، وَسَمَوْتَ كَمَا سَمَوْا ؛
فَلَوْ فُضِّتْ خَوَاتِمُ الطِّينِ ، عَنْ آبَائِكَ الْأَكْرَمِينَ ، لَبَصُرْتَ بِعِظَامِهِمْ تَهْتَزُّ
وَهِيَ رَمِيمٌ ، لِإِعْجَابٍ بِمَا أَهْدَاهُ إِلَيْهَا سَعْيُكَ الْكَرِيمِ :

فَقَدْ يُضْحِكُ الْحَيَّ سِنَّ الْفَقِيدِ فَتَهْتَزُّ أَعْظَمُهُ بِالْعِرَاءِ

خَطَبْتُ وَدَّكَ ، فَإِنْ تَرَّرْتَنِي كُفُّوا ، بَلَغْتُ الْمُبَالَغَ الشَّاسِعَةَ ٣ عَفْواً ،
ظَلَمْتُ إِلَى شَمُولِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ ، فَإِنْ سَقَيْتَنِي مِنْهَا نُغْبَةً ، سَرَّتْ فِيَّ
الْأُرْيَحِيَّةُ حَقْبَةً . مَا أَرَى الْفَقِيهَ يَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي ، أَكْثَرَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضِيْضِي

١ ط : دام عز ؛ ب م : أعز الله .

٢ ط : أدبه .

٣ ب م : الواسعة .

وتَجَرِي . سَأَلْتُكَ فِي شَأْنِي بِلُحْمَةٍ^١ وَاخْتَصَر ، فَقَدْ يُرَوَى - وَلَئِنْ قُلْتُ - الزُّلَالُ الْخَصَر . كَانَ مَدَّةً فِي يَدِي زَمَامٌ بِلَدِي ، ثُمَّ نَقِصْتُ إِلَى حِمَص ، وَكَانَتْ لَحْمٌ مَتَى شَاءَتْ أَمْرًا لَمْ تُعْص ، فَلَمَّا رَمَتْ بِصَنْهَاجَةِ اللَّجَج ، وَثَارَ لَهُمْ ذَلِكَ الرَّهْج ، فِي يَوْمٍ أَشْرَعَتْ فِيهِ الْأَسْنَةُ ، وَأَجْهَضَتْ لَشِدَّةَ خَطْبِهِ الْأَجْنَةِ ، فَانْتَهَبَ مَالِي كَمَا انْتَهَبَ مَالُ الْمَصْرُ ، وَكَسَدَ فِي حِمَصٍ^٢ سَوَقَ النِّظَمِ وَالنَّزْهَدِ ، زَهَدْنَا فِيهَا^٣ فَمَتَّقْنَاهَا ، وَسَكَنَّا عَنْ الْكِتَابَةِ فَمَا أَبْنَاهَا ، وَبَلَّغْنَا إِلَى غَافِقٍ^٤ ، بَعَلْتُ مِنَ الْأَدَبِ غَيْرَ نَافِقٍ ، بِحَيْثُ يُتَسَاوَى الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ ، وَيَصْفَعُ الْبَلِغُ الْقَدَمُ^٥ ؛ وَإِنِّي - أَعَزَّ اللَّهُ الْفَقِيهَ - وَإِنْ كَانَ أَوْطَانِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْطَانِي ، وَأَعْطَانِي مِنْهَا أَعْطَانِي ، وَأَوَانِي مِنْهَا لَيَوَانِي ، لَعَدَمِ الشَّكْلِ ، لَغَرِيبٍ فِيهَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ وَالْأَهْلِ . فَإِنْ تَبَسَّكَ عَيْنُ الْفَقِيهِ الشَّفِيقِ ، ضَيَّاعَ صَدِيقٍ ، فَلْتَبَسَّكَ مِنِّي لَطَائِرُ كَرِيمٍ ، رُدَّ إِلَى وَكْرٍ لَثِيمٍ ، وَلِتَرِثْ لِدُرَّةٍ سَنِيَّةٍ ، رَدَّتْ^٥ إِلَى صَدَقَةِ دُنْيَةٍ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ ! أَنَا الْمَصْدُورُ أَكْثَرُ نَفْسًا ، وَشَكُوتَ بَثًّا ؛ وَإِنْ كُنْتُ أَطَلْتُ الْخُطَابَ ، فَإِنْ حَوَارَ الْفَقِيهَ لَدَّ لِي وَطَابَ ، وَانْتَظَارِي بِخَوَابِهِ انْتَظَارَ الصَّائِمِ لِلْفَطْرِ ، وَالسَّارِي لِلْفَجْرِ ، وَأَقْرَأَ عَلَيْهِ مِنْ سَلَامِي عِدَدَ مَنَاقِبِ الْفَقِيهِ ، بَلْ عِدَدَ مُحَاسِنِ أَبِي الْحَسَنِ أَبِيهِ ، فَلَمَّا تَجَاوَزُ الْخَدَّ ، وَلَا تَطَاوَعِ الْعَدَّةَ .

١ ب م : سَأَلْتُكَ . . . بِلُحْمَةٍ .

٢ ب م : بِشَبِيلَةٍ .

٣ ب م : زَهَدْنَا فِي حِمَصٍ .

٤ غَافِقُ : مِنْ كَوْرَةٍ فَحِمَصُ الْبَلُوطِ .

٥ ب م : صَرَفْتُ .

قوله « وإني بها لَعَدَمُ الشَّكْلِ ، لغريب بين الأحبة والأهل » محلول
من قول الخطابي حيث يقول^١ :

وإني غريبٌ بين بُسْتٍ وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وما غربةَ الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكْلِ

وأخذه عمر بن أبي عمر السجزي فقال^٢ :

وليس اغترابي في سجستانَ أنني عدمتُ بها الإخوان والدار^٣ والأهلا
ولكنه مالي بها من مُشاكلٍ وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

وقوله « فتهتز أعظمه بالعراء » كقول أبي تمام^٤ :

ولو علم الشيخان أدُّ ويعربُ لسُرَّتْ لَإِذَا تلك العظام الرماثُ

وليه أشار محمد بن هانيء بقوله^٥ :

فليت أبا السبطين والتربُ دونه رأى كيف تبدي حكمه وتعيدُ

فأجابه القاضي أبو عبدالله برقعة اقتضبت بعض فصولها لطولها [قال فيها^٦ :

كتبتُ ولو قدرت هوى وشوقاً إليك لكنت سطرأ في كتاب

١ انظر يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٥ وعكس ترتيب البيتين .

٢ المصدر السابق نفسه .

٣ ط : والجار .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٢ .

٥ ديوان ابن هانيء : ٥٨ .

٦ في النسخ : ييدي . . . ويعيد .

٧ ورد بعض هذه الرسالة في القلائد : ١٩٣ .

من صحب الآصال والبكر ، عرف وأنكر :

ما أحسن العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم^١

عمر^٢ بابك ، وأخصبَ جنابك ، وطاوعك زمانك ، ونعم بك
ليوانك :

وسقى بلادك غيرَ مُفسدٍ^٣ صوبُ الربيعِ وديمةً تهجي^٤

فما درجَ بسبيله^٥ ، مَن كنتَ سلالةً سليله ، ووارثَ مجده^٦ ومقبله ،
وما خامَ وضرع ، فخرٌ رمى عن وترِ قوسك ونزع ، لم يهلك هالك ،
تركَ مثلَ مالك^٧ .

[كاهندواني لا يُخزيكَ مشهدُه وسطَ الهياج إذا ما تضربُ بهم]

فركتَ المهاد ، وألفتَ السهاد ، وتقبلتَ^٨ الآباءَ والأجداد ، فأسرجتَ
في ميدانِ عتاقِ الجودِ برأقا ، مَرَبَّتَ له حافراً وساقاً^٩ ، فاحتلَّ من شعابِ

١ البيت لتميم بن أبي بن مقبل ، ديوانه : ٢٧٣ وشرح شواهد المفني : ٢٢٧ والخصائص

. ٣١٨ : ١

٢ في النسخ : غني ، والتصويب عن القلائد .

٣ البيت لطرفة ، ديوانه : ٩٣ ؛ وفي ب م : وسقى ديارك .

٤ القلائد : لسبيله .

٥ القلائد : معرسه .

٦ فيه اشارة إلى المثل : « فتى ولا كالك » .

٧ في النسخ : وتقبلت ، والتصويب عن القلائد .

٨ القلائد : في ميدان الحمد . . . اتخذ له الريح خافية وساقا .

المجد صُفعا ، أثارَ به نَقْعاً ، ودوّمَ في جوِّ السماء ، تدويمَ قَزَعِ العماء ،
[كَأَنَّهُ عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٌ]^٢ ، فحقُّ لباهرٍ فضلك أن
يطولَ فيقول :

ما بقومي شَرَفْتُ بل شَرُّفُوا بي وبنفسي فخرتُ لا يجوددي^٣
أو يتنزَّلَ ، فيتمثَّل :

لسنا وإن أحسابنا كَرُمَتْ^٤ يوماً على الأحسابِ نَنَكُلُ^٥
نَبْنِي كما كانتْ أوائلنا تَبْنِي ونَفْعَلُ مثلَ ما فَعَلُوا

كم مُتَعاطٍ شَاوَ طَلَقَيْكَ ، ومُشْطَرِطٍ مَنَالَ أَفْقَكَ ، سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ
شَقَّ غُبَارِكَ ، واقتفاءَ مَنَاهِجِ آثَارِكَ ، سَلَكَ فَمَا أَدْرَاكَ ، وَبَلَغَ^٦ بَعِيرُهُ فَبَرَّكَ :
* فَهْنٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ *

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرْنٍ لم يستطعْ صَوْلَةَ البزلِ القَنَاعِيسِ^٦
لو بما تَعَتَّزُ بِهِ مِنْ عَشَائِرَ نَسَبُوكَ ، وآبَاءِ صَدَقٍ وَلَدُوكَ فَانْجَبُوكَ :
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ^٧ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثاقِبَهُ^٧

١ ط : وجه .

٢ من قول ذي الرمة (ديوانه ٢ : ٤٩٠) :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها عل قمة الرأس ابن ماء محلق

٣ انظر ديوان المتنبي : ٦٥ .

٤ ب م والقائد : لسنا وإن كرمت أوائلنا .

٥ ط : وثليج ؛ القائد : وطلح ، وهي قراءة جيدة .

٦ هو لجرير (التاج : قنعس) .

٧ البيت لأبي الطمحان القيني (الأغاني ١٣ : ٨ - ٩) .

وجلّابٍ أدب ، شفع الحسب ، وكسا الدرة الذهب ، فننالك وترُّ
الأبد ، كالسيف الفرد ، إذ غلت الرّكاب ، وعَلقت الأسباب - لتعدّي
منابج العوّاء ، فهصّرت هقعة الجوزاء ، واتخذت إكليلها إكليلاً ، فلم
تذمّمك نزيلاً ، وقبلت أخصّ قدميك تقبيلاً .

وفي فصل : بيننا وسائل ، أحكمتها الأوائل ، ما هي بالأنكاث ،
والوشاح الرّثاث ، من دونها ودّ جناهُ شهد ، ومرادُه خُلد ، أنصرُ من
أنيق الخضر ، وأعقب^٢ من فتيق الزّهر ، غبّ المطر ، [جَمّت^٣ أعراضه ،
ونديت حياضه ، سرى له النسيم ، فوشى به النسيم :

ماروضة^٤ من رياض (الحزن مُعشبة^٥ غناء^٦ جادَ عليها مُسبل^٧ هطل^٨
يضاحك^٩ الشمس منها كوكب^{١٠} شرق مؤزّر^{١١} بعميم^{١٢} النبت^{١٣} مُكتهل^{١٤}
يوماً بأطيب^{١٥} منه نُشر^{١٦} رائحة^{١٧} ولا بأحسن^{١٨} منه إذ دنا الأصل^{١٩}

لو كان بشراً كان حسن البشّرة ، أنيق^{٢٠} الحيرة [أرج عَرَفِ
النسيم ، مُشرق^{٢١} جبين^{٢٢} الأديم ، رائق^{٢٣} رُقعة^{٢٤} الجلاب ، مُقتبل^{٢٥} راد^{٢٦}
الشباب ، كالصباح المنجاب ، تبرق^{٢٧} أساريره ، وتلقاك^{٢٨} قبل^{٢٩} اللقاء تباثيره :

ورثناهنّ عن آباء^{٣٠} صديق^{٣١} ونورثها^{٣٢} إذا متنا^{٣٣} بنينا^{٣٤}

١ ب م : كالمرف .

٢ ب م : وأطر .

٣ ط : جفت .

٤ للأعشى الكبير ، ديوانه : ٤٣ .

٥ ط : مدبّل رداء (اقرأ : مسبل رداء) ؛ القلائد : مقتبل رداء .

٦ ط : تشرق ؛ القلائد : تروق .

٧ إلى هنا ينتهي ما ورد من الرسالة في القلائد .

المِقَّةُ تَبْعُ الثَّقَةَ ، لَا يُلْهِينَكَ وَقَدْ لَاحَ الْبَدْرُ ، وَوَضَعَ السَّارِي
السَّجَرُ ، جَوَابُ أُنَيْتُهُ ، وَدَيْنُ مَطْلَتُهُ وَلَوَيْتُهُ :

فَقُلْتُ امْكُثِي حَتَّى يُسَارَ لَعَلَّنَا نَحْجَ مَعًا قَالَتْ : أَعَامًا وَقَابِلَهُ ؟

إِسْجَاحٌ وَمَعْذِرَةٌ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ مَقْدَرَةٌ ، فَنَظَرَةٌ إِلَى مِيسِرَةٍ ،
لَوْ بِحَسَبِ مَا أَطْوَاهُ ، لَبَيْتُ دَاعِيَ مُنَادِيهِ ، لِبَادَرْتُ بِدَارَ الْعَيْنِ ، وَأَوْفَرْتُ
إِيْفَازَ^١ لِمَعَ الْيَدَيْنِ ، وَاقْتَضَبْتُ الْمَدَى ، فَكَانَ الْكَلَامَ وَكُنْتُ الصَّدَى ، وَمَا
بَتَّهِتُ خَجَلِ التَّسْوِيفِ وَاللَّيَانِ ، بِأَرْقَدَ مِنْ مَعْضُوضِ الْأَفْعَوَانِ ، وَمَقَرَّشِ
حَسَكِ السَّعْدَانِ :

على الفراش لضوء الصبح مرتقب كأنه <أرق شكت> به الإبر

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَلَا غُرُوَ إِنْ اسْتَعْجَمَ لِسَانُ ، وَحَصِيرَ بَيَانُ ، وَلَحْنَةُ
جَنَانُ ، وَخَرِيدَةُ بَيَانُ ، تَرُودُ رَوْضَ الْآدَابِ ، وَتَرِدُ ذُوبَ مَاءِ الْأَلْبَابِ ،
نَمَاهَا كَهَلَانُ ، وَنَهَدَتْ بِهَا سَحَابَانُ ، تَدْعُو نَزَالُ ، وَتَنْجِزُ رَدَّ السُّؤَالِ :

بَيَانٌ لَمْ تَرِثْهُ ثُرَاثَ دَعْوَى وَلَمْ تُنْبِطْهُ مِنْ حِسْنِي بِكَيِّ^٢

أَهْلًا بِهِ طَائِرٌ وَدَادٍ وَقَعَ ، وَبُلْبُلٌ وَادٍ سَجَعَ فَرَجَعَ ، وَهَيَّجَ دَاءُ^٣
دَفِينَا ، فَذَكَرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا :

فَفَضَّضْتُ خَتَامَهُ فَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبِيرِ الْجَلِيِّ
فَكَانَ أَغْضًى فِي عَيْنِي وَأَنْدَى عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَلِيِّ

١ في النسخ : وَأَوْعَزْتُ إِيْفَازَ ؛ وَصَوَّبْتُهُ بِحَسَبِ الْمَعْنَى .

٢ البيت والأبيات التالية لأبي تمام ، ديوانه ٢ : ٣٥٥ - ٣٥٧ .

وأحسنَ موقِعاً مِنِّي وعندي من البُشرى أتتْ بعدَ النعيِّ
> وَضُمْنَ صدرُهُ ما لم تُضْمَنَّ صدورُ الغانياتِ من الحلَى < ١

الله فِطْنَةً فَطَرْتَهُ ، ويدٌ سَطَرْتَهُ ، وصحيفةٌ احتوتَهُ ، وأنا مِلُّ لَوْتَهُ !
ما أبدعَ ما وَسَقَ ، وأعجَبَ ما نَظَمَ ونَسَقَ ، إن هو إلَّا سحرٌ يُوَثِّرُ ،
ودرٌ يَنْثُرُ ، وأنفاسٌ تَعَبَّقُ ، ونفوسٌ تُسَبِّي وتَسْتَرْقُ ، إلى أغراضٍ
كقَطْعِ الرِّياضِ ، ومعانٍ كأبْكارِ الغواني لوين^٢ قدوداً ، وكسِنَ من وشي
الكلامِ مجاسداً وبروداً ، فمعجبه بهزجُ بَيْقَاعِهِ^٣ ، ويرتجِلُ على إيقاعِهِ :
أنا الذي نظَرَ الأعْمى إلى أدبي وأسمعتُ كلماتي من به صمِّمُ^٤

سميرُ الأَذانِ ، وحديثُ الرُّكبانِ :

[به تنفِضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ وتعقِدُ أطرافُ الحِبالِ وتوثِقُ]

نادى شخصٌ طللٍ حابسٍ ، وكَلَّمَ ربيعَ رسمٍ دارسٍ ، من نفْسٍ
أبدادٍ ، وفؤادٍ فادٍ ، صَدِيٍّ حَتَّى بَلَى ، ودُهيٍّ حَتَّى فَنَى ؛ بمثله وقَفَ
جَمِيلٌ ، واستعبر يقول :

ألم تَسألِ الرِّبعَ القواءَ فينطقُ وهل تُخبرنك اليومَ ببداءِ سَمَلِقِ^٥

١ زيادة من الديوان .

٢ ب م : أدرن .

٣ ط : بيقاعه .

٤ انظر ديوان المتنبي : ٣٢٣ .

٥ ب م : باد .

٦ انظر ديوان جميل بثينة : ١٤٤ .

فكان حياً جلجلَ رعدُهُ ، وأسبلَ ودقُّهُ ، بأكتافِ جَوَى محلّ واديه ،
وأجدبتْ بواديه ، فلايأ ما لان مدرُّهُ ، وانبعسَ حجَرُهُ ، وطلعَ نجمُهُ
وأشرقَ زهرُهُ :

> ما كلُّ ماءٍ كصداءٍ لشاربه كلاً ولا كلُّ نبتٍ فهو سعدانٌ <^١

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا
نَكَدًا﴾ (الأعراف : ٥٨) شتآن بين ربوةٍ يفاع ، وصفوانةٍ بقاع ، وأين
من الغمْرِ المعين ، وشلٌّ ينضح بمثلِ رشحِ الحيين ؟ في كلِّ شجرٍ نار ،
واستمجدَ المرخُ والعفار^٢ ، وأن تسمعَ بالمعيد^٣ ، وتخبّرَ عن الإياسي^٤ ،
فشاكه أبا يسار ، فبدونِ ما وصفتنه ينفقُ الحمارُ^٥ ، وتخطبُ غيرُ ذاتِ
التجار ؛ ما هي إلاَّ حُلَى فضائلِك خلعتها عليّ ، وخمائلُ شمائلِك أضفتها
إليّ ، والا فودّ تجاوزَ القَدَر ، فأعمى البَصَر :

[وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخطِ تبدي المساويا]*

والشفقُ والغسقُ ، ولوامعُ الفلقِ ، إنك لصاحبُ الرأيةِ ومحرزُ
الغايةِ ، زعيمُ حلبةِ البيان ، وفارسُ ذروةِ الإحسان ، [لتعطَ القوسُ

١ لم يرد إلا في نسخة دار الكتب ؛ وفي البيت إشارة إلى المثليين : ماء ولا كصداء ومرمى

ولا كالسعدان ؛ انظر فصل المقال : ١٩٩ والقصبي : ٢١ ، ٥٤ ، والميداني : ٢ ، ١٥٣ ، ١٥٢ .

٢ انظر فصل المقال : ٢٠٢ والميداني : ٢ : ١٤ .

٣ انظر فصل المقال : ١٣٥ والقصبي : ٩ والميداني : ١ : ٨٦ .

٤ انظر فصل المقال : ٣٣ والميداني : ١ : ٢٤٢ .

٥ البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، انظر بهجة المجالس : ١ : ٨١٤ وعيون

الأخبار : ٣ : ٧٦ .

باريها ، وتمنح المنحة ذوبها [، وإن للمتعاطي ذلك المضمار ، أن يبايع
بيد الصغار ، وينبذ بأزمة مقادير الأقدار :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار^١

لا عطر بعد عروس^٢ ، ويا لك من نضو فؤاد هجت به ادكاراً ،
وحركت له حواراً^٣ ، تجاسر بجمعه ، واستن على ظلمه ، قدسح بجرة
عقير^٤ ، فانفحق عن فرصة فقير^٥ :

نزرأ كما استكرهت عابرة نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

على حين ذوى روض الأدب ، ففاظ مصيف الطرب ، [وألفت
« قال مالك »^٦ ، وتركت ما هنالك] ، فما عهدي الآن به إلا زورة
التمس ، وذكره الحلم ، أذوقه شميماً ، وأطعمه نسيماً ، وأغري المحافظ
عليه ، وأغبط أفئدة من الناس تهوي إليه :

فكأنني وما أزيّن منه قعدني يزين التحكيما^٧
لم يطق حمله السلاح إلى الحرّ ب فأوصى المطبق ألا يقيما

.....

١ البيت للفرزدق وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٠٧ والخزانة ١ : ٩٩ .

٢ انظر فصل المقال : ٢٧٤ والميداني ٢ : ١٠٨ .

٣ من المثل : حرك لها حوارها تحن (العسكري ١ : ١٠٠) .

٤ دس البعير بجرته : دفعها حتى أخرجها من جوفه .

٥ كذا هو ، ولعل صوابه « عن غرصة فقير » والفرصة : الحزام ، والفقير : الحمل المكسور
الفقار ؛ وفي ط : قرصة فقير ، وهي قراءة جيدة ، وهو يومئ إلى القلة ، ويفسره
البيت التالي .

٦ قال مالك : يريد أنه ترك ميدان الأدب ، وتعلق بالفقه ، وإل مثل هذا يشير الأعمى
التعلي بقوله :

ويا قال زيد أعرضي أو تعارضي فقد حال من دون المني « قال مالك »

٧ الشعر لأبي نواس ، ديوانه : ٣٢٥ .

وإن أنختَ بمطنيك من أفق غافق ، ذا بضاعةٍ أدبٍ غيرِ نافعٍ ، أصبحتَ
منها كالمسكِ ينافحُ^١ نفسه ، أو الفذّ يكلّمُ حسّه ، معاشرَ معاشرٍ لم تغدُهم
رِقّةُ الآدابِ ، ولا أعربتُ ألسنتهم عواملُ الإعرابِ :

فهنَّ يُلغِطنَ به إلغاطا مثلَ النّبيطِ لاقتِ الأنباطا^٢

وإن نطقَ زهير ، قالوا نطقَ العيرِ :

أرضُ الفِلاحَةِ لو أتاها جَرَوَلٌ^٣ أعني الحطيشةَ لاغندى حرّا^٤
تصددا بها الأفهامُ بعدَ صقالها وتُردُّ ذُكرانُ العقولِ إناثا
أرضُ خلعتُ اللهوَ خلعتُ خاتمي فيها وطلّقتُ السرورَ ثلثا

فغيرُ أنيسِ المرءِ ذِكْرٌ يشحّدُ الفِكرَ ، وروضُ كتابٍ يصقلُ^٥
الألبابِ :

أعزُّ مكانٍ في الدنيا سَرَجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزّمانِ كتابٌ^٦ ،

ولله ما حوت ، ونعم ما اقتنيت ، من حقائقِ أدبٍ ، في يَفَاعٍ^٧
حَسَبَ ، سنخٌ ضربَ الأرضَ بعروقه ، وبسقى فاستوى على سوقه
يونقُ البقاع ، ويُعجبُ الزّراعَ ، كرمَ [مَدَدُهُ فزكا ثمره ، وطابَ

١ في النسخ : ينافح .

٢ انظر اللسان : (لفظ) .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٣٢٥ .

٤ ديوان المتنبي : ٤٨٠ .

٥ ب م : بقاع .

خُبْرُهُ وَخَبْرُهُ [. أَكْرَمُ نَسَبٍ وَأَفْضَلُ نَشَبٍ . نَاهِيكَ مَا يَرُوقُ جَمَالاً ،
وَيُخَفُّ حَمَالاً ، لَا تَبْتَزُّكَهُ اللَّصُوصُ ، وَلَا تَرْحَلُ بِهِ دُونَكَ الْقُلُوصُ :

[يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفَتْ شَدَدَاتَا]

وَلَنْ تُرَاعَ فُلَانٌ تَضَاع . وَمَنْ يُوْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ،
وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً^١ ؛ وَأَبْلَغُكَ سَلاماً ، يَكُونُ بِنَسْحَرِ عَقْدِكَ نِظَاماً ،
وَيَضْرِبُ عَلَى رَوْضٍ وَدَّكَ غَمَاماً :

فِيُنَبْتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنُورًا سَأَتْبِعُهُ^٢ مِنْ خَيْرٍ مَا قَالَ قَائِلُ^٣

قال ابنُ بَسَّامَ : والفقيهُ قاضي الجماعة أبو عبد الله بن حمدٍ ، هذا
في وقتنا غُرَّةُ الزَّمانِ الزَّاهِرَةِ . وآيَةُ الْإِحْسَانِ الْبَاهِرَةِ . أَحَدُهُ مَنْ تَقَدَّمَ
عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ ، تَقَدَّمَ الْأَسْمَ عَلَى الْفِعْلِ . وَاسْتَوَى عَلَى النَّبْلِ ، اسْتَيْلَأَ
الشَّمْسُ عَلَى الظِّلِّ ، وَلَهُ صَدْرٌ يَسَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَلِسَانٌ يَخْلُقُ السَّحَرَ

.....

١ زاد في نسخة دار الكتب :

الله أنجح ما طلبت . به والبر خير حقيقة الرجل

٢ ط : سَأَتْبِعُهُ .

٣ البيت للنايفة الذبياني ، الأغاني ٨ : ٢١٤ ، وسقط من قصيدة في ديوانه : ١١٣ - ١٢٠ .
(شرح ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل) .

٤ بنو حمدٍ تغلبيون في نسبهم ، وقد كان لمحمد بن علي منهم ابنان أحدهما أبو القاسم أحمد
(الصلة : ٨١ والمغرب ١ : ١٦٢) وكان قاضياً للجماعة بقرطبة وتوفي سنة ٥٢١ هـ ؛ والثاني
أبو جعفر حمدٍ بن تولى قضاء بلده سنة ٥٢٩ هـ ثم صرف عن القضاء سنة ٥٣٢ هـ ثم أعيد وبقي
حتى انهيار دولة المرابطين ، فتسلم زمام قرطبة ودعي له عل منابرها وسمى نفسه « أمير
المسلمين المنصور بالله » (وكانت وفاته سنة ٥٤٨ هـ) أما أبو عبد الله المذكور هنا فهو
ولد أبي القاسم أحمد . وقد سماه ابن خاقان أيضاً (القلائد : ١٩٢) قاضي الجماعة ، ولا بد
أن يكون تولى القضاء بعد وفاة والده (أي بين ٥٢١ - ٥٢٩ هـ) .

لو استحلّه ، وهو وإن كانَ اليومَ ، بالحضرةِ العظمى قُرطبةَ ، يعسوبَ الإسلام ، ومدارَ الأنام^١ ، وجماعَ النّقصِ والإبرام ، فلهذا الشّأن الذي تصدّيتُ لإقامةِ أوده بهذا الديوان ، من عنايته أوفرُ نصيبٍ ، ولأهله من استقلاله وكفايته حمى غيرُ مقروب^٢ ، وقد رفعت له على علّمه نار ، فضربتُ عليه في حرّمه أرواقُ وأستار ، وسارتُ على ألسنةِ الرّكبان من كلمه رسائلُ وأشعار ، أجزلُ من ذكرِ أبان ، وأحسنُ من الحديث عن جنان ، وأوضحُ من عذيرِ قريشٍ في حُبِّ عثمان ، ولم أظفر منها^٣ عندَ تحرير هذه النسخة من هذا الكتاب ، إلّا بهذا الجواب ، وفيه متعةٌ جدٌ كافيةٌ ، وعلامةٌ من الفضل غيرُ خافية ، ويُعلمُك بجنى الشجرة الواحدة من ثمرتها ، ويدلّك على خزائى الأرضِ النّفحة من رائحتها .

جملة من شعر ابن شماخ

من ذلك ما أنشدنيه لنفسه من جملةِ أبياتٍ اندرجتْ له في رسالةِ مؤشحةٍ عارضَ بها بديعَ الزّمان^٤ في طريقته ، وضرَبها على قالب سبيكته^٥ ، يقول فيها

أودتُ بنخوةٍ^٦ أهلَ حمصَ بديعةً ملأتُ قلوبهمُ عليّ حفاظاً
فتشتُ فيهم قارصاً يأتي بها فكأنّما فتشتُ فيها القارظاً

١ ب م : الأيام .

٢ ب م : معزوب .

٣ ب م : منه .

٤ ط : البديع .

٥ ب م : وأفرغ فيها ... سكتة .

٦ ب م : بسجوة .

وله فيها :

بعثتُ بها يَعنو لها كلُّ نائِرٍ ويعيا^١ بما ضمنتها كلُّ قارضٍ
جعلتُ حياتي أجراً من قالَ مِثلَها فمن شاءَ عُمراً طائلاً فليُقارضِ

وأنشدني أيضاً لنفسه :

فويحَ جُفوني كيفَ تَطلِقُ لحظَها ورؤيةُ هذا الخلقِ تتركها رُمداً
نوائبُ غالتي فأبدتُ فضائلي فكانتُ وكنتُ النَّارَ والعنبرَ الورداً

وهذا من قول أبي تمام^٢ :

لولا اشتعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتُ ما كان يعرفُ طيبُ عَرَفِ العودِ

ومنها يصفُ ناقةً :

تجدُّ على أنَّ الفَياني بَرَّينها فتعريفُها عتقاً وتكرُّها جهداً

ومنها في المديح :

فلولا علاهُ عِشتُ دهرِي كلَّه وكيسُ كلامي لا أحلُّ له عَقداً

قال ابن بسّام : واستعارته كيساً للكلام ، من مضحكات الأنام ،
وقرأتُ في أخبار الصاحب ابن عباد قال^٣ : كنا نتعجبُ من قول أبي تمام^٤ :

١ في النسخ : ويمى .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٢ .

٣ انظر رسالة الكشف عن مساوئ المتنبي (مع الإبانة للمصلي) : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ٢٥ .

« لا تسقني ماء الملام » ، ونستبشعُ استعارته له ماءً حتى عذبتُ عندنا
: « حلواء البنين » في قول أبي الطيب :

وقد ذُقتُ حلواءَ البنينَ على الصبا فلا تحسبني قلتُ ما قلتُ عن جهل

كيف لو سمعَ الصاحبُ استعاراتِ أهل وقتنا ، كقول المهدي بن الطلاء :
* بقرأطُ حُسْنِكَ لا يرثي على علي *

وقوله :

* أفاقت بك الأقطار من برص البلوى *

[وقول ابن الطراوة :

أبا حَسَنٍ فُتَّ الملوكةَ مهابةً فكلَّهمُ فأسُ المهابةِ عالكُ]

وقول حسان بن المصيصي :

إذا كانتَ جفانُكَ مِن لُجَينٍ فلا شكَّ الغنى فيها ثريدُ

وقد قدح أهلُ النقد في المتنبي بخروجه في الاستعارة إلى حيز البُعْدِ
بقوله :

مَسْرَّةٌ في قلوبِ الطيبِ مفرقها وحسرةٌ في قلوبِ البيضِ واليلبِ

١ انظر الوساطة : ٤٢٩ ، ١٨٠ ورسالة الصاحب : ٢٤٤ ، وأبيات المتنبي في ديوانه :

٤٢٤ ، ١١ ، ١١٩ ، ٥٧٢ ، .

وفي قوله :

إِلَّا يَشْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِيدٌ شَيْباً إِذَا خَضِبَتْهُ سُلُوءٌ نَصِلاً

وفي قوله :

لَمْ يَحْكْ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمْتُ بِهِ فَصَبَّيْهَا الرُّحَصَاءُ

فجعلَ كما تسمع للطيب واللب والبيض قلوباً ، وللكبدِ شيباً وللسحاب حُمى ، [كما جعلَ أبو تمام الدهرَ يُصرَعُ في قوله :

* خُطوبٌ كَانَ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ^١ *

وجعله بشار يموق بقوله^٢ :

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّيْمَانِ إِذَا صَحَا صَحُوتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّيْمَانُ أُمُوقُ

وكذلك [أخذ على المتنبي في قوله :

لَوَيْتَهُ دَمْلُجاً عَلَى عَضْدٍ لِدَوْلَةٍ رَكْنُهَا لَهُ وَالِدُ

لَمَا كَانَ الْمَدْمُوحُ لِعَضْدِ الدَّوْلَةِ أَرَادَ أَنْ يَصُوغَ لَهُ دَمْلُجاً فَأَخْطَأَ الصَّوْغَ ،
لَا سَيْمًا فِي بَيْتٍ خَتَمَ بِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَهُوَ آخِرُ مَا يَقَعُ فِي السَّمْعِ ، وَأَعْجَبَ
مِنَ الصَّاحِبِ ابْنَ عَبَادٍ حِينَ لَمْ يَجِدْ مِنْ اسْتِعَارَاتِ أَبِي تَمَامٍ شَيْئاً يَنْعَاهُ إِلَّا قَوْلَهُ
« مَاءُ الْمَلَامِ » وَلَيْسَ هَذَا بِأَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ : « هُوَ كَوَكَبِ الْإِسْلَامِ آيَةُ ظُلْمَةٍ » .

١ ديوانه ٢ : ٣٢٤ و صدره : تروح علينا كل يوم وتفتدي .

٢ ديوان بشار : ١٦٥ (جمع العلوي) .

ولأبي حفص ابن بُرد من أهلِ أفقنا شيء مضحكٌ على رشاقتِه وهو قوله :

يا شاعِرَ الحُسْنِ بي تَرَفَّقْ لا تَقْتُلْنِي كذا بديها

وإن كان أبو بكر بن عَمَّار اتَّبعه ، فلقد صفعه ، أو اقتفى أثره ،
فلقد طوى خبره ، بقوله .

رَوَى ليضربَ وابتدعت لطفة^١ إنَّ الطَّعَانَ بَدَائُهُ الفِرْسَانِ

ومن شعر ابن شماخ ما أنشدنيهِ من قصيدة :

بلى قد حلبتُ الدَّهْرَ في كلِّ وجهةٍ	فلم يَبْقَ خِلافٌ يُسْتَدَرُّ ولا شطرُ
[فأصديتُ حتى ضنَّ السَّحْبُ بالحيا	ورويْتُ حتى أهلٌ بالسَّيْلِ الصَّخْرُ]
وكانَ على الإنسانِ إنْفادُ جهده	فإنَّ يُكْذِبُ بعدَ الجَهدِ كانَ له عذر
على العُضْبِ أن يفرى إذا جَرَّدَ الصلا	وليسَ عليه التَّاثُ أو ساعدَ النُّصر
وقُدِّرَ لي استيطانُ لك ^٢ وقلَّما	يكونُ لمن كانتَ له وطناً قدر
مُؤَهَّلَةٌ مِن أَهلِها غيرَ أنَّها	مِنَ الكَرَمِ المَوجودِ في غيرها قفر
فإن كسدتْ أَعلاقُ علمي لَدِيهِم	فلاغرو أن يكسِدَ لَدَى النِّعمِ الشَّدَر

جَزَمَ بِحَرَفِ النَّصْبِ وأراه وهم فيه . على أن أبا الحسن اللحياني حكى

١ ب م : بطمئة .

٢ لعلها يك (Yecia) شمال مرسية ؛ وهناك لكّة وهي من كورة شذونة حيث كان لقاء طارق ورذريق (الروض المطار : ١٦٩) وذكر صاحب الروض (١٨٥) لكّة في أقصى الشمال ، مما يجعل تعيين الموضع الذي قصده ابن شماخ غير متيسر .

في نوادره أن بني صباح من بني ضبة^١ يجزمون بعوامل النصب ، وأنشد
لشاعرهم :

وأغضي على أشياء منك لترضني وأدعى إلى ما سرّكم فأجيبُ
وليسَ العملُ به ، ولا لمحدثٍ أن يتعلّق بسببه .

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا لك إن لم تُقَضَّ لي عنك رحلةٌ فلا يُقَضَّ إن يمتدَّ فيك لي العمرُ

قال ابن بسام : فكأنه والله أُجِيبَتْ دعوتهُ في هذا البيت ، لأنه ماتَ
فيما أرى وقد نَيْفَ على الثلاثين .

وقرأتُ في أخبار المتنبي في القصيدة التي ودع فيها عضد الدولة فجرت
فيها ألفاظٌ على لِسَانِهِ كأنه ينعى فيها نفسه ولم يقصد ذلك ، منها قوله :

ولو أني استطعتُ خففتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا^٢

ثم قال :

إذا التوديعُ أعرض قالَ قلبي عليك الصمتَ لا صاحبتَ فاكَا

وقال في آخرها :

وأيّا شئتَ يا طرفي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكَا

١ بنو صباح : انظر الاشتقاق : ١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٨ .

٢ ديوان المتنبي : ٥٨٤ ، ٥٨٦ .

فجعل قافية البيت « هلاكاً » فهلك ، وذلك أنه ارتحلَ عن شیراز
 حضرة عضد الدولة بعد أن وصلَ إليه من صلاته أكثر من مائتي ألف
 درهم ، فخرج عليه في طريقه قومٌ من بني ضبة الذين كان هجّاهم ،
 فحاربهم فأجلت الواقعةُ عن قتله وقتل ابنه مُحسّد ونفر من غلمانهِ ،
 وفاز الأعرابُ بماله ، وذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . وأول من جرت
 على لسانه ألفاظٌ يُطّير منها المؤمل بن أمّيل^٢ في قوله :

شفّ المؤملَ يومَ الحيرةِ النظرُ ليّتَ المؤملَ لم يُخلَقْ له بصرُ

فعمى .

ومن شعر ابن شَمَاح من جُملة قصيدةٍ وصف فيها ارتحالَهُ عن وطنه ،
 ومَشَوَاهُ باشبيلية على غير رضى ، أولها :

يا ليت شعري هل دامت لهم^٣ حال عهدتها في حفاظِ العهد أم حالوا؟

يقول فيها :

فإن تكن سائلاً عمّن تركت فقد شابّ الشباب وقد شَبَّ الاطفال
 صَبَرْتُ والبُعْدُ أحوالٌ وذاعجب ولم أكن صابراً والبعدُ أميالُ
 أرجو الإيابَ لَأَلْ^٤ فيه أسمعهُ والدهرُ يفعلُ ما لا يخبرُ الفالُ

١ في النسخ : محسن وتفرق غلمانهُ .

٢ قد مر التعريف به ص : ٥١٢ وانظر الأغاني ٢٢ : ٢٥٥ - ٢٥٦ .

٣ ب م : بهم .

٤ ط : يقال .

وفيهما يقول :

فهل لهم سائل عني فيخبرهم
إن كان يسأل عن ثوبي فلا دَرَن
أضاع مجدي مال ضيعته يدي
وبزّ حالي ترحالي إلى بلد
أقمت حولين فيه خاملاً^١ خرساً
بَل لم أزل مُعرباً عما لدي فلم
أطال شغلي فراغي مُدّ حللت به
إن أبق في حمص تبق النار في حجر
[وعز من العيش مالي أرتقبه وفي
ضاءت بسود دهم أرجاء قرطبة]

كما أنا عنهم مُدّ غبتُ سأل؟
أو كان يسأل عن حالي فلا حال
ما أضيع المجد لأن لم يرعه مال
مُدّ جشته لم يكن لي عنه ترّ حال
كأنتي وأنا السلسال صلصال
أجد به مُعرباً يُنبيه تصهال
إن الفراغ من الأشغال أشغال
وإن أسر سار في الآفاق سلسال
بني أبي لنا بالمصر آمال^٢ !
وعاد إدبار ذلك العصر إقبال

فصل في ذكر الفقيه أبي عمر أحمد بن عيسى اللبيري^٣

من أفراد الزُّهاد - كان - في ذلك الأوان ، ومع ما كان أديباً عليه
يومئذٍ من الأمور ، وجُعِلَ إليه من التقديم والتأخير ، فإني وجدته خالصاً

١ ب م : جامداً .

٢ ط : العيش .

٣ أورد ابن بشكوال ترجمة لأبي عمر أحمد بن يحيى بن عيسى اللبيري الذي يروي عنه
أبوالمطرف الشعبي ، وقد لقيه أبو المطرف بقرنطة سنة ٤٢٨ ، وكان أبو عمر يعرف قديماً
بابن المحتسب ثم عرف بابن عيسى ، وكان أديباً شاعراً متكلماً ، له مؤلفات قرأها عليه أبو
المطرف ، وقال ابن خزرج ان ابن عيسى توفي سنة ٤٢٩ (الصلة : ٤٨) وترجم له ابن
سعيد (المغرب ٢ : ٩٥) في قسم البيرة ، ولكن جانباً ما ذكره مختلط بترجمة أبي الوليد
غانم ، وهي الترجمة التالية .

الأدب، [محصّد السبب]، ذهب بفُصُوصِهِ وعيُونِهِ ، وتلاعبَ بمشوره وموزونِهِ ، وتصرّفَ بين مذاله ومَصُونِهِ ؛ إلاّ أن أكثرَ ما ألفتُ له من المقطوعات والأبيات ، في الزهدِ والعظات ، وقد كتبتُ منها ما هو من شرطِ هذا المجموع^١ .

أخبرني مَنْ لا أَرُدُّ خبره عن الفقيه أبي المطرفِ الشعبي^٢ عن شَيْخِهِ هذا الفقيه أبي عمر بن عيسى ، قال : خاطبتُ الوزيرَ أبا العباسِ بنِ العريفِ في أرضٍ تَعَدَّى عليّ فيها برُقعةٌ منها :

أما بعد ، وفقّك الله لما يُرضيه منك عملاً ، ويرضيكَ منه جزاءً ؛
فإنّ للدُّنيا حرثاً والنّاسُ زارعون ، وكلٌّ في معاده ، يأكلُ من حصاده ،
وذو الجاه يُسألُ في الآخرةِ عن جاهه ، كما يُسألُ ذو المالِ عن ماله .
وقد أحوجتِ الأيامُ إلى جاهيك ، وأغنتِ القناعةُ عن مالِك ، فاتخذُ
عندي اليومَ يداً ، تجدّها عند اللهِ مضاعفةً غداً ، فالحظُّ حاجتي بعين
يَقْظَتِكَ ، ولا تلحظها بعينِ سنّيك ، فإنّ لله تعالى لَوُحاً ضمّته المقاديرَ كلّها ،
يلحظُها في كلّ يومٍ ليلةٌ ثلاثمائة وستينَ لحظةً ، يحجي بكلّ لحظةٍ
ويُتميت ، ويُعزِّزُ ويذلّ ، ويرفعُ ويضع ، ويفعل ما يشاء ويُحكِّم ما يُريد ؛
واعلم أنّك تُلحظُ بمثلِ ما به تُلحظُ .

١ ب م : ما هو شرط للكتاب .

٢ أبو المطرف الشعبي هو عبد الرحمن بن قاسم من أهل مالقة ، كان فقيهاً ذا كراً للمسائل يحفظ المدونة وغيرها ، أخذ عن شيوخ مالقة كابني أيوب الالبيري وحسين بن موسى الفقيه المشاور وغيرهما ، وشوور ببلده في الأحكام ، توفي سنة ٤٩٧ (الصلاة : ٣٢٩ وأدباء مالقة : ١٣١) .

وله من أخرى : خاطبَ بها بعضَ إخوانِهِ سنةَ سِتِّ عشرةَ وأربعمئة : سَمَتَ بك سماءُ العلمِ إلى سُمُوهِ ، ودنَّتْ بك أرضُ السكينةِ إلى دُنُوهِ ، ودارَ بك فلَكُ المعرفةِ ^١ في مَلَكُوتِهِ ، وغابَتْ بك نجومُ الحكمةِ في جَبَرُوتِهِ ، وهَيَّأتْكَ يَدُ القُدْرَةِ هيئةَ روحانيَّةٍ ، وأحيَاكَ رُوحُ القُدُسِ حياةَ إلهيَّةٍ ، وألبَسَتْكَ الشريعةُ لباسَ التقوى ، وراشتْكَ الطَّبيعةُ بَرِيشَ النِّهى ، حتَّى تَطِيرَ مع الرُّوحانيِّينَ ، في مجالِ الصِّدِّيقينَ ، إلى منازلِ المُقَرَّبِينَ ، فتذوقَ بَرْدَ عيشِ النِّعيمِ ، وتلذَّذَ بالنَّظَرِ إلى وجهِ القَيُّومِ ، وتشنَّاقَ إلى لقاءِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ . هيهات ! كيف يَنعَمُ مَنْ لا يَعْلَمُ أينَ ^٢ النِّعيمِ ، من مُلْكِ القديمِ ؟ ! إنَّ لَهِ يا أخِي عباداً أقامَ أرواحَهُم بقيوميَّتِهِ على صراطٍ مستقيمٍ ^٣ ، فمشتَ بأقدامِ الصِّدِّيقِ إلى الحقِّ ، فدنتَ مِنْهُ ، فنظرتَ إليه على جلالِهِ ، في اتِّساعِ كمالِهِ ، فضعُفَتْ لكبرِ سُلْطَانِهِ ؛ ثُمَّ أَفاقَتْ بالإسلامِ ، ونَطَقَتْ بالإيمانِ ، وأبصرتُ بالإحسانِ ، واتَّصلَتْ بالقرآنِ ، فأمرَها فقامتْ بالخدمةِ ، وعَلِمَها ففازتْ بالحكمةِ ، فانقطعَتْ إليه بالكلِّيَّةِ ، ودانتْ لَهُ بالحنيفيَّةِ ، فأَواها إلى كنفِهِ ، ونَعَمَها بطرائفِ تَحْفِهِ ، فمُلِكُها أبداً لا يبيدُ ، وعَلِمَها بِهِ يَزِيدُ ؛ حتَّى أَطْلَعَ لها السِّرَّ ، وأَكَلَ لها البرَّ ، فحَيَّيْتَ بِقُرْبِهِ ، وشَرِبْتَ بِكَأْسِ حُبِّهِ ، فرفَضْتَ الأسبابَ ، وخرَقْتَ الحِجابَ ؛ وبَيَّضَ وَجوهَها البرهانَ ، وأثْلَجَها البَيانَ ، ﴿ وَجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ ، إلى رَبِّها نَاطِرَةٌ ﴾ (القيامة : ٢٢) فرحمانَهُم عَلامُهُم ، وجَبَّارُهُم رَزَّاقُهُم ، خَلَّاهُم مَلَأَ ، ومَلَّاهُم خَلَّاءَ ، وسَمَّاهُم أَرْضَ ، وأَرْضَهُم سَماءَ ، روحانيُّونَ جَسَمانيُّونَ إنسيُّونَ مَلَكِيُّونَ ، أولئك الأَصْفِياءُ الأتْقِياءُ ، الأولياءُ النُّجَباءُ ، أَنامُ العَوْنُ ، فسادَهُم الكونُ .

١ ب م : العلم .

٢ ب م : أين .

٣ ب م : صراطها المستقيم .

ومن شعره

أنشد له الفقيه أبو المطرف الشَّعْبِي :

يا خالقاً خلَقَ الزَّمانَ بِقُدْرَةٍ في غيرِ حينٍ من أحيانِ الزَّمانِ
يا مُحدِثاً للكلِّ كُنْتَ ولم تزلْ وكذاك ربِّي لا يزالُ بلا مكانِ
أنت الذي جَلَّتْ صِفَاتُ جَلالِهِ وعلتْ^١ جلالَتُهُ عن أدراكِ العيانِ
وأنشد له :

مَلِكٌ تَعَالَى فَوْقَ غَايَاتِ العُلا يَقْضِي القَضَاءَ على نِهاياتِ الثَّرَى
من فوقِ فوقِ الفوقِ يَنفِذُ حُكْمَهُ في تَحْتٍ تَحْتِ التَّحْتِ تَحْتِ الإِنْتِها
قُرْباً وَبُعْداً وهو أبعدُ مَنْ نأى مِن كلِّ شَيْءٍ وهو أَقْرَبُ مَنْ دنا
جَلَّتْ صِفَاتُ جَلالِهِ فَجَلالُهُ قد جَلَّ^٢ عن تَحديدِ كَيْفٍ وَمَنْ وما
وأنشد له أيضاً :

شَرِبْتُ بِكَاسِ الحُبِّ مِنْ جَوْهَرِ الحُبِّ رَحِيقاً بِكَفِّ العَقْلِ في رَوْضَةِ الحُبِّ
وخمَامَرِ ماءِ الرُّوحِ فَاهْتَزَّتِ القُوى قُوى النَفْسِ شَوْقاً وارْتِياحاً إلى الرَّبِّ
وَنادَى حَشيّاً^٢ بِالْأَنِينِ حَشيْنُها : لاهي لاهي مَنْ لِعَبْدِكَ بِالْقُرْبِ ؟
فخاطَبَهُ وَحياً إِلَيْهِ مَسْلِكُهُ : سَأَكشِفُ يا عَبيدي لَعينَكَ عن حُجُبِي
فأَعْلَنَ بِاتِّساعِ : مِثْلِكَ لَمْ أَجِدْ تَعالَيْتَ عن كَفِّ يَكافِيكَ أو صَحْبِ

١ في النسخ : وجلت (اقرأ : جلّت) .

٢ ط : حشينا .

أَجُولُ بَعْضِي فَوْقَ بَعْضِي كَأَنِّي بَبَعْضِي لِبَعْضِي كَالنَّجَائِبِ وَالرَّكَبِ
فَتَحْذُ بِيْزَمَامِ الشَّقِيقِ مِنِّي تَعْطِفًا إِلَيْكَ وَلَا تُسَلِّمَ زَمَامِي إِلَى لُبِّي
لَعَلِّي أَسْقَى ثُمَّ أَسْقَاهُ دَائِمًا رَحِيقًا بِكَفِّ الْعَقْلِ مِنْ جَوْهَرِ الْحَبِ

ويجانب هذا رقعة^١ مرت بي في بعض التعاليق لرجل ناسك من أهل سرقسطة كتب بها مداعباً لصديق ، كتب إليه : ليت شعري يا أخي ما الشراب الذي تشربه [وتستعمله] ، فتحمروا عنه وجناتك ، وتنشط إلى سعيك حر كائنك ؛ بياضك أبدأ^٢ مشرب^٣ بحمرة ، كأنك مدمين^٤ خمرة ، وأنت في كل حال طروب^٥ لعوب^٦ ، غير عبوس ولا قطوب ، لا يظهر عليك هم ، ولا يحامرك غم ؛ فلو وصفت لي صفة غداك وشرابك ، رجوت التأهب بإهابك ، والتخلق بأخلاقك وآدابك .

فأجابته الزاهد :

خُذْ كَأَةً^٢ اللَّيْلِ فِي جَامٍ مِنَ السَّهْرِ وَاسْكُبْ عَلَيْهِ دُمُوعَ الْعَيْنِ بِالسَّحْرِ
وَامزُجْهُ بِالْخَوْفِ مَزْجًا نَاعِمًا^٣ أبدأ^٤ وَقُمْ عَلَى قَدَمِ الْإِيرَادِ وَالصَّدَرِ
وَاجْعَلْ مِنَ الشَّقِيقِ مَخَوَاضًا لِسَاكِبِهِ لِيَسْتَوِيَ لَكَ مِنْهُ الصَّفْوُ بِالْكَدَرِ
وَاشْرَبْهُ مُصْطَبْرًا بِاللَّهِ وَارْضَ بِمَا يَجْرِي عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ فِي الْقَدَرِ
وَاغْسِلْ بِبَاقِيهِ وَجْهًا لَا حَيَاءَ بِهِ أَلْقَتْ^٥ عَلَيْهِ الْمَعَاصِيَ حِمَاةَ الْغِيَرِ

١ ط : مشوب .

٢ ب م : كيت (اقرأ : كنة) .

٣ ب م : دائماً .

٤ ط : مخواصاً ؛ ب : مخواضاً .

٥ ب م : أبقت .

لعلَّ قلبَكَ أن تصبو معاطنه لتستمدَّ^١ مجاري السمع والبصر
 فيهندي كلُّ عضوٍ نحوَ غايته فبينَ مُزدَجَرٍ عنه^٢ ومُعْتَبِرٍ
 إنَّ الوجوهَ قلوبٌ إن نظرت إلى حقائقِ الحالِ أو حدَّدتَ^٣ في النظرِ

إذا امتلأت القلوبُ مِن ضُروبِ دَواعِيها ، أظهرتُ الوجوهُ بطلانَ
 دعاويها ، ونمَّ على الأوعيةَ ما جُعِلَ فيها ، ولذلك قالَ من قال : الحمدُ
 لله الذي ألبسَ أوليائه حُللاً من ضمائرهم ، وأنارَ وجوههم بنور إخلاص
 سرائرهم ، وكلَّلهم بالمهابةِ في العيون ، وطهرَ قلوبهم من اختلاجِ سوءِ
 الظنون ، فنفوسُهم مستريحةٌ رائحةٌ ، ومحاسنهم لأهلِ العقولِ لائحةٌ ،
 وثناؤهم عطرُ الانتسام ، فهم بينَ الأنامِ كالأعلام ، بهم يُستمطرُ الغمامُ
 إذا حُجِب ، وفي جُمْلَتهم يُحشرُ السعيدُ إذا نَجِب ، فمن جاراهم نُكِب ،
 ومن حاربتهم غُلِب ، ومن أفلَحَ إليهم بخلافٍ ربحهم عطب .

ومنها : يا بؤسَ مقامِ الظالمين ، وندامةَ العاصين ، إذا رأوا العذاب ،
 وتقطعتْ بهم الأسباب ، ويقولونَ هلَّ إلى مَرَدٍّ من سبيل ، ولاتَ حينَ
 سبيلٍ ﴿ وأنتى لهم التناوشُ من مكانٍ بعيدٍ ﴾ (سبأ : ٥٢) ، ﴿ ولو رُدُّوا
 لعادوا لما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ (الأنعام : ٢٨) ، كيفَ يتعلَّقُ المنقطعُ
 بحَبْلِ الاتصال ، أو يجدُ قلبُه بَرْدَ ماء الوصال ، وقد خالف أمرَ الكبيرِ

١ ب : تصفو معاطفة ؛ ب م : تستمر .

٢ ط : جدت .

٣ ب م ط : سر .

٤ انظر الآية : ٤٤ من سورة الشورى .

المُتَعَال ؟ ألا وَمَنْ خَالَفَ خَوَلِيفَ بِهِ ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الرِّشَادِ
نَكَصَ عَلَى عَقْبِهِ ، وَمَنْ أَبْصَرَ وَاجْتَهَدَ أَدْرَكَ غَايَةَ مَطْلُوبِهِ ، وَاتَّصَلَ
بِمَحْبُوبِهِ ، وَوَصَلَ إِلَى رِيَاضِ مَرْغُوبِهِ ، وَصَلَ وَاللَّهِ إِلَى مَقَامِ أَمِينٍ ،
فِي جَنَّاتٍ وَعِیُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ :

كَمْ بَيْنَ مَنْ عَبَرَ الصَّرَاطَ^١ خَفِيفًا وَأَمَى إِلَهَ مِنْ الذُّنُوبِ نَحِيفًا
وَطَوَى الْمَرَاحِلَ بِالطَّوَى عَنْ كُلِّ مَا كَرِهَ إِلَهُ وَجَانِبَ التَّعْنِيفِ
حَتَّى أَنَاخَ بِيَابِهِ وَقَبَائِهِ ضَيْفًا عَزِيزًا عِنْدَهُ مَعْرُوفًا
فَأَتَى الْقِرَى بِجَبَائِهِ وَجَزَائِهِ^٢ حَتَّى يَنَالَ مِنْ النِّعَمِ صُنُوفًا

**فصل في ذكر الأديب العالم النائر الناظم أبي محمد غانم^٣ ، والأخذ
بطرفٍ مستظرفٍ من خبره وحميده أئره**

قال ابن بسّام : وكان أبو محمد غانم بن وليد ، ونسبه في بني مخزوم ،
قد بَدَأَ وقته أهلَ ذلك الإقليم ، في أنواع التعاليم^٤ ، فَرَدَّ عَصْرَهُ ونَسِجَ
وَحْدِهِ ، في تناهي جدّه ، مُتَفَنِّئًا جَرَى في ميدان السَّبَقِ ، وفقهياً قرطس

١ ط : الطريق .

٢ ط : وجوابه .

٣ هو غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي من أهل مالقة (٤٧٠ -) ؛ انظر الجلاوة :

٣٠٦ (والبنية رقم : ١٢٨٠) والصلة : ٤٣٣ وأدباء مالقة : ١٧٩ والمطبع : ٦٠ والمغرب

١ : ٣١٧ والمطرب : ٨٤ ومعجم الأدباء : ١٦ : ١٦٧ وبنية الوعاة : ٣٧١ وصفحات

متفرقة من النفع .

٤ ب م : وجميل .

٥ ب م : في مخزوم .

٦ ط : التعليم .

أغراض الحق ؛ وكان في هذا الباب الذي ولجنا فيه من أهل الرويّة والبدية ؛
حدث عنه الفقيه أبو عبد الله بن عُمَيْشَل^١ وكان من خاصّته الملازمين له ،
والآخذين عنه ، أنّ أبا محمد أنشد هذين البيتين^٢ :

وإذا الديار تنكّرت عن حالها فذرّ الديار وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك حتماً واجباً في بلدة تدعُ العزيز ذليلاً

وسئل الزيادة عليهما فقال :

لا يرتضي حرّاً بمنزل ذلّة إن^٣ لم يجد في الخافقين مقبلاً
فارض العلاء الحرّ نفسك لا تكن ترضى المذلّة ما حييت سببلاً
واخصص بودك من خبرت وفاء لا تتخذ إلاّ الوفيّ خليلاً
فلقد خبرت الناس منذُ عرفتهم فوجدتُ جِنْسَ الأوفياء قليلاً
سقياً لأيام الشباب فإنّها كالإلفِ حاول أن يُجدّ رَحِيلاً

جملة من نثره

من ذلك رُقعةٌ خاطبَ بها بعضَ إخوانه بغرناطة ، قال فيها :

يا سيّدي سموّاً ، وسندي علوّاً ، كلُّ جوادٍ من بني جودي سابق ،

١ ذكر ابن عمكر في أدباء مالقة : ١٦٦ علي بن عميشل وقال : من أشياخ مالقة ، ولم يذكر
كنيته ، وذكر ص : ١٩٠ سليمان بن عميشل ، ويرجع بنسبه إلى قبيلة عاملة ، وكنيته أبو أيوب .
٢ وردا في المغرب ١ : ٣١٨ ومعهما بيت ثالث .

٣ ب م : لو .

٤ ب م : الوفاء .

• بنو جودي : ينتسبون إلى بني سعد بن بكر بن هوازن ، وقد رأس بعضهم (النفع) :
(٢٩١) ؛ كان جدّهم جودي بن أسباط يلي الشرطة للحكم الرضوي ، كما ولي قضاء البيرة (الحلة
١ : ١٥٥) .

وكلُّ سَيِّدٍ مِنْ بَنِي سَوَادَةَ سَامِقٍ ، وَلَوْلَا أَنْ أَجَاهَرَ بِسَرِّ الْإِطْرَاءِ ، وَأَنَاظَرَ
فِي بَابِ الْإِغْرَاءِ ، لَقُلْتُ لِنَتِكَ حَابِسُ لَوَائِهِمْ ، وَفَارِسُ وَفَائِهِمْ ، وَحَارِسُ
ثَنَائِهِمْ ؛ وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ كَانَ لَكَ سَمِيًّا ، فَلَقَدْ كَانَ سَرِيًّا ، وَفِي الْفَضْلَاءِ
سَنِيًّا ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا .

وَرَدَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - كِتَابُ الْذُّنُ مِنْ مَرَاشِفِ الْأَحْبَابِ ، وَخَطَابُ
أَرْقٍ مِنْ مَعَانِي أَبِي الْخَطَّابِ ، عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ ، فَلَهُ عَلَى عِلْمِكَ مَعَانٍ
بَدِيعَةٍ ، جَلَوَتْ مِنْهَا زَهْرُ الْمَعَانِي فِي رِيَاضِ الشَّعْرِ ، وَعُرُوسُ الْأَمَانِي فِي نَثَارِ
النَّثَرِ ، وَتَبَسَّمَ لِي عَصْرُ الرَّبِيعِ قَبْلَ أَوَانِهِ ، فَتَقَسَّمَ نَازِلِي بَيْنَ شَقَائِقِهِ
وَحُودَانِهِ ، وَوَرَدِهِ وَسُوسَانِهِ ، إِلَى لَطَائِفَ مِنْ أَبْكَارِ دُرَرٍ ، وَأَنْوَاعِ
غُرَرٍ ، بَعْضُهَا مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ ، وَبَعْضُهَا مِنْ بَنَاتِ الذِّكْرِ ، وَغَيْرُ نَكِيرٍ
أَنْ يَصِيرَ رَوْضُ النَّهْيِ ، فِي حُلِيِّ رَوْضِ الرَّبِّيِّ ، وَدَرِّ الْأَفْكَارِ كَدَرِ التَّجَارِ .
وَلَمَّا رَتَعَ نَازِلِي فِي تِلْكَ الْمَرَاتِعِ ، وَرَبَعَ خَاطِرِي فِي تِلْكَ الْمَرَابِيعِ ، هَزَّتْنِي رَاحُ
الْأَرِيحِيَّةِ ، وَازْدَهَنَتْنِي خَفَّةُ الْأَمْنِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الرَّاحُ ،
لَطَرْتُ بِلَا جَنَاحٍ ؛ تَذَكَّرْتُ بِخَطَابِكَ وَنِظَامِكَ تِلْكَ الشَّمَائِلَ ، بِمَالِقَةٍ ،
وَرَوْحَ تِلْكَ الْبُكَكْرِ وَالْأَصَائِلَ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي لَيْالٍ قَلَائِلَ .

وَفِي فِصْلِ مِنْهَا : وَمِمَّا أَغْفَلْتُ بِقَلَّةِ الْيَقْظَةِ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ الْأُ تَكْتُبُهُ
عَلَيَّ الْخَفِظَةَ ، تَهْنِئَتُكَ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ ، وَالْفَرَعِ الْمُوْدُودِ ، وَالنَّجْمِ
السَّعِيدِ ، الَّذِي تَطْلُعَ فِي أَفْقِ سَمَائِكَ ، وَتَلْفَعُ بِلِفَاعِ ضِيَائِكَ ، مُلْتِيَةً
وَلَدًّا بَرًّا ، وَوَفِيًّا حُرًّا .

تَقَسَّمَتْ خَطَرَاتِ الْقَلْبِ رِيحَانٍ هَذَا ارْتِيَا حِي فِي هَاتِيكَ رِيحَانِي

١ ط : بِالرَّاحِ .

٢ وَرَدَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فِي آدِبَاءِ مَالِقَةٍ : ١٧٩ - ١٨٠ .

لأني على السنّ والدنيا موليةٌ
أرتاحُ نحو نسيمٍ ساق عرفهمُ
أمن ليرةَ تسري الرّيحُ حاملةً
مقرّ مُلكِ الرئيسِ المستجار به
يا لائحَ البرق من أعلامها غسقاً
طودٌ من العلم والآدابِ راسيةٌ
حرُّ الفضائلِ معسولٌ شمائله
أحيا أبو الحسنِ المشهورُ منصبه
قد كان عتبي موصولاً على زمي
لذو فؤادٍ إلى الإخوانِ حنّان
كأنما يعتلي بالجسمِ روحاني
روحَ النسيم فأحياني وحيّاني ؟
باديسَ فاز بتمكين وإمكان
جُدْ بالتحيةِ من حيّا فأحياني
أصولهُ وذراهُ فوق كيوان
يُخصّصُ من زينةِ العليا برُجحان
محاسنَ الدهرِ من حُسن وإحسان
حتى طلعتَ به بدرأ فأرضاني

وله من أخرى خاطب بها أبا الحسن الحصريّ : ما أفصحَ لسانك ،
وأفسحَ ميدانك ، وأوضحَ بيانك ، وأرجحَ ميزانك ، وأنورَ صباحك ،
وأزهرَ مصباحك ، أيّها السابق المتهمّل في ميدان النبل ، والسامقُ
المتطولُ بفضائل الذكاء والفضل ، أرحمني من غُلِّ^٣ الهمّ ، فازدهني
أريجيّة ، وأزحني عن ظلّ الغمّ ، فلاحَت لي شمسُ الأُميّة ، بما أطلعته
عليّ ، وأنفذته مكارمك إليّ . فقلت : أعصُرُ الشّبابَ رجّع ، أم كوكبُ
السّعدِ طلّع ، أم بارقُ الإقبالِ لمع ؟ كلا والله ، إنها لمكرمةٌ فهريّة ،
أهدتها نفسٌ سنيّة ، وهمّةٌ عليّة . إن قلتُ الوشي الصنّاعي فقد نقصتها ،

١ أدباء مالقة : الفارط .

٢ ب م : والشاق ؛ أدباء مالقة : والسابق .

٣ أدباء مالقة : جوى .

٤ ب م وأدباء مالقة : وأهدته .

ه ط : أهدتها .

أو الديباجُ الخسروانيّ فقد بحسبها . بلى والله ، أرثني زهرَ الربيع في غير أوانه ، وحسن الصنيع على عَدَمه في أهلِ زمانِه ، لمحتُ منه عِقْدَ اللآلِ ، يبقى على أخرى الليالِ ، فأنت واحدُ البلاغة الذي لا يجارى . وفارسُ الفصاحة الذي لا يُبارى . وقد اعتقدتُ ما به أشرت ، وإياه اعتمدت ، لو لاح لي في أفقِ النقلةِ صباح ، أو استقلّ بي في طُرُقِ الرحلةِ^١ جناح . وكم حاولتُ^٢ مسالمةَ النوائبِ بانقباضي . ومدارةَ الدنيا بتركي لأغراضها ولمعراضي ، فإذا الانقباضُ قد حصّني في جملةِ التقبّض . والتركُ للأغراض قد جعلني للنوّبِ كالغرض ، ولا سلاحَ إلّا الدُّعاء إلى الله تعالى في الصّلاح ، ولا جناحَ إلّا التّمني لمن يقولُ ما عليك جناح ؛ فسبحان من قدرَ أن أكونَ لنابِ الثّوبِ حرباً ، وتكونَ عليّ أيامُ الزمانِ إلِباً . أصلى بنارِ المصائبِ السّود ، كأنّي ممّا أنا بالكِ منه محسود^٣ . أستغفرُ الله! فقد حمي صدري حتى غلّى مِرْجُلُهُ ، وضاقَ مجالُ فكري حتى اتّسعَ في الشّكوى مِقْوَلُهُ . ولو أني سلّمتُ لمواقعِ الأقدار . وعلمتُ أنّه ليس على القدرِ اختيار ، ورضيتُ بما يأتي به اللّيلُ والنّهار . وتيقّنتُ أنّ خُلُقَ الزمانِ عداوةُ الأحرار ، لأرحتُ قلباً يتقلّبُ في جمرِ الأسى . وأذكرتُ لُبّاً قد نسي الاقتداء بالأسى .

١ ط : الوصلة .

٢ ط : حاولت .

٣ من قول المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأحبه أني بما أنا بك منه محسود

ومن شعره

أنشد له الفقيه [الزاهد] المذكور في الزهد :

صرفت بقايا العمر في طاعة ولا يغررتك كيد الغرور
وارحل إلى الأخرى بزاد التقى فلنما الدنيا متاع الغرور

قال : وخرجنا معه إلى ربوة تعرف بالعقاب مشرفة على وادي
مالقة ، فقال بديهة^١ :

ضحك الزمان بحسنه وبهائه كالصب يضحك بعد طول بكائه
وكان إقبال الربيع بوصله وصل الحبيب أذاك بعد جفائه
وكانما وادي العقاب عشية مستمطر دمي بجزية مائه
وكان رشح الطل في روض الرئي رشح الحدود بدا بنار حياته

قال : وهبطنا إلى الوادي فلم نجد ماءً ، فحفرنا في الرمل حتى خرج
الماء من قاعه ، فقال :

أيها الحسي الذي جا د بماء دون منع
إن تخف غيضاً من ال قيط فهذا فيض دمي

قال : وطبخنا له مرة شراب تفاح فوجد فيه رائحة ثوم ، فقال :

دُهِيتُ يا قوم بأعجوبة لم تك في الزنج ولا الروم
شراب تفاح تخيرته فعاد مطبوخاً من الثوم

١ الأبيات في أدباء مالقة : ١٧٩ .

٢ ط : منه ، ب : منذ ، م : منك .

وأنشد له :

يا غريباً بحُسْنِهِ قصّتي فيك أغربُ
أنتَ في طيّ ناظري والمنى منك تُحجّبُ
لا تَلُمّ في مداده بدمِ القلبِ يُكسّبُ
إنّ إدريسَ ماجدٌ للعلا فيه مذهبُ
جدّه خاتمُ الهدى^١ وعليّ^٢ لسهُ أبُ
فهو للمجد مطلعٌ وهو للمجد مغربُ

وقال له عتيق المغنّي [المهديّ] وهو بالقصر : إني أحفظُ بيتاً فلعلّك
تُدَيّله ، وأدخِلْهُ في طريقته ، والبيت :

يا نائبَ الوجه عن شمس الضّحى غسقاً والبدرُ لو كلفوه ذاك لم يَنسُبِ

فقال بديهةً :

في غُرّة الملكِ العالي^٢ ومنظّره بدرٌ يعطلُ نورَ السّبعةِ الشّهْبِ
نرى حيّاهُ في ليلٍ فيخبرنا عنِ الحقيقةِ أنّ الشّمسَ لم تنبِ

ودخل مجلسَ باديس فوسّع له على ضيقٍ كان فيه ، فقال^٣ :

صيّرَ فؤادكَ للمحبوبِ منزلةً سمُ الخياطِ مجالُ للحبيبينِ
ولا تسامحْ بغيضاً في معاشره فقلّما تسمعُ الدنيا بغضينِ

١ ب م : حاتم العلا (م : خاتم) .

٢ ب م : العليا .

٣ البيهقان في أكثر المصادر المذكورة في ترجمته ، وفي نفح الطيب ٣ : ٢٦٥ ، ٣٩٨ ،

٤٤٧ ، ٥٩٦ ؛ ٤ : ٢٨ .

قال ابن بسام^١: وهذا من قول الخليل بن أحمد، وقد دخل عليه بعض
إخوانه وهو على نمرقة صغيرة، فرحبَ به وأجلسه معه في مكانه، فقال:
إنها لا تحملنا، فقال له الخليل: ما تضايقَ سمُّ الخياطِ لمحبتين، ولا اتسعتِ
الدُّنيا بمتباغضين. وسمعَ هذا أيضاً ابنُ عبد ربِّه فقال هذين البيتين^٢:

صِلْ من هَوَيْتَ وإن أبدى معاتبةً فأطيبُ العيشَ وصلِّ بينَ خلّين
واقطعْ حبائِلَ خيلٍ لا تُلائمُهُ فربُّما ضاقتِ الدُّنيا بإثنتين

ومن مدائحه

له من قصيد في العالي بالله لإدريس بن يحيى بن عليّ بن حمّود أوّلها:

لولا التخرُّجُ لم يُحجَبْ بحياكٍ حُبَيْتِ عَنَّا وَحُبَيْنَا بِمَحْيَاكِ
هذا اللثامُ غمامٌ ما يُبينُ هُدًى حُطِّي اللثامَ فليس البدرُ إلّا كَـ
لَمَّا هَدَيْتِ إِلَى نَعْمَانَ سَافِرَةً كَانَتْ هَدَايَتُنَا مِن بَعْضِ نَعْمَاكِ
أَيَا غَزَاثِنَا شَمْسُ الضُّحَى طَلَعَتْ عَلَى اتِّفَاقٍ فَسَيَمَاهَا كَسِيمَاكِ
بَدَوْتَ فِي حَلَّةٍ زُرْقَاءُ وَهِيَ كَذَا فَقَالَ قَاضِي الْهَوَى: هَذِي وَلَا ذَاكِ
أَظْمَأْنِي مِنْكَ يَا ظَمِيَاءُ جَائِرَةً مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَحْطَى بِسُقْيَاكِ
إِنِّي أُرَاكَ بِتَمْتَلِ النَّفْسَ حَاذِقَةً قَوْلِي بِفَضْلِكَ مَنِّ بِالْقَتْلِ^٣ أَوْصَاكِ
مَالِي وَلِلْبَرْقِ أَسْتَسْقِيهِ مِن ظَمَأٍ هِيَهَاتَ لَا رِيَّ لِي إِلَّا ثَنَايَاكِ
إِنْ كَانَ وَاذِيكَ مَمْنُوعاً فَمُوعِدُنَا وَادِي الْكَرَى ثُمَّ تَلَقَانِي وَأَلْفَاكِ

١ انظر النفع ٣ : ٢٦٥ ، ٣٩٨ .

٢ انظر النفع ٣ : ٤٤٧ .

٣ ط : بالحَب .

٤ كَذَا ، وهو خارج على المقبول من الصيغ ، إذ حقه أن يقول « تلقيني » .

رَقَّ الدُّجَى فَنَلَقِينَا عَلَى جَزَعٍ وَأَيْنَ مَثْوَايَ مِنْ أَقْطَارِ مَثَوَاكِ
 دَمْعِي بِبَغْدَادَ مَمْدُودٌ بِدَجَلَتِهَا وَأَنْتِ مِنْ رَوْضِ نَجْدٍ نَشْرُ رِيَاكِ
 رِيحُ الصَّبَا بَلَّخَنِي أَنْفَاسَ ذِي ظَمَأٍ وَبَرَّدِيهَا بِمَا يَقْضِيهِ مَجْرَاكِ
 أَوْ يَمْتَحِي حَضْرَةَ الْعَالِي بِمَا احْتَمَلْتُ مِنْهُ الضَّلُوعُ فَمَنْ الْبُرْءُ لِلشَّاكِي

وله نثرٌ فيه طويلٌ إذ وليَ الخلافةَ ، قالَ فيه بعدَ الصِّدْرِ : ولم يترك
 المتطولُ عَيْنَا عَزَّ وَجْهَهُ بِالْهَدَى ، أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُدى ؛ بل
 نَظَّمْ شَمْلَهَا بِإِمَامٍ عَادِلٍ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ ^٢ ، وَتَعُولُ عَلَيْهِ ، تَتَوَارَثُهُ كَابِرًا عَنْ
 كَابِرٍ ، وَتَتَلَقَّاهُ غَابِرًا عَنْ غَابِرٍ ؛ إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ لِلْإِمَامِ الْهَاشِمِيِّ ،
 وَالْمَلِكِ الْفَاطِمِيِّ ، وَالْفِرْعِ الْعُلُوِيِّ ، لِإِدْرِيسَ الْعَالِي بِاللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْمُعْتَلِي بِاللَّهِ
 ابْنِ عَلِيٍّ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ بْنِ حَمُودَ بْنِ أَبِي الْعِيْشِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ
 لِإِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ ^٣ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَامَ
 الْعَالِي بِاللَّهِ بِخَلَافَةِ الْمَغْرِبَيْنِ ، وَاضْطَلَعَ بِمُلْكِ الْعَدُوَّتَيْنِ ؛ وَلَمَّا آتَى أَوَانُ إِمَامَتِهِ ،
 حَانَ مِنْ عَدُوِّهِ حِينُ قِيَامَتِهِ ^٤ . وَكَانَ مَقْتُلُ الْعَبْدِ الْغَادِرِ * - وَكَافِرُ النِّعْمَةِ
 كَالْكَافِرِ - فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَفِي عَشْرِينَ لَيْلَةً
 خَلَتْ مِنْ كَانُونٍ . فَانْجَلَسَتْ سَمُومُ الشِّتَاءِ بِأَنْجِلَاتِهِ ، وَانْقَضَتْ أَيَّامُ الشُّومِ

١ ب م : يَضِيهِ مَجْرَاكِ ؛ ط : فُحَوَاكِ .

٢ ب م : بِإِمَامٍ تَرْجِعُ إِلَيْهِ .

٣ فِي النَّشْخِ : الْحَسِينِ .

٤ ب م : بَيْنَ إِقَامَتِهِ .

هـ الأَرَجُّعُ أَنَّ الْإِشَارَةَ هُنَا إِلَى السُّلْطَانِي ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ مَالِقَةٍ ، تَعَاوَنَ مَعَ نَجَاءِ الصَّقْلَبِيِّ
 الَّذِي ائْتَقَلَ إِدْرِيسَ ، فَلَمَّا اخْفَقَ نَجَاءُ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ وَاجْتِنَالِهِ بِعُضْرِ الْعَبِيدِ ، ثَارَ الْعَامَةُ
 عَلَى السُّلْطَانِي وَقَتَلُوهُ وَبَايَعُوا إِدْرِيسَ بَعْدَ أَنْ أُخْرِجُوهُ مِنْ مَعْتَقِلِهِ (انْظُرِ الْبَيَانَ الْمَغْرِبِ

٣ : ٢٩١) .

بانقضائه ، وكان عقبَ الشهر في استقبال شهر رَجَبِ الشهر الأصمّ ، سُمِّيَ
 بذلك لأنَّ العربَ أسقطتْ فيه قَعْقَعَةَ السِّلَاحِ ؛ وكانَ المثلَ إنما جرى
 في مضمار ، على مفرقِ الليل والنهار ، وأرى الناسَ تخاليلَ السعدِ والإيناس ،
 وهو قولهم : عِشْ رَجَبًا تر عَجَبًا ؛ وكان هذا العجبُ آخِرَ يومٍ من الليالي ،
 وقامتْ فيه دولةُ هذا الملكِ العالِي ، والشمسُ تأخذُ مِن قَعْرِ الفَلَكِ
 في الصُّعُود ، وتؤذُنُ بجري الماءِ في العود ؛ وترتقي بالعالمِ في دَرَجِ السُّعُود :

واستقبلَ الملكَ إمامُ الهدى في أربعٍ بعدَ ثلاثينا
 خِلَافَةُ العالِي سمَتْ نحوه وهو ابنُ خمسٍ بعدَ عشرينا
 لأنِّي لأرجو يا إمامَ الهدى أن تملكَ الملكَ ثمانينا
 لا رَحِمَ اللهُ امرءاً لم يقل عندَ دُعائي لك آمينا

فسفرت الدنيا قناعها فتيّة ، وبلغتْ النفوسُ بخلافته الأُمْنِيّة ، واثالثتْ
 عليه بيعاتُ الأمصار ، وأمتْ حضرتَه الرُّسلُ من جميعِ الأقطار ، وبدأ
 بالفضل ، وصدع بالعدل ، فأحيا مآثرَ آبائه الطاهرين ، وفي وصفِ دولته
 يقولُ من اتسمَ بسيماءِ نعمته ، ومحبةِ دعوته :

ضَحِكَ الزمانُ إليك بعدَ عبوسٍ ونفى دُجى الإيحاشِ بالتأنيسِ
 فأدِرْ نجومَ الراحِ في فلكِ المُنَى وتطوفْ نحوكَ من أكفِ شمسٍ
 في رَوْضَةٍ تُحيي النفوسَ كأنما باتتْ تنفّسُ عن عُلَا لإدريسِ
 مَلِكُ أَقامَ اللهُ دولةَ مُلكِهِ فكبا مِن الأعداءِ كلُّ رئيسِ
 من دوحَةِ الوحيِ الّتي بسموها درستْ معاني الكُفْرِ أيّ دروسِ

قال : ودخلتُ يوماً على العالي ، ووصلتُ إلى مجلسه العالي ، وأنا على بُعدٍ منه ، وانتزاحٍ عنه ، ألحظُهُ بمقلّةٍ حائم ، وأناجيهِ بقلبٍ هائم ؛ فأنشدتُهُ^١ بيتي لإسحاق الموصلي في المأمون^٢ :

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُه أما إليك طريقٌ غيرُ مسدود
لحائمٍ حامٍ حتّى لا ورودَ له مُحَلًّا عَنْ طريقِ الماءِ مردود^٣
فقربَ وأدنى ، وسألَ عن حالي فأحفى^٤ ؛ فتغنّى بعدَ هدمِ محمدُ بنُ
الحمامي المُنْغِي بشعرٍ لعبدِ الله بنِ المُعْتَزِ^٥ :

هل يُزِيلُ البينَ محتالٌ أن غَدَتُ للبينِ^٦ أجمالُ

فأمرَ العالي بتذييله فقلتُ :

إنما العالي إمامٌ هُدَى حَلَيْتُ في عَصْرِه الحالُ
مَلِكٌ إقبالٌ دَوْلَتِهِ لَدَوِي الأَفْهَامِ إقبالُ
قُلْ لَمَنْ أَكْدَتُ^٨ مطالبُهُ راحتاهُ الجاهُ والمالُ

١ ب م : فأنشدت .

٢ انظر الأغاني ٥ : ٣٥٠

٣ الأغاني : لا حيام له . . . مطرود ؛ ب م : مسدود .

٤ في النسخ : فأجفى .

٥ ط : مُبْدِه .

٦ الخبر في النسخ ٣ : ٦١٤ - ٦١٥ .

٧ ب م : للحي .

٨ ط : أبدت .

ولم أكد استم^١ لإنشاد هذه الأبيات ، حتى أنعمَ عليَّ بالصَّلَات . ولما انفصلتُ وقد تسربتُ أثوابَ نعمته ، قصدتُ إلى وزيره وثقته أبي عمر بن هاشم^١ فأعلمته ، وأثنتُ وشكرت ، ولو استطعتُ جعلتُ الريح لساناً ، والزَّمانَ ترجُماناً .

قال : وحضرتُ مجلسه أيضاً فتغنّى الحماميُّ بشعرٍ محدثٍ أوله :

إذا بَلَغْتَنِي يا نا قَيَّي المَسْمِيَّ لإدريسا

فكأنَّ العالِي باللهِ استحسنَ الحُلَّةَ ولم يرضَ قوله « المسميَّ » ؛ وإنما هو المُسمَى أو المُسمَى من سميت أو أُسميت ، ولا يُقالُ من التسميةِ سموتُ ولا سميت ، ولو قالَ « المُسمَى بإدريسا » لصحَّ الوزنُ والكلامُ ؛ فأطرقَ قليلاً — أيدِه الله — ثم قال للمُغَنِّي أعِدِ الصوتَ^٢ ، قل :

إذا ضاقتْ بكَ الدُّنيا فعرَّجْ نحوَ إدريسا

إذا لاقيته تلقى رئيساً غيرَ مرؤوسا

ومنْ عزَّ ماته تنفي عنِ الأوطانِ إبليسا

إمامٌ ماجدٌ ملكٌ يُزيلُ الغَمَّ والبُوسا

فتبادَرَ منَ بالحَضرةِ إلى حِفْظِها ؛ ثم قالَ لي : أيجوزُ من طريقِ النحوِ « رئيساً غيرَ مرؤوساً » ؟ فقلت : للنحويِّينَ في هذا مذهبان ، وهما في جَوَازِهِ وامتناعِهِ فرقتان ، فأهلُ البَصرةِ أنكروه ، والأخفشُ والكوفيون

١ في المغرب (١ : ٤٢٥) أبو عمرو بن هاشم ، وأورد له بيتين .

٢ ط : بهذا الصوت .

جوازه وامتناعه فرقتان ، فأهل البصرة أنكروه ، والأخفش^١ والكوفيتون
أجازوه^٢ ، وأنشد^٣ مَنْ أجاز تركَ صَرَفِ المصروف قولَ عباس بن مرداس^٤ :

فما كان قيسٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مرداسَ في مجمعٍ

وأنشدوا^٥ :

وقائلةٍ ما بالُ دَوسرَ بعدنا صحاقلبه عن آلِ ليلى وعن هندٍ

ومثله :

ومِمَّنْ وَلَدُوا عا مرُّ ذو الطول وذوالعرض^٦

فلم يصرفوا مرداساً ولا دوسراً ولا عامراً وهي منصرفة . وللبصريين
في هذه الأبيات تبديل ، ومذاهبُ وتأويل ؛ روي مكان دوسر « ما للقريعيّ
بعدنا » وتأولوا في عامر القبيلة . والذي يعولُ عليه أن منع الصرف دونَ
علةٍ ضرورةً عند سيبويه ، وإن كان في اختلافهم مجال ، لمن تصرّفَ
في سبيلِ المقال .

ثم أمرَ بعدُ أن يُبدلَ مكانَ « غيرَ » في البيت « ليس مرؤسا » ،
وقال : السلامةُ من الاختلاف ، أولى في طريق الإنصاف .

١ تأمل استشهادات أبي الوليد غانم تجد أن اعتذاره - من جهة النحو - ضئيف متهافت ،
فإنها شواهد حل عدم صرف الاسم العلم .

٢ انظر سيرة ابن هشام ١ : ٤٩٤ والعيني ٤ : ٢٦٥ .

٣ انظر الميمني ٤ : ٢٦٦ ، وهو لدوسر بن دهيل القريني .

٤ البيت لذى الاصبح المدواني ، انظر الميمني ٤ : ٢٦٤ .

ومن مراثيه

أُنشدَ له الفقيهُ ابنُ عميثل المذكور يرثي أخويه من جملة قصيدة :
يا دَمْعُ لا تَحْذُلْ وكن مُسْعِداً لا تَحْشُ من صَبْرِي أن يَمْنَعَكَ
أَخُ غَرِيقُ وَأَخُ في الثَّرَى وترتجى السَّلَوةَ ما أَطْمَعُكَ !
لأن جُمُودَ العَيْنِ خَوْفَ العِدا ورَقَّةَ الحُسَّادِ لَنْ يَنْفَعَكَ
يا عُمَرَا أَعْمَرْتَ قَلْبِي أَسَى وَدَّعَ صَبْرِي مِثْلَما وَدَّعَكَ^١
رُزْتُ في الدُّنْيا يَدَيَّ نَصْرَتِي^٢ يا دَهْرُ تَبَا^٣ لَكَ ما أَفْجَعَكَ

وله فيهما :

ما طمعي في العيشِ من بعدما كدَرَهُ موتُ شَقِيقَيَا
كفَّانَ صافحتَ المُنَى عنهما فكفَّتِ الأَيَّامُ كَفَيَا
هذا فقيرٌ طاحَ في قَفْرَةٍ ودا غَرِيقُ ما أرى حَيَا

وله من قصيدة يرثي الفقيه القاضي أبا علي بن حسون^٥ أولها :

الموتُ أَعْرَبَ في أَصَحِّ مَساقٍ أَنَّ المَنِيَّةَ شَمَرَتْ عن ساقِ

١ ب م : أودع . . . أودعك .

٢ ب م : بذني نصرتي .

٣ ط : بتأ .

٤ ب م : فقيد .

٥ هو الحسن (وفي القصيدة : حسين) بن حسون من علماء مالقة ، ويبدو أنه تورط في ثورة نجاة الصقليين والسطيفيين فوجهه العالي لأنه بايع عدوه (الفتح ٣ : ٣٩) ثم ولاه العالي قضا مالقة ، وقاسى شدة من اختلاف الخلفاء على بلدته (المغرب ١ : ٤٣٠ - ٤٣١) .

[الموتُ يخبرُ عنْ مرارةِ كأسِهِ
هلاًؑ تواصلينا بصورةٍ حالنا
يا آمِلَ الدنيا لباقي عُمْرِهِ
حَسَناءُ زِيٍّ¹ بالنّهْيِ مَمْهُورَةٌ
مَعشوقَةٌ الحَرَكَاتِ إلّا أنّها
كم أودتِ الدنيا بغَضٍّ شَبِيبَةٍ
ومَوْقِرٍ لبسِ المشيبِ جَلالَةٍ
طَرَفَتُهُ أحداثُ المنونِ فَأُطْرِقَتْ
لو كان يَبْقِي الموتُ حَبِراً عالماً
ما أنصَفَتْ عَقْبَاكَ يا طَلَقَ الرَّدَى
ولّى حُسَيْنٌ والمحاميدُ² بعده
أسْفَى لِرِيَّةٍ³ كُنْتَ عَقْدَ جَمَاهَا
تَزْدَانُ مِنْكَ بِحُسْنٍ ما قَدْ طَوَّقَتْ
عِلِمٌ⁴ أَعْيَنَ بِفَضْلِ حِلْمٍ راجِحِ
وصباحَةٍ⁵ وسماحةٍ⁶ قُسِمَتْ لَهُ
ومنَ الغريبِ غروبُ شمسٍ في الثرى
أَبْقَيْتَ في الدنيا مآثِرَ ثَرَةٍ
قد كان مَجْلِسُكَ المُبَارَكُ موسماً

والكأسُ ملأى لم يُدْرِها ساقِ
والنفسُ ترقى في لهُى وتراق ؟
أَقْصُرُ فما أَمَلٌ عليها باقِ
فإذا تعرّتْ مُتَمَتِّعٌ بطلاقِ
أَفْعَى تَدَبُّ لَأَعَشَقَ العُشاقِ
كالغُصْنِ ماسٍ بِناضِرِ الأوراقِ
بحرٍ لباغِي العلمِ عَذْبِ مَتَدَاقِ
مِنْهُ الفَضائلُ أَيْما لِطِراقِ
لوقى الحِمَامَ أبا عليّ واقِ
أَرَدَيْتَ عالِماً على الإطلاقِ
كَيْلا تُقاسِي جاحِمَ الأشواقِ
فابْتَرَزَ ذاكَ العِقْدَ دونَ وفاقِ
زَيْنَ الحِمَامِ الوُرُقِ بالأطواقِ
أَخَذَ الأمانَ لَهُ مِنَ الإخلاقِ
رِزْقاً تَبَارَكَ قاسِمُ الأرزاقِ
وضيائِها باقٍ على الآفاقِ
تَبْلَى حُلَى الأَيّامِ وهي بواقِ
فأقامَ أَوْحَشَ مِنْ غَدَاةٍ فِراقِ

١ ب م : ديا .

٢ ب م : والمحاسن .

٣ رية : الاسم القديم لما لقة (المغرب ١ : ٤٢٣) .

٤ ط : فازدان منك بحسن ما طوقته .

٥ ب م : بسماحة .

غُيِّبَتْ عَنْهُ مَغِيبَ بَدْرِ كَامِلٍ وَاللَّيْلُ أَدْهَمُ ضَارِبٌ بِرَوَاقِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْكَسُوفِ مُرْتَبٌ قَمَرٌ تَوَارَى فِي زَمَانٍ عَاقِ
مَنْ ذَا أُعْزِي فِيكَ مِنْ هَذَا الْوَرَى لَمْ يَلْقَنِي إِلَّا بِحَزْنِكَ لَاقِ
وَالنَّاسُ مَحْزُونُونَ فِيكَ كَأَنَّمَا كَانَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى إِصْفَاقِ

وله ١ في بُلُقَيْنَ بْنِ بَادِيسَ ٢ ، من قصيدة أولها :

هُوَ الْعَمْرُ يُطَوِّى وَالْأَمَانِي رَوَاحِلُ هُوَ الْعَيْشُ يُفْنَى وَاللِّبَالِي مَرَاحِلُ
إِذَا كَانَتْ الْأَمَالُ تُدْعَى قَوَاتِلًا عَلَى الْحُكْمِ فَلَا أَجَالَ مِنْهَا مَقَاتِلُ
تُغَالِبُ أَجْنَادَ الرَّدَى الدَّهْرَ بِالْمُنَى كَمَا غَالَبَ الْحَقُّ الْمُصْرَحَ بِاطِلُ
وَأَحْوَالُنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَصَدَّهَا تُصَرِّفُ وَالْأَقْدَارُ فِيهَا الْعَوَامِلُ
عَلَى ذَا تَقْضَى عَالَمٌ بَعْدَ عَالَمٍ وَلَمْ تَخْتَلَفْ فِيهِ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

ومنها :

مَضَى مَلِكُ الْعَلِيَا وَلَمْ يُظْلَمِ الْفُضْحَى وَلَا انْتَهَدَتْ الشَّمُ الرُّوَاسِي وَلَا انْتَهَتْ
فَتَقُلْ لِعَتَاقِ الْخَيْلِ تَنْدُبُ يَوْمَهُ فَقَدْ فُجِعَتْ فِيهِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ
وَلَيْسَ صَهِيلَ الْخَيْلِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنْ عَوِيلُ رَجَعَتِهِ الصَّوَاهِلُ
[وَلَا تَعْجَبُوا مِنْ وَاكِفِ الْقَطْرِ إِنَّهُ دَمُوعٌ هَرَاقَتَهَا السَّحَابُ الْهَوَاطِلُ]

١ ط : وله من أخرى .

٢ بلقين (ويكتب أيضاً بلكين) بن باديس بن حبروس الصنهاجي : جملة والده باديس ولي
عهده ولقبه سيف الدولة ولكنه توفي سنة ٤٥٦ ، وأتهم ابن النفريلة بدس السم له (البيان
المغرب ٣ : ٣٥٩ والإحاطة ١ : ٤٣٩ - ٤٤٢) .

فَقُلْ لِلسَّانِ الْمَجْدِ أَخْرِسَتْ مَفْحَمًا^١ لَفَقْدِ بُلُغَيْنِ ، فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟
فِيَا طَالِبًا لِلْجُودِ لَا تُتْعَبِ الْمُنَى فَقَدْ نَصَبْتُ فِي الْأَرْضِ تِلْكَ الْأَنَامِلَ
كَأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ رَأَى وَمَنْ غَنَدَا بِحَاوِلٍ^٢ وَصَلًا مِنْ تَأْتِيهِ وَاصِلَ

ومنها ٣ :

وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو نَحْوَ قَصْرِكَ مَادِحًا فَهَا أَنَا أَشَدُّ حَوْلَ قَبْرِكَ ثَاكِيلٌ
وَقَدْ كُنْتُ فِي مَدْحِكَ سَحْبَانَ وَائِلٍ فَهَا أَنَا مِنْ فَرْطِ التَّأْسَفِ بَاقِلٌ

وفيهما يقول :

أَفَيْقُ أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّئِيسُ فَإِنَّمَا بِقَاوُكَ عُمُرٌ لِلنَّدَى مَتَطَاوُلٌ
وإِنْ كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ انْجَابَ ظِلُّهُ فَأَنْتَ لِهَذَا الْمَدَى كَافٌ وَكَافِلٌ
وإِنْ كَانَ شَمْسًا قَدْ تَوَلَّى ضِيَاؤُهَا فَيُوشَعُ فِي تَمَكُّبِنِ نَوْرِكَ حَاصِلٌ
وإِنْ كَانَ بَدْرًا أَنْتَ عَنَصْرُ نَوْرِهِ فَأَيْنَ مِنَ الشَّمْسِ الْبَدُورُ الْأَوَافِلُ ؟
إِذَا ثَبَّتَ الْمَاءَ الْمَعِينُ بِحَالِهِ فَلَيْسَ نَكِيرًا أَنْ تَفِيضَ الْجَدَاوِلُ
وَفِي الْخَلِيسِ أَشْبَالُ تَرَشَّحُ لِلْعَدَا وَآرَاؤُكَ الْحُسْنَى مُوَاضٍ فَوَاصِلُ

وَأُنْشِدْ لَهُ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي صَبَاهِ :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَقَدْ مَضَى مَنْ يَعْقِلُ وَالْبَسَسَ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا هُوَ أَفْضَلُ
فَلَقَدْ مَا تَأْنِي عَلَيْكَ مَسْرَّةٌ إِلَّا تَتَابَعَ بَعْدَهَا مَا يُشْكَلُ

١ ب م : ممجماً .

٢ ط : يواصل .

٣ البيتان التاليان في النسخ ٣ : ٣٩٨ والقافية فيهما منصوبة .

٤ ط : تفيض .

وإذا خَبَرْتَ النَّاسَ لَمْ تُلَفْ أَمْراً
 ما بالهم - نكبت بهم آمالهم -
 فمُسَاتَرٌ ضَعُفَتْ قُوَى آرائه
 ومُقَلَّدٌ مُتَعَاقِلٌ مُتَأَدِّبٌ
 ومِنْ الغرائبِ مَنْ يُقَارِعُ فِي النِّهَى
 ومنها :

حاولْتُ أَنْ أَلْقَى الزَّمانَ بِطَبْعِهِ
 في الأَرْضِ مَتَسَعٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ
 لوْلا الوفاءُ وشِيمَةُ لا تُنْقَلُ
 وإنْ تَنَبَّ مُنْزَلَةٌ دَعَاها مَنَزِلٌ
 وأنشده له :

بَعَيْنُكَ هَلْ لِي مِنْهُمَا مِتَخَلِّصٌ*
 وإنَّ زَماناً ضَنَّ عَنِّي بِوَصْلِكُمْ
 فإنْ كُنْتَ تَدْرِيهِ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟
 على طُولٍ ما قَاسَيْتُهُ لَضَنِينَ
 وأنشده له :

أَمِطْ عَنْكَ لَوْمِي فَالطَّبَاعُ ضُرُوبُ
 إذا ما تَجَنَّى المَرءُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
 فليسَ لَداءُ الوُدِّ مِنْهُ طَبِيبُ
 وإنْ كانَ ما قَدْ حالَ مِنْهُ لَعَلَّةٌ
 فكلُّ مُدَاوٍ بِالْعِتابِ مُصِيبُ
 يقولونَ لِي غَمَضَ عَلى غَدَرٍ مِنْ مَضَى
 ولا تَعْتَبِنْ "إنَّ" الوفاءَ غَرِيبُ
 فقلْتُ لَهُمَ إِنِّي غَرِيبٌ كَمِثْلِهِ
 وكلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

فصل في ذكر الأديب أبي عبد الله بن السراج المالقي^١

محسِنٌ في أهلِ عصرِهِ مَعادود ، وشاعِرٌ بني حَمَود ، وله فيهم

١ هو أبو عبد الله محمد بن السراج المالقي، وقال الحميدي: لم يقع لي اسم أبيه، وقال إن ابن شهيد ذكره (عل الأرجح في حانوت عطار) ولم ترد ترجمته في القطعة المتبقية من كتاب أدباء مالقة - وهو يبدأ بالمحمدين، إذ يبدو أنها سقطت فيما سقط من أوراق الكتاب (انظر الحذوة: ٥٩ والبغية رقم: ١٤٤: ١ والمغرب ٤٣٤: ١ - ٤٣٥ والمحمدون: ٣٣٨ والمسالك ٤١٣: ١).

غيرُ ما قصيد ، ومقطوعاتٌ في التسيب وجدتْها بخطَ الأديب أبي عليّ الحسن ابن الغليظ^١ من أفقٍ مالقة أيضاً ، صاحبه الكثير الاتصال به والمتأدّة له . وقد اخترتُ منها ما يليقُ بشمِطِ هذا المجموع .

قال أبو عليّ : أردتُ يوماً الأنس به ، فعلمتُ اتصالَ شربه ، فانفردتُ مع صديقٍ وكتبتُ إلى ابنِ السراج^٢ :

يا خليلًا صفا وكدرَ يَومي	هل إلى الطيب في غَدٍ من سبيل ؟
لو تراني أسارقُ اللحظَ خائِي	وأستقي مِن ريقه المعسول
لتمنيتَ أن ترى «حُسْنَ الوَرِّ»	د «تُغْنِيكَ بالغناء الثقيل» ^٣
يا خليلًا مثاله نُصِبَ عَيْني	لو خلونا لاذن شغيتُ غَليلي

فألفاهُ رَسولي سكرانَ فكتبَ إليّ :

يا صديقي شغيتُ عنكَ بخطبٍ	لم يكن لي بتركيه من سبيلٍ
وغداً نلتقي عليها سُلَفاً	مُرّةً في حرارة الزنجبيل
أثقلني هوَى بقَدِّ خفيفٍ	حُسْنُ الوَرْدِ فوق رَدفٍ ثَقيل
سَلَبتُ صَبْرِي الجميلَ وقلبي	يجفون نُجْلٍ ووجه جميل
كحلتُ بالسهادِ والدَمعِ طرفي	يومَ أبصرْتُها بطرفٍ كحيل
هي سُولي من الملاح كما أُرَى	لك من سادة الأخلاء سُولي
لا عَدَدَتي زيارةً منك تُذَكِّي	نورَ عَيْني سناً وتشفّي غَليلي

١ ترجم له في المغرب ١ : ٤٣٥ وذكره في بدائع البدائه : ٨١ والنفح ٣ : ٢٧٠ ، ٣٩٨ ،

٦١٠ بما لا يخرج عما ورد في الذخيرة من علاقة بينه وبين ابن السراج .

٢ انظر المغرب ١ : ٤٣٥ .

٣ المغرب : بمينيك بالحجاب الظليل ؛ ب م : بالقاء النبيل .

٤ ب م : رضى .

وكنْتُ معه يوماً على جريةِ ماءٍ في موضعٍ حَسَنٍ بِحَارُ فيه الطَّرَف ،
ويَقْصُرُ عنه الوَصْف ، وأقمنا هنالك أياماً في أَطْيَبِ عَيْشٍ وأظرف
مَنْظَر ، وكنْتُ أَهْجُهُ للقول فقلتُ :

شَرَبْنَا على ماءٍ كَانَ خَرِيرُهُ خَرِيرُ دُمُوعِي عِنْدَ رُؤْيَةِ أَزْهَرِ
حَلَقْتُ بِعَيْنِيهَا لَقَدْ سَفَكْتُ دَمِي بِأَطْرَافِ فِتْنَانٍ وَالْحَاطِ جَوْذَرِ
وقلتُ^١ :

شربنا على ماءٍ كَانَ خَرِيرُهُ

فقال مُبَادِرًا :

بُكَاءُ مُحِبٍّ بَانَ عَنْهُ حَبِيبُ

فَمَنْ كَانَ مَشْغُوفًا كَثِيبًا بِالْفَه فَلَانِي مَشْغُوفٌ بِهِ وَكُثِيبُ

وَأَزْهَرُ الَّتِي يَذْكُرُ جَارِيَةً كَانَتْ لِبَعْضِ إِخْوَانِنَا ، وَلَهُ بِهَا كَلَفٌ ،
وفيهما يقول :

خَلِيلِي فِي رِيحِ الصَّبَا لَوْ تَنَسَّمْتُ عَلَيْنَا شِفَاءً مِنْ هَوًى مَتَسَعَرِ
رَسُولُ الَّتِي فِي صَوْتِهَا سَوَاطِلُ لَحْظِهَا عَلَى هَائِمٍ مِثْلِي بِهَا غَيْرِ مُقْصَرِ
تَذَكَّرْتُ بِالْوَادِي زَمَانًا لَقَيْتُهَا بِهِ فِيهِ وَالْمُشْتَاقُ حِلْفُ تَذَكَّرِ
فَلَوْ صَبَّ فِي كَأْسِي أَذَى لَشَرِبْتُهُ عَلَى شَرَطٍ أَنْ أَسْقَاهُ مَنْ كَفَّ أَزْهَرِ

ووردَ عَلَيْهِ يوماً رَسُولُ حُسْنِ الْوَرْدِ وَمَعَهُ قَفَقَصٌ فِيهِ طَائِرٌ يَغْرَدُ ،

١ انظر بدائع البدائه : ٨١ والنفع ٣ : ٢٧٠ ، ٦١٠ والمساك ١١ : ٤١٣ وقد وردت
القافية بالياء بعدها هاء « حبيبه » ككثيبه في بدائع البدائه .

فاقرأه^١ سلامتها ، ودفع^٢ إليه القمص^٣ هدية منها إليه ، وأخبرني بذلك ،
واجتمعنا إثر هذا وهجته^١ لذكرها ، وبين يدينا ورد^٢ كثير^٣ نصير^٤ معلق^٥
من أغصانه ، فقال :

ذكرت^١ بالورد^٢ حسن^٣ الورد^٤ شقيقته^٥
هيفاء^١ لو بعث^٢ أيامي لرؤيتها^٣
كالبدور^٤ ركبته^٥ في الغصن^٦ خالقه^٧
فاشرب^٨ على ذكرها^٩ خمرأ^{١٠} كريقته^{١١}
حسناً وطيباً وعهداً غير مضمون^{١٢}
بساعة^{١٣} لم أكن فيها بمغبون^{١٤}
فما ترى حين تبدو غير ممتون^{١٥}
وخصني^{١٦} بهواها حين تسقيني^{١٧}

قال : فقلت^١ أنا :

بدا الورد^١ في أغصانه متعرضاً^٢
يذكر^٣ أياماً نعيمنا بطيبها^٤
فدعني^٥ ولا تلح^٦ على الحب^٧ أهله^٨
يذكرني^٩ من اسمه حسن^{١٠} الورد^{١١}
ورشف^{١٢} رضاب^{١٣} طعمه حسن^{١٤} الورد^{١٥}
فلو كنت تدري^{١٦} لم تلمني^{١٧} على وجدي^{١٨}

وقال أبو علي :

ولما تبدى^١ الورد^٢ فوق غصونه^٣
ذكرت^٤ به من خده^٥ لي روضة^٦
فقلت^٧ لمن عهدي^٨ له مثل^٩ عهده^{١٠}
وقلت^{١١} اسقني^{١٢} كأساً على طيب^{١٣} ذكرها^{١٤}
وذكرني^{١٥} بالورد^{١٦} في صفحة^{١٧} الخد^{١٨}
تيم^{١٩} بها من حسن^{٢٠}ها روضة^{٢١} الورد^{٢٢}
سقالك^{٢٣} الحيا من صاحب^{٢٤} حافظ^{٢٥} العهد^{٢٦}
فإنني^{٢٧} مشغوف^{٢٨} بها بينكم^{٢٩} وحدي^{٣٠}

وشربنا يوماً على ماء^١ يتفجر^٢ من أعالي^٣ أحجار ، وقد أهدت^٤ بنا عدة^٥

١ ط : وهجته .

٢ شقيقته : شقيقته .

أشجار ، وترددَ فيها علينا غناءُ أطيّار ، تُنسي لحنَ الأوتار ؛ وانكسر
لنا الكأسُ هناك ، وكانَ بتلك القريةِ صديقٌ لنا فكتبَ إليه :

بقينا بلا كأسٍ سوى شَقَفِ شربةٍ يُميتُ سُرورَ الشَّارِبِ المُترنِّمِ
فمنَ بكأسٍ يا فتى الفتكِ^١ والذي مضى لي زمانٌ وهوَ فيه مُعلِّمي

وهبَّتْ علينا في ذلك المكان ريحٌ عطِرةٌ أتتْ بأنواعِ أرواحِ النَّبات ،
فقال :

ألا يا نسيمَ الرِّيحِ هل أنتَ مخبري بحالِ حبيبٍ ليس لي عندهُ علمٌ ؟
حبيبٌ رآني أَشْفِي منه فاتقَى جُفُونِي بِسُتْرِ تَحْتَهُ الْقَمَرُ التَّمُّ

وقال عند رَحيلنا :

عليكَ سلامٌ الله يا ماءَ موضعٍ شربنا عليه مثله قهوةٌ خمرًا
وروىَ الي مِن حُسْنِها وجُفُونِها سَقَتْنِي سَحْرًا خَمْرَةً تُسْكِرُ السَّحْرَا

وكتبَ إلى صديقٍ له ونحنُ على ذلك الماء :

هلْ لكَ في الشَّرْبِ يا أبا الحسنِ في منزلٍ طيِّبِ الثَّرى حَسَنٍ ؟
أرجاؤه لا تزالُ دائرةً بواكفٍ من مياهِه هَتَنِ
لو كانَ ممَّا يُباعُ كنتُ له مُشْتَرِيًا بِالْغَلَا مِنِ الثَّمَنِ
ما كنتُ فيهِ والرَّقُ يُصَحِّبُنِي أَبْدِلُ كَأْسِي بِتاجِ ذِي يَزَنِ

وقال وقد ارتحلنا من ذلك المكان :

سقى صفحةَ الصَّفاحِ من غيثٍ عبرتي سحائبُ تروي تَرْبَها وثرها

١ ب م : الهـ .

شَرِبْتُ بِهَا يَوْمًا وَصَحْبِيَّ مَاجِدٌ لَهُ رَاحَةٌ يُسْقِي السَّحَابَ نَدَاهَا
جَوَادٌ إِذَا مَا اسْتَمَطَرَتْ جُودَ كَفِّهِ ظَوَامِيَّ أَمَالٍ هَمِّي فَسَقَاهَا

قال : ودعوته إلى النزهة بالبادية ومطلته ، وكان بعضُ خدامتنا
قد أعرسَ ورغِبَ إليّ أن أبقى لأحضر العرسَ ، فكتبتُ إليه :

يا صديقاً وداده ما يَريمُ وخليلاً إخاؤه لي يدومُ
جاءني راغباً لأحضرَ عرساً من له عندنا ذِمامٌ قديمُ
وهو عرسٌ لا تأتيه خاوي البَطْ نـ فإنَّ الغداءَ فيه نَسيمُ

فكتبَ إليّ :

إن كنتَ تُبقي على عرسِ البواقين فأنتَ عنديّ مجنونُ المجانينِ
دعْ ذا وسرّبي إلى أمّ الحسانِ ففني صدري لها وضلوعي قلبُ مفتونِ
وصاحبُ العرسِ بوقونٌ وأنتَ فتي ما زلتَ تكرهُ أحوالَ البواقينِ

وخرجنا إلى البادية في أيام الربيع ، وأقمنا على روضةٍ ورد وحولها
مياهٌ تطرد ، وأمّ الحسنُ تغرد ، فقال ارتجالاً :

يا سيدي والذي رضاهُ رضى عليه دُونَ الأنامِ أعتمدُ

١ ب م : كريم .

٢ لفظة بوقون وجمعها بواقين ، وردت كذلك في ب م ط ، ويبدو أن الذي أوحى باستعمالها
قول ابن الغليظ في الأبيات السابقة « فإنَّ الغداءَ فيه نسيمٌ » ومن كان يفدي نسيماً فإنه بوقون ،
وترجيح ذلك من Bocinero وهو نافع البوق أو القرن ، ولفظة Bocon بالاسبانية تعني
أفوه أو « فشار » .

٣ أم الحسن : الطائر الذي يسمى المزار (المغرب ١ : ٤٣٤) ، وفي درة الحجال أن أم
الحسن بلغة المغاربة هي العتديلب والشحرور والبلبل (انظر أمثال العوام : ١٨٤٧ ص .
٤٢٤) .

أما ترى الدهرَ كيف جاد لنا بيومٍ أنسٍ ساعاته جُدُد
وَرَدٌ جَنِيٌّ وروضةٌ تركتُ بوفرها والمياهُ تَطَرِدُ
فقل لأمِّ الحسان تفتلني ولا عليها دمٌ ولا قَوَدُ
واشربْ كشربي على محبةٍ من في صوتها العذب طائرٌ غريدُ

ومالت الشمسُ هناك إلى الغروب ، وأحدثتُ شعاعاً في تلك الروضة ،
وعلا خريزُ الماء ببرد العشيِّ ، فقال أيضاً :

إذا الشمسُ مالت للغروب رأيتني أميلُ بأثقالِ الهوى فأميلُ
تذكرني أوصافَ مَنْ عَرَّضَ الهوى عليَّ فلمّا همتُ ظلٌّ يحولُ
خليليَّ وجدي فوقَ ما تبصرانيه فهل لي إلى السلوان عنه سبيلُ
خذرا رحمةً من بعض ما بي من الهوى فإنَّ الهوى حملٌ عليَّ ثَقِيلُ

قال : واجتمعنا يوماً بمجلس أنس ، وكتبنا إلى أبي بكرٍ عبادة^١ ، وقد
كان تابَ عن الشراب ويساعدُ في التَّيِّدِ :

نبيلُكَ المحكَّمُ يدعوكَ مستشعراً شوقاً إلى فيكا
فامنن بإقبالٍ وإلاّ مضى جميعنا دُمتَ لنا ديكا

فراجعنا بقوله وجاء لوقته :

قصدي بود ليس مشكوكاً فيه وعهد ليس متروكا
من حقّ ناديكُم على شاكر غدا لكم صنواً ومملوكا
وكيف صبري عن نديّ أرى فيه دم الكرمة مسفوكا

١ هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن ماء الساء الوشاح ، وقد مرت ترجمته ص :

وغبّت مدة طويلة من الدهر في سَفَرٍ لقيت فيه نصيباً ، وصحبتُ قوماً
لم يحسُن موقعهم من نفسي ولا التذذت بهم ، ثم قدمتُ مشتاقاً إلى الانس
به ، فكُتبت إليه ١ :

يا من أقلب طرفي في محاسنه فلا أرى مثله في الناس لإنسانا
لو كنت تعلم ما لقيت بعدك ما شربت كأساً ولا استحسنت ريحانا

فورد عليّ من حينه فقال : أردت مجاوبتك فخفتُ أن أبطيء ، فصنعتُ
الجواب في الطريق ، وهو :

يا من إذا ما سقتني الرّاحَ راحتُهُ أهدتُ إليّ بها روحاً وريحانا
من لم يكن في صباح السبت يأخذها ٢ فليس عندي بحكم الظرف لإنسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبِحاً مؤخراً حسناً فيه وحسانا
وفي البساتين إن ضاق المحلُّ بنا مندوحة لا عدنا الدهر بستانا

قال : وغبّت في غزوة مع يحيى المعتلي بالله ٣ ، وذلك في سنة أربع وعشرين ،
فاتصل بي أنه تنزه مع بعض أصحابه في زمان الورد ، وفصاحة أمّ الحسن ،
وأنه صنع أشعاراً في وصفها ، منها ٤ :

ومُسَمَّعة غَنَّتْ فهاجَّتْ لنا هوى جَنِينا به منها ثمارَ المني * جَنِينا
دعوتُ لها سقياً فما استكمل الرضى دُعائي لها حتى سقاها الحيا سقياً

١ منها أبيات في المغرب ١ : ٤٣٦ والنفع ٣ : ٣٩٨ والمساك .

٢ ط : يظهرها .

٣ هو يحيى بن علي بن حمود أبو زكريا وأبو محمد بويح سنة ٤١٢ بقرطبة ثم خلع في السنة
التالية ، ثم أعيدت دولته سنة ٤١٦ وخرج في السنة التي تليها إلى مالقة وقتل سنة ٤٢٦
وقد شرح ابن حيان قصة مقتله في ما تقدم .

٤ أورد خمسة أبيات منها في المغرب ١ : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

٥ ط : الهوى .

٦ ط : بها .

وكنْتُ رَفِيقاً للوزير الكاتب أبي بكر ابن زياد ، وسألني مخاطبته
ليزيدَ عليها ، فكتبتُ إليه في ذلك ، فزادَ فيها :

وكأسٍ على طيبِ استماعي لصوتها	شربتُ ودَمَعُ المِزْنِ ^١ يسعدني جرياً
ولو أفلعتُ أولى عزاليه لانبهرتُ	رياحُ التوى تمرى دموعَ الهوى مرياً ^٢
خليلي هذا اليومُ لو بيعَ طيبُهُ	بما حوتِ الدنيا لقلتُ له الدنيا
ولله أيتامي وما خِلْتُ أنها	تُعوضُني من قُربها في الرضى نأياً
تولتُ حميداتٍ فسقياً لعهدِها	ورعياً ولا سقياً لهذا ولا رعياً
جفتني عيونُ الغانياتِ وطالما	سَعَتْ طولَ أيتامي لتبصرني سعياً
وأطلعَ شجبي عارضاً فوق عارضي	يسحُحُ هُموماً ما عليَّ لها بقياً
مضى عُمُري والدَّهرُ لي غيرُ منصفٍ	يُكلِّفُني أشياءَ جلتَ عنِ الأشياءِ ^٣
فلا جيدٌ من غيداءٍ يشفي عناقها	غليلَ صباباتي ولا شفةً ^٤ ليما
كفى حزناً أني أرى الحُسنَ ممكناً	ولستُ أرى لي فيه أمراً ولا نهياً
ولو تعدلُ الأيامُ في بذلِ خُطَّةٍ ^٥	لما كنتُ في السفلى وغيري في العليا

وقال في ديكٍ صدحٍ سحرًا :

رعى اللهُ ذا صوتٍ أنسنا بصوتهِ وقد بانَ في وجهِ الظلامِ شُحوبُ

١ ب م والمغرب : العين .

٢ ب م : تجري . . . جرياً ، والتصحيح عن المغرب ، ولم يرد البيت في ط .

٣ وقع في ب م قبل البيت الأخير .

٤ ط : الجيد .

٥ ط : صرخ .

٦ ط : كان ؛ وما في المغرب يتفق وما أثبتته .

دعا مِن بعيد صاحباً فأجابَه
عليّ له لو كنتُ أملكُ أمرَه^١
يخبّرُنَا أنَّ الصَّبَاحَ قَرِيب
حياة على طيبِ الزَّمانِ تَطِيب

وقال وقد رأى الغيثَ يَنزِلُ :

تأمل سقوطَ الغيثِ ماذا أثارَ من
رأى في جفوني دمعها جامدَ الهوى
هوَى هوَ في قلبِ المُحبِّ كنينُ^٢
ففاضتُ^٣ على الإسعادِ منه جفونُ

وقال أيضاً :

ذكرتُكَ بالوادي الذي كنتِ مرّةً
فجركَ منّي باغيثُ الشّوقِ ساكناً
به والهوى ما بيننا أبداً غيرةً^٤
وكلّني صبراً ومن أين لي صبرُ؟
فيا نازحاً والدَّارُ منّي قريبةً^٥
إلى كم يطول الصّدُّ لي منك والهجرُ؟
إذا اللهُ يوماً خصَّ بالقَطْرِ ساحةً^٥
« فلا زَال مُنْهلاً بِساحتك القطر »

قال أبو علي : وطالتُ بنا الأيام ، وسئمنا المُدام ، فتناومنا لها ،
فقال ابن السَّراج :

يا راقدينَ تَنبّهوا مِن رَقْدَةٍ
مَسَعَتْكُمْ طيبُ السُّرورِ العاجِل

١ ب م والمغرب : عمره .

٢ المغرب : كمين .

٣ المغرب : غير ذائب فذابت .

٤ ب م : لقيتك فيه والهوى بيننا غر .

٥ من قول ذي الرمة :

ألا يا أسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

ط : طول .

وصلوا بعامكمُ السّرورَ فإنّكم لا تضمنون سروركم في القابل
لا خلقَ لغبنٍ متجرّاً من بائعٍ بالبخرِ عاجلٍ طيبه بالأجل
للهِ هذا اليومُ لو ظفرتُ يدي فيه^١ بحفظِ العهدِ فيّ لقابل

وقال أيضاً :

رعى اللهُ فتياناً أنستُ بقرهم على جدولٍ للماءِ فيه خَيْرُ
أقمنا به يومينِ في خفضِ عيشَةٍ ولا عيشٍ إلاّ قهوةٌ وغدير
تدورُ القوافي بيننا نستحثّها وكأسُ الحميا بالسّرور تدور
وفي الشجرات الخضر منه رقيقةٌ لنغمتها بين الضلوع هدير
إذا ما تغنّت فوقنا قلتُ قينةٌ تلاها بصوتٍ مثلثان وزير
سبنتي بصوتٍ لو يباعُ اشتريته بما مرّ من عمري وذاك يسير

واستعفيناه يوماً من الشرب وكان يدمنه على ضعفه ، فقال :

رعى الله يوماً لم أجِدْ فيه مُسعداً على شربها والمُسعدون قليلُ
شربتُ بها وحدي وإني بشربها إذا لم أجِدْ لي مُسعداً لكفيل

وقال أيضاً :

خليلي هُبّا للمدامةِ واشربا سرورا على الطير الذي يرنمُ
علا صوته حتى حسبناه عاشقاً يبوخُ ودمعُ العينِ في الخدّ يسجم
كأنّا سألناه مزيداً لما شدا به فهو من إلحاحنا يتبرّم

١ ب م : منكم .

وقال :

يا حابساً كأس المدامةِ حُثَّها نحوي فلي في شُرْبها تأويلُ
واطرَبْ على وجهِ الربيعِ فقد بدا مِنْهُ لنا وجهٌ أغرُّ جميل
واشربْ على ماءِ الخليجِ فإنه ضَيْفٌ إقامتُهُ لَدَيْكَ قليل
لو كان أمري في يدي ما فارَقْتُ يوماً يَدَي رامِثنةٍ وشمول

وقال في أمّ الحسن :

ومُسَمِّعةٌ تُغْنينا ارتجالاً وتُصَحِّبنا بنغمتها دلالاً
وبينَ أَكْثَمنا خَمَرٌ وماءٌ إذا ما سألَ خِلْتُ الدُّرَّ سالا .
فإن شاءتْ سَقيناها مُداماً وإن شاءتْ سَقيناها زُلالاً
ولو سَقيتْ دَمي ودَمي حرامٌ لكانَ لحُسْنِ مَنطِقِها حلالاً

قال : وكنا يوماً على الوادي في أيام الربيع ، فمرّ به سِرْبٌ مِلاح
فيهِنَّ جاريةٌ حسناء ، ظريفةٌ المنطق ، وهي تأكلُ باقلاءً ، فاعترضها
وسألها منه فدفعته إليه ، فقال بديهةً :

وسرِبِ مِلاحٍ مرّ بي وبصاحبي^١ ونحنُ على ماءٍ يُذَكِّرنا عَدنا
ويحملنَ فولاًً عندهنَّ نظيرُهُ عوانٌ ولكن نورهُ عزٌّ أن يحنى
فقلتُ عسى من فولكنَّ بقيةٌ فقلن : وأيُّ القولِ ترغبهُ منا ؟
فقلتُ الذي تحتَ السراويلِ قلنَ لي جهِلتَ^٢ ولم تفهم مَقالِتنا عنا
حرّامٌ على من كان شيخاً مشوّهاً وصالُ مِلاحٍ فتنَ شمس الضحى حسناً
وفيهِنَّ نشوى الطّرفِ لم أَرقبلها من الإنس شمساً تحمل الدَّعص والغصنا

١ ب م : وبصحبتي .

٢ ب م : طمعت .

وأقمنا بالبادية في أيامِ العَصِيرِ مدّةً في هوٍ وطيب ، وقفنا فكتب إليّ :

رعى اللهُ عصراً ضمّنا في عصيره محلّ وصلنا اللهو فيه لياليا
تدورُ علينا الراحُ في أريحية من العيش لو دامت زماناً كما هيا
أقولُ لأصحابي خذوا من حياتكم برأيي زاداً سوف ينفدُ فانيا
ومن ملّ منكم شربها فليردّها إليّ فلاني لا أملُ التّماديا
أرى عمّرَ الإنسان يوماً يسره فمن نال ذلك اليومَ نال الأمانيا
فلا تلقُ يوماً بالخلاف إلى غد فلستَ بما لاقيتَ بالأمس لا قيا
ولا تخلُ من كأسٍ يسركَ شربها على طربٍ ما دام سرّك خاليا
فإن أهلكَ أيامَ الشّباب فواجبٌ على من جفته أن يرى الدّهر باكيا

وقال أيضاً :

ألا من مُنقِذي من كربٍ ليلٍ تعرّضَ بينَ طرفي وارتياحي ؟
تضاعفَ طوله واشتدَّ حزني به حتى يثبُتُ مِن الصّباح

فصل في ذكر الأديب أبي القاسم خَلَف

ابن فوّج^٢ الإلبيري المعروف بالسّميسر

وكان باقعةً عصره ، وأعجوبةً دهره^٣ ، وهو صاحبُ مزدوجٍ كأنه

١ ب م : واستد .

٢ ترجمة السّميسر وبعض أخباره في المغرب ٢ : ١٠٠ والمطرب : ٩٣ والخريدة ٢ : ١٦٧ والمسالك ١١ : ١٦٧ وأخبار وتراجم أندلسية للسلفي : ٢٨ ، ٨٣ وفي نفع الطيب مقطعات كثيرة له (انظر الفهرست) ، وبدائع البدائه : ٣٧٩ ، ٣٩٤ ويبدو من أخباره أنه هجا باديس أو بلقين فطلب فهرب إلى المحتشم بن صمّاح ، الذي لم يسلم فيما يقال من هجائه ، وقيل بل وضع ذلك على لسانه (أخبار وتراجم : ٨٣ : ٨٤ والفتح ٣ : ٤١٢) وانه قطعة يرثي فيها الزهراء (الفتح ١ : ٥٢٧) .

٣ ب م : كان أحد بواقع الزمان وعجائب أهل هذا الشأن .

هذا فيه حدّ و منصور الفقيه^١ ، وله طبع حسن ، وتصرف مستحسن في مقطوعات الأبيات ، وخاصة إذا هجا وقدح ، وأما إذا طول ومدح ، فقلّما رأيتُه أفلح ولا أنجح ، وقد أثبت من ذلك ، بعض ما تخيرتُه له هناك . وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره . من القدح في أهل عصره ، صنّت الكتاب عن ذكره ، [ألا تسمع إلى قوله :

ألا قل لأهل القيروان لحاكمُ وأستاذكم هانت عليكم فهنمُ
فأستاذكم تعطونها ولحاكمُ تغفونها بالخلق طراً لعنمُ

والستيسر في هذا كما قال القائل :

عاني من معاييب هي فيه خالد فاشتفى بها من هجائي

أو كما قال الآخر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه مرّاد لعمري ما أراد قريب^٢

لكنه ليست ضعة المرء في نفسه بمذهبة جوهرية الأدب المركب في الإنسان ، وقد أوما إلى ما كانت عليه حاله بقوله :

حسيّ صحيح ولكن هواي يؤهّن حسي
فصح رأيي لغيري ولم ينصح لنفسني

١ هو منصور بن اسماعيل الشافعي التميمي الضرير ، أصله من رأس العين ، وله مصنفات في مذهب الشافعي ، وكانت وفاته بمصر سنة ٣٠٦ (انظر طبقات الشبراوي : ١٠٧ والسبكي : ٣١٧ وابن خلكان : ٥ : ٢٨٩ ونكت الحميان : ٢٩٧) وأكثر شعره في الأخلاق والحكم ؛ وقد أورد ابن عبد البر في كتابيه بهجة المجالس وجامع بيان العلم قطعاً كثيرة من شعره .

٢ زاد بعده في نسخة دار الكتب : وفي مثل : رمتي بدائها وانسلت .

ثم بعد أن لوَّحَ ، صرَّحَ وأوضح في قوله :

إِذَا تَبَطَّنْتُ لَذَّتِي فَأَنَا نَطِيسٌ نَفْسِي عَسَى أَدَاوِيهَا
فَلَا تَكُنْ مُوَلِّعًا بِلَذَّتِهِ فَإِنَّمَا عِلَّةٌ يُعَانِيهَا^١

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

[من شعره في الازدواج على كلِّ منهاج ، قوله :

لَا تَغَرَّنَكَ الْحَيَاةُ فَمَوْجُودُهَا عَدَمٌ
لَيْسَ فِي الْبَرَقِ مُتْعَةٌ لَا مَرَى يَخْطُ الظَّلَمُ]

وقال أيضاً^٢ :

بِشْنٍ دَارُ الْمَرِيَّةِ الْيَوْمَ دَارَا لَيْسَ فِيهَا لِسَاكِنٌ مَا يُحَبُّ
بِلَدَّةٍ لَا ثَمَارُ إِلَّا بِرِيحٍ رُبَّمَا قَدْ تَهَبُّ أَوْ لَا تَهَبُّ

وقال^٣ :

أَقَارِبُ السَّوَاءِ دَاءٌ سَوْءٌ فَاحْمِلْ أَذَاهُمْ تَعَشُّ حَمِيدَا
فَمَنْ تَكُنْ قُرْحَةً بِفِيهِ يَصْبِرُ عَلَى مَصِّهِ الصَّدِيدَا

١ زاد بعده في النسخة المذكورة : ونقلت هذا من خطه في سفر عرضه علي أبو بكر الخولاني
المنجم باشبيلية سنة ثمانين وأربعمائة ، ولكن أيسر (له) صفة طبيعية في ذاته ، على بدع
من أدواته .

٢ وردا في النفع ٣ : ٣٩٠ .

٣ وردا في المسالك والنفع ٤ : ٢٠ .

٤ النفع : قرابة .

٥ ب م : تكن .

وقال ١ :

قالوا المَرِيَّةُ فيها نَظَافَةٌ قُلْتُ لِمِهِ
كَأَنَّهَا طَسَّتْ تَبِيرٌ وَيَبْصَقُ ٢ الدَّمُ فيه

وقال في ملوك ٣ الأندلس :

نادِ المُلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ مَاذَا الَّذِي أَحْدَثْتُمْ
أَسْلَمْتُمْ الْإِسْلَامَ فِي أَسْرِ الْعِيَا وَقَعْدْتُمْ
وَجَبَ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ إِذْ بِالنَّصَارَى قَمَمَ
لَا تُنْكِرُوا شَقَّ الْعَصَا فَعَصَا النَّبِيِّ شَقَقْتُمْ

وقال :

رَجَوْنَاكُمْ فَمَا أَنْصَفْتُمُونَا وَأَمَلْنَاكُمْ فَاخَذَلْتُمُونَا
سَتَصْبِرُ وَالزَّمَانُ لَهُ انْقِلَابٌ وَأَنْتُمْ بِالْإِشَارَةِ تَفْهَمُونَا

وهذا كقول الآخر مما أنشده الثعالبي ٤ :

سَتَصْبِرُ إِنْ جَفَوْتَ فَكَمْ صَبَرْنَا لَغَيْرِكَ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ
وَلَمَّا لَمْ نَنْلِ مِنْهُمْ سُرُورًا رَأَيْنَا فِيهِمْ كُلَّ السُّرُورِ

١ وردا في المسالك والنفح ٣ : ٣٩٠ .

٢ المسالك : ويزف .

٣ ب : أمراء .

٤ نسبهما للميسر في المسالك .

وقال ١ :

يا مُشْفَقاً من خُمولِ قومٍ ليس لهم عندنا خَلَقٌ
ذَلُّوا وقد طالما أَذَلُّوا دَعَهُمْ يذوقوا الذي أَذَقُوا

وقال :

إذا رأيتَ العَبْدَ فاحْكُمْ على مَوْلَاهُ مِنْ ظَاهِرِ مَرَّاهُ
دَلِيلُ حَالِ المَرءِ عِبْدَانِهِ وَالْعَبْدُ مِنْ طِينَةِ مَوْلَاهُ

وهذا المعنى كثير ، ومنه قولُ أبي الحسن بن مضا^٢ القرطبي في غُلامٍ
وسيم من عبيد المتوكل للمتوكل^٣ :

قد جاءكم فاضحُ الهلالِ يَعْبَقُ بِالْمِسْكِ والغوالي
لا تُنْكروا نشرها عليه فالعبدُ مِنْ طِينَةِ المولي

وقال السَّمِيسِرُ^٤ :

خذ منَ الدَّهْرِ ما أتى إن نعيماً وإن نَكَدَ
كُنْ كَسَكَيْنٍ جازِرٍ قاطِعٍ كلَّ ما وَجَدَ

وقال :

ليسَ يخلو المرء من هم باكتسابِ اللحمِ والدَمِ
حيوانٌ صحفوهُ فهو أقومُ

١ وردا في الخريدة والنفع ٤ : ١٠٨ .

٢ ب م : قول الحسن بن مضا .

٣ ط : وسيم للمتوكل ؛ والمتوكل المعنى هنا هو عمر بن المظفر صاحب بطليوس (٤٣٠ - ٤٦٠) .

٤ وردا في المسالك .

٥ ط : حيران ؛ ب م : حتى ان .

كأن معنى البيت الأول ينظر إلى قول المعري^١ :

يغنى الفتى بالمنايا عن مآربه وينفخ الروح في طفل فيفتقر

وقال في عبد الله الأمير بغرناطة وقد رآه يحصن^٢ على نفسه :

يَبْنِي على نفسه سفاهاً كأنه دُودَةٌ الحرير

وهذا المعنى [كثير] مطروق ومنه قول حبيب^٣ :

وإن يَبْنِ حيطاناً عليه فلإنما أولئك عقالاته لا معاقله

وقال ابن الرومي :

انظرُ إلى الدهر هل فاتته بُغْيَتُهُ في مطمحِ النَّسْر أو في مسبحِ النَّونِ
ومن تحصنَ مسجوناً على وَجَلٍ فلإنما حصنه سجنٌ لمسجون

وقال السَّمِيسِرُ^٤ :

قالوا أتسكنُ بلدةً نفسُ العزيزِ بها تهونُ ؟
فأجبتهم بتأوهٍ كيف الخلاصُ بما يكون !
غرناطةً مشوى الجني نِ يلدُ ظلمته الجنين

١ اللزوميات ١ : ٢٥٧ .

٢ ورد في النسخ ٣ : ٤١٢ .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٨ .

٤ انظر المسالك .

وقال ١ :

بَعُوضٌ جَعَلَ دمي قهوةً وغَنَيْنِي بضروب الأغانِ
كَأَنَّ عُرُوقِي أوتارُها وجسمي ربابٌ وهَنَّ القيان

ولعمري لقد أصابَ في أن جعلَ جسمه الرباب ، وكانَ تشبيهه
البعوضَ بالفتيان أولى من القيان ، فإليهم كان ينزع ، وبهم زعموا كان
يقولُ ويسمع ، وفيهم لم يزل يسجد ويركع .

وأنشدتُ لبعضهم في البعوض :

ضاقَتْ بكنسيةً بي وذادَ عني غمُوضي
رقصُ البراغيثِ حولي ٢ على غناءِ البعوضِ

ولم أسمع في وصفها أحسنَ من قولِ ابن المعتز ٣ :

بتُّ بليلي كله لم أطرف
[من قرقس يلبس ثوب السدف
يلمُّ بالعرَّيانِ والملقَف]
يلسَعُنَا ٤ بشعرٍ مجوَّف
غادرَ جسمي كعُشورِ المصحفِ ٥

١ وردا في المطرب والنفع ٣ : ٣٢٩ وبدائع البدائه : ٣٩٤ .

٢ ب م : فيها .

٣ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٠٤ والأوراق : ١٥٧ .

٤ الديوان : قرسه كالزئبر المشتف .

٥ الديوان : برحن .

٦ الديوان : يلسعننا .

٧ الديوان : حتى غدا فيه كشكل المصحف .

وقد أخذَه الآخرُ فقال :

ونقطنتي بخراطيمهن كنقط المصاحف بالحمرة

وقال أبو عمر القسطلي^١ :

بيتٌ بليلي كله لم أنم عن قرقسٍ يلبس ثوبَ الظلم
يشدو على جسمي بصوتٍ أعجم كأنما غنى على شربٍ دمي

ما أخرجته من شعره في الزهد والحكم

جُمْلَةُ الدُّنْيَا ذَهَابُ	مِثْلَ مَا قَالُوا سَرَابُ
والذي منها مَشِيدٌ	فخرابٌ وَيَبَابٌ
وأرى الدَّهْرَ بِخَيْلٍ ^٢	أبدأ فيه اضطراب
سَالِبٌ ما هَوَ مُعْطٍ	فالذي يُعْطِي عَذَاب
وليومٍ الحشر إنعاً	مُ سؤالٌ وجواب
وصِراطٌ مُسْتَقِيمٌ	يومٌ لا يُطْوَى كتاب
فاتقِ اللَّهَ وَجَنِّبْ	كلَّ ما فيه حِسَاب

قال :

ليسَ لمن لَيْسَتْ له قُدْرَةٌ كالأخذِ عند الرزءِ بالصبرِ
أو لا فما حيلةٌ مستضعفٍ ليسَ له فَضْلٌ على الذَّرِّ ؟

١ لعله ابن دراج القسطلي ، ولكن هذا الرجز ليس في ديوانه .

٢ ب : سخيلاً ؛ ط : سخيلاً (اقرأ : سخيلاً) .

نسبته منها فهدي وذا
من كان مخلوقاً من الأرض إذ
حتى ترى الجثة مطروحة
فَعِنْدَها بِأَمْنٍ ما يَتَّقِي
هذا على مذهبنا ثم قد
لقد نشبنا في الحياة التي
يا ليتنا لم نلِكُ من آدم
إن كان قد أخرجه ذنبه
تحت الذي حُدَّ له يجري
رُكِبَ لم يَطْلُعْ على السرِّ
والتفسُّ في عالمها تسري
وعِنْدَها يَعْلَمُ بالأمر
قِيلَتْ مَقَالَاتٌ ولا أدري
توردُنا في ظُلْمَةِ القبر
أورطنا في شبه الأسر
فما لنا نُشْرِكُ في الأمر ؟ !

والسميسر في هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ، ونادى بالحكمة
من مكان بعيد ، صرّح عن عمى بصيرته ، ونشر مطوي سريرته ، في غير
معنى بديع ، ولا لفظ مطبوع ، ولعلّه أراد أن يتبع أبا العلاء ، [فيما كان
ينظمه من سخيف الآراء] ، ويا بعد ما بين النجوم والحصاب ، وهبه ساواه
في قصر باعه ، وضيق ذِراعِهِ ، أين هو من حُسْنِ إبداعه ، ولطفِ اختراعه ؟

وقال السّمسِر ٢ :

أصابَ الزّمانُ بني عامر
فَعادَ نهارُهُمْ ٣ مظليماً
وأيامُهُمْ بَعْدُ لا تُزْدَهِي
أماهُمْ الدّهرُ قبلَ المتونِ
وكانَ الزّمانُ بهم يَفْخَرُ
وليلُهُمْ بَعْدُ لا يُقْمِرُ
وصبْحُهُمْ ظِلٌّ لا يُسْفِرُ
فهم ميتونَ ولم يقبروا

١ ب م : فما .

٢ وردت أربعة أبيات منها في المسالك .

٣ ط : فغادر برقههم ؛ م : فعاد زمانهم .

كَاتَتْهُمْ أَرْبَعٌ دَارِسَاتُ فَمَا لَهُمْ غَيْرَ أَنْ يُذَكَّرُوا
فَأَيْنَ السَّرِيرُ وَأَيْنَ السَّرُورُ وَأَيْنَ الْقُصُورَ الَّتِي عَمَرُوا ؟
فَلَا تَعْجَبَنَّ بِمَا قَدْ تَرَى فَلَا خَيْرَ فِي كُلِّ مَا تُبْصِرُ
وَهَوْنٌ عَلَيْكَ كَثِيرَ الْحَيَاةِ فَسُكْنَاكَ فِي قَبْرِكَ الْأَكْثَرِ

وقال أيضاً :

دَعْ عَنْكَ جَاهًا وَمَالًا لَا عِيشَ إِلَّا الْكَفَافُ
قُوْتُ حَلَالٍ وَأَمْنٌ مِنْ الرَّدَى وَعَقَافُ
وَكُلُّ مَا هُوَ فَضْلٌ فَإِنَّهُ لِمِرَافِ

وقال :

لَا تَوْقَدَنَّ عُدُوًّا وَأُطْفِئِ بِالتَّوَدُّدِ
فَالنَّارُ بِالْفَمِ تُطْفَأُ وَالنَّارُ بِالْفَمِ تَوْقَدُ

وقال :

قَدْ هَجَرْتُ اللَّذَاتِ إِلَّا قَلِيلًا بَعْدَ وَصَلِي لَهَا زَمَانًا طَوِيلًا
فَأَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِي^١ لَكِنْ لِي قَلْبٌ عَنِ النَّوَاسِي أَزِيلًا
وَبِحَقِّ أَقُولُ لَوْلَا حِذَارِي مِنْ كَلَامِ الْوُشَاةِ قَالَا وَقِيلَا
لَبَدَا لِلْأَنَامِ مِنِّْي عُجَابٌ وَلَأَوْضَحْتُ لِلرُّوَاةِ السَّبِيلَا

١ يعني ثابت بن أسلم أبا محمد البناني وكان من الأتقياء الزهاد في العصر الأموي ، اختلف في

وفاته بين سنتي ١٢٣ و ١٢٧ (انظر تهذيب التهذيب ٢ : ٢ - ٤) .

وقال :

المالُ ذُلٌ ، وذُلٌ^١ ألا يُرى لكَ مالٌ
فاحْرِصْ كأنَّكَ باقٍ فما لذي الفقْرِ حال
واقنَعْ فإنَّكَ فانٍ غداً وكلُّ^٢ مُحال

ومن شعره في ذكر الطب والأطباء

كلُّ عِلِمٍ ما خلا الشَّرَّ عَ وعِلِمَ الطبِّ باطل
غيرَ أنَّ الأوَّلَ الطبُّ على رأي الأوائِل
هل تَمَامُ الشَّرْعِ إلَّا أن يكونَ الجسمُ عامِلُ^٢ ؟
فإذا كانَ عَليلاً بَطَلَتْ تلكَ العَوامل

وقال :

العِلِمُ علَمانِ عِلِمُ الأديانِ والأبدانِ
ما الطبُّ للدينِ إلَّا كالرُّوحِ للجُثمانِ
هل الشَّريعةُ إلَّا بِصِحَّةِ الأبدانِ ؟

وقال ٣ :

يا آكلًا كلَّ ما اشتَهاهُ وشاتمَ الطبِّ والطَّيِّبِ
ثِمَارَ ما قد غَرَسْتَ تَجَنِّي فانتظِرِ السَّقَمَ عن قَرِيب
يَجْتَمِعُ الدَّاءُ كلَّ يومٍ أَغذيةُ السَّوءِ كالذُّنوبِ

١ ب : فكل .

٢ ط : حامل .

٣ وردت في المغرب والحريدة والنفع ٤ : ١٠٨ .

وقال :

لا تَسْتَرْبُ مِنْ غَيْرِ مَا تَجْنِيهِ كَالْجَانِي الْمُرِيبِ
وَكَذَا حَكَمُوا بَلُّ صَافِيًا وَاضْرِبْ^١ بِهِ وَجَهَ الطَّيِّبِ

[والقاتلُ قد تقدّم إلى ذلك قبله :

إذا ما كنتَ ذا بولٍ صحيحٍ فقُسمْ فاضربْ بِهِ وَجَهَ الطَّيِّبِ]

وفي ذكر الشعر والشعراء

قال :

أَنَا أَحَبُّ الشَّعْرِ لَكُنِّي أَبْغَضُ أَهْلَ الشَّعْرِ بِالْفِطْرَةِ
فَلَسْتُ تَلْقَى رَجُلًا شَاعِرًا إِلَّا^١ وَفِيهِ خَلَّةٌ تُكْرَهُ^٢
إِنْ لَمْ يَكُنْ كَفَرٌ تَكُنْ آفَةٌ تَلْزِمُ الظَّهْرَ أَوِ السَّرَّةَ
وَالْعُجْبُ وَالنَّدْوَةُ إِلَى الْجَهْلِ فِي أَكْثَرِهِمْ إِلَّا^٣ مَعَ النَّدْرَةِ

والتَّسْمِيرُ فِي هَذَا كَقَوْلِ الْآخِرِ :

عَابَنِي مِنْ مَعَايِبِ هِيَ فِيهِ حَكَمٌ^٤ فَاشْتَفَى بِهَا مِنْ هَجَائِي^٥

١ ب م : والطم .

٢ ب م : نكرة .

٣ ر ص ٨٨٣ : وفيه « خالد » موضع « حكم » . ولم يرد البيت في ب م وورد بيت

آخر هو الذي مر أيضاً وهو :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه . . . البيت .

أما نسخة دار الكتب فقد جاء فيها بيتان آخران زيادة على هذين ، وهما :

يا من يعيب وعيبه متشعب كم فيك من عيب وأنت تمعيب

أو كما قال الآخر :

وأجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذور العيوب

فإنه كان - زعموا - ممن وسمع هذه الخلال ، وجمع هذه الأحوال ،
حاشا التي في السرّة فإنّه انتبذ عنها ، وبرىء إلى أصحابه الشعراء منها .
وما ينقضي التعجب من السميسر ، فإنه لما سمع المتنبي يقول :

أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلمتكم مفارقة الجنان^١

حسده على غلوّه فقال بيته المتقدم الذّكر :

إن كان قد أخرجه ذنبه فما لنا نشارك في الأمر ؟

والسميسر في هذا كما يحكى عن بعض الرواة قال : كان أحد المخشّين
قد تسربل المجون ، وعبد البطالة والجنون ، حتى مَحَّ شبابه ، وأقصر
أترابه ، ولم يدع عاراً إلا ركبه ، ولا إثماً إلا ارتكبه ، فطاف به طائف
اعتلال ، بعد طول إملاء من الله وإمهال ، فكان يقول : أي ربّ ، بأيّ
ذنب أخذت ، وعلى أيّ جريرة عوقبت ؟ ! هذا كان استغفاره ، حتّى
حما الموت أخباره .

وقال أيضاً :

يا شعراء العصر لا تحسّبوا شعركم منذ كان محسوسا
فإنّما حيّيتكم ميّت كأنّما مَحّيتكم عيسى
إن كان منظومكم عندكم سحرّاً فمنظومي عصا موسى

وقال في أبي عبد الله بن الحدّاد بالمرية^٢ :

قالوا ابن حدّاد فتى شاعر قلت وما شعركم ابن حدّاد ؟
أشعاره مثل فراخ الزّنى فتش تجد أخبث أولاد

١ ديوان المتنبي : ٥٥٨ .

٢ مرت ترجمته ص : ٦٩١ .

ومن شعره في أوصاف شتى

ضعتُ في مَعَشِرٍ كما ضاعَ نوحٌ بينَ قَومٍ قد أصبحوا كُفَّارَهْ
ضربوه وما ضُربْتُ ولكن جعلوني ممَّنْ يُتَافَرُ دارَهْ
فتأخَّرتُ عن ديارِي لهوني والهويْنَا لِمَنْ يُخَلِّي ديارَهْ

وقال :

رأيتُ بني آدمٍ ليس في جُمُوعِهِمْ مِنْهُ إِلَّا الصُّورَ
فلَمَّا رأيتُ جَمِيعَ الأَنامِ كذلك صيرتُ كَطِيرٍ حذر
فمهما بدا مِنْهُمْ واحدٌ أَقلُّ قُلٍّ أَعُوذُ بِرَبِّ البَشرِ

وقال ٢ :

تَحَفَّظْ مِنْ ثِيَابِكَ ثَمَّ صُنْهَا وَإِلَّا سَوْفَ تَلْبِسُهَا حِدَادَا
وَمَيِّزْ عَنِ زَمَانِكَ كُلَّ حِينٍ وَنَافِرٍ ٣ أَهْلَهُ تَسُدُّ الْعِبَادَا
وِظُنٌّ بِسَائِرِ الْأَجْنَاسِ خَيْرٌ وَأَمَّا جِنْسُ آدَمَ ٤ فَالْبَعَادَا
أَرَادُونِي بِجَمْعِهِمْ فَرُدُّوا عَلَى الْأَعْقَابِ قَدْ نَكَصُوا فِرَادَا
وَعَادُوا بَعْدَ ذَا إِخْوَانٍ صِدْقٍ كِبَعُضٍ عَقَارِبٍ عَادَتْ ٥ جِرَادَا
وَمَنْ يَلْمِخُ ذُكَاءً بِنَظَرِيهِ يَظُنُّ بَيَاضَ قِرطَاسٍ مَدَادَا

١ ط : فأصبحوا .

٢ وردت أربعة منها في المغرب وخمسة في النفع ٣ : ٢٩١ .

٣ النفع : وناظر .

٤ ط : صادت (أقرأ : صارت) ؛ النفع : رجعت .

وقال :

يَمْنَعُنِي مَنْ تَكَسَّبَ الْوَلَدُ عَلِمِي بِأَنَّ الْبَيْنَ مِنْ كِبْدِي
فَإِنْ يَعِيشُوا أَعْشَ عَلَى ظُلْمٍ وَإِنْ يَمُوتُوا أُمْتُ مِنَ الْكَمْدِ
وَإِنْ أُمْتُ قَبْلَهُمْ تَرَكْتُهُمْ أَهْوَى بَيْنَ الْأَنَامِ مِنْ وَتْدِ

وقال :

حَاسِدِي^١ لِي مُعَذِّبٌ يَتَقَلَّى مِنَ الْحَسَدِ
وَأَنَا عَنْهُ غَافِلٌ لَا وَجَدْتَ الَّذِي يَجِدُ
دَعْنِي يَشْقَى بِدَائِهِ دَاوَاهُ عِلَّةُ الْكِبْدِ
طَارَ ذِكْرِي وَلَمْ يَطِيرْ ذِكْرُهُ فَهُوَ يَتَّقِدُ

وقال :

قَصَّتِي يَا سَادَتِي مُضْحَكَةً بَيْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ يُبْكِي بِالْمَقْلِ
إِنْ أَجْنَحُكُمْ بِغَرِيبٍ قُلْتُمْ عِنْدَنَا أَغْرَبُ فَاسَكْتُ أَوْ فَتَقُلْ
أَبْصَرَ النَّصَالَ^٢ دُرّاً غَالِيَا قَالَ عِنْدِي مِنْهُ أَعْلَى وَأَجَلْ

ومن مقطوعاته الإخوانيات

ورد ابنُ شَرَفٍ غُرْنَاطَةَ ، فَنَخَلَفَ عَنْ قَصْدِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعْتَذِراً :

كَتَبْتُ إِلَى سَيِّدِي قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ وَرَجُلِي قَدْ زَلَّتْ
أَيَقْصِدُ يَنْدُبِلُ^٣ غُرْنَاطَةَ وَأَتْرُكُ قَصْدِيهِ فِي زُمْرَتِي

١ ط : حاسد .

٢ كذا في ب م ، ولم يرد البيت في ط .

٣ ب م : يدهل .

ونهبطُ كيوانُ من برجه
فمعدرةٌ لكَ حتى أراكَ
إلينا ونحنُ على غفلةٍ
فأنتَ الممثلُ في مُهجتي

فأجابه ابنُ شرف :

بدأتَ وللمبتدي الفضلُ في
وما الودُّ إلاَّ امتنانٌ وقد
وبالسبقِ في أولِ المجرنينِ
وحُدثتُ أنكَ سَمَحُ الطِّباعِ
ونفْسُكَ فاضلةٌ حرّةٌ
خلائقُ لو مازجتها الجبالُ
فلو مِن أبانٍ ورضوى خلقتَ
فروضِ المودّةِ والسنةِ
سبقتُ سواكَ إلى المنّةِ
تقدّمَ قَومٌ إلى الجنةِ
إذا ما طِباعُهُم ضنّت
إذا عاينتُ فاضلاً حنّت
إذن رقصتُ لكِ أو غنّت
لما كنتَ إلاَّ مِن القنّةِ

وله في الوزير الكاتب أبي عمر بن الباجي ^١ :

يا فاضلَ الشرطةِ شرطي على
فاحذِفْ لي السَّيْنَ وسوفَ الي
« فسوفَ » سيفٌ قلبتُ واوُها
فردّها حالاً ففعلٌ مَضَى
شَريطِكَ تنويهي ولا أُختَلِفُ
زبدتُ على الزائد فهو الأَخَفُ
كم قطعْتَ أعناقَ من قد سلف
ماضٍ وما استقبيلٌ قد يَتخَلَفُ

ومن شعره في النسيب وما يناسبه

قوله :

بين الأزرّةِ والمآزِرِ
فإذا نظرتَ إلى الخلدو
حُسْنٌ ^١ نحنُ له الأكابرُ
دِ رأيتَ أنواعَ الأزاهيرِ

١ ترجمته في القسم الثاني من اللخيرة .

٢ ب م : جيب .

وإذا تأملتَ الثَّغورَ وما لناظمهنَّ نائر
أبصرتَ دُرّاً يفتندي خمرأً وما للخمرِ عاصر
وإذا تأملتَ المعابرَ جَرَّ تحتها دُعيُّ المحاجر
خِلتَ المنيةَ أقبلتُ من جيشِ صقْلَبَ والبرابر

وذكرتُ بهذا البيتِ الأخيرَ وإن لم يكن في معناه قولَ بعضِ أهلِ
عصرنا :

بي شادنُ خدُّه كالصُّبحِ منبِليجُ وصُدغُه كسوادِ الليلِ يلعبُ بي
كالزَّنجِ حَلَّتْ بأرضِ العربِ فاصطَلَحَتْ فما بقائِي بينَ الزَّنجِ والعَرَبِ !؟

نظرَ في هذا إلى ما أنشدَه الثَّعالبيُّ لبعضِ أهلِ عصره :

سوادُ صُدغينِ من كُفَرٍ يُقابِلُهُ بياضُ خَدَّينِ من عدلٍ وتوحيدِ
قد حَلَّتِ الرُّومُ أرضَ الزَّنجِ فاصطَلَحَا فويحَ نفسِي بينَ البِيضِ والسَّودِ !

وقال السَّميمسر :

لما أبى عن وِصالي وأُضرمَ القلبَ نارا
ولم أجدُ لي عزاءَ دَعوتُ رَبِّي انتصارا
وقلتُ : يا رَبِّ أَتَيْتُ بعارِضِيهِ عِذارا
فكانَ ذاكَ ولكن زادَ الفؤادُ استعارا
إذ صارَ صُبْحاً وليلاً وكانَ قبلُ نهارا

وهذا كقول الآخر إلا أنه قلبه :

حلّقوا رأسه ليزداد قبّحا غيرة منهم عليه وشحا
كان قبل الحلاق صبيحاً وليلاً فمحو ليله وأبقوه صبيحاً

وقال :

أيّها العائبُ العِذا رَ وذُو الجَهلِ عائبُهُ
لا أَحِبُّ العِذارَ إلّا إذا شابَ صاحِبُهُ
فاطرحْ قَوْلَ من يقو لُ كما طرَّ شارِبُهُ
هو والطفَلُ واحدٌ حينَ يَهواهُ راغِبُهُ
أنا أشكوه وهو تُلّا يَمِيهِ عَنِّي مَلاعِبُهُ
وإذا ما اصطَفَيْتُ كَهـ لّا صَفَتُ لي مَشارِبُهُ

وأينَ هذا من قولِ بعضِ أهلِ العصرِ في ضِده :

ما أنتَ والجلوازَ في خَلَوَةٍ إِيّاكَ ما امتدَّ بها الصَّوتُ
اللهَ في نَفْسِكَ مِن ظَنَّةٍ يَهونُ في جانِبِها الموتُ
إن كانَ فالطفَلُ ولم يَحْتَلَمْ مِن قَبْلِ أنْ يُدْرِكَهُ القَوْتُ

وقال أيضاً يناقضه ١ :

أوصيكَ حيثُ النَّصحُ مُعْتَرَضٌ ٢ إِيّاكَ والمُرَدَّ وهيَ حَتَلَمَةٌ
الطفَلُ ما أَصْبَحَتْ أو يَرْتَهُ إذا اسْتَشاطَتْ كأنّها حَتَلَمَةٌ

١ لم ترد هذه المقطوعة والتي تليها في ط .

٢ هذا الشطر مختلف في وزنه عن سائر الأَشْطار في المقطوعة .

واقسُ عليه إذا شكَا وبكى
لا تخشَ والقولُ عنكَ مُرتفعُ
فإن تجاوزتَ ما حددتُ فما
لا رَحِمَ اللهُ كلُّ من رَحِمه

وقال أيضاً يناقضُ السَّميسرُ :

بدا لي منكَ نُبْلُ وانطِبَاعُ
سأجعلُ بيننا حيثُ التقينا
وبينَ يَدَيْكَ أمرٌ لا تَكِلُهُ
ستلقى في غَدٍ طفلاً بزيعاً
تري صُبْحاً من الكافورِ بَضّاً
فما استهواك فاتركه ودَعَهُ
إذا ارتعدَ الحُسامُ وراقَ حُسناً
هو الجِدُّ الذي لا هَزَلُ فيه
كبيرُ السنِّ زادَ على ثمانِ
فإن يَلِكُ صاحباً وأردتَ زوراً
أترضى أنْ يُقالَ أبو فلانِ
وظنَّني أن ستكفيكَ الإشارةُ
وقوعَ السَّوطِ مِن كَفِّي أماره
إلى نظيرِ الغَمارةِ والغَراره
يجرُّ مِن بزاعتهِ لزاره
كما تُدري النقاوةُ والنضاره
وحاصِرُهُ وإن أبدى حصاره
فذاك الوقتَ لا تأمَنُ غِراره
فدَعْ سَمَجَ الفُكاهةِ والشطاره
وعَشْرُ كيفَ تألفه الزَّياره ؟
فحصنُ ما استطعتَ من الحصاره
يُنالكُ ولو حَمَلتَ بها الإماره ؟

وقال أيضاً في مثله يناقضُ السَّميسرُ :

الطفُلُ في عَشْرِ فما هوَ دونه
لا تَعْدُلِ الإنسانَ في شَهَوَانِه
حتى يجيءَ الظنُّ غيرَ مرجَمِ
في الناسِ من يَلتذُّ أكلَ الحَصْرُمِ

ومن الإفراط في مدح العذار قول ابن غصن الحجاري^١ :

فديتك لا تخف مني سلوا إذا ما غير الشعر الصغار
أدين بدين خل كان خمراً وأهوى لحيه كانت عذار

وقال أيضاً بعض أهل العصر^٢ يناقضه ، واستطرد فيه إلى هجوه
استطراداً ظريفاً :

إن كنت تهوى مليحاً فلا تقل بمُعذر
واهو الصغار ففيهم على الحقيقة تُعذر
دع الكبار لقوم دانوا بدين السميسر

وحقيقه الاستطراد^٣ عندهم أن يري^٤ الشاعر أنه يريد مذهباً ، وهو
إنما يريد غيره ، فإن قطع ورجع إلى ما كان فيه فهو الاستطراد الحقيقي ،
وإن تبادى فذلك الخروج ؛ وأصح الاستطراد قول السموأل^٥ :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
واتبعه الفرزدق فقال^٦ :

كأن فجاج الأزد حول ابن مسمع^٧ إذا اجتمعوا أفواه بكر بن وائل

١ انظر القسم الثالث ص : ٣٣٥ ، ٣٣٩ .

٢ ط : الأدب .

٣ هذا الفصل عن الاستطراد متابع للعدة ٢ : ٣٩ - ٤٢ .

٤ ط : أن يوصى .

٥ ب م : صفة شيء ؛ العدة : وصف شيء .

٦ شرح المرزوقي ، الحماسية رقم : ١٥ وزهر الآداب : ١٠١٦ .

٧ البيت له في زهر الآداب : ١٠١٥ .

٨ هو مالك بن مسمع بن شيبان سيد بكر ، انظر عنه صفحات متفرقة في شرح النقاظ .

ثم أتى جريرٌ فأرَبى وزادَ بقوله^١ :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسْمِي وَعَلَى الْبَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

فهجا واحداً واستطردَ باثنين . وقال مخارقُ بن شهابِ المازنيّ يصفُ معزى^٢ :

تَرَى ضَيْفَهَا فِيهَا يَبِيتُ بِغِبْطَةٍ وَضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَحَوَّبُ

فوفد ابنُ قيسٍ على النعمان ، فقال له : كيف مخارقُ بن شهابٍ فيكم ؟
قال سيّدٌ شريف ، من رجلٍ يمدحُ نيسه ويهجو ابنَ عمته !

ومن جيّد الاستطراد قولُ دَعْبَلٍ ، وقيل بشّار وهو أصحُّ^٣ :

خَلِيلِي مِمنْ كَعْبٍ أَعِينَا أَخَاكُمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينُ
وَلَا تَبْخَلَا بِخُلٍّ ابْنِ قَرْعَةٍ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
إِذْ جِئْتَهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَبِينُ

وقال أبو تمامٍ في صفةِ فرسٍ^٤ :

وَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَا زَيْمُ عَلَى السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوَحْدَانِ
أَيَقْنَتَ إِنَّ لَمْ تُثَبِّتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرَتِ دَمَرٍ أَوْ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانِ^٥

١ شرح النقائض ١ : ٢١٣ وروايته : وضفا البعيث ، وكذلك ديوان جرير : ٩٤٠ وزهر الآداب : ١٠١٥ .

٢ الحويان ٥ : ٤٨٩ - ٤٩٠ يصف نيس غنمه .

٣ ديوان بشار (جمع العلوي) : ٢٢٠ وزهر الآداب : ١٠١٦ .

٤ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٣٤ وزهر الآداب : ١٠١٤ - ١٠١٥ وأخبار أبي تمام : ٦٨ .

٥ هو عثمان بن أدريس السامي (الشامي) .

وأخذه البُحْثري فقال^١ :

ما إن يتعافُ قذَى ولو أوردَتْه يوماً خلائقَ حمدويه الأحول

وقد يقعُ من الاستطرادِ ما يخرجُ به من ذمٍّ إلى مدح ، كقول زهير^٢ :

إنَّ البخيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولا كَنَّ الجَوَادَ على عِيَالَتِهِ هَرِمُ

ومن مدحٍ إلى ذمٍّ ، كقول بكر بن النطاح في مالك بن طوق^٣ :

ففي شَقِيتُ أُمُواله بعفاته كما شَقِيتُ بَكْرُ بأرماح تغلبِ

وهذا مليح ، أوله خروج وآخره استطراد ؛ وملاحظه أن مالكا من بني تغلب ، فصار الاستطرادُ زيادةً في مدحه . ومما استطرَدَ به أبو الطيب قوله^٤ :

يموتُ به غيظاً على الدَّهْرِ أهله كما ماتَ غيظاً فاتكُ وشيبُ

على أن هذا البيت لم يقع مَوْقعَ غيره من أبيات هذا الباب . إذ ليس المقصدُ فيه مدحاً ولا هجاءً للرجلين المذكورين ، لكن التشبيهُ والحكاية لا غير .

وأصلُ^٥ الاستطراد أن يريكَ الفارسُ أنه فَرّ ، وإنما فرَّ ليكُرّ ،

١ ديوان البُحْثري : ١٧٤٥ وزهر الآداب : ١٠١٥ وأخبار أبي تمام : ٦٩ .

٢ ديوان زهير : ١٥٢ .

٣ زهر الآداب : ١٠١٧ وديوانه : ٧ (صنعة حاتم الضامن) .

٤ ديوان المتنبي : ٥٠٠ .

٥ الصمدة : وقيل أصل .

وكذلك الشاعر يُريك أنه في شيء فيعرض له شيء لم يقصد إليه فيذكره
وإن لم يقصد حقيقةً إليه . ومن الاستطراد نوعٌ يسمى الإدماج ، كقول ابن
طاهر لابن وهب حينَ وزرَ للمعتضد :

أبى دهرُنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرِمُ
فقلتُ له نعماكَ فيهم أتمها ودعُ أمرنا إنَّ المهمَّ المقدمُ

ومن مליحِ الإدماجِ قولُ ابنِ مسعدةَ في فصلٍ من رُقعةٍ :

كتابي ومَن قبلي من القواد والأجناد^١ ، في الطاعة والانقياد ، على
أحسن ما تكونُ عليه طاعةُ جُنْدٍ تأخرتُ أرزاقهم . واختلَّت أحوالهم .
فقالَ المأمون : ما أحسنَ إدماجهُ المسألة في الإخبار ، وإعفاء سُلطانِهِ من
الإكثار !! اكتبوا له رزق^٢ ثمانية أشهر . وهذا النوعُ عندهم أغربُ من
الاستطراد ، ومن مليحه أيضاً قولُ بعضِ الفقهاء :

إن كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثتني فعليك إثمُ أبي حنيفةَ أو زُفَر^٣
الواثينِ على القياسِ تمرُّداً والراغبينَ عن التمسكِ بالأثرِ

ومما هجمي به السَّميسِر قولُ ابنِ الحدَّاد : ويدخلُ في بابِ الاستطراد :

يا أهلَ غرناطةٍ نيكوا سَميسِرَكُمُ ففي رُميلتنا عنه لنا شُغلُ

١ العمدة : قواده وأجناده .

٢ ب م : برزق .

٣ هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس من بني العنبر ، سمع الحديث وغلِب عليه الرأي
(طبقات الشيرازي : ١٣٥ والجواهر المضية ١ : ٣٤٣) .

فصل في ذكر الأديب الأريب أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث^١ وجملة مما وقع إلي من نثره ، تعرب عن محله من الأدب وفهمه

قال ابن بسام : أبو العباس هذا في وقتنا بحضرة قُرطبة ، مُقلِّدٌ عَيْنِ
العصر ، وصفحةٌ وجه الدَّهر . تبرزاً في النظم والنثر . وقد أثبت من
كلامه قطعةً تنبئُ عما طالعه من علوم . ونظر فيه من أنواع التعاليم ، على
صغر سنه . ولدانة غصنيه .

لما بلغه جمعي لهذا التصنيف خاطبني برقعةٍ استفتحها بهذه الأبيات :

يا من تكلفَ جمع المجد في ورَقٍ أنا أناديكَ جهرًا غيرَ تعريضٍ
ذهبتَ عصرَكَ يا من شعره ذَهَبٌ بالمذهباتِ فأتبعنا بتفضيـضٍ
فشبهُ تبركٍ متلوًا^٢ بفضَّتنا جُمانُ خودٍ على لبَّاتها البيضِ

يا سيدي وعمادي . طال بقاؤك ، ودام علاؤك ؛ تكلفتَ من العنايةِ
بتنويهي ما دلَّ على محتدك الكريم . ونصابتك السليم . على انتمالك من المجد
إلى دوحةٍ ساقطها قويم^٣ . وطلعتها هضيم ؛ ولولا ثقتي بتميزك ، وظهورك
في هذه الصنّاعة وتبريزك ، ما اجترأتُ على أن أجري بما كتبتُ إليك به

١ ذكره أبو الوليد ابن خيرة في شيوخه وقال : أدركته وجالسته ، وله كتاب مفيد في النفس
(انظر التكملة : ٣٧ والذيل والتكملة ١ : ٣٦١ والمغرب ١ : ١٠٩ والمساك ١١ :

٤١٥) .

٢ ب م : مجلوا .

٣ ط : قديم .

كفّاً ، ولا أن أخطُ متباهياً بها حرفاً ، فهي تجري منك على يدي نقاد ،
وأنا إذ عليك أنشرُ بزّي أضعُ الثوبَ في يدي بزازاً .

وكتبَ إليّ أيضاً في مثله أوّلَ ورودي بقرطبة ، وقد بلغه ثنائي عليه
بمجلس بعض الأعيان فيها ٢ :

يا دَوْحَةَ المجدِّ الكريمِ وسلالةَ الشرفِ الصِّميمِ
والغُرَّةُ الغراءُ في وجهِ النّيرِ وفي النّظيمِ
قد كان نامَ زماننا عن كشفِ آثارِ العلومِ
حتى أتيتْ مُنبهاً جفنيهِ تنبيهَ النسيمِ
فردّته يقظانَ بمحوِ محوٍ عن تلكَ الرسومِ
إنّ الصّباحَ إذا انجلى جلتى المنامَ عن النّومِ

من الواجبِ كانَ - أعزّكَ اللهُ - عليّ وعلى مَنْ ينتسبُ إلى أدبٍ ،
ويتعلّقُ منه بأدنى سببٍ . أن يمتطي إليك ظهورَ العيسِ المهريةِ . وصهواتِ
إبليادِ الأعوجيةِ ، حيثما استقرّ مكانك . وثبتَ إيوانك ؛ فكيف إذا جلاك
مصباحُ بلادنا بضياؤه ، وستركَ ليلُ عراصنا ؛ بظلماته . فانتظمتك معنا
هذه الجلدان التي جللتَ عنها قدراً . وسموتَ رفعةً وخطراً . ولكنّ
المهيبَ لا يُجسرُ عليه ، ولا تنقلُ قدَمُ التّقدّمِ بداهةً إليه . بل يرتقبُ منه

١ من قول المتنبي (ديوانه : ١٩٠) :

ملك مشدّ القريض لديه يضع الثوب في يدي بزاز

٢ في النسخ : بقرطبة .

٣ ب م : النجر .

٤ ط : عارضا .

المتوصل^١ لفظة في عرض ناحيته ، أو لحظة تقع على ساحته ، نجعل
الأولى سبيلاً ، والأخرى هادياً ودليلاً .

ولقيتُ فلاناً فأنسى إلى جملة كلامك في ، وأنت ممن لا يجارى خطاباً ،
ولا يُبارى كتاباً وجواباً ، براعة في لفظٍ يتبرّجُ في مُلامِ الوشي الصَّنْعاي ،
ويتصدى في أردية العصب اليماني ، ونظم ودَّ الربيع لو توشح به تفصيلاً ،
ونثر كثير العقود ، وتفويف البرود ، والغرر البيض في الطرر السود .
إن نظمتُ فصريع صريع ، والبديع غير بديع ، وإن نثرتُ فالصاحبُ صاحب ،
وقابوسُ ذو بؤس ، وهذا بابٌ لو استقصيته فبك غاية الاستقصاء ،
واستقرَّ به نهاية الاستقراء ، لتغلغل بنا الكلام ، إلى نفاذ الأمدّة والأقلام .

وفي فصل منها : ولما كنتُ منى انحرفت إلى النثر ، أو انصرفت إلى
الشعر ، أجريتُ فيهما بعدك بالخطار ، وضربتُ منهما عقبك بذوي الفقار ،
رأيتُ أن أتبع بفضه بعضاً ، حتى أجلو عليك وردهما جنباً غصاً ، فهاك
النثرَ يجلو ، والنظمَ يجلو :

يا ماجداً ينمى إلى بسام قد ذبت بين محبة وهيام
توقاً إلى لقياك ...

[ثم كتب قصيدة على روي نسي^٢ قال فيها بصيف شعراً خاطبته به] :

لا حشوّ فيه ولا معازلة^٣ به سليس على الأسماع والأفهام

١ ط : المتوصل .

٢ يريد على روي « بسام » .

٣ ب م ط : مناقلة .

وَيُرَى الْبَدِيعُ بِهِ بَغِيرُ تَكْلُفٍ مَا بَيْنَ مَنْفَرِدٍ وَبَيْنَ تَوْامٍ
مُتَقَسِّمٌ مُتَقَابِلٌ مُتَظَارِدٌ مُتَجَانِسٌ مُتَطَابِقٌ الْأَقْسَامُ
إِنْ رُمَتْ تَشْبِيهًا أَتَيْتَ بِكُلِّ مَا يَجِدُ الشَّجِي مِينَ لَوْعَةٍ وَغَرَامٍ
أَوْ رُمَتْ تَشْبِيهًا قَرَنْتَ مُشَبَّهًا بِمُشَبِّهِهِ فِي غَايَةِ الْإِتْمَامِ
أَوْ رُمَتْ مَدْحًا لَمْ تَكُنْ مُتَطَلِّبًا مَا لَيْسَ فِي الْمَدْحِ مِنْ أَحْكَامِ
حِدْقًا بِمَا تَأْتِي وَمَعْرِفَةً بِهِ وَتَصَرُّفًا فِي أَفْقٍ كُلِّ كَلَامِ

وأحسنُ من هذا التقسيم قولُ أبي بكر عبادَةَ بن عبد الله بن عبادَةَ من
جملة أبياتِ مخاطبتي بها أيامَ مُقامه عندنا بالأشبونة ، أولها :

يَا مُنْبِغًا عَلَى السَّمَائِينَ سَامٍ حُزْتُ فَضْلَ السَّبَاقِ مِنْ بَسَامٍ
قَدْ خَبِرْتُ الْوَرَى فَلَمْ أَلْهَمُ إِلَّا يُقَالُ الْأَنْهَامِ وَالْإِفْهَامِ
وَنَامَلْتُ مِنْكَ نَكْتَةً بِغَدَا دَ لُبَابِ الْعِرَاقِ مَعْنَى الشَّامِ
شَكَّ ذَهْنِي فِي أَنْ يَرَى بِتَصْرِيٍّ لَمَكَ حَتَّى خَلَيْتَنِي فِي الْمَنَامِ
إِنْ تَحَكَّ مِدْحَةً فَأَنْتَ زُهَيْرٌ أَوْ نَسِيًّا فَعُرُوءُ بْنُ حِزَامِ
أَوْ تُبَاكِرُ صَبْدَ الْمَهَا فَابِنْ حَجَرٍ أَوْ تُبَكِّي الدِّيَارَ فَابِنْ خِذَامِ
أَوْ تَذُومُ الزَّمَانَ وَهُوَ حَقِيقٌ فَأَبُو الطَّيِّبِ الْبَعِيدُ الْمَرَامِ

في أبيات غير هذه ، مع خبر طويل هو ثابت في موضعه من هذا المجموع .

فصل لأبي العباس من رُقعة مخاطب بها بعض إخوانه : كُتِبْتُ وَأَنَا
من الحُزْنِ فِي ثَوْبِ حِدَادٍ ، وَدَمَعٍ كَأَكْفِ الْأَجْوَادِ ، شَوْقًا وَوَحْشَةً

إلى الأنس بتغيؤ ظلك الوارف ، كمهدي السالف ، وتوقاً ودهشةً إلى برد
مائك الحصب ، كزمان الماضي الحصب^١ :

سقباً لظلك بالمشي وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم^٢

< وإني > وإن كنت مقيماً على كرم عقد^٣ ، كهذا الزمان الذي قام
وزنه فأصبح غلاماً ، وأطلع حسنه قمرأ تماماً ، بين فرادى من نواب
أزهار كالرباط ، وتوأم من حدائق أنوار كالأنماط ، قد تفتحت
عيونها ، وتكشفت مصونها . وحلت أزرار جيوبها ، عن مسكها وطيبها ،
وابتسمت أفواه ثغورها ، عن لؤلؤها وشذورها ، وأترعت جدواها
فتسلسلت ، وتربت أرضها فتصندلت ، لعالم أنك لي على أمثالها ،
ثقة بمجدهك الذي هو ضربة لازب . واستنامة إلى أن عقبك من الوفاء على
الذروة والغارب .

واندرج له فيها شعر^٤ قال فيه :

أو حين نور عارضي فتفتحت أنواره فكأنتها أنوار
أصبحت لا تلوين فارعي حقه أو ما لمظلم ليلة إسفار ؟
يا هذه حرب الزمان شهدتها فعلي من ذاك الغبار خمار

١ الحصب : المفروش بالحصباء ، ويكون الماء صافياً ، ولذلك قال أبو ذؤيب :

فكرهن في حبرات مذب بارد حسب البطاح تقيب فيه الأكرع

وقد خصبت الأرض فهي خصبة مثل خصيبة .

٢ من أبيات لأبي القمقام الأسدي (معجم البلدان - وغل) .

٣ ب م : عهد .

ومن المديح :

جَزَلٌ أَحَطْتُ بِخُبْرِهِ فوجدته كالخمر لكن ليس فيه خمارٌ
نَادَتْ تَحَالِفُهُ الْعَلَا فَأَجَابَهَا أَلَا تَفْرُقُ مَا أَضَاءَ نَهَارَ
أَهَا وَإِنَّ مِنَ التَّوَجُّعِ آهَةٌ لَوْ حُسِّمَ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ مَزَارُ
فَأَبَتْ مِنْ أَمْرِي الْخَفِيِّ وَرَاحَةً لِلنَّفْسِ فِي أَنْ تُطْلَقَ الْأَسْرَارُ
خُذْهَا كَمَا اعْتَدَلْتُ أَنَابِيْبُ الْقَنَا مِيزِي الثَّقَافُ لَهَا وَذَهَبِي النَّارُ^١

قوله « فعلى من ذاك الغبارِ خمارٌ » في صفة الشيب كقول ابن المعتز :

« هذا غبارُ وقائع الدهرِ » وقد تقدّمَ هذا المعنى بما فيه :

وأخذه < آخر > فقال :

قالت غبار قد علا لك فقلت ذا غير الغبارِ
هذا الذي نقل الملو ك إلى القبور من الديار

وله من أخرى: ولما ورد كتابه غايةُ الفصاحة، ومنتهى البلاغة والملاحه،
قبلته عشرًا، وأقبلته مني رأساً وثغراً، وحينَ فضضتُ مسكة الخاتم^٢
سقط بصري على شكلٍ مُشَيِّقٍ خطته فاندمج، ووسّع بين أسطاره فأنفرج.
فيا للكتاب من كتابٍ قصّرَ وطال، وجمد قلمُ كاتبه وسال، نتيجةُ
برهانٍ مُقدّمته الطبعُ والبراعة، والجزالةُ والإصابة، جمعَ بين مبدأ

١ ورد هذا البيت في المغرب .

٢ ط : مسك الخاتم .

البلاغة^١ وآخرها ، في سحابةٍ طولها فتر ، وعرضها ظفر ، ولا غرو فمن
عَلِمَ الأصولَ استنبطَ الفروع ، وَمَنْ انتقى القليلَ استغنىَ عن شَغْبِ^٢
الجُمُوعِ ، ولذلك جعلته إماماً أحتذيه ، ومثلاً أمانته وأقتفيه . ولو أسهبتُ
هكذا أبداً ما بلغتُ غايةَ الوصفِ ، ولا أعطيته من حقِّه التَّصفِ .

وله من أخرى فيمن حملَ القلنسوةَ وأنهضَ إلى الشُّورى ، وخاطبَ
بها قاضيَ قطره : لم يَغِبْ عنكَ - زاد اللهُ في توفيقك - رحلةُ أحدِ القائمين
بشْرِ عَلاك ، المطيِّبينَ محاضِرَهم بطيبِ ذَكَراك ، الفقيهَ أبي فلان أبقاهُ
اللهُ ، وأتَه هجرَ الوطنِ على خصبه ، ووصلَ منزلَ الغربةِ على جَدبه ،
مُتَكَرِّراً إلينا ، ومدارساً علينا ، بأصغرِينَ أكبرِينَ : قَلْبِ أَصمَعِ ، ولسانِ
مصقعِ ، فما مطلته بحمدِ الله الأَيَّامَ ، ولا سوفته الأعوامَ ، حتى لحقَ بالمرتبةِ
التي تفصلُ بها القضيةُ الشَّعَاءَ^٣ ، وتسمَعُ النَّازِلَةُ الصَّمَاءَ ، وحتى أفضى
إلى المتزلة التي تقتضي تعصيته بالشُّورى ، وإلحاقه بعدادِ أهلِ الفِئَةِ ، تطبيقاً
للمفصلِ ، وتبييناً للمشكلِ ، وعند ذلك ما رأينا لإنهاضِهِ إليها ، وأن يتزيَّنا
بزيِّ أهلها عَمَّن سواه ، وحمائنا على التزامه دونَ كلِّ زِي عَداءِ ، على
ما أنت الحرِيُّ بحمله عليه كما حملناه . ولَمَّا كَانَ مثلك في سِرُوك ، وميلك
إلى المجدِّ وصغوك ، لا يُعَلِّمُ كيف يبني المجدَّ ويشيده ، ولا كيف يمهده
ويُنَجِّده ، كما لا يُعَلِّمُ الفمُّ التَّبَسُّمَ ، ولا اللسانُ التَّكَلُّمَ ، كان واجباً
أن يكتفى بيسيرِ العبارةِ ، وقليلِ الإشارةِ ، ومهما زدته من كريمِ رعايةِ ،

١ ط : الغاية .

٢ ط : شغب .

٣ ب م : الخطة (اقرأ : الخطة) الصماء (اقرأ : الصلواء) .

وجميل حفاية ، فنحن شاكروك شكراً يهز عطفك^١ ، طوراً هز المهند ،
وطوراً هز القضيبي الأملد .

وله من أخرى يعزّي بعض الأعيان : قد علم - أطال الله بقاءه وأحسن
عزاه - أن سكان هذه الدّار ، وإن تراخّت بهم الأعمار ، ينتقلون منها
تنقل الأفياء ، كما يتلونون فيها تلون الحرباء ؛ فإن من وقع تحت الكون
والفساد ، وانبعث من الأضداد في مركز الأضداد ، غير بديع^٢ في طباعه
أن ينحلّ جرمه ، إلى ما منه تألّف حجمه ، وأن تتخلص شعله نفسه من
ذلك الصّلتال الذي سقطت لديه ، فاحتوى عليها وأوت إليه ، ثم ضرب
لها أجل معدود ، ووقت محدود ، وهو النهاية بعد المبدأ ، والتلاشي بعد
المنشأ ، فتعود عند ذلك الطبيعة الترابيّة إلى أصلها^٣ ، والشعلة النوريّة
إلى شكلها ؛ فإن كان ما قدّمت خيراً حمدت الجيئة ، وإن كان شراً رغبت
- وأتت لها - في الفيئة . ثم لم تُترك في حين سلوكها إلى الوقت المعلوم ،
والأجل المحتوم ، سائلة من الضّرّاء ، آمنة من البرحاء ، بل قرّنت بها هنات
مُجحفات ، وحُبّبَ إليها خطوب متلفات ، فلم تنفك من تغيير مُجحف ،
وتعثير متلف^٤ .

وإذا كان الوزير - أعزّه الله - عالماً جملةً هذا الخبر وتفصيله ،
ودقيقاً هذا الغرض وجليله ، فالمتوفاة - قدّس الله روحها ، وبل بالرحمة
ضريحها - وإن كانت منه كالبنان من اليد ، والزّند من العضد ، فلأنتي

١ ب م : عطفك

٢ ط : يعيد .

٣ ط : أرضها .

٤ ب م : يحسف ... يتلف .

لأعلم أنه لم يتلقَ وارد حمامها تلقى الغافل الفارغ ، بل سَلَّمَ القضاء ،
وأفضى إلى الدعاء ، فلا معنى لتذكيره الصبرَ ومنه يُستفاد ، وتبصيره
الأجرَ وعنه يستزاد^١ . ولما كانت التعازي على الأعصر الحالية من العوائد
الجارية ، كتبتُ رقعتي هذه ، فإن لم تكن تبصيراً ، كانت مطالعةً وتذكيراً .

وله في فصلٍ في صفة ورّاق : وأما أبو فلان فإنه يُقَلَّبُ من المعاش
كفّاً صغراً ، ويستدرُّ من ضرعِهِ مقداراً نزرّاً ، بخطوطٍ غير منصّمة ،
ونقطةٍ غير مُنْقَسمة ، وشُكْلٍ تشكّلُ الحظّة عن الإتيان ، وتُطلقُ رجلَ
الفاقة والحرمان ، فقُبْحَنَ من خطوطٍ تحطُّ الخطوط ، ونقطةٍ تثير القنط ،
وشُكْلٍ تبعثُ الكسل ؛ وقُبْحَ من رزقٍ يحرمُ سلمه بجليلِ الأفهام ، [ويحبط
بدقيق الكلام] ويعضدُ بريقِ الأقلام^٢ ؛ ثم يفضي خابطه^٣ لحظ نزر ،
غير جليل ولا ثر^٤ .

وهذه جملة من شعره

قال في النسيب على مذهب أهل أفقنا في لباس البياض على المتوفى^٥ :

قالت وقد نَظَرْتُ فروجها شَيْبٌ على فودي مُنتَشِرُ
ما شأنُ تلك البيض ، قلتُ لها ماتَ الشابُ فبيَضَ الشعرُ

١ ب : وعنده يستزاد .

٢ ب م : ويحبط بدقيق الأقلام .

٣ ب م : خابطها .

٤ ب م : ضر .

٥ وردت في المسالك .

وهذا كقول الحلواني تلميذ أبي علي ابن رشيح^١ :

إذا كان البياضُ لباسَ حُزْنٍ بأندلسٍ فذاك من الصواب
ألم ترني لبستُ بياضَ شبي لأنني قد حزنتُ على الشبابِ ؟^٢

[وأراه من هذا نقل ، وعليه عوّل] .

وقال ابنُ فرجٍ صاحبُ كتاب « الخدائق » مما ينظر إليه بعضُ النظر :

ونرجسٍ تطرِفُ أجفانه كقُلَّةٍ قد دبَّ فيها الوسنُ
كانه من صُفرةٍ هاشقٍ يلبسُ للبينِ ثيابَ الحزنِ

وقال أبو العباسِ ابنُ قاسم :

قالتُ وقد نظَّرتُ شبي فروءَها : إنَّ المشيبَ لسودِ الشعرِ أكفانُ
فقلتُ : أنكرتِ كافور الزمان به من بعد مسكٍ وطيبِ الدهر ألوان
قالت : فأينَ من الكافور نفحته قلتُ : انقضتْ وتبدَّى منه جثمان
قالت : فإن كان كافوراً فلم ضعفت قواك والطيبُ للأعضاء معوان
فقلت : ما بي من الأيام أثقلني قالت : كذلك شيبُ المرءِ ثهلان
[فقلت : يا ليتني للنشءِ منصرفٌ كيما تعودَ إلى الإِراقِ أغصان]
قالت : وهل عادَ أقوامٌ كما نشأوا من قبل أن يرجعوا مثل الذي كانوا ؟

١ ستأته ترجمته في القسم الرابع ؛ وقد مر البيت من قبل .

٢ ب م : لحزني إذ بكيت على الشباب .

٣ ب م : دام .

وذكرتُ بتشبيهه الشيبَ بالكافور بيتي الحضرمي^١ ، على أنه من
المشهور^٢ ، وهما :

قالتُ وقد خلطتُ في عارضي مِسْكُ الشابِ بكافورِ المشيبِ
يا ليتَ ذا المسكِ لم يخلطُ فما عند الغواني لذا الكافور طيب

وهذه العروض معروفة ، وإن لم تكن مألوقة ، وهي من مجزوء البسيط
التي أنشد الخليل^٣ في مثالها^٤ قولَ بعض العرب :

يا بنتَ غيلانَ ما أصبرني على خطوبِ كَنحتِ بالقدوم^٥

وقال أبو العباس بن قاسم^٦ :

لجَعَ الناسُ بالقبيحِ وهاموا فالزَمَ البيتَ واسدَدَ الأبوابا
وإذا ما خرجتَ تَطْلُبُ رِزْقاً فتَلينَ لهمْ وكنْ خَلابا
وإذا ما جلستَ يوماً إليهمْ فالزَمِ الصمتَ واضممِ الأثوابا
فكثيرٌ ممنْ تُجالسُ تلفي من عيوبِ الورى لديه عيابا
وإذا ما سألتهمْ عن جميلٍ لم تجدْ فيهمْ^٧ لديه جوابا
لقيَ الناسُ قبلتنا غُرَّةَ الدَّاءِ رِ ولم نلقَ منه إلا الذُّنابا
فانقبضِ والزِمِ التصاؤنَ حتى يُغْلِقَ الموتُ من حياتك بابا

١ ب م : الحضرمي .

٢ ب م : على أنه معنى كثير .

٣ ط : مثلها .

٤ البيت للمرقش الأصغر ، انظر شرح المفضليات : ٥٠٤ .

٥ وردت أبيات منها في المغرب ، وبيت واحد في الغيث ٢ : ١٠٢ .

٦ ط : واشدد ؛ المغرب : واغلق .

٧ المغرب : سأته عن جميل فيهم لم تجد .

فصل في ذكر الأديب أبي طالب عبد الجبار

من أهل جزيرة شُقر ، كان يُعرَف بالمتنبّي ، أبرعُ أهلِ وقته أدباً ، وأعجبُهُم مذهباً ، وأكثرهم تفتناً في العلوم . وأوسعهم ذرعاً بالإجادة في المنشور والمنظوم . وكان - بلغني - يَعِدُ نفسه بملك ، وينخرطُ للمجون في سلك ، لا يبالي أين وقع ، ولا يحفل بشيء صنع . وكان قد استتر ببُلغة . واقتصَرَ على طريقة ، فلم يطرأ على الدُّول ، ولا تجاوزَ في شعره ملحَ الأوصاف والغزل . وله أرجوزةٌ في التاريخ أغربَ فيها ، وأعربَ بها عن لُطفِ محله من الفهم . ورسوخِ قَدَمه في مطالعةِ أنواع العلم ؛ وقد أثبتّها على طولها ، لاشتغالِ فصولها على علمٍ جليل ، وباعٍ في الخبرِ طويل ؛ وقدّمتُ قبلها جملةً ممّا وقع في شركِ حظي من سائرِ شعره ؛ على أنه استفرغَ مجهودَه في وصفِ صنتِ الكتابِ عن ذكره .

جملة من أشعاره في أوصاف شتى

قال يصفُ مجاريَ الماءِ في سواقي أجنّة بلنسية^١ :

خرجنا للنزاهةِ في البقيعِ فقلنا الوصلَ مِن رشٍّ بديعٍ^٢

١ لم تذكر المصادر نسبهُ ، فالمغرب ٢ : ٣٧١ والمسالك ١١ : ٤١٥ يعتمدان على الذخيرة ؛ وقد اعتمد المصادر الكتاب في الخريدة (٢ : ٢١٠) على تاريخ الأندلسيين بمصر ، فتعرف إلى كنيته أبو طالب ثم وجد في مجدوع ابن الصيرفي المصري أن كنيته أبو الوليد ، واستدل على أنه تجاوز العام ٥٣٧ لأنه ذكر في أرجوزته علي بن يوسف بن تاشفين ، وهو امتناع خاطئ ، إذ أن ذكره لملي بن يوسف لا يعني أنه عاش حتى نهاية خلافته .

٢ ورد منها بيتان في المسالك .

٣ ب م : بزع .

وهب لنا النسيم بكلّ طبيب
على نهر كأن الماء فيه
كانا منه في زمن الربيع
بقايا فوق خد^١ من دموع

وقال بصف منزله^٢ :

كيف البقاء بيت لا أنيس به
كأنه كوة في حائط ثقيبت^٣
ولا وطاء ولا ماء ولا قرش
في ظلمة الليل بأوي جوفها حنش

وقال^٤ :

قل لأبي يوسف المتقي
ومن إذا حرك أوتاره
تخاله إسحاق أو معبد
هل لك أن تسمع متهديكم
حتى إذا الأيام أبدت له
وصير التاج على رأسه
أعطاك من جدواه ما تشتهي
الفاضل الأوحدي في عصره
وظل يهدي السحر من عشره
يشدو بالحن على وتره
وأن توقي الحق من بيرة^٥
ما في ضمير الدهر^٦ من سره
وأقبل الوفد إلى قصره
فيضته البيضاء أو تهره

١ ب م والمسالك : خدي .

٢ وردا في المغرب ٢ : ٣٧٢ .

٣ المغرب : ثقيبت .

٤ وردت منها ستة أبيات في المغرب .

٥ ب م والمغرب : موسيقه .

٦ المغرب : فطرده الأشجان من فكره .

٧ المغرب : الزهر .

وقال :

وشادِنِ وجههُ ذُكاءُ فيه حَيَا الحُسْنِ والحَياءُ
لما اغتدى قارئاً بحزنٍ لذَّ لي^١ الحزن والبكاءُ
ثمَّ^٢ تذكَّرتُ قولَ رَبِّي « يَزِيدُ في الخلقِ ما يشاء »

وقال :

وخمارٍ أنخْتُ به مَسِيحِي رَخِيم الدَّلّ ذي وجهٍ صَبِيحٍ^٣
سقاني ثمَّ غَنّاني بصوتٍ فداوى ما بقلبي من جُروح
وفضَّ فم الدَّنان على اقتراحي^٤ ففاحَ البيتُ منها طيبَ رِيح
فقلتُ له لكم سنة تَراها فقال أظنّها مِن عَهْدِ نوح
فلَمّا أن شدا الناقوسُ ضرباًه دعاني أن هلُمَّ إلى الصَّبوح
وحَيّاني وفدّاني بكأسٍ وقبَلني فردَّ^٥ إليّ روحي

فصول من خطبته التي جعلها مقدمة لأرجوزته

قال في صدرها : أما بعد ، فإنه لما كانت مخاطبة الرئيس ، تنوبُ
عن لقائه الذي هو حياةُ النفوس ، وربيحُ القلوب ، وثلجُ الصُّدور ، وناظمُ

١ ط : أذلي .

٢ ب م : حتى .

٣ المغرب : ذي وتر فصيح .

٤ المغرب : اقتراح .

٥ ب م والمغرب : صوّناً .

فرائد^١ الحظوظ والحجور ، وكانت حالي قد أناخت بذراه الرّحب ، وآمالي
قد كَرَعَتْ في مَوْرده العذب ، إذ هو سماءٌ تمطر ، وبِحْرٍ لا يُكْدَرُ ،
وغَيْثٌ ممرعٌ يحيا به المجدب ؛ وما زلتُ أرومُ لقاءه على تراخي الأيّام ،
فيحولُ بيني وبينه قَدَرٌ لا يُرام ، وعقالُ تقاضيه غيرُ مُطلق ، وبابُ
الرجاء به مُخلق ؛ فأعملتُ المدادَ والأقلام ، برجزٍ صنعته ، وكلامٍ وضعته^٢ ،
والغرضُ فيه امتداحه ، والقصدُ منه استمناحه ، وهو في معنى ما تضمنته
كتبُ التواريخ ؛ قطفتُ عيونَ زهرها ، والتقطتُ مكنونَ دُرّرها ،
واقصرتُ على أقلّها دُونَ أكثرها ، ممّا لا يَسعُ جهله ؛ وحذفتُ كلَّ
حديثٍ يتغلغل ، وخبرٍ يتسلسل ، إلّا ما زدتُ حُلّاه رونقاً ، ومجتلاه تألقاً ،
من شأن فتح الأندلس ، وما اتصل بذلك من أخبار أملاكها الدُّرُس ،
إلى وقتنا هذا ، ومن وليها من بني أميّة وغيرهم . وذكرْتُ من وليّ الخلافة
بالمشرق من بني العبّاس بعد المطيع لله إلى وقتنا هذا ، وهو وقت التاريخ الذي
ذكرته في الأرجوزة ، والإمامُ الآنَ فيه القائمُ بأمرِ الله ابنُ القادر بالله^٣ ،
وقصدتُ إلى معنى الاستدكار به لجوامعِ التاريخ والأخبار ، وسلكْتُ مذهبَ
الاختصار ، رجاءَ أن تُطلعني^٤ قريحتي على مغزاه ، وتنشِطَ مِنِّي إلى
قُرب مَرماه ، وقدّمتُ أولاً مقدّماتٍ من أصول الاعتقادات .

١ ط : فوايد .

٢ ب م : نظمته .

٣ لقد تجاوز في أرجوزته عهد القائم بالله (٤٢٢ - ٤٦٧) ، وسرد من جاء بعده من خلفاء

بني العبّاس حتى المسترشد ٥١٢ - ٥٢٩ ، ويبدو أن ذلك قد زيد فيها من بعد .

٤ ب م : تطيعني .

وأول أرجوزته

يَقُولُ مُهْدِيُ الْوَرَى الْمُنْتَظَرُ هَا فَاسْمَعُوا مَا قُلْتُهُ وَاعْتَبَرُوا
أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ فِي التَّرْجِيزِ رَبِّ الْأَنْثَامِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ
ثُمَّ بِذِكْرِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ صَلَّيْ عَلَى اللَّهِ طَوْلَ الْأَبَدِ
وَالطَّيِّبُونَ آلُهُ الْكَرَامُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
أَهْدِي مِنَ الْقَرِيبِ مَا نَمْتَقْتُهُ إِلَى رَئِيسِ سَيِّدِ أُمَّتِهِ
تَنْفُتُ سَوْقُ الْعِلْمِ فِي ذَرَاهُ مُضْمَتًا لِلْبَعْضِ مِنْ حُلَاهُ
فِي كَلَمٍ كُلُّوهُ الْعُقُودِ أَنْظِمُ مَا ضَمَّتَهُ الْمَسْعُودِي
وغيرُهُ مِنْ سَائِرِ الْأُتَمَةِ فِي كُلِّ ٢ مِنْ وَلِيِّ أَمْرِ الْأُتَمَةِ
مُقْتَصِرًا مِنْهُ عَلَى عِيُونِهِ وَحَافِظًا لِلْحَشْرِ مِنْ فَنُونِهِ

في التَّحْمِيدِ

وَالْحَمْدُ لِلْمُبْتَدِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ذِي الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ
سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ جِبَارِ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحَارِ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَعْلُومٌ فَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْقَيُّومُ
رَبِّ عَظِيمٍ ١ أَوَّلٌ لَمْ يَزَلِ بَارِي الْبَرِيَّةِ الْكَبِيرِ الْمُعْتَلِي
أَبْدَعَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ لَمْ تَكُنْ بَدْعَةً خَلَقَ لَهَا مُهَيِّمِ

١ ب م : علاه .

٢ ب م : سير . . . وكل .

وعرشه قد كان فوق الماء كذا المقالُ الحسنُ الملاء
من قبل^١ أن لم يكُ عرشٌ لا ولا مَلَأَ يُرى تَكْوِينُهُ ولا خَلَا
ولم يكن شيءٌ سواه قبلُ تَبَارَكَ اللهُ المَلِكُ العَدْلُ
وانفردَ الرَّبُّ بَوَحْدَانِيَّتِهِ فوق السَّهَى والوهم عن بريته
وسبقتُ كلَّ البرايا قدرته والصفةُ العليا فتلك صفته
جلتُ صفاتُ الصَّانع القديم عن قول جهنم^٢ وذوي التجسيم
فافهم مقال جهنم مَحْبِزٍ يومي إلى الحقِّ ولَمَّا يُلْغِزُ
إِيَّاهُ فاعبد أيها الإنسانُ فهو اللَّطِيفُ القادرُ المَنَّانُ
ولتعتبر في ملكوتِ العالم كَلَّا وفي نفسك يا ابنَ آدم
ألم تكن من نُطفَةٍ مُكوَّنَا ثُمَّتَ هِيَا لَكَ صَنَعاً مُتَقَنَا ؟
من آلة الإحساسِ والحياةِ والقوتِ والرَّزْقِ إلى المماتِ
فصرتَ حيّاً ناطقاً بصيرا تعتبرُ الحكمةَ والتدبيرا
علّمنا بالقلمِ البَيَّانَا حَتَّى عَلَّمْنَا قَبْلُ ما قدْ كانَا
من أَمَمٍ يَدَتْ بِصَرَفِ الأَدْهْرِ أَشْهَدْنَا مِنْ ذَاكَ ما لم نَحْضُرْ
سُبْحَانَهُ مِنْ وَاحِدٍ قَدِيرٍ مُصَرِّفِ الأَزْمَانِ والدُّهُورِ

١ ب م : قيل .

٢ ب م : من يعد .

٣ يعني جهنم بن صفوان صاحب مذهب الجهمية ، وهو مذهب التجسيم .

مقدمات من أدلة المعرفة والاستدلال على الصانع تعالى من الصنعة

والجسم ليس فاعلاً في الجسم. قال بهذا القول أهل العلم.
 أليس^١ ذا أولى برسم العقل من ذلك لما استويا في المثل ؟
 أف^٢ لقول الفتن البصريّة^٣ دانوا معاً بقدّم الحوادث
 واحذّر هداك الله يا ذا الفهم وأحذّر^٤ الحيدة^٤ والتعمقا
 وقل بما يقول أهل الحق وأدوات الحيس^٥ يا من يفحص
 السمع والبصر ثمّ للمس وكل^٦ ما تدركه موجود
 جهاته سيّ^٧ بلا امتراء أعلاه^٨ والتحت وبعد^٩ خلتف^٩
 ثمّ^{١٠} أمام^{١٠} سادس^{١٠} الجهات فبعضها بوجِب^{١١} فاعلم بعضا
 فكل^{١٢} ماله^{١٢} قياس^{١٢} يعقل إن^{١٣} له^{١٣} فافهم^{١٣} مقالا^{١٣} آخر

قال بهذا القول أهل العلم.
 من ذلك لما استويا في المثل ؟
 أهل الهوى والفرقة الغويه
 سوف يُجازونَ بخزني كاريث
 قولهم^{١٤} واحذّر^{١٤} مقال^{١٤} جهم
 فإن^{١٥} ذاك^{١٥} نهج^{١٥} من تزدقا
 من مثبتي صفات ربّ الخلق
 عن علمها ومن عليها يحرص
 والشم^{١٦} والذوق^{١٦} فتلك^{١٦} خمس
 مؤلف^{١٧} مبعض^{١٧} محدود
 معلومة^{١٨} من غير^{١٨} ما خفاء
 وئمة^{١٩} وبسرة^{١٩} تحيف^{١٩}
 وهكذا^{٢٠} مقترن^{٢٠} الصفات
 فلا تكُن^{٢١} بجهل^{٢١} هذا ترضى
 من المضاف في المعاني أول
 فكل^{٢٢} ما له^{٢٢} طرف^{٢٢} لا إمترا

١ ط : وليس .

٢ ب م : الأنة البصرية ؛ وهو يعني الممتزلة .

٣ ط : وجنب .

٤ ط : مفترق .

إِنَّ لَهُ فاعقِلْ كلامي وَسَطًا
 فِي أَنْ مَا ظَاهِرُهُ مشهودُ
 والخبرُ الصَّحِيحُ باتِّفاقِ
 وعلمنا البحرَ وإن لم نره
 والنقلُ فِي تَوَاتُرِ الأخبارِ
 وهوَ بِالْجَمِّ الغفيرِ كافٍ
 وكلُّ محسوسٍ فذو ابتداء
 والحدُّ قولٌ موجزٌ مطبوعُ
 والاسمُ ما دَلَّ عَلَى الوجودِ
 واعلم بأنَّ الجسمَ والزَّمانَ
 إِذِ الزَّمانُ حركاتُ الجسمِ
 وكلُّ شيءٍ جوهرٌ أو عَرَضُ
 فَإِنْ فَحَصْتَ قَائِلًا ما الجواهرُ
 فالجواهرُ الحامِلُ للأعراضِ
 والعَرَضُ المحمولُ كالألوانِ
 وقسمَةُ الوجودِ ففُضُوبُ
 ما تَجِدُ الخَمْسَ مِنَ الحواسِ
 ثُمَّ وجودٌ لِمِثَالِ العَقْلِ
 ثُمَّ وجودٌ ثَالِثٌ رَفِيعُ

كَذَلِكَ قَتَشْ < يَتَكَشَفُ > الغطاء
 فَبِهِ فاعلم باطنٌ موجود
 سماعنا عن مصرَ والعراقِ
 عِلْمٌ صَحِيحٌ لَيْسَ فِيهِ شُبْهَةٌ
 يُغْنِي عَنِ الرُّؤْيَةِ بِالْأَبْصَارِ
 وبالجماهيرِ بلا خِلَافِ
 ومُدَّةٌ تُفْضِي إِلَى انْتِهَاءِ
 مَخْصَصٌ يُدْرِي بِهِ الْمَوْضُوعُ
 فَمَازَهُ مِنْ سَائِرِ الْمُتَعَدِّدِ
 مُصْطَحِبَانِ أَبَدًا قِرَانًا
 وَذَلِكَ أَقْصَى مُدْرَكٍ بِالْوَهْمِ
 إِلَّا الَّذِي الطَّوْعُ لَهُ مَفْتَرَضُ
 وَمَا هُوَ الْعَرَضُ إِذْ يُفْسَرُ
 وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أِبْعَاضِ
 وَحَرَكَاتِ الْجُرْمِ وَالْإِسْكَانِ
 ثَلَاثَةٌ يُدْرِكُهَا اللَّبِيبُ
 فَافْهَمْ هَذَاكَ اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ
 يَعْرِفُ هَذَا ذُو الْحَجَى وَالنَّبْلِ
 فَوْقَ الْعُلَا عِلْمُهُ الْبَدِيعُ

بُرْهَانُهُ يُدْرِكُ بِالذَّلِيلِ مِثْلَ دُخَانِ النَّارِ فِي التَّمثِيلِ
وَكَالْبِنَاءِ وَثِمَارِ الشَّجَرِ وَالْأَثَرِ الْكَائِنِ عَنْ مُؤَثَرِ
وَحَسْبُنَا مَا لَا يَصْحُحُ جِهْلُهُ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ وَهَذَا أَصْلُهُ

فِي بَيَانِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ

أَوْصِيكَ يَا مَنْ يَطْلُبُ الْعُلُومَ أَنْ تَعْرِفَ الْمَوْهُومَ وَالْمَعْلُومَ
وَلَا تَقُلْ بِالْمِيلِ لِلتَّقْلِيدِ فَذَلِكَ رَأْيُ الْكُودِنِ الْبَلِيدِ
وَاتَّخِذِ الْعِلْمَ لِنَفْسِ الْعِلْمِ لَا لِلْمِبَاهَةِ وَلَا لِلخَصْمِ
وَالْعِلْمُ، إِنْ أُرِدَتْ حُدُّهُ مَطْلَبُهُ مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ
وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ أَيَا مِنْ يَبْحَثُ عِلْمٌ قَدِيمٌ ثُمَّ عِلْمٌ مُحَدَّثُ
إِنَّ الْقَدِيمَ عِلْمُ رَبِّ الْعَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ
وَمُحَدَّثُ فَذَلِكَ عِلْمُ الْخَلْقِ مِنْ نَاطِقٍ وَغَيْرِ مَا ذِي نُطْقِ
وَكُلُّ عِلْمٍ مُحَدَّثُ عِلْمَانِ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِلَا بُرْهَانِ
كَالْعِلْمِ أَنْ اثْنَيْنِ ضَعْفُ وَاحِدٍ وَأَنْ لَيْسَ قَائِمٌ كَقَاعِدِ
وَبَعْدَهُ فَعِلْمُ الْإِسْتِدْلَالِ^١ وَالْمُنَظِقُ الْبَاحِثُ عَنْ أَحْوَالِ
مَا فِيهِ مَا يَنْظُرُ مَنْ يُفَكِّرُ يُدْرِكُ هَذَا كُلُّ مَنْ يَبْتَغِي
وَصَانِعُ الْعَالَمِ قَرْدٌ صَمَدٌ وَالصَّنْعُ لَمْ يَشْرَكَهُ فِيهِ أَحَدُ
فَصُنْعُ الْاِثْنَيْنِ اشْتَرَاكَ مِنْهُمَا لَا يَخْلُوانِ مِنْ تَغَايُرِهِمَا

١ ب م ط : مع (اقرأ : يسوغ) .

٢ ب م : فذو .

٣ ب م : وبعد فالعلم بالاستدلال .

٤ ب م : والنظر الباحث .

وكلُّ ما زاد على اثنين كذا
والانفرادُ غايَةٌ في المدحِ
وللتصارى القولُ بالتثليثِ
وطابَقُوا اليَهُودَ في التجسيمِ
وللبراهميَّةِ والمجوسِ^٢
جَلَّ الإلهُ الفَرْدُ عن شريكِ
وليسَ ذا حدٍّ ولا انتهاءِ
أحاطَ بالأشياءِ طرّاً عِلْمُهُ
أحصى الكثيرَ منه والقليلَ
وجادَ بالغنى وقدَّرَ العدمَ

من خالف التَّوْحِيدَ فهوَ قد هذى
والاشتراك من دواعي القبحِ
أفطعُ^١ بهِ مِنْ مَذْهَبِ خبيثِ
أفَّ له مِنْ مَنْطِقِ ذميمِ
مقالُ سوءٍ ليس للقُدوسِ
فهوَ ذُو التَّقْدِيسِ والتَّبرِكِ
فهوَ فَوْقَ الفُوقِ ذُو اعتلاءِ
وعَمَّ فيما قَدَّ براهُ حُكْمُهُ
وعَلِمَ الجُمْلَةَ والتفصيلَ
وكانَ عَدْلًا مِنْهُ كلُّ ما قَسَمَ

التفكر في الملكوت

يا مَنْ يُجِيلُ فِكْرَهُ للعبرةِ
انظُرْ إلى المواتِ والنباتِ
كيف تَرَى التكوينَ فيها ماثِلاً
يؤلفُ الأربعةَ العنصرِا
وجاوزِ العبيرةَ نحوَ الفلكِ
تُبصرُ هنالكَ النجومَ الخُنُسا
والأبرُجَ الثابتةَ المكانِ

في كلِّ مَوْضوعٍ له بالفكرةِ
والحيوانِ نَظَرَ استنباتِ
يُنَبِّيكَ أَنَّ لِقَواها فاعِلاً
يَمْنَعُ مِنْ أَضدادها التنافرا
حيثُ السَّمواتُ ذواتُ الحُبكِ
سَخَرها مِنْ في العُلا تَقَدَّسا
نَيِّرةٌ تَعْلُو على كَيوانِ

١ ب م : أقطع .

٢ ط : المجوس .

يَهْدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَعَدَدُ السَّخِينِ وَالْحِسَابِ
وَتُعَلِّمُ الْأَنْوَاءُ وَالْمَنَازِلُ شَوَاهِدُ تَشْهَدُ بِالتَّوْحِيدِ
وَأَسْمُ إِلَى تَفَكُّرٍ فِي النَّفْسِ^٢ بِجِسْمِ^٣ جِسْمِ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ
وَانْظُرْ إِلَى التَّسْخِيرِ فِيهَا لِأَزْمَا يَلْحَقُهَا النِّقْصَانُ وَالزِّيَادَةُ
مِنْ ذَاتِهَا فِي حَالَةِ التَّصْرِيفِ لِقُوَّةِ الْعَقْلِ الَّذِي يَحْمِلُهَا
إِذْ هِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ وَأَشْرَفُ لَكْنَتُهُ تَلْحَقُهُ الْآفَاتُ
فَدَلٌّ ذَاكَ أَنَّ رَبًّا فَوْقَهُ يَمْلِكُهُ وَكُلٌّ مَا سِوَاهُ
وَكَمُّ لَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ آيَةٍ يُبْصَرُهَا ذُو الْفُطَنِ الصَّحِيحَةِ
واعتَبِرِ الْمَقَاسِ الْمَطْرُودَةَ بَيِّنَةً فِي حُجْجِ الْعُقُولِ

كَلَامٌ وَفِي ظُلُمَاتِ لُجِّ الْبَحْرِ يَعْلَمُهُ بِهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
ذَا طَالَعُ مِنْهَا وَهَذَا أَقِيلُ لِلوَاحِدِ الْمُبْتَدِعِ الْحَمِيدِ^١
تُبْصِرُ قَوَاهَا فِي مَحَلِّ الْقُدْسِ الْمُسْتَدِيرِ الشَّكْلِ ذِي التَّخْطِيطِ
يَوْمُهَا كَمَا يَوْمُ الْعَالَمِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا إِرَادَةٌ
فَهِيَ تَنْقَادُ إِلَى التَّكْلِيفِ فَهِيَ إِلَى اخْتِيَارِهِ يَنْقَلِبُهَا
مِنْهَا إِذَا حَصَلَتْهُ وَالطَّافُ مِنْ غَيْرِهِ وَالْعَجْزُ وَالْعَاهَاتُ
بِأَيِّنَ بِالذَّاتِ وَالْأَسْمِ خَلَقَهُ مَلِكٌ إِحَاطَةٌ قَدْ احْتَوَاهُ
تَنْبِيءٌ أَنْ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ إِنْ أَعْمَلَ الْفِكْرَةَ وَالْقَرِيحَةَ
فَبَعْضُهَا بِبَعْضِهَا مُعْتَصِفُهُ شَاهِدَةٌ بِالصِّدْقِ لِلرَّسُولِ

١ ب م : المجيد .

٢ ب م : واسم إلى التفكير نحو النفس .

٣ ب م : تحمل .

٤ ب م : التصرف . . . التكلف .

٥ ب م : ملك أحاطه .

بدء الخليقة وذرة البرية

أقولُ قولاً ليسَ بالمُفندِ ولي لسانٌ كشبا المهندِ
إنَّ مقالَ المسلمينَ اتفقا أنَّ إلهَ العالمينَ خلقنا
مِنَ غيرِ أصلٍ أو مثالِ شيءٍ مُكوِّنٍ مِن مِيتٍ أو حيٍّ
أبدعَ تكوينَ المبادي الأولِ بقُدرةٍ عظيمةٍ لم تنزلْ
وكان بدءُ الخلقِ في يومِ الأحدِ ونمَّ في يومِ العروبةِ العدَدُ
فخلقَ اللهُ السَّمواتِ العلَا كما عَنِ الرَّسولِ في الذِّكرِ تلا
أخرجَ مِن ماءٍ دُخَاناً فسَمَا ثمَّ دحا الأرضَ ليلو الأمَا
أسكنَ فيها الجنَّ قبلَ آدَمِ فأتقنَ الرَّحمنُ خَلقَ العالمِ
وآدَمُ صُورٌ مِن صَلصالٍ فكانَ منه جملةُ الأنسالِ
ثمَّ بُرَا لآدَمَ حَوَاءَ فسكنا جَنَّتَهُ العَلْبَاءَ
فمكثا مقدارَ رُبْعِ يومٍ وأهبطا منها هُبوبَ لَومٍ
بالهِنْدِ حيثُ العودُ والقرنفلُ والمِسْكُ والكافورُ ثمَّ الصَّنَدَلُ^١
فولدا هابيلَ ثمَّ قسابتا ليقضيَ الخالقُ أمراً كائنا
كما حَكى في قِصَصِ القُرْبانِ شأنهما في محكمِ القرآنِ
مِن قَتْلِ هابيلَ ببغْيِ الحسدِ قضاءُ باري البارياتِ^٢ الأحدِ
فقالَ ما يُروى مِنَ القَرِيضِ آدَمُ قولَ الأسفِ المهبِضِ
ثمَّ خلا بزَوجِهِ لما سلا فحملتْ حَوَاءَ مِنْهُ رَجُلَا
سمَّاهُ شيئاً آدَمُ أبوهُ فكانَ في سِيرَتِهِ يتلوهُ

١ ب م : المندل .

٢ ب م : مبدى المجديات .

فعاشَ تِسْعَ مائةَ سَنِينا
 ثُمَّ تَوَلَّى الْحُكْمَ شَيْثُ بَعْدَهُ
 وَأَنَّ شَيْثَ غَشِيَ امْرَأَتَهُ
 فَانْتَقَلَ النُّورُ إِلَيْهِ فَأَصْأ
 فَوَلَدَتْ قَيْنانَ لَأَنْوَشَ
 ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدُ مَهْلَايِلُ
 ثُمَّ ابْنُ مَهْلَايِلَ يَرْدُ مَلَكًا
 وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ خَنْوُخُ
 ثُمَّ مَتَوْشَلُخُ ابْنُهُ وَالنُّورُ
 وَقَامَ لَمَكُ بَعْدَهُ ذَا فَضْلٍ
 وَنَاحُ^٣ نوحُ وَالْفَسَادُ قَدْ ظَهَرَ
 فَصَارَ فِي الْفُلْكِ وَقَدْ عَمَّ الْغَرَقُ
 ثُمَّ نَجَّا وَمَعَهُ أَوْلَادُهُ
 وَيَافِثُ فَالْتَسَلُ مِنْهُمْ كَائِنُ
 آدَمُ بَعْدُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ
 فَسَدَ فِي أَحْكَامِهِ مَسَدَةٌ
 فَحَمَلَتْ أَنْوَشُ^١ فَاسْمَعُ نَعْتَهُ
 وَكَانَ يَقْفُو فَعِلَ مَنْ قَبْلُ مَضَى
 فَصَارَ ذَا مَلِكٍ وَذَا جِيوشٍ
 وَالْعَهْدُ مَأْخُوذٌ فَمَا يُقْبَلُ
 وَالنُّورُ مَوْرُوثٌ يُجْلِي الْحُلْكَ
 ضَمَنَ هَذَا كُلَّهُ التَّارِيخُ
 فِي وَجْهِهِ وَالشَّرَفُ الْمَذْكُورُ^٢
 فِي كَائِنَاتٍ وَاخْتِلَاطٍ نَسْلٍ
 وَصَنَعَ السَّقِينَةَ ذَاتَ الدُّسْرِ
 مَنْ جَحَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَفَسَقَ
 سَامٌ وَحَامٌ وَهُمَا عَتَادُهُ
 تَحْوِيهِمُ الْآفَاقُ وَالْمَدَائِنُ

الأنبياء المنصوص على قصصهم في القرآن

وَنِعْمَةُ اللَّهِ بِبَعَثِ الرُّسُلِ
 أُولَئِهِمْ آدَمُ الصَّفِيُّ
 أَرْسَلَهُمْ طَرًّا لِيَهْدُوا النَّاسَ
 بِحَمْدِهَا يَنْطِقُ كُلُّ مَقُولٍ
 وَآخِرُ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ
 مُؤَلَّفًا بِالدَّعْوَةِ الْأَجْنَاسَا

١ ب م : يانوش .

٢ ب م : المأنور .

٣ ب م : وقام .

فأدحضوا كلَّ مقالٍ زائفٍ أكرمُ بهمُ من صفوةٍ خلائفٍ
تأتيهمُ الملائكُ الكرامُ بكلِّ ما يرُيدُهُ العلامُ
فبَيَّنوا الحلالَ والحراما وأنفلوا الأمورَ والأحكاما
حتى بدا الصُّبحُ لذي عَيْنينِ وأسمعوا مَنْ كانَ ذا أُذنينِ
تألفُهمُ صحابةُ أجمادُ أسدُ حُرُوبٍ قَادَةُ أنجادُ
حتى هدى اللهُ بهمُ من اهتدى لولاهمُ لأصبحَ النَّاسُ سدى
فاختصرَ كلَّ مرسلٍ بمعجزَةٍ مِن آيةٍ وكلماتٍ موجزَةٍ

الخلفاء الأربعة ومن تلاهم من بني أمية

ثُمَّتَ خَصَّ الخلفاءَ الأربعةُ فأكلَ اللهُ بهمُ ما صنَّعهُ
فاستُخلفَ الصديقُ ثانيُ اثنينِ ذاكَ أبو بكرٍ بغيرِ مَينِ
جَرَّدَ في جِهادِ أهلِ الرَّدَّةِ ولم يكنِ يَرْضَى بغيرِ الشَّدَّةِ
ثم تَوَفَّاهُ الإلهُ راضياً وكان في ذاتِ الإلهِ ماضياً
ثم تَوَلَّى عَمْرُ الفاروقُ فالتأمتَ مِن بعدهِ الفُتُوقُ
واستعملَ البُعوثَ والأجنادا وألِفَ الحُرُوبَ والجهادا
حتى أُنْتَهَ مِحْنَةُ الشَّهادَةِ فهِبَ اللهُ لَهُ السَّعادَةَ
فصَيَّرَ الشُّورى إلى أصحابِهِ ستَّهمُ وَهُوَ يَشْكُو ما بِهِ
فأَثَرُوا عُثْمانَ بالخِلافَةِ وكان للإلهِ ذا مَخافَةِ
فمَهَّدَ الأُمَّةَ ذُو النُّورينِ حتى سَقاهُ اللهُ كأسَ الحينِ
إِذ حَصَرُوهُ في حَرِيمِ الدَّارِ مُسْتَسْلِمًا مِن غَيْرِ ما أَنْصارِ
طوبى لَهُ من أَشْمَطِ قَتيلِ يَقُومُ طُولَ اللَّيلِ بالتَّزِيلِ
بُوساً لِقَوْمٍ قَتَلُوا عُثْمانا إِذ نَقَمُوا استِخلاصَهُ مروانا

ثُمَّ تَوَلَّاهَا أَبُو السَّبْطَيْنِ
 عَلِيٌّ ذُو الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ
 فَسَارَ طَلْحَةُ مَعَ الزُّبَيْرِ
 وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ لِلصُّلْحِ
 فَشَبَّتِ الْحُرُوبُ يَوْمَ الْجَمَلِ
 وَقُتِلَ الزُّبَيْرُ قَبْلَ الْمَلْحَمَةِ
 وَثَارَتِ الْحُرُوبُ بِالْخَوَارِجِ
 ثُمَّ مَضَى عَلِيٌّ إِلَى مُعَاوِيَةَ
 فَاجْتَمَعُوا لِلْحَرْبِ فِي صَفَيْنَا
 وَدَامَ فِي حُرُوبِهِ عَلِيٌّ
 حِينَ أَصَابَتْهُ يَدَا ابْنِ مُلْجَمٍ
 تَبَيَّأَ لَهُ مِنْ خَارِجِيٍّ فَاسِقٍ
 فَاغْتَالَهُ وَهُوَ يُنَادِي سَحْرًا :
 ثُمَّ تَوَلَّى الْحَسَنُ الْإِمَامَةَ
 وَحَقَّنَ اللَّهُ بِهِ الدَّمَاءَ
 وَسَلَّمَتِ الْأُمُورُ إِلَى مُعَاوِيَةَ
 فَسَارَ فِيهَا ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ
 وَكَانَ فَرْدًا فِي النَّهْيِ وَالْحِلْمِ
 فَانْتَقَلَ الْأُمُورُ إِلَى يَزِيدٍ
 مَجْتَرَمًا فِي قَتْلِهِ الْحُسَيْنَا

ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
 وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْبِرَاعَةِ
 إِلَى الْعِiraqِ فِي أُمَّةٍ سَبْرٍ
 فَانصرفت والحرب ذات كلع
 حتى أصيب طلحة في المقتل
 منصرفاً عنها حليف مندمه
 أصلاهم بالنار ذو المعارج
 فاضطرب الأمر بعمر الداهية
 فأبتموا البنات والبني
 حتى داهاه حادث وبني
 فخضب المفرق منه بالدم
 خالف في التزليل أمر الخالق
 قوموا إلى الصلاة يدعو مندرا
 فمُنِحَتْ بِبَيْمِنِهِ السَّلامَةُ
 وَأَذْهَبَ الْمِحْنَةُ وَالْأَوَاءَ
 حَيَاتِهِ وَصَارَ عَنْهَا نَاحِيَةً
 بِسِيرَةٍ لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 حَتَّى رَمَاهُ حَيْثُنُهُ بِسَهْمٍ
 فَحَادَ عَنْ مَنَاهِجِ التَّسْديدِ
 وَجَاءَ فِي الْحَرَّةِ فَعَلَا شِينَا

١ ب م : ذو العلم وذو الشجاعة .

٢ ط : دمي .

حَتَّى أَتَاهُ الْمَوْتُ حَتَفَ أَنْفِهِ
 ثُمَّ أَبُو لَيْلَى تَوَلَّى الْحَكْمَا
 وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ فِي السَّيْرِ
 فَاسْتَخْلَفُوا مِرْوَانَ نَجَلَ الْحَكَمِ
 فَأَوْقَعَتْهُ زَوْجُهُ فِي عَطْبَةٍ
 يَقُولُهَا لابن يزيد خالده
 وَكَانَ ذَا بَأْسٍ وَذَا دِهَاءٍ
 يَقْتَحِمُ الْحَرْبَ بِجَاشٍ رَابِطٍ
 ثُمَّ تَوَلَّى الْأَمْرَ عَبْدُ الْمَلِكِ
 لَكِنِّهِ كَانَ شَدِيدَ الْحَزْمِ
 وَكَانَ مِنْ عُمِهِ الْحِجَاجُ
 حَتَّى إِذَا بَابِنِ الزُّبَيْرِ ظَفَرَا
 لِلْحَرَمَيْنِ وَالْعِرَاقِ مَالِكَا
 سَقَاهُ كَأْسًا مُرَّةَ الْمِزَاجِ
 وَثَارَتِ الْحَرْبُ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ
 وَغَلَبَتِ الْبَغَاةُ عَبْدُ الْمَلِكِ
 حَتَّى تَوَفَّاهُ مَزِيلُ مُلْكِهِ
 وَكَانَ فِي السَّيْرِ لَدُنَّا لَيْثُنَا
 وَقَدْ بَنَى الْجَامِعَ فِي دِمَشْقٍ
 فِي عَهْدِهِ فَتَحَّ أَنْدَلُوسَا

فَلَمْ تَكُنْ لَهُ بَدَّةٌ فِي صَرْفِهِ
 فَعَاقَهُ حِمَامُهُ إِذْ حُمَا
 ثُمَّ انْقَضَتْ مُدَّتُهُ الْيَسِيرَةُ
 طَوْبَى لَهُ مِنْ مَلِكٍ مُحْتَزِمٍ
 إِذْ أَنْفَتُ مِنْ قَوْلِهِ : ابْنُ الرَّطْبَةِ
 سَلِيلُهَا غَضَبَانِ قَوْلَ حَاقِدٍ
 وَبَسْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالذِّكَا
 كَفَعْلُهُ فِي يَوْمِ مَرْجٍ رَاهِطٍ
 وَكَانَتِ الدِّمَا بِهِ لَمْ تُسْفِكْ
 أَبُو الْخَلَائِفِ الرَّضِيُّ الْحَكَمُ
 سَرَّاجُهُ فِي خُطْبَةِ الْوَهَّاجِ
 وَكَانَ فِي مَكَّةَ يعلو المنبرَا
 وَمُصْعَبُ أَخٍ لَهُ هُنَالِكََا
 وَكَانَ لِلْحُرُوبِ ذَا اهْتِجَاجِ
 فَاغْتَالَهُ الْحِجَاجُ لَمَّا يَلْبَثِ
 بِالْحَزْمِ وَالْجُدَّةِ وَعَزَمِ مَوْشِكِ
 فَوُلِّيَ الْوَلِيدُ بَعْدَ هُلْكِهِ
 مُسْتَمْسِكًا حَتَّى أَذِيقَ الْحِينَا
 مُقْتَصِدًا فِي ذَاكَ وَفَقَّ الصَّدَقِ
 طَارِقُ مَوْلَى ابْنِ نُصَيْرِ مُوسَى

فِي عامِ تَمَعِينَ مَضَتْ وَاثْنَيْنِ
 ثُمَّ سُلَيْمَانُ تَوَلَّى الْمُلْكَ
 وَكَانَ ذَا غَزْوٍ وَذَا حُرُوبٍ
 نَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ جَارِيَتُهُ
 وَكَانَ ذَا حُسْنٍ وَذَا جَمَالٍ
 فَأَنْشَدَتْ بَيْتَيْنِ مِنْ قَرِيضٍ
 ثُمَّ تَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدُ عُمَرُ
 زَهْدًا وَعِلْمًا وَاعْتِدَالًا وَتَقَى
 قَفَا سَبِيلِ جَدِّهِ الْفَارُوقِ
 إِلَى انْتِهَاءِ الْحَتَمِ مِنْ مُدَّتِهِ
 ثُمَّ تَلَاهُ وَالْيَا يَزِيدُ
 نَصَبَهُ سَلَامَةً شَرَابَهُ
 حَتَّى أَتَاهُ الْحَيْنُ بَعْدَ حَيْنِهَا
 فَصَارَ فِي الْأَمْرِ هِشَامٌ يَحْكُمُ
 قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ إِذْ خَرَجَ
 فِدَامَ فِي جَدِّهِ إِلَى أَنْ مَاتَا
 فَصُبِّرَ الْمُلْكُ إِلَى الْوَلِيدِ
 لَمَّا اغْتَدَى مُسْتَغْلًا بِالْحَمِيرِ
 فَأَهْلَكَ الْأُمَّةَ بِخِلَاعَتِهِ

١ ب م :

فِي زَمَنِ الْوَلِيدِ دُونَ مَيْنِ
 فِي عامِ تَمَعِينَ مَضَتْ وَاثْنَيْنِ
 ثُمَّ أَدْبَقَ حَيْنَهُ الْوَلِيدُ
 فَضَمَّهُ فِي الْجُدَثِ الصَّمِيدِ

٢ ب م : يَفْقَرُ ... وَيَدْحَضُ .

حتى ثوى مُحْتَقًا حُسَامًا مُنْصَلَقًا مُغْتَبِقًا مُدَامًا
 يَا عَجَبًا مِمَّنْ ذَاكَ كَيْفَ جَاذَا وَقَدْ مَوَّهُ دُونََ أَنْ يُمَازَا
 فِي الْعَقْلِ وَالدينِ بِلَا مَثِيلِ وَهَكَذَا الْأَكْثَرُ فِي التَّحْصِيلِ
 لِأَنَّهُمْ قَدْ كَتَمُوا النَّصُوصَا فَأَشْبَهُوا السَّبَاعَ وَالنَّصُوصَا
 وَقَدْ مَوَّاهُ ابْنُ عَمِّهِ يَزِيدَا فَكَانَ فِي سِيرَتِهِ سَدِيدَا
 ذَا وَرَعَ عَدْلًا رِضًا صَوَامَا يَتْلُو كِتَابَ رَبِّهِ قَوَامَا
 فِدَامَ فِي الْأَمْرِ شُهُورًا خَمْسَا حَتَّى ثَوَّى فَضَمَّنُوهُ الرُّمْسَا
 فَقَدْ مَوَّاهُ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَا وَخَلَعُوهُ بَعْدَ ذَا ذَمِيمَا
 وَاسْتَخْلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ مَرْوَانَا فِي طَالِيعِ مَا لِنْ عَدَا كِيَوَانَا
 فَبَايَعَ النَّاسُ لَهُ بِالْأَمْرِ فَصَلَّى الْقَوْمُ بِهِ فِي جَمْرِ
 وَقَتَّلَ الْإِمَامَ إِبْرَاهِيمَا وَكَانَ مَا اجْتَرَمَهُ عَظِيمَا
 وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ بِهِ إِلَى حِمَامِيهِ وَحِينَ نَحْبِيهِ
 إِذْ سَارَ صَالِحٌ مَعَ الْمَسُودَةِ إِلَى خِرَاسَانَ بِجُنْدِ جَنْدِهِ
 فَسَبَقَ مَرْوَانُ إِلَى الْحَمَامِ طَوَّقَ طَوَّقَ الصَّارِمِ الْحُسَامِ
 وَانْقَرَضَ الْأَمْلَاقُ مِنْ أُمِيَّةٍ وَالْمَوْتُ قَصْرَى كُلِّ نَفْسٍ حِيَةٍ

الدولة العباسية

فَصَارَ فِي الْأَمْرِ بَنُو الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَكُنْ فِي حُكْمِهِمْ مِنْ بَاسِ
 أَوَّلُ أَمْلَاقِهِمْ السَّفَاحُ خُبِرَ مِنْهُ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ
 لَكِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْقَتْلِ فِي عَبْدِ شَمْسٍ طَالِبًا بِذَحْلِ
 دَعَا أَبُو سَلَمَةَ الْخَلَّالُ إِلَيْهِ فَاِنْقَادَتْ لَهُ الرِّجَالُ
 فَكَانَ رَأْسَ مُظْهَرِي دَعْوَتِهِ فَخَافَ مِنْهُ الْقَدَحُ فِي دَوْلَتِهِ

إِذْ كَانَ قَدْ مَالَ إِلَى آلِ عَلِيٍّ
 فَدَسَّ مِّنْ سَارَرِهِ جُنْحَ الْغَبَشِ
 كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ السَّرَّاجُ
 قَدْ سَوَّدُوا الثِّيَابَ^١ وَالرَّايَاتِ
 يَدْعُونَ فِي بِلَادِ خُرَّاسَانَ
 فَقَتَلُوا مَرْوَانَ فِي بُوَصَيْرِ
 لَمَّا رَأَى رَأْسًا لِمَرْوَانَ قُطِيعَ
 وَكَانَ لَا يَقْبَلُ ذَا نَمِيمِهِ
 وَكَانَ ذَا عِلْمٍ وَذَا أَنَاةٍ
 حَتَّى حَوَاهُ بَعْدَ قَصْرِ جَدَّتْ
 فَصَيَّرَ الْأَمْرَ إِلَى الْمَنْصُورِ
 إِذْ كَانَ ذَا سِيَاسَةٍ وَحَزْمٍ
 فَخَرَجَتْ بِمَكَّةَ وَيَتَرَبَّ
 قَالَتْ الْحَرْبُ^٢ إِلَى اهْتِجَاجِ
 فَاحْتَالَ حَتَّى اغْتَالَهُ الْمَنْصُورُ
 فَخَلَصَ الْأَمْرَ لِأَبِي جَعْفَرٍ
 حَتَّى تَوَفَّيَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ
 فَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنَهُ الْمَهْدِيَّ
 وَهُوَ مَمْدُوحُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ

مُشَابِعًا مِّنْ رَّامٍ مِنْهُمْ أَنْ يَلِي
 بِأَسْمٍ أَذْلَقَ كَالصَّلِّ نَهَشِ
 فِي عَسْكَرٍ مَّجْرٍ لَهُ عَجَاجُ
 يَبْغُونَ مِنْ لِّثَارَةٍ الثَّارَاتِ
 بَطَاعَةِ السَّفَاحِ لَا مَرْوَانَ
 فَسَجَدَ السَّفَاحُ لِلْقَدِيرِ
 فِي طَبَقٍ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ
 مَجَانِبًا لِلشَّيْمِ الذَّمِيمَةِ
 مُقْتَدِيًا بِآلِهِ الْهُدَاةِ
 وَصَارَ حَتَّى الْحَشْرِ فِيهِ يَلْبَثُ
 فَأَحْكَمَ التَّنْدِيرَ لِلْأُمُورِ
 مُسَدِّدَ الرَّأْيِ قَوِيَّ الْعَزْمِ
 طَالِبَةً آلَ أَبِي طَالِبٍ
 مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ السَّرَّاجِ
 لَمَّا أَنَاهُ الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ
 مَهْنَةً مِنْ غَيْرِ مَا تَكْدُرُ^٣
 وَبَزَّتِ الْأَيَّامُ عَنْهُ مُلْكُهُ
 ذُو السَّيْرِ الْحُسْنَى الرِّضَا السَّرِيَّ
 فِي غَيْرِ مَا قَصِيدَةٍ وَقَافِيَةٍ

١ ب م : الهيئات .

٢ ب م : الحال .

٣ ب م : مكدر .

مُسْتَبْتاً بِعُتْبَةٍ مَحْبُوبَةٍ
لَابَنَتِهِ عَلِيَّةٍ شِعْرٌ فشا
وكان يَشْتَدُّ عَلَى الزنادقة
إِذْ كَانَ فِي الْعَدْلِ إِمَاماً مُقْسِطاً
فَوَلَّى الْهَادِي ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ
عَدْلًا إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فَصَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ تَالِيَا
فَشَيْدَ الْمُلْكِ وَأَعْلَى كَعْبَةٍ
وَاسْتَوَزَرَ الْبِرَامِكَةَ الْأَمْجَادَا
حَتَّى دَهَاوَمَ حَادِثُ الْأَيَّامِ
ثُمَّ دَمَى الْحَيْنُ الرَّشِيدَ فَاخْتُرِمَ
ثُمَّ وَلَّى مُحَمَّدُ الْأَمِينُ
فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَعْبِلًا بِاللَّهِوِ
يُنْشِدُهُ أَبُو نَوَاسٍ الْحَسَنُ
أَشْعَارَهُ فِي الْخَمْرِ وَالْغُلْمَانِ
حَتَّى أَتَاهُ الْحَتَفُ بِالْمَأْمُونِ
أَنْحَى عَلَيْهِ طَاهِرٌ فَاغْتَالَهُ
وَدَارَتْ الْحُرُوبُ فِي بَغْدَادِ
فَجَاءَهَا الْمَأْمُونُ عَبْدُ اللَّهِ

فِي كُتُبِ التَّارِيخِ ذَكَرُ قِصَّتَهُ
وَقِصَّةٌ فِي شَأْنِ طَلٍّ وَرِشَا
وَمَنْ غَلَا يُرْضِي بِذَلِكَ خَالَفَهُ
حَتَّى أَتَاهُ حَيْنُهُ فَاعْتَبَطَا
فَسَارَ فِي سِيرَتِهِ وَقَصْدِهِ
فَعَاقَ عَنْ مَأْمُولِهِ حَمَامُهُ
لِلْمَلِكِ الْهَادِي إِمَاماً وَالِيَا
حِزْماً وَعِزْماً وَأَذَلَّ صَعْبَتَهُ
فَاسْتَوْسَقَ الْأَمْرُ بِهِمْ وَزَادَا
وَكُلُّ عَيْشٍ فَلَئِي أَنْصِرَامِ
وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي الْعِبَادِ قَدْ حُتِمَ
فِي طَالِعِ حُلٍّ بِهِ التَّتَيْنُ
فِي غَيْرَةِ وَمَهْلَةٍ ٢ وَزَهْوِي
وَكَانَ مَحْمَنٌ شَأْنُهُ التَّمَجُّنُ
فِيحْتَنِي مَا قَالَهُ ابْنُ هَانِي
فَصَارَ رَهْنًا فِي يَدِ الْمَنُونِ
قَتْلًا وَعَنْ سُلْطَانِهِ أَزَالَةً
وَأَلَّ أَمْرُهَا إِلَى الْفَسَادِ
فَانْزَاحَ ٣ عَنْهَا كُلُّ أَمْرِ دَاهِ

١ ب م : الملك .

٢ ب م : مهلة .

٣ ط : فزاح .

حتى اغتدت في زينة العَرُوسِ
 إذ بايعَ الناسُ له فسلموا
 وكان في سيرته المأمونُ
 ذا بصيرٍ بالعليمِ والكلامِ
 وكان في أيامه ابنُ أكرمٍ
 له حديثٌ معه مستطرفٌ
 وثارَ إبراهيمُ ابنُ المهدي
 فعاقه عما أرادَ القدرُ
 واستوزَرَ الحسنَ نجلَ سهلٍ
 مُصاهراً له ببورانَ ابنتيه
 فصَدَّ عما ينتجيه الحسنُ
 فأصبحَ المأمونُ بعدَ الحسنِ
 مُؤرباً إذ كان قد سقاه
 وبايعَ المأمونُ موسى الرضا
 فدُفِنَ الرضا معَ الرشيدِ
 ثم ثوى المأمونُ في جهادهِ
 وصيَّرَ الملكُ إلى المعتصمِ
 فاستفتحَ المعتصمُ العَمُوريَّةَ
 فعاقه عن ذلكَ أمرٌ مزعجٌ
 وأنَّ الافشينَ بدا من كفرهِ

وغابَ عنها كوكبُ النَحُوسِ
 وأشرقَ الدهرُ وكادَ يُظلمُ
 عدلاً رضاً له تُقى ودين
 مُنقوهاً بالنثرِ والنظامِ
 قاضيه يحیی اللوذعيَ المفهمِ
 وكان ذا فقهٍ له تصرفُ
 عليه والطالعُ غيرُ سَعَدِ
 فجاءهُ منزهاً يعتذرُ
 إذ ناهزَ الحسنُ سنَّ الكهلِ
 مُنقوهاً من جاههِ وحرُمته
 وشكَّ حمامٍ بدفاعٍ قد دنا
 مُرزءاً يلبسُ ثوبَ الحزنِ
 سُمّاً وحيّاً قاطعاً حشاهُ
 ثم قضى اللهُ لموسى ما قضى
 طوبى لموسى من فتي شهيدِ
 رهناً بما قدَّمهُ من زاده
 فأحسنَ السيرةَ لما يظلمُ
 ثم أرادَ غزوَ قُسطنطينيه
 مِن ثائرٍ قامَ عليه يخرُجُ
 ما كان قد أجنَّه في صدرهِ

١ ب م : إذ .

٢ الصواب : علي بن موسى الرضا .

وقتلَ المعتصمُ الأفشينيا
 أحرقة بالنار لما أنْ بَغَى
 ثم دَمَى بعدُ الإمامَ المعتصمَ
 فبَوَّيَعَ الوائِقُ بالإمامةِ
 وإنه كان مُحِبًّا لِلنَّظَرِ
 ثم عَدَا الوائِقُ حِينَ نَزَلَا
 فبَايَعُوا لِحُفَيْرِ التَّوَكُّلِ^١
 حَتَّى دَهَاهُ حَادِثٌ كَبِيرُ
 مَا لَا عَلَيْهِ إِبْنُهُ الْمُنْتَصِرُ
 فبَايَعُوا مُحَمَّدَ الْمُنْتَصِرَا
 ثُمَّ سَقَاهُ الدَّهْرُ كَأْسَ الْحَتَفِ
 فبَايَعُوا لِلْمُسْتَعِينَ أَحْمَدَ
 فَاضْطَرَبَتْ أَحْوَالُهُ بِالتَّرَكِ
 جَرَعَهُ الْمُعْتَزُّ مِنْ بَغْيِ جُرْعِ
 فَتَنَّمَ لِلْمُعْتَزِّ مَا قَدْ أَمَلَهُ
 فَلَمْ يَكُنْ يَحْسِنُ [فِي الْأَتْرَاكِ
 مِنْ ضَغْطِهِمْ فَبَايَعُوا لِلْمُهَنْدِي
 وَمَاتَ فِي الْمَجْلِسِ] بَعْدَ خُلْعِهِ
 فَعَرَضَتْ لِلْمُهَنْدِي أَعْرَاضُ

إِذْ كَانَ بِالْبَغْيِ يَكِيدُ الدِّينَا
 وَهَكَذَا يَجْزِي الْإِلَهَ مِنْ طَغْيِ
 وَهُوَ عَلَى دِجْلَةٍ حِينَ فَقِيمِ
 وَكَانَ ذَا عَدْلٍ وَذَا اسْتِقَامَةٍ
 لَكِنَّهُ بِالْقَوْلِ بِالْخُلُقِ أَمَرُ
 فَابْتَزَّ مُلْكَهُ وَمَا قَدْ خُوِّلَا
 وَكَانَ عَيْنَ الْفَضْلِ وَالتَّفَضُّلِ
 فَاعْتَالَهُ بُغَاءُ الصَّغِيرِ
 إِذْ سَامَهُ هُونًا وَمَتَقًا يُضْجَرُ
 فَلَمْ يَدُمْ فِي الْمُلْكِ إِلَّا^٢ أَشْهُرَا
 ذَاقَ الَّذِي أَذَاقَهُ مِنْ خَسَفِ
 بِطَالِعِ النُّحُوسِ بِغَيْرِ أَسْعَدِ
 وَلَمْ يَزَلْ فِي تَكْدِيرِ وَضْنِكِ
 فَسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَانْخَلَعَ
 وَالدَّهْرُ يَفْرِي^٣ لَوْ دَرَى أَجْلُهُ
 سِيرَتَهُ فَحَلَّ فِي أَشْرَاكِ
 فَانْخَلَعَ الْمُعْتَزُّ يُلْقَى بِالْيَدِ
 فَقُمْنَ يَنْدُبْنَ نِعَاةَ رَبِّعِهِ
 كَانَ بِهَا فِي مُلْكِهِ انْتِفَاضُ

١ ب م : المتوكل .

٢ ط : غير .

٣ ب م : يدني .

أظهرَ زُهْدًا لم يوافقْ جُنْدَه
فوجَّزوه بِشَبَا الخُتَاجِرِ
فَوَلَّى المَعْتَمِدُ الخِلَافَه
وكانَ في حَرْبٍ مع الصَّفَارِ
حَتَّى دَهاهُ ما دَهِى البَريَّة
فَوَلَّى الخِلَافَه المَعْتَصِدُ
فخرجَتْ في مَلِكِهِ القَرامِطَه
وكانَ يَبْدُرُ غلامَهُ كَلِيفُ
ووصلَتْ قَطْرُ النَّدَى إِلَيهِ
فكانَ مِناها في سرورٍ وطَرَبٍ
فصارَ في الأمرِ عَليُّ المَكْتَفِي
لكنَّهُ أَذاقَ بَدْرًا حَتَفَه
ثمَ أتى المَكْتَفِي الحَمامُ
فصَيَّرَ الأمرَ إلى المَقْتَدِرِ
وابنُ المُعْتَزِّ قد غَدَا إماما
ولم يَسْعَ مُرادُ عبدِ اللهِ
وأدركتهُ حِرْفَةُ الآدابِ
فدامَ في الأمرِ سَنينَ جَعْفَرُ
فشَبَّتِ الحَروبُ في أَيامِهِ
فَوَلَّى القاهِرُ نَجْلُ المَعْتَصِدِ

١ ب م : قوم .

٢ ط : غير المنصف .

يَبِثُّ حَتَّى سُمِلَتْ عَيْنَاهُ
 فَاسْتُخْلِفَ الرَّاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ
 ذَا أَدَبٍ وَذَا قَرِيضٍ حَسَنٍ
 ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ الْمُتَّقِي
 وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ الْمُسْتَكْفِيَا
 فَأَخْلَصُوا الطَّاعَةَ لِلْمُطِيعِ
 ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ كَالْخَالِجِ
 طَاعُوا لَهُ ثُمَّ عَدَّوْا عَلَيْهِ
 وَخَلَعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ صَاحِبًا
 فَاسْتَوْسَقَ الْمُلْكُ لَهُ سِنِينَ
 حَتَّى سَقَتْهُ أَكُوسُ^٣ الْحِمَامِ
 ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بَعْدُ قَامَا
 ثُمَّ انْتَهَى مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ
 [وَبَعْدَ ذَلِكَ قَامَ فِي بَغْدَادِ
 فَأَسْرَ الْخَلِيفَةُ الْمَذْكُورَا
 وَجَدَ فِي الْخَلْعِ بِكُلِّ جَهْدٍ
 فَحَرَكَ الرَّحْمَنُ ذُو الْجَلَالِ
 التَّغْلِبَكِي مَلِكًا الْأَغْزَا
 وَنَصَرَ الْقَائِمَ خَيْرَ نَصِيرِ

إِذْ كَانَ سَهْمًا يُتَّقَى شِبَاهُ
 فَكَانَ مَشْغُوفًا بِشَرِّ الْكَاسِ
 وَكَانَ فِي الْعُلُومِ ذَا تَفَنٍّ^١
 فَمَا بَقُوا مِنْ بَعْدِهِ وَلَا بَقِيَ
 ثُمَّ انْزَوَى عَنْ أَمْرِهِمْ مُسْتَعْفِيَا
 فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ فِي الْجَمِيعِ
 إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ^٢ الطَّاعِ
 وَقَطَعُوا حَاجِزَ مِشْخَرِيهِ
 وَبَايَعُوا ابْنَ الْمُتَّقِي الْقَادِرَا
 ثَلَاثَةً - قَالُوا - وَأَرْبَعِينَا
 وَكُلُّ مُلْكٍ فَلِيَ انْصِرَامِ
 وَسَارَ فِي سِيرَتِهِ^٤ أَعْوَامَا
 وَدَبَّرَ الْأَتْرَاكُ أَمْرَ النَّاسِ
 مُقَدِّمٌ يُدْعَى بِأَرْسِلَانِ
 وَكَانَ مَرَّةً بِالْتَّقَى مَشْهُورَا
 وَصَرَفَ الدَّعْوَةَ لِلْعُبَيْدِي
 لِنَصْرِهِ الْمَلِكِ الْمِكَالِي
 فَفَتَلَ التَّرْكِيَّ بِالْأَهْوَا
 وَانْفَرَدَ الْغَزَا بِضَبْطِ الْأَمْرِ

١ ب م : تيقن .

٢ ط : عبد الملك .

٣ ب م : سقي بأكوس .

٤ ب م : سيرته .

ثم ثوى القائمُ بعدة مدّة وباعوا لمقتديهمُ بعدة
 ابن ابنه أحمدَ عبدِ الله والأمرُ للعادلِ شاهنشاه
 وباعوا من بعده لاذقُبراً سَلِيلُهُ أحمدُ المُستظهرُ
 ثم تولاهُ ابنهُ المُسترشِدُ الفَضْلُ فاعتكفوا به وسعدوا
 وشدّ أزرَ المُلكِ والخلافةِ وهابهُ عدوهُ وخافهُ
 فهو إلى الآنَ إمامُ الخلقِ والمُلكُ لله الإلهِ الحقّ [

دولة بني أمية بالأندلس

وزمنَ الوليدِ كانَ فتحها وبعدكم حَرْبٌ وكم من هَوَلٍ
 استوسقَ المُلكُ بهذي الناحية ليوسفَ الفهريّ والصّميلِ
 ثم تولّاها ابنهُ هشامُ لعابدِ الرّحمن بن معاوية
 فباعوا ابنهُ المسمّى الحكماءُ حتّى أتاهُ بعدةُ الحِمامِ
 فاعترض المُلكُ له من اعترض ثم تولّى عابِدُ الرّحمنِ
 ثم تولّاها ابنهُ مُحَمَّدُ فأوقع الصّلبَ على أهل الرّبطِ
 ذا بَصيرٍ بالشعرِ والآدابِ وكانَ في السيرة ممتنٌ يُحمدُ
 ثم ابنهُ المنذرُ وهو الأكبرُ ورأسخاً في العِلْمِ بالحسابِ
 وبعدةُ النّاصِرُ ذو البناءِ ثُمّتَ عبدُ الله وهو الأصغرُ
 وبعدةُ المستنصرُ ابن النّاصِرِ خمسينَ عاماً صاحبُ الزّهراءِ
 ذاك الذي ماتَ مراراً ودفنَ وبعدةُ هشامُ آلِ عامرٍ
 فانتفضَ التّربُ ومزّقَ الكفّنَ فانتنفضَ التّربُ ومزّقَ الكفّنَ

١ ط : حكما .

٢ ب م : الأمر .

ذكر الفتنة الأولى بقرطبة

لما انقضت دولة آلِ عامرٍ
وقال عن هشامٍ المؤيدِ
ولأنما أخبرهمُ بباطلهُ
فجاءهُ البربرُ في حقلِ الجنودِ
فظفِرَ المهديُّ بابنِ عمتهِ
في طالعٍ ينظرُ منه كيوانُ
فوقعتُ بينهمُ حروبُ
فاظلمتُ في عصره الآفاقُ
فانصرفَ الملكُ إلى يديهِ
وطوقوهُ بشبَا المهندِ
فسلمَ الأمرُ لسليمانه
فلم يزل فيهم سليمانُ يلي
فاستوسقَ الأمرُ له والطاعةُ
فاغتاله الصَّقلُ في الحمامِ
ثم انقضى عصرُ بني حمودِ
وظهرَ المستظهرُ المرواني
وقتلوه بعدَ ذاك صبرا
فبايعوا للنَّاصرِ المُستكفي
ففرَّ عنها ثم عادَ المعتلي
ثم أتى من بعده المعتدُ
فنقسموا استخلاصه للحائكِ
وخلعوا مُعتدَهمُ هشاماً

قامَ بها المهدي من آلِ النَّاصرِ
بأنه قد صارَ رهنَ الملحدِ
والمرءُ لا يستطيعُ قتلَ قاتله
مع ابنِ عمتهِ المسمي بالرشيدِ
وكان ذاكَ زائداً في غمتهِ
فجاءهُ البربرُ مع سليمانِ
لاحَ له من بينها الهروبُ
وعمتها الشقاقُ والنفاقُ
فهجموا من بعدِ ذا عليهِ
بينَ يديهِ هشامِ المؤيدِ
وهشموا هشامَ في أكفانهِ
حتى انبرى له ابنُ حمودِ علي
وكان فيما زعموا تلقاعه
وجرعوه أكؤسَ الحمامِ
والحربُ والفتنةُ في مزيدِ
وشيعرُه من أحسنِ المعاني
من بعد ما قد قتلوه الأمرا
بعدَ خطوبِ طالٍ فيها وصفي
بالله يحيى نجلُ حمودِ علي
والحربُ في أقطارها تشتدُ
وزيره فخرٌ أي هالكِ
وسجنوه عندهمُ أعواماً

ذكر ملوك الطوائف الثوار بالأندلس
بعد ذهاب دولة ابن أبي عامر وأمراء الجماعة بقرطبة

لما رأى أعلام مصر^١ قرطبة
وعُدِمَتْ شاكِلَةٌ للطاعة
فقدّموا الشيخ من آل جهور^٢
ثم ابنه أبا الوليد بعده^٣
فجاءت^٤ في فضليها الجهاورة
من كلّ مُنتزٍ بها وثائر^٥
فالتغرُ الأعلى ثارَ فيه مُنذرُ^٥
وابنُ يعيش^٥ ثارَ في طليطلة^٥
وفي بطليوس انتزى سابورُ^٥
وثارَ في حمصِ بنو عبادِ^٥
وشاعَ عن هشامِ المؤيدِ^٥
وأنته جاءَ منَ الحِجازِ^٥
وقال عبادُ بهِ فصدّقوا^٥
فنصبوا دعوتَه طليّسا^٥
فعبّدوه مُدَّةً أعواما^٥
أنّ الأمورَ عندهم مُضطربة^٥
استعملت آراءها الجماعة^٥
المُكتني بالخزم والتدبير^٥
وكان يحدو في السداد قصده^٥
وكلّ قطري حلّ فيه الفاقرة^٥
وعادل عن كلّ عدل جائر^٥
ثمّ ابنُ هودٍ بعدُ فيما يُذكرُ^٥
ثمّ ابنُ ذي النونِ تصفّى الملك له^٥
وبعدَه ابنُ الأفطسِ المنصورِ^٥
والحربُ والفتونُ في ازديادِ^٥
بأنّه حيّ ولما يُلحدِ^٥
واحتلّ في حمصِ على المجازِ^٥
بأنّه حيّ لديه يُرزقُ^٥
وقد محّا المماتُ منه الرّسما^٥
إذ عَدَمُوا الألبابَ والأحلاما^٥

١ من هنا اقتبس العماد بعض هذه الأرجوزة .

٢ الخريدة : أهل .

٣ ط : فجاهدت .

٤ هو محمد بن يعيش الأسدي .

٥ ب م : العقول .

ثُمَّ نَعَاهُ بَعْدَ ذَا عِبَادُ
 وَثَارَ فِي غِرْنَاظَةِ حَبْتُوسُ
 وَآلُ مَعْنَى مَلَكُوا الْمَرِيَّةُ
 ذِكْرَهُمْ فِي غَيْرِ مَا قَصِيدِ
 وَثَارَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ الْفَتِيَانِ
 ثُمَّ زُهَيْرُ الْفَتَى لَبِيبُ
 سُلْطَانُهُ رَسَا بِمَرْسَى دَانِيهِ
 ثُمَّ أَقَامَتْ هَذِهِ الصَّقَالِبَةُ
 وَجُلُّ مَا مُلْكُهُ بِلَنْسِيَّةِ
 وَبَلَدُ الْبُنْتِ لَالِ قَاسِمُ
 وَابْنُ رَزِينٍ جَارُهُ بِالسَّهْلَةِ
 ثُمَّ تَمَادَتْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ
 دَانَتْ بِدِينِ الْجُتُورِ وَالْعُدُولِ
 فَأَهْمَلُوا الْبِلَادَ وَالْعِبَادَا
 وَاشْتَغَلَتْ أَذْهَانُهُمْ بِالْخَمْرِ
 وَزَادَهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالْخِلْدَانِ
 لَمَّا طَوَتْ صُدُورُهُمْ مِنْ غِلِّ
 فَخَسَفَتْ [. . .] بِالْأَرْضِ
 فَاسْتَوْلَتْ الرُّومُ عَلَى الْبِلَادِ
 وَقَتَلُوا الرِّجَالَ كَيْفَ شَاءُوا
 وَإِذَا أَطَالَ الْقَوْمُ أَسْرَى الْقَدَرُ

مِنْ بَعْدِ مَا طَاعَتْ لَهُ الْبِلَادُ
 ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ بِادِيسُ
 بِسِيرَةٍ مَسْحُودَةٍ مَرْصُوتَةٍ
 يُشْرِقُ مِثْلَ النَّحْرِ بِالْفَرِيدِ
 الْعَامِرِيَتُونَ وَمِنْهُمْ خَيْرَانُ
 وَمِنْهُمْ مُجَاهِدُ اللَّيْبِ
 ثُمَّ غَزَا حَتَّى إِلَى سِرْدَانِيهِ
 لَابِنِ أَبِي عَامِرِهِمْ بِشَاطِبِهِ
 وَثَارَ آلُ طَاهِرٍ بِمَرْسِيَّةِ
 وَهُوَ حَتَّى الْآنَ فِيهِ حَاكِمُ
 أَهْمَلُ أَيْضاً ثُمَّ كُلُّ الْمَهْلَةِ
 تَخَلَّفَهُمْ مِنْ أَهْمٍ خَوَالِفُ
 إِذْ سَلِبَتْ عَقَائِلُ الْعُقُولِ
 وَعَظَلُوا الشُّغُورَ وَالْجِهَادَا
 وَبِالْأَغَانِي وَسَمَاعِ الزَّمْرِ
 أَنْ ظَاهَرُوا عَصَابَةَ الصُّلْبَانِ
 وَلَاخْتِبَارِ الْبَعْضِ حَالِ الْكُلِّ
 وَضَيَّقُوا مِنْ طُوبَاهَا وَالْعَرَضِ
 وَاسْتَعْبَدُوا حَرَائِرَ الْعِبَادِ
 وَضَاعَ دَلُوكَ الدِّينِ وَالرِّشَاءِ
 نَحْوَهُمْ خَسَفُوا وَمَا إِنْ شَعَرُوا

١ ب م : شرقى .

٢ ب م : خلافت .

دولة المرابطين بالأندلس

فإذا أرادَ اللهُ نَصَرَ الدِّينِ استصرخَ النَّاسُ ابنَ تاشفينِ
فجاءهُمُ كالصَّبْحِ في إثرِ غسقِ مُستدرِكاً لما تَبَقِيَ من رَمَقِ^١
وافى أبو يعقوبَ كالعُقَابِ فجردَ السيفَ من^٢ القِرَابِ
وواصلَ السَّيْرَ إلى الزَّلَاقَةِ وساقَهُ لِيَوْمِهَا ما ساقَهُ
للهِ دَرٌّ مثلها مِينَ وَقَعَةٍ قامَتِ بنصرِ الدِّينِ يومَ الجُمُعَةِ
وئِلَّ للشركِ هناكَ عَرشُهُ لم يُغْنِ عنه يومَهُ أَذْفَنشُهُ
فوجِبَ الخلعُ لذي الخِلاعةِ وصَرَخوا ليوسفَ بالطَّاعَةِ
وانفصلَ الأمرُ على نِظامٍ وامتدَّ ظلُّ اللهِ للإسلامِ
وانصرفَتِ على العَدُوِّ الكَرَّةُ ورَجَعَ^٣ الجَمْعُ كأوَّلَى مَرَّةٍ
فَتلكَ خيلُ اللهِ في العَدُوِّ تَعِيثُ في الرِّواحِ والغُدُوِّ
ثمَّ وليَ عليُّ بنُ يوسفَ مُهتدياً حُكْمَ أبيهِ بِقَتْنِي

تمت الأرجوزة وبتمامها تم القسم الأول
وصل الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

١ الخريدة : مبتدراً كالماء ينقي في رفق .

٢ ط : عن .

٣ ب م : وأمن .

فهارسُ الكتابِ

[١] فهرست الأعلام

ابن أبي الحسن (الشاعران) ٤٦٩

ابن أبي الخصال ، أبو عبد الله

الكاتب ٢٩

ابن أبي الربيع ، أبو العباس الفقيه

٢٣

ابن أبي زمنين ٤٥٩

ابن أبي عامر ، انظر : عبد

الرحمن بن المنصور

ابن أبي عامر ؛

عبد العزيز بن عبد الرحمن

بن أبي عامر (المنصور

الصغير) ؛ المظفر عبد

الملك بن المنصور بن أبي

عامر ؛

المنصور بن أبي عامر

(الكبير)

ابن أبي عبدة ، أبو عمر ٦٦٥

ابن أبي عيينة المهلب ٨٠

ابن أبي كامل (أحمد) ٨٢٥

ابن أبي موسى ٦٤٩

أحمد (في الشعر) ٧٥٨

— أ —

آدم ١١١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ،

٩٢٨ ، ٩٢٧

ابن الأبار ، أبو جعفر ٢٥

أبان ٨٤٠

ابراهيم الامام ٩٣٣

ابراهيم (الخليل) ٣٤٦

ابراهيم بن الافليبي ، انظر : ابن

الافليبي أبو القاسم

ابراهيم بن خفاجة ، انظر : ابن

خفاجة

ابراهيم بن العباس الصولي ،

انظر : الصولي

ابراهيم بن المهدي ٤٠٤ ، ٩٣٦

ابراهيم بن الوليد الأموي ٩٣٣

ابراهيم بن يحيى الطنبلي : انظر

الطنبلي ، أبو بكر

أبرهة ٣٤٠

ابن أبي أمية ، أبو أيوب الوزير

٢٦

- إدريس بن يحيى بن علي بن حمود
(العلي بالله) ٣٣٨ ، ٨٥٩ ،
٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ،
٨٦٤
إدريس بن اليماني ٢٨ ، ٨٧ ،
٣٠٧
الأذفونش ٩٤٤
أرسطاطاليس (رسطاليس)
٧٥ ، ١٦٧
أرسلان ٩٣٩
ابن أرقم ، أبو الأصبغ الكاتب
٢٨ ، ٧٤٠
أرمقند ٣٦ ، ٦٩
أروى (حظية المعتصم) ٧٣٤
ابن أزرق ، أبو عامر الكاتب
٨٤ ، ١٨٣
أزهر (جارية ابن السراج) ٨٧٢
أسامة بن زيد ٣٤١
ابن الإستجي ، أبو الحسن ٢٤
إسحاق الموصلي ٨٦٣ ، ٩١٧
إسحاق بن عبد الله ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،
٣٨٨
أبو إسحاق بن همام ، انظر :
ابن همام
أبو إسحاق بن خفاجة ، انظر :
ابن خفاجة
- أبو إسحاق بن معلّى ، انظر :
ابن معلّى
الأسدي (ابراهيم بن أحمد) ٤٧٩
الأسعد بن بليطة ٢٤ ، ٧٨٤ ،
(٧٩٠ - ٨٠١)
أسماء (طفلة) ٣٠٤
اسماعيل بن ذي النون ٢٥ ، ٣٠ ،
١٨٦ ، ١٨٧ ، ٩٤٢
اسماعيل بن المعتضد عباد ٢٨ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٨٥
٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨
اسماعيل بن يوسف ، انظر :
ابن النغريلي
أشكمياط ، أبو بكر الكاتب ٢٣٠
أبو الأصبغ القرشي ٣٣٥
أبو الأصبغ ابن أرقم ، انظر :
ابن أرقم
أبو الأصبغ ابن القطاع ، انظر :
ابن القطاع
الأصبهاني (حمزة) ٨١١
الأصمعي ٥٣١ ، ٨٢٦
ابن الأصيلي ، أبو عامر الأديب
٢٩
ابن الأعرابي ٨٢٦
الأعشى ١١ ، ٥٤٥

أنف الناقة بن معمر ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
أنوش ٩٢٨

أوس بن حجر ٩٠٨
إيأس بن معاوية (الإياسي)
١٧٨ ، ٨٣٦
ابن أيمن ، أبو عبدالله ٢٦
أبو أيوب بن أبي أمية ، انظر :
ابن أبي أمية .

— ب —

الباجي ، أبو عمر (عمرو)
(يوسف بن جعفر) الوزير
٢٥ ، ٣٣٧ ، ٦٦٠ ، ٦٦٦ ، ٨٩٧
الباجي ، أبو القاسم ٦٤٧
الباجي ، أبو الوليد القاضي ٢٥
باديس بن حبوس ، أبو مناد
٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩
٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣
٦٦٤ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٧٣٢
٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩
٨٥٩ ، ٩٤٣

ابن باشة المعروف بالأصغر ٦٠٠
باغر (التركي) ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
بثينة (صاحبة جميل) ٤٦٥

الأعمى التطيلي (أحمد بن هريرة)
أبو جعفر ٢٦ ، ٧٦ ، ٣٠٣ ،
٣٢٥

الأفشين ٩٣٦ ، ٩٣٧
ابن الأفطس ، انظر : المتوكل
عمر بن الأفطس ؛
المظفر بن الأفطس ؛
المنصور بن الأفطس ؛
الأفعى (أفعى نجران) ١٣٠
ابن الإفليلي ، أبو القاسم ٢٣٥ ،
٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

٢٨١ ، ٤٨٣
الأفوه الأودي ٢٨٣
الأفوه الشاعر الجزار ٧٦٠
الإلبيري ، انظر : السمسير ؛
أبو عمر الإلبيري
امرأة العزيز ٨٠٥
امرؤ القيس (ابن حجر) ،
الكندي (١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨
٢٨٦ ، ٧٠١
أمير المسلمين ، انظر : يوسف
ابن تاشفين

أميرة القرشية ٤٨٥
الأمين (محمد بن هارون الرشيد)
٤٨٢ ، ٥١٤ ، ٩٣٥
أبو أمية بن هاشم القرطبي ١٨٣

عبدالله الوزير الكاتب ٢٤ ،
(٦٢٤ - ٦٤٣)

ابن بسام البغدادي (علي) ١٤٢ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ،
٨١٥ .

ابن بسام الشنتريني (علي) أبو
الحسن ، صاحب الذخيرة ١١ ،
١٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
٥١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٥ ،
٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٣١ ،
١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ،
١٦٦ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ،
٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ،
٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ،
٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ،
٤٠٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٧ ،
٤٦٢ ، ٤٦٨ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ ،
٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ،
٥٤٤ ، ٥٩٠ ، ٥٩٤ ، ٦٠١ ،
٦٠٨ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣٥ ،
٦٥٥ ، ٦٩١ ، ٧٢٠ ، ٧٣٢ ،
٧٥٢ ، ٧٦٥ ، ٧٧٠ ، ٧٧٥ ،
٧٨٥ ، ٧٩٤ ، ٨٣٩ ، ٨٤١ ،
٨٤٥ ، ٨٥٣ ، ٨٦٠ ، ٩٠٥ ،
٩٠٧ ، ٩٠٨

بسبس ٤٦٤

البحثري ٤٠ ، ٤١ ، ٧٧ ، ١٦٦ ،
١٧٦ ، ٢٥٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ،
٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٥١٨ ،
٥٤١ ، ٩٠٣ .

بدر (غلام) ٩٣٨

بديع الزمان الهمداني (البديع)
١١ ، ١٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٧٦ ،
٣٧٣ ، ٦٥٤ ، ٧٧٣ ، ٨٤٠ ،
٩٠٧

البرأض ٥٥١

ابن برد الأصغر (عمر) أبو
حفص ٢٣ ، ٥٠ ، ٢٨٢ ،
٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٤٨٣ ، (٤٨٦ - ٥٣٥) ،
٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٧ ، ٧٨١ ،
٧٨٧ ، ٨٤٤

ابن برد الأكبر (عمر) أبو
حفص ٢٢ ، ١٠٠ ، (١٠٣) ،
١٢٣ - (١٢٧ ، ١٢٩ ،
٤٨٦ ، ٥٨٨

البرزالي (البرزيلي) الزناتي (محمد
ابن عبدالله) ٣٠٤ ، ٤٦٠ ،
٤٦١ ، ٦٢٥

البرزالي (علي بن عبدالله) ٤٦١
البرزالي ، أبو الفتح ٣١٦ ، ٣١٧ ،
البرزلياني (محمد بن أحمد) أبو

- بسّام بن قيس ١٧٨ ، ٢١٨ ، ٧٦٢
 بشار بن برد ٢٣٧ ، ٣٢٥ ،
 ٧٧٣ ، ٨٤٣ ، ٩٠٢
 ابن بشر (عبدالرحمن) ، ابن الحصار
 ١٨٣
 بطليموس ٧٥
 البعوضة ٥٤٦
 البعيث ٩٠٢
 بغا الصغير ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤١
 بقرط ٢٧٥
 ابن بقنة الوزير ٥٥٢
 ابن بقي ، أبو بكر ٢٦ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٥١٧ ، ٦٢١ ، ٨٢٣
 بكر بن خارجة الكوفي ٣٩٠
 بكر بن محمد المشاط الرعيني ،
 انظر : ابن المشاط الرعيني
 بكر بن النطاح ٩٠٣
 أبو بكر الخولاني المنجم ٧٠٣ ،
 ٧٩٧ ، ٨٠٢ ، ٨٠٤
 أبو بكر الداني ، انظر : ابن
 اللبّانة
 أبو بكر الصديق ٣٤١ ، ٤٦٤ ،
 ٩٢٩
 أبو بكر الطنبي ، انظر : الطنبي ،
 أبو بكر
- أبو بكر المرواني ٣٠٦
 أبو بكر المصحفي ، انظر :
 ابن المصحفي
 أبو بكر ابن بقي ، انظر : ابن
 بقي
 أبو بكر ابن حزم ، انظر : ابن
 حزم ، أبو بكر
 أبو بكر ابن الحسن المرادي ٣١
 أبو بكر ابن خازم ، انظر : ابن
 خازم
 أبو بكر ابن ذكوان ، انظر :
 ابن ذكوان ، أبو بكر
 أبو بكر ابن زياد ، انظر : ابن
 زياد
 أبو بكر ابن زيدون ، انظر : ابن
 زيدون (الاب) ؛
 ابن زيدون (الابن)
 أبو بكر ابن سعيد ، انظر : ابن
 القبطونة
 أبو بكر ابن سليمان ، انظر :
 ابن القصيرة
 أبو بكر ابن ظهار ، انظر : ابن
 ظهار
 أبو بكر ابن عبد العزيز الوزير
 الكاتب ، انظر : ابن عبد
 العزيز

بلقين (شيخ من صنهاجة) ٦٦٠
بلقين بن باديس بن حبوس ٦٦١ ،
٦٦٤ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩
بلقين بن محمد بن حماد ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩١
ابن بليطة ، انظر : الأسعد بن
بليطة

بليق (فرس) ٧٠
الهماري ، أبو عامر ٢٩
بوران (زوج المأمون) ٩٣٦
ابن بياح السبتي ٧٦
ابن البين ، أبو عبدالله ٢٧

— ت —

ابن التاكري ٢٨ ، ٦٥٥ ، ٦٦٩
تأييد الدولة ، أبو جعفر ٦٤١
أبو تمام الطائي (حبيب بن أوس)
١٨ ، ١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٣٧ ،
٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣١٢
٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧
٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٤٧
٥٤٠ ، ٥٩٢ ، ٦٧٢ ، ٨٣٠
٨٤١ ، ٨٤٣ ، ٨٨٧ ، ٩٠٢
أبو تمام ابن رباح الحجّام ٢٩ ،
١٤٧ ، ٧٥٨ ، ٧٩٥

أبو بكر ابن العربي ، انظر : ابن
العربي
أبو بكر ابن العطار اليايسي ،
انظر : ابن العطار اليايسي
أبو بكر ابن عمار ، انظر : ابن
عمار
أبو بكر ابن فتوي ، انظر : ابن
فتوي
أبو بكر ابن قزمان ، انظر : ابن
قزمان
أبو بكر ابن القواس ، انظر : ابن
القواس
أبو بكر ابن مسلم ، انظر : ابن
مسلم
أبو بكر ابن الملح ، انظر : ابن
الملح
أبو بكر ابن هشام (أخو المرتضى
المرواني) ٤٥٥
أبو بكر اشكمياط ، انظر :
اشكمياط
أبو بكر عبادة ، انظر : عبادة
ابن ماء السماء
البكري ، انظر : طرفة بن العبد
بلال (المؤذن) ٢٢٢

تميم بن المعز (الشاعر) ٥١٨، ٧٧٢،

٧٧٥، ٧٧٦، ٧٩٢

التنوخي القاضي ٤٢١

التهامي ، أبو الحسن ٣١ ، ٣٨١ ،

٨٢٢

— ث —

الثعالبي ، أبو منصور ٣١ ، ٣٢ ،

٣٤ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ٣٦٣ ،

٥٤٦ ، ٦٢١ ، ٨٨٥ ، ٩٨٩

ثعلب ٣٢٣

— ج —

الجاحظ (عمرو بن بحر) أبو

عثمان ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ،

٢٦٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٥٣١

٥٣٧ ، ٦٤٣ ، ٦٥٤

جالوت ١٦٣ ، ٥٥٩

جالينوس ٢٧٥

ابن الجدة ، أبو الحسين الكاتب

٢٦ ، ٣٠٨

ابن الجدة ، أبو القاسم ٢٦

ابن الجدة ، أبو محمد الوزير ٣٣٧

٦٤٣ ، ٦٤٤

ابن جذل الطعان ١٨٠

ابن جرج ، أبو جعفر الوزير

الكاتب ٢٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩

جروول ، انظر : الخطيئة

جرير (الشاعر) ٣٤ ، ٤٦٢ ،

٤٦٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٧٠١

٩٠٢

الجزيري الشاعر (عبد الملك) أبو

مروان ١٠٣ ، ٢١٨ ، ٦٠٧

جعفر المتوكل ، انظر : المتوكل

العباسي

جعفر بن بسام البغدادي ١٤٢ ،

١٤٣

جعفر بن محمد بن فتح ، انظر :

ابن فتح

جعفر بن محمد بن مكّي بن أبي

طالب القيسي ، أبو عبدالله

٨١٤

جعفر بن يحيى (البرمكي) ٩٦ ،

٤٠٤ ، ٦٤٩

أبو جعفر التطيلي ، انظر : الأعمى

التطيلي

أبو جعفر الداني الكاتب ٢٩

أبو جعفر ابن الأبار ، انظر :

ابن الأبار

أبو جعفر بن جرج ، انظر : ابن

جرج .

أبو جعفر ابن الدودين ، انظر :

ابن الدودين

ابن جهور ، أبو الوليد ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

٤٤٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٥ ، ٦٠٤ ،

٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦١١ ، ٩٤٢ ،

ابن جهور (عبد الرحمن بن أبي

الوليد) ٦٠٧

ابن جهور (عبد العزيز بن حسن)

٦٠٢

ابن جهور (عبد الملك بن أبي

الوليد) ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ،

٦١٠

ابن جهور (محمد بن عباس) ٦٠٢

أبو الجيش مجاهد العامري هـ

انظر : مجاهد العامري .

— ح —

حابس (بن عقال) ٨٦٥

حاتم الطائي ٧٥ ، ١٧٨ ، ٥١٧ ،

٧١٨ ، ٨٠٤ ،

أبو حاتم الحجاري ، انظر :

الحجاري .

أبو حاتم ابن ذكوان ، انظر :

ابن ذكوان

الحارث الجفني ٧٥

الحارث بن هشام ٥٨٠

حارثة بن بدر الغداني ٤٦٨

أبو جعفر ابن شاذيه ، انظر :

ابن شاذيه

أبو جعفر ابن اللماثي ، انظر :

ابن اللماثي

أبو جعفر ابن هريرة ، انظر :

الأعمى التطيلي

أبو جعفر أحمد بن عباس الوزير ،

انظر : أحمد بن عباس الوزير

جلال الدولة ابن عمار ، انظر :

ابن عمار ، جلال الدولة

جميل بثينة ٤٦٥

جميلة (صاحبة ابن الحداد) هـ

٧٠٩ ، وانظر أيضاً : نويرة

الجنان (رجل) ١٢٤

جنان (امرأة) ٨٤٠

جهران بن يحيى (صاحب لبلة)

٧٦١

ابن الجهم ، انظر : علي بن الجهم

ابن جهور ٥٩٥ ، ٧٧٠

ابن جهور ، أبو الخزم ٥٣ ،

١٠٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٨٠ ،

٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٤٩ ، ٦٠٢ ،

٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٦٣ ،

٩٤٢

- حارثة بن المغلس (تابع المنبهي) ٢٦٥
حام ٩٢٨
الحائك ، انظر : حكم بن سعيد
الحائك القزاز
حبوس بن ماكسن ، أبو مسعود
٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥
٩٤٣ ، ٧٦٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ٦٣٠
حبيب (الطائي) ، انظر : أبو
تمام
حبيب ، أبو الوليد الأديب ٢٥
الحجاج بن يوسف الثقفي ١٢٢ ،
٩٣١
ابن حجاج (الشاعر العراقي)
٥٤٩
ابن حجاج ، أبو عمر الوزير
الأديب ٢٥
الحجاري ، أبو حاتم ٢٩
الحجام ، انظر : أبو تمام بن
رباح الحجام
ابن حجر ، انظر : امرؤ القيس
ابن الحداد (محمد بن أحمد) أبو
عبدالله ٢٤ ، ٣١٤ ، ٦٩١
— (٧٢٩) ، ٧٣٣ ، ٨٩٣ ،
٩٠٤
ابن الحديد الفقيه ٦٧٥
ابن الحديدي ٧٠٢
حذام ٣٥٥
الحذيملي ٥٤٢
حذيفة بن بدر ٢٧٥
ابن حرب (صاحب الطيلسان)
٦٤٧
ابن حزم (يحيى) ، أبو بكر
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤
٢٧٣
ابن حزم ، أبو الحكم ٢٦
ابن حزم (علي بن أحمد) أبو
محمد الفقيه ٢٢ ، ٥٠ ، ١٣٣
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
١٦٦ ، (١٦٧ — ١٨٠) ،
٢٩٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٤٣٦
٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٦١٤ ، ٦١٥
٦٦٠ ، ٧٦٦
ابن حزم (عبد الوهاب) أبو
المغيرة ٢٢ ، ٥٠ ، (١٣٢) —
(١٦٦) ، ١٨٨ ، ٤٣٦ ،
٥٢٢ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨
٦٥٣ ، ٧٨٨
ابن حزم ، أبو الوليد ٢٦ ، ٣٠٩ ، ٨٢٢

حسام الدولة ابن رزين ، انظر :

ابن رزين

حسان بن ثابت ٥٤٥

حسان بن المصيصي الكاتب ٢٦ ،

٧٨ ، ٤٤١ ، ٨٤٢

ابن حسداي ، أبو الفضل ٢٨

الحسن (الشاعر) ، انظر : أبو

نواس

الحسن بن أبي الحسن البصري ٤٧٧

الحسن بن سهل ، انظر : ابن

سهل

الحسن بن علي بن أبي طالب

٤٨٢ ، ٨١٧ ، ٩٣٠

الحسن بن الغليظ ، انظر : ابن

الغليظ

الحسن بن الفضل الحاجب ٨٢٤

الحسن بن وهب ٣٢٧ ، ٢٧٩ ،

٢٨٠ ، ٢٨١

أبو حسن (ممدوح ابن الطراوة)

٨٤٢

أبو الحسن (في شعر أبي محمد

غانم) ٨٥٦

أبو الحسن (من متنفذي الأموية)

٢٢٤

أبو الحسن البرقي ١٤٥ ، ١٤٦

أبو الحسن الحصري ، انظر :

الحصري

أبو الحسن السلامي ، انظر :

السلامي

أبو الحسن الشتمري (صالح بن

هارون) ٢٦

أبو الحسن الطنبلي ، انظر : الطنبلي

أبو الحسن العائدي ، انظر :

العائدي

أبو الحسن القرشي الأشبوني ٢٧

أبو الحسن اللحياني ٨٤٤

أبو الحسن ابن الاستجي ، انظر :

ابن الاستجي

أبو الحسن ابن بسام ، انظر : ابن

بسام

أبو الحسن ابن حصن ، انظر :

ابن حصن

أبو الحسن ابن حمدين ، انظر :

ابن حمدين

أبو الحسن ابن مضا القرطبي ،

انظر : ابن مضا القرطبي

أبو الحسن ابن اليسع ، انظر :

ابن اليسع

حسنا الشيرازية ٤٣٣

ابن حسون ، أبو علي الفقيه القاضي

٨٦٦ ، ٨٦٧

حسين بن علي بن أبي طالب ٨١٧ ، ٩٣٠

- أبو الحسين ١٣٩
أبو الحسين (غلام البكري) ٢٦
أبو الحسين ابن الجدد ، انظر :
ابن الجدد
أبو الحسين ابن سراج ، انظر :
ابن سراج ، أبو الحسين
الحصري ، أبو اسحاق ٣١
الحصري المكفوف ، أبو الحسن
٣٠ ، ٨٥٦
ابن حصن ، أبو الحسن ٢٥
الحصني ، أبو محمد المؤرخ ٥٧٧
الحضرمي ٩١٥
الحطيفة (جروول) ١٢ ، ٣٤ ،
٣٩٥ ، ٥٤٤ ، ٨٣٨
أبو حفص الشطرنجي ١٤٩
أبو حفص الهوزني الوزير الفقيه
٢٥
أبو حفص ابن برد ، انظر : ابن
برد الأصغر ؛
ابن برد الأكبر .
أبو حفص ابن الشهيد ، انظر :
ابن الشهيد التجيبي
حفصة (بنت عمر بن الخطاب)
٤٦٤
الحكم المستنصر ٤٢ ، ١٢٤ ،
٩٤٠
حكم بن سعيد الحائك القزاز ٢٨ ، ٣٠٤
الحكم بن هشام الرضي ٩٤٠
ابن حكم (عبدالله) ، ١٨٥
١٨٦ ، ١٨٧
أبو الحكم ابن حزم ، انظر : ابن
حزم ، أبو الحكم
حلاي بن زاوي بن زيري ٤٥٩ ،
٤٦٠
الحلواني (الشاعر) ٥٠٦ ، ٩١٤
حليمة (في المثل) ٤١٢
حماد (صاحب القلعة) ١٨٩
الحمار السرقسطي (سعيد بن
فتحون) ٢٨٢ ، ٦٩٢
ابن حمام ، أبو اسحاق ٢٧٨
أبو حمامة الیصدراني ، انظر :
الیصدراني
ابن الحمامي (محمد) ٨٦٣ ،
٨٦٤
الحماي (علي بن محمد بن جعفر)
العلوي الكوفي ٤٤٢
ابن حمدون (أحمد بن محمد)
٤٦٧ ، ٤٦٨
٩٥٧

ابن حمديس الصقلي ، أبو محمد

٣٠ ، ٥١٦ ، ٨١٦

ابن حمدين ، أبو الحسن ٨٢٩

ابن حمدين ، أبو عبدالله قاضي

الجماعة ٨٢٧ ، ٨٣٠ ، ٨٣٩

حمزة (بن عبد المطلب) ٢١٨

ابن حمود ، انظر : ادريس بن

يحيى بن علي

ابن حمود (العالي بالله) :

علي بن حمود (الناصر) ؛

القاسم بن حمود ؛

محمد بن القاسم بن حمود ؛

يحيى بن علي بن حمود

(المعتلي بالله)

ابن حمود (غير محدد) ٤٧٥

حمويه (ابن اخت الحسن الحاجب)

٨٢٤

الحميدي ، أبو عبدالله ١٧٢ ، ١٧٤

٤٧٠ ، ٥٤٢ ، ٦١٤ ، ٦١٥

٦٩٠ ، ٦١٦

ابن الحناط المكفوف (محمد بن

سليمان) أبو عبدالله ٢٣ ،

٣٠٦ ، ٣١٣ ، (٤٢٧) —

(٤٥٣)

أبو حنيفة (الامام) ٣٩٥ ، ٩٠٤

أبو حنيفة (الدينوري) ٨١١

حنين (في المثل) ٦٤٧

حواء ٩٢٧

حيان بن خلف بن حسين ، انظر :

ابن حيان ، ابو مروان

ابن حيان (حيان بن خلف) أبو

مروان المؤرخ ١٨ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ،

٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٧ ،

٩٦ ، ٩٧ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦٧ ،

١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،

١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،

٣١٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٨٦ ،

٣٩٢ ، ٤١٧ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،

٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ،

٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٨٤ ، ٥٣٦ ،

٥٣٧ ، ٥٤٠ ، (٥٧٣) —

٦٠٢ ، ٦٢٤ ، ٦٤٥ ،

٦٥٦ ، ٦٦٢ ، ٦٦٧ ، ٧٢٩ ،

٧٣٢

— خ —

ابن خازم ، أبو بكر ٨١٣

خاقان (الترك) ٩٥

خالد (في الشعر) ٣٠٨

خالد بن صفوان ، انظر : ابن صفوان

خالد بن كلثوم ٨٢٦

خالد بن الوليد ٣٤١

خالد بن يزيد ٢١٦ ، ٩٣١

الحباز البلدي (محمد بن أحمد

حمدان) ٦٢١

الحباز أريزي ٣٦٧

ابن خذام ٩٠٨

خراش (بن أبي خراش الهذلي)

٧٦ ، ٧٧

أبو خراش الهذلي ٧٦ ، ٧٧

خُرَّك (ابن اخي يونس النحوي)

٨٢٦

خزيمة ذو الشهادتين (خزيمة بن

ثابت الانصاري) ٤١٠

خزيمة بن مالك بن نهد ٧١٦ ،

٧١٧

أبو الخطاب بن عطيون الطليطي ،

انظر : ابن عطيون الطليطي

الخطابي ٨٣٠

أبو الخطار ٢٥٢

ابن خفاجة ، أبو اسحاق ٢٩

ابن خلدون (ذو الوزارتين) ٧٨٢

ابن خلصة الضرير ، أبو عبدالله

٢٨

خلف الأحمر ٨٢٤

خلف بن فرج الالبيري ، نظر : السميسر

ابن خليفة (خلف) ١٢٧

الخليل بن أحمد القراهيدي ٢٦٩

٢٧٤ ، ٨٢٤ ، ٨٦٠ ، ٩١٥

خمارويه بن طولون ٩٣٨

خَسُوخ ٩٢٨

خوات بن جبير ٥٤١

الخوارزمي الكاتب ٧٧٣

الخولاني المنجم ، انظر : أبو بكر

الخولاني المنجم

خولة (في الشعر) ١٣ ، ٢٥٠

خيال (أم ولد المظفر) ١٢٤

ابن الخير (محمد بن الخير بن خزر

الزناقي) ٤٦١

خيران العامري الصقلي ٤١ ، ٩٢

٩٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ،

٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٩٤٣

ابن خيرة القرطبي ، انظر : المنفقل

— د —

داحس (فرس) ٧٠٠

ابن دارة (الشاعر) ٤٦٢

الداني أبو بكر ، انظر : ابن اللبابة

داود (النبي) ٢٧٩ ، ٣٧٧ ،

٧٥١ ، ٧٥٧

داود بن علي (صاحب المذهب

ابن ذكوان (محمد بن عبدالله) أبو

حاتم ١٢٦ ، ٤٤١

ابن ذكوان ، أبو العباس (الكبير)

٢٢٢ ، ٢٦٣ ، ٤٨٣

ابن ذكوان ، أبو العباس بن أبي

حاتم (الصغير) ٤٤١ ، ٤٨٣

الذلفاء (أم عبد الملك) ١٢٤

ذو الرمة (غيلان) ٧٧٨

ذو القرنين ٣١٤ ، ٦٨٩

ذو النورين ، انظر : عثمان بن

عفان

أبو ذؤيب الهذلي ٧١٦

ابن ذي النون ، انظر : اسماعيل

ابن ذي النون

الذيب (الكاهن) ١٣٠

— ر —

راشد أبو حكيمة ٣٥٧

الراضي العباسي ٩٣٩

الراعي (اليميري) ٥٤٥

الرباب (في الشعر) ٢٥٧ ، ٣١٩

ابن رباح ، انظر : أبو تمام ابن

رباح الحجام

ابن الريب القروي ، أبو علي ١٣٣

الظاهري (١٦٨

ابن الدبّ (أحمد) ٤٢

ابن الدباغ ، أبو المطرف ٢٨ ،

٤٨٠

ابن درّاج القسطلّي ، أبو عمر

٢٢ ، (٥٩ — ١٠٣) ،

٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٦ ، ٤٥٠

٨٨٩

ابن درّي ٤٣٨ ، ٧٥٧

ابن دريد ٤٦٠ ، ٨١٣ ، ٨٢٤

دعبل بن علي الخزاعي ١٣٥ ،

٨٢٥ ، ٨٨٠ ، ٩٠٢

أبو دهبل الجمحي ٢٨٨

أبو دواد (في المثل) ٦٣٢

ابن الدودين البلنسي ، أبو جعفر

٢٩

دوسر بن دهبل القريني ٨٦٥

ديك الجن ٣٧٢

الدليمي (مرداويج) ١٠٢

— ذ —

ابن ذكاء ٥٧٤

ابن ذكوان ، أبو بكر القاضي

٣٩٢ ، ٤٢١ ، ٤٢٢

ابن ذكوان ، أبو بكر بن أبي حاتم

٤٨٤

٤٦٩ ، ٣٢٢ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨
ابن الرومي ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١
٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٥٠٦
٥٠٨ ، ٥٢١ ، ٥٧٤ ، ٥٩٠
٧٨٠ ، ٧٨٥ ، ٨١٥ ، ٨٨٧

الرياحي ، أبو الغفار ٥٣١
ريمند الجليقي ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٨٣

— ز —

زاوي بن زيري بن مناد ٤٥٣ ،
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧
٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٥٨٨

الزبّاء ٦٩٦
زبدّة الحقب (تابع بديع
الزمان الحمداني) ٢٧٦
الزبرقان (بن بدر) ٥٤٤
أبو زيد الطائي ٤٢١
الزبير (بن العوام) ٩٣٠
ابن الزبير (عبد الله) ٥٣٠ ،
٩٣١

الزجالي ، أبو الوليد ٣٣٣
زربوط الطنبوري ٤٤

ابن زرقون ٧٩٧
زُفر بن الهذيل العنبري ٩٠٤
أبو زكريا يحيى الزيتوني ٣١

ابن الربيع (في رسالة) ١٥٢
أبو الربيع القضاعي ٢٨
أبو الربيع ابن العريف ، انظر :
ابن العريف

أبو الربيع ابن مهران السرقسطي ،
انظر : ابن مهران السرقسطي
ربيعة بن مكدم ٧٧٤

ابن ردمير (الطاغية) ٧٢٦ ،
٧٢٧

ابن رزين ، أبو مروان حسام
الدولة ٢٨ ، ٩٤٣

الرسول ، انظر : محمد (الرسول)
الرشيد الأموي ٩٤١

الرشيد هارون (العباسي) ٤٧ ،
٩٦ ، ٢٤٤ ، ٤٠٦ ، ٦٤٩ ،
٧٠٧ ، ٧٣١ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦

ابن رشيق ، أبو علي ٣١ ، ١٤٩ ،
٣٥٤ ، ٤٤٨ ، ٥٤٣ ، ٩١٤
الرضي (الشريف) ٣١ ، ٨٩ ،
٣٦٥ ، ٨١٥

رفيع الدولة ابن صمّاح ، أبو
يحيى (٧٣٧ — ٧٣٩)
الرمادي (يوسف بن هارون)

زهير (في رسالة لابن حمدين)

٣١

زهير العامري الفتى الصقلي

٣٠٥ ، ٦٤٣ ، ٦٥٠ ، ٦٥٦

٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠

٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٥ ، ٦٦٧

٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٩٤٣

زهير بن ابي سلمى ٩٠٣ ، ٩٠٨

زهير بن نمير ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣

٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩

٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

٢٩٨ ، ٢٩٩

ابن زهر ، أبو العلاء الوزير الفقيه

٢٥

ابن الزيات (محمد بن عبد الملك)

٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

زياد (بن أبيه) ٣٣٧ ، ٤٦٨ ، ٨١٧

ابن زياد (صاحب الصلاة) ٥٨٠

ابن زياد ، أبو بكر ٢٣ ، ٨٧٨

زيادة الله بن عبد الملك الطنبلي ،

انظر : الطنبلي

زيادة الله بن علي الطنبلي ، انظر :

الطنبلي

زيد (في الشعر) ١٦٥

زيد الخيل ٧٥

زيد بن علي ٩٣٢

أبو زيد ابن العاصي ٧٩٤

ابو زيد ابن مقانا الأشبوني ،

انظر : ابن مقانا الاشبوني

ابن زيدون ، أبو بكر (الاب)

٤٢١

ابن زيدون ، أبو بكر (الابن)

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٥٨٢

ابن زيدون ، أبو الوليد ذو

الوزارتين ٢٣ ، ٨١ ، ٣٠٨ ،

(٣٣٦ - ٤٢٨) ، ٤١٧ ،

٧٧٦ ، ،

زيري بن مناد ٤٦٠ ، ٤٦١

زينب (في الشعر) ٢٥٧ ، ٣١٩

— س —

ابن سارة الشتريني ، أبو محمد

٢٧ ، ٧٩ ، ١٤٧ ، ٣٧٩

سام ٩٢٨

سحبان وائل ٧٦٣ ، ٧٨٧ ، ٨٣٤

٨٦٩

سراج بن عبد الملك بن سراج ،

انظر : ابن سراج ، أبو الحسين

سراج بن مرة الكلابي ٨٠٩

ابن السراج (النحوي) ٧٩٣

ابن سراج ، أبو الحسين الوزير
الفقيه ٢٤ ، ٨١٢ ، (٨٢١ -
(٨٢٤

ابن سراج ، أبو مروان ٧٩٤ ،
(٨٠٨ - ٨٢١)

ابن السراج الملقب ، أبو عبد الله
٢٤ ، (٨٧٠ - ٨٨٢)

سعد (في الشعر) ٤١٠

سعد بن عبادة ١٦٠ ، ٤٦٨

ابن سعد (في الشعر) ٤٥٠

٢٥٠ ، ٨٠٨

سعيد بن حميد ٣٧٩

سعيد بن فتحون ، انظر : الحمار
السرقسطي

سعيد بن القطاع ، انظر : ابن
القطاع

أبو سعيد الجنابي ١٠٢

السفاح (العباسي) ٤٤٥ ، ٩٣٣
٩٣٤

ابن السقاء (ابراهيم بن محمد
مدبر قرطبة) ٣٠ ، ٦٠٠ ،

٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٧٦٧

سقوت (البرغواطي) ٢٦

بنت سكرى المورورية ٤٣٣

ابن السكيت (يعقوب) ١٢٩

ابن سلام ، أبو عبد الله الوزير
٣٨٧ ، ٤١٨

السلامي ، أبو الحسن ١٧٦

سلمى (في الشعر) ١٧٧ ، ٥٣١
أبو سلمة الخلال ٩٣٣

سليك بن السلكة ٥٥١

سليمى (في الشعر) ٢٤٩ ، ٥٦١
٧١٤ ، ٧٢١

سليمان (النبي) ١٦٢ ، ٦١٧

سليمان المستعين (سليمان بن

الحكم) أبو أيوب ٢٢ ، (٣٥ -

- ٤٨) ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٧٦ ،

٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٩ ، ٢٧٣ ، ٣٢٠ ،

٤٦٠ ، ٤٧٨ ، ٤٨٦ ، ٥٤١ ،

٥٥٨ ، ٧٣٠ ، ٩٤١

سليمان بن الحكم ، أبو أيوب ،

انظر : سليمان المستعين

سليمان بن عبد الملك ٩٣٢

سليمان بن محمد الصقلي ٣٠

سليمان بن المرتضى ، أبو أيوب

٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣

سليمان بن هشام الناصري ٣٠٤

سليمان بن هود ١٨٣ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٨٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥

سليمان بن وهب ٢٣٧

السّمؤال ٩٠١

السميسر (خلف بن فرج) أبو

القاسم الإلبيري ٢٤ ، (٨٨٢

— ٨٩٦) ، ٨٩٨

سهل بن هارون ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،

٢٤٤

ابن سهل (الحسن) ٤٠٢ ، ٩٣٦

سوار بن أحمد ، أبو القاسم ٥٩٧

ابن سوار الأشبوني (محمد) أبو

بكر ٢٧

سيبويه ٢٦٩ ، ٨٢٦ ، ٨٦٥

السيد الحميري ٨٨

سير بن أبي بكر ٣٨٨

سيف الدولة (الحمداني) ٢٨٣ ،

٣١٥ ، ٨٦٩

— ش —

الشافعي (محمد بن ادريس) أبو

عبدالله ١٦٧

أبو شاكر (الفتي) ١٩٥

شانجه بن غرسية ٣٦ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤

شانجه بن فردلند ١٨٥

ابن شانجه (أحمد بن عبدالله) أبو

جعفر ٨١٤

الشبانسي ، ابن عاصم ٢٨٢

شبيب بن شبية ٢٣٧ ، ٩٠٣

ابن شبيب (القائد) ٦٦١

ابن الشخباء العسقلاني (المجيد)

٣٢

ابن شرف ، أبو عبدالله ٣ ، ٩١ ،

٣٨٣ ، ٤٧٧ ، ٦١٦ ، ٨٢٢ ،

٨٩٧

شريح القاضي ٤٦٦

الشريف الرضي ، انظر : الرضي

شعيب (النبّي) ٧٨

شق (الكاهن) ١٣٠

ابن شماخ (عبد الملك بن محمد)

أبو مروان الوزير الكاتب ٢٤

٣٥٤ ، ٦١٦ ، (٨٢٧) —

(٨٤٧

شمردل السحابي ٢٨٤ ، ٢٨٥
شمس المعالي (ابن وشمكير)
٢٤٢ ، ٣٥٠

شهيد (جد بني شهيد) ٢٢٩
ابن الشهيد (عمر) أبو حفص
التجبي الوزير الكاتب ٢٤ ،
(٦٧٠ - ٦٩١) ، ٧٣٣

ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك)
أبو عامر ٢٢ ، ٥٠ ، ٦١ ،
(١٩١ - ٣٣٦) ، ٤٣٧ ،

٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٧٠ ، ٥٢٢
٥٤٧ ، ٦٦٦ ، ٧٨٧

ابن شهيد (أحمد بن محمد) أبو
عامر ٥٤٣

شيث (النبي) ٩٢٧ ، ٩٢٨
أبو الشيص ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤

— ص —

الصباي ، ابن هلال أبو اسحاق
(الهلاي) ١١ ، ٢٤٢ ، ٥٢١
٦٩٤

صاحب الاسفيريا ، انظر : ابن
فتوح

الصاحب بن عباد ٣٧٣ ، ٨١٥ ،
٨٤١ ، ٨٤٣ ، ٩٠٧

صاعد بن الحسن البغدادي ، أبو
العلاء ٣٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٢٨
١٢٩ ، ١٣٠

صالح بن عبيد ٣٩٠١
صالح بن هارون الشتمري ،
انظر : أبو الحسن الشتمري
ابن الصباغ الصقلي ، أبو عبدالله
٣٠

صخر (بن حرب) ٣٩٣
صدوف (في الشعر) ١٧٧
الصديق ، انظر : أبو بكر الصديق ؛
يوسف (النبي)

صرف (جارية) ٤٦٧
صرع الغواني (مسلم بن الوليد)
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٨٤ ، ٣٧٣
٤٨٠ ، ٧١٥ ، ٩٠٧

الصفار (ابن الليث) ٩٣٨
ابن صفوان (خالد) ٢٣٧
الصلتان (العبد) ٢٠٧
ابن صمادح ، انظر : أبو الأحوص
ابن صمادح ؛

رفيع الدولة ابن صمادح ؛
محمد بن أحمد بن صمادح
(جد المعتصم) ؛

المعتصم بن صمادح ؛

معز الدولة أحمد بن محمد

ابن صمادح ؛

معن بن محمد (والد المعتصم)

الصميل ٩٤٠

الصنوبري ١٧٦ ، ٥١١ ، ٥١٢

الصولي (ابراهيم بن العباس)

٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٧٩ ، ٧٧٢

— ط —

طارق بن زياد ٩٣١

أبو طالب (عم النبي) ٩١

أبو طالب عبد الجبار ، انظر :

متنبي الأندلس

طالوت ٣٤٠

ظاهر بن الحسين ٥١٥ ، ٩٣٥

ابن طاهر طيفور ٣٦٦

الطائع العباسي ٩٣٩

الطائي ، انظر : ابو تمام الطائي

الطنبني (زيادة الله بن عبد الملك)

٥٤٠ ، ٥٣٨

الطنبني (عبد الرحمن بن أبي مروان

٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩

الطنبني (ابراهيم بن يحيى) أبو بكر

٧٨٧

الطنبني (علي بن عبد العزيز) أبو

الحسن (٥٤٧ — ٥٤٩)

الطنبني (عبد الملك بن زيادة الله)

أبو مروان ٢٣ ، ٣٠٦ ،

(٥٣٥ — ٥٤٧)

الطنبني (زيادة الله بن علي) أبو

مضر ٥٣٦

ابن الطراوة ٨٤٢

طرفة بن العبد (البكري) ٢٥٠ ،

٧٠١

الطرماح (بن حكيم) ٤٦٣

ابن طريف (أحمد بن عبد الله) أبو

الوليد الكاتب ٨٠٩ ، ٨١٨ ،

٨٢١

الطغفري (محمد بن مالك) أبو عبد

الله الغرناطي ٢٤ ، (٨٥ —

٨٠٨)

ابن الطلاء المهدي ، أبو محمد

٣١ ، ٨٤٢

طلحة (بن عبيد الله) ٩٣٠

أبو عامر ابن أزرق ، انظر : ابن
أزرق

أبو عامر ابن الأصيلي ، انظر :
ابن الاصيلي

أبو عامر ابن التاكرفي ، انظر :
ابن التاكرفي

أبو عامر ابن شهيد ، انظر :
ابن شهيد

أبو عامر ابن عبدوس ، انظر :
ابن عبدوس

أبو عامر ابن الفرج ، انظر :
ابن الفرج

أبو عامر ابن مسلمة ، انظر : ابن
مسلمة

أبو عامر ابن المظفر ، انظر : ابن
المظفر

العائذي ، أبو الحسن ٥٤٢

عائشة (أم المؤمنين) ٩٣٠

ابن عباد ، انظر : اسماعيل بن
المعتضد عباد ؛

القاضي محمد بن اسماعيل
ابن عباد ؛

المعتضد عباد بن محمد ؛
المعتمد بن عباد

الطليق القرشي المرواني (مروان
ابن عبد الرحمن) أبو عبد الملك
٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٧٧٧

طوق بن مالك ٢٥٧

أبو الطيب ، انظر : المتنبي

— ظ —

الظلوم (في الشعر) ٨٠٨
ابن ظهار اللورقي ، أبو بكر ٢٤ ،
(٧٨٨ — ٩٧٠)

— ع —

العالی بالله (الحمودي) ، انظر :
ادريس بن يحيى بن علي بن
حمود

عاصم بن خليفة ٢١٨

عامر (في الشعر) ٨٦٥ ، ٩٤١

عامر بن رهم بن رهم ٧١٦

عامر بن الطفيل ١٦٤ ، ١٨٠ ،
٢١٢

أبو عامر (مخاطب ابن القزاز)
٨٠٤

أبو عامر البماري ، انظر :
البماري

أبو العباس ابن العريف ، انظر :
ابن العريف

عبد الجبار أبو طالب ، انظر :
متنبى الأندلس

ابن عبد البر ، أبو عمر الفقيه ١٦٠
٦١٥ ، ٦١٦

ابن عبد البر ، أبو محمد الكاتب
٢٨ ، ٣٣٦ ، ٦٢٤

ابن عبد الجبار المهدي ، انظر :
المهدي

عبد الجليل المرسي ، انظر : ابن
وهبون

عبد الجليل بن وهبون المرسي ،
انظر : ابن وهبون

عبد الحميد الكاتب ١٩٢ ، ٢٣٧
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨

عبد ربه الخارجي ٦٢٦

ابن عبد ربه ١٣٥ ، ٣٢٢ ،
٤٤٢ ، ٤٦٩ ، ٧٧٩ ، ٦٨٠

عبادة بن ماء السماء (عبادة بن
عبد الله الأنصاري) أبو بكر
٢٣ ، (٤٦٨ - ٤٨٩) ،

٨٠١ ، ٨٧٦ ، ٩٠٨

ابن عبادة الشاعر ، انظر : ابن
القزاز

عباس (الوزير) ١٩٧ ، ٩٣٣

عباس (ولد الوزير أحمد بن
عباس) ٦٦٥

عباس بن مرداس ٨٦٥
العباس بن الأحنف ٣٢٦ ، ٣٦٠ ،

٣٧٤ ، ٤٤٩ ، ٥٤٩ ، ٧٨١
٧٨٦

أبو العباس الكتاني (أحمد بن
محمد) ٨٢١

أبو العباس ابن ذكوان ، انظر :
ابن ذكوان ، أبو العباس
(الصغير) ؛

ابن ذكوان ، أبو العباس
(الكبير)

- عبد الرحمن (أخو سليمان المستعين) ٤٢
عبد الرحمن الأوسط ٩٤٠
عبد الرحمن المستظهر ، انظر :
المستظهر
عبد الرحمن الناصر الأموي ،
انظر : الناصر الأموي
عبد الرحمن بن أبي الوليد بن
جهور ، انظر : ابن جهور
عبد الرحمن بن بشر ، انظر :
ابن بشر
عبد الرحمن بن سعيد المصغر ٣٨٩
عبد الرحمن بن عبد الرزاق (وزير
الامير عبدالله) ٨٠٧
عبد الرحمن بن عبد الملك الطنجي ،
انظر : الطنجي
عبد الرحمن بن فتوح ، انظر :
ابن فتوح
عبد الرحمن بن متيوه ، انظر :
ابن متيوه
عبد الرحمن بن محمد المرواني ،
انظر : المرتضى المرواني
عبد الرحمن بن معاوية ٩٤٠
عبد الرحمن بن ملجم ٩٣٠
- عبد الرحمن بن المنصور بن أبي
عامر ، أبو المطرف
(ناصر الدولة)
٤٤ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ،
١٢٦ ، ١٩٥ ، ٢١٠
أبو عبد الرحمن بن طاهر ٢٧ ،
١٤٠
ابن عبد الرحيم (في رسالة)
٦٣٣
عبد الصمد السرقسطي الكاتب ٢٩
ابن عبد الصمد ، أبو بحر ٢٩
عبد العزيز السوسي ٣٠
عبد العزيز العراقي ٤٣٦
عبد العزيز بن حسن بن جهور ،
انظر : ابن جهور
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي
عامر (المؤتمن) ٢٨ ، ١٩٣ ،
١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٥ ، ٦٢٧ ،
٦٦٣ ، ٦٦٧ ، ٧٣٠ ،
٧٣١
ابن عبد العزيز الوزير (محمد بن
أبي مروان) أبو بكر ٢٦ ،
١٤٠ ، ٧٣٢ ، ٨٠٥ ، ٨١٩

- ابن عبد الغفور ، أبو القاسم ٥٨٢ ،
٥٨٦
- ابن عبد الغفور ، أبو محمد الكاتب
٢٦ ، ١٤٧ ، ٣٩٦
- ابن عبد القيس ٢٥٢
- عبد الكريم التميمي ٤٧٩
- عبد الكريم بن فضال ، انظر :
ابن فضال
- عبد الله بن أحمد بن المكوي ،
انظر : ابن المكوي
- عبد الله بن بلقين بن زيري (الامير
عبد الله) ٨٠٧ ، ٨٨٧
- عبد الله بن حكم ، انظر : ابن
حكم
- عبد الله بن سارة ، انظر : ابن
سارة الشتريني
- عبد الله بن طاهر ٩٠٤
- عبد الله بن عمرو بن العاص ١٠٥
- عبد الله بن محمد الأموي ٩٤٠
- عبد الله بن مخامس الوزير ،
انظر : ابن مخامس
- عبد الله بن المعتز ، انظر : ابن
المعتز
- ابن عبد الله (أمير قرمونة) ،
انظر : البرزالي (البرزيلي)
- محمد بن عبد الله
- أبو عبد الله (في رسالة) ٥٣٠ ،
٥٣١
- أبو عبد الله البزلياني ، انظر :
البزلياني
- أبو عبد الله الحميدي ، انظر :
الحميدي
- أبو عبد الله ابن أبي الخصال ،
انظر : ابن أبي الخصال
- أبو عبد الله ابن أيمن ، انظر :
ابن أيمن
- أبو عبد الله ابن البزلياني ، انظر :
البزلياني
- أبو عبد الله ابن البين ، انظر :
ابن البين
- أبو عبد الله ابن الحداد ، انظر :
ابن الحداد
- أبو عبد الله ابن حمدين ، انظر :
ابن حمدين
- أبو عبد الله ابن الحنط ، انظر :
ابن الحنط
- أبو عبد الله ابن خلسة الوزير ،
انظر : ابن خلسة
- أبو عبد الله بن السراج المالقي ،
انظر : ابن السراج المالقي

- أبو عبد الله ابن شرف ، انظر :
ابن شرف ، أبو عبد الله
أبو عبد الله ابن الصباغ ، انظر :
ابن الصباغ
أبو عبد الله ابن عتاب ، انظر :
ابن عتاب
أبو عبد الله ابن عميثل ، انظر :
ابن عميثل
أبو عبد الله ابن الفرضي ، انظر :
ابن الفرضي
أبو عبد الله ابن قاضي ميعة ،
انظر : ابن قاضي ميعة
أبو عبد الله ابن القزاز ، انظر :
ابن القزاز
أبو عبد الله ابن مالك الطغري ،
انظر : الطغري
أبو عبد الله ابن مسعود ، انظر :
ابن مسعود
أبو عبد الله ابن مسعود البجاني ،
انظر : ابن مسعود البجاني
أبو عبد الله ابن مسلم ، انظر :
ابن مسلم
أبو عبد الله بن هريرة الكاتب ،
انظر : ابن هريرة الكاتب
- عبد المجيد بن عبدون ، انظر :
ابن عبدون
عبد الملك بن أبي الوليد بن جهور ،
انظر : ابن جهور
عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي ،
انظر : الطنبلي ، أبو مروان
عبد الملك بن صالح ١٤٩
عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي
عامر ٧٣٢
عبد الملك بن محمد بن شماخ ،
انظر : ابن شماخ
عبد الملك بن مروان ٤٦٣ ،
٤٦٦ ، ٥٤٥ ، ٧٦٨ ، ٩٣١
عبد الملك بن المنصور بن أبي
عامر ، انظر : المظفر عبد
الملك بن المنصور ابن أبي عامر
ابن عبد الواحد البغدادي ، أبو الفضل
٤٨٧ ، ٣٠
عبد الوهاب الثقفي ١٤٤
عبد الوهاب المالكلي ٣١
عبد الوهاب ابن حزم ، انظر :
ابن حزم ، أبو المغيرة
ابن عبدوس ، أبو عامر ٣٩٥ ،
٣٩٦ ، ٤٣٢ ، ٧٩٤
ابن عبدوس ، أبو الوليد ٢٢ - ٢٣

عتيق المغني (المهدوي) ٥٨٩
عثمان بن ادريس السامي (الشامي)
٩٠٢

عثمان بن عفان (ابن عفان ، ذو
النورين) ٧٠ ، ١٠٨ ، ٢٥٦ ،
٥٤٠ ، ٩٢٩

أبو عثمان (عمرو بن بحر) ،
انظر : الجاحظ
عجيب (الفتي) ١٠١
عدي بن الرقاع العاملي ٢٤
ابن العراقي (محمد) ٤٩ ، ٥٠ ،
٥٢

أبو العرب الصقلي ٣٠ ، ٩٠
ابن العربي ، أبو بكر الفقيه ١٧٢
٤٧٠ ، ٥٤٢ ، ٦١٤ ، ٦٩٠
عريب المأمونية ٤٦٧
عروة (أخو أبي خراش الهذلي) ٧٦ ،
٧٧ ، ٩٠٨

أبو عروة ٦٤٩
ابن العريف ، أبو الربيع ٦٢١
ابن العريف ، أبو العباس الوزير
٨٤٨

ابن العريف ، أبو القاسم ٣٠٩
العزّ (ابن اسحاق بن عبد الله)
٣٨٧ ، ٣٨٨

ابن عبدون (عبد المجيد) أبو
محمد ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٨٠ ،
٨١٦ ، ٨١٨

أبو عبيد البكري ٢٥
عبيد الله (جد بني جهور) ٦٠٥
عبيد الله الخراز ٣٨٨

عبيد الله بن ظبيان ٦٤٣ ، ٧٦٨
عبيد الله بن المهدي الأموي ٤٦
أبو عبيدة (معمّر بن المثني) ٨٢٦
عتاب بن حبناء ٢٥٣
ابن عتّاب (محمد) أبو عبد الله
٥٢٩

أبو العتاهية ٩٣٤
عتبة (في الشعر) ٤٦٦
عتبة (جارية ولاّدة) ٤٣١
عتبة بن أرقم ٢٦٨ ، ٢٧٨ ،
٩٣٥

أبو عتبة ٥٢٢
العتبي (محمد بن عبيد الله) ٨٢٥
عتيبة بن الحارث ١٨٠ ، ٧٧٤
عتيبة بن نوفل (تابع امرئ)
القيس) ٢٤٩ ، ٢٥٠

- عزة (صاحبة كثير) ٤٦٥
 ابنة عزة (في الشعر) ٥٦٢
 عضد الدولة (البويهى) ٨٤٣ ،
 ٨٤٥ ، ٨٤٦
 عضد الدولة أبو الحسن ٦٢٧
 ابن العطار العشّار ٤١٠
 ابن العطار اليايسى ، أبو بكر ٧١
 ابن عطيون ، أبو الخطاب الوزير
 الكاتب الطليطلي ٢٩
 ابن عفان ، انظر : عثمان بن
 عفان
 أبو العلاء المعري ، انظر : المعري
 أبو العلاء ابن زهر ، انظر : ابن
 زهر
 أبو العلاء صاعد ، انظر : صاعد
 بن الحسن البغدادي
 علقمة بن علاثة ٥٤٥
 ابن علناس (الناصر) ١٩٠
 علي بن أبي طالب ٢٢٦ ، ٣١٤ ،
 ٤٨٢ ، ٦١٣ ، ٧١٤ ، ٩٣٠
 علي بن أحمد بن سعيد ، انظر :
 ابن حزم ، أبو محمد
 علي بن بسام ، انظر : ابن بسام
 علي بن الجهم ١٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٦٦
 علي بن حمّود ٢٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٦٤ ،
 ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ١٠٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٤٤٥ ،
 ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ،
 ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٩٤١
 علي بن الخليل ٧٧٣ ، ٧٧٤
 علي بن العباس النوبختي ، انظر :
 النوبختي
 علي بن عبد العزيز الطنبى ، انظر :
 الطنبى
 علي بن عبد الله البرزالي ، انظر :
 البرزالي
 علي بن القروي ، انظر : ابن
 القروي
 علي بن مجاهد ٦٨٦
 علي بن هشام (صاحب المأمون
 العباسي) ٤٦٧
 علي بن وداعة ، انظر : ابن
 وداعة
 علي بن يوسف بن تاشفين ٩٤٤
 أبو علي البغدادي (القالى) ١٤ ،
 ١٥ ، ٣٢٥ ، ٥١٦ ، ٨١١

أبو عمر الإلبيري الفقيه (احمد
ابن عيسى) ٢٤ ، (٨٤٧ -
٨٥٣)

أبو عمر الباجي ، انظر : الباجي
أبو عمر الوراق ، انظر : موسى
ابن محمد اليماني الوراق
أبو عمر بن أبي عبدة ، انظر :
ابن أبي عبدة

أبو عمر ابن حجاج ، انظر : ابن
حجاج
أبو عمر ابن درّاج القسطلي ، انظر
ابن دراج القسطلي
أبو عمر ابن عبد البر ، انظر :
ابن عبد البر

أبو عمر بن فتح البطليوسي ،
انظر : ابن فتح
أبو عمر ابن فرج الجياني ، انظر :
ابن فرج الجياني
أبو عمر ابن القطان ، انظر : ابن
القطان

أبو عمر ابن القلاّس ، انظر :
ابن القلاّس

أبو عمر ابن كوثر الشنتريني ،
انظر : ابن كوثر الشنتريني

أبو علي ابن حسون ، انظر : ابن
حسون

أبو علي ابن الربيب ، انظر : ابن
الريب

أبو علي ابن رشيّق ، انظر : ابن
رشيّق

أبو علي ابن عوض ٢٣
أبو علي ابن الغليظ ، انظر : ابن
الغليظ

عليّة بنت المهدي ٩٣٥

ابن عمار (جلال الدولة) ٣١
ابن عمار ، أبو بكر ذو الوزارتين
٢٦ ، ٣٥١ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ،

٤٤٧ ، ٥٤٨ ، ٨٤٤

عمارة بن حمزة ٦٤٣ ،

عمارة بن عقيل ٨١

عمر بن أبي ربيعة ، ٢٨٦ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٨٥٥

عمر بن أبي عمر السجزي ٨٣٠

عمر بن الخطاب ٥٤٤ ، ٩٢٩

عمر بن الشهيد ، انظر : ابن
الشهيد

عمر بن عبد العزيز ٩٣٢

عمر بن المظفر بن الأفتس ، انظر :

المتوكل عمر بن الأفتس

ابن العميد ، ابو الفضل ٧٥ ،

١٣١ ، ٣٨٢

عميد الدولة (لعله صاحب شلب)

٦٢٨

عمير (من امراء الدائرة) ٤٩

عتر بن العجلان ٢٥٠ ، ٢٥١

عيسى (المسيح) ١٥٩ ، ٦٨١ ،

٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٧٤ ، ٨٠٢

٨٩٤

عيسى بن سعيد ٥٥١

عيسى بن عمر الثقفي ٧٢٠

أبو عيسى (صاحب البغلة) ٢٩٨

أبو عيسى ابن لبون ، انظر : ابن

لبون

— غ —

غانم بن وليد بن محمد المخزومي ،

أبو محمد الشاعر ٢٤ ، (٨٥٣)

— (٨٧٠)

الغبراء (فرس) ٧٠٠

ابن غرسية ٢٩

ابن غصن الحجاري ، أبو مروان

٢٨ ، ٩٠١

أبو عمر ابن هاشم الوزير ٨٦٤

العُمَران (عمر بن الخطاب وعمر

ابن عبد العزيز) ٦٢٦

عمران بن حطان ١٢٢

ابن عمران ٥٣

عمرو (صاحب ابن شهيد) ٣٣١

عمرو (صديق ابن أبي ربيعة)

٣٢٦

عمرو (هو هاشم بن عبد مناف)

٩١

عمرو بن بحر الجاحظ ، انظر :

الجاحظ

عمرو بن الجعان ٤٢٠

عمرو بن العاص ٢٢٦ ، ٩٣٠

عمرو بن مسعود ١٦٠

عمرو بن معديكرب ١٧٩ ،

١٨٠ ، ٢١٢

أبو عمرو الباجي ، انظر : الباجي

أبو عمرو الشيباني ٨٢٦

أبو عمرو ابن العلاء ٨٢٦

أم عمرو (في الشعر) ٤١٦

ابن عميثل ، أبو عبد الله الفقيه

٨٥٤ ، ٨٦٦

أبو العميثل الأعرابي ١٣٥ ، ٣٧٢

- أبو الغفار الرياحي ، انظر :
الرياحي
ابن الغليظ ، أبو علي ٨٧١ ،
٨٧٢
غيلان ، انظر : ذو الرمة
بنت غيلان (في الشعر) ٩١٥
— ف —
فاتك بن الصقعب (تابع) ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٩٠٣
فاطمة بنت يذكر بن عترة ٧١٦ ،
٧١٧
الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل
٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢
الفتح بن خاقان ، أبو نصر الكاتب
٧٣٨ ، ٧٣٩
فتح بن يحيى ٣٨٦ ، ٣٨٧
ابن فتح (جعفر بن محمد) ٢١٤ ،
٤٨٣
ابن فتح (حسن) ١٢٧
ابن فتح البطليوسي ، أبو عمر ٢٧
أبو الفتح البرزالي ، انظر : البرزالي
ابن فتوح (صاحب الاسفيريا)
أبو المطرف ٢٤ ، ٣٢٦ ،
٥٠٨ ، (٧٧٠ — ٧٨٧)
- أبو الفتوح (ثابت) الجرجاني ٣٠ ،
٦٦٨
ابن فتوي ، أبو بكر ٥٦٢
أبو الفتيان العسقلاني ٣١
الفراء ٨٢٦
أبو فراس (الحمداني) ٣١٥
الفراهيدي ، انظر : الخليل بن
أحمد
فرتنى (في الشعر) ٣١٩
ابن الفرج ، أبو عامر ذو الوزارتين
٢٧
ابن فرج الجياني (أحمد) أبو
عمر ١٣
ابن فرج الجياني ، أبو محمد
٧٩٥ ، ٩١٤
الفرزدق (همام بن غالب) ١٥١
٢٠٧ ، ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٤٦٢
٧٠٠ ، ٧٩٧ ، ٩٠١ ، ٩٠٢
ابن الفرصي (أبو عبد الله)
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٤٨٣
ابن الفرصي ، أبو الوليد ٢٣ ،
(٦١٤ — ٦١٦)
فرعون ٩٥
فرعون بن الجون (جنّي) ٢٩٦

قاسم بن ثابت السرقسطي ٨١١
قاسم بن حمود (المأمون) ٢٨ ،
٢٧ ، ٤٨ ، ١٠١ ،

٣١٦ ، ٤٣٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣
٤٥٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ،
٤٧٩ ، (٤٨١ - ٤٨٦)

ابن القاسم (صاحب البوننت)
٤٥٥

ابو القاسم ٢١٦
ابو القاسم (في شعر ابن بسام
البغدادي) ٨١٥
أبو القاسم (في شعر ابن مسعود)
٥٦١

أبو القاسم الالبيري ، انظر :
السميسر

أبو القاسم المغربي ٣١
أبو القاسم ابن الإفيلي ، انظر :
ابن الإفيلي

أبو القاسم ابن الجدد ، انظر : ابن
الجدد ، ابو القاسم

الفرغاني (المورخ) ٥٧٧
ابن فضال الحلواني (عبد الكريم)
٣٠

الفضل بن الربيع ٦٤٩
الفضل بن سهل ١٠٢ ، ٤٠٦
الفضل بن يحيى البرمكي ٢٣٢ ،
٦٤٣

أبو الفضل ابن حسداي ، انظر :
ابن حسداي

أبو الفضل بن عبد الواحد البغدادي
انظر : ابن عبد الواحد
البغدادي

أبو الفضل الميكالي ، انظر :
الميكالي

الفكيك البغدادي ٣١

— ق —

ابن القابلة السبتي ٣١
قابوس بن وشمكير ٩٠٧ ، ٣٧٢
القادر العباسي ٩٣٩

ابن القارح الوزان ١٢٦
القارظان ٧١٦

- أبو القاسم ابن عبد الغفور ، انظر :
ابن عبد الغفور
أبو القاسم ابن العزيز ، انظر :
ابن العريف
أبو القاسم ابن مرزقان ، انظر :
ابن مرزقان
القاضي محمد بن اسماعيل بن
عباد ، أبو القاسم ٢٣ ، ٢٥ ،
٣١٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦
٦١٩ ، ٩٥٢ ، ٩٤٣
ابن قاضي ميلة ، أبو عبدالله ٣١
٣١٢
ابن قالوص ٧٨٥
القالبي ، انظر : أبو علي البغدادي
القاهر العباسي ٩٣٩
القائم العباسي ٩١٩ ، ٩٣٩ ،
٩٤٠
قائين ٩٢٧
القبري الضرير (محمد بن محمود)
٤٦٩
ابن القبطورنة (أبو بكر ابن
سعيد) ٢٧
قتادة (السدوسي) ١٢
ابن قتيبة (القتبي) ٩٦ ، ٨١١
القحطاني (المنتظر) ١٠٥
قذار ٢٢٤
القرشي (المعروف بالقط) ٦٦٠
ابن القروي (علي) ٦٦٤
القريعي ، انظر : دوسر بن دهب
القريعي
ابن القزاز (محمد بن عبادة) أبو
عبد الله ٢٤ ، ١٤٢ ، ٧٣٣ ،
(٨٠١ - ٨٠٥)
ابن قزعة ٩٠٢
ابن قزمان ، أبو بكر ٢٧
قس بن ساعدة الأيادي ١٧٨ ،
٧٦٢ ، ٧٨٧
القسطلي الشاعر ، انظر : ابن دراج
القسطلي
قصير (صاحب جذيمة) ٨٤
ابن القصيرة (أبو بكر ابن سليمان)
٢٥
ابن القطاع (عيسى بن سعيد) أبو
الأصبغ الوزير ٢٢ ، ٧٧ ،
٨٠ ، ١٢١ ، (١٢٣) -
(١٣١)
ابن القطاع ، أبو عامر ١٢٤
ابن القطان (الشاعر) ٤٧٢

كسرى ٩٥ ، ١٥٧ ، ٢١٨ ،
٨٢٥ ، ٥٥٠ .

كعب بن زهير ٥٤٥

كعب بن مامة ٧٦٢

كليب ٧١٦

الكميت بن الحسن الشاعر الوشاح ،

ابو بكر ٧٩٧

الكميت بن زيد الأسدي ٨٨ ،

٦٢٥

الكندي ، انظر : امرؤ القيس

كوثر الخادم ٥١٤ ، ٥١٥

ابن كوثر الشنتريني ، أبو عمر

٢٧

— ل —

ابن اللبابة ، أبو بكر الداني ٢٩ ،

١٤٥ ، ٧٣٨ ، ٧٩٥

لبنى (صاحبة قيس بن ذريح)

٥٦١

ابن لبون ، ابو عيسى ذو الوزارتين

٢٨

لبونة بنت محمد بن الامير حسن

الملقب بقنون ٤٨٢

ليب (القي) ١٠١ ، ٢٩٤

ابن القطان (أحمد بن محمد) أبو

عمر الفقيه ٥٣٩

قطر الندى بنت خمارويه ٩٣٨

قطرب النحوي ٨٢٤

ابن القلاّس ، أبو عمر الكاتب

٢٨

قنبوط الملهي ٤٤٠

ابن القوّاس ، ابو بكر القاضي

٥٧٧

قيس (في الشعر) ٨٦٥

قيس بن الخطيم ٢٥٢

قيس بن ذريح ٥٦١

قيس بن زهير ٤٢٠

قيس بن سنان (هرم بن

سنان) ٧٥٢

قيس بن الملوّح ، انظر : المجنون

قينان ٩٢٨

— ك —

ابن الكتافي المتطبب ٢٨

كثير عزة الخزامي ١٢ ، ٣٣ ،

٨٨ ، ١٣١ ، ٤٦٥

الكسائي ٨٢٦

المأمون العباسي ١٠٢ ، ٤٦٧ ،

٩٣٥ ، ٩٠٤ ، ٨٦٣ ، ٤٦٨

٩٣٦

المأمون ابن ذي النون ، انظر :

يحيى بن ذي النون

مبارك العامري الفتى الصقلي ٢٦ ،

٤٥٦ ، ٦٣٠ ، ٦٣٧

المبرد ٣٦٦

المبرقع (القرمطي) ٣١٥

المتأيد بالله ادريس ٦٢٥

المتجردة (امراة النعمان) ١٥١

المتقي العباسي ٩٣٩

المتنبي (احمد بن الحسين) أبو

الطيب ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ،

٨١ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٨٢

٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩

٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٤

٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤

٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٤٢

٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠

٥١٠ ، ٦٩٣ ، ٧١٥ ، ٧٢٠

٨٠٤ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٥

٨٩٤ ، ٩٠٣ ، ٩٠٨

لييد (بن ربيعة العامري) ٤١٢

ليبي (في الشعر) ٧١٠

لقمان الحكيم ٧٦٢

لقمان بن عاد ١٧٨

لقيط بن زرارة ٢٠٠

ابن اللمائي (أحمد بن أيوب)

أبو جعفر الكاتب الوزير ٣٤

٣٣٠ ، (٦١٧ - ٦٢٤) ،

ملك ٩٢٨

لميس (في الشعر) ٣١٩

لوط ٢١٦

ليلي (في الشعر) ٣٨٩

أبو ليلي ٩٣١

— م —

مالك بن طوق ٩٠٣

أم مالك (في الشعر) ٣٦٧

ابن مالك الطغفري ، انظر : الطغفري

ابن مالك القرطبي ، أبو محمد

الاديب ٢٤ ، (٧٣٩ -

(٧٥٤

المأمون الحمودي ، انظر : القاسم

ابن حمود .

محمد (الرسول) ، النبي ،
المصطفى ، حبيب الله (١١) ،
٦٤ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ١٠٥ ،
١١٧ ، ٢٢٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ،
٤٦٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ،
٥٣١ ، ٦١٥ ، ٨٠٩ ، ٨١٨ ،
٨٢٠ ، ٨٢٥ ، ٨٦١ ، ٩٢٠ ،
٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨

محمد (في الشعر) انظر :
٨١٥

محمد (العبادي) ، انظر : المعتمد
ابن عباد

محمد بن الحمامي ، انظر : ابن
الحمامي

محمد بن أبي عامر ، انظر :
المنصور بن أبي عامر

محمد بن أحمد البزلياني ، انظر :
البزلياني

محمد بن أحمد بن جعفر المصحفي ،
انظر : ابن المصحفي

محمد بن أحمد بن حمدان البلدي ،
انظر : الحلباز البلدي

محمد بن أحمد بن صمادح ، أبو
يحيى (جد المعتصم) ٧٢٩ ،
٧٣٠

متنبى الأندلس ، أبو طالب عبد
الجبار ١٢٤ (٩١٦ - ٩٤٤)
متوشلح ٩٢٨

المتوكل العباسي (جعفر) ٣٨ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧٩ ، ٥٤٠ ،
٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٩٣٧

المتوكل عمر بن الأفتس ٢٦ ،
١٤٤ ، ٨٨٦

ابن متيوه (عبد الرحمن) ٤٦

ابن مثنى ، أبو المطرف الكاتب ٢٨
مجاهد العامري ، أبو الجيـش
(الموفق) ٢٧ ، ٤١ ، ٢٢٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٤٢٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧

٥٢٨ ، ٦٢٧ ، ٦٤٠ ، ٦٣١

٩٤٣

المجنون (قيس بن الملوح) ٣٢٣ ،
٣٦٦

المجيد بن الشخباء العسقلاني ،
انظر : ابن الشخباء العسقلاني

محسّد (ابن المتنبى) ٨٤٦

المحلّق (صاحب الأعشى) ١١
أبو محلم السعدي (محمد بن سعد)

٨٢٥

- محمد بن أمية (الشاعر) ٤٦٦
محمد بن حمّاج (الشاعر البغدادي)
انظر : ابن الحمّاج
محمد بن خالص الوزير ٤٨٥
محمد بن الخير بن خزر الزناتي ،
انظر : ابن الخير
محمد بن ربيب ٥٢٢
محمد بن زيري بن دوناس اليفرني
٤٨٥
محمد بن سليمان ١٨١
محمد بن سليمان بن الحناط ،
انظر : ابن الحناط
محمد بن سوار الاشبوني ، انظر :
ابن سوار
محمد بن سيق (من غلمان ابن أبي
عامر) ٧٨٠
محمد بن عباد ، انظر : المعتمد
ابن عباد
محمد بن عبادة الشاعر ، انظر :
ابن القزاز
محمد بن عباس بن جهور ، انظر :
ابن جهور
محمد بن عبد الرحمن المستكفي ،
انظر : المستكفي
محمد بن عبد الرحمن (ابن
الأشعث) ٩٣١
محمد بن عبد الرحمن الأموي ٩٤٠
محمد بن عبد الله (ابن عم ابن
حيان) ٣١٦ ، ٣١٨
محمد بن عبد الله (زعيم زناتة)
٦٥٦
محمد بن عبد الله البرزالي ، انظر :
البرزالي
محمد بن عبد الله النبهاني ٤٨٣
محمد بن عبد الملك الزيات ، انظر :
ابن الزيات
محمد بن عبدوس الفارسي ٢٦٦
محمد بن عبيد الله العتبي ، انظر :
العتبي
محمد بن عتّاب ، انظر : ابن
عتّاب
محمد بن العراقي ، انظر : ابن
العراقي
محمد بن القرضي ، انظر : ابن
القرضي ، أبو عبد الله

- محمد بن القاسم بن حمود ٤٣٨ ،
٤٨٥ ، ٤٨٦
- محمد بن محمد القرشي المرواني
الناصري المعروف بالأحمر
٨٢٠
- محمد بن محمود القبري ، انظر :
القبري
- محمد بن معن ، انظر : المعتصم
ابن صمادح
- محمد بن هارون الرشيد ، انظر :
الأمين
- محمد بن هانيء الاندلسي ١٥٨ ،
٣٢٠ ، ٣٨١ ، ٥٠٧ ، ٥١٥
- ٧٧٥ ، ٧٩٣ ، ٨٣٠
- محمد بن هشام بن عبد الجبار ،
انظر : المهدي
- محمد بن يعيش الأسدي ٩٤٢
- أبو محمد ٢٧٣
- أبو محمد التيمي (عبد الله بن
أيوب) ٥١٤
- أبو محمد الحصني ، انظر : الحصني
(المؤرخ)
- أبو محمد الصقلي : انظر : ابن
حمديس
- أبو محمد المصري الحكيم ٣١
- أبو محمد (المنشد) ٦١٩ ، ٦٢٠
- أبو محمد اليزيدي ، انظر :
اليزيدي
- أبو محمد ابن الجدد ، انظر : ابن
الجدد
- أبو محمد ابن حزم ، انظر : ابن
حزم ، أبو محمد
- أبو محمد ابن حمديس الصقلي ،
انظر : ابن حمديس الصقلي
- أبو محمد ابن سارة الشنتريني ،
انظر : ابن سارة الشنتريني
- أبو محمد ابن الطلاء المهدي ،
انظر : ابن الطلاء المهدي
- أبو محمد ابن عبد البر ، انظر :
ابن عبد البر
- أبو محمد ابن عبد الغفور ، انظر :
ابن عبد الغفور
- أبو محمد ابن عبدون ، انظر :
ابن عبدون
- أبو محمد ابن فرج الجياني ، انظر :
ابن فرج الجياني

مروان بن عبد الرحمن بن مروان
ابن عبد الرحمن الناصر ،
انظر : الطليق القرشي الشاعر

مروان بن محمد ٩٣٣ ، ٩٣٤

أبو مروان (في شعر) ٢٥٣
أبو مروان الطنبلي ، انظر :
الطنبلي

أبو مروان ابن الجزيري ، انظر :
الجزيري

أبو مروان ابن حيان ، انظر :
ابن حيان

أبو مروان ابن رزين ، انظر :
ابن رزين

أبو مروان ابن سراج ، انظر :
ابن سراج

أبو مروان ابن شماخ ، انظر :
ابن شماخ

أبو مروان ابن غصن الحجاري ،
انظر : ابن غصن الحجاري

ابن مروس ، أبو العباس ١٨٣
المسترشد العباسي ٩٤٠

المستظهر بالله (عبد الرحمن بن
هشام بن عبد الجبار الناصري)

أبو محمد ابن مالك القرطبي ،
انظر ابن مالك القرطبي .
أبو محمد ابن نعمة ، انظر : ابن
نعمة

أبو محمد ابن هود ، ذو الوزارتين
٢٧

أبو محمد غانم بن وليد ، انظر :
غانم بن وليد

محمود (من امراء الدائرة) ٤٩ ،
٥٤

مخارق (المغني) ٢٨٨ ، ٩٠٢
ابن مخامس الوزير (عبد الله)
٤٩ ، ١٦١

المرتضى المرواني الأموي الناصري
٢٣ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ٢٢٣ ،
٤٥٢ ، (٤٥٣ - ٤٦٢)

ابن المرتضى (الثائر) ٦٠٦

ابن مرتين ٤١٩

مرداس (العباس مرداس)
٨٦٥

ابن مرزقان ، أبو القاسم ٢٦ ،
٧٨٢

مروان بن الحكم ٧٠ ، ١١٠ ،
٩٢٩ ، ٩٣١

- أبو المطرف (٤٨ - ٢٢ ،
 ٥٩) ، ١٣٢ ، ٢٢٣ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٤ ، ٣٤٥ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ،
 المستعين بالله الأموي ، انظر :
 سليمان المستعين
 المستعين العباسي ٩٣٧
 المستكفي (العباسي) ٤٣٣ ، ٩٣٩
 المستكفي (الأموي الناصري محمد
 ابن عبد الرحمن) ٢٣ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٢٨٢ ، ٤٢٩ ،
 (٤٣٣ - ٤٣٧) ، ٩٤١
 المستنصر الحكم ، انظر : الحكم
 المستنصر
 ابن مسعدة (الكاتب) ٩٠٤
 مسعود (والد ابن مسعود ابي عبد
 الله) ٥٥٣
 ابن مسعود (محمد) أبو عبد الله
 الاديب (٥٤٩ - ٥٦٢)
 ابن مسعود البجاني ، (محمد) أبو
 عبد الله ٢٣ ، ٥٦٢ -
 (٥٦٧)
 ابن مسعود الهذلي (محمد) أبو
 عبد الله ٢٣
 المسعودي (المؤرخ) ٩٢٠
 مسلم بن الحجاج ٦١٥
 أبو مسلم الخراساني ٩٣٤
 ابن مسلم ، ابو بكر ٣٥٥ ، ٣٥٧
 ٤٠١
 ابن مسلم ، أبو عبد الله الكاتب
 ٢٨
 مسلمة بن عبد الملك ٢٢٣
 ابن مسلمة ، أبو عامر الوزير
 ٢٥ ، ١٩٤ ، ٣٠٣ ، ٤٠٥ ،
 ٤٧٢
 ابن مسلمة (عبد الله) ٥٥١
 مسهر (بن يزيد الحارثي) ١٨٠
 ابن مسرف ٤٥٦
 المسيح ، انظر : عيسى
 مسيلمة الكذاب ٣٥٢
 ابن المشاط الرعيني (بكر بن
 محمد) ٥٢
 مشنف (زوج سليمان المستعين)
 ٥٥

مظفر (صاحب شاطبة) أبو
محمد ٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ ،
٦٤٠

المظفر ابن الافطس (محمد بن عبد
الله) أبو بكر ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ،
٤٤٣

المظفر بن هود ٧٢٧

المظفر عبد الملك بن المنصور بن
أبي عامر ٢٢ ، ٢٧ ، ١٠٥ ،
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٢٧ ، ١٩٥ ،
٣٠٥ ، ٣٣٢

ابن المظفر ، أبو عامر الحاجب
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
معاوية بن أبي سفيان (ابن هند)
١١٠ ، ٢٢٦ ، ٣٩٣ ، ٤٦٣ ،
٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٦١٣ ، ٩٣٠ ،
معبد (المغني) ٩١٧

المعتد هشام ، انظر : هشام المعتد
أبو عبد الرحمن
المعتز العباسي ٩٣٧

ابن المصنف (محمد بن أحمد
ابن جعفر) أبو بكر ٣٢٦ ،
٣٢٧

المصطفى ، انظر : محمد (الرسول)
المصعب (بن الزبير) ٧٦٨ ،
٩٣١

ابن مضى القرطبي ، أبو الحسن
٨٨٦

أبو مضر الطيني ، انظر : الطيني
أبو المطرف الشعبي الفقيه ٨٤٨ ،
٨٥٠

أبو المطرف ابن أبي عامر ، انظر :
عبد الرحمن بن المنصور بن
أبي عامر
أبو المطرف ابن الدباغ ، انظر :
ابن الدباغ
أبو المطرف ابن فتوح ، انظر :
ابن فتوح

أبو المطرف ابن مثنى ، انظر :
ابن مثنى
مطعم بن جبير ٦٤٣

المعتد بن عباد (محمد بن عباد)

٢٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٥٧ ،

١٧١ ، ٣٥٨ ، ٣٩٥ ، ٤١٨ ،

٤٢٤ ، ٤٤٥ ، ٥٧٨ ، ٦٠٩ ،

٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦٢٤ ،

٦٥١ ، ٧١٢ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ،

٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨١٦ ، ٩٣٨ ،

المعري ، أبو العلاء ٧٨ ، ٨١ ،

١٤٦ ، ٣١٤ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ ،

٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٤٧٧ ، ٥١٧ ،

٥٢١ ، ٧١٢ ، ٧١٨ ، ٧٨٥ ،

٨٨٧

المعز بن بايس ٤٥٨

معز الدولة أحمد بن محمد بن

صمادح (الواثق بالله) ٧٣٥

ابن معلّى ، أبو اسحاق ٢٩

ابن المعلم ، أبو الوليد الوزير

٢٥

معمر بن مثنى ، انظر : ابو عبيدة

معن بن محمد بن أحمد بن صمادح

(والد المعتصم) ٧٢٠ ، ٧٣١ ،

ابن معن انظر : المعتصم بن

صمادح

المعيدي (في المثل) ٥٧٣ ، ٨٣٦ ،

ابن المعتز (عبد الله) ٣٣٤ ،

٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ،

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ،

٥٢١ ، ٧٧٩ ، ٧٨١ ، ٧٩٩ ،

٨٦٣ ، ٨٨٨ ، ٩١٠ ، ٩٣٨ ،

المعتصم بن صمادح (محمد بن معن)

أبو يحيى التجيبي ١١٦ ، ٣١٤ ،

٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ،

٦٩٧ ، ٧٠٩ ، ٧١١ ، ٧١٤ ،

٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ،

٧٢٤ ، ٧٢٨ ، (٧٢٩ —

٧٣٦) ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ،

٧٥٠ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ،

٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ،

المعتضد عباد بن محمد ، أبو عمرو

٢٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٧٦ ،

٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٨ ،

٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ،

٦٢٤ ، ٨١٧ ، ٨٠٠ ، ٩٠٤ ،

٩٣٨

المعتلي بالله الحمدودي ، انظر :

يحيى بن علي بن حمود

- المعيطي الفقيه ٤١ ، ١١٥
أبو المغيرة ابن حزم ، انظر : ابن
حزم
ابن مقانا الاشبوني ، أبو زيد ٢٧ ،
٧٥٧
ابن مقبل (الشاعر) ١٣٥ ، ٦٩٢ ،
المقتدر العباسي ٩٣٨
المقتدر ابن هود (أحمد بن
سليمان) ٣٠ ، ٧٢٥ ، ٧٢٧
المقتدي العباسي ٩٤٠
ابن المقفع ٢٣٧
المكتفي العباسي ٩٣٨
مكرم بن سعيد ٤٦٩
ابن المكوي (عبد الله بن أحمد)
٣٣٨
ملاعب الأسنة (عامر بن مالك)
أبو براء ٧٥٢
ابن الملح ، أبو بكر الفقيه ٢٦ ،
٣٦٢
ابن مناذر (محمد) ١٤٤ ، ٨٢٥
المنتصر العباسي ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤٠
٥٤١
منجج الفتى ١٠١
ابن المنجم ٨٢٦
منذر (في الشعر) ٥٥٨
المنذر بن ماء السماء ٥٥٩
المنذر بن محمد الأموي ٩٤٠
منذر بن يحيى التجيبي ٢٢ ، ٦١ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١١٦
١١٧ ، (١٨٠ — ١٩١) ،
٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
٤٥٧ ، ٤٨١ ، ٧٣٠
ابن منذر (في الشعر) ١٧٨
ابن منذر (من ملوك الطوائف)
٦٢٧
أبو المنذر (من ملوك الطوائف)
٦٢٧
المنصور العباسي ٤٤٥ ، ٩٣٤
المنصور (الصغير) ابن أبي عامر ،
انظر : عبد العزيز بن عبد
الرحمن بن أبي عامر
المنصور (الكبير) ابن أبي عامر
٢٧ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ،
٩٥ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٤

ابن مهران السرقسطي ، أبو الربيع	١٢٦ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٤
٢٨	١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨
مهلايل ٩٢٨	٢١٠ ، ٣٣٢ ، ٣٧٦ ، ٤٧٥
المهلي الوزير ٢٧١ ، ٤٢١ ،	٥٣٦ ، ٥٥١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤
٤٧٩	٦٥٦ ، ٧٣٠ ، ٧٨٠ ، ٩٤٢
مهيار الديلمي ٣١	منصور (الفقيه) ابن اسماعيل
المؤتمن ابن أبي عامر ، انظر :	التميمي الضيرير ٨٨٣
عبد العزيز ابن عبد الرحمن	المنصور ابن الأفتس (أبو محمد
ابن أبي عامر	عبد الله بن مسلمة) ٤٤٣ ،
المؤتمن بن المقتدر بن هود ٧٢٧	٩٤٢
مؤرج السدوسي ٨٢٤	أبو منصور الثعالبي ، انظر :
موسى (النبي) ٧٨ ، ٣٥٢ ،	الثعالبي
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣١٢ ، ٤٦٧	المنفلت الشاعر (عبد العزيز بن
٨٩٤ ، ٧٦٥	خيرة) أبو أحمد القرطبي
موسى الرضا ٩٣٦	٢٤ ، ٧٨ ، ٣٠٢ ، (٧٥٤)
موسى بن الطائف ٢٨٢	(— ٧٦٦)
موسى بن عبد الملك بن شهيد	المهتدي العباسي (٩٣٧ ، ٩٣٨
١٩٧	المهدوي ابن الطلاء ، انظر : ابن
موسى بن محمد اليماني الوراق ،	الطلاء المهدي
أبو عمر ٤٨٣	المهدي (الأموي) محمد بن هشام
موسى بن نصير ٩٣١	ابن عبد الجبار ٣٦ ، ٤٢ ،
الموفق أبو الجيش العامري ، انظر :	٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٤١
مجاهد العامري	المهدي (العباسي) ٩٣٤

- المؤمل بن أميل المحاربي ٥١٢ ،
٨٤٦
المؤيد هشام (هشام بن الحكم)
٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٧ ،
١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٧١ ، ١٨٦ ،
٢٨٢ ، ٣١٦ ، ٦٥١ ، ٧٢٩ ،
— ٧٣٠ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ،
الميكالي الكاتب ، أبو الفضل ٦٩٤
٧٨١ ، ٧٨٣
ميمون بن الغانية ٤٧٥
ابن ميمون بن القراء ٧٦٠
مية (صاحبة ذي الرمة) ٧٧٨

— ن —

- الناطقة الذبياني ١٥١ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٩ ،
٧١٢
الناطقة الجعدي ٤٦٧
ابن نابل (الفقيه) ٦٥٩
الناصر الاموي عبد الرحمن بن
محمد (الثالث) ٥٢ ، ٩٧ ،
٤٣٦ ، ٦٠٦ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ،
الناصر العامري ، انظر : عبد
الرحمن بن المنصور بن أبي
عامر
الناصر بن حمود ، انظر : علي
ابن حمود
ابن الناصر (مخاطب البزلياني)
٦٣٩
ناصر الدولة ابن حمدان (الحسن)
الناغيد ، انظر : ابن النغريلي
نافع بن الأزرق ٦٢٦
النبي ، انظر : محمد (الرسول)
نجاح الضاعط ٥٢
النجاشي ٥١٧ ، ٥٤٤ ،
النحلي ، ابو الوليد ٢٧ ، ٣٨٤ ،
٧٣٩
النخعي ٤٦٦
ابن نصر (في شعر ابن مسعود)
٥٦٢
أبو نصر ، انظر : الفتح بن
خاقان

نصيب المغني ٧٩٧

نظيف (الفتى) ١٢٦

نعم (في الشعر) ٨٠٨

النعمان (بن المنذر) ١٥١ ،

٩٠٢

ابن نعمة ، أبو محمد ٣١

ابن النغريلي اليهودي الناعيد (ابن

التغريلة) (اسماعيل بن يوسف

وأحياناً يوسف بن اسماعيل)

٢٤ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ،

٧٦٤ (٧٦٦ - ٧٦٩)

النعمري (منصور بن سلمة) ٧٧١٥

أبو نواس (الحسن بن هانيء)

٧٧ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٧٤ ،

٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩

٢٨٤ ، ٢٧٢ ، ٥٠٧ ، ٧٩٢

٩٣٥

النوبختي (علي بن العباس) ٧٧

نوح ٣٣٠ ، ٩١٨ ، ٩٢٨

نوبيرة (محبوبية ابن الحداد) ٦٩٣ ،

٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ،

وانظر أيضاً : جميلة

- ٨ -

هاثيل ٩٢٧

الهادي العباسي ٩٣٥

هارون الرشيد ، انظر : الرشيد

العباسي

هامان ٩٥

ابن هانيء ، انظر : محمد بن هانيء

ابن هبيرة الفزاري ٤٦٢

الهذلي ، انظر : أبو خراش الهذلي

هذيل الصقلبي القائد ٦٥٨

هذيل بن رزين ١٠٨

ابو هريرة ١٠٥

ابن هريرة الكاتب ، أبو عبد الله

٣٠٥

ابن هريرة التطيلي ، انظر :

الأعمى التطيلي

هشام المعتدّ ابن عبد الرحمن ٢٨ ،

٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٦٠٢

هشام بن الحكم الأموي ، انظر :

المؤيد هشام

هشام بن عبد الجبار بن الناصر ،

أبو بكر ١٢٥ ، ١٢٦

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
٩٤٠

هشام بن عبد الملك ٩٣٢

هشام بن محمد (الخليفة) ، انظر :
المستظهر

ابن هلال الصابي ، الهلالي ،
انظر : الصابي

هشام ٧٦٢

هشام (ابن غالب) ، انظر :
الفرزدق

هند (في الشعر) ٥١٣ ، ٨٦٥
ابن هند ، انظر : معاوية بن أبي
سفيان

ابن هود (عام) ٩٤٢

ابن هود ، انظر : سليمان بن هود ؛
المظفر ابن هود ؛

المقتدر بن هود ؛

المؤمن بن المقتدر بن هود ؛
يوسف بن هود

— و —

الواثق (العباسي) ٢٨٨ ، ٩٣٧

الواثق بالله ابن صمادح ، انظر :
معز الدولة احمد بن محمد بن

صمادح

ابن وهب ١٨٣

واضح (الفتي) ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٤٦

أبو وائل التغلبي (تغلب بن داود)
٣١٥ ، ٣١٦

أبو وجزة السعدي (يزيد بن
عبيد) ٧١٢

ابن وداعة (علي) ٤٦

الوزير التنوخي ، انظر : التنوخي
الوزير المهلي ، انظر : المهلي
ابن وشمكير انظر : (قابوس)
ابن وكيع ٧٧٦

ولادة بنت المستكفي ٢٣ ، ٤٢٧ ،
(٤٢٩ — ٤٣٣)

الوليد بن عبد الملك بن مروان
٩٣١ ، ٩٤٠

الوليد بن عبيد ٤٠٤

الوليد بن عقبة ٤٢١

الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٧٧٤

٩٣٢

أبو الوليد الباجي ، انظر : الباجي
أبو الوليد الزجاجي ، انظر :
الزجالي

أبو الوليد النحلي . انظر : النحلي

أبو الوليد ابن حزم ، انظر : ابن

حزم

أبو الوليد ابن زيدون . انظر :

ابن زيدون

أبو الوليد ابن طريف . انظر :

ابن طريف

أبو الوليد ابن عبدوس . انظر :

ابن عبدوس

أبو الوليد ابن الفرضي . انظر :

ابن الفرضي

أبو الوليد ابن المصيصي ، انظر :

حسان ابن المصيصي

أبو الوليد ابن المعلم . انظر : ابن

المعلم

ابن وهب (الوزير) ٩٠٤

ابن وهبون المرسي (عبد الجليل)

أبو محمد ١٤ ، ٢٦ ، ٨١ .

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

٣٥٨ ، ٤٤١ ، ٧١٢

- ي -

ياث ٩٢٨

يحيى (والد منذر التجيبي) ١٨٠ ،

يحيى بن أكرم ٩٣٦

١٨٦

يحيى بن حزم . انظر : ابن حزم ،

أبو بكر

يحيى بن ذي النون (المأمون)

٥٧٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١

٦١٣ ، ٦١٤ ، ٧٣٢ ، ٧٧٠

يحيى بن علي بن حمود (المعتلي

بالله) ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،

٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٨٩ ، ٤٣٦

٤٤٩ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٢

٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٦٨

٦٢٧ ، ٨٧٧ ، ٩٤١

ابو يحيى (محمد بن معن) ، انظر :

المعتصم بن صمادح

ابو يحيى رفيع الدولة ابن صمادح ،

انظر : رفيع الدولة ابن صمادح

يَزِيد ٩٢٨

يزيد بن عبد الملك بن مروان ٩٣٢

يزيد بن معاوية ٩٣٠

يزيد بن الوليد ٩٣٣

اليزيدي . أبو محمد ٨٢٤

أبو اليسر ٢٢٤

ابن اليسع ٨٢٣

البيصدراني . أبو حمامة حرزة

٣٠٥

يعرب ٨٣٠

يعقوب (النبي) ٣٨١ . ٥٦٣ .

٧٥٧ . ٧٥٩

يعقوب ، انظر : ابن السكت

ابن يعقوب ، انظر : يوسف

(النبي)

يوسف (النبي . الصديق) ٦١ ،

٨٥ . ١٧٣ . ٣٢٤ . ٣٧٧

٥٦٣ . ٥٦٥ ، ٧٥٣ . ٧٥٧

٧٥٩ . ٨٠٥

يوسف (والد ابن النغريلي) ٧٦٦ ؛

وانظر أيضاً : (ابن النغريلي)

يوسف (في الشعر) ٧٩٧

يوسف الفهري ٩٤٠

يوسف بن اسحاق الاسرائيلي ٢٣٣

يوسف بن تاشفين . أبو يعقوب

أمير المسلمين ٧٣٣ . ٧٣٤ .

٨٠٣ . ٩٤٤

يوسف بن هارون الرمادي ،

انظر : الرمادي

يوسف بن حمود ٧٥٢ . ٧٥٣

أبو يوسف (في الشعر) ٩١٧

يوشع ٨٦٩

يونس (النبي) ٥٥٠

يونس بن حبيب ٨٢٦

[٢]

فهرست الأماكن

٤٥٨ ، ٤٥٧	— أ —
اقليش ٤٣٧	آر (وادي) ٦٩
البُنت ٩٤٣	أبان ٨٩٧
إلبيرة ٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٥٥٨ ،	الأبلق القَرْد ٣٨٩
٨٥٦	أبو قبيس ٢١٨
المرية ٤١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٣٠٦ ،	أحد ٣٤١
٦٦٣ ، ٦٦١ ، ٤٥٥ ، ٣١٤	الأحزاب (يوم) ٤٦٤
٧١٢ ، ٦٩٢ ، ٦٩٠ ، ٦٦٧	أذرعَات ٢٣٢
٧٣١ ، ٧٣٠ ، ٧٢٨ ، ٧٢٤	إرم ذات العماد ٥٥٠ ، ٦٠١
٧٦٧ ، ٧٣٩ ، ٧٣٥ ، ٧٣٣	أشبونة ٥٥٠ ، ٩٠٨
٩٤٣ ، ٨٩٤ ، ٨٨٥ ، ٧٨٦	إشبيلة (حمص) ١٩ ، ٢٥ ،
الأندلس (الجزيرة الأندلسية) ١٥	١٠١ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ٣١٥
٤٣ ، ٤٢ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٣٣	٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣١٨ ، ٣١٦
٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٢ ، ٤٦	٤٠٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٣٩
٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٢٤ ،	٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦
١٨٢ ، ١٦٩ ، ١٣٩ ، ١٣٣	٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٥٩
٤٥٥ ، ٣٣٨ ، ٢٤١ ، ١٨٨	٦٢٧ ، ٧٣٩ ، ٨٢٩ ، ٨٤٠
٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧	٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٩٤٢
٥٣٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨١ ، ٤٦٩	أصبهان ١٠٢
٦٠١ ، ٦٠٠ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧	إصطخر ١٧٠
٦٦٥ ، ٦٤٠ ، ٦١١ ، ٦٠٧	إفريقية ٣٠ ، ٩٦ ، ١٨٨ ،

بغداد ٧٢ ، ٥١٤ ، ٧١٤ ،

٧٢٤ ، ٨١٧ ، ٨٦١ ، ٩٣٥

٩٣٩

البَلَقَاء ٥٥٠

بَلَنَسِيَّة ٢٧ ، ٢٨ ، ١٩٨ ،

٤٥٦ ، ٧٣٠ ، ٧٣٢ ، ٩١٦

٩٤٣

بهو الساباط (بقرطبة) ٤٩

بوصير ٩٣٤

البُونت ٤٥٥

— ت —

تَدْمِر ٩٠٢

تُدْمِير ١٨٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،

٧٣٢

تُسْتَر ٥٣٣

تُطِيلَة ١٨٣ ، ١٨٦

تلمسان ٤٦١

تَهَامَة ٢٢٨ ، ٧١٧

تِيْمَاء ٧١٤

— ث —

ثَبِير ١٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٥٩٨ ،

٨١٦

الثَغْر ٤٣ ، ٤٤ ، ١٣٢ ، ١٨١ ،

١٨٢

٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥

٧٩١ ، ٨٠١ ، ٨٠٩ ، ٨١٠

٨٢٦ ، ٨٨٥ ، ٨٢٤ ، ٩٤٠

٩١٩ ، ٩٣١ ، ٩٤٣

الأهواز ٩٣٩

إِيوان كسرى ٥٥٠ ، ٦٧٣

— ب —

باب الحَمَام (من قرطبة) ٥٤

باب الزَاهِرَة ١٢٧ ، ١٢٨

باب السُدَّة (من قرطبة) ٩٧

باب عامر (من قرطبة) ٩٨

باب الوزراء (من قرطبة) ٤٩

بَابِل ٧٦٣

بَاغُهُ ١٢٣

البحر المحيط ١٤ ، ٢٥

البحرين ٥٥٠

بَدْر ٣٤١

بَرْبَشْتَر ٢٨

بِرْشْلُونَة ١٨٣

بُرْقَة تُهْمَد ١٣

البُرْكَان ٥٥٠

بَرْهُوت ٢٧٦

البصرة ٤٠ ، ٢٣٨ ، ٥٤٥ ،

٨٢٤ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥

بَطْرَنَة ٢٩

بَطْلَيْوس ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٩٤٢

الثغر الأعلى ٦٠ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

٩٤٢

تهلان ٩٢ ، ٥٩٨ ، ٨١٩

— ج —

الجامع الاموي ٩٣١

جبل اللكام ٥٥٠

جرعاء الأبارق ٢٧٧

الجزيرة الأندلسية ، انظر :

الأندلس

الجزيرة الخضراء ٦٠ ، ٤٣٨ ،

٤٤٩

جزيرة سُقَّر ٢٤ ، ٩١٦

جزيرة الغم ٥٥٠

جليقية ٢٤١

الجمل (يوم) ٩٣٠

الجودي (جبل) ٢١٦

جَبَّان ١٢٠ ، ٧٥٧ ، ٨٠٥

جَبَبُونَة ٥٥٠

— ح —

الحجاز ٥٣٧ ، ٦٧٣ ، ٩٤٢

الحجازان ٥٥٠

الحجر اليماني ٥٠٤

الحرمان ٩٣١

الحرة ٩٣٠

حصن آش ٤٥٩

حصن ابن الشرب ٣٧٩

حصن رُوطة اليهود ١٨٨

حصن المدور ٧٢٧

حلب ٣١٥

حمص ، انظر : اشبيلية

حومل ٢٤٩

— خ —

خراسان ٩٣ . ٤١٠ ، ٥٥٩ ،

٩٣٣ ، ٩٣٤

خَفَّان ٤٢٠

خَيْبَر ٢٧٣

الخيف ٤٥٢

— د —

دار ابن النعمان ١٩٦

دائرة جلجل ٢٤٩

دائرة الشَّرقي ٤٢٢

دارين ١٤٨ ، ٢٠٤

دانية ٣٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٧ ،

٧٣١ ، ٩٤٣

دجلة ٧٢٤

دمشق ٣١٥ ، ٩٣١

الدَّهْناء ٨٢٧

دير حنة ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

— ذ —

ذات الأكبراح ٢٥٩ ، ٢٦٠

ذو الأثل ٢٧٧

ذو سَلَم ١٧٧ ، ٤٠٠

— ر —

الربض الشرقي (من قرطبة) ٦١٠
الرّصافة (من قرطبة) ٤٢٢ ،
٤٢٣ ، ٥١٩

رَضوى ٨٨ ، ١٣٩ ، ٨١٦ ،
٨٩٧
ريّة (الاسم القديم للالقة) ٨٦٧

— ز —

الزاهرة ٥١ ، ١٢٨ ، ٢٢٠ ،
الزلاقة ٩٤٤
زمزم ٦٨٩
الزهراء ٣٧ ، ٥١ ، ٣٦٤ ،
٤٢٣ ، ٤٣٦

— س —

ساباط ٧٧
نسبته ٢٦ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ،
١٠١
سجستان ٨٣٠
سردانية ٩٤٣
سرقسطة ٦٠ ، ٦١ ، ٩٢ ،
١٠٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٧٣ ، ٧٢٥ ،
٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٨٥١

سقط اللوى ٢٤٩

سلمى ٣٤٣

سنداد ٨١٦

السّهلة ٩٤٣

السودان (غانة) ٥٥٠

— ش —

شاطبة ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٤٥٦ ،
٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٩٤٣
الشام ١٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٦٠ ،
٣١٥ ، ٩٠٨

شدونة ٤٨٥

شرق غرناطة ٨٩٦
شرق الاندلس ٢٣ ، ٢٧ ، ٩٩ ،
٣٣٧ ، ٦٠٦

شرق العقاب ٤٢٣
شُرُنْبِيّة (نهر) ٦٨
شريش ٤٨٥ ، ٤٨٦

الشّريف ٢٥٠

شَقْنْدَة ٣٧

شِلْب ٤٢٦

شَلطِيش ٥١١ ، ٦٢٤

شَحَام ٤٢١

شَنْتَرِين ١٩ ، ١٤٤

شيراز ٨٤٦

— ص —

صداء ٨٣٦

صفين (يوم) ٦٤١ ، ٩٣٠

صنعاء ٧٢

— ض —

ضارج ٤٤٦

— ط —

طَبِيْطَلَة ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٠٢

٩٤٢

— ع —

عاصم ١٩٩

عالج ٤٥١ ، ٧٢١ ، ٨٠٨

عَبْقَر ٥٣٣ ، ٧٤٣

العُدُوَّة ٤٨١ ، ٦٢٦

العِدْوَتَان ٨٦١

العذيب ٧١٦

العراق ١٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٦٠ ،

٩٣ ، ١٧٣ ، ٤٦٢ ، ٥٤٩ ،

٧٤٠ ، ٩٠٨ ، ٩٢٣ ، ٩٣٠

٩٣١

العِرَاقَان ٥٥٠

العزى (ضَم) ٧١٤

العقاب (الرَبْوَة) ٨٥٨

العقيق (من الأندلس) ٤٢٣

العقيق (بالمدينة) ٢٥١ ، ٤٤٦ ،

٤٥٢ ، ٦٧٣ ، ٧١٦

عُكَاظ ٧٨٧

عُمان ٤٢٠

عمورية ٩٢٦

عين شهدة ٤٢٣

— غ —

غافق ٨٢٩

غرب الأندلس ١٩ ، ٢٥

غرناطة ٢٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ،

٤٥٩ ، ٦٤٩ ، ٦٥٧ ، ٧٦٦

٧٦٨ ، ٨٠٥ ، ٨٥٤ ، ٨٨٧

٨٩٦ ، ٩٠٤ ، ٩٤٣

الغور ١٧٧ ، ٦٩٦

— ف —

فارس ١٧٠

فاس ١٩٠

الفرات ٢٧٦ ، ٧١٤ ، ٧٢٤

فَيْد ٣٦٦

— ق —

قَبْرَة (مدينة) ٩٥

قرطبة ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ،

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،

٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ،

٦٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٧٣ ،

١٨١ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣ ،

٢٣٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٠٤ ،

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ،

٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٥ ، ٤٠٣ ،

قونكة ٢٠٨
القيروان ١٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٩١ ،
٥٨٨ ، ٤٥٨ ، ٣٨٣ ، ٢١٦
٨٨٣

— ك —

الكرج ٣٠١
كَرْض ٤٦١
الكعبة ٦١٥ ، ٦٤٦
كَنْفَر تَوْثَى ٥٥٠
الكوفة ٨٢٦

— ل —

لاردة ١٨٦
لَبْلَة ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٣٨٦ ،
٣٨٧ ، ٧٦١
لبنان ٤٤٦ ، ٧٢٥
لورقة ٧٣٢
لييط (ايضاً : ألييط) ٧٣٣

— م —

مأرب ٨٨ ، ٨١٦
مارد (قصر) ٣٨٩
مالقة ٣٢١ ، ٣٣٨ ، ٤٣٨ ،
٤٧١ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
٨٧١ ، ٨٥٨ ، ٨٥٥ ، ٤٨٦

المدينة ٤٦٤
مَرْج دَهْمَان ٢٦٧
مرج راعط ٩٣١

٤٠٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ،
٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ،
٤٣٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ،
٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ،
٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٧ ،
٥٢٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٣ ،
٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ،
٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ،
٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،
٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ،
٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٥٠ ،
٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٧٠ ،
٧٩١ ، ٨٠٨ ، ٨١٣ ، ٨١٧ ،
٨٢٢ ، ٨٤٠ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ،
٩٤٢ ، ٩٤١

قَرْمُونَة ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٦٢٥ ، ٦٥٦

قرية أبي الجودي ٢١٦
القسطنطينية ٩٣٦
قشتيلة ١٨٣

قصر الفارسي ٤٢٣
قلشانة ٤٨٥

قَنْشِيش (وقعة) ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٩ ،
قنطرة قرطبة ٦١١

نعمان ٤٤٦ ، ٧٢١ ، ٧٩٨ ،

٨٠٨ ، ٨٦٠

نهر قرطبة ٤٥٦

النيل ٧١٤

— ه —

الهباءة (يوم) ٩٤

الهند ٤٠ ، ٤٧٦ ، ٩٢٧

— و —

وادي آش ٣١٤ ، ٤٥٥ ، ٦٩٢

وادي الأشبونة ٥٥٠

وادي الدّوم ٤٦٥

وادي العقيق ٤٢٢ : وانظر أيضاً :

العقيق (من المدينة)

وادي مائقة ٨٥٨

وشقة ٧٢٩ ، ٧٣٠

— ي —

يابرة ٣٨٦ ، ٣٨٨

يثرب ٩٣٤

يزبل (جبل) ٤٢١ ، ٨٩٦

اليرموك ٢١٧

مرسية ٧٢٤ ، ٩٤٣

المسجد الجامع (بقرطبة) ٤٩

المشرق ١١٠ ، ١٦٩ ، ٥٣٧ ،

٥٤٣ ، ٥٧٧ ، ٦١٥ ، ٨٠٩ ،

٨٢٦ ، ٩١٩

مصر ٩٥ ، ٢٢٦ ، ٥٣٧ ، ٧١٤ ،

٩٢٣

المغرب ٩٦ ، ٢٧٦ ، ٤٧٩ ،

٨٠٥

المغربان ٨٦١

مكة ٦٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٤ ، ٤٩٩ ،

٧١٦ ، ٧١٨ ، ٩٣١ ، ٩٣٤

مناة (صنم) ٧١٤

منعج ٢٣٥ ، ٣٤٣

المُنكَب ٤٥٨ ، ٤٥٩

مُنْية المَغيرة ١٩٦

موسطة الانداس ٢٢ ، ٣٣

الموصل ١٠٢

— ن —

نجد ٢٢٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٦ ،

٦٧٣

[٣]

فهرست القبائل والأمم والطوائف

٦٩ ، ١٨١ ، ٤٥٣ ، ٥٤٤ ،

— أ —

٤٥٦

بنو الأفطس ٢٦

بنو أمية (الأمويون ، الأموية)

٥٩ ، ١٠٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،

٣٢١ ، ٥٤٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ،

٦٠٦ ، ٨٠٩ ، ٩١٩ ، ٩٢٩ ،

٩٣٣ ، ٩٢٩

الأندلسيون (أهل الأندلس) ٤٥٤

٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٩ ،

٤٨٣ ، ٦٥٩ ، ٧٣٢ ، ٨٠١ ،

الأوس ٧٢ ، ١٦٠

— ب —

البرابرة (البربر ، البرابر) ٣٧ ،

٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،

٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ،

٦١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٨١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ،

آل أبي طالب ٩٣٤

بنو أبي عامر ، انظر : بنو عامر

بنو أبي عبدة ١١٠

الأتراك ٥٤٠ ، ٥٧٧ ، ٩٣٧ ،

٩٣٩

الأزد ٣٨٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٩٠١ ،

الأساورة ٤٢٠

بنو أسد ٣٩٠

بنو إسرائيل ٢١٥ ، ٧٦٩ ،

٨٤٠

أشجع ٢٣٠ ، ٢٥٨

أصحاب الرقيم ٦٨٩

الاعاجم (العجم) ٣١٨ ، ٥٧٧ ،

الأعراب ٧٥ ، ٢١٦ ، ٧١٢ ،

٨٤٦

الأغزاز ، انظر : الغز

الإفرنجية (الإفرنج) ٣٦ ، ٤٥ ،

- ج -

بنو جبريل ٧١٥
جنديس ٦٥١
جرهم ٢٥٥
بنو الجزيري ١٢٣
الجعفرية ٤٢٤
الجلالية ٣٦ . ١٨١ . ١٨٢
بنو جهور . الجهاورة . الجهورية
٢٣ . ٣٤٦ . ٣٥٤ . ٣٨١
٣٨٤ . ٣٩٣ . ٤٢٠ . ٦٠٢ -
٦١١ . ٩٤٢ (وانظر آل
عبدة)
بنو جودي ٨٥٤

٤٦٠ ، ٤٨١ . ٤٨٢ . ٤٨٥

٦٠٢ . ٦٠٤ . ٦١٥ . ٦٢٦

٦٦٢ . ٨٩٨ . ٩٤١

البراهمية ٩٢٥

بنو بُرْد (آل برد) ١٠٣ . ٤٨٦

بنو برمك ٨٢٦ | ٩٣٥

بنو بَسِيل ١١١

البَشْكُنَش ١٨٤

البطاريق ٦٨١

بكر (البكريون) ٧١ . ٦٢٤

٧١٧ . ٩٠١ . ٩٠٣

بَلْعَجَلان (بنو المجلان) ٣٠٩

- ح -

بنو حَدَّير ١١١
بنو الحكم ٢٩٣
بنو حمود . الحموديون . الحمودية
٢٨٢ . ٤٥٣ . ٤٦٨ . ٦١٧
٨٧٠ . ٩٤١
حمير ٧١ . ٧٤ . ١٧٩ . ٤٠١
بنو حنيفة ٣٢٥

- ت -

تَبَع ٧١ . ٧٥
تُجِيب ٦٥ ، ٧٢ ، ١٧٩ ،
٦٤٢ ، ٧١٨ ، ٧٢٩ ،
تغلب ٧١ ، ٩٠٣
تميم (قبيلة) ٤٦٣ ، ٥٥٠

- خ -

آل خالد ١١٠

الحزرج ٢٧٩

الحزرج ١٦٠

خندف ١٧٨

الخوارج ٧١٤ . ٩٣٠

- د -

بنو دارم ٧٦ . ٧٧ . ١٥١ .
٢٠٠ .

الدائرة (بالآندلس) ٤٩ ، ٥٣ ،

٥٤ . ٥٨ . ٤٣٥ . ٤٣٦

الديلم ٥٧٧

- ذ -

ذبيان ٧١ ، ٩٤ ، ٧٥٢

بنو ذكوان . الذكاونة ٣٨٤ ،

٥٩٢

- ر -

الرؤم ١٤ ، ١٧ . ١٩ ، ٢٧٩ ،

٣١٢ . ٧٤٥ . ٧٠٥ . ٨٥٨ .

٨٩٨ . ٩٣٢ . ٩٤٣

- ز -

زناتة ٦٨ ، ٩٤ . ١٠١ . ١٩١

٤٥٢ . ٤٥٦ . ٤٦١ . ٦٥٦

٦٥٩

الزنج ٢٦٦ . ٢٧٧ . ٨٥٨ ،

٨٩٨

- س -

بنو ساسان ١٥٧ ، ٧١٨ ، ٨٢٥

سبا ٧١ ، ٧٥

الستكون ٧٢

سلول ٩٠١

السودان ٣١٨ ، ٤٨١ ، ٦٥٩

- ع -

بنو شهيد ١٠٣ ، ١١١ ، ٢٠٧

٢٣٠ ، ٢٥٨ ، ٣٣٦

عاد ٧١ ، ٢٥٥

بنو شيان ٧١٨

الشعة ٦٥٥

بنو عامر ، بنو أبي عامر ،

العامريون ، العامرية ٣٣ ،

٣٦ ، ٩٥ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ،

٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، ٣٠٥

٤٦٨ ، ٤٨٦ ، ٥٨٨ ، ٨٢٦

٩٤٠ ، ٩٤١

عامر (قبيلة) ٥٠٧ ، ٨٦٥ ، ٩٠١

العباديون ، آل عباد ، بنو عباد

٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٦١٠ ، ٨١٦

٩٤٢

العباسيون ، بنو العباس ٩١٩ ،

٩٣٣ ، ٩٣٩

بنو عبد الحميد ٤٨

عبد شمس ، العبشيون ٥٦ ،

٩٣٣

آل عبدة ٦٠٤ (وانظر بنسو

جهور) .

عبس ٧١ ، ٧٥٢

- ص -

بنو صباح ٨٤٥

صقالبة (بني مروان) ١٠٠

الصقلب ١٠١ ، ١٨٥ ، ١٩٨ ،

٦٥٨ ، ٦٦٣ ، ٨٩٨ ، ٩٤١

٩٤٣

بنو صمادح ٢٤ ، ، ٦٩٢ ، ٩٤٣

صنهاجة ٦٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،

٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩

٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨

٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٨٢٠

- ض -

بنو ضبة ٨٤٥ ، ٨٤٦

- ط -

آل طاهر ٩٤٣

الطباينة ، بنو الطنبلي ٢٣ ، ٥٤٢

طسم ٦٥١

طلي ٧٢

قحطان ٧١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١

١٧٨

القرامطة ١٠٢ ، ٩٣٨

قريش (القرشيون) ٣٢ ، ٠

١٠٤ ، ١١٠ ، ١٥٢ ، ١

٣٤٠ ، ٤٦٤ ، ٥٩٤ ، ١

بنو قريظة ٣٤١ ، ٤٦٤

قشير ٣٠٩

قُضاة ٧١٦ ، ٧١٧

القوامس ١٨١

القُوط ١٤

قيس بن عيلان (قبيلة) ١٥٥

٧١٣

بنو العَجَلان ٥٤٤

العجم ، انظر : الأعاجم

عدنان (قبيلة) ٧٠

عذرة ٢٤٥

العرب ٧٦ ، ١٩١ ، ٢٣٦ ،

٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥١١ ، ٥٣٠

٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠

٦٧٣ ، ٧٤٥ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨

٨١٩ ، ٨٢٢ ، ٨٩٨ ، ٩١٥

عَرَب المشرق ٣٣

آل علي ٩٣٤

— غ —

الغز ٩٣٩

غزيرة ٦٢٦

غَسَّان ٥٦٢

— ف —

آل فاطمة (بنت يذكر) ٧١٧

الفتيان العامريون ٧٣٠ ، ٩٤٣

الفرس ٤٢٠ . ٥٥٦

فزارة ٤٦٢ ، ٥٩٩

— ق —

آل قاسم ٩٤٣

القَبِيط ٩٥ ، ٣٥٧

— ك —

كلاب بن ربيعة ٥٤٥ ، ٠٩

كلب ٢٥٥

كنانة ٤٦٤ ، ٦١٨

كِنْدَة ٧٢ ، ٤٨٩

كِهْلان ٨٣٤

بنو كوثر ٥٩٥

— ل —

لَتخُم ٨٢٩

— م —

آل مامة ٨١٦

المانوية ٣٦٤

المجوس ٥٥٠ ، ٩٢٥

مُحارب ٤٦٢ ، ٤٦٣

آل محمد ، آل النبي ٨٨ ، ٤٤٩

مخزوم ٣٣٦ ، ٨٥٣

بنو مَرْدَخاي ٦٤٧

بنو مروان . المروانيون . المروانية .

١٤ ، ٣٥ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ٩٩ ،

١٠٠ ، ١٢٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،

٤٨٦ ، ٥٦٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٨ ،

٦٠٦ ، ٩٤٠

الموالي المروانيون ٨٠٩

— ن —

آل الناصر الأموي (زمن الفتنة)

٣٧ ، ٥٥

النييط ، النبط ٨٣٨

النصارى (المسيحيون) ٤٣ ، ٤٤

٦٢٧ ، ٦٤٩ ، ٦٤٠ ، ٦٥٢ ،

٦٨٢ ، ٨٨٥ ، ٩٢٥

النمر بن قاسط ٧١٦

نُمير ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٥٤٥ ،

٥٤٦

— ه —

آل هاشم ، الهاشميون ٢١٥ ،

٣٢١ ، ٤٥٢

بنو هلال ٧٦

بنو هُود ٧١ ، ٧٤ ، ١٧٩ ،

٦٩٢ ، ٧٢٥ ، ٧٢٧

— و —

وائل ٧١٦

— ي —

يأجوج ٣١٤

يَعْرُب ٧١ ، ٧٤ ، ١٥٧

بنو يفرن ٦٠٢

يمن ٧٥ ، ٦٤٩

اليهود ١٥٩ ، ١٧٠ ، ٦٥٢ ،

٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٩ ، ٧٧٤

٩٢٥

آل مسلمة ٨١٦

المسيحيون ، انظر : النصارى

مضر ١٧٨

معايير ٢٠٧

المعتزلة (الفئة البصرية) ٩٢٢

المغاربة ٣٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩

مغراوة ٤٥٦

ملوك الطوائف ٥٧٣ ، ٥٨٦ ،

٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٩١ ، ٩٤٢

المناديون ، بنو مناد ١٨٨ ، ٤٥٨

آل منذر ١٨٨

الموالي ١١١

الموالي العامريون ٤٥ ، ٤٥٣ ،

٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧

٦٥٨ ، ٦٦٧

فهرست الكتب المذكورة في المتن

— أ —

كتاب أبيات المعاني للقتبي ٨١١
كتاب أخبار أبي تمام للصولي ٢٧٩
أخبار بغداد لابن أبي طاهر ٣٦٦
كتاب أخلاق النفس لابن حزم
١٧١

الإشارة إلى معرفة الرجال والعبارة
لابن فنوح ٧٧٠
كتاب الأصول لابن السراج النحوي
٧٩٣

الإغراب في رقائق الآداب لابن
فتوح ٧٧٠

الإمامة والسياسة لابن حزم ١٧١
الأمثال لحمزة الأصبهاني ٨١١
الإيصال إلى فهم كتاب الحاصل
لابن حزم ١٧١

— ب —

البارع لابي علي البغدادي ٨١١
البخلاء للجاحظ ٥٣٧ ، ٦٤٣
بستان الملوك لابن فتوح ٧٧٠
البيان للجاحظ ٢٣٣

— ت —

كتاب التاريخ لأبي مروان بن حيّان
(التاريخ الكبير المسمى بالمتين
او التاريخ الصغير المسمى
بالمقتبس) ١٨ ، ٣٥ ، ٩٦ ،
٣٣٧ ، ٥٧٥

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس
لابن الفرضي ٦١٦
كتاب التلخيص والتخليص لابن
حزم ١٧١
التيجان لابن دريد ٤٦٠

— ج —

الجامع في صحيح الحديث لابن حزم
١٧٠
الجفر ٦٥١

— ح —

الحقائق لابن فرج الجياني ١٣ ،
٨١٤

— ذ —

الذخيرة في محاسن أهل هذه
الجزيرة لابن بسام ١٤

الظاهر وأصحاب القياس لابن

لابن حزم ١٧١

كتاب ابن حيان ، انظر : كتاب

التايخ لابي مروان بن حيان
كتاب في الرد على الفقيه ابي محمد

ابن حزم ٧٦٦

كتاب في شرح حديث الموطأ لابن

حزم ١٧٠

كتاب في شعر المتنبي (شرح شعر

المتنبي) لابن الاقليلي ٢٨٢

- م -

كتاب منتقى الإجماع وبيانه من

جملة ما لا يعرف فيه اختلاف

لابن حزم ١٧١

- ن -

كتاب النبت لابن حنيفة الدينوري

٨١١

نقط العروس لابن حزم ٤٣٣

- ي -

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

للثعالبي ٣٢ ، ٣٤ ، ٦٠ ،

٥٤٦ ، ٦٢١

- ر -

رسالة ابن غرسية ٢٩

- ز -

الزهرة لابن داود الظاهري ١٣

- س -

سرّ الأدب وسبك الذهب لابن

برد الأصغر ٤٨٦

- ش -

شرح ابن درّستويه لكتاب سيبويه

٢٧٤

شرح غريب الحديث للخطابي ٨١١

- ص -

كتاب الصّادع والرادع لابن حزم

١٧٠

- ع -

العقيد لابن عبد ربه ١٣٥ ، ٤٦٩

- ف -

الفصل بين أهل الآراء والنحل

لابن حزم ١٧٠

- ك -

كتاب سيبويه ٢٧٤

كشف الالتباس ، ما بين أصحاب

فهرس القوافي

— قافية الألف المقصورة —

الثرى	الكامل	ابو عمر الالبيري	٨٥٠
-------	--------	------------------	-----

— قافية الهمزة —

أضاءها	الطويل	قيس ابن الخطيم	٢٥٢
فناءها	الطويل	ابن شهيد	٢٥٢
واطىء	الطويل	ابن الحداد	٧٠٩
أنداء	البسيط	أبو جعفر التطيلي	٣٠٣
والحياء	مخلع البسيط	المتنبى الاندلسي	٩١٨
ظيماء	الوافر	ابن دراج	٨٤
سواء	الكامل	الرمادي	٣٠٨
ذكاء	الكامل	ابن فتوح	٧٧٩
الرخصاء	الكامل	المتنبى	٨٤٣
وأجأ	الكامل	ابن القزاز	٨٠٤
السناء	مخلع البسيط	ابن الرومي	٥٠٦
الأمراء	الكامل	ابن الرقاع	٣٤٣
وذكاء	الكامل	ابن فتوح	٧٨٤
الغماء	الكامل	ابو تمام	٥٥١
شنعاء	الكامل	ابو عبدالله بن مسعود او غيره	٥٥١

الماء	الكامل	ابن العميد	١٣١
الماء	الكامل	الاسعد بن بليطة	٧٩٦
ماء	الكامل	ابو تمام بن رباح	٧٩٥
ظلمائه	الكامل	ابو تمام بن رباح	٧٥٨
بكائه	الكامل	ابو محمد غانم	٨٥٨
سودائه	الكامل	التهامي	٨٢٢
بالرداء	مجزوء الكامل	العباس أو بشار	٣٢٦
رائه	مجزوء الكامل	ابن المعتز	٥٠٦
الأحباء	السريع	المنفلت	٣٠٢
دأماء	السريع	ابن بليطة الاسعد	٧٩٧
هجائي	الخفيف	————	٨٩٣، ٨٨٣
الأحياء	الخفيف	ابن الرعلاء	٣٢١
بالإغضاء	الخفيف	ابن الرومي	٤٠٩
والأمراء	الخفيف	أبو عبد الله ابن مسعود	٥٥٩
بالعراء	المتقارب	————	٨٢٨

— قافية الباء —

راتب	مخلع البسيط	ابن شهيد	٣٠٤
المتشيب	مطوي البسيط	الحضرمي	٩١٥
الثياب	الكامل	ابن شهيد	٢٢٠
الذهب	الرجز	————	٥١٧
الذهب	المتقارب	ابن برد الأصغر	٧٨١
بالعجب	المتقارب	ابن برد الأصغر	٥١٦
السحب	المتقارب	ابن فتوح	٧٨٠
ومسحبا	الطويل	الأعشي	٤١٦

٢٩٠	المتنبي	الطويل	رَكْبَا
٢٩٥	عم ابن شهيد	الطويل	قريبَا
٢٧٤	الخطيئة	البسيط	الذَنبَا
٩١٥	ابو العباس ابن قاسم	البسيط	الأبوابَا
١٤٤	ابن وهبون	الوافر	صليبا
٤٦٣	جرير	الوافر	انصبَا
٥٤٥	جرير	الوافر	كَلَابَا
٧٣٩	النحلي الشاعر	الوافر	فبَا
٣٨٢	محمد بن هانيء	الكامل	تغضُّبَا
٥١٥	محمد بن هانيء	الكامل	كوكبَا
	ابن اللمائي (أو الحلياز	الكامل	نَهْبَا
٦٢١	البلدي)		
٧٥٦	المنفلت	الكامل	مَغْرِبَا
٧٩٣	محمد بن هانيء	الكامل	عَقْرِبَا
٣٨٠	ابن زيدون	الكامل	الغَرْبِيَا
٤٤٨	ابو علي ابن رشيق	الكامل	تَهْدِيَا
٥٧٥	—	مجزوء الكامل	مُحِبَّةٌ
٢٩٤	عبد الملك ابن شهيد	مجزوء الرمل	لَبِيَا
٣٨٢	أبو تمام	الخفيف	وَمُجِيَا
٣٨٢	أبو تمام	الخفيف	والتَّشْيِيَا
٨٠٥	ابن القزاز	الخفيف	تَشْرِيَا
٦٨٧	عمر بن الشهيد	المتقارب	نصيبَا
٣٠٧	ابن شهيد	المتقارب	الخطَابَةُ
٨٢٨	—	الطويل	الذَوَائِبُ
٣٦٤	المتنبي	الطويل	تَكْذِبُ

٩٠٢	مخارق بن شهاب المازني	الطويل	يَتَحَوَّبُ
٤١٥	النابعة الذبياني	الطويل	المهذبُ
١٧٣	أبو محمد ابن حزم	الطويل	الغربُ
٢٨٩	المتني	الطويل	لعابُ
٨٣٨	المتني	الطويل	كتابُ
١٤	ابن وهبون	الطويل	عقابُ
٣٥٨	أبو حكيمة	الطويل	غريبُ
٣٥٨	—	الطويل	غريبُ
٣٥١	ابن عمار	الطويل	ذِيبُ
٨٨٣	—	الطويل	قريبُ
٨٧٨	ابن السراج المالقي	الطويل	شحوبُ
٨٤٥	—	الطويل	فأجيبُ
٨٧٠	أبو محمد غانم	الطويل	لييبُ
٩٠٣	المتني	الطويل	وشيبُ
٥٤٨	أبو بكر ابن عمّار	الطويل	أتوبُ
٨٣٢	أبو الطمحان القيني	الطويل	ثاقبهُ
٢٨٩	المتني	الطويل	وحابئها
٣٤٣	—	الطويل	سحابئها
٨١٩	ابن عبد العزيز الوزير	البيسط	الشهبُ
٧١٢	النابعة الذبياني	البيسط	فتنتسبُ
١٤٥	ابن اللبانة	مخلع البسيط	الكثيبُ
٣٠٣	الأعشى التطيلي	مخلع البسيط	ضريبُ
٨٨٩	السميسر	مجزوء الرمل	سرابُ
٤٤٨	ابن الحنّاط	الكامل	ينوبُ
٦٨٢	—	الكامل	يُنْهَبُ
٧٩٢	الاسعد بن بليطة	السريع	سُكْبُ

٨٨٤	السميسر	الخفيف	يحب
٥١٨	تميم بن المعز	الخفيف	غراب
٨٥٩	أبو محمد غانم	مجزوء الخفيف	أغرب
٨٩٩	السميسر	مجزوء الخفيف	عائبه
١٦٤	أبو محمد ابن حزم	المتقارب	السياب
١٦٥	أبو المغيرة ابن حزم	المتقارب	الصواب
١٦	أبو تمام	الطويل	الدواهب
٣٦٥	الفرزدق	الطويل	بالعصائب
٢٨٤	النابعة الذبياني	الطويل	بمعصائب
٣٢٣	ابن أبي فتن	الطويل	السواكب
٧٣٧	رفيع الدولة بن صمادح	الطويل	الكواذب
٧٤٠	ابن مالك القرطبي	الطويل	أصاحب
٩٠٣	بكر بن النطاح	الطويل	تغلب
٣٦٧	المجنون	الطويل	يذهب
٣٦٦	ابن الجهم	الطويل	معذب
٤١٢٠٣٥٦	امرؤ القيس	الطويل	مُغلب
٦٥٣	—	الطويل	بضرب
١٧٦	—	الطويل	وقلوب
٤٢٧٠٣٧٤	ابن زيدون	الطويل	الغرب
٤٣١	ابن زيدون	الطويل	ضربي
٤٤٢	—	الطويل	واللب
٧٨٦	العباس بن الأحنف	الطويل	وبالعتب
٨٥٠	أبو عمر الالبيري	الطويل	الحب

٤٣١	—	الطويل	حي
٤٧٣	عبادة	الطويل	شرايه
٨٤٢	المتنبي	البيسط	واليلب
٨٥٩	—	البيسط	يَنَّب
٨٥٩	أبو محمد غانم	البيسط	الشهب
٧٧٨	أبو تمام	البيسط	الحزب
٣٦٤	المتنبي	البيسط	يفري بي
٨٩٨	—	البيسط	يلعب بي
١٢٩	ابن برد الكبير	البيسط	مقطوب
١٣٠	صاعد	البيسط	مأشوب
٥٦٣	ابن مسعود البجاني	البيسط	التكاذيب
٧٣٩	المعتصم بن صمادح	البيسط	هرّيه
١٤٩	ابن رشيق	مخلع البيسط	طيب
٨٩٢	السميسر	مخلع البيسط	والطيب
٩١٤، ٥٠٦	الحلواني	الوافر	الصواب
٥٨	المستظهر	الوافر	الخطاب
٨٣٠	أبو عبد الله ابن حمدين	الوافر	كتاب
٣٢٤	أبو الشيخ	الوافر	سكوب
٥٠٧	أبو نواس	الوافر	النصيب
٨٩٣	—	الوافر	الطيب
٧٧٦	تميم بن المعز	الوافر	ويُصبي
٥١٨	البحري	الوافر	الطُّحلب
٧٩١	الاسعد بن بليطة	الكامل	مذنب
٦٢٢	ابن اللماثي	الكامل	ومؤدني

٢٩٢	ابن شهيد	الكامل	مشرَب
٧٨٠	ابن الرومي	الكامل	ومحتجب
٣٢٥	عمر بن أبي ريعة	الكامل	أصحابي
٧١٢	المعري	الكامل	أنسابه
٣٦٧	ابن زيدون	الرجز	تصوبا
٣١٢	أبو تمام	الرجز	ثيابه
٨٩٣	السميسر	مجزوء الرجز	المريب
٢١٠	ابن شهيد	الرمل	العنب
٣٠٩	ابن شهيد	الرمل	شنتب
٥٠٧	ابن برد الأصغر	مجزوء الرمل	القلوب
٧٨٣	ابن فتوح	مجزوء الرمل	الكتاب
٣٧٤	العباس بن الأحنف	السريع	القلب
٦٨٤	—	السريع	سبب
٨٢٤	أبو محمد اليزيدي	السريع	العاجب
٣٦٧	الخبز ارزي	السريع	يتنبه
٤١٣، ٣٥٦	—	المنسرح	حطبه
٤٩٠	أبو تمام	المنسرح	أديه
٢١٣	ابن شهيد	الخفيف	الأحزاب
٢٥٧	ابن شهيد	الخفيف	الأسباب
٣٩١	صالح بن عبيد	الخفيف	شبابي
٣٠٩	أبو القاسم ابن العريف	الخفيف	يسب
٥٤٨	أبو الحسن الطنبي	الخفيف	حبي
٨١٨	ابن طريف	المتقارب	باب

— قافية التاء —

٧٩٧	الأسعد ابن بليطة	المتقارب	البيوتُ
٨٣٩	—	الوافر	شددتا
٧٩٦	الاسعد ابن بليطة	الكامل	محموتةُ
٥١٠	ابن برد الأصغر	السريع	أصلبتا
٧٧٧	ابن برد الأصغر	السريع	يَنْبُتَا
٧٩١	الاسعد ابن بليطة	المنسرح	واللَّيتا
٧٩٥	—	مخلع البسيط	الصفَّاتُ
٤٢٥	ابن زيدون	الوافر	جُفِيتُ
١٢٢	عمران بن حطان او غيره	الكامل	آلائهُ
٨٩٩	—	السريع	الصوتُ
٤٦٣	الطرماح	الطويل	ضَلَّتْ
٦١٣	—	الطويل	فَتَمَخَّطَتْ
٤١١	كثير عزة	الطويل	استهلتِ
٧٣٣	النميري الثقفي	الطويل	حدَّرات
٧١٣	ابن الحداد	الطويل	منعرجاتِها
١٥٠	ابو نواس	البسيط	الثنيَّات
٥١٩	ابن برد الأصغر	البسيط	تشيتِ
٧٧٧، ٥٦٦	ابن فتوح	الكامل	حركاتِه
٧٠٥	ابن الحداد	السريع	وروَعاتِ
٨٨٩	—	المتقارب	بالحمرةِ
٨٩٧	ابن شرف	المتقارب	والسنَّةِ
٨٩٦	السميسر	المتقارب	زلَّتِ

— قافية الثاء —

٨٣٨	أبو تمام	الكامل	حرثا
٢٩٧	—	الطويل	أريث
٧٨٩	ابن ظهار	الخفيف	غيث
٧٠٦	ابن الحداد	الطويل	المثلث

— قافية الجيم —

٧٩٣	الاسعد بن بليطة	السريع	السَّمْع
٧١٩	المعري	المتقارب	يزج
٧٧٦	—	مجزوء الكامل	الدجي
٥١٧	ابن برد الأصغر	الرملي	الوجي
٢٣٥	—	المتقارب	الهودجا
٧٢٠	ابن الحداد	الطويل	الهوادج
٨٠٨	الطغوري	السريع	دارج
٥٤٢	البحري	الطويل	مُضْرَج
٧١٣	أبو وجزة السعدي	البسيط	أزواج
٥١٨	ابن المعتز	الكامل	بسراج

— قافية الحاء —

٣٨٣	ابن زيدون	السريع	صَوَاح
٤٢١	ابن زيدون	السريع	فِصَاح
٥١٥	ابن برد الأصغر	السريع	الإفتضاح
٥١٦	ابن حمديس الصقلي	السريع	الأقاح
٤٢٣	ابن زيدون	الطويل	أضحى
٥١٩	ابن برد الأصغر	المديد	لاحا
٣٥٠	ابن الرومي	البسيط	رجحا
١٥٨	ابن هانئ	الكامل	الريحا

٤٤٥	ابن الحنّاط	الكامل	جناحا
٤١٤	علي بن أبي طالب أو غيره	المتقارب	صحيحا
٧٢٧	ابن الحداد	الطويل	التّججُ
٨٠٣	ابن القزاز	الوافر	جناحُ
٧٢٥	ابن الحداد	الكامل	تسرح
٢٦٠	أبو نواس	البسيط	بالصّاحي
٧٥٧	المنفّتل	البسيط	تباريحي
٥١٩	ابن برد الأصغر	الوافر	الريّاح
٨٨٢	ابن السراج المالقي	الوافر	وارتياحي
٩١٨	المتنبي الأندلسي	الوافر	صّبيح
١٤٦	ابن وهبون	الكامل	الأرواح

— قافية الدال —

٨٨٦	السميسر	مجزوء الخفيف	نَكَدْ
٨٩٦	السميسر	مجزوء الخفيف	الحسدْ
٨٤٣	المتنبي	المنسرح	والدْ
٤١٦	—	المنسرح	جاهدْ
٨٩١	السميسر	المجثّ	بالتودْ
٣٨٥	ابن زيدون	الطويل	غدا
٨٤١	ابن شماخ	الطويل	رمدا
٣٥٤	ابن شماخ	الطويل	الوردْ
٣٢٣	—	الطويل	والوجدْ
٦١٠	—	الطويل	تَصَيّدْ
٣٣٥	أبو الأصبغ القرشي	الطويل	أحمدا
٤١٦	ابن الرومي	الطويل	أبعدا
٤١٦	المتنبي	الطويل	سيّدْ

٧٢١	ابن الحداد	الطويل	يتعبدا
٦٧٢	دعبل الخراعي	البسيط	أحدًا
٥٤٣	ابن رشيق	البسيط	حمدة
٨٨٤	السميسر	مخلع البسيط	حميدا
٨٩٥	السميسر	الوافر	حدادا
٣٧٩	ابن سارة	الوافر	السيادة
٦٨٩	عمر بن الشهيد	الكامل	عنقودا
٥٢٢	ابن برد الأصغر	الكامل	خدّها
٢٦١	ابن شهيد	الرمل	أزندا
٤٧٣	عبادة	السريع	اليدا
١٤٩	الشطرنجي	السريع	قاعده
٤٢٥	ابن زيدون	المجتث	وعدك
٧٣٩	النحلي	الطويل	برود
٣٤٩	أبو تمام	الطويل	الورد
٣٦٠	ابن الرومي	الطويل	يلبد
٣١٤	ابن الحداد	الطويل	السد
٣٨٩	ابن زيدون	الطويل	الأسد
٣٢١	المتني	الطويل	ناقد
٢٦٣	ابن شهيد	الطويل	سعيد
٨٣٢	محمد بن هانيء	الطويل	وتعيد
٨٢	ابن دراج	الطويل	يصدّه
٣٦٦	ابن عبدوس الفارسي	البسيط	جسد
٤٧٩	الوزير المهلب	البسيط	قيصد
٣٦٦، ١٥٩	العباس بن الأحنف	البسيط	رقدوا

٣٣٤	ابن شهيد	مخلع البسيط	هجوؤ
٧٨	حسن بن المصيصي	الوافر	مزيد
١٥٤	—	الوافر	شهود
٣٢٥	أبو العتاهية	الوافر	الجليد
٤٨٠	صريع الغواني	الوافر	جنود
٨٤٢	حسان بن المصيصي	الوافر	تريد
٥١٧	المعري	الوافر	الرماد
٣٤٧	علي بن الجهم	الكامل	ويحفد
٤١٧	—	الكامل	تحمّد
٧٠٤	ابن الحداد	الكامل	ترشد
٥٤٩، ٤٤٩	العباس بن الأحنف	الكامل	لجاهد
٣٠٣	ابن شهيد	الكامل	والأعياد
٦٧	ابن دراج	الكامل	بعيدها
٣٩١	—	الرجز	معقود
٦٢١	ابن اللماحي	المنسرح	أجيد
٨٧٥	ابن السريع المالقي	المنسرح	أعتمد
٧٩	المتنبي	المنسرح	أجهدها
٣٩٦	أبو محمد ابن عبد العفور	المتقارب	اليد
٦٢٦	دريد بن الصمة	الطويل	أرشد
٣٧٨	—	الطويل	البُرد
١٥٨	المعتمد بن عباد	الطويل	يد
١٥٦	—	الطويل	وحدي
١٢٢	أبو تمام	الطويل	عندي
٦٨٠	—	الطويل	عندي

١٤٩	ابن جرج	الطويل	الجمد
٣٤٩	البحري	الطويل	الرندي
٨٧٣	ابن الغليظ	الطويل	الحد
٨٧٣	ابن الغليظ	الطويل	الورد
٧١٩	ابن الحداد	الطويل	الأسد
١٧٢	أبو محمد ابن حزم	الطويل	أحمد
٧٢٨	ابن الحداد	الطويل	الصادي
٥١٩	ابن برد الأصغر	الطويل	الندي
٤١٥	ابو فراس الحمداني	الطويل	الفوائد
٨٩٨	—	البسيط	وتوحيد
٨٧	ادريس بن اليماني	البسيط	حسد
٣٧٣	—	البسيط	حسادي
٨١٦	ابن عبدون	البسيط	البادي
٨٦٣	اسحاق الموصلي	البسيط	مسدود
٧٥٨	المنفلت	مخلع البسيط	بصده
١٣٨	عمرو بن معد يكرب او غيره	الوافر	تنادي
٤١٥	—	الوافر	حداد
٤٦٣	—	الوافر	بزاد
٧١٥	أبو الطيب المتنبي	الوافر	رقاد
٧٧٤	ابن فتوح	الوافر	للورود
١٥١	الناطقة الذبياني	الكامل	المورد
٧٥٧	المنفلت	الكامل	بالإمجد
٣٠٨	—	الكامل	كالجمد
٨٠٦	الطغفري	الكامل	أوحّد

٨٤١،٣٥٤	أبو تمام	الكامل	العود
١٢٩	—	الكامل المرفل	وحدي
٤٨٧	ابن برد الأصغر	الرجز	بكّد
٥٢٢	ابن برد الأصغر	الرمل	مرّصد
٥٧	المستظهر	مجزوء الرمل	بصدّي
٤١٠	أبو نواس	السريع	واحد
٧٧٣	ابن المعتز او غيره	السريع	العائد
٨٩٤	السميسر	السريع	حدّاد
٧٧٧	كشاجم	السريع	حدّة
٨٩٦	السميسر	المنسرح	كبدّي
٣٩٥	المعري	الخفيف	الأضداد
١٤٤	ابن مناذر	الخفيف	المجيد
١٥٩	المتنبي	الخفيف	اليهود
٨٣٢	المتنبي	الخفيف	بجلودي
١٧٦	البحري	الخفيف	والبيد
٢٨٠	—	الخفيف	بجيد
٢٨٠	الحسن بن وهب	الخفيف	بعدي
٢٥٤	ابن شهيد	المتقارب	جماد
٧٢٧	ابن الحداد	المتقارب	هود
٦٩١	عمر بن الشهيد	المتقارب	تدي

— قافية الذال —

٧٩٢	الاسعد بن بليطة	المجتث	يستعوذ
٥١٠	ابن برد الأصغر	مجزوء الخفيف	حُذي

— قافية الراء —

٩٠٤	—	الكامل	زُفَرٌ
٦٢٦	الكميت	مجزوء الكامل	بضائر
٨٩٧	السميسر	مجزوء الكامل	الأكابِرُ
٥٠٥	ابن برد الاصغر	مجزوء الكامل	بَهَرٌ
٥٨	المستظهر	مجزوء الكامل	سَفِيرٌ
٥٥٦	ابو عبد الله ابن مسعود	المنسرح	جُوذَرٌ
٥٥٧	أبو عبد الله ابن مسعود	السريع	يَزُورُ
٨٥٨	أبو محمد غانم	السريع	الغُرُورُ
٦١٦	أبو عبد الله ابن شرف	السريع	الكِبَارُ
٧٧٦	ابن وكيع	مجزوء الخفيف	الشمِرُ
٩٠١	—	المجتث	بِمُعْدَرُ
١٥٩	—	المتقارب	الغُرُورُ
٨٩٥	السميسر	المتقارب	الصَوَرُ
٥٦	المستظهر	الطويل	عُدْرَا
٧٨	المنفثل	الطويل	والفقرا
٦١٥	ابن الفرصي	الطويل	شهرَا
٧٦٣	المنفثل	الطويل	الصدرا
٨٧٤	ابن السراج المألقي	الطويل	خمرا
٤٤٥	ابن الحناط	الطويل	وقدراً
٧١٧	ابن الحداد	الطويل	كافرا
١٢٨	صاعد البغدادى	البسيط	عَبْرَا
٧٣٧	رفيع الدولة ابن صمادح	البسيط	هَجْرَا
١٤٨	ابن جرج	مخلع البسيط	ثَمَارَا
٦٩٢	ابن الحداد	الوافر	الأميرا

٩٠٠	—	الوافر	الإشارة
٧٣	ابن دراج	الكامل	مُمنطرا
٧٥	المتنبى	الكامل	والإسكندرا
٢٩٠	المتنبى	الكامل	مجمرا
٥١٠، ٣٨٢	المتنبى	الكامل	الأكبرا
١٧٨	أبو المغيرة ابن حزم	الكامل	أحمرا
٧٧٢	تميم بن المعز	الكامل	فتحيرا
٣٧٩	—	الكامل	المثعنجرا
٧٧١	ابن فتوح	الكامل	مُتبخرا
٧٩٢	تميم بن المعز	الكامل	خنجرا
٧٢٨	ابن الحداد	الكامل	سرورا
٥٩٩	—	مجزوء الكامل	فزاره
٤٨٤	ابن ذكوان	مجزوء الرمل	للحجارة
٣٧١	ابن زيدون	مجزوء الرجز	قصر ك
٧٨٢	ابن خلدون	السريع	بدرا
٨٩٢	—	السريع	بالفطرة
٥٢٢	أبو المغيرة ابن حزم	المنسرح	الزهره
٧٩٨	الاسعد بن بليطة	المنسرح	حارا
٨٩٥	السميسر	الخفيف	كفارة
٨٩٨	السميسر	المجث	نارا
٨٠	ابن أبي عيينة المهلبى	المتقارب	يفورا
٧٢٢	ابن الحداد	المتقارب	ناضرا
١٧٦	ابو الحسن السلامي	الطويل	النسر
٣٩٢	ابن زيدون	الطويل	البدر

٣٩٣	ابن زيدون	الطويل	الصبر
٣٩٤	ابن زيدون	الطويل	السفر
٤٢٤	ابن زيدون	الطويل	الغدر
٤١٦	ابو تمام	الطويل	العذر
٥٤٧	ابن شهيد	الطويل	سر
٧٩٢	أبو نواس	الطويل	صُفّر
٨٤٤	الشماخ	الطويل	شطر
٨٧٩	ابن السراج المالقي	الطويل	غير
٢٨٩. ٢٤٩	ابن شهيد	الطويل	فتحدر
٣٢٣	قيس بن الملوّح	الطويل	أنظر
١٦٥	أبو محمد ابن حزم	الطويل	ذاكر
١٦٦	أبو المغيرة ابن حزم	الطويل	شاجر
٣١٥	أبو فراس الحمداني	الطويل	صاغر
٣٢٣	—	الطويل	حائر
٥٤١	البحري	الطويل	غادره
٨٢	ابن درّاج	الطويل	قبور
٣٧٦	ابن دراج	الطويل	سريّر
٢٨٦	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	أزور
٢٣٤	—	الطويل	لصبور
٢١٤	—	الطويل	كثير
٨٨٠	ابن السراج المالقي	الطويل	خريّر
٨١٦	ابن حمديس	الطويل	وثبير
٨١	عمارة بن عقيل	الطويل	غديرها
٦٣	الحطيئة	البيسط	شجر

٦٣	ابن دراج	البيسط	صبروا
٢٢٤	—	البيسط	عُدْرُ
٣٣١	ابن شهيد	البيسط	ذِكْرُ
٣٥٠	شمس المعالي	البيسط	خَطَرُ
٥١٣	المؤمل المحاربي	البيسط	حجرُ
٨٤٦	المؤمل المحاربي	البيسط	بَصْرُ
٥١٣	—	البيسط	فنعذر
٦٩٠	عمر بن الشهيد	البيسط	أثرُ
٧٨٢	أبو القاسم بن مرزقان	البيسط	البصرُ
٨٣٤	—	البيسط	الإبْرُ
٨٨٧	المعري	البيسط	فيفتقرُ
٢٩٦	ابن شهيد	البيسط	دارُ
١٤٢	ابن بسام البغدادي	البيسط	وإدبارُ
٥٤٧	—	البيسط	غافِرُهُ
٤٢٨	ابن زيدون	البيسط	أشاطيرُهُ
٥٦٠	أبو عبدالله ابن مسعود	مخلع البيسط	أستجيرُ
١٦٤	—	الوافر	نهارُ
٨١٤	ابن شانجه	الوافر	الصدورُ
٤٧٨	—	الوافر	الكوثرُ
٥٠٨	محمد بن هاني	الكامل	أحورُ
٤٣٢	ولادة	الكامل	بحرُ
٩١٣، ٥٠٧	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	مُتَشِيرُ

٣٢٥	العباس بن الأحنف	الكامل	مدرار
٨٣٧	الفرزدق	الكامل	الابصار
٩٠٩	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	أنوار
٢٨٣	الأفوه	الرميل	ستمار
—	—	الرجز	واعتبروا
٥١٠	ابن المعتز	مجزوء الرجز	النظر
٢٨٨	أبو دهبيل أو وضاح	السريع	السامر
٥٠٩	ابن برد الأصغر	السريع	مسكر
٧٧٥	ابن فتوح	السريع	أقدر
٥١٥	الأمين	السريع	صابر
٧٧٣	ابن بسام البغدادي	السريع	تغور
٤٩٦	—	المنسرح	خدر
٨٩٠	السميسر	المتقارب	يفخر
١٤٧	أبو محمد ابن عبد الغفور	الطويل	الذر
٢٧٣	ابن شهيد	الطويل	الصور
١٧١	أبو محمد ابن حزم	الطويل	صدري
٧٨٣	أبو الفضل البغدادي	الطويل	صدري
٣٩٠	عبد الرحمن بن سعيد	الطويل	والجبر
٤٣٠	ولادة	الطويل	للشر
٤٦٣	الأخطل	الطويل	تبري
٧٨١	أبو الفضل الميكالي	الطويل	التبر
٧٥٦	المنفلت	الطويل	التبر
٧٧٢	ابن فتوح	الطويل	والهجر

٧٨٢	الأعمى التطيلي	الطويل	فكري
٨٢٢	—	الطويل	تدري
٧٨٨	ابن ظهار	الطويل	النّارِ
٨٠٤	ابن القزاز	الطويل	عاري
٨٧٢	ابن السراج المالقي	الطويل	متسعر
٨٧٢	ابن الغليظ	الطويل	أزهر
٢٩٢	ابن شهيد	الطويل	مُصافير
٣٣٢	ابن شهيد	الطويل	ناظر
٨٢٥	محمد العتي	الطويل	النواضير
٢٨٤	أبو نواس	المديد	جَزَرَة
٨١	المعري	البيسط	الكدر
١٤٧	المعري	البيسط	السُّعْر
٣٨١ ، ٣٤٩	المعري	البيسط	والبصر
٢٧٩	أبو تمام	البيسط	والفكر
٣٠٣	ابن بقي	البيسط	ضَرَر
٣١٢	الأعمى التطيلي	البيسط	والتوتير
٣٤٧	ابن زيدون	البيسط	بالأثر
٨٢٤	قطرب أو غيره	البيسط	بصري
٤٨٠	ابن عبدون	البيسط	و السمر
٥٢١	ابن الرومي	البيسط	بالبصر
٦٨٨	عمر بن الشهيد	البيسط	مستعر
٨٥١	—	البيسط	بالسحر
٣٥٩	النابعة الذبياني	البيسط	الضّاري
٤٦٢	ابن دارة	البيسط	بأسيار

٨٨٧	السميسر	مخلع البسيط	الحزير
٧٧٩	ابن المعتز	الوافر	سيتير
٧٩٧	ابن زرقون	الوافر	احمرار
٧٧٩	ابن عبد ربه	الوافر	البكور
٨٨٥	السميسر أو غيره	الوافر	وزير
٥٨	—	الكامل	المستظهر
٤٣١	—	الكامل	تتخير
٤٤٣	—	الكامل	يشكر
٥٢٠	ابن المعتز	الكامل	عنبر
٦٠٧	ابن الجزيري	الكامل	الأصغر
٧٩٥	ابن فرج الجياني	الكامل	أحور
٧٧٥	محمد بن هانيء	الكامل	الباتير
٣٨١	التهامي	الكامل	عذارى
٥٩٠	ابن الرومي	الكامل	المقدار
٧٧١	ابن فتوح	الكامل	نهار
٧٨٥	ابن قالوص	الكامل	العار
٣٢٢	ابن عبد ربه	الكامل	منشور
٢٠٩	ابن شهيد	الكامل	بغزيره
٢٦٠	ابن شهيد	الكامل	خموره
٢٩١	ابن شهيد	الكامل	بستوره
٥٥٣	أبو عبد الله ابن مسعود	الرجز	المحذور
٧٧٢	ابراهيم بن العباس الصولي	الرجز	يبدرى
٤١٥	عدي بن زيد	الرملى	اعتصاري
	أبو عبد الله ابن مسعود أو غيره	السريع	الذأكير
٥٥٢	غيره		

٧٣٧	رفيع الدولة ابن صمادح	السريع	تشعير
٨١٩	السميسر	السريع	بالصبر
٨٩٤	السميسر	السريع	الامير
٧٦٠	المنقتل	السريع	الصتر صير
٩١٧	متنبي الأندلس	السريع	عصره
٤٧٠	عبادة	المنسرح	صقر
٧٧٢	ابن المعتز او غيره	المنسرح	السحر
٤١٣	—	المنسرح	الغار
٧٧١، ٥٠٨	ابن فتوح	المنسرح	يعفور
٧٨	أبو العلاء المعري	الخفيف	فقير
٧٧٦	ابو الوليد بن زيدون	الخفيف	بيدر
٢٤٧	ابن شهيد	المقارب	الغريز
٧٧٥	تميم ابن المعز	المقارب	أسفارها
٧٩٤	أبو مروان بن سراج	المقارب	بآثارها

— قافية الزاي —

٧١١	ابن الحداد	الطويل	الغمز
٨٠٥	ابن القزاز	مجزوء الكامل	العزير

— قافية السين —

٢٨٧	ابن شهيد	المقارب	العسس
٨٦٤	—	الهزج	ادريسا
٧٥٨	المنقتل	السريع	مرقاسا
٧٧٧	ابن فتوح	السريع	الكاسا
٨٩٤	السميسر	السريع	محسوسا

٧٨١	ابن المعتز	المتقارب	أنفاسها
٢٧٧	ابن شهيد	الطويل	يتنفس
٧٨٧	—	الطويل	قُسْ
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	الأنس
٧٧	أبو نواس	الطويل	البسابس
١٦٦	البحري	الكامل	جالس
٣٥٩	ابن زيدون	مجزوء الرمل	وياسو
١٧٤	أبو نواس او الشطرنجي	الخفيف	ابليس
٣٧٠	—	المتقارب	مُلبَسْ
٥٧	المستظهر	الطويل	الشمس
٣٠٢	—	الطويل	بوسي
٣٦٠	العباس بن الأحنف	البيسط	كالآس
٥٤٥	الحطيفة	البيسط	الكاس
٨٣٢، ٤٤٠	جرير	البيسط	القناعيس
٤٢٧	ابن زيدون	الوافر	شمسي
١٤٣	البسامي	الكامل	مكاس
٥٢٠	ابن برد الأصغر	الكامل	بالأنفاس
٤٧٢	عبادة	الكامل	بالتنفيس
٨٦٢	أبو محمد غانم	الكامل	بالتأنيس
٧٩٧	القرزوق	الرجز	للناس
٧٥٩	المنفلت	الخفيف	قاسي
٨٨٣	السميسر	المجث	حسي

— قافية الشين —

٧٩٢	الاسعد بن بليطة	مجزوء الكامل	حنش
٥١٧	ابن برد الأصغر	المتقارب	وحش

٥٣١	أبو الغفار الرياحي	الوافر	معاشا
٥٦٦	الطليق المرواني	الرميل	غَبْشا
٩١٧	متنبي الاندلس	البسيط	فُرُشْ

— قافية الصاد —

٥٤٥	الأعشى	الطويل	خمائصا
٤٧٥	عبادة	الكامل	مناصُ
٤٦٢	الفرزدق	الوافر	الحريصـ

— قافية الضاد —

٣٩٦	ابن زيدون	المتقارب	فاغتمضُ
٥٤٦	—	المتقارب	غامضه
٥٧٤	ابن الرومي	البسيط	أغراضُ
٧٨٥	ابن الرومي	البسيط	مقراضُ
٧٦	أبو خراش	الطويل	متَحَضـ
٧٧	أبو خراش	الطويل	بعضـ
٣٣٤	ابن المعتز	الطويل	بعضـ
٨٤١	ابن شماخ	الطويل	قارضـ
٩٠٥	أحمد بن قاسم المحدث	البسيط	تعريضـ
١٤٢	ابن عبادة القزاز	مجزوء الرمل	للبعوضـ
٨٦٥	ذو الاصبغ العدواني	الهرج	العرضـ
٧٨٥	ابن الرومي	السريع	مقراضـ
٦٧٩	—	المجث	فياضـ
٨٨٨	—	المجث	غموضي
٦٩٩	—	المتقارب	مقبضـ

— قافية الطاء —

٣٦٨	—	الرجز	قط
١٧٥	أبو المغيرة ابن حزم	الطويل	المَرطَا
٢٧٧	ابن شهيد	الطويل	حَطَا
٧٩٩	الاسعد بن بليطة	الطويل	فاشْتَطَا
٧١١	ابن الحداد	الكامل	الْقَطَا
٨٣٨	—	الرجز	إِلْغَاطَا
٣٠٨	ابن زيدون	الخفيف	نُقْطَه
٨١	ابن زيدون	الطويل	رَبْطُ
٣٥٦	ابن زيدون	الطويل	شَطُوا

— قافية الظاء —

٨٤٠	ابن شماخ	الكامل	حَفَاظَا
٥٢٢	ابن برد الأصغر	الكامل	الْأَلْحَاظُ

— قافية العين —

٢٥٦	سويد بن كراع	الطويل	وَمَرَبَعَا
٤٨٠	عبد الكريم التميمي	الطويل	مُتَطَلَعَا
٨١٣	ابو بكر ابن خازم	الطويل	وَنَجَزَعَا
٤٤٩	ابن الحناط	البيسيط	وَقَعَا
٢١	ابو العباس الكتافي	البيسيط	فَانْدَفَعَا
٤٠٩	القطامي	الوافر	اِتَّبَعَا
٦٧٤	—	الوافر	الْوَدَاعَا
٣٨١	المتنبي	الكامل	أَرْبَعَا

٨١٣	ابن دريد	الكامل	دموعا
٤٣١، ٣٧١	ابن زيدون	الرملى	استودَعَكَ
٥٤٣	الطَّبِيبِ	المنسرح	لَمَّا
٣٠١	ابن شهيد	المنسرح	وقعا
١٦٠	المتنبى	الخفيف	وداعا
٦١٩	—	المتقارب	الدُّمُوعَا
٢٢٦	—	الطويل	وينفعُ
٣٢٦	الأعمى التطيلي	الطويل	الأصابعُ
٤٧٥	عبادة	الطويل	المضاجعُ
٢٨٥	ابن شهيد	الطويل	سباعُ
٣٨٤	ابن زيدون	البسيط	تلعُ
٢٨٨	المتنبى	البسيط	وَأَنْتَجِعُ
٨٥	ابن دراج	البسيط	بارعهُ
٣٧٥	المتنبى	الكامل	طبعُ
٦٢٢	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	تَنْفَعُ
٦٢٢	ابن اللمايى	الكامل	ينجعُ
١٤٧	—	الطويل	الأكَارِعِ
٣٧١	ابن زيدون	البسيط	يَنْدِعِ
٩١٦	متنبى الاندلس	الوافر	بديعِ
٣٧٢	أبو العميل الاعرابي	الكامل	واشجعِ
٥٤٤	—	الكامل	فتشيعي
٧١٥	النمرى	الكامل	ناقعِ
٨٥٨	أبو محمد غانم	مجزوء الرمل	منعِ
٢٦٤	ابن شهيد	المتقارب	داعى
٣٩١	بكر بن خارجة	السريع	وأوجاعى

٢٧٩	أبو تمام	السريع	الراقع
١٥٩	—	الخفيف	الربيع
٣٧٣	ابن زيدون	الخفيف	الدموع
٨٦٥	عباس بن مرداس	المتقارب	مجمع

— قافية الغين —

٤٧١	عبادة	الطويل	لدغ
-----	-------	--------	-----

— قافية الفاء —

٨٩٧	السميسر	السريع	أختلف
٨٥٣	أبو عمر الالبيري	الكامل	نحيفا
١٤١	—	المتقارب	ثقيفا
٣٤٠	—	الطويل	ألوف
٤٥١	ابن الحنات	الطويل	عاكف
٣٧٥	ابن زيدون	الطويل	موقف
١٧٦	أبو المغيرة ابن حزم	الطويل	أكلف
٤٤٣	الحماني	البيسط	السيف
٧٥٩	المنفلت	مجزوء الكامل	المُدْنفا
٣٥٠	ابن الرومي	الكامل المرفل	شرفه
٨٩١	السميسر	المجتث	الكفاف
٨٢٥	أبو محلم السعدي	الطويل	صدوف
٤٤٢	الحماني	البيسط	السيف
٦٨٨	عمر بن الشهيد	البيسط	السلف
٧٩٥	ابن اللبانة	البيسط	شغف
٧٣٧	رفيع الدولة ابن صمادح	الكامل	الأعطاف
٨٨٨	ابن المعتز	الرجز	أطرف

— قافية القاف —

٧٨٣	ابن فتوح	الرجز	غسق
٣٠٢	المنفعل	المتقارب	الفلق
٣٢٤	—	الطويل	برقا
٣٦٤	ابن زيدون	البسيط	راقا
٣١٣	ابن قاضي ميلة	البسيط	شرقا
٣١٣	ابن شهيد	البسيط	مُرتفقا
٤٨٨	ابن برد الاصغر	الوافر	انغلاقا
١٤٧	ابن وهبون	الكامل	طريقا
١٧٦	الصنوبري	الكامل	رفيقا
٧٧٤	ابن بسام البغدادي	الكامل	المسروقا
٢٥٤	ابن شهيد	الكامل	دهاقها
٢٩١	ابن شهيد	الكامل	إشفاقها
١٤٣	ابن بسام البغدادي	الرمل	الغرقا
٥٦٥	الطلق	الرمل	حرقا
٧٧٧	الطلق	الرمل	شفقا
٤٦٦	ابو العتاهية	الخفيف	حقا
٣٥٤	ابن رشيق	المتقارب	مقّة
١٧٤	ابو محمد ابن حزم	الطويل	ويشرق
٣١٩	ابن شهيد	الطويل	أولق
٣٥٤	ابن زيدون	الطويل	تعبق
٧٩٦	ابن زيدون	الطويل	يحرق
٨٣٥	الأعشى	الطويل	وتوثق
٨٣٥	جميل بثينة	الطويل	سملق
٣٤٣	عمرو بن الأهمم	الطويل	وصديق
٥١٨	ابن برد الأصغر	الطويل	رقيق

٨٤٣	بشار بن برد	الطويل	أموق
٥٤٧	أبو الحسن الطنبلي	البسيط	قليق
٨٨٦	السميسر	مخلع البسيط	خلاق
١٤٧	ابن سارة	الكامل	رقاق
٥٠٩	ابن برد الأصغر	المنسرح	ويحترق
٧٨١	العباس بن الأحنف	المنسرخ	عشقوا
٧٦٠	المنفلت	الخفيف	عقيق
٣٠٩	المتنبى	الطويل	ناطيق
٣٢٩	ابن شهيد	الطويل	لاحقي
٣٣٠	أبو محمد ابن حزم	الطويل	الطوارق
٤٧٥	المتنبى	الطويل	فاسق
٣٢٠	ابن شهيد	الطويل	لقي
٢٩٥	ابن شهيد الجدي	الطويل	مَشْهُوق
٤٧٥	عبادة	الطويل	الخلق
١٤٨	الحجّام	البسيط	متفق
٢١٣	—	البسيط	القلق
٣٢٦	ابن فتوح	البسيط	والورق
٣٣٣	ابن شهيد	البسيط	سباق
٦٩٧	—	البسيط	الزرق
٨٢٢	ابن شرف	البسيط	القلق
١٤٥	أبو الحسن البرقي	الكامل	العشاق
٨٢٣	أبو بكر بن بقي	الكامل	خافق
٨٦٦	أبو محمد غانم	الكامل	ساق
٣٠٦	ابن شهيد	الكامل	يعشق
٧٩٦	الاسعد بن بليطة	الكامل	يحرق

٨٣٧	—	الكامل	تفتق
٤٤٤	ابن الحنات	الكامل	ضيقه
٧٨٣	أبو الفضل الميكالي	الرجز	الشفق
١٥٠	ابن الرومي	المنسرح	بَهَق
٣٢٠	ابن هانيء	الخفيف	البواقي
٥٥٧	أبو عبد الله ابن مسعود	الخفيف	والثلاثي

— قافية الكاف —

٨٦٦	أبو محمد غانم	البسيط	يَمْنَعُكَ
٢٠٨	ابن الرومي	الطويل	هنالك
٨٤٥	المتنبي	الوافر	أراكا
٣٧٩	ابن زيدون	الكامل	ملاك
٢١٠	عبد الملك بن شهيد	الرملي	فبكي
٣٦٣	ابن الرومي	السريع	ثناياكا
٨٧٦	أبو بكر عباد	السريع	متروكا
٨٧٦	ابن السراج المالقي	السريع	فيكا
٥١٥	الأمين أو الحسين الخليل	الخفيف	أراكا
٨٤٢	ابن الطراوة	الطويل	عالك
٢٧٢	المهلي	البسيط	فتكوا
٧٨٤	أبو العلاء المعري	الطويل	الضنك
٨٦٠	أبو محمد غانم	البسيط	بمحيك
١٧٤	أبو محمد ابن حزم	البسيط	بمترك
٢٤٠	محمد بن قرمان	البسيط	فلك
٥٠٨	ابن برد الأصغر	مجزوء الرمل	ملك
٧٠٧	ابن الحداد	الهرج	الشاشي
١٤٨	ابن جرج	السريع	بالمسك

١٤٨	ابن الجهم	السريع	مَحْكُكٍ
٧٥٧	المنفلت	السريع	والمسك
٧٩٠	ابن ظهار	السريع	ضَحْكٍ
٧٤١	عبادة	المنسرح	صَوْرَكٍ
٤٦٦	محمد بن أمية	الخفيف	عليك

— قافية اللام —

١٦٥	الأشَلّ الأزرقى	الرجز	سَعَلٌ
٤١٠	—	الرجز	مَشْتَمَلٌ
٨٩٦	السميسر	الرمْل	بِالْمَقْلِ
٧٨٠	محمد بن سيق	الرمْل	سَدَلٌ
٨٩٢	السميسر	مجزوء الرمل	باطلٌ
٨١٥	ابن بسام البغدادي	السريع	الرَّجَالُ
٤٢٤	ابن زيدون	المتقارب	الحَيْلُ
٧٣٥	المعتصم بن صمادح	المتقارب	العَلِيلُ
٨٠٠	الاسعد بن بليطة	المتقارب	الْأَسْلُ
٨٣٠	عمر بن أبي عمر السجزي	الطويل	والأَهْلُ
٣٢٨	ابن شهيد	الطويل	قَتَلَهَا
٨٤٣، ٣٥٨	المتنبى	البسيط	نَصَلَا
١٧١	أبو محمد ابن حزم	مخلع البسيط	أَصَلَا
٧٦	الأعمى التطيلي	الوافر	الْجَلَالَا
٧٦	ابن بياح السبتي	الوافر	هَلَالَا
٨٢	ابن وهبون	الوافر	شَكَالَا
١٤٦	المعري	الوافر	نَمَالَا
٨٨١	ابن السراج المالقي	الوافر	دَلَالَا
٧٠٩	ابن الحداد	الوافر	دَخِيلَه

٨١٥	الشريف الرضي	الكامل	الأجيالا
٧١٥	مسلم بن الوليد	الكامل	جبريلا
٨٥٤	—	الكامل	التحويلا
٨٥٤	ابو محمد غانم	الكامل	مقبلا
٦٨٦	عمر بن الشهيد	الكامل	مشتاقلا
٥٥٦	ابو عبد الله ابن مسعود	السريع	أولا
٩١	أبو عبد الله بن شرف	الخفيف	تُجَلَّى
٣٦٣	—	الخفيف	غليلا
٨٩١	السميسر	الخفيف	طويلا
٤٦٥	كثير عزة	الطويل	موكِّلُ
٥٤٢	أبو مروان الطنبلي	الطويل	يُقَبَّلُ
٥٤٢	البحري	الطويل	والتطولُ
٤٠٤	—	الطويل	المحلُ
٤٤٢	المتني	الطويل	النصلُ
٤٧٨	—	الطويل	الصِّلُ
٢٢	ابن شهيد	الطويل	رجالُ
٩٠	—	الطويل	ومقالُ
٤٦٣	—	الطويل	وجلالُ
٢٩٧	—	الطويل	ونحولُ
١٧٥	أبو محمد ابن حزم	الطويل	ويقولُ
٣٧٧	المتني	الطويل	نزولُ
٤٦٥	—	الطويل	فذلولُ
٥٢٠	ابن المعتز	الطويل	صقيلُ
٨٧٦	ابن السراج المالقي	الطويل	فأميلُ
٨٨٠	ابن السراج المالقي	الطويل	قليلُ

٩٠١	السموأل	الطويل	وسكّول
٨٣٩	النابعة الذبياني	الطويل	قائل
٨٦٨	أبو محمد غانم	الطويل	مراحل
٣٧٨	البحري	الطويل	داخله
٤٤٧	ابو تمام	الطويل	عامله
٥٤١	خوات بن جبير	الطويل	آجله
٨٣٤	—	الطويل	وقابله
٨٨٧	أبو تمام	الطويل	معاقله
٨٦٣	ابن المعتز	المديد	أحجال
٨٦٣	ابو محمد غانم	المديد	الحال
٤٤١	عبد الحليل ابن وهبون	البسيط	الأسل
٧١٢	عبد الحليل ابن وهبون	البسيط	والخلل
٦٧٢	ابو تمام	البسيط	الرجل
٨٣٣	الأعشى	البسيط	هطل
٩٠٤	ابن الحداد	البسيط	شغل
٣٥٣، ٨١	المتني	البسيط	تصهال
٦١٦	ابن شمّاخ	البسيط	أميال
٨٤٦	ابن شماخ	البسيط	حالوا
٢١٨	ابن الجزيري	البسيط	نائله
٢١٨	ابن شهيد	البسيط	رسائله
٧٨٩	ابن ظهار	مخلع البسيط	أناله
١٧٤	أبو محمد ابن حزم	الوافر	رحيل
٣٢٤	البحري	الوافر	كليل
٣٧٨	البحري	الوافر	الصقيل

٣٨٤	النحلي	الكامل	يحملُ
٧٢٢	ابن الحداد	الكامل	تكملُ
٧٥٦	المنفثل	الكامل	قبلُ
٨٦٩	أبو محمد غانم	الكامل	أفكلُ
٨٣٢	—	الكامل	نتكلُ
٣٩٢	ابن زيدون	الكامل	تُدالُ
٤٢٢	ابن زيدون	الكامل	تختالُ
٨١٥	ابن الرومي	الكامل	الأجبالُ
٨١	المعري	الكامل	تَجولُ
٨١٤	أبن أبي طالب القيسي	الكامل	تَحولُ
٨٨١	ابن السراج المالقي	الكامل	تأويلُ
٣٨٦	المتنبي	الكامل المرفل	وَعَلُ
٢٨٨	الواثق	السريع	الليلُ
٧٧٣	علي بن الخليل	السريع	تزولُ
٤٤٢	المتنبي	المنسرح	اعتقلوا
٨٩٢	السميسر	المجثث	مالُ
١٤٦	البرقي	المتقارب	الْمَنْدَلُ
٤٤٤	ابن الحناط	المتقارب	تبخلُ
٧٣٤	—	المتقارب	طويلُ
٢٦٥	ابن شهيد	الطويل	بالأناملِ
٢٨٤	أبو تمام	الطويل	نواهلِ
٦٨٧	عمر بن الشهيد	الطويل	والحمائلِ
٧١٦	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	لوائِلِ
٧٣٩	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	لفاضلِ

٧٧	ابن دراج	الطويل	الشَّمْلِ
٣٥٣	ابن دراج	الطويل	الشكل
٧٩	المتنبى	الطويل	النحل
٧٩	ابن سارة الشنتريني	الطويل	عدل
٨١	ابن زيدون	الطويل	الشكل
٣٥١	ابن زيدون	الطويل	النصل
١٥٧	المتنبى	الطويل	رجل
٤٨٠	المتنبى	الطويل	والرجل
٣٥٤	—	الطويل	الكحل
٨٣٠	الخطابي	الطويل	أهلي
٨٤٢	المتنبى	الطويل	جهل
٦٧٧	—	الطويل	مُقتل
٢٣٢	امرؤ القيس	الطويل	عالي
٢٨٦	امرؤ القيس	الطويل	حال
٥٢١	المعري	الطويل	هلال
٢٥١	ابن شهيد	الطويل	أسيل
٤٥٢	ابن الحنات	الطويل	رسوليه
٣٧٢	المتنبى	البسيط	صيل
٣٨٣	أبو عبد الله ابن شرف	البسيط	والمقل
٢٨٤	صرع الغواني	البسيط	مُرْتَحِل
٤٤١	حسن بن المصيصي	البسيط	الرجل
٦٧٧	—	البسيط	بالعسل
٧٢٠	المتنبى	البسيط	والعدل

٨٨٦	ابن مضا القرطبي	مخلع البسيط	والغوالي
٩٠	ابن عبدون	الوافر	نِبال
٢٣٤	—	الوافر	بالجبال
٧٩٩	ابن المعتز	الوافر	بِحال
٨٧٩	ابن السراج المالقبي	الكامل	العاجل
٩٠٣	البحري	الكامل	الأحول
٩٠٢	جرير	الكامل	الأخطل
٢٨٢	موسى بن الطائف	الكامل	وطولي
٣٥٣	—	الكامل	أَسأل
٣٨٥	ابو تمام	الكامل	بصقال
٧١٦	ابن الحداد	الكامل	الضَّال
٧٩٤	الاسعد بن بليطة	الكامل	الآصال
٣٤٧ ، ٣٤٤	أبو تمام	الكامل	ماله
٤٧٤	عبادة	الكامل	يباله
٤٧٦	عبادة	الكامل	خليله
٤٢٦	ابن عمار	مجزوء الكامل	الوصول
٤٧١	عبادة	مجزوء الكامل	حالِك
٨٢٧	ابن شماخ	مجزوء الكامل	رسولها
٤٧٣	عبادة	المنسرح	خلخال
٧٥٧	المنقل	المنسرح	فيحكم لي
٧٦	الأعمى التطيلي	الخفيف	الكمال
١٤٠	المتنبى	الخفيف	ليال
٣٧٢	ديك الجح	الخفيف	للمعالي
٨٨	—	المتقارب	الذليل
٧٧١	ابن الغليظ	الخفيف	سبيل
٨٧١	ابن السراج المالقبي	الخفيف	سبيل

٦٠٩	ابن برد الاصغر	مجزوء الخفيف	وسائلي
٨٢٥	دعبل	المجثث	خالي
٣١٥	المتنبى	المتقارب	واثل
٧١٧	خزيمة بن مالك	المتقارب	الزنجبيل

— قافية الميم —

٩١٥	مرقس الأصغر	البسيط المطوى	بالقدوم
١٩٩	ابن شهيد	مجزوء الكامل	الغمام
٣٦٩	ابن زيدون	مجزوء الكامل	النسيم
٩٠٦	أحمد بن قاسم المحدث	مجزوء الكامل	الصميم
٤١١	—	الرجز	علم
٧٧٣	بشار	الرمل	ألم
٨٨٦	السميسر	مجزوء الرمل	والدم
٨٨٤	السميسر	مجزوء الخفيف	عدم
٣٢٧	ابن شهيد	المتقارب	الظلم
٣٩٩ ، ٣٩٧	ابن زيدون	المتقارب	لم
٣٤١	البحري	الطويل	أنجما
٣٧٧	ابو تمام	الطويل	ترنما
٦٨٨	عمر بن الشهيد	الطويل	حمائما
٤٤٨	المتنبى	الطويل	والفهما
٦٩٨	المتلمس	الطويل	ميسما
٥٢٨	ابن برد الأصغر	البسيط	بهما
٧٣٨	ابن اللبانة	البسيط	والكرما
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	البسيط	علما
٨٩٩	السميسر	المنسرح	مُحتلمة
٨٣٧	ابو نواس	الخفيف	التحكيم
٢٩١	المتنبى	الطويل	يطعم
٨٨٠	ابن السراج المالقي	الطويل	يترنم

٩٠٤	عبد الله بن طاهر	الطويل	وَنُكْرِمُ
٣١٩	المتنبى	الطويل	الْأَرَاقِمُ
٣٢١	ابن شهيد	الطويل	أَرَاقِمُ
٣٦٠	العباس بن الأحنف	الطويل	دَاثِمُ
٤٤٦	ابن الحناط	الطويل	سَاجِمُ
٤٤٨	المتنبى	الطويل	تَمَامُ
٨٣٠	أبو تمام	الطويل	الرَّمَامُ
٤٤٧	أبو بكر بن عمّار	الطويل	كَمَامُ
٤٤٧	المتنبى	الطويل	كَمَامُهُ
١٩	المتنبى	الطويل	قَوَادِمُهُ
٢٨٥	المتنبى	الطويل	جَمَاجِمُهُ
٤٤٧	المتنبى	الطويل	قَائِمُهُ
٤٧٦	المتنبى	الطويل	تَزَاحِمُهُ
٤٧٧	المتنبى	الطويل	الْعَرَمَرَمُ
٤٧٦	المتنبى	الطويل	يُنَجِّمُ
٨٨٣	السميسر	الطويل	فَهَنَمُ
٢١٩	ابن شهيد	الطويل	وَهَمُ
٧٨٥	ابن فتوح	الطويل	وَهَمُ
٨٧٤	ابن السراج المالقي	الطويل	عِلْمُ
٣٩٥	ابن زيدون	الطويل	حَمَامُ
٤٢٢	ابن زيدون	الطويل	سَلَامُ
٤٧٧	—————	الطويل	قَتَامُ
٤٧٧	المعري	الطويل	وَحَسَامُ
٧٢٨	ابن الحداد	الطويل	حَسَامُ

٣٧١	————	الطويل	مقيمٌ
٣٤٤	المتنبى	البسيط	عدمٌ
٣٥٨	المتنبى	البسيط	همٌ
٨٣٥	المتنبى	البسيط	صَمَمٌ
٤٦٤	————	البسيط	والحرمٌ
٨٣١	————	البسيط	البُهمٌ
٨٣١	تميم بن مقبل	البسيط	ملمومٌ
٤٤٠	ابن الحنات	مجزوء البسيط	هائمٌ
٣٥٠	المتنبى	الوافر	القتامٌ
١٧٤	أبو محمد ابن حزم	الوافر	مقيمٌ
٨٩	الشريف الرضي	الكامل	الاسهمٌ
٣٧٤	ابن زيدون	الكامل	ويسقمٌ
٣٧٥	أبو الشيص	الكامل	منهمٌ
٩٠٣	زهير بن أبي سلمى	الكامل	هرمٌ
٦٨٧	عمر بن شهيد	الكامل	عظيمٌ
٩٠٩	أحمد بن قاصم المحدث	الكامل	حميمٌ
٨٨٥	السميسر	مجزوء الكامل	أحدثهمٌ
٥٨٨	————	الرجز	يلقمهٌ
٢٨٧	اسماعيل بن يسار	السريع	المِرزَمٌ
٦٢٢	ابن اللمايى	السريع	أسجملكٌ
٤٤٢	ابن عبد ربه	المنسرح	القلمٌ
٤٧٢	عبادة	المنسرح	ندمٌ
٨٧٥	ابن الغليظ	الخفيف	يدومٌ
٦٦٨	————	المتقارب	حرامٌ
١٦١	ابو نواس	الطويل	وهي

٩٠	ابو العرب الصقلي	الطويل	بأسهم
٤٥١	المتنبى	الطويل	ضيف
٦٩٣	المتنبى	الطويل	توهم
٤٦٧	النابعة الجعدي	الطويل	المسهم
٦٢٥	معبد بن أخضر المازني	الطويل	بالتكلم
٨٧٤	ابن السراج المالقي	الطويل	المرتسم
٤١١	بشار بن برد	الطويل	وللقوادم
٦٩٦	—	الطويل	النماثم
٢٥٥	ابن شهيد	الطويل	وقديمي
٢٦١	ابو نواس	الطويل	رسوم
٥٦	المستظهر	الطويل	سلاميه
٨٢٥	احمد بن أبي كامل	المديد	الظلم
٦٦	ابن دراج	البسيط	الكلام
٢٩٣	ابن شهيد	البسيط	النعم
٣١٥	—	البسيط	قدم
٣٤٩	ابو تمام	البسيط	بالرتم
٣٦٥	الرضي	البسيط	واللثم
٤٠٩	همام الرقاشي	البسيط	أقوام
٣٣١	ابن شهيد	البسيط	تسليم
٧٣٩	المعتصم ابن صمادح	البسيط	عزائم
٦٩١	عمر بن الشهيد	مخلع البسيط	قووم
١٥٥	المتنبى	الوافر	الحمام
٣٥٨	المتنبى	الوافر	الجمام
٣٣٤	المعري	الوافر	الرجام
١٨٠	ابو تمام	الكامل	الصنصنام

٩٠٧	أحمد بن قاسم المحدث	الكامل	والأفهام.
٤٧٧	أبو عبد الله ابن شرف	الكامل	التقويم.
٨٣١	طرفة بن العبد	الكامل	تهجي
٩٠٠	—	الكامل	مُرْجَم.
٨٨٩	ابن دراج	الرجز	الظلم.
٥٠٨	ابن الرومي	مجزوء الرمل	لِسْقَمِي
٥٠٨	ابن برد الاصغر	مجزوء الرمل	بظلمي
٥١٧	أبو بكر ابن بقي	السريع	العائيم.
٥١١	الصنوبري	السريع	بالأنجم.
٧٩٣	ابن السراج النحوي	السريع	همومي
٨٥٨	ابو محمد غانم	السريع	الروم.
٤٧٩	الأسدي	الخفيف	ومُدَام
٩٠٨	ابو بكر عبادة	الخفيف	بَسَام.
٣٤٥	ابن زيدون	الخفيف	النسيم.
٣٤٧	البحري	الخفيف	الغيوم.
٨٠٧	عبد الرحمن بن عبد الرزاق	الخفيف	السليم.
٢٢٣	مسلمة بن عبد الملك	المجثث	طامي
٣٥٤	—	المجثث	نسيم.

— قافية النون —

٨٥٠	ابو عمر الالبيري	الكامل	الزمان.
١٤٦	البرقي	مجزوء الكامل	ونون.
٥٥٨	أبو عبد الله ابن مسعود	السريع	المتحفين.
٦٨٤	—	السريع	مُسِين.

٧٥٩	المنفقل	السريع	العيان
٩١٤	ابن فرج	السريع	الوسن
٤١٣	—	المتقارب	حسن
٨٨٨	السميسر	المتقارب	الأغان
٢٣٢	أبو نواس	الطويل	بعضنا
١٧٢	أبو محمد ابن حزم	الطويل	تغنى
٥٦١	أبو عبد الله ابن مسعود	الطويل	مغنى
٧٤٠	ابن مالك القرطبي	الطويل	أفنى
٨٨١	ابن السراج الملقى	الطويل	عدنا
٣٢٢	الرمادي	الطويل	كامنا
٨٧٧	ابن الغليظ	البسيط	انسانا
٨٧٧	ابن السراج الملقى	البسيط	وريجانا
٣٦٠	ابن زيدون	البسيط	مآقينا
٣٦٢	أبو بكر ابن الملح	البسيط	فيغنيننا
٤١٦	عمرو بن كلثوم	الوافر	تصبحينا
٧١٧	خزيمة بن مالك	الوافر	الظنوننا
٨٣٣	—	الوافر	بنينا
٨٨٥	السميسر	الوافر	فخذلتمونا
٤٢٨	ابن زيدون	الكامل	فأمننا
٣٦٣	ابن الرومي	السريع	ظلماتنا
٨٦٢	ابو محمد غانم	السريع	ثلاثينا
٤٣١	العتبي	المتقارب	راحميننا
٧٠	ابن دراج	الطويل	وإيمان
٧٠	ابن دراج	الطويل	سليمان
٩٢	ابن دراج	الطويل	سلطان

٤٤٦	ابن الحناط	الطويل	لبنان
٧٣٣	ابن الحداد	الطويل	ولإرنان
٨٧٠	أبو محمد غانم	الطويل	يكون
٨٧٩	ابن السراج المالقي	الطويل	كنين
٩٠٢	بشار بن برد	الطويل	مُعِين
٧٠٨	ابن الحداد	الطويل	تدنو
١٣٨	قعنّب	البيسط	دفنوا
٣٧٣	ابن زيدون	البيسط	الزمن
٨٣٦	—	البيسط	سعدان
٩١٤	أبو العباس ابن قاسم	البيسط	أكفان
١٣١	كثير	البيسط	يمين
٧٧٨	—	مخلع البيسط	جفونه
٧٠٨	ابن الحداد	الوافر	عيون
٧٢٩	ابن الحداد	الكامل	يتمكن
٦٢١	ابن اللماثي	مجزوء الكامل	بيان
٨٨٧	السميسر	مجزوء الكامل	تهون
٣٦٩	ابن زيدون	مجزوء الرمل	اليقين
٣٠٢	الأعمى التطيلي	المنسرح	حسن
٣٧٣	صريع الغواني	المنسرح	السمن
٣٩٠	بكر بن خارجة	الخفيف	الهوان
٧٥٩	—	الخفيف	المنون
٤٥٠	ابن الحناط	الطويل	والأمن
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	البين
٥٥٠	أبو عبدالله بن مسعود او غيره	الطويل	بالدون
٣١١	ابن شهيد	الطويل	تلتطمنا

٧٢٥	ابن الحداد	الطويل	عقيان
٧٨٤	الاسعد بن بليطة	الطويل	بلسانها
١٧٦	أبو تمام	البيسط	قرن
٣٦٧	المتني	البيسط	ترني
٥٠٦	ابن برد الاصغر	البيسط	الزمن
٥٤٣	أبو مروان الطنجي	البيسط	وأخبرني
٣٦٥	ابن المعتر	البيسط	وسنان
٧٥٢	ابن مالك القرطبي	البيسط	روحاني
٨٥٥	أبو محمد غانم	البيسط	ريحاني
٩٠٢	أبو تمام	البيسط	ووحدان
٨٧٣	ابن السراج المالقي	البيسط	مضمون
٨٧٥	ابن السراج المالقي	البيسط	المجانين
٨٨٧	ابن الرومي	البيسط	التون
٨٥٩	أبو محمد غانم	البيسط	للحييين
٨٦٠	ابن عبد ربه	البيسط	خيلين
٣٠٨	أبو الحسين ابن الجلد	الوافر	العجان
٣٣٥	ابن برد الاصغر	الوافر	عداني
٨٩٤	المتني	الوافر	الحنان
٤٧	هارون الرشيد	الكامل	مكان
٤٧	المستعين	الكامل	الأجفان
٣٠٩	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	الواوان
٧١٨	ابن الحداد	الكامل	الإعلان
٨٢٣	أبو الحسين ابن سراج	الكامل	الإخوان
٨٤٤	ابن عمار	الكامل	الفرسان

٦٢٢	ابن اللمائي	الكامل	أوانه
٧٣٤	ابن الحداد	الكامل	زمانه
٢٠٥	ابن شهيد	الكامل	هملائها
٦١٦	—	الكامل	بدونه
١٦٤	كشاجم	الكامل المرفل	العين
٥٦٥	ابن مسعود البجاني	السريع	عني
٢١٥	ابن شهيد	السريع	الوزيرين
٨٠٥	ابن القزاز	المنسرح	جيان
٨٧٤	ابن السراج المالقي	المنسرح	حسن
٣١٤	المعري	الخفيف	شاهدان
٥٢١	المعري	الخفيف	معتقان
٧٥٩	المنفل	الخفيف	عني
٢٩٤	اخو ابن شهيد	المتقارب	المعاني
٥٥٥	أبو عبد الله ابن مسعود	المجتث	دُكان
٨٩٢	السميسر	المجتث	والأبدان

— قافية الهاء —

٢٤٨	—	الطويل	أناها
٨٧٤	ابن السراج المالقي	الطويل	وتراها
٣٢٥	—	البيسط	مآقيها
٧٧٤	الوليد بن يزيد	البيسط	عينها
٩٤٤	ابن برد الاصغر	مخلع البيسط	بديها
٥١٦	ابن برد الأصغر	مخلع البيسط	يلها
٤٢٩	ولادة	الوافر	تيها
٤٣٠	ولادة	الوافر	يشتهها

٢٦٣	ابن شهيد	الرمل	ولها
٨٨٤	السميسر	المنسرح	اداوياها
٣٢٤	المتني	المنسرح	ثناياها
٧٩٨	الاسعد بن بليطة	الطويل	لعله
٤٢٧	ابن زيدون	البسيط	مولاه
٢٢٣	ابن شهيد	مخلع البسيط	أباه
٥٧٤	—	الوافر	تراه
٥١٣	ابن برد الأصغر	مجزوء الرمل	وَصَلَّوْهُ
٥١٤	الأمين	مجزوء الرمل	قتلوه
٥١٤	ابو محمد التيمي	مجزوء الرمل	حَسَدَوْهُ
٧٥٩	المنفثل	السريع	أضناه
٨٨٦	السميسر	السريع	مرآه
٧٧٨	ابن فتوح	الخفيف	هواه
٤٧٤	عبادة	البسيط	حاميه
٧٠٦	ابن الحداد	البسيط	أعميه
٧٠٧	ابن الحداد	البسيط	فيه
٤٢٨	ابن زيدون	مخلع البسيط	لناصحيه
٥٠٧	ابن برد الأصغر	مخلع البسيط	عليه
١٤٨	الحجام	الوافر	عليه
٥١٠	ابن برد الأصغر	الكامل	مياه
٧٨٩	ابن ظهار	الكامل	شفتيه
٨٢٢	ابو الحسين ابن سراج	الكامل	عليه
٨٢٢	ابو الوليد ابن حزم	الكامل	فيه
٧٦٠	المنفثل	مجزوء الرمل	فيه

٢٩٥	عبد الملك بن عمر الشهيد	السريع	اللاهي
٧٩٤	أبو عامر ابن عبدوس	الخفيف	وجنتيه
٥٤٨	ابو الحسن الطبري	المجث	فيه
٨٨٥	السميسر	المجث	إيه

— قافية الواو —

٧٠٨	ابن الحداد	الطويل	أسوا
٧٨٩	ابن ظهار	الكامل	أهوى
٣٢٧	ابن شهيد	المنسرح	أهوى

— قافية الياء —

٧١	ابن دراج	الطويل	الدنيا
١٥١	الفرزدق	الطويل	البواكيا
٨٨٢	ابن السراج الملقبي	الطويل	لياليا
٤٥٠	ابن دراج	الطويل	حيّا
٨٣٦	عبد الله بن معاوية	الطويل	المساويا
٧٣٨	رفيع الدولة ابن صمادح	الطويل	التنايا
٨٢٠	الأحمر المرواني	الطويل	أبّا
٧٠٩	ابن الحداد	الطويل	وحيا
٨٧٧	ابن السراج الملقبي	الطويل	جنّيا
٨٧٨	ابو بكر ابن زياد	الطويل	جربّا
٥٤٦	—	مجزوء الرمل	آية
٨٦٦	أبو محمد غانم	السريع	شقيّة
٦٥	ابن دراج	الخفيف	ودنيا
٧٩٣	الاسعد بن بليطة	الخفيف	جُدريّا
٧٩٤	أبو زيد ابن العاصي	الخفيف	جُدريّا
٧٩٠	ابن ظهار	المجث	ساقبك

٢٠٨	ابن شهيد	المقارب	الغانيه
٤٧٨	—	الوافر	علي
٣٣٠	ابن شهيد	البيسط	غاري
٦٧٨	—	مجزوء الرمل	بدوي
٦٨٠	—	المجتث	بري
٧٥٨	المنقتل	المجتث	الخلي
٤٧٥	عبادة	الطويل	ظبي
٧٥٦	المنقتل	البيسط	سحولي
٣١٢	السناط	الوافر	صيرفي
٥١٢	السناط	الوافر	الشحي
٨٣٤	أبو تمام	الوافر	بلي

فهرس أنصاف الأبيات

- أ -

رجاء	الطويل	المكعب الضبي	٤١١
------	--------	--------------	-----

- ب -

حيب	الطويل	ابن السراج المالفى	٨٧٢
عتاب	الوافر	المتنبى	٤١٥

- ح -

منجح	الطويل	عروة بن الورد	٤١٤
------	--------	---------------	-----

- د -

قواد	البسيط	ابن المعتز	٣٦٤
مقصود	البسيط	—	٦٦٦
للعبد	الرجز	بشار بن برد	٥١٤

- ر -

العذر	الطويل	—	٤١٤
الظفر	البسيط	ابن المعتز	٥٢١

- س -

والناس	البسيط	الحطيفة	٤١٧
--------	--------	---------	-----

- ع -

٤١١	—	الوافر	الربيعا
٨٤٣	ابو تمام	الطويل	يصرعُ
٣٢	—	الطويل	ودائعُ

- ق -

٦٧١	—	البسيط	الفرقُ
	- ل -		
٤١٣	عنزة	الكامل	فتحوّل

- م -

٤١٥	المتنبى	البسيط	ذميمُ
-----	---------	--------	-------

- ي -

٤١٤	—	الطويل	ماليا
-----	---	--------	-------

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
١١	[مقدمة المؤلف]
٢٢	[فهرسة المؤلف لأقسام الذخيرة]
	ذكر الكتاب والوزراء وأعيان الأدباء والشعراء بحضرة قرطبة وما
٣٣	يصاقبها
٣٥	فصل في ذكر المستعين بالله أبي أيوب سليمان بن الحكم
٤٨	فصل في ذكر المستظهر بالله أبي المطرف عبد الرحمن بن هشام
٥٣	ذكر الخبر عن كيفية مقتله
٥٥	جملة ما وجد من شعره
٥٩	فصل في ذكر الأديب أبي عمر أحمد بن دراج القسطلي
٦٠	جملة فصول من كلامه الطويل
٦٧	ما أخرجه من قصائده السلطانيات
٩٦	إيجاز الخبر عن امارة علي بن حمود
١٠٠	كيفية مقتل علي بن حمود
١٠٣	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأكبر
١٠٤	ما أخرجه من ديوان رسائله
١٢٣	تلخيص التعريف بخبز عيسى بن سعيد ومقتله
١٢٩	من شعر أبي حفص بن برد
١٣٢	فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم
١٣٣	جملة من رسائله
١٤٢	[استطرادات في المعذرين]

- ١٥٢ رجع إلى رسائل أبي المغيرة
- ١٦٧ ذكر أبي محمد بن حزم الفقيه
- ١٧٥ ما أخرجه من شعر أبي المغيرة
- ١٨٠ لمع من أخبار منذر بن يحيى التجيبي
- ١٨٥ ذكر الخبر عن مقتل منذر
- ١٨٨ [استطرد بذكر مقتل بلقين الحمادي]
- ١٩١ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عامر بن شهيد
- ١٩٣ جملة من كلامه
- ٢٢٥ فصول قصار مقتضبة من كلامه
- ٢٤٥ فصول من رسالة التوابع والزوابع
- ٢٨١ ذكر أبي القاسم بن الأفلبي
- ٢٨٣ رجع الحديث إلى التوابع والزوابع
- ٣٠٥ جملة من شعر ابن شهيد
- ٣١٦ ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن حمود
- ٣١٨ [عود إلى نثر ابن شهيد وشعره]
- ٣٢٨ فصل في ذكر آخر أيام ابن شهيد
- ٣٣٦ فصل في ذكر ذي الوزارتين الكاتب أبي الوليد بن زيدون
- ٣٤٠ جملة من نثره وما ينخرط في سلوكه من شعره
- ٣٧٥ ما أخرجه من شعره في المدائح والأوصاف
- ٣٨٦ وقبعة ابن عباد بابن الأفطس
- ٣٨٩ رجع إلى شعر ابن زيدون ونثره
- ٤٠٨ [رسالة إلى ابن مسلم ، أضيفت إلى الأصل]
- ٤١٧ ومما يتعلق بذكر وفاته
- ٤٢٠ [أضافات إلى نص النخبة من القلائد]
- ٤٢٩ بعض خبر ولادة
- [نص عن ولادة ليس من أصل النخبة كما صرح التجاني]

- ٤٣٠ في تحفة العروس : ٢٠١]
 ٤٣٣ التعريف بالمستكفي والد ولادة
 ٤٣٧ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن سليمان بن الحناط
 ٤٣٨ جملة من نثره
 ٤٤٥ ما أخرجه من قصائده في المدح والوصف والثناء
 ٤٥٣ ذكر الخبر عن مقتل المرتضى المرواني
 ٤٥٦ زوائد في الخبر المتقدم
 ٤٦٢ [استطراد بذكر المعارض]
 ٤٦٨ فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بن ماء السماء
 ٤٧٠ جملة من شعره في أوصاف شتى
 ٤٨١ ذكر الخبر عن ولاية القاسم بن حمود قرطبة
 ٤٨٦ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص بن برد الأصغر
 ٤٨٧ فصول مقتضبة من كتابه « سرّ الأدب »
 ٤٩١ فصول له في التحميدات
 ٤٩٤ فصول له في شكر النعم
 ٤٩٥ فقر في وصف القلم والمداد والكتاب
 ٤٩٧ فصول له تنخرط في سلك الأمان
 ٥٠٢ فصول في الاستراحة
 ٥٠٣ فصول قصار في مدح الاخاء
 ٥٠٥ جملة من شعره في أوصاف شتى - النسيب
 ٥١٦ شعره في سائر الأوصاف
 ٥٢٣ [رسائل لابن برد ألحقت بنصّ الذخيرة]
 ٥٢٣ رسالته في السيف والقلم
 ٥٢٨ رسالته في النخلة
 ٥٣١ رسالته المسماة بالبديعة
 ٥٣٥ فصل في ذكر الأديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي

- ٥٣٦ [أبو مضر زيادة الله الطنبلي]
 ٥٤٢ ما أخرجه من أشعار بني الطنبلي
 ٥٤٤ [استطراد في الهجاء]
 ٥٤٧ من شعر أبي الحسن الطنبلي
 ٥٤٩ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن مسعود
 ٥٦٢ محمد بن مسعود آخر
 ٥٦٥ قصيدتان للطلق المرواني
 ٥٧٣ فصل في ذكر الشيخ الأديب الكامل أبي مروان بن حيان
 ٥٧٥ فصول من كلامه في أوصاف شتى
 ٥٨٦ فصول مقتضبة من طويل كلامه في تاريخه
 ٦٠٢ فصول من كلامه عن أولية دولة بني جهور
 ٦٠٨ [المؤلف يكمل من إنشائه بقية خبر بني جهور]
 ٦١١ فصل له في ذكر رحيل ابن ذي النون عن قرطبة
 ٦١٤ فصل في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد ابن الفرضي
 ٦١٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر ابن اللماثي
 ٦١٨ فصول من نثره
 ٦٢١ ومن شعره
 ٦٢٤ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي عبدالله البزلياني
 ٦٢٥ فصول من نثره
 ٦٣٥ [نبذ من نثره أضيفت إلى الذخيرة]
 ٦٤٣ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس
 ٦٤٥ فصول له في أوصاف شتى
 ٦٥٦ ايجاز الخبر عن مقتله ومقتل زهير الفتي
 ٦٦٣ مقتل أحمد بن عباس
 ٦٧٠ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي حفص عمر بن الشهيد
 ٦٧١ جملة من كلامه في أوصاف مختلفة

- ٦٧٤ وله من مقامة
- ٦٨٦ من مدائحه في المعتصم ابن صمادح
- ٦٩١ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن أحمد بن حداد
- ٦٩٣ جملة من نثره
- ٧٠٤ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٧٠٩ مدائحه في ابن صمادح
- ٧٢٨ من شعره في النسيب وما يتصل به
- ٧٢٩ لمع من أخبار الأمير ابن صمادح
- ٧٣٧ [أبو يحيى رفيع الدولة بن صمادح]
- ٧٣٩ فصل في ذكر الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي
- ٧٤١ فصول من مقامة خاطب بها ابن صمادح
- ٧٥٢ [ومن شعره]
- ٧٥٤ فصل في ذكر الأديب أبي أحمد عبدالعزيز بن خيرة المعروف بالمنقل
- ٧٥٦ جملة من شعره في أوصاف شتى
- ٧٦٦ فصل في تلخيص التعريف بمقتل ابن النغريلي
- ٧٧٠ ذكر الأديب أبي المطرف عبد الرحمن بن فتوح
- ٧٧١ جملة من شعر ابن فتوح في النسيب
- ٧٨٦ [مقامة لابن فتوح]
- ٧٨٨ فصل في ذكر الأديب أبي بكر بن ظاهر
- ٧٩٠ فصل في ذكر الأسعد بن ابراهيم بن الاسعد بن بليطة
- ٧٩١ شعره في النسيب والأوصاف
- ٧٩٤ [استطراد بذكر أوصاف آثار الجدي والخال]
- ٧٩٦ رجع إلى شعر الأسعد
- ٧٩٩ شعر الأسعد في المديح
- ٨٠١ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز
- ٨٠٥ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله محمد بن مالك الطغفري

- ٨٠٨ فصل في ايراد أشعار رثي بها الوزير الفقيه أبو مروان بن سراج
- ٨٠٩ [ترجمة أبي مروان بن سراج]
- ٨١٣ الفقيه أبو بكر بن خازم
- ٨١٤ الأديب أبو جعفر أحمد بن شانجه
- ٨١٤ الفقيه أبو عبدالله جعفر بن محمد بن مكّي
- ٨١٦ الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون
- ٨١٨ الكاتب أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن طريف
- ٨١٩ الوزير أبو بكر محمد بن عبد العزيز
- ٨٢٠ الأديب أبو عبدالله محمد بن محمد القرشي
- ٨٢١ الأديب أبو العباس أحمد بن محمد الكناني
- ٨٢١ ترجمة الوزير الفقيه أبي الحسين بن سراج
- ٨٢٤ [استطراد بذكر الشعراء العلماء]
- ٨٢٧ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي مروان عبد الملك بن شماخ
- ٨٤٠ جملة من شعر ابن شماخ
- ٨٤١ [استطراد عن الاستعارات المضحكة]
- ٨٤٤ [رجع إلى شعر ابن شماخ]
- ٨٤٧ فصل في ذكر الفقيه أبي عمر أحمد بن عيسى الالبيري
- ٨٥٠ من شعره
- ٨٥٢ [استطراد ببعض الأدب الزهدي]
- ٨٥٣ فصل في ذكر الأديب العالم أبي محمد غانم
- ٨٥٤ جملة من نثره
- ٨٥٨ من شعره
- ٨٦٠ من مدائحه
- ٨٦١ [من نثره في العالي بالله]
- ٨٦٦ ومن مراثيه
- ٨٧٠ فصل في ذكر الأديب أبي عبدالله بن السراج المالقّي

٨٨٢	فصل في ذكر الأديب أبي القاسم خلف بن فرج (السميسر)
٨٨٤	ما أخرجه من شعره في أوصاف شتى
٨٨٩	ما أخرجه من شعره في الزهد والحكم
٨٩٢	ومن شعره في ذكر الطب والاطباء
٨٩٣	ومن شعره في ذكر الشعر والشعراء
٨٩٤	ومن شعره في أوصاف شتى
٨٩٦	ومن مقطوعاته الاخوانيات
٨٩٧	ومن شعره في النسيب
٩٠١	[الاستطراد في الشعر]
٩٠٥	فصل في ذكر الأديب أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث
٩١٣	جملة من شعره
٩١٦	فصل في ذكر الأديب أبي طالب عبد الجبار
٩١٦	جملة من شعره في أوصاف شتى
٩١٨	فصول من خطبته التي جعلها مقدمة لارجوزته
٩٢٠	أول أرجورته
٩٢٠	في التحميد
٩٢٢	مقدمات من أدلة المعرفة والاستدلال على الصانع
٩٢٤	في بيان العلم والنظر
٩٢٥	التفكير في الملكوت
٩٢٧	بدء الخليفة وذرة البرية
٩٢٨	الأنبياء المنصوص على قصصهم في القرآن
٩٢٠	الخلفاء الأربعة ومن تلاهم من بني أمية
٩٣٣	الدولة العباسية
٩٤٠	دولة بني أمية بالأندلس
٩٤١	ذكر الفتنة الأولى لقرطبة
٩٤٢	ذكر ملوك الطوائف

٩٤٤	دولة المرابطين بالاندلس
٩٤٥	فهارس الكتاب
٩٤٧	فهرس الاعلام
٩٩٥	فهرس الأماكن
١٠٠٢	فهرس القبائل والامم
١٠٠٨	فهرس الكتب المذكورة في المتن
١٠١٠	فهرس القواني
١٠٦١	فهرس المحتويات

تصويبات^١

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	٧	الفتح	الفتوح
٩٩	٩	ظن	من
١٤٠	١٩	ونار	وديار
١٩٨	١٧	برتفاع	بارتفاع
١٩٨	٢٠	الالة	دلالة
٢٧١	١٢	السار	السحار
٣٩١	١٩	٥٣٠	٤٣٥
٤١٢	١٣	السلفة	السفلة
٤١٣	٦	هبزل	منزل
٤١٦	٩	الصياغة	الصاغية
٥٣٣	٢٣	الثقل	العقل
٥٥٥	٢١	التاريخ	النارنج

١ وقعت أخطاء لا يعسر على القارئ تداركها ، وأثبت هنا ما يمكن أن يحدث لبساً .